NURUOSMA
263
306

كتاب ابن [illegible]

٣٠٦٩

٢٩٤

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı: N.O.
Yeni Kayıt No 2629
Eski Kayıt No 3069
Tasnif No

٤٠٦٩

وقف اكرم السلاطين من طبقات الملوك واسهى الخواقين بحسن السيرة والسلوك
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المواهب عثمان خان ابن السلطان
مصطفى خان ادام الله ايام دولته واقام بصفحة تواريخ حسنته
وانا الداعي الفقير الحاج ابرهيم حنيف المفتش باوقاف
الحرمين المحترمين
عفي له

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغني بلطفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى

الحمد لله الذي له العزة والجبروت وبيده الملك والملكوت وله الاسماء الحسنى والنعوت العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى او يخفيه السكوت القادر فلا يعجزه شي في السموات والارض ولا يفوت انشانا من الارض نسما واستعمرنا فيها اجيالا وامما ويسر لنا منها ارزاقا وقسما تكنفنا الارحام والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت وتعتورنا الاجال التي خط علينا كتابها الموقوت وله البقاء والثبوت وهو الحي الذي لا يموت والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المكتوب في التوراة والانجيل المنعوت الذي تمخض لفصاله الكون قبل ان تتعاقب الاحاد والسبوت وتباين زحل والبهموت وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت وعلى اله واصحابه الذين لهم في محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت والشمل الجميع في مظاهرته ولعدوهم الشمل الشتيت صلى الله عليه وعليهم ما وصل الاسلام جده المبخوت وانقطع بالكفر حبله المبتوت وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فان فن التاريخ من الفنون التي يتداولها الامم والاجيال وتشد اليه الركائب والرحال وتسموا الى معرفته السوقة والاغفال ويتنافس فيه الملوك والاقيال ويتساوى في فهمه العلماء والجهال اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول تنمو فيها الاقوال وتضرب فيها الامثال ويطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال ويؤدي لنا شان الخليقة كيف تقلبت بها الاحوال واتسع للدول النطاق والمجال وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق وعلم بكيفيات الوقايع واسبابها عميق فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعد في علومها وخليق وان فحول المورخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الامم وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر واودعوها وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها واقتفى تلك الاثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وادوها الينا كما سمعوها ولم يلاحظوا اسباب الوقايع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل والتقليد عريق في الادميين وسليل والتطفل على الفنون عريض طويل ومرعى الجهل بين الانام وبيل والحق لا يقاوم سلطانه والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه فالناقل

انما هو يملي وينقل والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل هذا وقد دون الناس في الاخبار واكثروا وجمعوا تواريخ الامم والدول في العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتاخرة هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل ولا حركات العوامل مثل ابن اسحاق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجماهير وان كانت في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الاثبات ومشهور بين الحفظة الثقات الا ان الكافة اختصتهم بقبول اخبارهم واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع اثارهم والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون او اعتبارهم فللعمران طبايع في احواله ترجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والاثار ثم ان اكثر التواريخ لهولاء عامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام في الافاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في الماخذ والمتارك ومن هولاء من اوعب ما قبل الملة من الدول والامم والامر العمم كالمسعودي ومن نحا منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشاو البعيد فقيد شوارد عصره واستوعب اخبار افقه وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابن حيان مورخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مورخ افريقية والدولة التي كانت بالقيروان ثم لم يات من بعد هولاء الا مقلد وبليد الطبع والعقل او متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال ويذهل عما احالته الايام من الاحوال واستبدلت به من عوايد الامم والاجيال فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقايع في العصور الاول صورا قد تجردت من موادها وصفاحا انتضيت من اغمادها ومعارف تستنكر للجهل طارفها وتلادها انما هي حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تعتبر اجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في موضوعاتها الاخبار المتداولة باعيانها اتباعا لمن عني من المتقدمين بشانها ويغفلون امر الاجيال الناشئة في ديوانها بما اعوز عليهم من ترجمانها فتستعجم صحفهم عن بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما او صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها واظهر من ايتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى مبادي الاحوال ومراتبها مفتشا عن اسباب تزاحمها وتعاقبها باحثا عن المقنع في تناسبها او تباينها حسبما نذكر ذلك كله في مقدمة الكتاب ثم جاء اخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الهمل وليس يعتبر لهولاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا بالفوايد واخلوا بالمذاهب المعروفة للمورخين والعوايد طالعت كتب القوم وسبرت غور الامس واليوم ونبهت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم وسمت التصنيف من نفسي وانا المفلس احسن السوم فانشات في التاريخ كتابا رفعت فيه عن احوال الناشئة من الاجيال حجابا وفصلته في الاخبار

والاعتبار بابا بابا، وابديت فيه لاولية الدول والعمران عللا واسبابا، وبنيت على اخبار الجيلين الذين عمروا المغرب في هذه الاعصار، وملاوا اكناف الضواحي منهم والامصار، وما كان لهم من الدول الطوال والقصار، ومن سلف لهم من الملوك والانصار، وهم العرب والبربر اذ هما الجيلان اللذان عرفا بالمغرب ماواهما، وطال فيه على الاحقاب مثواهما، حتى لا يكاد يتصور عنه منتاهما، ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواهما، فهذبت مباحثه تهذيبا، وقربته لافهام العلماء تقريبا، وسلكت في تبويبه وترتيبه مسلكا عجيبا، واخترعته من بين المناحي مذهبا غريبا، وطريقة مبتدعة واسلوبا، وشرحت من احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من الاعراض الذاتية، ما يمتعك بعلل الكوائن واسبابها، ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها، حتى تنزع من التقليد يدك، وتقف على احوال من قبلك من الايام والاجيال وما بعدك، **ورتبته** على مقدمة وثلاثة كتب **المقدمة** في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع بمغالطة المورخين **الكتاب الاول** في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب **الكتاب الثاني** في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ مبدا الخليقة الى هذا الاوان وفيه الالماع ببعض من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبني اسرائيل والقبط واليونان والترك والروم **الكتاب الثالث** في اخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الممالك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاء انواره، وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره، والوقوف على اثاره في دواوينه واسفاره، فافدت ما يقتضي من اخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيما ملكوه من الاقطار، واتبعت بها ما كتبته في تلك الاسطار، وادرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من امم النواحي وملوك الامصار منهم والضواحي، سالكا سبيل الاختصار والتلخيص، مقتديا بالمرام السهل من العويص، داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار عن الخصوص، فاستوعب اخبار الخليقة استيعابا، وذلل من الحكم النافرة صعابا، واعطى لحوادث الدول عللا واسبابا، واصبح للحكمة صوانا، وللتاريخ جرابا، **ولما كان** مشتملا على اخبار العرب والبربر من اهل المدر والوبر والالمام بمن عاصرهم من الدول الكبر، وافصح بالذكر والعبر في مبتدا الاحوال وما بعدها من الخبر **سميته** كتاب العبر، وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ولم اترك شيا في اولية الاجيال والدول، وتعاصر الامم الاول، واسباب التصرف والحول في القرون الخالية والملل، وما يعرض في العمران من دولة وملة، ومدينة وحلة، وعزة وذلة، وكثرة وقلة، وعلم وصناعة، وكسب واضاعة، واحوال متقلبة مشاعة، وبدو وحضر، وواقع ومنتظر، الا واستوعبت جمله، واوضحت براهينه وعلله، فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة، والحكم المحجوبة القريبة، وانا من بعدها موقن بالقصور بين اهل العصور معترف بالعجز عن المضا في مثل هذا القضا، راغب من اهل اليد البيضا، والمعارف المتسعة

الفضا، النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضا، والتغمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضا، فالبضاعة بين اهل العلم مزجاة، والاعتراف من اللوم منجاة، والحسنى من الاخوان مرتجاة، والله اسال ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه، وهو حسبي ونعم الوكيل

المقدمة في فضل التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع

لما يعرض للمورخين من المغالط والاوهام وذكر شي من اسبابها **اعلم** ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم، والانبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتدا في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط، لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم اصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يومن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثيرا ما وقع للمورخين والمفسرين وائمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا وسمينا، لم يعرضوها على اصولها، ولا قاسوها باشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في رتبة الوهم والغلط، سيما في احصاء الاعداد والاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذ هي مظنة الكذب، ومطية الهذر، ولا بد من ردها الى الاصول، وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المورخين في جيوش بني اسرائيل ان موسى عليه السلام احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستماية الف او يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش فلكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والاحوال المالوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا العدد يبعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق مساحة الارض عنها وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين وثلاثا او ازيد فكيف يقتتل هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفين وشي من جوانبه لا يشعر بالجانب الاخر والحاضر يشهد لذلك والماضي اشبه بالاتي من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بني اسرائيل وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب اوسع من ممالك بني اسرائيل ومع ذلك لم يبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه واعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرون الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قلتها وكثرتها حسبما نبين في فصل الممالك من الكتاب الاول والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو معروف وايضا فالذي بين موسى واسرائيل انما هو ثلاثة اباء على ما ذكره

المتقدمون فانه موسى بن عمران بن قاهث بفتح الهاء وكسرها ابن لاوي بفتح اللام او كسرها ابن يعقوب
وهو اسرائيل الله هكذا نسبه في التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودي قال دخل
اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم
بمصر الى ان خرجوا مع موسى الى التيه مائتين وعشرين سنة تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة
ويبعد ان يتشعب النسل في اربعة اجيال الى مثل ذلك العدد وان زعموا ان تلك
الجيوش انما كانوا في زمن سليمان بن داود ومن بعده فبعيد ايضا اذ ليس بين سليمان واسرائيل
الا احد عشر ابا فانه سليمان بن داود بن ايشا بن عوبد ويقال عوفذ بن باعز ويقال بوعز
ابن سلمون بن نحشون بن عميناذب ويقال حميناذب بن رام بن حصرون ويقال
حسرون بن فارس ويقال هرس بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب النسل في احد عشر من الولد
الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والالوف فربما يكون واما ان يتجاوز الى
ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف
تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا والذي ثبت في الاسرائيليات ان جنود سليمان كانت اثني
عشر الفا خاصة وان مقرباته كانت الفا واربعمائة فرس مرتبطة على ابوابه هذا هو
الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة منهم وفي ايام سليمان عليه السلام
كان عنفوان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في
الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريبا منهم وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش
المسلمين او النصارى واخذوا في احصاء اموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات
المترفين وبضائع الاغنياء الموسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا
وساوس الاغراب فاذا استكشف اصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت احوال
اهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجليت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار
ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة
عن المعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطا ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط
ولا عدالة ولا يراجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه
ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفقة خاسرة **ومن الحكايات**
المدخولة للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسة
اخته مع جعفر بن خالد مولاه وانه لكلفه بمكانهما من معاقرته اياهما الخمر اذن لهما
في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما في مجلسه وان العباسة تحيلت في
التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها زعموا في حالة سكر فحملت ووشي بذلك
للرشيد فاستغضب وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وجلالها وابويها وانها
بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده
العباسة بنت محمد المهدي بن عبد الله ابي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي ابي
الخلفاء بن عبد الله ترجمان القرآن بن العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام بنت
خليفة اخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته
وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قريبة عهد ببداوة العروبية
وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش فاين يطلب الصون

والعفاف

والعفاف اذا ذهب منها او اين توجد الطهارة والذكاء اذا فقد من بيتها او كيف تلحم نسبها
بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم بملكة جده من الفرس او بولاء جدها
من عمومة الرسول واشراف قريش وغايته ان جذبت دولتهم بضبعه
وضبع ابيه واستخلصتهم ورقتهم الى منازل الشرف وكيف يسوغ من الرشيد ان يصهر الى
موالي الاعاجم على بعد همته وعظم ابائه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف وقاس العباسة
بابنة ملك من اعاظم ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها
وفي سلطان قومها واستنكره ولج في تكذيبه واين قدر العباسة والرشيد من الناس
وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم اموال الجباية حتى كان
الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشاركوه في سلطانه
ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه فعظمت اثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة
وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة
وسيفا وقلما يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا
ما بين صاحب سيف وقلم زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان
ابيهم يحيى من كفالة هارون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلبه على
امره وكان يدعوه يا ابت فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط
الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الامال وتخطت
اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وسيرت الى خزائنهم في سبيل التزلف
والاستمالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوقوهم
المنن وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم
واسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات واستولوا على القرى والضياع في الضواحي
والامصار في سائر الممالك حتى اسفوا البطانة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية
فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية
حتى لقد كان بنو قحطبة اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم يعطفهم لما وقر في نفوسهم
من الحسد عواطف الرحم ولا وزعتهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ
الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالة
وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كبائر المخالفة كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن
الحسن بن علي بن ابي طالب اخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور
ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه
وبذل لهم فيه الف الف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله
بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله والاستبداد بحل عقاله
صونا لدماء اهل البيت بزعمه ودالة على السلطان في حكمه وسأله الرشيد عنه لما وشي
اليه فقطن وقال اطلقته فابدى له وجه الاستحسان واسرها في نفسه وقومه حتى ثل
عرشهم والقيت عليهم سماؤهم وخسفت الارض بهم وبدارهم وذهبت سلفا ومثلا للاخرين
ايامهم ومن تأمل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر ممهد
الاسباب وانظر ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن

نكبتهم وما ذكر في باب الشعراء من كتاب العقد في محاورة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم تفهم انه انما قتلتهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به اعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالا على اسماع الخليفة وتحريك حفايظه لهم وهو قوله

ليت هندا انجزتنا ما تعد ۞ وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة ۞ انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اي والله عاجز حتى بعثوا بامثال هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم باس انتقامه نعوذ بالله تعالى من غلبة الرجال وسوء الحال **واما ما تموه** به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاش لله ما علمنا عليه من سوء واين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب من منصب الخلافة وامن الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبتهم ومكاتبته سفيان الثوري وبكايه من مواعظهم ودعايه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها   الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم ماية ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ولقد زجر ابن ابي مريم مضحكه في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرا ومالي لا اعبد الذي فطرني فقال والله ما ادري فما تمالك الرشيد ان ضحك ثم التفت اليه مغضبا وقال يا ابن ابي مريم في الصلاة ايضا اياك اياك والقران والدين ولك ما شيت بعدهما وايضا فقد كان من العلم والبداوة بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين جده ابي جعفر بعيد زمن انما خلفه غلاما وقد كان ابو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القايل لمالك حين اشار عليه بتاليف الموطا يا ابا عبد الله انه لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك واني قد شغلتني الخلافة فضع انت للناس كتابا ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدايد ابن عمر ووطيه للناس توطية قال مالك فوالله لقد علمني التصنيف يوميذ ولقد ادركه ابنه المهدي ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوما وهو بمجلسه يباشر الخياطين في ارقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف المهدي من ذلك وقال يا امير المومنين على كسوة هذه العيال عامنا هذا من عطايي فقال له لك ذلك ولم يصده عنه ولا سمح بالانفاق من اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وابوته وما ربي عليه من امثال هذه السير في اهل بيته والتخلق بها ان يعاقر الخمر او يجاهر بها وقد كانت حال الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم تكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد واباؤه كانوا اهل قرب العهد من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم والتخلق بالمحامد واوصاف الكمال ونزعات العرب وانظر ما نقله الطبري والمسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين احضر له السمك في مايدته فحماه عنه ثم امر صاحب المايدة بحمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب منه ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاعد ابن بختيشوع للاعتذار قطعا من السمك في ثلاثة اقداح خالط

احدها

احدها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصب على الثانية ماء مثلجا وعلى الثالثة خمرا صرفا وقال في الاول والثاني هذا طعام امير المومنين ان خلط السمك بغيره ام لم يخلط وقال في الثالث هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها الى صاحب المايدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضره للتوبيخ احضر الثلاثة اقداح فوجد صاحب الخمر خلط واماع وتفتت ووجد الاخرين قد فسدا وتغيرت رايحتهما فكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته واهل مايدته ولقد ثبت عنه انه كان حبس ابا نواس لما بلغه من انهماكه في المعاقرة حتى تاب واقلع وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها معروفة واما الخمر الصرف فلا سبيل الى اتهامه بها ولا تقلد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من اكبر الكباير عند اهل الملة ولقد كان اوليك القوم كلهم بمنحاة من حيث السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وساير متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى الحظر وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المورخون الطبري والمسعودي وغيرهما على ان جميع من سلف من خلفاء بني امية وبني العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج وان اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل من الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم في ملابسهم ايضا فما ظنك بمشاربهم ويتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة في اولها من البداوة والغضاضة كما نشرح في مسايل الكتاب الاول ان شا الله تعالى **ويناسب هذا** وقريبا منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضي المامون وصاحبه وانه كان يعاقر المامون الخمر وانه سكر ليلة مع شربه فدفن في الريحان حتى افاق وينشدون على لسانه

يا سيدي وامير الناس كلهم ۞ قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني ۞ كما تراني سليب العقل والدين

وحال ابن اكثم والمامون في ذلك من حال الرشيد وشرابهم انما كان النبيذ ولم يكن محظورا عندهم واما السكر فليس من شانهم وصحابته للمامون انما كانت خلة في الدين ولقد ثبت انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضايل المامون وحسن عشرته انه انتبه ليلة فقام يتحسس ويلتمس الانا مخافة ان يوقظ يحيى بن اكثم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا فاين هذا من المعاقرة وايضا فيحيى بن اكثم كان من اهل الحديث وقد اثنى عليه الامام احمد بن حنبل والقاضي اسمعيل وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر الحافظ المزي ان البخاري روى عنه في غير الجامع فالقدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ينبزه المجان بالميل الى العلماء بهتانا على الله وفرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدايه فانه كان محسودا في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزها عن مثل ذلك وقد ذكر لابن حنبل رض ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكارا شديدا واثنى عليه اسمعيل القاضي فقيل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد وقال ايضا يحيى بن اكثم ابرا الى الله من ان يكون فيه شي مما كان يرمي به امر العلماء ولقد كنت اقف على سرايره فاجده شديد الخوف لله لكنه كانت فيه دعابة

دعابة وحسن خلق فرمي بما رمي به وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكى عنه
لان اكثرها لا يصح عنه **ومن امثال** هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب
العقد من حديث الزنبيل في سبب اصهار المامون الى الحسن بن سهل في بنته بوران وانه
عثر بعض الليالي في تطوافه بسكك بغداد بزنبيل مدلى من بعض السطوح بمعالق
وجدل مغارة الفتل من الحرير فاقتعده وتناول المعالق فاهتزت وذهب به صعدا الى
مجلس شانه كذا ووصف من زينة فرشه وتنضيد انيته وجمال دويته ما يستوقف
الطرف ويملك النفس وان امراة برزت له من خلال الستور في ذلك المجلس رائعة الجمال
فتانة المحاسن فحيته ودعته الى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى
اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبا بعثه الى الاصهار الى ابيها واين هذا
كله من حال المامون المعروفة في دينه وعلمه واقتفائه سنن الخلفاء الراشدين من ابائه
واخذه بسير الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته للعلماء وحفظه لحدود الله تعالى
في صلواته واحكامه فكيف يصح عنه احوال الفساق المستهترين في التطواف بالليل وطروق
المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق الاعراب واين ذلك من منصب بنت الحسن بن سهل
وشرفها وما كان بدار ابيها من الصون والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المورخين
معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة وهتك قناع
الروات ويتعللون بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون
باشباه هذه الاخبار وينقرون عنها عند تصفحهم لاوراق الدواوين ولو ائتسوا بهم
في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللائقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا
يعلمون ولقد عذلت يوما بعض الامراء من ابناء الملوك في كلفه بتعلم الغناء وولوعه
بالاوتار وقلت له ليس هذا من شانك ولا يليق بمنصبك فقال لي الا ترى الى ابراهيم
ابن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنيين في زمانه فقلت له يا سبحان
الله وهلا تاسيت بابيه او اخيه او ما رايت كيف قعد ذلك بابراهيم عن مناصبهم فصم
عن عذلي واعرض والله يهدي من يشاء من عباده **ومن الاخبار الواهية**
ما يذهب اليه الكثير من المورخين في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة
من نفيهم عن اهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم والطعن فيهم وفي نسبهم الى اسماعيل
الامام بن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لفقت للمستضعفين من الخلفاء
بني العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفننا في الشمات بعدوهم حسبما تذكر
هذه الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال
التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن
مبدا دولة الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعى بكتامة للرضى من ال محمد واشتهر
خبره وعلم تحويمه على عبيد الله المهدي وابنه ابي القاسم خشيا على انفسهما فهربا من
المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر وانهما خرجا من الاسكندرية في زي التجار ونمي خبرهما
الى عيسى النوشري عامل مصر والاسكندرية فسرح في طلبهما الخيالة حتى اذا ادركا
خفي حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزي فافلتوا الى المغرب وان المعتضد اوعز
الى الاغالبة امراء افريقية بالقيروان وبني مدرار بسجلماسة باخذ الافاق عليهما واذكا

العيون في طلبهما فعثر عليهما صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفاء مكانهما ببلده فاعتقلهما
مرضاة للخليفة هذا قبل ان تظهر الشيعة على الاغالبة بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان
من ظهور دعوتهم بافريقية والمغرب ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز
وقاسموا بني العباس في ممالك الاسلام شق الابلمة وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزيلون
من امرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير البساسيري من موالي الديلم المتغلبين
على خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لهم على منابرها
حولا وما زال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني امية من وراء البحر
ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعي في النسب يكذب في انتحال الامر
واعتبر حال القرمطي اذ كان دعيا في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت اتباعه وظهرت
سريعا على خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك
لعرف ولو بعد مهلة **شعر**

فمهما يكن عند امرئ من خليقة ٭ وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم ومصلاه وموطن
الرسول ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله
على اتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسماعيل بن جعفر
الصادق ولقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة ودروس امرها داعين الى بدعتهم هاتفين
باسماء صبيان من اعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية
ممن سلف قبلهم من الائمة ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم
فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب
من القاضي ابي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة المرجوحة
ويرى هذا الراي الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الالحاد في الدين والتعمق في
الرافضية فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من
الله شيئا في كفرهم فيه قال الله تعالى لنوح عليه السلام في شان ابنه انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح فلا تسالني ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها
يا فاطمة اعملي فلن اغني عنك من الله شيئا ومتى عرف امرء قضية او استيقن امرا وجب عليه
ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول
بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكرر
خروجهم مرة بعد اخرى فلاذ رجالهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما **قيل**

فلو تسال الايام ما اسمي ما درت ٭ واين مكاني ما عرفن مكاني

حتى لقد سمي محمد بن اسماعيل جد عبيد الله المهدي بالمكتوم سمته بذلك شيعتهم
لما اتفقوا عليه من اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة ال العباس بذلك
عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الراي الفائل للمستضعفين من
خلفائهم واعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون به عن
انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر
والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة ببغداد

بعدهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي واخوه المرتضى وابن البطحاوي ومن العلماء ابو حامد الاسفرايني والقدوري والصيمري وابن الاكفاني والابيوردي وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين واربعمائة في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه والحق من ورائه **وفي كتاب المعتضد** في شان عبد الله بن ابي الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة اصدق شاهد واوضح دليل على صحة نسبهم والمعتضد اقعد بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتلتمس فيه ضوال الحكمة وتحدى اليه ركائب الروايات والاخبار وما نفق فيها نفق عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر عن قصد السبيل نفق في سوقها الابريز الخالص واللجين المصفى وان ذهبت مع الاغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي والباطل نفق البهرج والزائف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه وملتمسه مثل هذا او ابعد منه كثير ما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين الامام بعد ابيه بالمغرب الاقصى ويعرضون تعريض الحد بالطعن في الحمل المخلف عن ادريس الاكبر انه لراشد مولاهم قبحهم الله وابعدهم ما اجهلهم اما يعلمون ان ادريس الاكبر كان اصهاره في البربر وانه منذ دخل المغرب الى ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكامن لهم يتاتى فيها الريب واحوال حرمهم اجمعين بمرأى من جاراتهم ومسمع من جيرانهم لتلاصق الجدران وتطامن البنا وعدم الفواصل بين المساكن وقد كان راشد يتولى خدمة الحرم اجمع من بعد مولاه بمشهد من اوليائهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة وبايعوه على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو كاشح ومنافق مرتاب لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بني العباس اقتالهم ومن بني الاغلب عمالهم كانوا بافريقية وولاتهم وذلك انه لما فر ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة فخ اوعز الهادي الى الاغالبة ان يقعدوا له بالمرصاد ويذكوا عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من دسيسة التشيع للعلوية وادهانه في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ودس الشماخ من موالي ابيه للتحيل على قتل ادريس فاظهر اللحاق به والبراءة من بني العباس مواليه فاشتمل عليه ادريس وخلطه بنفسه وناوله الشماخ في بعض خلواته سما استهلكه به ووقع خبر مهلكه من بني العباس احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولما تادى اليهم خبر الحمل المخلف لادريس فلم يكن الا كلا ولا واذا بالدعوة قد عادت والشيعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس تجددت

فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهرم قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاصغر بمكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التحيل في اهلاكه بالسموم فعند ذلك فزعوا الى اوليائهم من الاغالبة بافريقية في سد تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشيج منهم يخاطبهم بذلك المامون ومن بعده من خلفائهم فكان الاغالبة عن برابرة المغرب الاقصى اعجز ولمثلها من الزبون على ملوكهم احوج لما طرق الخلافة من انتزاء مماليك العجم على سدتها وامتطائهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم في رجالها وجبايتها واهل خططها وسائر نقضها وابرامها كما قال شاعرهم

خليفة في قفص بين وصيف وبغا • يقول ما قالا له • كما يقول الببغا

فخشي هؤلاء الامرا الاغالبة بوادر السعايات وتلوا بالمعاذير فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب لشان ادريس الخارج به ومن قام من اعقابه يخاطبونهم بمجاوزته حدود التخوم من عمله وينفذون سكته في تحفهم وهداياهم ومرتفع جباياتهم تعريضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه وتهديدا بقلب الدعوة ان الجئوا اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمثل ذلك الطعن الكاذب تخفيفا لشانه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعد المسافة وافن عقول من خلف من صبية بني العباس ومماليكهم العجم في القبول من كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا دابهم حتى انقضى امر الاغالبة فقرعت هذه الكلمة الشنعاء اسماع الغوغاء وصر عليها بعض الطاعنين اذنه واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المنافسة وما لهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين المقطوع والمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقائد الايمان والله سبحانه وتعالى قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القران ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء باثمه وولج الكفر من بابه وانما اطنبت في هذا الرد سدا لابواب الريب ودفعا في صدر الحاسد لما سمعته اذناي من قائله المعتدي عليهم القادح في نسبهم بفريته وينقله بزعمه عن بعض مورخي المغرب ممن انحرف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا فالمحل منزه عن ذلك معصوم منه ونفي العيب حيث يستحيل العيب لكني جادلت عنهم في الحياة الدنيا وارجو ان يجادلوا عني يوم القيامة **ولتعلم** ان اكثر الطاعنين في نسبهم انما هم الحسدة لاعقاب ادريس هذا من منتم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعى هذا النسب دعوى شرف عريض على الامم والاجيال من اهل الافاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني ادريس هؤلاء بمواطنهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامة والجيل من الخلف عن الامة والجيل من السلف وبيت جدهم ادريس مختط فاس ومؤسسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلتهم ودروبهم وسيفه منتضى براس المأذنة العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من اثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواترات مرات وكادت تلحق بالعيان فاذا نظر غيرهم

من اهل هذا النسب الا ما تاتيهم الله من امثالها وما عضد شرفهم النبوي من جلال الملك الذي كان لسلفهم بالمغرب واستيقن انه بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مد احدهم ولا نصيفه وان غاية امر المنتمين الى البيت الكريم ممن لم يحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون في انسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفائل والقول المكذوب تعللا بالمساواة في الظنة والمشابهة في تطرق الاحتمال وهيهات لهم ذلك فليس في المغرب فيما نعلمه من اهل البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبراؤهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى العدام بن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم نقباء اهل البيت هنالك والساكنون ببيت جدهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شاء الله تعالى **ويلحق بهذه المقالات الفاسدة** والمذاهب الفائلة ما يتناوله ضعفة الراي من فقهاء المغرب من القدح في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتلبيس فيما اتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعي على اهل البغي قبله وتكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم الموحدون اتباعه من انتسابه الى اهل البيت وانما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن في نفوسهم من حسده على شانه فانهم لما راوا من انفسهم مناهضته في العلم والفتيا وفي الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراي مسموع القول موطا العقب نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبه والتكذيب لمدعياته وايضا فكانوا يونسون من ملوك لمتونة اعدائه تجلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السذاجة وانتحال الديانة فكان لحملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى في كل بلد وعلى قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتثريب عليهم والمناصبة لهم تشيعا للمتونة وتعصبا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على الدولة ما نقم من احوالها وخالف اجتهاده فقهاءها فنادى في قومه ودعا الى جهادهم بنفسه فاقتلع الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة واعز انصارا وحامية وتساقطت في ذلك من اتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه على الموت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقربوا الى الله تعالى باتلاف مهجهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم ودالت بالعدوتين من الدول وهو بحالة من التقشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله تعالى وليس على شيء من الحظ والمتاع في دنياه حتى الولد الذي ربما تجنح اليه النفوس وتخادع عن تمنيه فليت شعري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ في الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم امره وانفسحت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده

انكارهم لنسبه في اهل البيت فلا تعضدهم حجة لهم مع انه ان ثبت انه ادعاه وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون في انسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون

عليهم يوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبما ياتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قد راس سائر المصامدة ودانوا باتباعه والانقياد اليه والى عصابته من هرغة حتى تم امر الله تعالى في دعوته فاعلم ان هذا النسب الفاطمي لم يكن امر المهدي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وانما كان اتباعهم له بعصبية الهرغية والمصمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها وكان ذلك النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم فيكون النسب الاول كانه انسلخ منه ولبس جلدة هؤلاء وظهر فيها فلا يضره الانتساب الاول في عصبيته اذ هو مجهول عند اهل العصابة ومثل هذا واقع كثيرا اذا كان النسب الاول خفيا وانظر قصة عرفجة وجرير في رياسة بجيلة وكيف كان عرفجة من الازد ولبس جلدة بجيلة وكيف كان عرفجة من الازد حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضي الله تعالى عنه كما هو منقول يتفهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب

ان نخرج عن غرض الكتاب بالاطناب في هذه المغالطة فقد زلت اقدام كثير من الاثبات والمورخين الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والاراء وعلقت بافكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا وناظره مرتبكا وعد من مناحي العامة فاذا يحتاج صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبايع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوايد والنحل والمذاهب وساير الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغايب من الوفاق او بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على اصول الدول والملل ومبادي ظهورها واسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال القايمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث واقفا على اصول كل خبر وحينيذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه وما استكبر القدما علم التاريخ الا لذلك حتى انتحله الطبري والبخاري وابن اسحاق ومن قبلهم وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل كثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة واستخف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفل عليه فاختلط المرعي بالهمل واللباب بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور

ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوي شديد الخفا اذ لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من اهل الخليقة وذلك ان احوال العالم والامم وعوايدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاوقات والامصار فكذلك يقع في الافاق والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد خلت في عباده وقد كان في العالم امم الفرس الاولى والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو اسرايل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياستهم وصنايعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وساير مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعتمارهم للعالم تشهد بها اثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت بها العوايد الى ما يجانسها ويشابهها والى

ما بينهما وتباعدها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابة اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذه الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وايامهم وذهب الاسلاف الذين شيدوا عزهم ومهدوا ملكهم وصار الامر في ايدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال فذهبت بذهابهم امم وانقلبت احوال وعوايد نسي شانها واغفل امرها والسبب الشايع في تبدل الاحوال والعوايد ان عوايد كل جيل تابعة لعوايد سلطانه كما يقال في الامثال الحكمية الناس على دين ملكهم واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلابد ان ينزعوا الى عوايد من قبلهم وياخذون الكثير منها ولا يغفلون عوايد جيلهم ومع ذلك فيقع في عوايد الدولة بعض المخالفة لعوايد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم ومزجت من عوايدهم وعوايدها خالفت ايضا بعض الشي وكانت للاولى اشد مخالفة ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي الى المباينة بالجملة فما دامت الامم والاجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوايد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مامونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها لاول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط فمن هذا الباب ما وقع للمورخين من احوال الحجاج وان اباه كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنايع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصبية والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم فيتشوف الكثير من المستضعفين من اهل الحرف والصنايع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدونها من الممكنات لهم فيذهب بهم وسواس المطامع وربما انقطع حبلها من ايديهم فسقطوا في مهواة الهلاك والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم وانهم اهل حرف وصنايع للمعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون على تعليم ذلك وتفهيمه للامة لا يصدهم عنه لايمة الكبر ولا يردعهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرايع الدين بعث في ذلك من اصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر الاسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدي اهلها واستحالت بمرور الايام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقايع وتلاحقها فاحتاج الى قانون يحفظه من الخطا وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنايع والحرف كما ياتي في ذكر فضل العلم والتعليم واشتغل اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم واصبح حرفة للمعاش وشمخت انوف المترفين

واهل

واهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملك والحجاج بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف واشرافهم ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه القران على ما هو الامر عليه لهذا العهد من انه حرفة للمعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام **ومن هذا الباب** ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب وقود العساكر فتترامى بهم وساوس الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشان في خطة القضا لهذا العهد على ما كان عليه ويظنون بابن ابي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوايف باشبيلية اذا سمعوا ان اباءهم كانوا قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاة من مخالفة العوايد كما نبينه في فصل القضا من الكتاب الاول وابن ابي عامر وابن عباد كانا من قبايل العرب القايمين بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطة القضا لهذا العهد بل انما كان القضا في الامر القديم لاهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوايف وتقليدهم عظايم الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنا فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال على غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعفاء البصاير من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ اعصار بعيدة بفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبية من البربر فبقيت انسابهم العربية محفوظة والذريعة الى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدهم القهر ورئموا المذلة يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون بها الغلب والتحكم فتجد اهل الحرف منهم والصنايع متصدين لذلك ساعين في نيله فاما من باشر احوال القبايل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشاير فقلما يغلطون في ذلك او يخطئون في اعتباره ومن هذا الباب ايضا ما يسلكه المورخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها فيذكرون اسمه ونسبه واباه امه ونسا ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد لمورخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمورخون بذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لاهل الدولة وابناؤها متشوفون الى سير سلفهم ومعرفة احوالهم ليقتفوا اثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لابناء صنايعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصبية الدولة وفي عداد الوزرا كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضها من الامم او يقصر عنها فما الفائدة للمصنف في هذا العهد في ذكر الابنا والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المولفين المتقدمين والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر

بعف

الوزرا الذين عظمت اثارهم وعفت على الملوك اخبارهم كالحجاج وبني المهلب والبرامكة
وبني سهل بن نوبخت وكافور الاخشيدي وابن ابي عامر وامثالهم فغير نكير الالماع
بابائهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم في عداد الملوك **ولنذكر هنا**
فائدة نختم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة
بعصر او جيل فاما ذكر الاحوال العامة بالافاق والاجيال والاعصار فهو اس للمورخ
ينبني عليه اكثر مقاصده ويتبين به اخباره وقد كان الناس يفردونه بالتاليف كما فعله
المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم والافاق لعهده في عصر الثلاثين
والثلاثمائة غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوايدهم ووصف البلدان والجبال والبحار
والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اماما للمورخين يرجعون اليه
واصلا يعولون في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك
في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال لعهده لم يقع
فيها كثير انتقال ولا عظيم تغيير واما لهذا العهد وهو اخر المائة الثامنة فقد انقلبت
احوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال البربر اهله على
القدم بمن طرا فيه من لدن المائة الخامسة من اجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم وانتزعوا
منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا
وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الامم وذهب
باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ
الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها واوهن من سلطانها وتداعت الى
التلاشي والاضمحلال احوالها وانتقض عمران الارض بانتقاض البشر فخربت الامصار
والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل
وتبدل الساكن وكاني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه
وكانما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر الى الاجابة والله وارث
الارض ومن عليها واذا تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من اصله وتحول
العالم باسره وكانه خلق جديد ونشاة مستانفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد
من يدون احوال الخليقة والافاق واجيالها والعوايد والنحل التي تبدلت لاهلها
ويقفو مسلك المسعودي لعصره ليكون اصلا يقتدي به من ياتي من المورخين من بعده
وانا ذاكر في كتابي هذا ما امكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحا واما مندرجا في اخباره
وتلويحا لاختصاص قصدي في التاليف بالمغرب واحوال اجياله وامه وذكر ممالكه
ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على احوال المشرق وامه وان الاخبار
المتناقلة لا توفي كنه ما اريده منه والمسعودي انما استوفى ذلك لبعد رحلته وتقلبه
في البلاد كما ذكر في كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء احواله وفوق كل ذي علم عليم
ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله في
عونه تيسرت عليه المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب ونحن اخذون بعون الله
فيما رمناه من اغراض التاليف والله المسدد والمعين وعليه التكلان **وقد يجب علينا**
ان نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغة العرب اذا عرضت في هذا الكتاب

دوز

وقد يجب علينا ان نقدم ان الحروف في النطق كما ياتي شرحه بعد هي كيفيات للاصوات الخارجة من
الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحلق والحنك والاضرا ر
او بقرع الشفتين ايضا فتتغاير كيفيات الاصوات بتغاير ذلك القرع وتجي الحروف متمايزة في السمع
وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضماير وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف
فقد يكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون
حرفا كما علمت ونجد للعبرانيين حروفا ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضا حروفا ليست في لغتهم وكذ لك
الافرنج والترك والبربر وغير هولاء من العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة
على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف وبا وجيم ورا وطا
الى اخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملا عن الدلالة
الكتابية مغفلا عن البيان وربما رسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتنفه من لغتنا قبله
او بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصله ولما كان كتابنا مشتملا على
اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة
كتابنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلنا
لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع الحرف العجمي بما يدل
على الحرفين اللذين يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذلك الحرفين فتحصل
تاديته وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قراءة خلف
فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في
داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف
يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة والجيم
او نقطة القاف من فوق واحدة او ثنتين فيدل على انه متوسط بين الكاف والجيم والقا ف
وهذا الحرف اكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف
المتوسط بين حرفين في لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارئ انه متوسط فينطق به كذلك
فنكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكنا قد صرفناه من
مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الهادي للصواب
بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الاول

في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش
والعلوم والصنايع ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب **اعلم** انه لما كانت حقيقة
التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك
العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على
بعض وما ينشا عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر باعمالهم ومعاشهم
من الكسب والمساعي والعلوم والصنايع وساير ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحو ال
ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فمنها التشيعات
للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من
التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لراي او نحلة قبلت

مايوافقهما من الاخبار لاول وهلة كان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن
الانتقاد والتمحيص فيقع في قبول الكذب ونقله ومن الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار
ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والترجيح **ومنها** الذهول عن
المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه
فيقع في الكذب **ومنها** توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين
ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقايع لاجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها
المخبر على غير الحق في نفسه **ومنها** تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب
بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير
حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة
وليسوا في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين براغبين في الفضايل ولا متنافسين في اهلها
ومن الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبايع الاحوال في
العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض
له من احواله فاذا كان السامع عارفا بطبايع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها
اعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التمحيص من كل وجه
يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلوها وتوثر عنهم كما نقله
المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت
الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب
الشيطانية التي راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك
الدواب حين خرجت وعاينتها وتم له بناوها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة
من قبل اتخاذه التابوت الزجاج ومصادمة البحر وامواجه بجرمه ومن قبل ان الملوك
لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرور ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض
العقد واجتماع الناس على غيره وفي ذلك اتلافه لا ينتظرون به رجوعه من غروره ذلك
طرفة عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكل
وما يذكر من كثرة الروس لها وانما المراد بها الشناعة والتهويل لا انه حقيقة هذه كلها قادحة
في تلك الحكاية والقادح المحيل لها من طريق الوجود ابين من هذا كله ان المنغمس في الماء
لو كان في الصندوق يضيق عليه الهوا للتنفس الطبيعي ويسخن بسرعة لقلته فيفقد صاحبه
الهواء البارد المعدل لمزاج الرية والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك
اهل الحمامات اذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين في الابار والمطامير العميقة
المهوى اذا سخن هواوها بالعفونة ولم تدخلها الرياح فتخلخلها فان المتدلي فيها يهلك
لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهوى لا يكفيه في تعديل رئته
اذ هو حار بافراط والماء الذي يعدله بارد والهوى الذي يخرج اليه حار فيستولي الحرارة
على روحه الحيواني ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك من الاخبار المستحيلة
ما نقله المسعودي ايضا في تمثال الزرزور الذي برومية الذي يجتمع اليه الزرازير
في يوم معلوم من السنة حاملة الزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعد ذلك من
المجرى الطبيعي في اتخاذ الزيت **ومنها** ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة باب

الابواب

الابواب تحيط بالماء دور ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة الاف باب والمدن انما اتخذت للتحصن
والاعتصام كما ياتي وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكما نقله المسعودي
ايضا في مدينة النحاس وانها مدينة كلها من نحاس بصحرا سجلماسة ظفر بها موسى بن نصير في غزاته
الى المغرب وانها مغلقة الابواب وان الصاعد اليها من سورها اذا اشرف على الحايط صفق
ورمى بنفسه فلا يرجع اخر الدهر في حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص وصحرا سجلماسة
قد نفضها الركاب والادلا ولم يقفوا لهذه المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكروا عنها
كلها مستحيل عادة مناف للامور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية
الموجود منها ان تصرف في الانية والخرث واما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة
والبعد وامثال ذلك كثير وتمحيصه انما هو معرفة طبايع العمران وهو احسن الوجوه
واوثقها في تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة
ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى نعلم هل ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممتنع واما اذا كان
مستحيلا فلا فايدة للنظر في التعديل او الترجيح ولقد عد اهل النظر من المطاعن في الخبر
استحالة مدلول اللفظ وتاويله بان يؤول بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل والترجيح هو
المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها
حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط واما الاخبار
عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ينظر في امكان
وقوعه وصار ذلك فيها اهم من التعديل ومقدما عليه اذ فايدة الانشا مقتبسة منه فقط
وفايدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل
في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز
ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن ان
يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل من الاخبار
والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينيذ فاذا سمعنا عن شي من
الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان لنا ذلك معيارا
صحيحا يتحرى به المورخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب
الاول من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري
والاجتماع الانساني وذو مسايل وهو بيان ما يلحقه من الاحوال لذاته واحدة بعد اخرى
وهذا شان كل علم من العلوم وضعيا كان او عقليا **واعلم** ان الكلام في هذا الغرض
مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفايدة اعثر عليه البحث وادى اليه الغوص وليس
من علم الخطابة الذي هو احد الكتب المنطقية فان موضوع الكتابة انما هو الاقوال
المقنعة النافعة في استمالة الجمهور الى راي او صدهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة
المدنية اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة
ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاوه فقد خالف موضوعه موضوع
هذين الفنين اللذين ربما يشبهانه وكانه علم مستنبط النشاة ولعمري لم اقف على الكلام
في منحاه لاحد من الخليقة لما ادري لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم ولعلهم كتبوا في هذا
الغرض واستوفوه ولم يصل الينا فالعلوم كثيرة والحكما في امم النوع الانساني متعددون

وما لم يصل الينا من العلوم اكثر مما وصل فاين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بمحوها عند
الفتح واين علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من اثارها ونتايجها
واين علوم القبط من قبلهم وانما وصل الينا علوم امة واحدة وهم اليونان خاصة لتكلف
المامون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها
لعله مستقلة ولم نقف على شي من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعلقة طبيعية يصلح ان يبحث
عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم
يخصه لكن الحكما لعلهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا انما ثمرته كما رايت
في الاخبار فقط وان كانت مسايله في ذاتها وباختصاصها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار
وهي ضعيفة فلهذا هجروه والله اعلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا وهذا الفن الذي
لاح لنا النظر فيه نجد منه مسايل تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من
جنس مسايله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره العلماء والحكما في اثبات النبوة من ان البشر
متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في اصول الفقه
في باب اثبات اللغات ان الناس يحتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون
والاجتماع وتبيان العبارات اخف ومثل ما يذكره الفقها في تعليل الاحكام الشرعية
بالمقاصد في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع وان القتل ايضا مفسد للنوع
وان الظلم موذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من ساير المقاصد
الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض
له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسايل الممثلة وكذلك ايضا يقع اليه القليل
من مسايله في كلمات متفرقة لحكما الخليقة لكنهم لم يستوفوه فمن كلام الموبذان
لبهرام بن بهرام في حكاية البوم التي نقلها المسعودي ايها الملك ان الملك لا يتم
عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للشريعة
الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة
ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب
وجعل له قيما وهو الملك ومن كلام انوشروان في هذا المعنى بعينه الملك بالجند
والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح
العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء وراس الكل بافتقاد الملك حال رعيته
بنفسه واقتداره على تاديبها حتى يملكها ولا تملكه وفي الكتاب المنسوب
لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه الا انه غير مستوفي ولا معطى
حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد اشار في ذلك الكتاب الى هذه الكلمات التي نقلناها
عن الموبذان وانوشروان وجعلها في الدايرة القريبة التي اعظم القول فيها وهو قوله
العالم بستان سياجه الدولة الدولة سلطان تحيا به السنة السنة سياسة
يسوسها الملك الملك نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق
تجمعه الرعية الرعية عبيد يكنفهم العدل العدل مالوف وبه قوام العالم العالم بستان
ثم يرجع الى اول الكلام فهذه ثمان كلمات حكمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت
اعجازها على صدورها واتصلت في دايرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من

فوايدها

فوايدها وانت اذا تاملت كلامنا في فصل الملك والدول واعطيته حقه من التصفح والتفهم
عثرت في اثنايه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجمالها مستوفى مبينا باوعب بيان واوضح
برهان اطلعنا الله تعالى عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة موبذان وكذلك تجده
في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسايله من ذكر السياسات الكثير من مسايل كتابنا هذا
غير مبرهنة كما برهناه انما يجليها في الذكر على منحى الخطابة في اسلوب الترسل وبلاغة الكلام
وكذلك حوم القاضي ابو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه على ابواب تقرب من
ابواب كتابنا ومسايله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسا يل
ولا اوضح الادلة انما يبوب الباب للمسالة ثم يستكثر من الاحاديث والاثار وينقل كلمات متفرقة
لحكما الفرس مثل بزرجمهر والموبذان وحكما الهند والماثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من
اكابر الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا انما هو
نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكانه حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا
استوفى مسايله ونحن الهمنا الله تعالى الى ذلك الهاما واعثرنا على علم جعلنا بين بكره
وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسايله وميزته عن ساير الصنايع انظاره وانحاءه
فتوفيق من الله تعالى وهداية وان فاتني شي في احصايه واشتبهت بغيره مسايله فللنا ظر
المحقق اصلاحه ولي الفضل لاني نهجت له السبيل واوضحت الطريق والله يهدي بنوره من يشا
ونحن الان نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من احوال العمران في الملك
والكسب والعلوم والصنايع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة
والعامة وتندفع بها الاوهام وترفع الشكوك فنقول لما كان الانسان
عن ساير الحيوانات بخواص اختص بها منها العلوم والصنايع التي هي نتيجة الفكر الذي
تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الوازع والسلطان
القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوان كلها الا ما يقال عن النحل والجراد
وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامي لا بفكر وروية الافتقار الى الغذا في حياته
وبقايه وهداه الى التماسه وطلبه قال الله تعالى اعطى كل شي خلقه ثم هدى
ومنها العمران وهو التساكن والتنازل في مصر او حلة للانس بالعشير واقتضاء الحا جات
لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو
الذي يكون في الضواحي والجبال وفي الحلل المنتجعة للقفار واطراف الرمل ومنه
ما يكون حضريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام والتحصن
بجدرانها وله في كل هذه الاحوال امور تعرض من حيث الاجتماع عروضا ذاتيا فلا جرم انحصر
الكلام في هذا الكتاب في ستة فصول الفصل الاول في العمران البشري
على الجملة واصنافه وقسطه من الارض الفصل الثاني في العمران
البدوي وذكر القبايل والامم الوحشية الفصل الثالث في الدول
والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية الفصل الرابع في العمران
الحضري والبلدان والامصار الفصل الخامس في الصنايع
والمعاش والكسب ووجوهه الفصل السادس في العلوم
واكتسابها وقدمت العمران البدوي لانه سابق على جميعها كما نبين لك بعد وكذا تقديم

وكذا تقديم الملك على البلدان والامصار واما تقديم المعاش فلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كمالي او حاجي قدم من الكمالي وجعلت الصنايع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث العمران كما يبين بعد والله الموفق للصواب

الفصل الاول في العمران البشري على الجملة

المقدمة الاولى في ان الاجتماع للانسان ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه ان الله تعالى خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغذا وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذا غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري هب انه ياكله حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله حبا الى اعمال اكثر من هذا من الزراعة والحصاد والدرس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه الى الات متعددة وصنايع كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان يوفي بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطبايع الحيوانية كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثيرة من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرة الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل اضعاف قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منهم عضوا يختص بمدافعة ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهياة للصنايع بخدمة الفكر والصنايع تحصل له الالات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في ساير الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النايبة عن المخالب الجارحة والتراس النايبة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك وغيره مما ذكر جالينوس في كتاب منافع الاعضا فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده وبالجملة ولا تفي قدرته ايضا باستعمال الالات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنايع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركبه الله تعالى فيه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله تعالى في بقايه وحفظ نوعه فاذا هذا الاجتماع ضروري للنوع

الانساني

الانساني والا لم يكمل وجودهم وما اراد الله تعالى من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس ايضا من الممنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضله ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم بكافية في دفع العدوان بينهم لانها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء اخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا انه خاص بالانسان طبيعية لا بد لهم منها وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكما كما في النحل والجراد لما استقري فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه وجثمانه الا ان ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان الى غايته وانه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ياتي به واحد من البشر يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزييف وهذه القضية للحكما غير برهانية كما تراه اذ الوجود وحياة البشر قد تتم بدون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه او بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته واهل الكتاب والمتبعون للانبيا قليلون بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والاثار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة الى الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع البتة فانه ممتنع وبهذا يتبين لك غلطهم في وجوب النبوات وانه ليس بعقلي وانما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية

المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من البحار والانهار والاقاليم

اعلم انه قد تبين في كتب الحكما الناظرين في احوال العالم انه شكل كري وانها محفوفة بعنصر الماء كانها عنبة طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراد الله تعالى من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي هو الخلافة في سايرها وقد يتوهم من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعي قلب الارض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها والماء المحيط بها فوق وان قيل في شيء منها انه تحت فبالاضافة الى جهة اخرى عنه وهذا الذي انحسر عنه الماء من الارض هو النصف من سطح كرتها في شكل دايرة احاط العنصر المايي بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى ايضا البلاية بتفخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسما عجمية ويقال له البحر الاسود والاخضر ثم ان هذا المنكشف من الارض للعمران فيه القفار والخلا اكثر من عمرانه والخالي من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة اميل الى

الى الجانب الشمالي على شكل سطح كري ينتهي الى جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة
الشمال الى خط كري وراء الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري التي بينهما سد ياجوج
وماجوج وهذه الجبال مايلة الى جهة الشرق وتنتهي من الشرق والغرب الى عنصر الماء
ايضا بقطعتين من الدايرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار الكرة
لنصف من الكرة او اقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط
الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط في كرتها
كما ان منطقة البروج ودايرة معدل النهار اكبر خط في الفلك ومنطقة البروج
منقسمة بثلثماية وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمس وعشرون فرسخا
والفرسخ اثنى عشر الف ذراع في ثلاثة اميال لان الميل اربعة الاف ذراع والذراع
اربعة وعشرون اصبعا والاصبع ست حبات شعير مصفوفة ملصق بعضها الى بعض
ظهر البطن وبين دايرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء
من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة في الجهة الشمالية
من خط الاستواء اربعة وستون درجة والباقي منها خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد
والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر كما نبين ذلك كله ان شاء الله تعالى
ثم ان المخبرين عن هذا المعمور وحدوده ومثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب
كتاب رجار من بعده قسموا هذا المعمور لسبعة اقسام يسمونها السبعة اقاليم
بحدود وهمية بين المشرق متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم
الاول اطول مما بعده وكذا الثاني الى اخرها فيكون السابع اقصر لما اقتضاه وضع
الداير الناشية من انحسار الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم منقسم
عندهم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن احواله
واحوال عمرانه وذكروا ان هذا البحر المحيط يخرج من جهة المغرب في الاقليم الرابع
البحر الرومي المعروف يبدا في خليج متضايق في عرض اثنى عشر ميلا او نحوها ما بين
طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينفسح الى عرض ستماية ميل ونهايته
في اخر الجزء الرابع من الاقليم الرابع على الف ومايتين فرسخا من مبدايه وعليه هنالك
سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب اولها طنجة عند الخليج ثم
افريقية ثم برقة الى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية ثم
البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قبالة طنجة
ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل اقريطش وقبرص
وصقلية وميورقة وسردانية ودانية قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحران
اخران من خليجين احدهما مسامت القسطنطينية يبدا من هذا البحر متضايقا
في عرض رمية السهم ويمر ثلاث بحار فيتصل بالقسطنطينية ثم ينفسح في عرض
اربعة اميال ويمر في جريه ستين ميلا ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من
فوهة عرضها ستة اميال فيمد بحر نيطش وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه
الى جهة المشرق فيمر بارض هريقلية وينتهي الى بلاد الخزرية على الف وثلاثماية
ميل من فوهته وعليه من الجانبين امم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر

الثاني

الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال
فاذا انتهى الى سمت الجبل انحرف في سمت الغرب الى بلاد البنادقة وينتهي الى بلاد انكلاية على
الف وماية ميل من مبدايه وعلى حافتيه من البنادقة والروم وغيرهم امم ويسمى خليج البنادقة
قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق وعلى ثلاثة عشر درجة في الشمال من خط
الاستواء بحر عظيم متسع يمر الى الجنوب قليلا حتى ينتهي الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغربا
الى ان ينتهي الى الجزء الخامس منه الى بلاد الحبشة والزنج والى باب المندب منه على اربعة
اربعة الاف فرسخ وخمسماية فرسخ من مبدايه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه
من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها امرؤ القيس في شعره وليسوا من البربر
الذين هم قبايل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وارض الواق واق وامم اخرى
ليس بعدهم الا القفار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدايه ثم الهند
ثم السند ثم سواحل اليمن من الاحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم
الحبشة قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشي بحران اخران احدهما يخرج من نهايته عند باب
المندب فيبدا متضايقا ثم يمر مستبحرا الى ناحية الشمال ومغربا قليلا الى ان ينتهي
الى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الاقليم الثاني على الف واربعماية ميل من مبدايه
وهو بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاثة مراحل وعليه من
جهة المشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدة ثم مدين وايلة وفاران عند نهايته ومن جهة
المغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزالع ثم بلاد الحبشة عند مبدايه واخره
عند القلزم يسامت البحر الرومي عند العريش وبينهما نحو ستة مراحل ومازال الملوك
في الاسلام وقبله يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك والبحر الثاني من هذا البحر الحبشي
ويسمى الخليج الاخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال
مغربا قليلا الى ان ينتهي الى الابلة من سواحل البصرة في الجزء السادس من الاقليم الثاني
وعلى اربعماية فرسخ واربعين فرسخا من مبدايه ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق
سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابلة عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل
البحرين واليمامة وعمان والشحر والاحقاف عند مبدايه وفيما بين بحر فارس والقلزم هي
جزيرة العرب كانها داخلة في البر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب
وبحر فارس من الشرق وتفضي الى العراق فيما بين الشام والبصرة على الف وخمسماية ميل
بينهما وهناك الكوفة والقادسية وبغداد وايوان كسرى والحيرة ووراء ذلك امم الاعاجم
من الترك والخزر وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليمامة
والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحله على البحر
الحبشي قالوا وفي هذا المعمور بحر اخر منقطع عن ساير البحار في ناحية الشمال بارض الديلم
يسمى بحر جرجان وطبرستان طوله الف ميل في عرض ستماية ميل في غربيه اذربيجان والديلم
وفي شرقيه ارض الترك وخوارزم وفي جنوبيه طبرستان وفي شماله ارض الخزر واللان
فهذه جملة البحار المشهورة التي ذكرها اهل الجغرافيا قالوا وفي هذا الجزء
انهار كثيرة اعظمها اربعة انهار وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيحون واما
النيل فمبداوه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم

ويسمى جبل القمر ولا يعلم في الارض جبل اعلا منه يخرج منه عيون كثيرة يصب بعضها في بحيرة هنالك وبعض في اخرى ثم يخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء وعلى عشرة مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب احدهما الى ناحية الشمال على سمته ويمر ببلاد النوبة ثم بلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل منها خليجا وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه والواحات من غربيه ويذهب الاخر منعطفا الى المغرب ثم يمر على سمته الى ان يصب في البحر المحيط وهو نيل السودان وامهم كلهم على ضفتيه **واما الفرات** فمبداوه من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في ارض الروم وملطية الى منبج ثم يمر بصفين ثم بالرقة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وينجلب اليه في طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخر تصب في دجلة **واما دجلة** فمبداوها عين ببلاد خلاط من ارمينية ايضا ويمر على سمت الجنوب بالموصل واذربيجان وبغداد الى واسط فيتفرق الى خلجان تصب كلها في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس وهو في الشرق على يمين الفرات وينجلب اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات ودجلة من اوله هي جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوتي الفرات وقبالة اذربيجان من عدوة الدجلة **واما نهر جيحون** فمبداوه من بلخ في الجزء الثامن من الاقليم الثالث من عيون هناك كثيرة وينجلب اليها انهار عظام ويذهب من الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان ويخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم الخامس فيصب في بحيرة الجرجانية التي باسفل مدينتها وهي مسيرة شهر في مثله واليها يصب نهر فرغانة والشاش الاتي من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقيه بلاد بخارا والترمذ وسمرقند ومن هنالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخزلجية وامم الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه والشريف في كتاب رجار وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال والبحار والاودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لنا به لطوله ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر وبالاوطان التي للعرب من المشرق والله اعلم **تكملة لهذه المقدمة** الثانية في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمرانا من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك ونحن نرى بالمشاهدة والاخبار المتواترة الاول والثاني من اقاليم المعمور اقل مما بعدهما وما وجد من عمرانه فيتخلله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منهما وامم هذين الاقليمين واناسيهما ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك والقفار فيهما قليلة والرمال كذلك او معدومة واممها واناسيها تجوز الحد من الكثرة وامصارها ومدنها تجاوز الحد عددا والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر الحكماء ان ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرؤوس فلنوضح ذلك ببرهانه ونبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع فنقول ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالي اذا كانا على الافق فهنالك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين هي اعظم الدوائر المارة من المشرق الى المغرب وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين

في

في موضعه من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الافلاك التي في جوفه قسرا وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب الى المشرق وتختلف امادها باختلاف حركات الكواكب في السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب في افلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة باثني عشر برجا وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما اول الحمل واول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مائل عن معدل النهار الى الشمال وهو من اول الحمل الى اخر السنبلة ونصف مائل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى اخر الحوت واذا وقع القطبان في الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة معدل النهار يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدا الاقليم الاول من الاقاليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع على افاق هذا المعمور بالتدريج الى ان ينتهي ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهنالك ينقطع العمران وهو اخر الاقليم السابع واذا ارتفع على الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل النهار صار القطب على سمت الرؤوس وصارت دائرة معدل النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهي الشمالية وستة تحت الافق وهي الجنوبية والعمارة فيما بين الاربعة والستين الى التسعين ممتنعة لان الحر والبرد حينئذ لا يحصلان ممتزجين لبعد الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فاذن الشمس تسامت الرؤوس على خط الاستواء في راس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامتة الى راس السرطان والى راس الجدي ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤوس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار متساو في الثلاثة وهو المسمى عند اهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤوس علت عليها البروج الشمالية متدرجة في مقدار علوها على راس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية عن الافق كذلك الى راس الجدي لانحرافها الى الجانبين في افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق الشمالي يرتفع حتى يصير ابعد الشمال وهو راس السرطان في سمت الرؤوس وذلك حيث يكون عرض البلد اربعا وعشرين في الحجاز وما يليه وهذا هو الميل الذي اذا مال راس السرطان عن معدل النهار في افق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب اكثر من اربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامتة لذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجمد وطول زمانه غير ممتزج بالحر ثم ان الشمس عند المسامتة وما يقاربها تبعث الاشعة على الارض زوايا قائمة وفيما دون المسامتة على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة عظم الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر عند المسامتة وما يقرب منها اكثر منه فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين ثم ان المسامتة في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في اخر ميلها عند راس السرطان والجدي الا وقد صعدت الى المسامتة فتبقى الاشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول مكثها او يدوم فيشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدته

وكذا ما دامت الشمس مسامتة مرتين فيما بعد خط الاستواء الى عرض اربعة وعشرين فان الاشعة
ملحة عن الافق في ذلك الافق فيقرب من الحاحها في خط الاستواء وافراط الحر يفعل في الهواء
تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا افرط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين
في المعدن والنبات والحيوان اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال راس السرطان عن
سمت الروس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامتة فيصير الحر الى الاعتدال
او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى ان يفرط البرد في شدته لقلة الضوء
والاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر
اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر اسرع تاثيرا في التجفيف من تاثير البرد في الجمد فلذلك
كان العمران في الاقاليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال
الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا لنقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند
اولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ
من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر واوفر والله اعلم
ومن هنا اخذ الحكما خلا خط الاستوا وما وراه واورد عليهم انه معمور بالمشاهدة
والاخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر انهم لم يريدوا امتناع العمران
فيه بالكلية انما اداهم البرهان الى ان فساد التكوين فيه قوي بافراط الحر والعمران
فيه اما ممتنع او ممكن اقلي وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراه وان كان فيه عمران
كما نقل فهو قليل جدا **وقد** زعم ابن رشد ان خط الاستوا معتدل وان ما وراه في
الجنوب بمثابة ما وراه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا والذي قاله غير ممتنع من جهة
فساد التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة ان العنصر المائي
غمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية قابلا للتكوين ولما امتنع
المعتدل لغلبة الماء تبعه ما سواه لان العمران متدرج صنع الله الذي اتقن كل شيء

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

اعلم ان الحكما قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره بسبعة اقسام من الجنوب الى الشمال يسمون
كل قسم منها اقليما فانقسم المعمور من الارض على هذه السبعة اقاليم كل واحد منها اخذ في
الغرب الى الشرق على طوله فالاول منها مار من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بحده من
جهة الجنوب وليس وراه هنالك الا القفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهي كلا عمارة ويليه من
جهة شماليه الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو اخر
العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء الذي في جهة الجنوب الا ان الخلا في جهة
الشمال اقل بكثير من الخلا الذي في جهة الجنوب ثم ان ازمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه
الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن افاقها فيتفاوت
قوس النهار والليل لذلك وينتهي اطول الليل والنهار في اخر الاقليم الاول وذلك عند حلول
الشمس راس الجدي لليل وبراس السرطان للنهار كل واحد منهما الى ثلاث عشرة ساعة وكذلك
في اخر الاقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس براس السرطان
وهو منقلبها الصيفي الى ثلاث عشر ساعة ونصف ساعة ومثله اطول الليل عند منقلبها

الشتوي براس الجدي ويبقى الاقصر من النهار والليل ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة اربعة
وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار ما يكمل وهو دورة الفلك الكامل وكذلك في اخر
الاقليم الثالث مما يلي الشمال ايضا ينتهيان الى اربع عشر ساعة وفي اخر الرابع الى اربع عشر ساعة
ونصف ساعة وفي اخر الخامس الى خمس عشر ساعة وفي اخر السادس الى خمس عشر ساعة ونصف وفي
اخر السابع الى ست عشر ساعة وهنالك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول
من ليلها ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم يتزايد من اوله في ناحية الجنوب الى اخره في ناحية
الشمال موزعة على اجزا هذا البعد واما عرض البلدان في هذه الاقاليم وهو عبارة عن بعد ما بين
سمت راس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمت راس خط الاستواء وبمثله سواء ينخفض
القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب الشمالي عنه وهو ثلاثة ابعاد متساوية
تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل والمتكلمون على هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم
السبعة في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه
كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينهما في المسالك
ونحن الان نوجز القول في ذلك باختصار ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحار
في كل جزء منها ونحاذي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي الفه العلوي الادريسي
الحمودي لملك صقلية من الافرنج وهو رجار عندما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج
صقلية من امارة مالقة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتبا جمة
للمسعودي وابن خرداذبه والحوقلي والعذري واسحاق المنجم وبطليموس وغيرهم ونبدا
منها بالاقليم الاول الى اخرها فنقول ــــ وبالله التوفيق **الاقليم الاول**
وفيه من جهة غربيه الجزائر الخالدات التي منها بدا بطليموس ياخذ طول البلاد وليست في
تبسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزائر متكثرة اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة
وقد بلغنا ان سفائن من الافرنج مرت بها اواسط هذه المائة وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا
وباعوا بعض اسراهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان
العربي اخبروا عن حال جزائرهم وانهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود
بارضهم وعيشهم من الشعير وماشيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يلوحونها الى خلف وعبادتهم
للشمس اذا طلعت ولا يعرفون دينا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر الا
بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهابها والى
اين يوصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في ممر ذلك المهب واذا اختلف المهب وعلم
حيث يوصل على الاستقامة حوذي به القلع محاذاة يحمل السفينة بها على قوانين في ذلك
محصلة عند النواتية والملاحين الذين هم روسا السفن في البحر والبلاد التي في حفافي البحر
الرومي وفيه عدوة منه مكتوبة كلها في صحيفة على شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها
في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح وممراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة
ويسمونها الكنباص وعليها يعتمدون في اسفارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيط فلذلك
لا تلج فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل ان تهتدي الى الرجوع اليها مع ما ينعقد
في جو هذا البحر وعلى سطح مائه من الابخرة المانعة للسفن من مسيرها وهي لبعدها لا تدركها
اضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتحللها فلذلك عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف

على جزها **واما الجزء الاول** من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الاتي من مبدايه عند
جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة اوليل
وعلى هذا النيل مدينة سلى وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في مملكة اهل مالي من الامم
السودان والى بلادهم يسافر تجار المغرب الاقصى وبالقرب منها من شمالها بلاد لمتونة وسائر
طوايف الملثمين ومفاوز يجولون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان يقال لهم
لملم وهم كفار ويكتوون في وجوههم واصداغهم واهل غانة وتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم
ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر
الا اناسي اقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيافي والكهوف وياكلون العشب
والحبوب غير مهيئة وربما ياكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد البشر وفواكه بلادهم كلها
السودان من قصور صحرا المغرب مثل بوات وتنكرورارن وكان في غانة فيما يقال ملك ودولة
لقوم من العلوية يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب رجار انه صالح بن عبد الله بن حسن
ابن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد
وصارت غانة لسلطان مالي وفي شرقي هذه البلاد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو
على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني وكان ملك كوكو
قايما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي واصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد
من اجل فتنة وقعت هناك فذكرناها عند ذكر دولة اهل مالي في محلها من تاريخ البربر
وفي جنوبي بلاد كوكو بلاد كانم من امم السودان وبعدهم ونقاره على ضفة النيل من شماليه
وفي شرقي بلاد ونغاره وكانم بلاد زغاوة وتاجرة المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع
من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدايه عند خط الاستواء الى البحر الرومي في
الشمال ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا
في ضبط هذه اللفظة فبعضهم بالقاف والميم نسبة الى قمر السما لشدة بياضه وكثرة ضوئه
وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا ضبطه
ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينهما ستة اميال
ويخرج من كل واحدة من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيحة واحدة في اسفلها
جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربي منه
الى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقي منه ذاهبا الى الشمال على
بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما وينقسم في اعلا ارض مصر فيصب ثلاثة من جداوله
في البحر الرومي عند الاسكندرية ودمياط ويصب واحد في بحيرة ملحة قبل ان يتصل بالبحر
وفي وسط هذا الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات
الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهي في غربي هذا النيل وبعدها علوة
وبلاق وبعدها جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر
ومنخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه
المراكب بل ينقل الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلد اسوان قاعدة الصعيد وكذا
وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل واسوان اثنتي عشرة مرحلة والواحات في غربيها
عدوة النيل وهي الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس

من

من بلاد الحبشة على واد ياتي من وراء خط الاستواء ذاهبا الى بلاد النوبة فيصب هنالك في
النيل الهابط الى مصر وقد وهم كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمر وبطليموس ذكره في كتاب
الجغرافيات وذكر انه ليس من هذا النيل والى وسط هذا الاقليم في هذا الجزء الخامس ينتهي
بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه
عمران الا ما كان في الجزاير التي داخله وهي متعددة يقال تنتهي الى الف جزيرة او فيما على
سواحله الجنوبية وهي آخر المعمور في الجنوب او فيما على سواحله من جهة الشمال ومنها
بحر القلزم وبحر فارس وفيما بينهما جزيرة العرب وليس منها في هذا الاقليم الاول الا طرف
من بلاد الصين في جهة الشرق وفي بلاد اليمن وفي الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين
الهابطين من هذا البحر الهندي الى جهة الشمال وهما بحر القلزم وبحر فارس وفيما بينهما
جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر في جنوبيها على ساحل هذا البحر الهندي
وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما اليهما كما نذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما الذي على
ساحل البحر من غربيه فبلد زالع من اطراف بلاد الحبشة ومجالات البجة في شمالي الحبشة ما بين
جبل العلاقي الذي في اعالي الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي وتحت بلد
زالع من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هنالك بمزاحمة
جبل المندب المائل في وسط البحر الهندي ممتدا مع ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال في طول
اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسببه الى ان يصير في عرض ثلاثة اميال او نحوها ويسمى باب المندب
وعليه تمر المراكب من اليمن الى ساحل السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلك
وقبالته من غربيه مجالات البجة من امم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في هذا الجزء تهايم
اليمن ومنها على ساحله بلد علي بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر
من غربيه قرى بربر يتلو بعضها بعضا وينعطف مع جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليها هنالك
من جهة شرقيها بلاد الزنج ثم بلاد سفالة على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا
الاقليم وفي شرقي بلاد سفالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء
العاشر من هذا الاقليم وعند مدخل هذا البحر من البحر المحيط **واما جزاير هذا**
البحر فكثيرة ومن اعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في
الارض اعلا منه وهو قبالة سفالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدا من قبالة
سفالة وتذهب الى الشرق منحرفة بكثير الى الشمال الى ان تقرب من اعالي سواحل الصين
ويحف بها في هذا البحر من جنوبيها جزاير الواق واق ومن شرقيها جزاير السيلا الى جزاير
اخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيوب والافاوية وفيها يقال معادن الذهب
والزمرد وعامة اهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعددة وبهذه الجزاير احوال الامم ن
عجايب ذكرها اهل الجغرافيات وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس
من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها فمن جهة بحر القلزم زبيد والمهجم وتهامة اليمن وبعدها
بلد صعدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد
ذلك مدينة عدن وفي شمالها صنعا وبعدهما الى المشرق ارض الاحقاف وظفار وفيما
بعد ذلك ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس وهذه القطعة من
الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها

قليل من التاسع واكثره من العاشر وفيه اعالي بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة مدينة خانكو وقبالتها من جهة الشرق جزاير السيلا وقد تقدم ذكرها وهذا اخر الكلام على الاقليم الاول

الاقليم الثاني

وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزاير الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منهما ارض قمنورية وبعدها في جهة الشرق اعالي ارض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منهما صحراء نسير متصلة من الغرب الى الشرق ذات مفاوز يسلكها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملثمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كدالة ولمتونة ومسوفة ولمطة وبريكة وعلى سمت هذه المفاوز شرقا ارض فزان ثم مجالات اركار من قبايل البربر ذاهبة الى اعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان ثم قطعة من ارض التاجرين وفي اسافل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ارض ودان وعلى سمتها شرقا ارض سنترية وتسمى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من اعلاه ارض الباجويم ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حافتي النيل الذاهب من مبدايه في الاقليم الاول الى مصبه في البحر فيمر في هذين الجزئين الجبلين الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعلى اعلاه بلد اسنا وارمنت ويتصل كذلك حافتيه الى اسيوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنالك على شعبتين ينتهي الاول منهما في هذا الجزء عند اللاهون والاخر عند دلاص وفيما بينهما اعالي ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحاري عيذاب وذاهبة في بقية ارض الحجاز وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وصعده وتحتهما ارض اليمامة وعلى سمت نجران في الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر وينتهي الى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي الى الشمال كما مر ويذهب في هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من اعلاه مدينة قلهات هي ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها في اخر الجزء وفي الجزء السابع في الاعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبه الاعلى كله وعليه هنالك بلاد السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء نحو المفاوز بينه وبين ارض الهند ويمر فيه نهر الاتي من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي في الجنوب واول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمتها شرقا بلاد بهلوا وتحتها الملتان بلد الصنم العظيم عندهم ثم اسفل من السند ثم اعالي بلاد سجستان وفي الجزء الثامن غربيه بقية بلاد بلهرا من الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منيبار في الجانب الاعلى ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب الاسفل ارض كابل وبعدها شرقا الى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين قشمير الداخلة وقشمير الخارجة عند اخر الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فيتصل من اعلاه الى العاشر ويبقى في اسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة جهفون ثم تتصل بلاد الصين في الجزء العاشر كله الى البحر المحيط والله اعلم

الاقليم الثالث

وهو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الاول وعلى نحو الثلث من اعلاه جبل درن معترض من فيه من غربيه عند البحر المحيط الى

الشرق

الشرق عند اخره ويسكن هذا الجبل امم من البربر لا يحصيهم الا خالقهم حسبما ياتي ذكره في القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل الثنايا والمسالك في الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فيكثر ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي وفي هذه الناحية منه امم المصادمة يسكنونه عند البحر المحيط ثم هنتاتة ثم تينملل ثم كدميوة ثم هسكورة وهم اخر المصادمة فيه ثم قبايل رضالة وهم صنهاجة في اخر هذا الجزء ومنه بعض قبايل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامة وبعد ذلك امم اخرى من البرابر نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفيه ففي الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش واغمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا وفي الجوف من بلاد مراكش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف اهلها وعلى ساحل البحر المحيط منها بلدان اصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزاير لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية الغربية من الجزء الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضايق غير بعيد انفسح جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان ساحل من هذا الاقليم الثالث الكثير من بلاده ثم يتصل ببلاد الجزاير من شرقيها بلد بجاية في ساحل البحر ثم قسطنطينة في الشرق عنها وفي اخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوبي هذه البلاد ومرتفعا الى جنوب المغرب الاوسط بلد اشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدته بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن كما مر وذلك عند اخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه من شرق الى غرب فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله فالقطعة الجنوبية عن جبل درن غربيها كلها مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا ارض ودان التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مر والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل اوراس وتبسة والاربس وعلى ساحل البحر بلد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد افريقية وعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهدية وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر وقفصة ونفزاوة وفيما بينهما وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلات وسبيطلة وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقا بلد طرابلس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبال دمر ونقرة من قبايل هوارة متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في اخر القطعة الجنوبية واخر هذا الجزء في الشرق سويقة ابن مذكود على البحر وفي جنوبها مجالات العرب في ارض ودان والجزء الثالث من هذا الاقليم يمر فيه ايضا جبل درن الا انه ينعطف عند اخره الى الشمال ويذهب على سمته الى ان يدخل في البحر الرومي ويسمى هنالك طرف اوثان والبحر الرومي في شماله يغمر طائفة منه الى ان

تضايق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية ارض
ودان ومجالات العرب فيها ثم زويلة بن خطاب ثم رمال وقفار الى اخر الجزء في الشرق وفيما
بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار تجول فيها مجالات هيب
ورواحة الى اخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربيه صحارى برنيق
واسفل منها بلاد هيب ورواحه ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه ذاهبا الى
الجنوب حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه وبين اخر الجزء قفار تجول فيها العرب وعلى سمتها
شرقا بلاد الفيوم وهو على مصب احد الشعبتين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلاد
الصعيد في الجزء الرابع من الاقليم الثاني وينصب في بحيرة فيوم وعلى سمته شرقا ارض مصر
ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد عند اخر الجزء الثاني
ويفترق هذا الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على شعبتين من اخرين من شطنوف وزفته
وينقسم الايمن منهما من برمط بشعبتين اخرين وينصب جميعها في البحر الرومي فعلى مصب
الغربي من هذه الشعب بلد اسكندرية وعلى مصب الوسط رشيد وعلى مصب الشرقي بلد
دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية اسافل دبار المصرية كلها محشوة
عمرانا وفلحا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما اصف وذلك لان بحر
القلزم ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لانه في ممره من البحر الهندي الى الشمال
ينعطف اخذا الى جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة فينتهي الى
الطرف الغربي منه الى السويس وعلى هذه القطعة على السويس فاران ثم جبل الطور ثم
ايلة ثم مدين ثم الحوراء في اخره ومن هنالك ينعطف بساحله الى الجنوب في ارض الحجاز
كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة
من البحر الرومي غمرت كثيرا من غربيه عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيتضايق
ما بينهما من هنالك ويبقى شبه الباب مفضيا الى الشام وفي غربي هذا الباب فحص التيه
ارض جرداء لا تنبت كانت مجالا لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام
اربعين سنة كما قصه في القران وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة
من جزيرة قبرص وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند
الطرف المتضايق لبحر السويس بلد العريش وهو اخر الديار المصرية وعسقلان
وبينهما طرف هذا البحر ثم تنحط هذه القطعة في انحطاطها من هنالك الى الاقليم
الرابع عند طرابلس وغزة وهنالك ينتهي البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه
القطعة اكثر سواحل الشام ففي شرقي عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال
بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم غزنة ثم ينعطف الى البحر الشمالي
في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم
يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى
ان يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكانه حاجز بين ارض والشام ففي طرفه عند
ايلة العقبة التي يمر عليها الحجاج من مصر الى مكة ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل
عليه الصلاة والسلام عند جبل الشراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور من شمال العقبة
ذاهبا على سمت الشرق ثم ينعطف قليلا وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار ثمود

بلد صح

الديار

وتيما ودومة

وتيما ودومة الجندل وهي اسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في جهة الجنوب
عنهما وفيما بين جبل الشراة وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمالي جبل الشراة مدينة القدس عند
جبل اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقيها بلاد الغور الى اذرعات وعلى سمتها شرقا دومة
الجندل اخر هذا الجزء وهي اخر الحجاز وعند منعطف جبل اللكام الى الشمال من اخر هذا
الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينهما
وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة الشمالية اخر الجزء
وعند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى اخر
الجزء وفي الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة ما بين جبل العرج
والصمان الى البحرين الى هجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات بلد الحيرة
والقادسية ومغايض الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي
بحر فارس عند عبادان والابلة من اسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر دجلة
بعد ان ينقسم بجداول كثيرة ويختلط به جداول اخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان
وتصب في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في اعلاه متضايقة لاخرها في شرقيه
وضيقة عند منتهاه مضايقة للحد الشمالي منه وعلى عدوتها الغربية اسافل البحرين وهجر
والاحساء وفي غربيها الخط والصمان وبقية ارض اليمامة وعلى عدوته الشرقية سواحل
فارس من اعلاها وهو من عند اخر الجزء من الشرق على طرف قد امتد من هذا البحر مشرقا ووراءه
الى الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد سيراف ونجيرم
على ساحل هذا البحر وفي شرقيه الى اخر الجزء تحت هرمز بلاد فارس مثل سابور ودارابجرد ونسا
واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال عند طرف
البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز وتستر وصدي سابور والسوس ورامهرمز وغيرها
وارجان وهي حد بين فارس وخوزستان وفي شرقي بلاد خوزستان جبال متصلة الى نواحي
اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراءها في ارض فارس وتسمى الزموم وفي الجزء السابع
ثم في الاعلى منه من المغرب بقية جبال القفص ويليها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران
ومن مدنها الرودان والشيرجان وجيرفت ويردشير والفهرج وتحت كرمان الى الشمال بقية
بلاد فارس الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في
المشرق عن بلاد كرمان وبلاد فارس ارض سجستان وكوهستان في الجنوب وارض كوهستان
في الشمال بينها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا
الجزء المفازة العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق واما
كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان اخر الجزء وفي الجزء
الثامن من غربه وجنوبه مجالات الخلج من امم الترك متصلة بارض سجستان من غربها وبارض
كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور وبلادها وقاعدتها غزنة فرضة
الهند وفي اخر الغور من الشمال بلد استراباذ ثم في الشمال عنها الى اخر الجزء بلاد هراة اوسط
خراسان وبها اسفراين وقاشان ومرو الروذ والطالقان والجوزجان وتنتهي خراسان
هنالك الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان في غربيه مدينة بلخ وفي شرقيه مدينة
الترمذ ومدينة بلخ كانت كرسي مملكة الترك وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وجان

الاكراد صح

في حدود بذخشان مما يلي الهند ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند اخره من المشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى هنالك نهر خرنات ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمته الى ان يصب في بحيرة خوارزم في الاقليم الخامس كما نذكره ويمده عند انعطافه في وسط الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة انهار عظيمة من بلاد الختل والوخش وانهار اخرى من جبال البتم من شرقيه ايضا ومن الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاء له ومن هذه الانهار الخمسة الممدة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي بين الجنوب والمشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بانحراف الى الشمال ويعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا الجزء ويذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويحول بين بلاد الترك وبين بلاد الختل وليس فيه الا مسلك واحد في وسط المشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا وبنا له بابا كسد ياجوج وماجوج فاذا خرج نهر وخشاب بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فيمر تحته في مدى بعيد الى ان يمر ببلاد الوخش ويصب في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر هابطا الى الترمذ في الشمال الى بلاد الجوزجان وفي الشرق عن بلاد الغور فيما بينه وبين نهر جيحون بلاد الباميات من خراسان وفي العدوة الشرقية هنالك من النهر بلاد الختل واكثرها جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربي نهر جيحون ويذهب مشرقا الى ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصب فيه منها نهر بلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربي نهر جيحون ويذهب مشرقا الى ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصب فيه منها بلاد الوخش يصب فيه من المشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من بلاد البتم من مبدايه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلاد امل من خراسان وفي شرقي النهر من هنالك ارض الصغد واسروسنة من بلاد الترك وفي شرقيها ارض فرغانة ايضا الى اخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك تحوزها جبال البتم الى الشمال وفي الجزء التاسع في غربيه ارض التبت الى وسط الجزء وفي جنوبيها بلاد الهند وفي شرقيها بلاد الصين الى اخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزلجية من بلاد الترك الى اخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزلجية من بلاد الترك الى اخر الجزء شرقا وشمالا وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واسافله وفي الشمال بلاد التغزغز ثم شرقا عنهم بلاد خرخير من الترك ايضا الى اخر الجزء شرقا وفي الشمال عن ارض خرخير بلاد كيماك من الترك وقبالتهما في البحر المحيط جزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ فيه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارجه صعب بالغاية وبالجزيرة حيات قتالة وحصى من الياقوت كثيرة فيحتال اهل تلك الناحية في استخراجه بما يلهمهم الله اليه واهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبال كلها مجالات الترك امم لا تحصى وهم ظواعن رحالة اهل الابل والشاء والبقر والخيل للنتاج والركوب والاكل وطوائفهم كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم وفيهم

مسلمون

مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون يغزون الكفار منهم الدائنين بالمجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

الاقليم الرابع

يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الاول منه في غربيه قطعة من البحر المحيط مستطيلة تتصل بالثالث من اوله جنوبا الى اخره شمالا وعليها من الجنوب مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط الرومي في خليج متضايق بمقدار اثني عشر ميلا ما بين طريف والجزيرة الخضراء شمالا وقصر المجاز وسبتة جنوبا ويذهب مشرقا الى ان ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم وينفسح في ذهابه بتدريج الى ان يعم الاربعة اجزاء واكثر الخامس ويعم عن جانبيه طرفا من الاقليم الثالث والخامس كما نذكره ويسمى هذا البحر الشامي ايضا وفيه جزائر كثيرة اعظمها في جهة الغرب يابسة ثم ميورقة ثم منورقة ثم سردانية ثم صقلية وهي اعظمها ثم بلبونس ثم اقريطش ثم قبرص كما نذكرها كلها في اجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند اخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال ثم ينعطف عند وسط الجزء من جوفيه ويمر مغربا الى ان ينتهي الى الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه ايضا في اخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس خليج القسطنطينية يمر في الشمال متضايقا في عرض رمية السهم الى اخر الاقليم ثم يفضي الى الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطش ذاهبا الى جهة الشرق في الجزء الخامس كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما في ذلك في اماكنه وعند ما يخرج هذا البحر الرومي في البحر المحيط في خليج طنجة وينفسح الى الاقليم الثالث يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبعدها سبتة على البحر الرومي ثم تيطاوين ثم بادس ثم يعمر البحر بقية هذا الجزء شرقا ويخرج الى الثالث واكثر العمارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد الاندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي اولها طريف عند مجمع البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مقربة منه شريش ولبلة وقبالتهما فيه جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش ولبلة اشبيلية ثم استجة وقرطبة ومديلة ثم غرناطة وجيان وابدة ووادي اش وبسطة وتحت هذه شنترية وشلب على البحر المحيط غربا وفي الشرق عنهما بطليوس وماردة ويابرة ثم غافق وبرجالة ثم قلعة رباح وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر باجة وفي الشرق عنها شنترين وموربة على النهر المذكور ثم قنطرة السيف وتسامت اشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يبدا من الغرب هنالك ويذهب مشرقا مع اخر الجزء من شماليه فينتهي الى مدينة سالم بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلبيرة من الشرق عن فورنة ثم طليطلة ثم وادي الحجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما بينه وبين اشبونة بلد قلمرية هذه غربي الاندلس واما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المرية قرطاجنة ثم لقنت ثم دانية ثم بلنسية الى طركونة اخر الجزء في الشرق وتحتها شمالا لورقة وشقورة تسامتان بسطة وقلعة رباح من غربي الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بلنسية شمالا ثم شقر ثم طرطوشة تحت طركونة اخر الجزء ثم تحت هذه شمالا اصطحالة ووبذة متاخمان لشقورة وطليطلة من الغرب ثم افراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها في الشرق عن مدينة سالم قلعة ايوب ثم سرقسطة ثم لاردة اخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثاني من هذا الاقليم غمر الماء جميعه الا قطعة من غربيه

في الشمال فيها بقية جبل البرتات ومعناه جبل الثنايا والمسالك يخرج اليه من اخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبدا من الطرف المنتهي من البحر المحيط عند اخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويمر في الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه الى الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه يفضي ثناياها الى البر المتصل ويسمى ارض غسكونية وفيها مدينة حريدة وقرقشونة وعلى البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برشلونة ثم اربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرها ففي غربيه جزيرة سردانيه وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة الاقطار يقال ان في دورها سبعمائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سرقوسة وبلرم وطرابنة ومازر ومسيني وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقية وفيما بينهما جزيرة اعودش ومالطة والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمور ايضا بالبحر الا ثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها ارض قلورية والوسطى من ارض انكبردة والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمور ايضا بالبحر كما مر وجزائره كثيرة واكثرها غير مسكون كما في الثالث والمعمور منها جزيرة بلونيس في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها الى اخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع الجنوبي منها الى نحو الثلاثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث يمر الشمالي منها الى المغرب منعطفا مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها اسافل الشام ويمر في وسطها جبل اللكام الى ان ينتهي الى اخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا الى القطر الشرقي الشمالي ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم الخامس ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق ويخرج من عند المنعطف من جهة الغرب جبال متصل بعضها ببعض الى ان ينتهي الى طرف خارج من البحر الرومي متاخم الى اخر الجزء من الشمال وبين هذه الجبال ثنايا تسمى الدروب وهي التي تفضي الى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبال السلسلة فاما الجهة الجنوبية التي قدمنا ان فيها اسافل الشام وان جبال اللكام معترض فيها بين البحر الرومي واخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد انطرسوس جبلة ثم اللاذقية ثم اسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم واما جبل اللكام المعترض بين البحر واخر الجزء فيحاذيه من بلاد الشام من اعلا الجزء جنوبا حصن الخول من غربيه وهو للحشيشية الاسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالفداوية ويسمى الحصن مصياث وهو قبالة انطرطوس شرقا ويقابل هذا الحصن في شرق الجبل بلد سلمية في الشمال عن حمص وفي الشمال عن مصياث بين الجبل والبحر بلد انطاكية المقتصبة ثم اذنة ثم طرسوس اخر الشام ويحاذيها من غربي الجبل قنسرين ثم عين زربة قبالة قنسرين في شرقي الجبل حلب ويقابل عين زربة منبج اخر الشام واما الدروب فعن يمينها ما بينها وبين البحر الرومي بلاد انطاكية والعلايا واما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية والمعرة الى اخر الجزء شمالا ويخرج من الجزء الخامس في بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان في شرقيه فيمر بها جيحان جنوبا حتى يجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصة ثم ينعطف هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب في البحر

الرومي

الرومي جنوب سلوقية ويمر نهر سيحان موازيا لنهر جيحان فيحاذي القرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب الى ارض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان ثم ينعطف الى الشمال ومغربا فيختلط بنهر جيحان عند المصيصة ومن غربها واما بلاد الجزيرة التي يحيط بها منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبيها بلد الرافقة والرقة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم سميساط وامد تحت جبل السلسلة واخر الجزء من شماله وهو ايضا اخر الجزء من شرقه ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم الخامس ويمران في بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوز جبل السلسلة فيمر نهر الفرات من غربي سميساط وسروج وينحرف الى الشرق فيمر بقرب الرافقة والرقة ويخرج الى الجزء السادس وفي الجزء السادس من هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق متصلة بها تنتهي في الشرق الى قرب اخر الجزء ويعترض من اخر العراق هنالك جبل اصبهان هابطا من جنوب الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من اخره في الشمال يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمته بجبل السلسلة في الجزء الخامس فينقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي الغربية من جنوبها مخرج الفرات فاول ما يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج هنالك جدول الى الشمال ينساب في ارض الجزيرة ويغوص في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم ينعطف الى الجنوب فيمر بقرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوبا ويبقى صفين في غربه ثم ينعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة وبعضها بقصر ابن هبيرة وبالجامعين وتخرج جميعا من جنوب الجزء الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك في شرقي الحيرة والقادسية ويمر الفرات من الرحبة شرقا على سمته الى هيت من شمالها الى الزاب والانبار من جنوبها ثم ينصب في دجلة عند بغداد واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر شرقا على سمته ويحاذيه بالجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمته فيمر بجزيرة ابن عمر من شمالها ثم بالموصل كذلك وتكريت وينتهي الى الحديثة فينعطف جنوبا وتبقى الحديثة في شرقه والزاب الكبير والصغير كذلك ويمر على سمته جنوبا وفي غربيه القادسية الى ان ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجرايا الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتنتشر هنالك شعوبه وجداوله ثم تجتمع هنالك وتصب في بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهري الدجلة والفرات قبل مجمعهما ببغداد هي بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقة بغداد نهر اخر ياتي من الجهة الشرقية الشمالية عنه وينتهي الى بلاد النهروان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفي شرقيها عند الجبل بلد حلوان وصيمرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبدا من جبل الاعاجم مشرقا الى اخر الجزء ويسمى جبل شهرزور ويقسمها بقطعتين وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خوبجان في الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد البهلوس وفي وسطها بلد نهاوند وفي شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند اخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى جبل بارما وهو مساكن للاكراد والزاب الكبير والصغير الذي على دجلة من ورائه وفي اخر هذه

القطعة من جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز والسلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطيعة وهو بحر الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربيه وجنوبيه معظم بلاد البهلوس في القطعة الشرقية ويحيط هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد البهلوس من شرقيها وتحته هنالك قاشان ثم قم وينعطف في قرب النصف من طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل عند منعطفه واستدارته على بلد الري في شرقيه ويبدأ من منعطفه جبل اخر يمر غربا الى اخر الجزء ومن جنوبيه هنالك قزوين ومن جانبه الشمال وجانب جبل الري المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من بحر طبرستان يدخل من الاقليم في هذا الجزء في نحو النصف من غربيه الى شرقيه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل بمرسية مشرقا وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربيه ويبقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند مبدأيهما بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة التي بين فارس وخراسان وهي من شرقي القاسان وفي اخرها عند هذا الجبل بلد استراباد وحفافي هذا الجبل من شرقيه الى اخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان ففي جنوب الجبل وشرقي المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان اخر الجزء وفي شماله وشرقي جرجان بلد مهرجان وخازرون وطوس اخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال عنها بعيدا بلاد نسا ويحيط به عند زاوية الجزء بين الشمال والشرق مفاوز معطلة وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم ومن غربيه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال ففي عدوته الغربية امل وزم من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية جبل استراباد المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمر الجبل في الاقليم بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفي شرقي نهر جيحون من هذا الجزء في الجنوب منه بلاد بخارا ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اسروسنة ومنها خجندة اخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند واسروسنة ارض ايلاق ثم في الشمال عن بلاد ارض الشاش تمر الى اخر الجزء شرقا وتأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من هذه القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن الى ان يصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض ايلاق نهر ثاني من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يبدأ من الاقليم الخامس ينعطف مشرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطا بارض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبيه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض بخارا وخوارزم مفاوز معطلة وفي زاوية هذا الجزء بين الشمال والشرق ارض خجندة ومنها بلد اسبيجاب وطراز وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم وفي غربيه بعد فرغانة والشاش ارض الخزلجية

في الجنوب وارض الخلخية في الشمال وفي شرقي الجزء كله الى اخر ارض الكيماكية ويتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوقايا اخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط

الاقليم الخامس

الجزء الاول منه اكثره مغمور بالماء الا القليل من جنوبيه وشرقيه لان البحر المحيط من هذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فاما المنكشف من جنوبيه فقطعة على شكل المثلث متصلة هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس ميورة على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب وسلمنكة شرقا عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن سلمنكة ايلة اخر الجنوب وارض قشتالة شرقا عنها وفيها مدينة شقوبية وفي شمالها ارض ليون وبرغش ثم وراءها في الشمال ارض جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط على الضلع الغربي في اخره بلد سنتياقوب ومعناه يعقوب وفيها بلاد شرقي الاندلس مدينة بطلية عند اخر الجزء في الجنوب وشرقا عن قشتالة وفي شمالها وشرقها وشقة ثم سلونة وعلى سمتها شرقا وشمالا وفي غرب سلونة قسطالة ثم ناجرة فيما بينها وبين برغش ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم يحاذي البحر والضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به بطرف البحر من عند سلونة من جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل ان يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حاجزا على الاندلس من جهة الشرق وبناياه ابواب لها تفضي الى بلاد غشكونية من امم الفرنج فمنها في الاقليم الرابع برشلونة من جهة الشرق الذي ذكرنا واربونة على ساحل البحر الرومي وحزبله وفرنقسونة وراءها في الشمال ومنها في الاقليم الخامس طلوشة شمالا عن حزبله واما المنكشفة في هذا البحر من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل زاويته الحادة وراء البرتات شرقا وفيها على البحر المحيط على راس القطعة التي يتصل بها جبل البرتات بلد سونه وفي اخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء ارض بنطواس من الفرنج الى اخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية منه ارض غشكونية وفي شمالها ارض بيطو وبرغش وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكونية من البحر الرومي قطعة دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة الى الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية في غربيها داخلة في خور من البحر وعلى راس هذه القطعة شمالا بلاد جنوه وعلى سمتها في الشمال جبل ميت جون وفي شماله وعلى سمته ارض برغونه وفي الشرق عن طرف جنوه الخارج من البحر الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل في البحر من البر في غربيه نيس وفي شرقيه مدينة رومة العظيمة كرسي مملكة الفرنج ومسكن البابة بطركهم الاعظم وفيها من المباني الضخمة والهياكل المهولة والكنائس العادية ما هو معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعه ببلاط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد ابرمسنه الى اخر الجزء وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوبيه رومة بلاد نابل في الجانب الشرقي منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء فانتهى الى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة من جنوبيه فيما بينه وبين البحر المحيط وفي شماله بلاد انكلاية في الاقليم السادس وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في غربيه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجوف في الاقليم الرابع وفي البحر

الرومي ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينعطف الى
الغرب محاذيا لاخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه
في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهي فهنالك الخليج في شماله في بلاد انكلابرة
من امم اللمانيين كما نذكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ما داما ذاهبين الى الشمال
بلاد البنادقة فاذا ذهبا الى الغرب فبينهما بلاد جروسيا ثم بلاد اللمانيين عند طرف الخليج
وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مضرسة
كلها تنقطع من البحر يخرج منها الى الشمال وبين كل ضرسين طرف من البحر في الجنوب بينهما
وفي اخر الجزء شرقا خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت
الشمال الى ان يدخل من الاقليم السادس وينعطف هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيطش في الجزء
الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية
في شرقي هذا الخليج عند اخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي هي كرسي القياصرة
وبها من اثار البناء والضخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي بين البحر الرومي وخليج
القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء
ملكهم وفي شرقي هذا الخليج الى اخر الجزء قطعة من ارض باطوس واظنها لهذا العهد مجالات
للتركمان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته برصا وكانت من قبلهم للروم وغلبهم عليها الامم
الى ان صارت للتركمان وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفي
الشمال عنها الى اخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقي عمورية نهر قباقب الذي يمد الفرات يخرج
من جبل هناك ويذهب في الجنوب حتى يخالط الفرات قبل وصوله من هذا الجزء الى ممره
في الاقليم الرابع وهنالك في غربيه اخر الجزء مبدأ نهر سيحان ثم نهر جيحان غربيه الذاهبين على
سمته وفي موازاته حتى يحاذيه عند بغداد وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من هذا
الجزء وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر دجلة ميافارقين ونهر قباقب الذي ذكرناه يقسم هذا
الجزء بقطعتين احداهما غربية جنوبية وفيها ارض باطوس كما قلناه واسافلها الى اخر الجزء شمالا
ووراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قباقب ارض عمورية كما قلناه والقطعة الثانية شمالية
شرقية جنوبية على الثلث ففي الجنوب منها مبدأ الدجلة والفرات وفي الشمال بلاد البيلقان
متصلة بارض عمورية من وراء جبل قباقب وهي عريضة وفي اخرها عند مبدأ الفرات بلد
خرشنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيطش الذي يمده خليج القسطنطينية
وفي الجزء السادس من هذا الاقليم جنوبية وغربية بلاد ارمينية متصلة الى ان تجاوز وسط
الجزء الى جانب الشرق وفيها بلد اردن في الجنوب والغرب وفيها شمالها تفليس ودبيل وفي
شرقي اردن مدينة خلاط ثم بردعة وفي جنوبها باخراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك
تخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد المراغة في شرقي جبل الاكراد المسمى بارما
وقد مر ذكره في الجزء السادس منه ويتاخم بلاد ارمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله
من جهة الشرق فيها بلاد اذربيجان واخرها في هذا الجزء شرقا بلد اردبيل على قطعة من بحر طبرستان
دخلت في الناحية الشرقية من هذا الجزء من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله
في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدأ من عند اخر هذه القطعة البحرية في
الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت المغرب الى الجزء الخامس وتمر فيه منعطفة ومحيطة

ببلاد

ببلاد ميافارقين ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في اسافل الشام ومن
هنالك يتصل بجبل اللكام كما مر وبين هذه الجبال الشمالية في الجزء بابا كالابواب تفضي من الجانبين
ففي جنوبيها بلاد الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب
الابواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلاد ارمينية وبينها في الشرق وبين بلاد اذربيجان الجنوبية
بلاد الران متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة
السرير في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء كله قطعة ايضا من بحر نيطش
الذي يمده خليج القسطنطينية الذي مر ذكره ويحف بهذه القطعة من نيطش بلاد السرير
وعليها منها بلد اطرابزندة وتتصل بلاد السرير بين جبال الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى
ان تنتهي شرقا الى جبل حاجز بينها وبين ارض الخزر وعند اخرها مدينة صول ووراء هذا
الجبل الحاجز قطعة من ارض الخزر تنتهي الى الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان
واخر الجزء شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغمور ببحر طبرستان ويخرج
من جنوبه في الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا ان عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم الى
قزوين وفي غربي تلك القطعة متصلة بها التي في الجزء السادس من شرقه ايضا وينكشف من
هذا الجزء قطعة عند زاويته الشمالية الغربية يصب فيها نهر اثل في هذا البحر ويبقى من هذا
الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات للغز من امم الترك يحيط بها جبل من
جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى ما دون وسطه فينعطف الى الشمال
الى ان يلاقي بحر طبرستان فيحتف به ذاهبا معه الى بقيته في الاقليم السادس ثم ينعطف مع طرفه
ويفارقه ويسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع
جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا
الجزء بين ارض السرير وارض الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء السادس والسابع حف هذا
الجبل المسمى جبل سياه كما سيأتي والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات للغز
من امم الترك وفي الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها
ثلاثمائة ميل ويصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية
منه بحيرة عرعون دورها اربعمائة ميل وماؤها عذب وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء
جبل مرغار ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب ثلجه وهو متصل باخر الجزء وفي الجنوب من بحيرة
عرعون جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيئا يسمى عرعون وبه سميت البحيرة وينجلب منه ومن جبل
مرغار شمالي البحيرة انهار لا تنحصر عدتها فتنصب فيها من الجانبين وفي الجزء التاسع
من هذا الاقليم بلاد اذكش من امم الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية ويحفه
من جهة اخر الجزء جبل قوقيا المحيط بياجوج وماجوج يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال
حتى ينعطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من اخر الجزء العاشر من الاقليم
الرابع قبله واحتف هنالك بالبحر المحيط الى اخر الجزء في الشمال ثم انعطف مغربا في الجزء
العاشر من الاقليم الرابع الى ما دون نصفه واحاط من اوله الى هنا ببلاد الكيماكية ثم خرج
الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس فذهب فيه مغربا الى اخره وبقيت في جنوبيه قطعة من
هذا الجزء مستطيلة الى الغرب قبل اخر بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه
وفي الاعلا منه وانعطف قريبا الى الشمال وذهب على سمته الى الجزء التاسع من الاقليم السادس

الزاوية صح

وفيه السد هنالك كما نذكر وبقيت منه القطعة التي احاط بها جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجز مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد ياجوج وفي الجز العاشر من هذا الاقليم ارض ياجوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا من شرقيه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي تفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوقيا حين مر فيه وما سوى ذلك كله فارض ياجوج

الاقليم السادس

فالجز الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فانكشفت قطعة من هذه الارض في هذا الجز داخلة بين طرفين من البحر المحيط كالجون فيه وينفسح طولا وعرضا وهي كلها ارض برطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجز بلاد سانس متصلة ببلاد بنطو التي مر ذكرها في الجز الاول والثاني من الاقليم الخامس والجز الثاني من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فمن غربه قطعة مستطيلة اكثر من نصفه الشمالي من شرق الارض برطانية في الجز الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشي وفيه هنالك قطعة من جزيرة انكلطره وهي جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها في النصف الغربي من هذا الجز بلاد ارمندية وبلاد افلادس متصلين بها ثم بلاد افرنسية جنوبا وغربا من هذا الجز وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها لامم الافرنجة وبلاد اللمانيين في النصف الشرقي من الجز فجنوبه بلاد انكلاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لهويكة وبشونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية الشمالية الشرقية ارض افريزة وكلها لامم اللمانيين وفي الجز الثالث من هذا الاقليم في الناحية الغربية بلاد بولابية في الجنوب وبلاد بيشونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد انكرية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلا من الجز الرابع ويمر مغربا بانحراف الى الشمال الى ان يقف في بلاد سعونية اخر النصف الغربي وفي الجز الرابع في ناحية الجنوب ارض جثولية وتحتها في الشمال بلاد ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجز غربا الى ان يقف في النصف الشرقي وفي شرق ارض جثولية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية ومدينتها عند اخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفعه في بحر نيطش فيقع قطعة من بحر نيطش في اعالي الناحية الشرقية من هذا الجز ويمدها الخليج وبينهما في الزاوية بلاد مسيناة وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية منه بحر نيطش يتصل من الخليج اخر الجز الرابع ويخرج على سمته شرقا فيمر في هذا الجز كله وفي بعض السادس على طول الف وثلاثمائة ميل من مبدايه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجز في غربها الى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على ساحل بحر نيطش متصلة بارض السلطان من الاقليم الخامس وفي شرقيه بلاد اللانية وقاعدتها سوبلي على بحر نيطش وفي شمال بحر نيطش من هذا الجزء غربا ارض برجان وشرقا بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد برجان من شرقيها في هذا الجز ومن شمالها في الجز الخامس من الاقليم السابع ومن غربيها في الجز الرابع من هذا الاقليم وفي الجز السادس في غربيه بقية بحر نيطش وينحرف

قليلا الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين اخر الجز شمالا بلاد قمانية وفي جنوبه ومنفسحا الى الشمال مما انحرف هو كذلك بقية بلاد اللانية التي كانت اخر جنوبه في الجز الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجز يتصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية ارض بلنجر يجوزها هنالك قطعة من جبل ميسانة كونه المنعطف مع بحر الخزر في الجز السابع بعده ويذهب بعد مفارقته مغربا فيجوز هذه القطعة ويدخل في الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك بجبل الابواب وعليه من ناحيته بلاد الخزر وفي الجز السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما حازه جبل سياه بعد مفارقته جبل طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى اخر الجز غربا وفي شرقيها القطعة من بحر طبرستان الذي يجوزها هذا الجبل في شرقها وشمالها ووراء سياه في الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجز ارض شحرت وبجناك من امم الترك وفي الجز الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض الخولخ من الترك وفي الناحية الشمالية غربا الى الارض المنتنة وشرقا الى الارض التي يقال ان ياجوج وماجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنة مبدا نهر اتل من اعظم انهار العالم ومره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس وفي الجز السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنتنة من ثلاثة ينابيع تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى اخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا الى الجز السابع من الاقليم السابع فيمر في طرف بين الجنوب والغرب فيخرج في الجز السادس من السادس ويخرج منه جدول يذهب مغربا وينصب في بحر نيطش في ذلك الجز ويمر هو في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجز السابع منه فينصب هنالك في طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجز عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجز التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ من الترك وهم قفجق وبلاد البرس منهم ايضا وفي الشرق منه بلاد ياجوج وماجوج يفصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقد مر ذكره يبدا من البحر المحيط في شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى اخر الاقليم في الشمال ويفارقه مغربا وبانحراف في الشمال حتى يدخل في الجز التاسع من جنوبه الى شماله وبانحراف الى الغرب وفي وسطه هاهنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمته الى الاقليم السابع وفي الجز التاسع منه فيمر فيه الى الجنوب الى ان يلقى البحر المحيط في شماله ثم ينعطف معه من هنالك مغربا في الاقليم السابع الى الجز الخامس منه فيتصل هنالك بقطعة من البحر المحيط في غربيه وفي وسط هذا الجز التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القران وقد ذكر عبيد الله بن خرداذبه في كتابه في الجغرافيا ان الواثق راى في منامه كان السد انفتح فانتبه فزعا وبعث سلاما الترجمان فوقف عليه وجا بخبره ووصفه في حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفي الجز العاشر من هذا الاقليم بلاد ياجوج وماجوج متصلة فيه الى اخره على قطعة من هنالك من البحر المحيط احاط به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعريضة بعض الشي في المشرق والله تعالى اعلم

الاقليم السابع

والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال

الى وسط الجز الخامس حيث يتصل بجبل قوقايا المحيط بياجوج وماجوج والجز الاول والثاني مغموران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلطرة التي معظمها في الثاني وفي الاول طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبينها مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجز الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هنالك والمجازة منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلا ووراء هذه الجزيرة في شمال الجز الثاني من جزيرة رسلاندة مستطيلة من المغرب الى المشرق والجز الثالث من هذا الاقليم مغمور اكثره بالبحر الا قطعة مستطيلة في جنوبه وتتسع في شرقها وفيها هنالك متصل ارض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة من البحر الذي يغمر هذا الجز في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة ويتصل بالبر من باب في جنوبها يفضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة برغاقة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجز الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منكشف وفي غربه ارض فيماركة من الترك وفي شرقه بلاد طست في ارض رسلانه الى اخر الجز شرقا وهي دايمة الثلوج وعمرانها قليل وتتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجز الرابع والخامس منه وفي الجز الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية من بلاد الروسية وتنتهي في الشمال الى قطعة البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقايا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل ارض القمانية التي على قطعة بحر نيطش من الجز السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمى من هذا الجز وهي عذبة ويتحلب اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شرقي الناحية الشرقية من هذا الجز ارض التتارية من الترك الى اخره وفي الجز السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل ببلاد القمانية وفي وسط الناحية بحيرة عيون عذبة يتحلب اليها الانهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة دايما لشدة البرد الا قليلا في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانية بلاد الروسية التي كان مبداوها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجز الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجز بقية ارض بلغار التي كان مبداوها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجز السادس منه في وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر اتل العطفة الاولى الى الجنوب كما مر وفي اخر هذا الجز السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض هياطلة من امم الترك وكان مبداوها من الناحية الشرقية الشمالية من الجز السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الشرقية من هذا الجز يخرج الى الاقليم السادس فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض سحرت ثم بقية ارض المنتنة الى اخر الجز شرقا وفي اخر الجز من جهة الشمال جبل قوقايا المحيط متصل من غربه الى شرقه وفي الجز الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل بعيدة المهوى ممتنع الوصول الى قمتها يستدل على عمرانها بالدخان في النهار والنيران في الليل يضي ويخفي وربما رؤي فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجز البلاد الخراب المتاخمة للسد وفي اخر الشمال من جبل قوقايا متصلا الى الشرق الى الغرب وفي الجز التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ وهم قفجاق يعبرها جبل قوقايا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج بانحراف الى الشرق فيخرج في الجز التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هناك سد ياجوج وماجوج وقد ذكرنا في

الناحية

الناحية الشرقية من هذا الجز ارض ماجوج وراء جبل قوقايا على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه وشماله والجز العاشر غمره البحر جميعه هذا اخر الكلام على الجغرافيا واقاليمها السبعة وفي خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات للعالمين ه

المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف

وتاثير الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم قد بينا ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه الى الجانب الشمالي لافراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال ولما كان الجانبان من الجنوب والشمال متضادين في الحر والبرد وجب ان تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العمران والذي حافته من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنايع والمباني والملابس والاقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واحوالا فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنايعهم يتخذون البيوت المنجدة من الحجارة المنمقة ويتناهون في استجادة الالات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقزدير ويتصرفون في معاملاتهم بالنقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف في عامة احوالهم وهولاء اهل المغرب والشام والعراقين والصين والسند وكذلك الاندلس ومن قرب منهم من الفرنجة والجلالقة ومن كان مع هولاء او قريبا منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال في جميع احوالهم فبناوهم بالطين والقصب واقواتهم الذرة والعشب وملابسهم من اوراق الشجر يخصفونها عليهم او الجلود واكثرهم عراة من اللباس وفواكه بلادهم وادمها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغير النقدين الشريفين من نحاس او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات واخلاقهم قريبة من اخلاق الحيوانات العجم حتى ينقل عن كثير من السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب وانهم متوحشين غير مستانسين ياكل بعضهم بعضا وكذا الصقالبة والسبب في ذلك انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذلك احوالهم في الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهم الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد ويقال انهم دانوا به في المايه السابعه ومثل من دان بالنصرانية من امم الصقالبة والافرنجة والترك من الشمال ومن سوى هولاء من اهل تلك الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسي قريبة من احوال البهايم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليمامة وما يليها من جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني فان جزيرة العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبتها اثر في رطوبة هوائها فنقص ذلك من اليبس والانحراف الذي يقتضيه الحر

رصار فيها بعض الاعتدال برطوبة البحر وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم له بطبايع الكاينات
ان السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت من ابيه نوح قد وقع في اثرها
في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه ودعا نوح عليه السلام على ابنه حام وقد وقع في التوراة
وليس فيه ذكر السواد وانما دعى عليه بان يكون ولده عبيدا لولد اخوته لا غير وفي القول
بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرهما في الهوى وفيما يتكون فيه من الحيوانات
وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثاني من مزاج هوايهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب
فان الشمس تسامت رؤسهم مرتين في كل سنة قريبة احداهما من الاخرى فتطول المسامتة عامة
الفصل ويكثر الضوء لاجلها ويلح القيظ الشديد عليهم فيسود جلودهم لافراط الحر ونظير هذين
الاقليمين فيما يقابلهما من الشمال الاقليم السادس والسابع شمل سكانهما ايضا البياض من مزاج
هوايهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال بافقهم في داير مرآى العين او ما قرب منها ولا
ترتفع الى المسامتة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فيبيض
الوان اهلها وينتهي الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون
وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث
فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية
النهاية في التوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضى مزاج
اهويتهم وتبعه عن جانبيه الخامس والثالث وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلا
الى الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت
الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك في خلقهم وخلقهم ما اقتضى مزاج اهويتهم فالاول
والثاني للحر والسواد والسادس والسابع للبرد والبياض وسمي سكان الجنوب في الاقليم
الاول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان اسماء مترادفة على الامة المتغيرة بالسواد
وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند وليست هذه
الاسماء لهم من جهة انتسابهم الى ادمي اسود لا حام ولا غيره وقد نجد من السودان من يسكن
الرابع المعتدل او السابع المنحرف الى البياض فتبيض الوان اعقابهم على التدريج مع الايام
وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود الوان اعقابهم وفي ذلك دليل
على ان اللون تابع لمزاج الهوا قال ابن سينا في ارجوزته في الطب

بالزنج حر غير الاجسادا • حتى كسى جلودها سوادا
والصقلب اكتسب البياضا • حتى غدت جلودهم بضاضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضعة
للاسماء فلم يكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده ووجد سكانه
من الترك والصقالبة والطغرغز والخزر واللان والكثير من الفرنجة وياجوج وماجوج
اسماء متفرقة واجيالا متعددة مسميين باسماء متنوعة واما اهل الاقليم المتوسط اهل
الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتمار لديهم من المعاش
والمساكن والصنايع والعلوم والرياسات والملك فكانت فيهم النبوات والملك والدول
والشرايع والعلوم والرياسات والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصنايع الفائقة وساير
الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس

وبني

وبني اسرائيل واليونانيين واهل السند والصين ولما راى النسابون اختلاف هذه الامم بسماتها
وشعارها حسبوا ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا
في الوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم او اكثرهم من ولد يافث
واكثر الامم المعتدلة وهم اهل الوسط المنتحلون للعلوم والصنايع والملل والشرايع والسياسة
والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق وانتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما هو
اخبار عن الواقع لا ان تسمية اهل الجنوب بالسودان والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود
وما اداهم الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمييز بين الامم انما يقع بالانساب فقط وليس
كذلك فان التمييز للجيل او للامة يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبني اسرائيل والفرس ويكون
بالجهة والسمة كما للزنج والحبشان والصقالبة والسودان ويكون بالعوايد والشعار مع
النسب كما للعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في اهل
جهة معينة من جنوب او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نحلة او لون او سمة
وجدت لذلك الاب انما هو من الغلط التي وقع فيها الغفلة عن طبايع الاكوان والجهات
وان هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله التي قد خلت في عباده

المقدمة الرابعة في اثر الهوى في اخلاق البشر

قد راينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص
على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقرر في موضعه من الحكمة
ان طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهي
انقباضه وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفشية للهوى والبخار مخلخلة له زايدة في كميته
ولهذا يجد المنتشي من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة
الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشى الروح وتجيء طبيعة الفرح
وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة الهوى بارواحهم
فتسخنت لذلك حدث لهم فرح وربما انبعث الكثير منهم بالغنا الناشي عن السرور ولما
كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على امزجتهم وفي اصل تكوينهم كان
في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل الاقليم
الرابع اشد حرا فتكون اكثر تفشيا فتكون اسرع فرحا وسرورا واكثر انبساطا ويجيء الطيش
على اثر هذه وكذلك يلحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة
بما ينعكس عليه من اضواء بسيط البحر واشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح
والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد نجد يسيرا من ذلك في اهل البلاد
الجزيرية من الاقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في الجنوب عن الارياف
والتلول واعتبر ذلك ايضا باهل مصر فانها مثل عرض البلاد الجزيرية او قريبا منها كيف غلب
الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة
ماكلهم من اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف
ترى اهلها مطرقين اطراق الحزن وكيف افرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل ليدخر قوت سنتين
من حبوب الحنطة ويباكر الاسواق لشراء قوته ليومه مخافة ان يرزا شيا من مدخره

ويتبع ذلك في الاقاليم والبلدان تجد في الاخلاق اثرا من كيفيات الهوى والله الخلاق العليم
وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم
وحاول تعليله فلم يات فيه بشي اكثر من انه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحاق الكندي ان
ذلك لضعف ادمغتهم وما نشا عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا محصل له ولا برهان والله اعلم

المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع

وما ينشا عن ذلك من الاثار في ابدان البشر واخلاقهم اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة
ليس كلها يوجد له الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش فيها ما يوجد لاهله خصب العيش
من الحبوب والادم والحنطة والفواكه لزكا المنابت واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها
الارض الحرة التي لا تنبت زرعا ولا عشبا بالجملة فسكانها في شظف من العيش مثل اهل الحجاز
واليمن ومثل الملثمين من صنهاجة الساكنين بصحرا المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر
والسودان فان هولا يفقدون الحبوب والادم جملة وانما اغذيتهم الاقوات والالبان واللحم
ومثل العرب الجائلين في القفار فانهم وان كانوا ياخذون الحبوب والادم من التلول الا
ان ذلك في الاحايين وتحت ربقة من حاميتها الاقلال لقلة وجدهم فلا يتوصلون الى سد الخلة
او دونها فضلا عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعوضهم
عن الحنطة احسن معاض وتجد مع ذلك هولاء الفاقدين للحبوب والادم من اهل القفار
احسن حالا في جسومهم واخلاقهم من اهل التلال المنغمسين في العيش فالوانهم اصفى
وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم اثقب في المعارف
والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه
وبين الملثمين واهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية
ورطوبتها تولد في الجسم فضلات ردية ينشا عنها بعد اقطارها في غير نسبة وكثرة الاخلاط
الفاسدة العفنة ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي
الرطوبات على الافكار والاذهان بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الردية فتجي البلادة
والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجدب
من الغزال والمها والنعام والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها من حيوان التلول
والارياف والمراعي الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيدا في صفاء اديمها وحسن رونقها
واشكالها وتناسب اعضائها وحدة مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة اخو البعير
والحمار والبقر هو الحمار والبقر وبينهما ما رايت وما ذاك الا لاجل ان الخصب في التلول
فعل في ابدان هذه من الفضلات الردية والاخلاط الفاسدة ما ظهر عليه اثره والجوع لحيوان
القفر حسن في خلقها واشكالها ما شا واعتبر ذلك في الادميين ايضا فانا نجد اهل الاقاليم
المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة في
اذهانهم والخشونة في اجسامهم وهذا شان البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع
المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير والذرة مثل المصامدة منهم واهل السوس
وغمارة فتجد هولاء احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد المغرب على الجملة
المنغمسين في الادم والبر مع اهل الاندلس المفقود بارضهم السمن جملة وغالب عيشهم الذرة فتجد

لاهل

لاهل الاندلس من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لهم وكذا اهل الضواحي حي
من المغرب بالجملة مع اهل الحضر والامصار فان اهل الامصار وان كانوا مكثرين مثلهم من الادم
ومخصبين في العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف بما يخلطون معها فيذهب
لذلك غلظها ويرق قوامها وعامة ماكلهم لحوم الضان والدجاج ولا يطعمون السمن في الادم لتفاهته فتقل
الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخف ما تؤديه الى اجسامهم من الفضلات الردية فلذلك تجد
جسوم اهل الامصار الطف من اجسام البادية المخشنين في العيش وكذلك تجد المتعودين
بالجوع من اهل البادية فانهم لا فضلة في جسومهم لا غليظة ولا لطيفة واعلم ان اثر هذا
الخصب في البدن يظهر حتى في حال الدين والعبادة فنجد المتقشفين من اهل البادية والحاضرة
ممن ياخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة من اهل الترف
والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في المدن والامصار لما يعمها من القساوة والغفلة المتصلة بالاكثار
من اللحوم والادم ولباب البر ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم
من اهل البوادي وكذلك نجد حال اهل المدينة الواحدة في ذلك يختلف باختلاف حالها في الترف
والخصب وكذلك نجد هولاء المخصبين في العيش المنغمسين في طيباته من اهل البادية
ومن اهل الحاضرة والامصار اذا نزلت بهم السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك
اكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما يبلغنا لا مثل العرب اهل القفر
والصحرا ولا مثل اهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا العهد
الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت
فان هولاء وان اخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اوليك ولا يكثر فيهم
الهلاك بالجوع بل ولا يندر والسبب في ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين
للادم والسمن خصوصا تكتسب امعاوهم من ذلك رطوبة فوق رطوبتها الاصلية المزاجية
حتى تجاوز حدها فاذا خولف بها العادة بقلة الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير
المالوف من الغذا اسرع الى المعا اليبس والانكماش وهو عضو ضعيف في الغاية ولهذا عد
في المقاتل فيسرع الى المرض ويهلك صاحبه بسرعة فالهالكون في المجاعات انما قتلهم الشبع
المعتاد السابق لا الجوع اللاحق واما المتعودون للعيمة وترك الادم والسمن فلا تزال
رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدها من غير زيادة وهي طالحة على جميع الاغذية الطبيعية
فلا يقع في امعائهم بتبدل الاغذية يبس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض
لغيرهم بالخصب وكثرة الادم والماكل واصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية وايتلافها او تركها
انما هو بالعادة فمن عود نفسه غذا ولايمه تناوله كان له مالوفا وصار الخروج عنه والتبديل
به دا ما لم يخرج عن غرض الغذا بالجملة كالسموم واليتوع وما افرط من الانحراف فاما ما وجد
فيه التغذي والملايمة فيصير غذا مالوفا بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن
والبقل عوضا عن الحنطة حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذا واستغنى به عن الحنطة
والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغنا عن الطعام كما ينقل عن
اهل الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك اخبارا غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك
العادة ان النفس اذا الفت شيا صار من طبيعتها وجبلتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل
لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة وطبيعية لها وما يتوهمه الاطبا

من ان الجوع مهلك فليس كما يتوهمونه الا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذا بالكلية
فانه حينئذ ينحسم المعا ويناوله المرض الذي يخشى معه الهلاك واما اذا كان ذلك تدريجا
ورياضة باقلال الغذا شيا فشيا كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن الهلاك وهذا التدريج
ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع عن الاول دفعة خيف عليه الهلاك الغذا صح
وانما يرجع به كما بدا في الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما
وصالا واكثر وحضر اشياخنا في دولة السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امراتان من اهل
الجزيرة الخضرا ورندة حبستا انفسهما عن الاكل جملة منذ سنين وشاع امرهما ووقع اختبارهما
فصح شانهما واتصل على ذلك حالهما الي زماننا ورايتا كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على
حليب شاة من المعز يلتقم ثديها في بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاوه واستدام
ذلك خمسة عشر سنة وغيرهم كثير ولا يستنكر ذلك واعلم ان الجوع اصلح للبدن من اكثار
الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منه وان له اثرا في الاجسام والعقول في صفايها
وصفايها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك باثار الاغذية التي يحصل عنها في الجسوم فقد
راينا المتغذين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثمان تنشا اجيالهم كذلك وهذا مشاهد
في اهل البادية مع اهل الحاضرة وكذا المتغذون بالبان الابل ولحومها ايضا مع ما يوثر في
اخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الاثقال كما هو للابل وتنشا امعاوهم ايضا
على نسبة امعا الابل في الصحة والغلظ فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا ينالها من مضار
الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحنظل
قبل طبخه والدرياس والفربيون ولا ينال امعاهم منها ضرر وهي لو تناولها اهل الحضر
الرقيقة امعاوهم بما نشات عليه من لطيف الاغذية لكان الهلاك اليها اسرع من طرفة العين
لما فيها من السمية ومن تاثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده اهل
التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه
جا الدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر
مع البيض المحضن فيجي دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثير فاذا راينا هذه الاثار من
الاغذية في الابدان فلا شك ان للجوع ايضا اثارا في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة
في التاثير وعدمه فيكون تاثير الجوع في نقا الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة
المخلة بالجسم والعقل كما كان الغذا موثرا في وجود ذلك الجسم والله تعالي محيط بعلمه

المقدمة السادسة في اصناف المدركين للغيب

بالفطرة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والروبا اعلم ان الله تعالى اصطفى
من البشر اشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسايل بينه وبين عباده يعرفونهم
بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم وياخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان
فيما يلقيه اليهم من المعارف ويظهره على السنتهم من الخوارق والاخبار بوقوع الكاينات
المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بواسطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله
اياهم قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من
خاصته وضرورته الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف

س

من البشر انه يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين مع غطيط كانها غشي او اغماء في راي
العين وليست منهما في شي انما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم
المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوي
من الكلام فيتفهمه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تنجلي عنه
تلك الحال وقد وعى ما القي عليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سيل عن الوحي احيانا ياتيني مثل
صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك
رجلا فيكلمني فاعي ما يقول ويدركه اثنا ذلك من الشدة والغط ما لا يعبر عنه ففي الحديث
كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت عايشة رضي الله عنها كان ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون الانبيا بالجنون ويقولون
ريي او تابع من الجن وانما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ومن يضلل الله فما
له من هاد ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والذكا ومجانبة
المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى العصمة وكانه مفطور على التنزه عن المذمومات
والمنافرة لها وكانها منافية لجبلته وفي الصحيح انه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس
لبنا الكعبة فجعله في ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بازاره ودعي الى مجمع
وليمة فيها عرس ولعب فاصابه غشي النوم الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيا من شانهم
بل نزهه الله من ذلك بجبلته حتى انه ليتنزه عن المطعومات المستكرهة فقد كان صلى
الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقيل له في ذلك فقال اني اناجي من لا تناجون وانظر
لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بحال الوحي اول ما فجاه واردت اختباره فقالت
اجعلني بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان
ومعناه انه لا يقرب النسا وكذا سالته عن احب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة
فقالت انه الملك يعني ان الخضرة والبياض من الوان الخير والملايكة والسواد من الوان الشر
والشياطين وامثال ذلك ومن علاماتهم ايضا دعاوهم الى الدين والعبادة من
الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك
وكذلك ابو بكر لم يحتاجا في امره الى دليل خارج عن امره حاله وخلقه وفي الصحيح ان هرقل
حين جاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام احضر من وجد ببلده من قريش وفيهم
ابو سفيان ليسالهم عن حاله وكان فيما سال ان قال بما يامركم فقال ابو سفيان بالصلاة
والزكاة والصلة والعفاف الى اخر ما سال واجابه فقال ان كان ما تقولون حقا فانه نبي
وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ
من العصمة والدعا الى الدين والعبادة دليلا على صحة النبوة ولم يحتج الى معجزة فدل على ان
ذلك من علامات النبوة ومن علاماتهم ايضا ان يكونوا ذوي حسب في قومهم وفي الصحيح
ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه وفي رواية اخرى في ثروة من قومه واستدركه الحاكم
على الصحيحين وفي مسايلة هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال كيف هو فيكم قال ابو
سفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والرسل تبعث في احساب قومها ومعناه ان تكون له
عصبية وشوكة تمنعه من اذاه الكفار حتى يبلغ رسالات ربه ويتم مراد الله في اكمال دينه

وملته **ومن علاماتهم** وقوع الخوارق شاهدة بصدقهم وهي افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت
لذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية
وقوعها ودلالتها على تصديق الانبيا خلاف فالمتكلمون بنا على القول بالفاعل المختار قايلون
بانها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم الا
ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها عند ساير المتكلمين الا التحدي بها
باذن الله تعالى وهو ان يستدل بها النبي قبل وقوعها على صدقه في مدعاه فاذا وقعت
تنزلت منزلة القول الصريح من الله بانه صادق وتكون دلالتها حينيذ على الصدق قطعية
فالمعجزة الدالة بمجموع الخارق والتحدي ولذلك كان التحدي جزا منها وعبارة المتكلمين
صفة نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتي عندهم والتحدي هو الفارق بينها وبين الكرامة
والسحر اذ لا حاجة فيهما الى التصديق فلا وجود للتحدي الا ان وجد اتفاقا وان وقع
التحدي في الكرامة عند من يجيزها وكانت لها دلالة فانما هي على الولاية وهي غير النبوة
ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحاق وغيره وقوع الخوارق كرامة فرارا من الالتباس بالنبوة عند
التحدي بالولاية وقد اريناك المغايرة بينهما وانه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي فلا لبس
على ان النقل عن الاستاذ في ذلك ليس صريحا وربما حمل على انكار ان تقع خوارق الانبيا
لهم بنا على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه واما المعتزلة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم
ان الخوارق ليست من افعال العباد وافعالهم مستفادة فلا خارق واما عند الاشعرية فلان
صفة نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية
ضلالة واقول والتصديق كذبا واستحالت الحقايق وانقلبت صفات النفس
وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا واما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل
شبهة والهداية ضلالة قبيح فلا يقع من الله تعالى واما الحكما فالخارق عندهم من فعل
النبي ولو كان في غير محل القدرة بنا على مذهبهم في الايجاب الذاتي ووقوع الحوادث
بعضها عن بعض متوقف على الاسباب والشروط الحادثة مستندة اخرا الى الواجب الفاعل
بالذات لا بالاختيار وان نفس النبوة عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق
بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم مجبول على التصريف في الاكوان متى توجه
اليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان التحدي او لم يكن
وهو شاهد بصدقه من حيث دلالته على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من خواص النفس
النبوية لا بانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق وكذلك لا تكون دلالتها عندهم
قطعية كما هي عند المتكلمين فلا يكون التحدي جزا من المعجزة ولم يصح فارقا لها عن السحر
والكرامة وفارقها عندهم عن السحر ان النبي مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر
فلا يلم الشر بخوارقه والساحر على الضد وافعاله كلها شر وفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة
ان خوارق النبي مخصوصة بصعود السما والنفوذ في الاجسام الكثيفة واحيا الموتى
وتكليم الملايكة والطيران في الهوا وخوارق الولي دون ذلك كتكثير القليل والحديث
عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر عن تصريف الانبيا وياتي النبي بجميع خوارقه ولا
يقدر هو على مثل خوارق الانبيا وقد قرر ذلك المتصوفة بما كتبوه في طريقتهم ونقلوه
عن مواجدهم واذا تقرر ذلك فاعلم ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القران

الكريم

الكريم المنزل على نبينا صلوات الله وسلامه عليهم فان الخوارق في العادات تقع مغايرة للوحي
الذي يتلقاه النبي وياتي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقران هو بنفسه الوحي المدعا وهو
الخارق المعجز فشاهده في عينه ولا يفتقر الى دليل مغاير له كساير المعجزات مع الوحي فهو اوضح
دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا
الا واوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحي الي فانا ار جوا
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح
وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان المصدق لها اكثر لوضوحها فكثر المصدق المومن
وهو التابع والامة والله تعالى اعلم **ولنذكر الان تفسير**
حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرويا
ثم شان العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول اعلم ارشدنا الله واياك
انا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيية من الترتيب والاحكام وربط
الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض
لا تنقضي عجايبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وابدا من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني واو لا
عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعدا من الارض الى الما ثم الى الهوا ثم الى النار متصلا
بعضها ببعض لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يهتدي بعضهم الى معرفة مقاديرها
واوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها الاثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين
كيف ابتدا من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيية بديعة من التدريج اخر افق
المعادن متصل باول افق النبات مثل الحشايش وما لا بذر له واخر افق النبات
مثل النخل والكرم متصل باول افق الحيوان كالحلزون والصدف ولم يوجد لهما الا
قوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان اخر افق منها مستعد ه
بالاستعداد القريب لان يصير اول افق الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت
انواعه وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القردة
الذي اجتمع فيه الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك في
اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انا نجد في العوالم على اختلافها
اثارا متنوعة ففي عالم الحس اثار من حركة الافلاك والعناصر وفي عالم التكوين اثار من
حركة النمو والادراك تشهد كلها بان لها موثرا مباينا للاجسام فهو روحاني
ومتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها وذلك هو النفس المدركة
والمحركة ولا بد فوقها من وجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها ايضا
ويكون ذاته ادراكا صرفا وتعقلا محضا وهو عالم الملايكة فوجب من ذلك ان يكون
للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملايكة
وقتا من الاوقات في لمحة من اللمحات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما
نذكره بعد ويكون لها اتصال بالافق الذي بعدها شان الموجودات المرتبة كما قدمنا
فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل وهي متصلة بالبدن من اسفل منها وتكتسب به
المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة الاعلى
منها بافق الملايكة وتكتسب فيه المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود في

تعقلاتهم من غير زمان وهذا ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود باتصال ذاته وقواه
بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة في البدن
وكانه وجميع اجزائه مجتمعة ومتفرقة آلات للنفس ولقواها اما الفاعلة فالبطش باليد
والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا واما المدركة وان كانت
قوى الادراك مترتبة ومترقية الى القوة العليا منها وهي المفكرة التي يعبرون عنها بالناطقة
فقوى الحس الظاهر بآلاته من البصر والسمع وسائرها يرتقي الى الباطن واوله الحس المشترك
وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة وغيرها في حالة واحدة وبذلك
فارقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد ثم يؤديه
الحس المشترك الى الخيال وهو قوة تمثل الشي المحسوس في النفس كما هو مجردا عن المواد
الخارجة فقط وآلة هاتين القوتين في تصريفهما البطن الاول من الدماغ مقدمه
للاولى ومؤخره للثانية ثم يرتقي الخيال الى الوهمية والحافظة فالوهمية لادراك
المعاني المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد وصداقة عمرو ورحمة الاب وافتراس الذيب
والحافظة لايداع المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالخزانة تحفظها الى
وقت الحاجة اليها وآلة هاتين القوتين في تصريفهما البطن المؤخر من الدماغ اوله
للاولى ومؤخره للاخرى ثم ترتقي جميعها الى قوة الفكر وآلته البطن الاوسط من الدماغ وهي
القوة التي يقع بها حركة الروية والتوجه نحو التعقل فتحرك النفس بها دائما لما ركب فيها
من النزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى
الفعل في تعقلها متشبهة بالملا الاعلى الروحاني وتصير في اول مراتب الروحانيات
في ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي متحركة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ
بالكلية من البشرية وروحانيتها الى الملائكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما
جعل الله فيها من الجبلة والفطرة الاولى في ذلك والنفوس البشرية في ذلك على
ثلاثة اصناف **صنف** عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فينقطع
بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة
والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية
والتصديقية التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه
ينتهي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعدها وهذا هو في الاغلب
نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلما وفيه ترسخ اقدامهم
وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يفتقر
الى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات
التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدانية
كلها لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه مدارك العلما الاوليا اهل العلوم
اللدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ ه
وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيتها وروحانيتها الى
الملائكة من الافق الاعلى ليصير في لمحة من اللمحات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملا الاعلى
في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللمحة وهولاء الانبيا صلوات

الله وسلامه

صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللمحة وهي حالة الوحي
فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صورهم فيها ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ما داموا ملابسين لها
بالبشرية بما ركب في غرائزهم من العصمة والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم
رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة وتسيغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع
من الانسلاخ متى شاوا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا
وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملا الاعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشرية
منزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة يسمع دويا كانه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى
الذي القي اليه فلا ينقضي الدوي الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه
رجلا فيكلمه ويعي ما يقوله والتلقي من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما القي
عليه كانه في لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر
كانها سريعة ولذلك سميت وحيا لان الوحي في اللغة الاسراع **واعلم** ان الاولى وهي
حالة الدوي هي رتبة الانبيا المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسر
النبي صلى الله عليه وسلم فيه الوحي لما ساله الحارث بن هشام وقال كيف ياتيك الوحي
فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا
يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول وانما كانت الاولى اشد لانها مبدا الخروج في ذلك
الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر ما سواه وعندما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك
الاتصال فعندما يعرج الى المدارك البشرية ياتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك
البصر وفي العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع
لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جا مجي التمثيل لحالتي الوحي فمثلت الحالة الاولى بالدوي
الذي هو المتعارف غير كلام واخبر ان الفهم والوحي يتبعه غب انقضائه فناسب عند تصوير
انقضائه وانفصاله العبارة عن الوحي بالماضي المطابق للانقضا والانقطاع ومثل الملك
في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم يساوقه الوعي فناسب العبارة بالمضارع المقتضي
للتجدد **واعلم** ان في حالة الوحي كلها على الجملة صعوبة وشدة قد اشار اليها القرآن قال
الله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقالت عائشة رضي الله عنها كان مما يعاني من
التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليتفصد عرقا ولذلك ما كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب
ذلك ان الوحي كما قررناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه
شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها الى ذلك الافق الآخر وهذا هو معنى
الغط الذي عبر به في مبدا الوحي في قوله فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت
ما انا بقاري وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يفضي الاعتياد فيه بالتدريج شيا فشيا الى
بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآياته حين كان
بمكة اقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في سورة براءة في غزوة تبوك وانها نزلت
كلها او اكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار
المفصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك من آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في
الطول بعد ان كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن والذاريات والمدثر والضحى

الوحي

والعلوق واما لفا واعتبر من ذلك تميز بها بين المكي والمدني من السور والايات والله الموفق للصواب وهذا محصل امر النبوة **واما الكهانة** فهي ايضا من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما مر ان للنفس الانسانية استعداد للانسلاخ عن البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبياء بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشي من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان ذلك وكان ذلك الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطي التقسيم العقلي ان هنا صنفا اخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفا اخر من البشر مفطور على ان يتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عندما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجبلة فيكون لها بالجبلة عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بامور جزئية محسوسة او متخيلة كالاجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما سنح من طير او حيوان فيستديم ذلك الاحساس او التخيل مستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشيع له وهذه القوة التي فيهم مبدا لذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات اكثر من الكليات ولذلك تكون المتخيلة فيهم في غاية القوة لانها الة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذا تاما في نوم او يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها المتخيلة وتكون لها كالمراة تنظر فيها دايما ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشياطين وارفع احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشتغل به عن الحواس ويقوى بعض الشي على ذلك الاتصال الناقص فيهجس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتمم نقصه بامر اجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملايم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفزع الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه وتمويها على السايلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان لانهم ارفع ساير اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا سجع الكهان فجعل السجع مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقد قال لابن صياد حين ساله كاشفا عن حاله بالاخبار كيف ياتيك هذا الامر قال ياتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني ان النبوة خاصتها الصدق فلا يعتريها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبي بالملا الاعلى من غير مشيع ولا استعانة باجنبي والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية كانت داخلة في ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة وامتنع ان تكون نبوة وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان السجع اخف من ساير المغيبات من المرئيات والمسموعات وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشي وقد زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت من زمن النبوة

بما وقع

بما وقع من شان رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القران والكهان انما يتعرفون اخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يوميذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهانة كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم ايضا كما قررناه وايضا فالاية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك وايضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب وقد زعم بعض الحكما انها انما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لابد من وضع فلكي يقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الناقص ويقتضي وجود الكاهن اما واحدا او متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكماله وانقضت تلك الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شي بعد وهذا بنا على ان بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض اثره وهو غير مسلم فلعل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض اجزايها فلا يقتضي شيا لا انه يقتضي ذلك الاثر ناقصا كما قالوه ثم ان هولاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لان لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر اليوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن باشد مما للنايم ولا يصدهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الا قوة المطامع بانها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن ابي الصلت فانه كان يطمع ان يكون نبيا وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني امنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وقارب بن الاسود وما كان لهما في الفتوحات الاسلامية من الاثار الشاهدة بحسن الايمان **واما الرويا** فحقيقتها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فانها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شان الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تتجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع ذلك لمحة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تتشوق اليه من الامور المستقبلة وتعود به الى مداركها فاذا كان ذلك الاقتباس ضعيفا وغير جلي بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من اجل هذه المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخلوصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللمحة للنفس انها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلا محضا ويكمل وجودها بالفعل فيكون حينيذ ذاتا روحانية مدركة بغير شي من الالات البدنية الا ان نوعها في الروحانيات دون نوع الملايكة اهل الافق الاعلى الذين لم يستكملوا ذواتهم بشي من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرويا واما الذي للانبيا فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكية المحضة التي هي اعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكررا في حالات الوحي وهو عندما يعرج على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراك شبيها بحال النوم شبها بينا وان كان حال النوم ادون منه بكثير فلاجل هذا الشبه عبر الشارع عن الرويا

بأنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلاثة وأربعين وفي رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصودا بالذات وإنما المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهو للتكثير عند العرب وما ذهب إليه بعضهم في رواية ستة وأربعين من أن الوحي كان في مبدئه بالرؤيا ستة أشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاث وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد عن التحقيق لأنه إنما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن أين لنا أن هذه المدة وقعت لغيره من الأنبياء مع أن ذلك إنما يعطي نسبة زمن الرؤيا من زمن النبوة ولا يعطي نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة وإذا تبين لك هذا الاستعداد البعيد وإن كان عاما في البشر فمعه عوائق وموانع كثيرة في حصوله بالفعل ومن أعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جبلي لهم فتتعرض النفس عند ارتفاعه إلى معرفة ما تتشوق إليه في عالم الحق فتدرك في بعض الأحيان منه لمحة يكون فيها الظفر بالمطلوب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له **وأما** سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما أصفه لك وذلك أن النفس الناطقة إنما إدراكها وأفعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو بخار لطيف مركزه في التجويف الأيسر من القلب على ما في كتب التشريح لجالينوس وغيره وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطي الحس والحركة وسائر الأفعال البدنية ويرتفع لطيفه إلى الدماغ فيعدل من برده ويتم أفعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة إنما تدرك وتعقل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة به لما اقتضته حكمة التكوين في أن اللطيف لا يؤثر في الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محلا لآثار الذات المباينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة في البدن بواسطته وقد كنا قدمنا أن إدراكها على نوعين إدراك بالظاهر وهو بالحواس الخمس وإدراك في الباطن وهو بالقوى الدماغية وأن هذه الإدراك كله صارف لها عن إدراكها ما فوقها من ذوات الروحانيات التي هي مستعدة له بالفطرة ولما كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوهن والفشل بما يدركها من الكلال والتعب وتغشي الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الإدراك على الصورة الكاملة وإنما يكون ذلك بانخناس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه إلى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره إلى باطنه فتكون مشيعة مركبها وهو الروح الحيواني إلى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب إنما هو بالليل فإذا انخنس الروح عن الحواس الظاهرة ورجع إلى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت إلى الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة لأنها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريبا ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على أنحاء الحواس الخمس وربما التفتت النفس لفتة إلى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنة فتدرك بالإدراك الروحاني لأنها مفطورة عليه وتقتبس من صور الأشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصورة المدركة فيمثلها بالحقيقة أو المحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي المحتاجة إلى التعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صورة

الحافظة

الحافظة قبل أن يدرك من تلك اللمحة ما تدركه من أضغاث أحلام وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلي من الله والمحاكاة الداعية إلى التعبير من الملك وأضغاث الأحلام من الشيطان لأنها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما يسببها ويشيعها من النوم وهي خواص النفس الإنسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها أحد منهم بل كل أحد من الأناسي فقد رأى في نومه ما صدق له في يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع أن النفس مدركة للغيب في النوم ولا بد وإذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الأحوال لأن الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادي إلى الحق سبحانه

فصل ووقوع ما يقع من ذلك للبشر غالبا إنما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وإنما تكون النفس مستشرفة للشيء فيقع لها تلك اللمحة في النوم لا أنها تقصد لذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضات من ذكر أسماء تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يتشوق إليه ويسمونها الحالومة ذكر منها مسلمة في كتاب الغاية حالومية الطباع التام فيما يتشوق إليه وهي أن يقال عند النوم بعد فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الأعجمية وهي تماغِسْ بَعْدَآنْ يَسْوَاذْ وَغْدَاسْ نَوْفَنَا غَادِسْ ويذكر حاجته فإنه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم وحكي أن رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليال في مأكله وذكره فتمثل له شخص يقول أنا طباعك التام فسأله فأخبره عما كان يتشوق إليه وقد وقع لي أنا بهذه الأسماء مرائي عجيبة واطلعت بها على أمور كنت أتشوف إليها من أحوال وليس ذلك بدليل على أن القصد من الرؤيا يحدثها وإنما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرؤيا فإذا قوي الاستعداد كان أقرب إلى وقوع ما يستعد له وللشخص أن يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلا على إيقاع المستعد له والقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من أمثاله والله الحكيم الخبير

فصل ثم إنا نجد من النوع الإنساني أشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها عمها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها إنما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الأجسام الشفافة كالمرايا وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وأهل الزجر في الطير والسباع وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم الإنسان لا يسع أحدا جحدها ولا إنكارها وكذلك المجانين يلقى على ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لأول موته أو نومه يتكلم بالغيب وكذلك أهل الرياضة من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة ونحن الآن نتكلم على هذه الإدراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم نأتي عليها واحدة واحدة إلى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في أن النفس الإنسانية كيف تستعد لإدراك الغيب في جميع الأصناف التي ذكرناها وذلك أنها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما ذكرنا قبل وإنما تخرج من القوة إلى الفعل بالبدن وأحواله وهذا أمر مدرك لكل أحد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الإدراك والتعقل فهي توجد أولا بالقوة مستعدة

للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشوها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن
وما يعودها بورود مدركاته المحسوسة عليها وما تنتزع هي من تلك الادراكات من المعاني
الكلية فتعقل الصور مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل بالفعل فتتم ذاتها
وتبقى النفس كالهيولى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولهذا نجد الصبي
في اول نشوه لا يقتدر على الادراك الذي لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرهما وذلك
لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم بعد بل ولم يتم لها انتزاع الكليات
اذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الادراك ادراك بالآت الجسم
تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس
في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس ابدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه اولا
من الادراك الجسماني وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما
بالخاصية التي هي للانسان على الاطلاق مثل اهل الكشف من الصوفية فتلتفت حينئذ الى
الذوات التي فوقها من الملا الاعلى لما بين افقها وافقهم من الاتصال الموجود كما قررناه قبل
وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقائقها
كما مر فيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علوما وربما دفعت تلك الصور المدركة
الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما ادركت اما مجردا او في قوالبه فتخبر
به هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي **ولنرجع الى ما وعدنا به**
من بيان اصنافه فنقول ــــ فاما الناظرون في الاجسام الشفافة من المرايا والطاس
والمياه وقلوب الحيوان واكبادها وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل
الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه في اصل خلقتهم لان الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس
الى معاناة وهولا يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها واشرفها البصر
فيعكف به على المرئي البسيط حتى يبدو له مدركه الذي يخبر عنه وربما يظن ان مشاهدة
هولاء لما يرونه هو في سطح المراة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون في سطح المراة الى ان
يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين المراة حجاب كانه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم
فيشير اليهم بالمقصود فيما يتوجهون الى معرفته من نفي او اثبات فيخبرون بذلك على نحو
ما ادركوه واما المراة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشا
لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك
النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك يعرض للناظرين في قلوب الحيوان واكبادها
وللناظرين في الماء والطساس وامثال ذلك وقد شاهدنا من هولاء من يشغل الحس
بالبخور فقط ثم بالعزايم للاستعداد ثم يخبر عما ادرك ويزعمون انهم يرون الصور
متشخصة في الهوى تحكي لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال والاشارة وغيبة هولاء
عن الحس اخف من الاولين والعالم ابو الغرايب **واما الزجر** فهو ما يحدث من بعض الناس من
التكلم بالغيب عند سنوح طاير او حيوان والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعث على الحدس
والفكر فيما زجر فيه من مرئي او مسموع وتكون قوته المخيلة كما قدمناه قوية فتبعثها في
البحث مستعينة بما راه او سمعه فتؤديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة المخيلة في النوم
وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس المرئي في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها

الرويا

الرويا **واما المجانين** فنفوسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد امزجتهم غالبا وضعف
الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستغرقة في الحواس ولا منغمسة فيها بما شغلها في نفسها
من الم النقص ومرضه وربما زاحمها على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تتشبث به وتضعف
هذه عن ممانعتها فتكون عنه التخبط فاذا اصابه ذلك التخبط اما لفساد مزاجه من فساد في
ذاتها النفسية او لمزاحمة من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جملة فادرك لمحة من
عالم نفسه انطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة
النطق وادراك هولاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانهم لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا
الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يجي الكذب من هذه المدارك
واما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر
على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادي
من مبادي ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس على الحقيقة هذا
تحصيل هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما صادف تحقيقها ولا اصاب
ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير
اهله وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة في نوع البشر فقد كان العرب يفزعون الى الكهان
في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي
كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق بن انمار بن نزار وسطيح بن مازن
بن غسان فكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة ومن مشهور الحكايات عنهما
تاويلهما رويا ربيعة بن نصر وما اخبراه به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم
وظهور النبوة المحمدية في قريش وكذا رويا الموبذان التي اولها سطيح لما بعث اليه بها
كسري عبد المسيح فاخبره بشان النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك
العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في اشعارهم فقال ــــ

فقلت لعراف اليمامة داوني • فانك ان داويتني لطبيب • وقال اخر
جعلت لعراف اليمامة حكمه • وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا شفاك الله والله ما لنا • بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابلق الاسدي ومن هذه المدارك الغيبية
ما يصدر لبعض الناس عند مفارقة اليقظة بالنوم من الكلام على الشي الذي يتشوف
اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادي النوم عند مفارقة
اليقظة وذهاب الاختيار في الكلام فيتكلم كانه مجبول على النطق وغايته ان يسمعه
ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة رؤوسهم واوساط ابدانهم كلام بمثل
ذلك وقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجونهم اشخاصا ليتعرفوا من كلامهم
عواقب امورهم في انفسهم فاعلموهم بما يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل
ذلك ان ادميا اذا جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما يغذي بالتين
والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤون راسه فيخرج من ذلك الدهن
وحين يجف عليه الهوى يسال عن كل شي فيجيب عن كل ما يسال عنه من عواقب الامور العامة
والخاصة وهذا فعل من مناكير افعال السحرة لكن يفهم منه عجايب العالم الانساني

ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون موتا صناعيا باماتة جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التي تلونت بها النفس وذلك بتحصيل جمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت منه ما يقع بعد الموت وتطلع النفس على المغيبات ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرف في العوالم واكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا وخصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الجوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة واما المتصوفة فرياضتهم دينية وعرية عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله تعالى بالكلية ليحصل اذواق العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجموع والجوع التغذية بالذكر فبها تتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب او التصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هو لقصد العرفات والاطلاع على الغيب واخسر بها صفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا لشيء سواه واذا واذا حصل اثناء ذلك ما يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يحصل لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك بنكير في حقهم وقد ذهب الى انكاره ابو اسحاق الاسفرايني وابو محمد بن ابي زيد المالكي في آخرين فرارا من التباس المعجزة بغيرها والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدي فهو كاف وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زنيم كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانهزام فكان بقربه جبل يتحيز اليه فرفع لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فناداه يا سارية الجبل فسمعه سارية بمكانه ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله ايضا لابي بكر في وصية عائشة ابنته رضي الله عنهما في شأن ما نحلها من اوسق التمر من حديقته ثم نبهها على جذاذه ليحوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هما اخواك واختاك فقالت انما هي اسماء فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت خارجة اراها جارية فكانت جارية وقع في الموطأ في باب ما لا يجوز من النحل ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين واهل الاقتداء الا ان المتصوفة يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء الى المدينة النبوية سلب حاله ما دام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق

فصل ومن هؤلاء المريدين المتصوفة قوم بهاليل معتوهون اشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين

ويقع

ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يستعد بها لنظره ويعرف احوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا ميز احوال معاشه واستقامة منزله لم يبق له عذر في قبول التكاليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شيء من التكاليف واذا صح ذلك فاعلم انه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويشبهون البهايم ولك في تمييزهم علامات منها ان هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها ابدا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين يعرض لهم الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها كثرة تصرفهم في الخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى الكلام اليه والله المرشد للصواب

فصل وقد يزعم بعض الناس ان هنا مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى اوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج الى الهوى وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية يقف بها الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قال بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله ان شاء الله تعالى وهو لو ثبت فغايته حدس وتخمين وليس مما ذكرناه في شيء ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها عملهم ومحصول هذه الصناعة انهم صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية او استوائها فيهما فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا كلها او افرادا فشكلان وان كان الفرد فيها في مرتبة واحدة فقط فاربعة اشكال جات ستة عشر شكلا ميزوها كلها باسمائها وانواعها الى سعود ونحوس كما هو شأن الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعية بزعمهم وكأنها البروج الاثني عشر التي للفلك والاوتاد الاربعة وجعلوا لكل شكل بيتا وخطوطا ودلالة على صنف من عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فن النجامة ونوع قضائه الا ان احكام النجامة مستندة الى اوضاع طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما مستندها اوضاع تحكمية واهواء اتفاقية ولا دليل على شيء منها ويزعمون ان اصل ذلك من النبوات القديمة في العالم وربما نسبوها الى دانيال او الى ادريس صلوات الله عليهما شأن الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيتها ويحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط فمن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل عنده لان معنى الحديث

كان نبي يخط فياتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبيا فمن وافق ذلك النبي فهو ذاك اي فهو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبي الذي كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط واما اذا اخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله اعلم فاذا ارادوا استخراج مغيب بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مرات فتجي ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط ازواجا ويضعون ما بقي من كل سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذي بازايه وما يجتمع فيها من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتهما باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتهما ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون اخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته اشكاله من السعود والنحوس بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريبا وكثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التاليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتاخرين وهي كما رايت تحكم وهوى والتحقيق الذي ينبغي ان يكون نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المفطورين على الرجوع عن عالم الحس الى الروح ولذلك يسمي المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهريين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في اصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه اذا كان الناظر فيه من اهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام وغيرها اشغال الحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظة فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد تعرف الغيب بهذه الصناعة فهو من القول والعمل والله يهدي من يشا والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي انهم عند توجههم الى تعرف الكائنات يعتريهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتثاوب والتمطي ومبادي الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شي وانما هو ساع في تنفيق كذبه

فصل ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تاثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالمصايد لاهل العقول المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص **فمن تلك القوانين** الحساب الذي يسمونه حساب النيم وهو مذكور في اخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب من المتحاربين من الملوك وهي ان تحسب الحروف التي في اسم احدهما بحساب الجمل المصطلح عليه في حروف ابجد من الواحد الى الالف احادا وعشرات ومئين والوفا فاذا حسبت الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الاخر ثم اطرح كلا منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كانا مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين او فردين فصاحب الاقل منهما هو الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا فصاحب الاكثر هو الغالب

وان كان احدهما زوجا والاخر فردا فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وكانا معا زوجين فالمطلوب هو الغالب وان كانا معا فردين فالطالب هو الغالب ويقال هنالك بيتين في هذا العمل اشتهرا بين الناس وهما

ادى الزوج والافراد يسمو اقلها • واكثرها عند التخالف غالب
ويغلب مطلوب ان الزوج يستوي • وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا معروفا عندهم في طرح تسعة بان جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي ا الدال على الواحد وي الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات وق الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين وغ الدالة على الالف وهي واحد في مرتبة الالاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي اخر حروف ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي ايقغ ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واسقطوا مرتبة الالف منها لانها كانت اخر حروف ابجد فكان مجموع الحروف الاثنينية في المراتب ثلاثة حروف وهي ب الدالة على الاثنين في الاحاد وك الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون ور الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك في الحروف الدالة على ثلاثة فنشات عنها كلمة جلش وكذلك الى اخر الحروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية الاحاد وهي ايقغ بكر جلش دمت هنث وصخ زعذ حفظ طضغ مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبته فالواحد لكلمة ايقغ والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة جلش وكذلك الى التاسعة التي هي طضغ فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا كل حرف منه في اي كلمة هو من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم جمعوا الاعداد التي ياخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة اخذوا ما فضل عنها والا اخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه

فصل

والسر في هذا القانون بين وذلك ان الباقي في كل عقد من عقود الاعداد بعد طرح تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كانها احاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثمائة والثلاثة الاف كلها ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود في كل كلمة من الاحاد والعشرات والمئين والالوف وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نائبا عن كل حرف فيها سواء دل على الاحاد والعشرات او المئين والالاف فيوجد عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها الى اخرها كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس فيها منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرون ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها ويفعلون بها في الطرح تسعة كما يفعلون بالاخرى سواء وهي هذه ادب يسقك جزلط مدوص هف تحذث عنخ فضظ تسع كلمات على توالي العدد فيها الثلاثي والرباعي والثنائي وليست جارية على اصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من النجامة والسيميا واسرار الحروف وهو ابو العباس بن البنا ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في طرح حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقغ والله اعلم كيف ذلك وهذه كلها

مدارك للغيب غير مستندة الى برهان ولا دليل ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معزو الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الآرا البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك تصفحته ان كنت من اهل الرسوخ **ومن هذه القوانين** الصناعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرجة المسماة زايرجة العالم المعزوة الى ابي العباس السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في اخر المائة السادسة بمراكش ولعهد يعقوب المنصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يولعون بافادة الغيب منها بعملها المعروف الملغوز فيحرصون لذلك على حل رمزه وكشف غامضه وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للافلاك والعناصر وللمكونات والروحانيات وغير ذلك من اصناف الكاينات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام فلكها اما البروج واما العناصر وغيرهما وخطوط كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فمنها برسوم الزمام التي هي اشكال الاعداد عند اهل الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد ومواضع الاكوان وعلى ظهر الدائرة جدول متكثر البيوت المتقاطعة طولا وعرضا تشتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحدى وثلاثين في الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا يعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العامرة من الخالية وحافتي الزايرجة ابيات من عروض الطويل على روي اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايرجة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلاء وفي بعض جانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض اكابر اهل الحدثان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من اهل اشبيلية كان في الدولة اللمتونية ونص البيت • سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن • غرائب شك ضبطه الجد مثلا • وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايرجة وغيرها فاذا ارادوا استخراج الجواب عما يسال عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا الى الزايرجة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من اوله مارا الى المركز ثم الى المحيط الذي قبالة الطالع فياخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى اخره والاعداد المرسومة بينهما ويصيرونها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون احادها الى العشرات وعشراتها الى المئين وبالعكس فيهما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك ابن وهيب المتقدم الذكر ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في اس البرج واسه عندهم بعد البرج عن اخر المراتب عكس ما عليه الاس عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول المراتب ثم يضربونه في عدد اخر يسمونه الاس الاكبر والدور الاصلي ويدخلون بما يجتمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة واعمال مذكورة وادوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون اخرى ويقابلون بما معهم من حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده

الدور

الدور ويعاودون ذلك بعدد الادوار المعينة عندهم لذلك فيخرج اخرها حروفا متقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسبما نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرجة وقد راينا كثيرا من الخواص يتهافتون على استخراج الغيب بتلك الاعمال ويحسبون ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر لك ان الغيب لا يدرك بامر صناعي البتة وانما المطابقة التي فيها بين السؤال والجواب من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيما او موافقا للسؤال ووقوع ذلك في هذه الصناعة في تكسير الحروف المجتمعة من السؤال والاوتار والدخول في الجدول بالاعداد المجتمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف من الجدول بذلك واطراح اخرى ومعاودة ذلك في الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على التوالي غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكيا على تناسب بين هذه الاشيا فيقع له معرفة المجهول من المعلوم الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر وقد مر تعليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا المعنى ينسبون هذه الزايرجة في الغالب لاهل الرياضة فهي منسوبة للسبتي ولقد وقفت على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاناة العجيبة والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوما يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه انا وجدنا اعمالا اخرى لهم في مثل ذلك اسقطوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك في موضعه وكثير من الناس يضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونفوذه الى المطلوب فينكر صحتها ويحسب انها من التخيلات والايهامات وان صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال والاوتار ويفعل تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يجي بالبيت ويوهم ان العمل جاء به على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات والمعلومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شان كل مدرك انكار ما ليس في طوقه ادراكه ويكفينا في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحدس القطعي بها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح لا مرية فيه عند من يباشر ذلك ممن له مزيد ذكاء وحدس واذا كان كثير من المعاينات في العدد الذي هو اوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعد النسبة فيه وخفائها فما ظنك بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها فلنذكر مسالة من المعاينات يتضح لك بها شي مما ذكرناه مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس الذي اخذت واشتر بها طائرا ثم اشتر بالدراهم كلها طيورا بسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم فجوابه ان تقول هي تسعة لانك تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان عدة اثمان الواحد ثمانية فاذا جمعت الثمن من كل درهم الى الثمن من الاخر فكان كله ثمن طائر فهي ثمانية طيور عدة اثمان الواحد ويزيد على الثمانية طائرا اخر وهو المشترى بالفلوس المأخوذة اولا على سعره اشتريت بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمر بسر التناسب الذي بين اعداد المسالة والوهم اول ما يلقى اليك هذه وامثالها انما يجعله من قبيل

الغيب الذي لا يمكن معرفته فظهر ان التناسب بين الامور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها وهذا انما هو من الواقعات الحاصلة في الوجود او العلم واما الكاينات المستقبلة اذا لم يعلم اسباب وقوعها ولا يثبت لنا خبر صادق عنه فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في هذه الزايرجة انما هي في استخراج الفاظ الجواب من الفاظ السوال لانها كما رايته استنباط حروف من تلك الحروف بعينها على ترتيب اخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينها يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب يتيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام اخر من حيث موضوع الفاظه وتراكيبه على وقوع احد طرفي السوال من نفي او اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع الى مطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استاثر الله سبحانه وتعالى بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي والامم الوحشية والقبايل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه فصول وتمهيدات

فصل في ان اجيال البدو والحضر طبيعية

اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري ونشيط قبل الحاجي والكمالي فمنهم من ينتحل الفلح والغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الشاه والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها وهولا القايمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هولاء بالبدو امرا ضروريا لهم وكان حينيذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هولاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق ذلك الحاجة من الغنا والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزايد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتانق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر ثم تزيد احوال الرفه والدعة فتجي عوايد الترف البالغة مبالغها في التانق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومغالات البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنايع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويتغالون في خرثيها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس او فراش او انية او ماعون وهولاء الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هولاء من ينتحل في معاشه الصنايع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انما وارفه من اهل البدو لان احوالهم زايدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد تبين ان اجيال البدو والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه

فصل في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي

وقد قدمنا في الفصل الاول قبله ان اهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح

والقيام

والقيام على الانعام وانهم مقتصرون على الضروري من الاقوات والملابس والمساكن وساير الاحوال والعوايد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي او كمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر او الشجر او من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال والكن لا ما وراءه وقد ياوون الى الغيران والكهوف واما اقواتهم فيتناولون بها يسيرا بعلاج او بغير علاج البتة الا ما مسته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به اولى من الظعن وهولا سكان المدا سي والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في السايمة مثل الغنم والبقر فهم ظواعن في الاغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم والتقلب في الارض اصلح بها ويسمون شاوية ومعناه القايمون على الشاه والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطيبة وهولاء مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والصقالبة واما من كان معاشهم من الابل فهم اكثر ظعنا وابعد في القفر مجالا لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا تستغني به الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملحة والتقلب فصل الشتا في نواحيه فرارا من اذى البرد الى دفء هوايه وطلب الماخض لنتاج في رماله اذ الابل اصعب الحيوان فصالا ومخاضا واحوجها في ذلك الى الدفء فاضطروا الى ابعاد النجعة وربما ذادتهم الحامية عن التلول ايضا فاوغلوا في القفار نفرة عن الضعة منهم والحرابعد ولهم فكانوا لذلك اشد الناس توحشا وينزلون من اهل الحواضر منزلة الوحشي غير المقدور عليه والمفترس من الحيوانات العجم وهولاء هم العرب وفي معناهم ظواعن البربر وزناتة بالمغرب والاكراد والتركمان والترك بالمشرق الا ان العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهولاء يقومون عليها وعلى الشاه والبقر معها فقد تبين لك ان جيل العرب طبيعي لا بد منه في العمران والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

فصل في ان البدو اقدم من الحضر

وان البادية اصل العمران والامصار ومدد لها قد ذكرنا ان البدو وهم المقتصرون على الضروري في احوالهم العاجزون عما فوقه وان الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في احوالهم وعوايدهم ولا شك ان الضروري اقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه وكان الضروري اصل والكمالي فرع ناشي عنه فالبدو اصل للمدن والحضر وسابق عليهما لان اول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي الى الترف والكمال الا اذا كان الضروري حاصلا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري اليها وينتهي بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به احوال الترف وعوايده عاج الى الدعة وامكن نفسه الى قياد المدينة وهكذا شان القبايل المتبدية كلهم والحضري لا يتشوف الى احوال البادية الا لضرورة تدعوه اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته ومما يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قراه وانهم ايسروا فسكنوا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذي في الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ناشية عن احوال البداوة وانها اصل لها فتفهمه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال في جنسه فرب حي اعظم من حي وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر عمرانا من مدينة

فقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار واصل لها بما ان وجود المدن والامصار
من عوايد الترف والدعة الذي هو متاخر عن عوايد الضرورية المعاشية والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر

وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من
خير او شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه
او يمجسانه ولقدر ما يسبق اليها من احد الخلقين تبعد عن الاخر ويصعب عليها اكتسابه
فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسه عوايد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه
طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضا عوايده واهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون
الملاذ وعوايد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها فقد تلوثت انفسهم
بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عنهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك
حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في احوالهم فتجد الكثير منهم يقذعون في اقوال الفحشا
في مجالسهم وبين كبرائهم واهل محارمهم لا يصدهم عنه وازع الحشمة لما اخذتهم به عوايد
السوء في التظاهر بالفواحش قولا وعملا واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم
الا انه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شي من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها
فعوايدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة
الى اهل الحضر اقل بكثير فهم اقرب الى الفطرة الاولى وابعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات
بكثرة العوايد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد يتوضح فيما بعد
ان الحضارة هي نهاية العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير فقد تبين
ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد
في حديث البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع وقد بلغه انه خرج الى سكنى البادية
فقال له ارتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن
لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على امره ويحرسونه ولم تكن واجبة على
الاعراب اهل البادية لان اهل مكة يمسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة
والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الاعراب وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من
التعرب وهو سكنى البادية حيث لا تجب الهجرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
سعد بن ابي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم ومعناه
ان توفقهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدوا بها وهو من
باب الرجوع على العقب في السعي الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك كان خاصا بما قبل الفتح
حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلة المسلمين واما بعد الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا
وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم
لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط انشاوها عمن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها عمن اسلم
وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على انها بعد الوفاة ساقطة لان الصحابة افترقوا من
يومئذ في الافاق وانتشروا ولم يبق الا فضل السكنى بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج لسلمة

حين

حين سكن البادية ارتددت على عقبيك تعربت نعي عليه في ترك السكنى بالمدينة وهو هجرة بالاشارة الى
الدعا الماثور الذي قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعقابهم وبقوله تعربت الى انه صار من الاعراب
الذين لا يهاجرون واجاب سلمة بانكار ما الزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له
في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمة وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعي عليه
ترك السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لاذن النبي
صلى الله عليه وسلم اولى وافضل بما اثره به واختصه الا لمعنى علمه فيه وعلى كل تقدير فليس فيه
دليل على مذمة البدو وعبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى
الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل
على مذمة التعرب والله اعلم

فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضر

والسبب في ذلك ان اهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم
والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم
والحامية التي تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول
دونهم لا تهيجهم هيعة ولا ينفر لهم صيد فهم غارون امنون قد القوا السلاح وتوالت على ذلك
منهم الاجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على ابي مثواهم حتى صار ذلك
خلقا يتنزل منزلة الطبيعة واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم
عن الحامية وانتيادهم عن الاسوار والابواب قائمون بالمدافعة عن انفسهم لا يكلونها الى لعله انتباذهم
سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دايما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق
ويتجافون عن الهجوع الا غرارا في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب ويتوجسون للنبات
والهيعات ويتفردون في القفر والبيدا مدلين ببأسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم البأس
خلقا والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم داع او استفزهم شي من امر انفسهم وذلك
مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل وسبب ذلك
ما شرحناه وذلك ان الانسان ابن عوايده ومالوفه لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي الفه من الاحوال ل
حتى صار له خلقا وملكة وعادة تتنزل منزلة الطبيعة والجبلة واعتبر ذلك في الادميين تجده
كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء وهو على كل شي قدير

فصل في ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للباس

فيهم ذاهبة بالمنعة منهم وذلك انه ليس كل احد مالك امر نفسه اذ الروساء والامراء المالكون
لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان كانت
الملكة رفيقة وعادلة لا يعاني منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها مدلين بما في انفسهم
من شجاعة او جبن واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم الادلال جبلة لا يعرفون سواها واما
اذا كانت الملكة واحكامها بالقهر والسطوة فتكسر حسه من سورة باسهم وتذهب المنعة عنهم
لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة كما نبينه وقد نهى عمر سعدا رضي الله عنهما
عن مثلها لما اخذ زهرة بن حوية سلب الجالينوس وكانت قيمته خمسا وسبعين الفا من الذهب

وكان اتبع الجالينوس يوم القادسية فقتله واخذ سلبه فانتزعه سعد وقال الا انتظرت اتباعه اذني وكتب الى عمر يستاذنه فكتب اليه عمر تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك ما بقي من حربك فتكسر فوقه وتفسد قلبه وامضى له عمر سلبه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للباس بالكلية لان وقوع العقاب ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سورة باسه بلا شك واما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثرت في ذلك بعض الشي لمرباه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا بباسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد باسا ممن تاخذه الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم في التاديب والتعلم في الصنائع والعلوم والديانات ينتقص ذلك من باسهم كثيرا ولا يكادون يدفعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شان طلبة العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والايمة الممارسين للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والهيبة فيهم في هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والباس ولا يستنكر ذلك بما وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من باسهم بل كانوا اشد الناس باسا لان الشارع صلوات الله وسلامه عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيه من انفسهم لما تلا عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعي ولا تاديب تعليمي انما هي احكام الدين وادابه المتلقاة نقلا ياخذون انفسهم بها بما رسخ فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تزل سورة باسهم مستحكمة كما كانت ولم تخدشها اظفار التاديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا ادبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه ويقينا بان الشارع اعلم بمصالح العباد ولما تناقص الدين في الناس واخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يوخذ بالتعليم والتاديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة الباس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للباس لان الوازع فيها اجنبي واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما تؤثر في اهل الحضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والاداب ولهذا قال محمد بن ابي زيد في كتابه في احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان في التعليم فوق ثلاث سياط نقله عن شريح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع من حديث بدء الوحي من شان الغط وانه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شان الغط ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

فصل في ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية

اعلم ان الله تعالى ركب في طباع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال فالهمها فجورها وتقواها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهمل في مرعى عوائده ولم يهذبه الاقتدا بالدين وعلى ذلك الجم الغفير الا من وفقه الله تعالى ومن اخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعضهم على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الا ان يصده وازع كما قال • والظلم من شيم النفوس فان تجد •

بعضهم

ذا عفة فلعلة لا يظلم • فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدي من تحتهم من الكافة ان يمتد الى بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة السلطان والقهر عن التظالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة او الغرة ليلا او العجز عن المقاومة نهارا او يدفعه ذيادة الحامية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة واما احياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراوهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة واما حللهم فانما يذود عنها من خارج حامية الحي من انجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وذيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم اذ نعرة كل احد على نسبه وعصبيته اهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي ارحامهم وقرباهم موجود في الطبايع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القران عن اخوة يوسف عليهم السلام حين قالوا لابيهم لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على احد مع وجود العصبة له واما المنفردون في انسابهم فقل ان يصيب احدا منهم نعرة على صاحبه فاذا اظلم الجو بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة بنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقدرون من اجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينئذ طعمة لمن يلتهمهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج الى المدافعة والحماية فبمثله يتبين لك في كل امر يحمل الناس عليه من نبوة او اقامة ملك او دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طباع البشر من الاستعصا ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه انفا فاتخذه اماما تقتدي به فيما نورده عليك من بعد والله سبحانه الموفق للصواب

فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام في النسب وما في معناه

وذلك ان صلة الرحم طبيعي في البشر الا في الاقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى واهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه او العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصيبه من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشي فربما تنوسي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي رحمه بالامر المشهور منه فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والحلف اذ نعرة كل احد على اهل ولائه وحلفه للانفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها او قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب او قريبا منها ومن هنا يفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمي لا حقيقة له ونفعه انما هو في هذه الوصلة والالتحام فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعرة كما قلناه واذا كان انما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته وصار الشغل فيه مجانا ومن اعمال اللهو المنهي عنه ومن هذا الاعتبار

معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه من النفس وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة حينئذ فيه

فصل في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم

وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل ونتاجها ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجره ونتاجها في رماله كما تقدم والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم الفا وعادة وربيت فيها اجيالهم حتى تمكنت خلقا وجبلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم في حالهم ولا يانس بهم احد من الاجيال بل لو وجد واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وانساب هولا بينهم محفوظة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني اسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لما كانوا من اهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا عن ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شوب واما العرب الذين كانوا بالتلول من معادن الخصب للمرعى والعيش من حمير وكهلان مثل لخم وجذام وغسان وطي وقضاعة واياد واختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبيل العجم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط قال عمر تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من قرية كذا فهذا الى ما لحق هولاء العرب اهل الارياف من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصبة فكثر الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند امرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية بدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان

فصل في اختلاط الانساب كيف يقع

انه من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب اخر بنزوع اليهم او حلف او ولاء او لفرار من قومه بجناية اصابها فيدعى بنسب هولاء ويعد منهم في ثمراته من النعرة والقود وحمل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب فكانه وجد لانه لا معنى لكونه من هولاء الا جريان احكامهم واحوالهم عليه وكانه التحم بهم ثم انه تدرس النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم به فيخفى على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم باخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم وانظر اختلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شي من ذلك ومنه شان بجيلة في عرفجة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم الاعفا منهم وقالوا هو فينا نزيع اي دخيل ولصيق وطلبوا ان يولي عليهم جريرا فسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا امير المومنين انا رجل من الازد اصبت

دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه كيف اختلط عرفجة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنوسي بالجملة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود والله بعلم ما بينا سبحانه

فصل في ان الرياسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم

وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرياسة على القوم ان يكون من عصبة غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة لان كل عصبة منهم اذا احست بغلب عصبة الرئيس لهم اقروا بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو ملصق لزيق وغاية التعصب له بالولاية والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة واذا فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسي عهده الاول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام او لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في بيت واحد تعين له الغلب بالعصبية فالاولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ فكيف يترتب عنه وهو على حال الالصاق والرياسة لا بد وان تكون موروثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية

وقد يتشوف كثير من الروسا على القبائل والعصائب الى انساب يلهجون بها اما لخصوصية فضيلة كانت في اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدح في رياستهم والطعن في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد فمن ذلك ما يدعيه زناتة جملة انهم من العرب وهم ادعا اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احد ومن ذلك ادعا زغبة انهم من بني سليم ثم من الشريد منهم لحق جدهم ببني عامر نجارا يصنع الحرجان واختلط بهم والتحم بنسبهم حتى راس عليهم ويسمونه الحجازي ومن ذلك ادعا بني عبد القوي بن عباس بن توجين انهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية بن عبد القوي ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبيديين فكيف يسقط العباسي الى احد من شيعة العلويين وكذلك ما يدعيه ابنا زيان ملوك بني عبد الواد انهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزناتي انت القاسم اي بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس وان كان هذا صحيحا فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجيرا بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبيل اسم القاسم فانه كثير الوجود في الادارسة فتوهموا انه قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم الملك والعزة انما كان لعصبيتهم ولم يكن بادعا علوية ولا عباسية ولا شي من الانساب وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم ويشتهر حتى يبعد عن الرد ولقد بلغني ان يغمراسن بن زيان مؤثل سلطانهم انه لما قيل له ذلك انكره وقال بلغته الزناتية ما معناه ان الرياسة والملك نلناه بسيوفنا لا بهذا النسب واما نفعه في الاخرة فمردود الى الله واعرض عن التقرب اليه بذلك ومن هذا

الباب ما يدعيه بنوا سعد شيوخ بني يزيد من زغبة انهم من ولد ابي بكر الصديق وبنوا سلامة
شيوخ بني يدللتن من توجين انهم من سليم وكذا الدواودة شيوخ رياح انهم من اعقاب
البرامكة وكذا بنو مهنا امراء طي بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم من اعقابهم وامثال ذلك
كثير ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل تعين ان يكونوا من صريح ذلك
النسب واقوى عصبائه فاعتبره واجتنب المغالط فيه ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي
الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة في هرغة قومه وانما راس
من عليهم بعد اشتهاره بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة في دعوته وكان مع ذلك من اهل
المنابت المتوسطة فيهم والله اعلم بالغيب

فصل في ان البيت والشرف

بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه وذلك ان الشرف
والحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل اباه اشرافا مذكورين يكون له بولادتهم
اياه والانتساب اليهم تجلة في اهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بخلالهم
والناس في نشوئهم وتناسلهم معادن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فمعنى الحسب راجع الى الانساب
وقد بينا ان ثمرة الانساب وفائدتها انما هي العصبية للنعرة والتناصر فحيث تكون العصبية
مرهوبة ومخشية والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعديد
الاشراف من الاباء زائد في فائدتها فيكون الشرف والحسب اصلا في اهل العصبية لوجود ثمرة
النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لانه سرها ولا يكون للمنفردين من
اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهموه فزخرف من الدعاوي واذا اعتبرت الحسب في اهل الامصار
وجدت معناه ان الرجل منهم يعد سلفا في خلال الخير ومخالطة اهله مع الركون الى العافية
ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبية التي هي ثمرة النسب وتعديد الاباء لكنه يطلق عليه
حسب وبيت بالمجاز لعلاقة ما فيه من تعديد الاباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه
وليس حسبا بالحقيقة وعلى الاطلاق وقد يكون للبيت شرف اول بالعصبية والخلال ثم
ينسلخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس
ذلك الحسب يعدون به انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصائب وليسوا منها في شيء
لذهاب العصبية جملة وكثير من اهل الامصار الناشئين في بيوت العرب او العجم لاول عهدهم
موسوسون بذلك واكثر ما رسخ الوسواس في ذلك لبني اسرائيل فانه كان لهم بيت من اعظم
بيوت العالم بالمنبت اولا لما تعدد في سلفهم من الانبيا والرسل من لدن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصبية ثانيا وما اتاهم الله بها من الملك
الذي وعدهم به ثم انسلخوا من ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في
الارض وانفردوا بالاستعباد والكفر الوفا من السنين ثم ما زال هذا الوسواس مصاحبا
لهم فتجدهم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا
مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار وغيرهم
المنقطعين في انسابهم عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان وقد غلط ابو الوليد بن رشد
في هذا لما ذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الاول فقال والحسب هو ان يكون من
قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليت شعري ما الذي ينفعه قدم نزلهم

بالمدينة ان لم تكن له عصابة يرهب بها جانبه ويحمل غيرهم على القبول منه فكانه اطلق الحسب مع ان
الخطابة انما هي استمالة من يؤثر استمالته وهم اهل الحل والعقد واما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت
اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحضر بهذه المثابة الا ان ابن رشد
ربي في جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا انسوا احوالها فبقي في امر البيت والحسب على الامر
المشهور من تعديد الاباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخليقة والله اعلم

فصل في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم

وذلك انا قدمنا لك ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل
العصبية قوما من غير نسبهم او استرقوا العبيد والموالي والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم اولئك
الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتها كانها عصبتهم وحصل لهم من
الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء
كان مولى رق او مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصبية اذ هي
مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب
الاخر وفقدانه اهل عصبيتها فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الاباء في هذه
العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته في ولائه واصطناعهم لا يتجاوزه الى شرفهم بل يكون
ادون منهم على كل حال وهذا شان الموالي في الدول والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ
في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الاباء في ولايتها الا ترى الى موالي الاتراك في دولة بني العباس
والى بني برمك من قبلهم وبني نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنوا المجد والاصالة بالرسوخ
في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد
وقومه لا بالانتساب للفرس وكذا موالي كل دولة وخدمها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ
في ولايتها والاصالة في اصطناعها ويضمحل نسبه الاقدم ان كان من غير نسبها ويبقى ملغى
لا عبرة به في اصالته ومجده وانما المعتبر نسبة ولائه واصطناعه اذ فيه سر العصبية التي بها
البيت والشرف فكان شرفه مشتقا من شرف مواليه وبناؤه من بنائهم فلم ينفعه نسب ولادته
وانما بنا مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبه الاول في لحمة
عصبته وانتفع بالثاني لوجودها وهذا حال بني برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس
من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما
كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس
الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان اكرمكم عند الله اتقاكم

فصل في نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة ابا

اعلم ان العناصري بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من احواله والمكونات من المعدن
والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنة فاسدة بالمعاينة وكذلك ما يعرض لها
من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشا ثم تدرس وكذلك الصنائع وامثالها
والحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد احد من اهل
الخليقة شرف متصل في ابائه من لدن ادم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة
به وحياطة على السر فيه واول كل شرف خارجية ومعناه ان كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه

شأن كل محدث ثم ان نهايته في اربعة اباء من عقبه وذلك ان باني المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذه عنه الا انه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاين له ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فيترفع بنفسه على اهل عصبيته ويرى الفضل له عليهم وثوقا بما ربي فيه من استتباعهم وجهلا بما اوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينتقضون عليه ويحتقرونه ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للاذعان لعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتنمو فروع هذا وتذوي فروع الاول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واشتراط الاربعة في الانساب انما هو في الغالب والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة ويتلاشى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم اشارة الى انه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه انا الله طائق غيور مطالب بذنوب الاباء البنين على الثوالث وعلى الروابع وهو يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب والله اعلم

فصل في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب ممن سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لا جرم كان هذا الجيل الوحشي اشد شجاعة من الجيل الآخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في ايدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد تختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياف وسكنوا النعيم والفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الظباء والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين واخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدة حتى في مشيتها وحسن اديمها وكذلك الادمي المتوحش اذا انس والف وسببه ان تكون السجايا والطبائع انما هو عن المألوفات والعوائد واذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا في العدد وتكافآ في القوة والعصبية وانظر في ذلك شان مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين ارياف العراق ونعيمه لما بقي مضر في بداوتهم وتقدمهم الآخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف ارهفت البداوة حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في ايديهم وانتزعوه منهم وهذا حال بني عامر بن صعصعة وبني سليم ابن منصور من بعدهم لما تأخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر ولم يلتبسوا بشيء من دنياهم

كيف

كيف امسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلقها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حي من العرب يلي نعيما وعيشا خصبا دون الحي الآخر فان الحي المتبدي يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافآ في القوة والعدد سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تحويلا

فصل في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وذلك لانا قدمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجتمع عليه وقدمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زائد على الرياسة لان الرياسة انما هي سؤدد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة السؤدد والاتباع ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رايت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية اقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كانها عصبية واحدة كبرى والا وقع الافتراق المفضي الى الاختلاف والتنازع ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ثم اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على اهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافأتها او مانعتها كانوا اقتالا وانظارا ولكل واحدة منهما التغلب على حوزتها وقومها شان القبائل والامم المتفرقة في العالم وان غلبتها واستتبعتها التحمت بها ايضا وزادتها قوة في التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى وابعد وهكذا دائما حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة فان ادركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من اولياء الدولة اهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة وانما قارن حاجتها الى الاستظهار باهل العصبيات انتظمتها الدولة في اوليائها تستظهر بها على ما يعن من مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبد وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس ولصنهاجة وزناتة مع كتامة ولبني حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبية وانها اذا بلغت الى غايتها حصل للقبيلة الملك اما بالاستبداد او بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وان عاقها عن بلوغ الغاية عوائق كما نبينه وقفت في مكانها الى ان يقضي الله بامره والله اعلم

فصل في ان عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقدارها وشاركت اهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شيء من منازع الملك ولا اسبابه انما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو اليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتنعمون فيما اتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم واعقابهم في مثل ذلك

من الترفع عن خدمة انفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن سائر الامور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الاجيال بعدهم الى ان تنقرض العصبية فيتأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرافهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهمتهم الامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فصل في ان من عوائق الملك حصول المذلة

للقبيل والانقياد لسواهم وسبب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رئموا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى الى ملك الشام واخبرهم بان الله تعالى قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها اي يخرجهم الله تعالى منها بضرب من قدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجوا وارتكبوا العصيان وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا وما ذلك الا لما آنسوا من انفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما رئموا من الذل للقبط احقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام لهم وان العمالقة الذين كانوا باريحا فريستهم بحكم من الله قدره لهم فاقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلا على ما علموا من انفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما اخبرهم به نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهو انهم تاهوا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر اربعين سنة لم يأووا فيها لعمران ولا نزلوا مصرا كما قصه القرآن لغلظة العمالقة والقبط بمصر عليهم ولعجزهم عن مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق الآية ومفهومها ان حكمة ذلك التيه مقصودة وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به وافسدوا من عصبيتهم حتى نشأ في ذلك التيه جيل آخر عزيز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبية اخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين سنة اقل ما يأتي فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر سبحان الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل على شأن العصبية وانها هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وان من فقدها عجز عن جميع ذلك والله ينصر من يشاء **ويلحق بهذا الفصل** فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما اعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لان في المغارم والضرائب ضيما ومذلة لا تحتملها النفوس الابية الا اذا استهونته عن القتل والتلف وان عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبيته لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة عائقة كما قدمناه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة المحراث في بعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب للذلة

هذا

هذا الى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القبيل بالمغرم في ربقة الذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زناتة كانوا بدوا مغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت ولو وقع ذلك لم يتم لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر فيما قاله شهربراز ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهربراز امانه على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصعري معكم فمرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف والله سبحانه اعلم

فصل في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لما كان الملك طبيعيا للانسان لانه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه واما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخلاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذن خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذ الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان المجد له اصل ينبني عليه وتتحقق به حقيقته وهو العصبية والعشير وفرع يتمم وجوده ويكمله وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفروعها ومتمماتها لان وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء او ظهوره عريانا بين الناس واذا كان وجود العصبية فقط من غير انتحال الخلال الحميدة نقصا في اهل البيوت والاحساب فما ظنك باهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا فالملك والسياسة هي كفالة للخلق وخلافة لله تعالى في العباد لتنفيذ احكامه فيهم واحكام الله تعالى في خلقه انما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد له الشرائع واحكام البشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرته سبحانه وقدره فانه فاعل الخير والشر معا ومقدرهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة واونست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام الله في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من الاول واصح مبنى فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فمن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم وجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدوم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يحددونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانقياد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا ساسة لمن تحت ايديهم او على العموم وانه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسب لعصبيتهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك انسب المراتب والخيرات لعصبيتهم فعلمنا بذلك ان الله تأذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك اذا تأذن الله تعالى

بانقراض الملك من امة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص الى ان يخرج الملك من ايديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيا عليهم في سلب ما كان الله تعالى قد اتاهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقرئ ذلك وتتبعه في الامم السالفة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار واعلم ان من خلال الكمال التي تتنافس فيها القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلما والصالحين والاشراف واهل الاحساب واصناف التجار والغربا وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصبيات والعشائر لمن يناهضهم ويجاذبهم من جيل العشير والعصبية ويشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يحمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او المخافة من قومه او التماس مثلها منه واما امثال هولاء فمن ليس له عصبية تتقى ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شان كرامتهم ويتمحض القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقتاله وامثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيلة ونظرايه واكرام الطارئين من اهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة الخاصة بين قبيله ونظرايه العامة فالصالحون للدين والعلماء للجاء اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بما في ايديهم والغربا من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصبية انتماؤهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد اذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا كان اول ما يذهب من القبيل اهل الملك اذا اذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايت قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له

فصل في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع

وذلك انهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم يتنزلون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهولاء مثل العرب وزناتة ومن في معناهم من الاكراد والتركمان واهل اللثام وصنهاجة وايضا فهولاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون فيه ولا بلد يجنحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يقفون عند حدود الاقاليم بل يطفرون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكى في ذلك عن عمر رضي الله تعالى عنه لما بويع وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك اين القرا المهاجرون من موعد الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وحمير كيف كانوا يخطون من اليمن الى المغرب مرة والى العراق والهند اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال الملثمين بالمغرب لما نزعوا الى الملك طفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السودان الى الاقليم الرابع والخامس

في ممالك

في ممالك الاندلس من غير واسطة وهذا شان هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع نطاقا وابعد من مراكزها نهاية والله يقدر الليل والنهار سبحانه له الحكم واليه ترجعون

فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من عوده

الى شعب اخر منها ما دامت لهم العصبية والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم من سائر الامم سواهم فيتعين منهم المباشرون للامر الحاملون لسرير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاحمة والغيرة التي تجدع انوف كثير من المتطاولين للرتبة فاذا تعين اولئك القائمون بالدولة انغمسوا في النعيم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك الجيل وانفقوهم في وجوه الدولة ومذاهبها وبقي الذين بعدوا عن الامر وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام واباد غضرايهم وطحنتهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارهف النعيم من حدهم واستقت غريزة الترف من مائهم وبلغوا غايتهم من طبيعة التمدن الانساني والتغلب السياسي

كدود القز ينسج ثم يفنى ... بمركز نسجه في الانعكاس

كانت حينئذ عصبية الاخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر محفوظة وشارتهم في الغلب معلومة فتسمو امالهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر ويصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقي ايضا منتبذا عنه من عشائر امتهم فلا يزال الملك ملجا في الامة الى ان تنكسر سورة العصبية منها او تفنى سائر عشائرها سنة الله في الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين واعتبر ذلك بما وقع في الامم لما انقرض ملك عاد قام به من بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ومن بعدهم اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم التبابعة من حمير ايضا ومن بعدهم الاذواء وكذلك ثم جاءت الدولة للمضر وكذا الفرس وانقرض امر الكينية ملك بعدهم الساسانية حتى اذن الله بانقراضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقرض امر مغراوة وكتامة الملوك الاول منهم رجع الى صنهاجة ثم الملثمين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه واصل هذا كله انما يكون بالعصبية وهي متفاوتة في الاجيال والملك يخلقه الترف ويذهبه كما سنذكر بعد فاذا انقرضت دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لسائر العصبيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل الذي يأذن الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لمضر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من ايدي العالم بعد ان كانوا مكبوحين عنه اياما

فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب

في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده والسبب في ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فمن غلبها وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ولما تغالط

به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتدا او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة باس وانما هو بما انتحلته من العوايد والمذاهب تغالط بذلك ايضا عن الغلب وهذا راجع الى الاول فلذلك ترى المغلوب يتشبه ابدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها واشكالها بل وفي ساير احواله وانظر ذلك في الابنا مع ابايهم كيف تجدهم متشبهين بهم دايما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زي الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والاقتدا حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع امم الجلالقة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم وكثير من عوايدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه علامة الاستيلا والامر لله وتامل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من بابه اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اقتدا الابنا بابايهم والمتعلمين بمعلميهم والله العليم الحكيم

فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملكة غيرها اسرع اليها الفنا والسبب فيه والله اعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل والاعتمار انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة لكل اكل وسوا كانوا حصلوا على غايتهم من الملك او لم يحصلوا وفيه والله اعلم سر اخر وهو ان الانسان رييس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرييس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل عن شبع بطنه وري كبده وهذا موجود في اخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافد اذا كانت في ملكة الادميين فلا يزال هذا القبيل المملوك امره عليه في تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم الفنا والبقا لله وحده واعتبر ذلك في امة الفرس كيف كانت قد ملات العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب بقي منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعدا احصى ما ورا المداين فكانوا مايه الف وسبعة وثلاثين الفا منهم تسعة وثلاثون الفا رب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاوهم الا قليلا ودثروا كان لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك لظلم نزل بهم او عدوان شملهم فملكة الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على امره وصار آلة لغيره ولهذا انما يذعن للرق في الغالب امم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه او من يرجو بانتظامه في ربقة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع للترك بالمشرق والعلوج من الجلالقة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يانفون من الرق لما يؤملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة

فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط وذلك انهم بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى منتجعهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاحفة والمحاربة الا اذا دفعوا بذلك عن انفسهم

لكل

لكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يتعرضون له والقبايل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة من عيثهم وفسادهم لانهم لا يتسنمون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسايط فمتى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لاكلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله يفعل ما يشا في خلقه ويحكم ما يريد سبحانه لا معقب لحكمه

فصل في ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوايد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه اثافي للقدر فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعدونه لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعمدوا به خيامهم ويتخذوا منه الاوتاد لبيوتهم فيخربون السقوف عليها لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبنا الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في اخذ اموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب العمران وايضا فلانهم يكلفون على اهل الاعمال من الصنايع والحرف اعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والثمن والاعمال كما سنذكره هي اصل المكاسب وحقيقتها واذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت الامال في المكاسب وانقبضت الايدي عن العمل وابذعر الساكن وفسد العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفاسد ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما ياخذونه من اموال الناس نهبا او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعده من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن اغراض المفاسد وربما فرضوا العقوبات في الاموال حرصا على تحصيل الفايدة والجباية والاستكثار منها كما هو شانهم وذلك ليس بمغن في دفع المفاسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زايدا فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كانها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحيا فيتعدد الحكام منهم والامرا وتختلف الايدي على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما ساله عن الحجاج واراد الثنا عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه واقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فاليمن قرارهم خراب الا قليلا من الامصار وكذلك عراق العرب قد خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ الماية الخامسة وتمرسوا بها لثلاثماية وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسايطه خرابا كلها بعد ان كان

ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمداين والله تعالى وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين سبحانه لا رب غيره ولا معبود سواه

فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة والسبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقل ما تجتمع اهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوات والولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة والوازع عن التحاسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على القيام بامر الله تعالى ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق وياخذ بمحمودها ويولف كلمتهم لاظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيئ لقبول الخير ببقايه على الفطرة الاولى وبعده عما ينطبع به النفس من قبيح العوايد وسوء الملكات فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم والله سبحانه اعلم

فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك انهم اكثر بداوة من ساير الامم وابعد مجالا في القفر واغنى عن حاجات التلول وحبوبها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لايلافهم ذلك وللتوحش ورييسهم محتاج اليهم غالبا للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شان عصبيته فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي ان يكون السايس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسته وايضا فمن طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة والتجافي عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع باخذ ما في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام بينهم وربما جعلوا العقوبات على المفاسد في الاموال حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل الفوايد فلا يكون ذلك وازعا وربما يكون باعثا بحسب الاغراض الباعثة على المفاسد واستهانة ما يعطي من ماله في جانب غرضه فتنمو المفاسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كانها فوضى مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شان الفوضى كما قدمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليه بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصبغة دينية تمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيد لهم الدين امر السياسة بالشريعة واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوي سلطانهم كان رستم اذا راى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول اكل عمر كبدي يعلم الكلاب الاداب ثم انه بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطا النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا انه للخلفاء وهو من جيلهم ولما ذهب امر الخلافة وامحى رسمها انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليهم العجم دونهم واقاموا بادية في قفارهم

لايعرفون

لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان لاحد في الخليقة ما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بني امية وبني العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايته الا تخريب ما يستولون عليه من العمران والله يوتي ملكه من يشاء

فصل في ان البوادي من القبايل والعصايب مغلوبون لاهل الامصار قد تقدم ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البدو وانما يوجد لديهم في مواطنهم امور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنايع فلا توجد لديهم بالكلية من نجار وخياط وحداد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضرورات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدنانير والدراهم مفقودة لديهم وانما بايديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان او فضلاته البانا واوبارا واشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم الا ان حاجتهم الى الامصار في الضروري وحاجة اهل الامصار في الحاجي والكمالي فهم محتاجون الى اهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم الى ذلك وطالبوهم به وان كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلبة الملك وان لم يكن في المصر ملك فلا بد فيه من رياسة ونوع استبداد من بعض اهله على الباقين والا انتقض عمرانه وذلك الرييس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه اما طوعا ببذل المال لهم ثم يبيح لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقين فيضطر الباقون الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهة اخرى لان كل الجهات معمورة بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوها عن غيرهم فلا يجدون ملجا الا طاعة المصر فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول

والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما في ذلك من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

فصل في ان الملك والدول العامة انما يحصل بالقبيل والعصبية وذلك انه قد تقرر في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشي منها لا يقع الا بالعصبية كما ذكرناه ايضا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيد الدولة منذ اولها وطال امد مرباهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب الدولة قد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبية في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه خصوصا اهل الاندلس

في نسيان هذه العصبية لطول الامد واستغنايهم في الغالب بحسن قوة العصبية بما يلاشي وطنهم وخلاعن العصايب والله تعالى يفعل ما يشاء سبحانه **فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية** والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للغرابة وان الناس لم يالفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحد بعد اخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شان الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة الرياسة ورسخ في العقايد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على امرهم قتالهم على العقايد الايمانية فلم يحتاجوا في حمايته امرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها كتاب من الله تعالى لا يبدل ولا يعلم خلافه ولامر ما يوضع الكلام في الامامة اخر الكلام في العقايد الايمانية لانه من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما بالموالي والمصطنعين الذين نشوا في ظل العصبية وغيرها واما بالعصايب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبني العباس فان عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالي من العجم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم والاوليا على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم يكن يعدو اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها وصار الخلايف في حكمهم ثم انقرض امرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض امرهم وزحف اخر التتر فقتلوا الخليفة ومحوا رسم الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم من المائة الخامسة او ما قبلها واستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية وبجاية والقلعة وساير ثغور افريقية وربما انتزى بتلك الثغور من نازعهم ذلك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى ياذن الله بانقراض الدولة وجا الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحوا اثارهم وكذا دولة بني امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوايف على امرها واقتسموا خطتها ه وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزى كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بانفه وبلغهم شان العجم مع الدولة العباسية فتلقبوا بالقاب الملك ولبسوا شارته وامنوا ممن ينقض ذلك عليهم او يغيره لان الاندلس ليست بدار عصايب ولا قبايل كما سنذكره واستمر لهم ذلك كما قال ابن الاشرف

تلقبوا

مما يزهدني في ارض اندلس ۔ اسما معتصم فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها ۔ كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

فاستظهروا على امرهم بالموالي والمصطنعين والطرا على الاندلس من ارض العدوة من ارض البربر زناتة وغيرهم اقتداء بالدولة في اخر امرها في الاستظهار بهم حين ضعفت عصبية العرب واستبد ابن ابي عامر على الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد منها بجانب الاندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم يزالوا في ملكهم حتى جاز اليهم البحر المرابطون اهل العصبية القوية من لمتونة فاستبدلوا بهم وازالوهم عن مراكزهم ومحوا اثارهم ولم يقتدروا على مدافعتهم لفقدان العصبية لديهم فبهذه العصبية يكون تمهيد الدولة وحمايتها من اولها وقد ظن الطرطوشي ان حامية الدول باطلاق هم الجند اهل العطا المفروض مع الاهلة ذكر ذلك في كتابه الذي سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول تاسيس الدول العامة في اولها وانما هو مخصوص

بالدول

بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصبغة لاهله والرجل انما ادرك الدولة عند هرمها وخلق جدتها ورجوعها الى الاستظهار بالموالي والصنايع ثم الى المستخدمين من ورايهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوايف وذلك عند اختلال دولة بني امية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره وكان في ايالة المستعين بن هود وابنه المظفر اهل سرقسطة ولم يكن بقي لهم من امر العصبية شي لاستيلا الترف على العرب منذ ثلثماية من السنين وهلاكهم ولم يروا الا سلطانا مستبدا بالملك عن عشايره قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصبية فهو لذلك لا ينازع فيه ويستعين على امره بالاجرا من المرتزقة فاطلق الطرطوشي القول في ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدولة وانه لا يتم الا لاهل العصبية فتفطن انت له وافهم سر الله تعالى فيه والله يوتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فصل في انه قد يحدث لاهل النصاب الملكي دولة

تستغني عن العصبية وذلك انه اذا كان لعصبيته غلب كثير على الامم والاجيال وفي نفوس القايمين به من اهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتملوا عليه وقاموا بامره وظاهروه على شانه وعنوا بتمهيد دولته يرجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يد اعضايه ولا يطمعون في مشاركته في شي من سلطانه تسليما لعصبيته وانقيادا لما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية استقرت في الاذعان لهم فلو راموها معه او دونه لزلزلت الارض زلزالها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيديين بافريقية ومصر لما انتبذ الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها من يد بني العباس بعد ان استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني امية اولا ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فاوربة ومغيلة للادارسة وكتامة وصنهاجة وهوارة للعبيديين فشدوا دولتهم ومهدوا بعصايبهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيديين يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلامية شق الابلمة وهولاء البرابرة القايمون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيديين امرهم مذعنون لملكهم وانما كانوا يتنافسون في الرتبة عندهم خاصة تسليما لما حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكم من الغلب لقريش ومضر على ساير الامم فلم يزل الملك في اعقابهم الى انقراض دولة العرب باسرها

فصل في ان الدول العامة الاستيلا العظيمة الملك اصلها الدين

اما من نبوة او دعوة حق وذلك ان الملك انما يحصل بالتغلب والغلب انما يكون بالعصبية ه واتفاق الاهوا على المطالبة وجمع القلوب وتاليفها انما يكون بمعونة من الله تعالى في اقامة دينه قال تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ان القلوب اذا تداعت الى اهوا الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله تعالى اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما نبين لك بعد ان شا الله تعالى

فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها

من عددها والسبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في

اصل العصبية وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين الفا في كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعمائة الف فلم يقف للعرب احد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بايديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة لمتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصبية ويشف عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتقض الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كانت تحت يدها من العصائب المكافئة لها او الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم بمضاعفة الدين لقوتها وكانوا اكثر عصبية منها واشد بداوة واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة ابدا من المصامدة واشد توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا على زناتة اولا واستتبعوهم وان كانوا من حيث العصبية والبداوة اشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زناتة من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه من ايديهم والله يؤتي ملكه من يشاء

فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم

وهذا لما قدمناه من ان كل امر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع النعلين في التصوف ثار بالاندلس داعيا الى الحق وسمي اصحابه بالمرابطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلا لشغل لمتونة بما دهمهم من امر الموحدين ولم يكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شانه فلم يلبث حين استولى الموحدون على المغرب ان اذعن ودخل في دعوتهم وتابعهم من معقله بحصن اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين ومن هذا الباب احوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله تعالى فيكثر اتباعهم والمتلبسون بهم من الغوغاء والدهماء ويعرضون انفسهم في ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير ماجورين لان الله سبحانه وتعالى لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال الدول والملوك راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء في دعوتهم الى الله تعالى بالعصائب والعشائر وهم المؤيدون من الله تعالى لو شاء بالكون كله لكنه انما اجرى الامور على مستقر العادة والله حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محقا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من الملبسين بذلك في طلب الرئاسة

فاحذر

فاحذر ان لا تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعانته والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة واول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وابطا المامون بخراسان عن مقدم بغداد ثم عهد لعلي بن موسى الرضا من ال الحسين فكشف بنو العباس وجه النكير عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة المامون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن المهدي فوقع الهرج ببغداد وانطلقت ايدي الزعرة بها من الشطار والحربية على اهل العافية واهل الصون وقطعوا السبيل وامتلات ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الاسواق واستعدى اهلها الحكام فلم يعدوهم فتوافر اهل الدين والصلاح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوش ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الذعارة وغلبهم واطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصاري ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفا في عنقه ودعا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه فاتبعه كافة الناس من شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من اخاف المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار وقال له خالد الدريوش انا لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من كان وذلك في سنة احدى ومائتين وجهز له ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه واسره وانحل امره سريعا وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين ياخذون انفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون في اقامته من العصبية ولا يشعرون بمغبة امرهم ومآل احوالهم والذي يحتاجوا اليه في امر هولاء من المداواة وان كانوا من اهل الجنون واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجا واما اذاعة السخرية منهم وعدهم في جملة الصفاعين وقد ينتسب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما بانه هو او داع له وليس مع ذلك على علم من امر الفاطمي ولا ما هو واكثر المنتحلين لمثل هذا تجدهم موسوسين او مجانين او ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رئاسة امتلات بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشيء من اسبابها العادية فيحسبون ان هذا من الاسباب البالغة بهم الى ما يؤملونه من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة ويسوء عاقبة امرهم وقد كان لاول هذه المائة خرج بالسوس رجل من المتصوفة يدعى التويزري عمد الى مسجد ماسة بساحل البحر هنالك وزعم ان الفاطمي المنتظر تلبيسا على العامة هنالك بما ملا قلوبهم من الحدثان بانتظاره وان من ذلك المسجد يكون اصل دعوته فتهافتت عليه طوائف من عامة البربر تهافت الفراش حتى خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسيوي من قتله في فراشه وكذلك خرج في غمارة لاول هذه المائة ايضا رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع دعوته الارذلون من سفهاء تلك القبائل وغمارهم وزحف الى بادس من امصارهم ودخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوما من دعوته ومضى في الهالكين الاولين وامثال ذلك كثير والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية في مثلها واما ان كان التلبيس فاحرى ان لا يتم له امر وان يبوء باثمه وذلك جزاء الظالمين

فصل في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاوطان لا تزيد عليها

والسبب في ذلك ان عصابة الدولة وقومها القائمين بها الممهدين لها لا بد من توزيعهم حصصا على الممالك والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء احكام الدولة فيها من جبا

وربع وغير ذلك فاذا توزعت العصايب كلهم على الثغور والممالك فلابد من نفوذ عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغرا للدولة وتخما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على ما بيدها بقي دون حامية وكان موضعا لانتهاز الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما كانت العصابة موفورة ولم ينفذ عددها في توفير الحصص على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى يتسع نطاقها الى غايته والعلة الطبيعية في ذلك ان قوة العصبية هي من ساير القوى الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشانها ذلك في فعلها والدولة في مركزها اشد مما يكون في الطرف والنطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية عجزت وقصرت عما وراءه شان الاشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدواير المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه ثم اذا ادركها الهرم والضعف فانما تاخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال المركز محفوظا الى ان ياذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تضمحل لوقتها فان المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم جميع الاطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المداين فلما غلب المسلمون على المداين انقرض امر فارس اجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقي بيده من اطراف ممالكه وبالعكس من ذلك وكذا الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون على الشام تحيزوا الى مركزهم بالقسطنطينية ولم يضرهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى ان ياذن الله بانقراضه وانظر ايضا شان العرب اول الاسلام لما كانت عصبيتهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من السند والحبشة وافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والثغور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات اقصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز تلك الحدود ومنها تراجعت الدولة حتى ياذن الله بانقراضها وكذا حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القايمين بها في القلة والكثرة وعند نفوذ عددهم بالتوزيع ينقطع لهم الفتح والاستيلا سنة الله في خلقه

فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القايمين بها في القلة والكثرة والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها وينقسمون عليها فما كان من الدولة العامة قبيلها واهل عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر ممالك واوطانا وكان ملكها اوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لما الف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك اخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ما ينا الف وعشرة الاف من مضر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من اسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما بايدي الامم من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزر فاستبيح حمى فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك باقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما كان قبيل كتامة القايمين بدولة العبيديين اكثر من صنهاجة ومن المصامدة

كانت

كانت دولتهم اعظم فملكوا افريقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد لزناتة بني مرين وبني عبد الواد لما كان عدد بني مرين لاول ملكهم اكثر من بني عبد الواد كانت دولته اقوى منهم واوسع نطاقا فكان له عليهم الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد بني مرين لاول الدولة بالرقة وكثرة التابع كثرت من اعدادهم وعلى هذه النسبة في اعداد المتغلبين لاول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها واما طول امدها ايضا فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدولة انما هو بالعصبية فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج تابعا لها وكان امد العمر طويلا والعصبية انما هي بكثرة العدد ووفوره كما قلناه والسبب الصحيح في ذلك ان النقص انما يبدا الدولة من الاطراف فانما ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها ببعض الدول لا بنو العباس اهل المركز ولا بنو امية المستبدون بالاندلس ولم ينتقض امر جميعهم الا بعد الاربعماية من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريبا من ماتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معز الدولة امر افريقية لبلكين بن زيري سنة ثمان وخمسين وثلاثماية الى حين استيلا الموحدين على القلعة وعاد سنة سبع وخمسين وخمسماية ودولة الموحدين لهذا العهد تناهز ماتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في اعمارها على نسب القايمين بها والله اعلم

فصل في ان الاوطان الكثيرة القبايل والعصايب قل ان تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الاراء والاهواء وان وراء كل راي منها وهوى عصبية تمانع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر اهل قبايل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول الذي كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الافرنجة شيا وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثخان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بدين الخوارج مرات عديدة وقال ابن ابي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر ان افريقية مفرقة لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصايب والقبايل الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها من فارس والروم والكافة دهما اهل مدن وامصار فلما غلبهم المسلمون على الامر وانتزعوه من ايديهم لم يبق فيها ممانع ولا مشاق والمغرب قبايلهم بالمغرب اكثر من ان تحصى وكلهم بادية واهل عصايب وكلما هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال امر العرب في تمهيد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني اسرائيل كان فيه من قبايل فلسطين وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط وادوم والارمن وعمالقة وكريكش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا في العصبية فصعب على بني اسرائيل تمهيد دولتهم ورسوخ امرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على

سلطانهم وخرجوا عليه ولو ملا لهم ملك موطد سابر اباهم الى ان غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم
اخر امرهم عند الجلا والله غالب علي امره ويعكس هذا ايضا الاوطان الخلوه من العصبيات يسهل
تمهيد الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشان في مصر والشام الى هذا العهد اذ هي خلو من
القبايل والعصبيات كان لم يكن بالشام معدنا لهم كما قلنا فملك مصر في غاية الدعة والرسوخ
لقلة الخوارج واهل العصايب ببغداد انما هو سلطان ورعيتها ودولتها قايمون بملوك
الترك وعصايبهم يغلبون واحدا بعد واحد وينتقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة
مسماة للعباسي من اعقاب الخلفا ببغداد وكذا شان الاندلس لهذا العهد فان عصبية بني
الاحمر سلطانها لم تكن لاول دولتهم بقوية ولا كانت لها كرة انما تكون اهل بيت من بيوت العرب
اهل الدولة الاموية بقوا من ذلك القلة وذلك ان اهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية
منهم وملكهم البربر من لمتونة والموحدين سموا ملكهم وثقلت وطاتها عليهم فاسرت القلوب
بغضايهم وامكن الموحدون السادة في اخر الدولة كثيرا من الحصون للطاغية
في سبيل الاستظهار به على شانهم من تملك الحضرة مراكش فاجتمع من كان بها من اهل العصبية
القديمة معادن من بيوت العرب تجافى بهم المنبت عن الحضارة والامصار بعض الشي ورسخوا
في العصبية مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مردنيش وامثالهم فقام ابن هود بالامر ودعا
بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل الناس على الخروج على الموحدين فنبذ اليهم العهد
واخرجوهم واستقل ابن هود بالامر بالاندلس ثم سما ابن الاحمر للامر وخالف ابن
هود في دعوته فدعا هو لابن ابي حفص صاحب افريقية من الموحدين وقام بالامر وتناوله
بعصابة قليلة من قرابته كانوا يسمون الروسا ولم يحتج لاكثر منها لقلة العصايب
بالاندلس وانها سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يجيز اليه البحر من
اعياص زناتة فصاروا معه عصبية على المنازعة والرباط ثم سما لصاحب المغرب
من ملوك زناتة امل في الاستيلا على الاندلس فصار اولئك الاعياص عصابة ابن الاحمر
على الامتناع منه الى ان تاثل امره ورسخ والفته النفوس وعجز الناس عن مطالبته
واورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظنن انه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبداه
بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة وان قطر الاندلس لقلة العصايب والقبايل
فيه تغني عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غني عن العالمين **فصل**
في ان طبيعة الملك الانفراد بالمجد وذلك ان الملك كما قدمناه انما هو بالعصبية والعصبية
متالفة من عصبات كثيرة تكون واحدة منها اقوى من الاخرى كلها فتغلبها وتستولي عليها
حتى تصيرها جميعا في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدولة وسره ان
العصبية العامة للقبيل هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون من العناصر وقد تبين في
موضعه ان العناصر اذا اجتمعت متكافية فلا يقع منها مزاج اصلا بل لابد ان يكون واحد
منها غالبا على الاخر وبغلبته عليها يقع الامتزاج وكذلك العصبيات لابد ان تكون واحدة
منها غالبة على الكل لتجمعها وتؤلفها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصبيات
وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولابد
ان يكون واحد منهم رييسا لهم غالبا عليهم فيتعين رييسا للعصبيات كلها لغلب منبته
لجميعها واذا تعين له ذلك فمن الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والانفة فيانف حينيذ

من المساهمة

من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويجي خلق التاله الذي في طباع البشر مع
ما تقتضيه السياسة من انفراد السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا فتجدع حينيذ انوف العصبات وتفلج شكايمهم عن ان يسموا الى المشاركة
في التحكم وتقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر لا ناقة
ولا جملا فينفرد بذلك المجد ويدفعهم عن مساهمته فيه وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة
وقد لا يتم الا للثاني والثالث على قدر ممانعة العصابة وقوتها الا انه لابد منه في الدولة
فصل في ان من طبيعة الملك الترف وذلك ان الامة اذا تغلبت
وملكت ما بايدي اهل الممالك قبلها كثر رياشها ونعمتها فتكثر عوايدهم ويتجاوزون ضرورات
العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع من قبلهم من عوايدهم واحوالهم
ويصير لتلك النوافل عوايد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك ويتاخرون فيه غيرهم
من الامم في اكل الطيب ولبس الانيق وركوب الفاره ويباغي في ذلك خلفهم في ذلك سلفهم
الى اخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية
التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها **فصل** في ان من طبيعة الملك
الدعة والسكون وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها الغلب
والملك واذا حصلت الغاية انقضى السعي اليها ◆ عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ◆
◆ فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر ◆ فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها
في طلبه واثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمسا كن
والملابس فيبنون القصور ويجرون المياه ويغرسون الرياحين ويستمتعون باحوال
الدنيا ويوثرون الراحة على المتاعب ويتانقون في احوال الملابس والمطاعم والانية والفرش
ما استطاعوا ويالفون ذلك ويورثونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى
ان ياذن الله بامره **فصل** في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول
الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم وبيانه من وجوه الاول انها تقتضي الانفراد بالمجد
كما قلناه ومهما كان المجد مشتركا بين العصابة وكان سعيهم له واحدا كانت هممهم في التغلب
على الغير والذب عن الحوزة اسوة في طموحها وقوة شكايمها ومرماهم الى العز جميع فيهم
يستطيبون الموت في بنا مجدهم ويوثرون الهلكة على فساده واذا انفرد الواحد منهم
بالمجد قرع عصبيتهم وكبح من اعنتهم واستاثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغزو وفشل ريحهم
ورموا المذلة والاستعباد ثم ربي الجيل الثاني على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطا اجرا
من السلطان لهم على الحماية والمعونة لا يجوز في عقولهم سواه وقل ان يستاجر احد نفسه على
الموت بذهاب الناس من اهلها الوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمناه
فتكثر عوايدهم وتزيد نفقاتهم على عطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم والفقير منهم يهلك والمترف
يستغرق عطاه بترفه ثم يزداد ذلك في اجيالهم المتاخرة الى ان يقصر العطا كله عن الترف
وعوايده وتمسهم الحاجة ويطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة
عنها فيذيقونهم العقوبات وينزعون ما في ايدي الكثير منهم يستاثرون به عليهم او يوثرون
به ابناهم وصنايع دولتهم فيضعفون لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم
وايضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاوهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب

الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في عطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عللهم والجباية مقدارها
معلوم لا يزيد ولا ينقص وان زاد بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا
فاذا وزعت الجباية على العطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما يحدث من ترفهم وكثرت
نفقاتهم نقص عدد الحامية وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحماية
لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من تحت ايديهم من القبائل
والعصائب فيأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقته وايضا فالترف مفسد للخلق بما
يحصل في النفس من الوان الشر والسفسفة وعوائدها كما ياتي في فصل الحضارة فيذهب منهم
خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر
فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك في خليقته وتاخذ الدولة مبادي
العطب وتتضعضع احوالها وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان يقضى عليها الوجه
الثالث طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه واذا اتخذوا الدعة والراحة مالفا وخلقا صار
لهم ذلك طبيعة وجبلة شان العوائد كلها وايلافها فتربى اجيالهم الحادثة في غضارة العيش
ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كانت بها الملك
من شدة الباس وتعود الافتراس وركوب البيدا وهداية القفر فلا يفرق بينهم وبين السوقة
من الحضر الا في الثقافة والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب باسهم وتنخضد شوكتهم ويعود
وبال ذلك على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون يتلونون بعوائد الترف ۞
والحضارة والسكون والدعة ورقة الحاشية في جميع احوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك
يبعدون عن البداوة والخشونة وينسلخون عنها شيئا فشيئا وينسون خلق البسالة التي
كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في
الدول التي اخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبة وربما
يحدث في الدولة اذا طرقها هذا الهرم بالترف والراحة ان يتخير صاحب الدولة انصارا
وشيعا من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكونون اصبر على الحروب واقدر
على معاناة الشدائد من الجوع والشظف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه
يطرقها حتى ياذن الله فيها بامره وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فان غالب جندها
الموالي من الترك فيتخير ملوكهم من اولئك المماليك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون
اجرى على الحرب واصبر على الشظف من ابناء المماليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم
والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ اجنادا من
زناتة والعرب ويستكثر منهم ويترك اهل الدولة المتعودين للترف فتستجد الدولة بذلك
عمرا آخر سالما من الهرم والله تعالى وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ۞

فصل في ان الدول لها اعمار طبيعية كما للاشخاص اعلم ان العمر الطبيعي
للاشخاص كما زعم الاطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين
ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات فيزيد عن هذا او ينقص عنه فيكون اعمار بعض اهل
القرانات مائة تامة وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه ادلة القرانات
عند الناظرين فيها واعمار هذه الملة ما بين الستين الى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العمر
الطبيعي الذي هو مائة وعشرون الا في الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك

كما وقع

كما وقع في زمان نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود واما اعمار الدولة ايضا فان كانت
تختلف بحسب القرانات الا ان الدولة في الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد
من العمر الوسط فيكون اربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه من حكمة التيه الذي
وقع لبني اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل آخر لم يعهدوا الذل
ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في عمر الجيل التي هي عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة
في الغالب لا يعدو ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها
من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية
محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول
حالهم بالملك والترفه من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد
الى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتنكسر
سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما ادركوا الجيل
الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية
فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي
كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة
كان لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ الترف فيهم غايته بما
تبنكوه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة ومن جملة النساء والولدان
المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة
ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم في الاكثر
اجبن من النسوان على ظهورها فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة
حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر من الموالي ويصطنع من يغني عن الدولة
بعض الغناء حتى ياذن الله تعالى بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت فهذه كما تراه ثلاثة اجيال
فيها يكون هرم الدولة وتخلفها ولذلك كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في ان المجد والحسب
انما هو في اربعة اباء وقد اتيناك فيه ببرهان طبيعي ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المقدمات
فتامله فلن تعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة اعمارها مائة
وعشرون سنة على ما مر ولا تعدو الدولة في الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان
عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستوليا والطالب لم يحضرها ولو قد
جاء الطالب لما وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا العمر
للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجري على السنة الناس
في المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصحح لك عدد الاباء في
عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استربت في عددهم وكانت
السنون الماضية منذ اولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الاباء فان نفدت على
هذا القياس مع نفود عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد
في عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد السنين من عددهم اذا
كان محصلا كذلك صحيحا والله اعلم والله يقدر الليل والنهار فصل في انتقال

الدولة من البداوة الى الحضارة اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدولة فان الغلب الذي يكون
به الملك انما هو بالعصبية وما يتبعها من شدة الباس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا
الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك يتبعه الرفه واتساع الاحوال
والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنايع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من
المطابخ والملابس والمباني والفرش والابنية وساير عوايد المنزل واحواله فلكل واحد منها
صنايع في استجادته والتانق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتكثر باختلاف ما تنزع اليه
النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم باحوال الترف وما تتلون به من العوايد فصار طور
الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك واهل الدولة ابدا
يقلدون في طور الحضارة واحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون قبلهم في الغالب
ياخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم
وابناءهم ولم يكونوا لذلك العهد في شي من الحضارة فقد حكي انهم قدم لهم المرقق فكانوا
يحسبونه رقاعا وعثروا على الكافور في خزاين كسري فاستعملوه في عجينهم ملحا وامثال ذلك
فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم
المهرة في امثال ذلك والقومة عليه افادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع
ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في احواله فبلغوا الغاية في ذلك فتطوروا بطور
الحضارة والترف في الاحوال واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة
والفرش والانية والغنا وساير الماعون والخرثي وكذا احوالهم في ايام المباهاة والولايم
وليالي الاعراس فاتوا من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرهما
في اعراس المامون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافا
في خطبتها الى داره بفم الصلح وركب اليها في السفين وما انفق في املاكها وما نحلها المامون
وانفق في عرسها تقف من ذلك على العجايب فمنه ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك
في الصنيع الذي حضره حاشية المامون فنثر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملتوتة
على الرقاع بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اداه اليه الاتفاق
والبخت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة الاف وفرق على الطبقة
الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المامون بداره اضعاف ذلك ومنها ان
المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت واوقد شموع العنبر في كل
واحدة ماية من وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشا كان الحصير منها منسوجا بالذهب مكللا
بالدر والياقوت وقال المامون حين راه قاتل الله ابا نواس كانه ابصر هذا حين قال
في صفة الخمر شعر كان صغري وكبري من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب
واعد بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة ماية واربعين بغلا مدة عام كامل ثلاث مرات في
كل يوم وفني الحطب لليلته واوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت واوعز الى النواتية
باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس من دجلة من بغداد الى قصور الملك بمدينة المامون
لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات
نهارهم وكثير من هذا وامثاله وكذا عرس المامون في الطور الاول من البداوة وعاجزين عن ذلك
جملة لفقد اسبابه والقايمين على صنايعه في غضاضتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج اولم

في ختان

بعض ولده فاحضر بعض الدهاقين يساله عن ولايم الفرس وقال اخبرني باعظم وليمة شهدتها فقال نعم
ايها الامير شهدت بعض مرازبة وقد صنع قتبة لاهل فارس صنيعا احضر فيه صحاف الذهب على
اخونة الفضة اربعا على كل واحد ويحملها اربع وصايف ويجلس عليه اربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا
اربعتهم المايدة بصحافها ووصايفها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزور واطعم الناس وعلم انه لا يستقل
بهذه الابهة وكذلك كانت ومن هذا الباب اعطية بني امية وجوايزهم فانما كان اكثرها
الابل اخذا بمذاهب العرب وبداوتهم ثم كانت الجوايز في دولة بني العباس والعبيديين ومن بعدهم
ما علمت من احمال المال وتخوت الثياب واعداد الخيل بمراكبها وهكذا كان شان كتامة مع الاغالبة
بافريقية وبني طغج بمصر ولمتونة مع ملوك الطوايف بالاندلس والموحدون كذلك
وزناتة مع الموحدين وهلم جرا تنتقل الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة
فانتقلت حضارة الفرس الى العرب بني امية وبني العباس وانتقلت حضارة بني امية بالاندلس الى
ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة بني العباس الى الديلم
ثم الى الترك ثم الى السلجوقية ثم الى الترك المماليك بمصر والشام والعراقين وعلى قدر
عظم الدولة يكون شانها في الحضارة اذ امور الحضارة من توابع الترف والترف من توابع
الثروة والنعمة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولي عليه اهل الدولة فعلى نسبة
الملك يكون ذلك فاعتبره وتامله تجده صحيحا في العمران والله وارث الارض ومن عليها

فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها والسبب في ذلك ان القبيل
اذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومة فكثرت العصابة واستكثروا
ايضا من الموالي والصنايع وربيت اجيالهم في جو ذلك النعيم والرفه فازدادوا بهم عددا
الى عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصايب حينيذ بكثرة العدد فاذا ذهب الجيل الاول
والثاني واخذت الدولة في الهرم لم تستقل اولئك الصنايع والموالي بانفسهم في تمهيد
الدولة وتاسيس ملكها لانهم ليس لهم من الامر شي انما كانوا عيالا على اهلها ومعونة لها
فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشي ولا تبقى له الدولة على حالها
من القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الاسلام كان عدد العرب كما قلناه لعهد
النبوة والخلافة ماية وخمسين الفا وما يقاربها من مضر وقحطان ولما بلغ الترف
مبلغه في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفا من الموالي والصنايع بلغ ذلك
العدد الى اضعافه فيقال ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعماية الف ولا يبعد مثل
هذا العدد ان يكون صحيحا اذا اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا
الى الجند الحاملين سرير الملك والموالي والمصطنعين وقال المسعودي احصي بنو العباس
ابن عبد المطلب خاصة ايام المامون للانفاق عليهم فكانوا ثلاثين الفا بين ذكران واناث
فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مايتي سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذي حصل للدولة
وربي فيه اجيالهم والا فعدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله اعلم

فصل في اطوار الدولة واختلاف احوالها وبداوة اهلها باختلاف الاطوار اعلم
ان الدولة تنتقل في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القايمون بها في كل طور خلقا
من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو
فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة الاول طور الظفر بالبغية وغلب

الدافع والممانع والاستبداد على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء لان ذلك مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها الطور الثاني طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معتنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك لجدع انوف اهل عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبه الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصدهم عن موارده ويردهم على اعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويفرد اهل بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر او اشد لان الاولين دافعوا الاجانب وكان ظهراؤهم على مدافعتهم الا الاقل من الاباعد فيركب صعبا من الامور الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشرية اليه من تحصيل المال وتخليد الاثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في ضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها وتشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهياكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل وبث المعروف مع اهله هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في احوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وادرار ارزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر ذلك عليهم في ملابسهم وزيهم وشكتهم ايام الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور اخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدولة لانهم في هذه الاطوار كلها مستقلون بارائهم بانون لعزهم موضحون بها الطرق لمن بعدهم الطور الرابع طور القنوع والمسالمة ويكون صاحب الدولة في هذه قانعا بما بنى اولوه سلما لانظاره من الملوك واقتاله مقلدا للماضين من سلفه يتبع اثارهم حذو النعل بالنعل ويقتفي طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان في الخروج عن تقليدهم فساد امره وانهم ابصر بما بنوا من مجده الطور الخامس طور الاتلاف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع اولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه واصطناع اخدان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمات الامور التي لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما ياتون ويذرون منها مستفسدا لكبار الاولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغنون عليه ويتخاذلون عن نصرته مضيعا من جنده بما انفق من اعطياتهم في شهواته وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقده فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسونه وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه برء الى ان تنقرض كما نبينه في الاحوال التي نسردها والله سبحانه فعال لما يريد قادر على ما يشاء

فصل في ان اثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها والسبب في ذلك ان الاثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت اولا وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك مباني الدولة وهياكلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة في اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة الممالك والرعايا كان الفعلة كثيرين جدا وحشروا من افاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا ترى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القران علينا وانظر بالمشاهدة ايوان

كسرى

كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاءد عنه وشرع ثم ادركه العجز وقصة استشارته يحيى بن خالد في شانه معروفة فانظر كيف يقتدر اهل دولة على بناء لا تقتدر الاخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء في السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني امية بقرطبة والقنطرة التي على واديها وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة في القناة الراكبة عليها واثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الاثار الماثلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف واعلم ان تلك الافعال للاقدمين انما كانت بالهندام وكثرة الفعلة واجتماع الايدي عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما يتوهمه العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا في اطرافها واقطارها فليس بين البشر في ذلك بون كما تجد بين الهياكل والاثار ولقد ولع القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالقة والكنعانيين في ذلك اخبارا عريقة في الكذب من اغربها ما يحكون عن عوج بن عنق رجل من العمالقة الذين قاتلهم بنو اسرائيل بالشام ذكروا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه في الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان للشمس حرارة وانها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان الضوء فيما قرب من الارض اكثر لانعكاس الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة بها لاجل ذلك واذا جاوزت مطارح الاشعة المنعكسة فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجاري السحب واما الشمس في نفسها فلا حارة ولا باردة انما هي جسم بسيط مضيء لا مزاج له وكذلك عوج بن عنق فيما ذكروه من العمالقة او من الكنعانيين الذين كانوا فريسة بني اسرائيل عند فتحهم الشام واطوال بني اسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا يشهد لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما غلطهم في هذا انهم استعظموا اثار الامم ولم يفهموا حال الاجتماع والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الاثار العظيمة فصرفوه الى قوة الاجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة مزعما لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة التي هي جبلة الاجسام لما براء الله الخلق كانت في تمام الكرة ونهاية القوة والكمال فكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طرق الموت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية نشاته تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص لنقصان المادة الى ان بلغ هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا راي لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين وابوابهم وطرقهم فيما احدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن كديار ثمود المنحوتة في الصلد من الصخر بيوتا صغارا وابوابا ضيقة وقد اشار صلى الله عليه وسلم انها ديارهم ونهى عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به واهريق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قررناه ومن اثار الدول ايضا حالها في الاعراس والولائم كما ذكرناه في وليمة بوران وصنيع الحجاج وابن ذي النون وقد مر

ذلك كله ومن آثارها أيضا عطايا الدول وأنها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو أشرفت على الهرم فإن الهمم التي لأهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبهم للناس والهمم لا تزال مصاحبة لهم إلى انقراض الدولة واعتبر ذلك بجوائز ابن ذي يزن لوفد قريش كيف أعطاهم من أرطال الذهب والفضة والأعبد والوصائف عشرا عشرا ومن كرش العنبر واحدة وأضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب وإنما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس وإنما حمله على ذلك همة نفسه بما كان لقومه التبابعة من الملك في الأرض والغلب على الأمم في العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون بإفريقية أيضا إذا أجازوا الوفد من أمراء زناتة الوافدين عليهم فإنما يعطونهم المال أحمالا والكساوي تخوتا مملوءة والحملان جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك أخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجوائزهم ونفقاتهم كانوا اكسبوا معدما فإنما هو الملك والولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفد ٥ يوما أو بعض يوم وأخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش العبيديين لما ارتحل إلى فتح مصر استعد من القيروان بألف حمل من المال ولا تنتهي اليوم دولة إلى مثل هذا وكذلك وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتضيق حوصلتك عن ملتقط الممكنات فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة بادر بالإنكار وليس ذلك من الصواب فإن أحوال الوجود والعمران متفاوتة ومن أدرك منها رتبة سفلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن إذا اعتبرنا ما ينقل لنا من دولة بني العباس وبني أمية والعبيديين وقايسنا الصحيح من ذلك والذي لا نشك فيه بالذي نشاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها وجدنا بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت في أصل قوتها وعمرانها وممالكها فالآثار كلها جارية على نسبة الأصل في القوة كما قدمناه ٥ ولا يسعنا إنكار ذلك عنها إذ كثير من هذه الأحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والمتواتر وفيها المشاهد والمعاين من آثار البناء وغيره فخذ من الأحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها أو ضعفها وضخامتها أو صغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك أنه ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انتقل إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون مثل أن ملك الهند إذا خرج للسفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل إيوانه وأمثال هذه الحكايات فتناجى الناس في الدولة بتكذيبه

ولقيت

ولقيت أنا يوما من الأيام وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس إياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزيرا اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يتغذى بها فإذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له أبوه ٥ بشياتها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والإبل إذ لم يعاين في محبسه إلا الفار فيحسبها كلها أبناء جنس الفار وهكذا كثيرا ما يعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الإغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الإنسان إلى أصوله وليكن مهيمنا على نفسه ومميزا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الإمكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الإمكان العقلي المطلق فإن نطاقه أوسع شيء فلا يفرض حدا بين الواقعات وإنما مرادنا الإمكان بحسب المادة التي للشيء فإذا نظرنا إلى أصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم من نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه وقل رب زدني علما

فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبيته بالموالي والمصطنعين

اعلم أن صاحب الدولة إنما يتم أمره كما قلناه بقومه فهم عصابته وظهراؤه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته وجباية أمواله لأنهم أعوانه على الغلب وشركاؤه في الأمر ومساهموه في سائر مهماته هذا ما دام الطور الأول للدولة كما قلناه فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه بالراح صاروا في حقيقة الأمر من بعض أعدائه واحتاج في مدافعتهم عن الأمر وصدهم عن المشاركة إلى أولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب إليه من سائرهم وأخص به قربا واصطناعا وأولى إيثارا وجاها لما أنهم يستميتون دونه في مدافعة قومه عن الأمر الذي كان لهم والرتبة التي ألفوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة والإيثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقلدهم جليل الأعمال والولايات والوزارة والجباية وما يختص به لنفسه وتكون خالصة له دون قومه من ألقاب المملكة لأنهم أولياء دولته الأقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك حينئذ مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع في برئها من هذا الداء لأن ما مضى يتأكد في الأعقاب إلى أن يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا إنما يستظهرون في حروبهم وولاية أعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعيد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار وأمثالهم من رجالات العرب فلما صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت ثم بني بويه وموالي الترك

مثل بغا ووصيف واتامش وباكناك وابن طولون وامثالهم وغير هولاء العجم تتصير الدولة لغير من مهدها من اهلها

فصل في احوال الموالي والمصطنعين في الدولة

اعلم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الدولة بتفاوت قدمهم وحلولهم في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوي الارحام والقربى والتخاذل في الاجانب والبعد كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق وبالحلف تتنزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعيا فانما هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمربى والرضاع وساير احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جات النعرة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعتبر مثله في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة من الوصلة تتنزل هذه المنزلة وتوكد اللحمة وان لم يكن نسب فثمرات النسب موجودة فاذا كانت الولاية بين القبيل وبين اوليايهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقها اوشج وعقايدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا يتميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فينزلون منهم منزلة ذوي قرابتهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد عن المولى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسة ۞ والملك من تميز الرتب وتفاوتها فتتميز حالاتهم وينزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك يبعد اهله عن تطاول الزمن ويخفى شان تلك اللحمة ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبية واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوي في معرفته الاكثر فتتبين اللحمة وتتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده اشد التحاما به واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة ابنايه واخوانه وذوي رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة في اخرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينيذ باوليتهم ومشارفة الدولة على الانقراض فيكونون منحطين في مهاوي وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن اوليايها الاقدمين وصنايعها الاولين ما يعتريهم في انفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظره بما ينظره به قبيله واهل نسبه لتاكد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمربى والاتصال بابايه وسلف قومه والانتظام مع كبراء اهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم بسببها صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد ويبقون على احوالهم من الخارجية وهكذا شان الدولة في اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنايع والاولياء على الاولين واما هولاء المحدثون فخدم واعوان والله تعالى اعلم

فصل فيما يعرض في الدولة من حجر السلطان والاستبداد عليه

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القايمين بالدولة وانفردوا به ودفعوا ساير القبيل عنه وتداوله

بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيح فربما حدث التغلب على المنصب من وزرايهم وحاشيتهم في الاكثر ولا يتصبي صغير او مستضعف من اهل البيت يترشح للولاية بعهد ابيه او بترشيح ذويه وخوله ويونس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافله من وزرايه او حاشيته ومواليه او قبيله ويوري بحفظ امره عليه حتى يونس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسيمه في مراعيها متى امكنه وينسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرير واعطاء الصفقة وخطاب التهويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحل والعقد والامر والنهي ومباشرة الاحوال الملوكية وتفقدها من النظر في الجيش والمال والثغور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى ان تستحكم صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويوثر به عشيرته وابناءه من بعده كما وقع لبني بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالمشرق وللمنصور ابن ابي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجور المغلوب لشانه فيحاول على الخروج من ربقة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب على يد المتغلبين عليه اما بقتل او برفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في النادر والاقل لان الدولة اذا اخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشاة ابناء الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولة والفوا اخلاق الدايات والاظار وربوا عليها فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبدادا من تغلب انما همهم في القنوع بالابهة والتفنن في اللذات وانواع الترف وهذا التغلب يكون للموالي والمصطنعين عند استبداد عشير الملك على قومهم وانفراده دهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهذان مرضان لا برء للدولة منهما الا في الاقل النادر والله يوتي ملكه من يشاء

فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه مذ اول الدولة بعصبية قومه وعصبيته التي استتبعتهم حتى استحكمت له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها انحفظ رسم الدولة وبقاوها وهذا المتغلب وان كان صاحب عصبية من قبيل الملك والموالي والصنايع فعصبيته مندرجة في عصبية اهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول باستبداده انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع ثمراته من الامر والنهي والحل والعقد والابرام والنقض يوهم فيها اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منفذ في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافا عن سمات الملك وشاراته والقابه جهده ويبعد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان واولوه على انفسهم من القبيل من اول الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض لشي من ذلك لنفسه عليه اهل دولته وعصبيته وقبيل الملك وحاولوا الاستيثار به دونه لانه لم يستحكم له صبغة في ذلك تحملهم على التسليم له والانقياد فيهلك لاول وهلة هذا وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر حين سما الى مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم يقنع بما قنع ابوه واخوه في الاستبداد

بالحل والعقد والمراسم البالغة فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنفس ذلك عليه بنو مروان وساير قريش وبايعوا لابن عم الخليفة هشام بن عبد الجبار الناصر وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة العامريين وهلاك المويد خليفتهم واستبد به من سواه من اعياص الدولة الى اخرها واختلف مراسم ملكهم فصل في حقيقة الملك واصنافه الملك منصب طبيعي للانسان لانا قد بينا ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل احد منهم يده الى حاجته ياخذها لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمانعه الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي الى المقاتلة وهي تودي الى الهرج وسفك الدما واذهاب النفوس المفضي ذلك الى انقطاع النوع وهو مما خصه الباري سبحانه بالمحافظة فاستحال بقاوهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من العصبية لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبية وهذا الملك كما تراه منصب شريف تتوجه نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شي من ذلك الا بالعصبيات كما مر والعصبيات متفاوتة وكل عصبية فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصبية وانما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجبي الاموال ويبعث البعوث ويحمي الثغور ولا يكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت به عصبيته عن بعضها مثل حماية الثغور وجباية الاموال وبعث البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة الاغالبة بالقيروان ولملوك العجم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصبيته ايضا عن الاستعلا على جميع العصبيات والضرب على ساير الايدي وكان فوقه حكم غيره فهو ايضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهولا مثل امرا النواحي وروسا الجهات الذين يجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المتسعة النطاق اعني توجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعتهم مثل صنهاجة مع العبيديين وزناتة مع الامويين تارة والعبيديين اخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل امرا البربر وملوكهم مع الافرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوايف من الفرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هولا فاعتبره تجده والله القاهر فوق عباده فصل في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه وحسن شكله او ملاحة وجهه او عظم جثمانه او اتساع علمه او جودة خطه او ثقوب ذهنه انما مصلحتهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي نسبة بين منتسبين فحقيقة السلطان انه الملك المالك الرعية القايم بامورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث اضافته لهم وهي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها بمكان من الجودة حصل المقصود من السلطان على اتم الوجوه وانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وهلاكا لهم ويعود حسن الملكة الى الرفق فان الملك اذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقبا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصايرهم

واخلاقهم وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات وربما اجمعوا على قتله لذلك فتفسد الدولة ويخرب السياج وان دام امره عليهم وقهره فسدت العصبية لما قلناه اولا وفسد السياج من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سياتهم استناموا اليه ولاذوا به واشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة اعدايه فاستقام الامر من كل جانب واما توابع حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها يتم حقيقة الملك واما النعمة اليهم والاحسان فهو من جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه قلما يكون ملكة الرفق فيمن يكون ما في التيقظ انه يكلف الرعية فوق طوقهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم واطلاعه على عواقب الامور في مباديها بالمعية فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيروا على سير اضعفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الافراط في الذكا ومأخذه من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال لم عزلتني يا امير المومنين العجز ام لخيانة فقال عمر لم اعزلك لواحدة منهما ولكني كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكا والكيس مثل زياد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص لما يتبع ذلك من التعسف وسو الملكة وحمل الوجود على ما ليس طبيعته كما ياتي في اخر هذا الكتاب وتقرر من هذا ان الكيس والذكا عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر كما ان البلادة افراط في الجمود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية والمحمود هو التوسط في الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج والجبن وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطن وامثال ذلك والله يخلق ما يشاء

فصل في معنى الخلافة والامامة

لما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضروري البشري ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من اثار العضبية والحيوانية كانت احكام صاحبه في جايرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق في احوال دنياهم اياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من اغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فيعسر طاعته لذلك وتجي العصبية المفضية الى الهرج والقتل فوجب ان يرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذا خلت الدولة من هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلاوها فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلا واكابر الدولة وبصرايها كانت السياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا والاخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها باطل وعبث اذ غايتها الموت والفنا والله يقول افحسبتم انما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم المفضي بهم الى السعادة في اخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فجاءت الشرايع بحملهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فاجرته على منهاج الدين ليكون محوطا بنظر الشارع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة العصبية في مرعاها فجور وعدوان مذموم عنده كما هو في مقتضى الحكمة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور اخرتهم واعمال البشر كلها عايدة عليهم في معادهم من ملك وغيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم

ترد عليكم واحكام السياسة انما يطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح اخرتهم فوجب بمقتضى الشرايع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم واخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبيا ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الاخرة في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا فافهم ذلك واعتبره فيما نقدمه عليك من بعد والله الحكيم العليم

ترجع

فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وامامة والقايم به خليفة واماما فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة في اتباعه والاقتدا به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله واجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله جعلكم خلايف في الارض ومنع الجمهور منه لان معنى الاية ليس عليه وقد نهى ابو بكر رضي الله عنه لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله ولان الاستخلاف انما هو في حق الغايب اما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا عند وفاته الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى في عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وان الاجماع الذي وقع انما هو قضا بحكم العقل فيه قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظ الحكما في وجوب النبوات في البشر وقد نبهنا على فساده وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر اهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في امم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه الدعوة او نقول يكفي في دفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل فادعاوهم ان ارتفاع التنازع انما هو بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب يكون بوجود الروسا اهل الشوكة او بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا المنصب راسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عند هولاء انما هو امضا احكام الشرع فاذا تواطات الامة على العدل وتنفيذ احكام الشرع لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه وهولاء محجوجون بالاجماع والذي حملهم على هذا المذهب انما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما راوا الشريعة ممتلية بذم ذلك والنعي على اهله ومرغبة في رفضه واعلم ان الشرع

لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم المفاسد الناشية عنه من القهر والظلم والتمتع با ولا شك ان في هذه مفاسد محظورة وهي من توابعه كما اثنى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه واوجب بازايها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذا انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لدعاية الضرورة اليهما وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله تعالى واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم شيا لانكم موافقون على اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما فررتم عنه واذا تقرر ان هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما شروط هذا المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضا مما يوثر في الراي والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما اشتراط العلم فظاهر لانه انما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما بها وما لم يعلمها لم يصح تقدمه لها ولا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في ساير المناصب التي هي شروط فيها ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفائها بالبدع الاعتقادية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريا على اقامة الحدود واقتحام الحروب كفيلا بها بصيرا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية واحوال الدها قويا على معانات السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح واما سلامة الحواس والاعضا من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يوثر فقده من الاعضا في العمل كفقد اليدين والرجلين والانثيين فيشترط السلامة منها كلها لتاثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقد احدى هذه الاعضا فتشترط السلامة منه شرط كمال ويلحق بفقد الاعضا المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه فاشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاقة فينتقل النظر في حال هذا المستولي فان جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسة جاز اقراره والا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع علته حتى ينفذ حكم الخليفة واما النسب القرشي فللاجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير فاحتجت قريش بقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش وبان النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا الانصار ورجعوا عن قولهم منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في هذا الحي من قريش وامثال هذه الادلة كثيرة لانه لما ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبما انفقتهم الدولة في ساير اقطار الارض عجزوا لذلك عن حمل الخلافة وتغلب عليهم الاعاجم وصار الحل

للذات

والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر رضي الله تعالى عنه لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته او لما دخلتني فيه الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية الولا حاصلة لسالم في قريش وهي الفايدة في اشتراط النسب ولما استعظم امر الخلافة وراى شروطها كانها مفقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من الولا المفيد للعصبية كما يذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذ الفايدة في النسب انما هي العصبية وهي حاصلة من الولا فكان ذلك ذكر حرصا من عمر رضي الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا يلحقه به لايمة ولا عليه فيه عهدة ومن القايلين بنفي اشتراط القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادرك عليه عصبية قريش من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفا فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لراي الخوارج لما راى عليه حال الخلفا لعهده وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ويرد عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على امره لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهب الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المذهب وهو خلاف الاجماع ولنتكلم الان في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم تقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد اذا من مصلحة في اشتراط النسب هي المقصودة من مشروعيته واذا سبرنا وقسمنا لم نجدها الا اعتبار العصبية التي يكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك ان قريشا كانوا عصبة مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان ساير العرب يعترفون لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبايل مضر ان يردهم عن الخلافة ولا يحملهم على الكرة فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم حينيذ كفيلون بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية لتكون ابلغ في انتظام الملة واتفاق الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم ساير العرب وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك في احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحاق في كتاب السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لرفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا ان

الشارع

الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشترطنا في القايم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولي عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والافاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا ساير الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نايبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا من له قدرة عليه الا ترى الى ما ذكره الامام ابن الخطيب في شان النسا وانهن في كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعا للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شي وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل واحد فيها قايم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر امة او جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفا للامر الوجودي والله علام الغيوب ومطلع على ما في القلوب

فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقها والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القايم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكباير والصغاير وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في طريقه او بعيد عن تاويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر رضي الله عنه اصبحت مولى كل مومن ومومنة ومنها قوله اقضاكم علي ولا معنى للامامة الا القضا باحكام الله وهو المراد باولي الامر منكم والمراد الحكم والقضا ولهذا كان حكما في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعني على روحه وهو وصيي وولي هذا الامر من بعدي فلم يبايعه الا علي ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر اوحي اليه ليبلغه رجل منك او من قومك فبعث عليا ليكون القاري المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضا فلم يعرف انه قدم احدا على علي واما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فقد قدم عليهما في غزاتين اسامة بن زيد مرة وعمرو بن العاص اخرى وهذه كلها ادلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تاويلهم ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه وكذلك تنتقل منه الى من بعده وهولاء الامامية ويتبرون من الشيخين حيث لم يقدموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون في امامتهما ولا يلتفت الى نقل القدح فيهما من غلاتهم فهو

مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الادلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه وهولاء هم الزيدية ولا يتبرون من الشيخين ولا يغمصون في امامتهما مع قولهم ان عليا افضل منهما لكنهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل **ثم اختلفت** هولاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا من واحد على ما نذكر بعد وهولاء يسمون الامامية نسبة الى مقالتهم باشتراط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل عندهم ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيعة ويشترط ان يكون الامام عالما زاهدا جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهولاء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر اخاه محمد الباقر على اشتراط الخروج في الامام فالزمه الباقر ان لا يكون ابوهما زين العابدين اماما لانه لم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه مذاهب المعتزلة واخذه اياها عن واصل بن عطا ولما ناظر الامامية زيدا في امامة الشيخين وراوه يقول بامامتهما ولا يتبرا منهما رفضوه ولم يجعلوه من الايمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك الى اخيهما محمد بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه وبين هذه الطوايف اختلافات كثيرة تركناها اختصارا ومنهم طوايف يسمون الغلاة تجاوزوا حدود العقل والايمان في القول بالاهية هولاء الايمة اما على انه بشر اتصف بصفات الالهية او ان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذاهب النصارى في عيسى عليه السلام ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب الى ذلك فيه منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار بن عبيد الله لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنه والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله عنه بمن بلغه عنه مثل هذا ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام اخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هولاء الغلاة من يقف عند واحد من الايمة لا يتجاوزه الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهولاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حي لم يمت الا انه غايب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وانه في جبل رضوى من ارض الحجاز قال ــــ شاعرهم

الا ان الايمة من قريش   ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه   هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر   وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى   يقود الجيش يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا   برضوى عنده عسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنى عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من ايمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج اخر الزمان فيملا الارض عدلا يشيرون بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم الى الان ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قربوا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه

للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجون الامر الى الليلة القابلة وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هولاء الواقفية يقولون ان الامام الذي مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القران الكريم من قصة اهل الكهف والذي مر على قرية وقتيل بني اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق المعجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هولاء السيد الحميري ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال   وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته واودى   فقم يا صاح نبك على الشباب
فليس بعايد ما فات منه   الى احد الى يوم الاياب
الى يوم يؤب الناس فيه   الى دنياهم قبل الحساب
ادين بان ذلك دين حق   وما انا في النشور بذي ارتياب
كذاك الله اخبر عن اناس   حيوا من بعد درس في التراب

وكفانا مونة هولاء الغلاة ايمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويبطلون احتجاجاتهم عليها **فاما الكيسانية** فساقوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهولاء هم الهاشمية ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه علي ثم الى ابنه الحسن بن علي واخرون زعموا ان ابا هاشم لما مات بارض السراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد بن علي بن عباس واوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبيد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله ابي جعفر الملقب بالمنصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحدا بعد واحد الى اخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس وكان منهم ابو مسلم سليمان بن كثير وابو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية وربما يعضدون ذلك بان حقهم في هذا الامر يصل اليهم من العباس لانه كان حيا عند الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصبية العمومة **واما الزيدية** فساقوا الامام على مذهبهم فيها وانها باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة علي ثم ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا بالامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية امامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسين السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر المنصور فهزم وقتل وعهد بالامر الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم المنصور عساكره وقواده فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق قد اخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب اخرون الى ان الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق الى المعتصم فحبسه ومات في محبسه وقال اخرون من الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم ابن عبد الله في قتال المنصور ونقلوا الامامة في عقبه واليه انتسب داعي الزنج كما نذكره في اخبارهم وقال اخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هنالك وقام بامره ابنه ادريس بن ادريس واختط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكا بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذكر في اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم الداعي

الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسين السبط
واخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يديه وهو الحسن
ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي فكانت لبنيه في طبرستان دولة وتوصل
الديلم من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفا ببغداد كما نذكر في اخبارهم **واما الامامية**
فساقوا الامامة من علي رضي الله عنه الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين
العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها
الى ولده اسماعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه موسى
الكاظم وهم الاثني عشرية لوقوفهم عند ابيه الثاني عشر من الائمة وقولهم بغيبته الى اخر الزمن
كما مر فاما الاسماعيلية فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص من ابيه جعفر وفائدة النص عليه
عندهم وان كان قد مات قبل ابيه انما هي بقاء الامامة في عقبه كقصة هارون مع موسى صلوات
الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسماعيل الى ابنه محمد المكتوم وهو اول الائمة المستورين
لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعاته ظاهرين اقامة للحجة على
الخلق واذا كانت له شوكة ظهر واظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر المصدق
وبعده ابنه محمد الحبيب وهو اخر المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدي الذي ظهر داعيته
ابو عبد الله الشيعي في كتامة وتتابع الناس على دعوته ثم اخرجه من معتقله بسجلماسة وملك
القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في اخبارهم ويسمى هولاء الاسماعيلية
نسبة الى القول بامامة اسماعيل ويسمون ايضا بالباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن
اي المستور ويسمون ايضا المجلدة لما في ضمن مقالاتهم من الالحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات
جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في اخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق
ولم تزل دعوته فيها الى ان توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك الططر بالعراق
فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني **واما**
الاثني عشرية وربما خصوا باسم الامامية عند المتاخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم
ابن جعفر لوفاة اخيه الاكبر اسماعيل الامام في حياة ابيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا
ثم ابنه علي الرضا الذي عهد اليه المامون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه
علي الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر الذي قدمنا ذكره وفي كل واحد
من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير الا ان هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها
فعليه بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما ففيهما بيان ذلك والله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء

فصل في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعية ليس وقوعه عنها باختيار انما هو بضرورة الوجود
وترتيبه كما قلناه من قبل والشرائع والديانات كل امر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبية
اذ المطالبة لا تتم الا بها كما قدمناه فالعصبية ضرورية للملة وبوجودها يتم امر الله منها
وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ثم وجدنا الشارع ذم ندفع العصبية
اذ المطالبة لا تتم الا بها كما قدمناه فالعصبية ضرورية للملة وندب الى اطراحها وتركها فقال
ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء انتم بنو ادم وادم من تراب وقال تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقاكم ووجدناه ايضا قد ذم الملك واهله ونعى على اهله احوالهم من

لعله الملحده

الاستماع

الاستمتاع بالخلاق والاسراف في غير القصد والتنكب عن صراط الله وانما حض على الالفة
في الدين وحذر من الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا واحوالها كلها عند الشارع مطية للاخرة
ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب
الى تركه اهماله بالكلية واقتلاعه من اصله وتعطيل القوى التي ينشا عليها بالكلية انما قصده
تصريفها في اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحد الوجهة كما قال صلى
الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان
فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما
يذم الغضب للشيطان والاغراض الذميمة فاذا كان الغضب في الله ولله كان ممدوحا وهو من
شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته
كان نقصا في حقه وانما المراد تصريفها فيما ابيح له باشتماله على المصالح ليكون الانسان
عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهية وكذا العصبية حيث ذمها الشرع وقال لن تنفعكم ارحامكم ولا
اولادكم فانما مراده حيث تكون العصبية على الباطل واحواله كما كانت في الجاهلية وان يكون
لاحد فخر بها او حق على احد لان ذلك مجان من افعال العقلا وغير نافع في الاخرة التي هي دار القرار
فاما اذا كانت العصبية في الحق واقامة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرايع
اذ لا يتم قوامها الا بالعصبية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب
بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه لما فيه من التغلب بالباطل وتصريف
الادميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس انه لله
وحملهم على عبادته وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام
رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لما علم من نفسه انه بمعزل عن الباطل في النبوة والملك
ولما لقي معاوية عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند قدومه الى الشام في ابهة الملك وزيه من
العديد والعدة استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية فقال يا امير المومنين انا في ثغر تجاه
العدو وبنا الى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقصد من
مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك من اصله لم يقنعه هذا الجواب في تلك
الكسروية وانتحالها بل كان يحرض على خروجه عنها بالجملة وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه
اهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والبغي وسلوك سبيله والغفلة عن الله واجابه معاوية
بان القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصده بها وجه الله فسكت وهكذا كان شان
الصحابة في رفض الملك واحواله ونسيان عوائده حذرا من التباسها بالباطل فلما استحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر رضي الله عنه على الصلاة اذ هي اهم امور الدين
وارتضاه الناس للخلافة وهي حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجر للملك ذكر لما انه مظنة
للباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء الله متبعا سنن
صاحبه وقاتل اهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاتبع اثره وقاتل الامم
فغلبهم واذن للعرب في انتزاع ما بايديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم
ثم صارت الى عثمان ثم الى علي والكل متبرئون من الملك متنكبون عن طرقه واكد ذلك لديهم ما كانوا
عليه من غضاضة الاسلام وبداوة العرب فقد كانوا ابعد الامم عن احوال الدنيا وترفها لا من

حيث دينهم الذي يدعوهم الى الزهد في النعيم لا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة
العيش وشظفه الذي الفوه فلم تكن امة من الامم اسغب عيشا من مضر لما كانوا بالحجاز في ارض
غير ذي زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياف وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها
من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتطاولون الى خصبها ولقد كانوا كثيرا ما ياكلون العقارب والخنافس
ويفخرون باكل العلهز وهو وبر الابل يمهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه وقريبا من هذا
كانت حال قريش في مطاعمهم ومساكنهم حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله
تعالى من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى امم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله تعالى لهم
من الارض بوعد الصدق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزخرت بحار الرفه والترف لديهم
حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثين الفا من الذهب او نحوها فاستولوا
من ذلك على ما لا ياخذه الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم وكان عمر رضي الله تعالى عنه
يرقع ثوبه بالجلد وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفراء ويا بيضاء غري غيري وكان ابو موسى
رضي الله تعالى عنه يتجافى عن اكل الدجاج لانه لم يعهدها للعرب لقلتها يومئذ وكانت
المناخل مفقودة عندهم بالجملة وانما ياكلون الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا اتم ما كانت
لاحد من اهل العالم قال المسعودي في ايام عثمان رضي الله عنه اقتنى الصحابة الضياع
والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة الف دينار والف الف قيمه وقيمة ضياعه
بوادي القرى وحنين وغيرهما مائتا الف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرا وبلغ الثمن الواحد من
متروكات الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس والف امة وكانت غلة طلحة
من العراق الف دينار كل يوم ومن ناحية السراة اكثر من ذلك وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف
الف فرس وله الف بعير وعشرة الاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه اربع وثمانون الفا وخلف
زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة الف
دينار وبنى الزبير داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بنى طلحة
داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبناها بالجص والاجر والساج وبنى سعد بن ابي وقاص
داره بالعقيق ورفع سمكها واوسع فضاءها وجعل اعلاها شرفات وبنى المقداد داره بالمدينة
وجعلها مجصصة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منبه خمسين الف دينار وعقارا وغير ذلك
ما قيمته ثلاثمائة الف درهم انتهى كلام المسعودي وكانت مكاسب القوم كما تراه ولم يكن ذلك
منعيا عليهم في دينهم اذ هي اموال حلال لانها غنائم وفيء ولم يكن تصرفهم فيها باسراف وانما كانوا
على قصد في احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك بقادح وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما
فانما يرجع الى ما اشرنا اليه من الاسراف والخروج به عن القصد واذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم في
سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الاخرة فلما
تدرجت الرافة والغضاضة الى اخرها ونهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية
كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان ذلك الملك عندهم هو الرفه والاستكثار من الاموال فلم يصرفوا
ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق ولما وقعت الفتنة بين
علي ومعاوية رضي الله عنهما وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في
محاربتهم لغرض دنيوي او لايثار باطل او لاستشعار حقد كما قد يتوهمه متوهم او ينزع اليه ملحد
وانما اختلف اجتهادهم في الحق وخالف كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه

وان

وان كان المصيب عليا فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل انما قصد الحق واخطا والكل كانوا
في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية
ان يدفع ذلك عن نفسه وقومه وهو امر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو
امية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصوصبوا عليه واستماتوا
دونه ولو قد حملهم معاوية على غير تلك وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في افتراق الكلمة التي
كان جمعها وتاليفها اهم عليه من امر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
يقول اذا راى القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لي من الامر شيء لوليته الخلافة ولو اراد ان يعهد اليه
لفعل لكنه كان يخشى من اهل الحل والعقد من بني امية كما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة
وهذا كله انما حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل وفرضنا ان الواحد
انفرد به وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه ولقد انفرد سليمان صلوات
الله عليه وابوه داود بملك بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به وكانوا ما علمت
من النبوة والحكمة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة لما كانوا بنو
امية لم يرضوا تسليم الامر لمن سواهم فلو عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ظنهم كان به صالحا
ولا يرتاب احد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق
حاشا لله لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم
في الملك مذهب اهل البطالة والبغي انما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم
على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو اهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا
عليه من الاتباع والاقتداء وما علم السلف من احوالهم فقد احتج مالك في الموطا بعمل عبد الملك
واما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين وفضله معروف ثم تدرج الامر في ولد عبد
الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فنزع الى طريقة
الخلفاء والصحابة جهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية
ومقاصدهم ونسوا ما كانوا عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك
مما دعا الناس الى ان نعوا عليهم افعالهم وادالوا بالدولة العباسية منهم وولي رجالها الامر
فكانوا من العدالة بمكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو
الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر الى بنيهم فاعطوا الملك والترف
حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا فتاذن الله بحربهم وانتزاع الامر
من ايدي العرب جملة وامكن سواهم منه والله لا يظلم مثقال ذرة ومن تامل سير هؤلاء الخلفاء
والملوك واختلافهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى المسعودي مثله
في احوال بني امية عن ابي جعفر المنصور وقد حضر عمومته وذكروا بني امية فقال اما عبد الملك
فكان جبارا واما سليمان فكان همه بطنه وفرجه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل
القوم هشام قال ولم يزل بنو امية لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله
تعالى لهم مع تسنمهم معالي الامور ورفضهم دنياتها حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت
همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باستدراجه وامنا لمكره مع اطراحهم
صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبسهم
الذل ونفى عنهم النعمة ثم استحضر سليمان بن عبد الملك بن مروان نقص عليه خبره مع ملك النوبة

لما دخل ارضه فاذا ايام بني العباس قال اقمت مليا ثم اتاني ملكهم فقعد على الارض وقد بسطت
لي فرش ذات قيمة فقلت له وما منعك من القعود على فراشنا فقال اني ملك وحق لكل ملك ان
يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت
اجتزا على ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطاون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم
قلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم
عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك
على الكره منا فاطرق ينكت بيده في الارض ويقول عبيدنا واتباعنا واعاجم دخلوا في ديننا
ثم رفع راسه الي وقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله واتيتم ما عنه نهيتم وظلمتم
فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسكم الذل بذنوبكم ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف
ان يحل العذاب بكم وانتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاثا فتزود ما احتجت اليه
وارتحل عن ارضي فتعجب المنصور واطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك وان
الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيها من نفسه وهو الدين وكانوا يوثرون على امور
دنياهم وان افضت الى هلاكهم وحدهم دون الكافة فهذا عثمان لما حصر في الدار جاء الحسن والحسين
وعبد الله بن عمر وابن جعفر وامثالهم يريدون المدافعة عنه فابى ومنع من سل السيوف بين
المسلمين مخافة الفرقة وحفظا للالفة التي بها حفظ الكلمة ولو ادى الى هلاكه
وهذا علي اشار عليه المغيرة اول ولايته باستبقاء الزبير ومعاوية وطلحة على اعمالهم حتى
يجتمع الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من امره وكان ذلك من سياسة
الملك فابى فرارا من الغش الذي ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد اشرت
عليك بالامس ما اشرت ثم عدت الى نظري فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيما رايته
انت فقال علي لا والله بل اعلم انك نصحتني بالامس وغششتني اليوم ولكن منعني مما اشرت
به رايد الحق وهكذا كانت احوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن نرقع دنيانا بتمزيق
ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة
من تحري الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان دينا
ثم انقلب عصبية وسيفا وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر
الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض بنيه ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها
وصار الامر ملكا بحتا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت في اغراضها من القهر
والتحكم في الشهوات والملاذ وهكذا كان الامر لولد عبد الملك ولمن جاء بعد المعتصم
والمتوكل من بني العباس واسم الخلافة باقيا فيهم لبقاء عصبية العرب والخلافة والملك
في الطورين ملتبس بعضهما ببعض ثم ذهب رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب
وفناء جيلهم وتلاشي احوالهم وبقي الامر ملكا بحتا كما كان الشان في ملوك العجم بالمشرق يدينون
بطاعة الخليفة تبركا والملك بجميع القابه ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شي وكذلك فعل
ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهاجة مع العبيديين ومغراوة وبني يفرن ايضا مع خلفاء بني
امية بالاندلس والعبيديين بالقيروان فقد تبين ان الخلافة قد وجدت بدون الملك اولا
ثم التبست معانيهما واختلطت ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبيته من عصبية الخلافة
والله مقدر الليل والنهار

فصل في معنى البيعة

اعلم

ان

ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد اميره على ان يسلم له النظر في امر نفسه وامور
المسلمين لا ينازعه في شي من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الامر على المنشط والمكره وكانوا اذا بايعوا
الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في يده تاكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البايع والمشتري
فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع
وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا
اللفظ ومنه بيعة الخلفا ومنه ايمان البيعة لان الخلفا كانوا يستحلفون على ذلك العهد
ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها
اكثر واغلب ولهذا لما افتى مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الاكراه انكرها الولاة عليه وراوها
قادحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه واما البيعة المشهورة لهذا
العهد بتحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض واليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة
التي هي العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الاداب من لوازم الطاعات
وتوابعها وغلب فيه حتى صار حقيقة عرفية واستغني بها عن مصافحة ايدي الناس التي هي
الحقيقة في الاصل لما في المصافحة لكل احد من التنزل والابتذال المنافيين للرياسة وصون
المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فياخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير
اهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه اكيد على الانسان معرفته لما يلزمه من حق
سلطانه وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر من ذلك افعال الملوك والله القوي العزيز

فصل في ولاية العهد

اعلم انا قدمنا الكلام في الامامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وان حقيقتها
النظر في مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو وليهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتبع
ذلك ان ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاه ويثقون بنظره لهم
في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع الامة على جوازه وانعقاده اذا
وقع بعهد ابي بكر لعمر رضي الله عنهما بمحضر من الصحابة واجازوه واوجبوا على انفسهم به طاعة
عمر رضي الله عنه عن جميعهم وكذلك عهد عمر في الشورى الى الستة من بقية العشرة وجعل
لهم ان يختاروا للمسلمين ففوض ذلك بعضهم الى بعض حتى افضى ذلك الى عبد الرحمن بن عوف
فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلى علي واثر عثمان بالبيعة على ذلك
لموافقته اياه على لزوم الاقتدا بالشيخين في كل ما يعن دون اجتهاده فانعقد امر عثمان
لذلك واوجبوا طاعته والملا من الصحابة حاضرون للاولى والثانية ولم ينكره واحد منهم
فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما عرف ولا يتهم
الامام في هذا الامر وان عهد الى ابيه او ابنه لانه مامون على النظر لهم في حياته فاحرى
ان لا يحتمل فيها تبعة بعد مماته خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد او لمن خصص التهمة في
الولد دون الوالد فانه بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه
من ايثار مصلحة او توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك راسا كما وقع في عهد معاوية الى
ابنه يزيد بالعهد دون من سواه وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي
دعا معاوية الى ايثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع

واتفاق اهوائهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني امية اذ بنو امية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن انه اولى بها وعدل الى المفضول عن الفاضل حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي شانه اهم عند الشارع ولا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة مما سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذلك انما هو محمول على تورعه عن الدخول في شي من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع من ذلك بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني امية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وامثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رايهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشانهم غير شان اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد من يسمو لذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطاني والعصباني فلو قد عهد الى من لم ترتضيه العصابة لردت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف سال رجل عليا رضي الله عنه ما بال الناس اختلفوا عليك ولم يختلفوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليين على مثلي وانا اليوم وال على مثلك يشير الى وازع الدين الا ترى الى المامون لما عهد الى علي ابن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضى كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعمه ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم الامر حتى بادر المامون من خراسان الى بغداد ورد امرهم لمعاهده فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبايل والعصبيات وتختلف باختلافها المصالح ولكل منها حكم يخصه لطفا من الله بعباده ٥ واما ان يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو امر من الله يخص به من يشاء فينبغي ان يحسن النية فيه ما امكن خوفا من العبث بالمناصب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده وعرض هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها **فالاول** منها ما حدث في يزيد من الفسق ايام خلافته فاياك ان تظن بمعاوية رضي الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل من ذلك وافضل بل قد كان يعذله ايام حياته في سماع الغناء وينهاه عنه وهو اقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد من الفسق ما حدث اختلف الصحابة يومئذ في شانه فمنهم من راى الخروج عليه ونقض بيعته من اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من اباه لما فيه من اثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصبية بني امية وجمهور اهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية مضر اجمع وهي اعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا على الدعاء بهدايته

او

او الراحة منهما وكان هذا شان المسلمين والكل مجتهدون ولا نكير على احد من الفريقين فمقاصدهم في البر وتحري الحق معروفة وفقنا الله واياكم للاقتداء بهم **والثاني** هو شان العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ايمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس ليكتب الوصية وان عمر منع من ذلك فدليل واضح على انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسيل في العهد فقال ان اعهد فقد عهد من هو خير مني يعني ابا بكر وان اترككم فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي رضي الله عنه حين دعاه الى الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم يسالانه عن شانهما في العهد فابى علي من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطمع فيها اخر الدهر وهذا دليل على ان عليا علم انه لم يوص ولا عهد لاحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من اركان الايمان كما يزعمون وليس كذلك وانما هي من المصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من اركان الايمان لكان شانها شان الصلاة ولكان يستخلف فيها كما استخلف ابا بكر في الصلاة ولكان يشتهر كما اشتهر امر الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة ابي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاه لدنيانا دليل على ان الوصية به لم تقع ويدل ذلك ايضا على ان امر الامامة والعهد بها لم يكن مهما كما هو اليوم وشان العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لان امر الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تاليف القلوب عليه واستماتة الناس دونه وذلك من اجل الاحوال التي كانوا يشاهدونها من حضور الملايكة في نصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة تتلى عليهم فلم يحتج الى مراعاة العصبية لما شمل الناس من صبغة الانقياد والاذعان وما يستفزهم من تتابع هذه المعجزات الخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملايكة المترددة الذي وجموا لها ودهشوا من تتابعها فكان امر الخلافة والملك والعهد والعصبية وساير هذه الانواع مندرجا في ذلك العباب كما وقع فلما انحسر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم بفناء القرون الذين شاهدوها فاستحالت الصبغة قليلا قليلا وذهبت اثار الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوايد فيما ينشا عنها من المصالح والمفاسد واصبحت الخلافة والملك والعهد بهما من المهمات الاكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الاهمية زمان الخلافة بعض الشي بما دعت الضرورة اليه في الحماية والجهاد وشان الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرناه عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشا الاجتماع والتوافق والكفيل بمقاصد الشريعة واحكامها **والامر الثالث** شان الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين اعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشا عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسايل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطي فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة ولا يتعين المخطي منهما والتاثيم مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وان كل مجتهد مصيب فاحرى بنفي الخطا والتاثيم وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادي في مسايل دينية ظنية وهذا حكمه والذي وقع

من ذلك في الاسلام انما هي واقعة علي مع معاوية ومع الزبير وطلحة وعايشة وواقعة الحسين
مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك فاما واقعة علي فان الناس عند مقتل عثمان كانوا
متفرقين في الامصار فلم يشهدوا بيعة علي والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف
حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة
وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وابي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك
والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وامثالهم من اكابر الصحابة
والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضى
حتى يكون شورى بين المسلمين فيمن يولونه وظنوا بعلي هوادة في السكوت عن عثمان من
قاتليه لا في الممالاة عليه فحاش لله من ذلك ولقد كان معاوية اذا صرح بملامته انما يوجهها
عليه في سكوته فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فراى علي ان بيعته قد انعقدت ولزمت من تاخر
عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وارجا الامر
في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ من ذلك وراى
الاخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل والعقد بالافاق ولم يحضر الا
القليل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم
او من القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولا بدم عثمان ثم يجتمعون على امام
وذهب الى هذا معاوية وعمرو بن العاص وعايشة ام المومنين والزبير وابنه عبد الله وطلحة
وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن حديج ومن كان على رايهم من الصحابة
الذين تخلفوا عن بيعة علي بالمدينة كما ذكرنا الا ان اهل العصر الثاني من بعدهم اتفقوا
على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين اجمعين وتصويب رايه وخصوصا طلحة والزبير
لانتقاضهما على علي بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التاثيم عن كل من الفريقين كالشان في
المجتهدين وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولي اهل العصر الاول كما هو معروف
ولقد سيل علي رضي الله تعالى عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال والذي نفسي بيده لا يموتن
احد من هولاء وقلبه نقي الا ادخله الله الجنة يشير الى الفريقين نقله الطبري وغيره فلا
يقعن عندك ريب في عدالة احد منهم ولا قدح في شي من ذلك فهم من علمت وافعالهم واقوالهم
انما هي عن المستندات وعدالتهم مفروغ منها عند اهل السنة الا قولا للمعتزلة فيمن قاتل
عليا لم يلتفت اليه احد من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت
الناس اجمعين في الاختلاف في شان عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت فتنة
ابتلى بها الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار
على حدودهم بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكانت اكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار
جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبتهم سيرته وادابه ولا ارتاضوا
بخلقه مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينة الايمان
واذا بهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا في ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة
وثقيف وهذيل واهل الحجاز ويثرب السابقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا من ذلك وغصوا
به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبايل
بكر بن وايل وعبد القيس بن ربيعة وكندة والازد من اليمن وقبايل تميم وقيس من مضر

وامثالهم

وامثالهم فصاروا الى الغض من قريش والانفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك
بالتظلم منهم والاستعداء عليهم والطعن فيهم بالعجز عن الرعية والعدول في القسم عن التسوية
وفشت المقالة بذلك وانتهت الى اهل المدينة وهم من علمت فاعظموه وابلغوه عثمان فبعث
الى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا
على الامراء شيا ولا راوا عليهم طعنا وادوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما
زالت السعايات تكثر والاشاعات تنمو ورمي الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد
عليه جماعة منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسالون عزل العمال
لعله العمال
وشكوا الى علي وعايشة والزبير وطلحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك السنتهم
بل وفد سعيد بن العاص وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولا ثم
انتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه من العزل فابى
ان لا يكون على جرحة ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من افعاله وهو متمسك بالاجتهاد وهم
ايضا كذلك ثم تجمع قوم من الغوغا وجاوا الى المدينة يظهرون طلب النصفة من عثمان وهم
يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر والشام قام معهم في ذلك
علي وعايشة والزبير وطلحة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى رايهم فيها
وعزل لهم عامل مصر فانصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون انهم لقوه في يد
حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك فقالوا مكنا من مروان فانه كاتبك
فحلف مروان فقال عثمان ليس في الحكم اكثر من هذا فحاصروه بداره ثم بيتوه على حين غفلة
من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة فلكل من هولاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين
بامر الدين ولا يضيعون شيا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع
على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظن بهم الا خيرا لما شهدت به احوالهم ومقالات الصادق فيهم

واما الحسين رضي الله تعالى عنه فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من
اهل عصره بعثت شيعة اهل البيت بالكوفة ان ياتيهم فيقوموا بامره فراى الحسين ان الخروج
وح
على يزيد متعين من اجل فسقه لا سيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه باهليته
وشوكته فاما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة واما الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لان
عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف انما كانت
في بني امية تعرف لهم ذلك قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما نسي من ذلك اول الاسلام
لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وامر الوحي وتردد الملايكة لنصر المسلمين واغفلوا
امور عوايدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعها ونسيت ولم يبق الا العصبية
الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم
والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشي
للعوايد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت واصبحت مضر اطوع لبني امية من سواهم
بما كان لهم من ذلك قبل فتبين بذلك غلط الحسين الا انه في امر دنيوي لا يضره الغلط فيه
واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد
عذله ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية اخوه وغيرهم في مسيره الى الكوفة وعلموا
غلطه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابة الذين

كانوا بالحجاز ومع يزيد بالعراق والشام ومن التابعين لهم فرأوا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقا
لا يجوز لما ينشا عنه من الهرج والدما فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا
اثموه لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتاثيم هولاء بمخالفة الحسين
وقعودهم عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وقد كان الحسين
يستشهد بهم وهو بكربلا على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وابا سعيد وانس
بن مالك وسهل بن سعد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك
لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله هو عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط ان
تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحد الشافعي
والمالكي الحنفي على شرب النبيذ واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله عن اجتهاد هولاء وان كان خلافه
عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله يزيد واصحابه ولا تقولن ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز هولاء
الخروج عليه فافعاله عندهم نافذة صحيحة فاعلم انه انما ينفذ من افعال الفاسق ما كان مشروعا
وقتال البغاة عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسالتنا فلا يجوز
قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب
وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد غلط
القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه المسمى بالعواصم والقواصم ما معناه ان
الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من
الحسين في زمانه في امامته وعدالته في قتال اهل الارا واما ابن الزبير فانه راى في خروجه
ما راه الحسين وظن كما ظن وغلطه في امر الشوكة اعظم لان بني اسد لا يقاومون بني امية في
جاهلية ولا اسلام والقول بتعين الخطا في جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي لا
سبيل اليه لان الاجماع هناك قضى لنا به ولم نجده هاهنا واما يزيد فعين خطاه فسقه
وعبد الملك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة وناهيك بعدالته احتجاج مالك بفعله
وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهو معهم بالحجاز مع ان الكثير من الصحابة
كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل الحل والعقد كبيعة مروان
وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين
في جهة منهما والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يجري على قواعد الفقه وقوانينه
مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريه الحق هذا هو الذي ينبغي ان تحمل عليه افعال السلف
من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح فمن الذي يختص بالعدالة
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين او ثلاث ثم يفشو فجعل الخيرة
وهي العدالة مختصة بالقرن الاول والذي يليه فاياك ان تعود لسانك او نفسك التعرض
لاحد منهم ولا يوسوس قلبك بالريب في شي مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت
فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا وقتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق
واعتقد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقتدي كل احد بمن يختاره منهم ويجعله
امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه واكوانه سبحانه وتعالى
احسن كل شي خلقه

لم يكن فيه

فصل في الخطط الدينية والخلافية

لما

لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع
متصرف في الامرين اما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية الذي هو مامور بتبليغها وحمل الناس عليها
واما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري وقد قدمنا ان هذا العمران ضروري
للبشر وان رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد ان اهملت وقدمنا ان الملك وسطوته كاف في حصول
هذه المصالح نعم انما يكون اكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك
يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينفرد اذا كان في غير الملة وله على
كل حال مراتب خادمة ووظايف تابعة تتعين خططا وتتوزع على رجال الدولة وظايف فيقوم
كل واحد بوظيفته حسب ما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه
بسلطانه واما المنصب الخلافي وان كان الملك يندرج تحته بهذا الاعتبار الذي ذكرناه
فتصرفه الديني يختص بخطط ومراتب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فلنذكر الخطط الدينية
المختصة بالخلافة ولنرجع الى الخطط الملوكية السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية
من الصلاة والقضا والفتيا والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة
فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة
وتصرفها في ساير احوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ احكام الشرع فيهما على العموم فاما
امامة الصلاة فهي ارفع هذه الخطط كلها وارفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة ولقد
يشهد لذلك استدلال الصحابة في شان ابي بكر رضي الله تعالى عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاه لدنيانا فلولا
ان الصلاة ارفع من السياسة لما صح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في المدينة
صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات المشهودة واخرى دونها مختصة بقوم
او محلة وليست للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة فامرها راجع الى الخليفة والى من يفوض اليه
من سلطان او وزير او قاض فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين
والاستسقا وتعين ذلك انما هو من طريق الاولى والاستحسان ولئلا يفتات الرعايا عليه في شي
من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب
الامام لها عنده واجبا واما المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع الى الجيران ولا تحتاج الى
نظر خليفة ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والمولي فيها معروفة في كتب الفقه ومبسوطة
في كتب الاحكام السلطانية وغيرها فلا نطول بذكرها وقد كان الخلفا الاولون لا يقلدونها لغيرهم
من الناس وانظر من طعن من الخلفا في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصدهم بذلك في اوقاتها
يشهد لك ذلك بمباشرتهم لها وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا رجال الدولة الاموية من بعدهم
استئثارا بها واستعظاما لرتبتها يحكى عن عبد الملك بن مروان انه قال لحاجبه قد جعلت لك
حجابة بابي الا عن ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتاخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله
والبريد فان في تاخيره فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع
عن مساواة الناس في دينهم ودنياهم استنابوا في الصلاة وكانوا يستاثرون بها في الاحيان
وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويها فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيديين
صدر دولتهم واما الفتيا فللخليفة تصفح اهل العلم والتدريس ورد الفتيا الى من هو
اهل لها واعانته على ذلك ومنع من ليس باهل فيضل الناس وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم

وبه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ايمتها فلا بد من استيذانه في ذلك وان كانت من المساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي لكل احد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنعه من التصدي لما ليس له باهل فيضل به المستهدي ويزل به المسترشد وفي المثل اجراوكم على الفتيا اجراوكم على جرايم جهنم فللسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجبه المصلحة من اجازة او رد

واما القضا فهو من الوظايف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظايف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعلون القضا في شي الى سواهم واول من دفعه الى غيره وفوض فيه عمر رضي الله تعالى عنه فولى ابا الدردا معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي يدور عليه احكام القضا وهي مستوفاة فيه يقول فيه اما بعد فان القضا فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له واس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا ولا يمنعك قضا قضيته امس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظايرها واجعل لمن ادعى حقا غايبا او بينة امدا ينتهي اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا استحللت القضية عليه فان ذلك انفى للشك واجلى للعما المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا في ولاء او نسب فان الله تولى منكم السراير سبحانه عفى عن الايمان ودراء بالبينات واياك والقلق والضجر والتافف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى كتاب عمر رضي الله عنه وانما كانوا يقلدون القضا لغيرهم وان كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العناية به فاستخفوا القضا في الواقعات بين الناس فاستخلفوا فيه من يقوم به تخفيفا على انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقلدونه اهل عصبيتهم بالنسب او الولا ولا يقلدونه لمن بعد عنهم في ذلك

واما احكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب الفقه خصوصا كتب الاحكام السلطانية الا ان القاضي انما كان له في عصر الخلفا الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك امور اخرى على التدريج بحسب اشتغال الخلفا والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضا اخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفا بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المحجورين عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين واهل السفه وفي وصايا المسلمين واوقافهم وتزويج اليتامى عند فقد الاوليا على راي من يراه والنظر في مصالح الطرقات والابنية وتصفح الشهود والامنا والنواب واستيفا العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوابع ولايته وقد كان الخلفا من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضا وتحتاج الى علو يد

وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المتعدي وكان يمضي ما عجز القضاة او غيرهم من امضايه ويكون نظره في البينات والتقرير واعتماد الامارات والقراين وتاخير الحكم الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود وذلك اوسع من نظر القاضي وكان الخلفاء الاولون يباشرونها بانفسهم الى ايام المهتدي من بني العباس وربما كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل علي رضي الله عنه ه بقاضيه ابي ادريس الخولاني وكما فعله المامون ليحيى بن اكثم والمعتصم لابن ابي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الصوايف وكان يحيى بن اكثم يخرج ايام المامون بالصايفة الى ارض الروم وكذا منذر بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بني امية بالاندلس وكانت تولية هذه الوظايف انما تكون للخلفاء او من يجعلون له ذلك من وزير مفوض او سلطان متغلب وكان ايضا النظر في الجرايم واقامة الحدود مخصصا في الدولة العباسية والاموية بالاندلس والعبيديين بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي وظيفة اخرى دينية كانت من الوظايف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن احكام القضا قليلا فيجعل للتهمة في الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرايم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير والتاديب في حق من لم ينته الى الجريمة ثم تنوسي امرها بين الوظيفتين في الدول التي تنوسي فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجعا الى السلطان كان له تفويض من الخليفة او لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرايم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشرطة وبقي قسم التعازير واقامة الحدود في الجرايم الثابتة شرعا فجمع للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبية الدولة لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالحلف او الرق او بالاصطناع ممن يوثق بكفايته وغنايه فيما يدفع اليه ولما انقرض امر الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكا وسلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشي لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه ثم خرج الامر جملة عن العرب وصار الملك لسواهم من امم الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافية بعدا عنهم بمنحاها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم وان النبي صلى الله عليه وسلم منهم واحكامه وشرايعهم عليهم بين الامم وطريقتهم وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها جانبا من التعظيم لما دانوا بالملة ه فقط فصاروا يقلدونها من غير عصابتهم ممن كان تاهل لها في دولة الخلفاء السالفة وكان اوليك المتاهلون بما اخذهم ترف الدول منذ سنين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالحضارة في عوايد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكية من بعد الخلفا مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل الامصار ونزل اهلها عن مراتب العز لفقد الاهلية بانسابهم وما هم عليه من الحضارة ه فلحقهم من الاحتقار ما يلحق الحضر المنغمسين في الترف والدعة والبعد عن عصبية الملك الذين هم عيال على الحامية وصار اعتبارهم في الدولة من اجل قيامها بالملة واخذها باحكام الشريعة لما انهم الحاملون للاحكام المفتون بها ولم يكن ايثارهم في الدولة حينيذ اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلمح من التجمل بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شي

وان حضروا فحضور رسمي لا حقيقة وراءه اذ حقيقة الحل والعقد انما هو لاهل القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقي الفتاوي منهم نعم والله الموفق وربما يظن بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الملوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقتضي لهم شيئا من ذلك لان الشورى والحل والعقد انما تكون لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك واما من لا عصبية له ولا يملك من امر نفسه شيئا ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى او اي معنى يدعو الى اعتباره فيها اللهم الا شوراه فيما يعلمه من الاحكام فموجود في الاستفتاء خاصة واما شوراه في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الملوك والامراء الشاهدة لهم بجميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينتسب اليه باي جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبيا فاعلم ان الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احتف به انما حملوا الشريعة اقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكابرهم ولا يتصفون الا بالاقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة اتصافا بها وتحققا بمذاهبها فمن حملها اتصافا وتحققا دون نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري والائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء على اثرهم واذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد احق بالوراثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب اقوال يقصها علينا في كيفيات العمل وهؤلاء اكثر فقهاء عصرنا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم **واما العدالة** وهي وظيفة دينية تابعة للقضا ومن مواد تصريفه وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملاكهم وديونهم وساير معاملاتهم وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية ه والبراءة من الجرح ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها ومن جهة احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القائمون به كانهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وان لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه واذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت الفائدة بهم في تعيين من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيعرضون غالبا في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في ساير الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس عليها ليتعاهدهم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة

الشرعية التي هي اخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله اعلم **واما الحسبة والسكة** اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع واستعداء بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له ايضا الحكم في الدعاوي مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكانها احكام ينزه عنها القضاة لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضا وقد كانت في كثير من الدولة الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما في امور السياسة فاندرجت في وظائف الملك وانفردت بالولاية **واما السكة** فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش او النقص ان كان يتعامل بها عددا او ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا وقف اهل القطر او افق على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموها اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم وينتقدونها بمماثلته وان نقص عن ج ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة ولقد كانت تندرج في عموم ولاية القضاء ثم افردت لهذا العهد بالولاية كما وقع في الحسبة هذا اخر الكلام في الحسبة على الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية نتكلم عليها في مكانها بعد وظيفة الجهاد بطلت ببطلانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويدرجون احكامه غالبا في السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الخلافة او الحق في بيت المال قد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالجملة فقد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في ساير الدول لهذا العهد والله مصرف الامور بحكمته سبحانه

فصل في اللقب بامير المومنين وانه من سمة الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك انه لما بويع ابو بكر رضي الله عنه كانت الصحابة وساير المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك

الى ان مات فلما بويع لعمر رضي الله عنه بعهده اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانوا استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة اضافاته وانه يتزايد فيما بعد
دايما الى ان ينتهي الى الهجنة ويذهب منه التمييز بالمضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا ايضا
يعدلون عن هذا اللقب الى سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم
الامير وهو فعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم امير مكة
وامير الحجاز وكان الصحابة يدعون سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه امير المسلمين لامارته
على جيش القادسية وهو معظم المسلمين يوميذ واتفق ان دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه
بامير المومنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان اول من دعاه بذلك عبد
الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث
وهو يسال عن عمر وهو يقول اين امير المومنين وسمعها اصحابه فاستحسنوه وقالوا
اصبت والله اسمه انه امير المومنين حقا فدعوه به وذهب لقبا له في الناس وتوارثه الخلفا
من بعده سمة لا يشاركهم فيها احد سواهم ساير دولة بني امية ثم ان الشيعة خصوا عليا باسم
الامام نعتا له بالامامة التي هي اخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم في انه احق بامامة الصلاة
من ابي بكر كما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة
من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ما داموا يدعون لهم في الخفا حتى اذا استولوا على الدولة
يحولون اللقب فيمن بعده الى امير المومنين كما فعله شيعة بني العباس فانهم ما زالوا يدعون ايمتهم
بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعا له وعقدوا الرايات للحرب على امره فلما مات دعي اخوه
السفاح بامير المومنين وكذا الرافضة بافريقية ما زالوا يدعون الايمة من ولد اسماعيل
بالامام حتى انتهى الامر لعبيد الله المهدي وكانوا ايضا يدعونه بالامام ولابنه ابي القاسم
بعده فلما استوثق لهم الامر دعوا من بعدهما امير المومنين وكذا الادارسة بالمغرب
كانوا يدعون ادريس الامام وابنه ادريس الاصغر كذلك هكذا شانهم وتوارث الخلفا اللقب
بامير المومنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق المواطن التي هي ديار العرب
ومراكز الدولة واهل الملة والفتح وازداد لذلك في عنفوان الدولة وبذخها لقب اخر للخلفا
يتميز بعضهم عن بعض لما في امير المومنين من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس
حجابا لاسمايهم الاعلام عن امتهانها في السنة السوقة وصونا لها عن الابتذال فتلقبوا
بالسفاح والمنصور والهادي والمهدي والرشيد الى اخر الدولة واقتفى اثرهم في ذلك
العبيديون بافريقية ومصر والسذاجة لان العروبة ومنازعها حينيذ لم يفارق
ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما بالاندلس فتقلدوا السلفهم مع ما علموه
من انفسهم من ذلك من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز واصل العرب والملة
والبعد عن دار الخلافة التي مركز العصبية فانهم انما منعوا بامارة انفسهم القاصية
مهلك بني العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الاخر منهم وهو الناصر بن الامير عبد الله بن محمد
ابن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر
واستبداد الموالي وعيثهم في الخلفا بالعزل والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن
هذا الى مثل مذاهب الخلفا بالمشرق وافريقية وتسمى بامير المومنين وتلقب بالناصر لدين الله
واخذت من بعده عادة ومذهبا لقن عنه ولم يكن لابايه وسلفه قومه واستمر الحال الى

ان انقرضت عصبية العرب وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالي من العجم على بني العباس والصنايع
على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على امراء افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوايف
بالاندلس على امر بني امية واقتسموه وافترق امر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب
والمشرق في الاختصاص بالالقاب بعد ان تسموا جميعا باسم السلطان فاما ملوك المشرق من
العجم فكان الخلفا يخصونهم بالقاب تشريفية حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم
مثل شرف الدولة وعضد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الملك
وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديون ايضا يخصون بها امراء صنهاجة فلما استبدوا
على الخلافة قنعوا بهذه الالقاب وتجافوا عن القاب الخلافة ادبا معها وعدولا عن سماتها
المختصة بها شان المتغلبين المستبدين كما قلناه قبل ونزع المتاخرون من اعاجم المشرق
حين قوي استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصبية
الخلافة واضمحلت بالجملة الى انتحال الالقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة الى
القاب كانوا يختصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن ربقة الولاء والاصطناع
باضافتها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين واما ملوك الطوايف
بالاندلس فاقتسموا القاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من
قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وامثالها كما قال
ابو شرف ينعي عليهم ذلك

مما يزهدني في ارض اندلس ۞ اسماء معتمد فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها ۞ كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

واما صنهاجة فاقتصروا على الالقاب التي كان الخلفاء العبيديون يلقبونهم بها مثل نصير
الدولة وسيف الدولة واتصل لهم ذلك لما ان ادالوا دولة العبيديين بدعوة
العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدها فنسوا هذه الالقاب واقتصروا
على اسم السلطان وكذا شان ملوك مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا شيا من هذه الالقاب الا اسم
السلطان جريا على مذهب البداوة والغضاضة ولما محي اسم الخلافة وتعطل رسمها بالمغرب
من قبايل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من اهل الخير
والاقتدا نزعت به همته الى الدخول في الطاعة للخليفة تكميلا لمراسم دينه فخاطب
المستظهر العباسي واوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربي وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة
اشبيلية يطلبان توليته اياه على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفة
له على المغرب زيهم في لبوسه ورايته وخاطبه فيه بامير المسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذ ها
لقبا ويقال انه كان يدعى له بامير المسلمين من قبل ادبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه
المرابطون من انتحال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على اثرهم داعيا الى الحق اخذا بمذاهب
الاشعرية ناعيا على اهل المغرب عدولهم عنها الى تقليد السلف في ترك التاويل لظواهر الشريعة
وما يول اليه ذلك كما هو معروف في مذهب الاشعرية وسمى اتباعه الموحدين تعريضا بذلك
النكير وكان يرى راي اهل البيت في الامام المعصوم وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده
نظام هذا العالم فسمي بالامام اولا لما قلناه من مذهب الشيعة في القاب خلفايهم واردف
بالمعصوم اشارة الى مذهبه في عصمة الامام وتنزه عن امير المومنين اخذا بمذهب المتقدمين

من الشيعة ولما فيهما من مشاركة الاعمام والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق والمغرب ثم انتحل عبد المومن ولي عهده اللقب بامير المومنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المومن وآل ابي حفص من بعدهم استئثارا به عن سواهم لما دعى اليه شيخهم المهدي من ذلك وانه صاحب الامر واولياؤه من بعده كذلك دون كل احد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها وكان ذلك دابهم ولما انتقض الامر بالمغرب وانتزعه زناتة ذهب اولوهم مذاهب البداوة والسذاجة واتباعا للمتونة في انتحال اللقب بامير المومنين ادبا مع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها لبني عبد المومن اولا ولبني ابي حفص من بعدهم ثم نزع المتاخرون منهم الى اللقب بامير المومنين وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا في منازع الملك وتتميما لمذاهبه وسماته والله اعلم

فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية والكوهن عند اليهود

اعلم ان الملة لابد لها من قائم بها عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرايعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاء به من التكاليف والنوع الانساني ايضا بما تقدم من ضرورة السياسة فيه للاجتماع البشري لابد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا او كرها اتحدت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القائمين بها واما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد فيهم مشروعا الا في المدافعة فقط فصار القائم بامر الدين فيها لا يعنيه شي من سياسة الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولامر غير ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية بما فيها من الطلب للملك بالطبع كما قدمناه لا لانهم مكلفون بالتغلب على الامم كما في الملة الاسلامية وانما هم مطالبون باقامة دينهم فقط وكان القائم به بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة لموسى عليه الصلاة والسلام يقيم لهم امر الصلوات والقربان ويشترطون فيه ان يكون من ذرية هارون عليه السلام لان موسى لم يعقب ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون احكامهم العامة والكوهن اعظم رتبة منهم في الدين وابعد عن شغب الاحكام واتصل ذلك فيهم الى ان استحكمت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة للملك فغلبوا الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى عليه السلام فحاربتهم امم الفلسطين والكنعانيين والارمن وادوم وعمون ومواب ورياستهم في ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحوا من اربعماية سنة ولم تكن لهم صولة الملك وضجر بنو اسرايل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من انبيايهم ان ياذن الله لهم في تمليك رجل عليهم فملك عليهم طالوت فغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلسطين ثم ملك بعده داود ثم سليمان عليهما السلام فاستفحل ملكه وامتد الى الحجاز واليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط بعد وفاة سليمان عليه السلام بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احداهما بالجزيرة والموصل للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبني يامين ثم غلب عليهم بخت نصر ملك بابل على ما بايديهم من الملك اولا الاسباط العشرة ثم ثانيا بني يهوذا وبيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرب مسجدهم واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق الى

ان ردهم بعض ملوك الكينية من الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم الاول للكهنة فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكتهم ثم فشل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمناي وقاتلوا يونان حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وبها بنو هيردوس اصهار حشمناي وبقية دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة واثخنوا في القتل والهدم والتحريق وخربوا بيت المقدس واجلوهم عنها الى رومة وما وراءها وهو الخراب الثاني للمسجد وتسميه اليهود الجلوة الكبرى فلم يقم لهم بعد ذلك ملك لفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بما جاءهم به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابراء المعتوه واحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس وامنوا به واكثرهم الحواريون اصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلا الى الافاق داعين الى ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفي مدة هيرودس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناي اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملك القياصرة اوغسطس يغريه به فاذن لهم في قتله ووقع ما ثلاثة القران من امره وافترق الحواريون شيعا وافترق اكثرهم الى بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة ثم كتبوا الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ اربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى انجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطيني وكتب لوقا منهم انجيله باللطيني لبعض اكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين وكتاب المقابيين لابن كريون ثلاثة وكتاب عزر الامام وكتاب اوشير قصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه الصلاة والسلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان عليه السلام ومن شريعة عيسى عليه السلام المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتب القتاليقون سبع رسايل وثامنها الابركسيس في قصص الرسل وكتاب اقليمنطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغلمسيس وفيه رويا يوحنا بن زبدي وكتاب بولس اربع عشرة رسالة واختلف شان القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها واستمروا عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه

البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من امم النصارى ويسمونه الاسقف اي نايب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم القسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول راس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة فيمن قتل من البطارك والاساقفة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اريوس وكان مرقس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجعل معه اثني عشر قسا على انه اذا مات البطرك يكون واحد من الاثني عشر مكانه ويختار من المومنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقايده واجتمعوا بنيقية ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثلاثماية وثلاثة عشر من اساقفتهم على راي واحد في الدين فكتبوه وسموه الامام وصيروه اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه ان البطرك القايم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقسة كما قرره حنانيا تلميذ مرقس وابطلوا ذلك الراي وانما يقدم عن ملاء واختيار من ايمة المومنين ورؤسايهم فبقي الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقي الامر فيها على ذلك واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطرك وكانوا يدعون البطرك بالاب تعظيما له فصار الاقسة يدعون الاسقف فيما غاب عن البطرك بالاب تعظيما له فاشتبه الامر في اعصار متطاولة يقال اخرها بطركية هرقل بالاسكندرية وارادوا ان يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الاباء وظهر هذا الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جرجيس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليه الى الان ثم اختلف النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوايف وفرقا واستظهروا بالملوك النصرانية على كل صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلاث طوايف هي فرقهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنسطورية ولم نروا ان نسخم اوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجملة معروفة وكلها كفر كما صرح به القران الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك الجدال ولا الاستدلال انما هو الاسلام او الجزية او القتل ثم اختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على راي الملكية ورومة للافرنجة وملكهم قايم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على راي اليعقوبية وهو ساكن بين اظهرهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومية لهذا العهد ولا يسمي اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباءين موحدتين من اسفل والنطق بها مفخمة والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجة انه يحضهم على الانقياد لملك واحد يرجعون اليه في اختلافهم واجتماعهم تحرجا من اختلاف الكلمة ويتحرى به

العصبية

العصبية التي لا فوقها منهم ليكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرظور وحرفه الوسط بين الذال والظا المعجمتين ويباشره بوضع على راسه للتبرك فيسمى المتوج ولعله معنى لفظ الانبرظور هذا ملخص ما اردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهين والله يضل من يشا ويهدي

فصل في مراتب الملك والسلطان والقابهما

اعلم ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل امره ثقيل فلا بد له من الاستعانة بابناء جنسه واذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وساير مؤنه فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم والى كف عدوان بعضهم على بعض في انفسهم بامضاء الاحكام الوازعة فيهم وكف العدوان عليهم في اموالهم حتى باصلاح سابلتهم والى حملهم على مصالحهم وما يعمهم البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعايش والمكاييل والموازين حذرا من التطفيف والى النظر في السكة لحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يريده منهم من معانات القلوب قال بعض الاشراف من الحكما لمعاناة نقل الجبال من اماكنها اهون علي من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت باولي القربى من اهل النسب او التربية او الاصطناع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم بخلقه في الاستعانة قال تعالى اجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري وهو اما ان يستعين في ذلك بسيفه او قلمه او برايه ومعارفه او بحجابه عن الناس ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظر في مهماتهم او يدفع النظر في الملك كله اليه ويعول على كفايته في ذلك واضطلاعه فلذلك قد يوجد لرجل واحد وقد يفترق في اشخاص وقد يتفرع كل واحد منها الى فروع كثيرة كالقلم يتفرع الى قلم الرسايل والمخاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات والى قلم المحاسبة وهو صاحب الجباية والعطا وديوان الجيش وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور ثم اعلم ان الوظايف السلطانية في هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة لاشتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة منها في ساير وجوهها لعموم تعلق الحكم الشرعي بجميع افعال العباد والفقيه ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها استبدادا على الخلافة وهو معنى السلطان او تفويضا منها وهو معنى الوزارة عندهم كما ياتي وفي نظره في الاحكام والاموال وساير السياسات مطلقا او مقيدا وفي موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان وكذا في ساير الوظايف التي تحت الملك والسلطان من وزارة او جباية او ولاية لا بد للفقيه من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من انسحاب حكم الخلافة الشرعية في الملة الاسلامية على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا في وظايف الملك والسلطان ورتبه انما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصها من احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعية مع انها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل كتاب القاضي ابي الحسن الماوردي وغيره من اعلام الفقها فان اردت استيفاءها فعليك بمطالعتها هنالك وانما تكلمنا في الوظايف الخلافية وافردناها لنميز بينها وبين الوظايف السلطانية فقط لا لتحقيق احكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا وانما نتكلم في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله اعلم

واما الوزارة وهي ام الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق

الاعانة فان الوزارة ماخوذة اما من الموازرة وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع مفاعله اوزاره واثقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا في اول الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة لانها اما ان تكون في امور حماية الكافة واسبابها من النظر في الجند و السلطان والحروب وساير امور الحماية والمطالبة وهذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب واما ان تكون في امور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان او في الزمان وتنفيذ الاوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما ان تكون في جباية الاموال وانفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه ان يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق واما ان تكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبه فلا تعدو احواله هذه الاربعة بوجه وكل خطة او رتبة من رتب الملك والسلطان فاليها يرجع الا ان الارفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذ هو يقتضي مباشرة السلطان دايما ومشاركته في كل صنف من احوال مملكته واما ما كان خاصا ببعض الناس او ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى لقيادة ثغر او ولاية جباية خاصة او النظر في امر خاص كالنظر في الطعام او النظر في السكة فان هذه نظر في احوال خاصة فيكون صاحبها تبعا لاهل النظر العام وتكون رتبته مرؤسة لاولئك وما زال الامر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى اذا جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت هذه الخطط كلها بذهاب رسم الملك الا ما هو طبيعي من المعاونة بالراي والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله اذ هو امر لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة ويختص مع ذلك ابا بكر بخصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدولة واحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون ابا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتب الملك بسذاجة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر وعلي وعثمان مع عمر واما احوال الجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة لان القوم كانوا عربا اميين لا يحسنون الكتاب ولا الحساب فكانوا يستعملون في الحساب اهل الكتاب او افرادا من العجم ممن يجيده وكان قليلا فيهم واما اشرافهم فلم يكونوا يجيدونه لان الامية كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال المخاطبات وتنفيذ الامور لم تكن عندهم رتبة لاجل الامية التي فيهم وللامانة العامة في كتمان القول وتاديته ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين وليست من السياسة الملكية في شي وايضا لم تكن الكتابة صناعة مستجادة للخليفة لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم بابلغ العبارات ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنيب في كتابه متى عن له من يحسنه واما مدافعة ذوي الحاجات عن ابوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه فلما انقلبت الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان والقابه كان اول شي بدي به في الدولة شان الباب وسده دون الجمهور لما كانوا يخشون على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب وقد جاء عن عبد الملك انه لما ولى حاجبه قال له قد وليتك حجابة بابي الا عن ثلاث المؤذن للصلاة فانه داعي الله وصاحب البريد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم استفحل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في امور القبايل والعصبيات واستيلافهم واطلق عليه اسم الوزير وبقي امر الحسبان في الموالي والذميين واتخذ

السجلات

السجلات كاتب مخصوص حوطة على اسرار السلطان ان تشتهر فتفسد سياسته مع قومه ولم يكن بمثابة الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام اذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذا ساير دولة بني امية فكان النظر للوزير عاما في احوال التفويض والمفاوضات وساير امور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض العطاء بالاهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شان الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل له النظر في جمعه وتفريقه واضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذياع والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطتي السيف والقلم وساير معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن له لاستنكافه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شان الاستبداد على السلطان وتعاور فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان اخرى وصار الوزير اذا استبد محتاجا الى استنابة الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية وتجري على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال الشرعية وتجري على حالها كما تقدم ما يكون السلطان قايما على نفسه والى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار الامر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لاولئك المتغلبين ان ينتحلوا القاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب لانهم خول لهم فتسموا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء او بالسلطان الى ما يحليه به الخليفة من القابه كما تراه في القابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشان عندهم الى اخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعة ينتحلها بعض الناس فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولانهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من ساير الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واختص اسم الامير بصاحب الحروب والجند وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على اهل الرتب وامره نافذ في الكل اما نيابة واما استبدادا واستمر الامر على هذا ثم جاءت دولة الترك اخرا بمصر فراوا الوزارة قد ابتذلت بترفع اولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك معقب بنظر الامير فصارت مرؤسة ناقصة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية في الدولة من اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنايب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية واما دولة بني امية بالاندلس فانفوا اسم الوزير في مدلوله اول الدولة ثم قسموا خطته اصنافا وافردوا لكل صنف وزيرا فجعلوا لحسبان المال وزيرا وللترسيل وزيرا وللنظر في حوايج المتظلمين وزيرا وللنظر في احوال اهل الثغور وزيرا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون امر السلطان هنالك كل فيما جعل له وافرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشان هذا الى اخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على ساير الرتب حتى صار ملوك الطوايف ينتحلون لقبها فاكثرهم يومئذ يسمى الحاجب كما نذكره ثم

جاءت دولة الشيعة بإفريقية والقيروان وكان للقائمين بها رسوخ في البداوة فأغفلوا أمر هذه الخطط أولا وتنقيح أسمائها حتى أدركت دولتهم الحضارة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم في وضع أسمائها كما تراه في أخبار دولتهم ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك أغفلت الأمر أولا للبداوة ثم صارت إلى انتحال الأسماء والألقاب وكان اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم والآداب التي تلزم في الكون بين يديه ورفعوا خطة الحجابة عنه ما شاؤا ولم يزل الشأن ذلك إلى هذا العهد وأما في دولة الترك بالمشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الآداب في اللقاء والتحية في مجلس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه يسمونه الدوادار ويضيفون إليه استتباع كاتب السر وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وفي الحضرة وحالهم على ذلك لهذا العهد والله متولي الأمور **أما الحجابة** فقد قدمنا أن هذا اللقب كان مخصوصا في الدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤوسة إذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر أيام بني العباس وإلى هذا العهد فهي بمصر مرؤوسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب وأما في دولة بني أمية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت في دولتهم رفيعة غاية كما تراه في أخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم الحجابة لشرفها فلما كان المنصور بن أبي عامر وأبناؤه كذلك ولما بدوا في مظاهر الملك وأطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكانوا يعدونه شرفا لهم وكان أعظمهم ملكا بعد انتحال ألقاب الملك وأسمائه لا بد له من ذكر الحاجب وذي الوزارتين يعنون به السيف والقلم ثم لم يكن في دولة المغرب وإفريقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التي كانت فيهم وربما يوجد في دولة العبيديين بمصر عند استعظامها وحضارتها إلا أنه قليل ولما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتمييز الخطط وتسميتها بالأسماء إلا آخرا فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير فكانوا أولا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كابن عطية وعبد السلام الكومي وكان له مع ذلك النظر في الحسبان والأشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لأهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم يومئذ وأما بنو أبي حفص بإفريقية فكانت الرياسة في دولتهم أولا والتقدم لوزير الرأي والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين فكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والحروب واختص الحسبان والديوان برتبة يسمى متوليها صاحب الأشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط وكان من شرطه أن يكون من الموحدين واختص عندهم القلم أيضا بمن يجيد الترسل ويؤتمن على الأسرار لأن الكتابة لم تكن من منتحل القوم ولا الترسل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين في داره إلى قهرمان خاص بداره في أحواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والإصطبلات وغيرهما وحصر للذخيرة وتنفيذ ما يحتاج إليه في ذلك على أهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما أضافوا إليه كتابة العلامة على السجلات إذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الأمر على ذلك وحجب السلطان نفسه

عن الناس

عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين أهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدولة السيف والحرب ثم الرأي والمشورة فصارت الخطة أرفع الرتب وأوعبها للخطط ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حافد السلطان أبو العباس على نفسه وأذهب آثار الحجر والاستبداد بإذهاب خطة الحجابة التي كانت سلما إليه وباشر أموره كلها بنفسه من غير استعانة بأحد والأمر في ذلك لهذا العهد وأما دولة زناتة بالمغرب وأعظمها دولة بني مرين فلا أثر لاسم الحجابة عندهم وأما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحسبان والرسائل راجعة إلى من يحسنها من أهلها وإن اختصت ببعض البيوت من المصطنعين في دولتهم وقد تجمع عندهم بالمزوار ومعناه المتقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك فالباب وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه فكأنها وزارة صغرى وأما دولة بني عبد الواد فلا أثر عندهم لشيء من هذه الألقاب ولا تمييز الخطط لبداوة دولتهم وقصورها وإنما يخصون باسم الحاجب في بعض الأحوال منفذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني حفص وقد يجمعون له الحسبان والسجل كما كان فيها حملهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ أول أمرهم وأما أهل الأندلس لهذا العهد فالمخصوص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان وسائر الأمور المالية يسمونه بالوكيل وأما الوزير فكالوزير إلا أنه قد يجمع له الترسل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كما لغيرهم من الدول وأما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة وفي العامة على الإطلاق وللنائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الأحيان ويقطع القليل من الأرزاق ويبتها وتنفذ أوامره ومراسمه كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع إليهم وإجبار من أبى الانقياد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب الجباية للأموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج أو مكس أو جزية ثم في تصريفها في الإنفاقات السلطانية والجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم ومن عوائدهم أن يكون هذا الوزير من صنف القبط القائمين على ديوان الحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الأحيان لأهل الشوكة من رجالات الترك أو أبنائهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الأمور ومصرفها بحكمته سبحانه وتعالى

ديوان الأعمال والجبايات

هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إباناتها والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومة تلك الأعمال وقهارمة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال إن هذه التسمية أن كسرى نظر يوما إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون أنفسهم كأنهم يحادثون

فقال ديوانه اي مجانين فسمي موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل
ديوان ثم نقل هذا الاسم كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات وقيل انه اسم
للشياطين بالفارسية وسمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي
منها والخفي وجمعهم لما شذ وتفرق ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا
فيتناول اسم الديوان كتاب الرسايل ومكان جلوسهم بباب السلطان على ما ياتي بعد وقد تفرد
هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر في ساير هذه الاعمال وقد يفرد كل صنف منها بناظر كما يفرد
في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسبان اعطياتهم وغير ذلك على حسب
مصطلح الدولة وما قرره اولوها واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند
تمكن الغلب والاستيلا والنظر في اعطاف الملك وفنون التمهيد واول من وضع الديوان
في الدولة الاسلامية عمر رضي الله عنه يقال بسبب مال اتي به ابو هريرة من البحرين استكثره
وتعبوا في قسمه فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطا والحقوق فاشار خالد بن الوليد
وقال رايت ملوك الشام يدونون فقبل عمر منه وقيل بل اشار عليه الفيروزان لما راه يبعث
البعوث بغير ديوان فقال له ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم فان من تخلف منهم اخل بمكانه
وانما يضبط ذلك الكتاب فاثبت لهم ديوانا وسال عمر عن اسم الديوان ففسر له ولما اجمع ذلك
امر عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان
العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتديا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروي الزهري عن سعيد بن المسيب
ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين واما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه
من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من اهل العهد
من الفريقين فلما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة
الى رونق الحضارة ومن سذاجة الامية الى حذق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة في
الحسبان فامر عبد الملك سليمان بن سعد والي الاردن لعهده ان ينقل ديوان الشام الى
العربية فاكمله لسنة من يوم ابتدايه ووقف عليه سرجون كاتب عبد الملك فقال لكتاب
الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم واما ديوان العراق فامر الحجاج
كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية ولقن ذلك عن زادان فروخ
كاتب الحجاج ولما قتل زادان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف الحجاج صالحا هذا مكانه
وامره ان ينقل الديوان من العربية الى الفارسية ففعل ورغم لذلك كتاب الفرس وكان عبد
الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني
العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شان بني برمك وبني سهل بن نوبخت وغيرهم
من وزرا تلك الدولة واما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش وبيت
المال في الدخل والخرج او تمييز النواحي بالصلح والعنوة وفي هذه الوظيفة ممن يكون وشروط
الناظر فيها والكاتب وقوانين الحسبانات فامر راجع الى كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة
هناك وليست من غرض كتابنا وانما نتكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه
وهذه الوظيفة جز عظيم من الملك بل هي ثالثة اركانه لان الملك لا بد له من الجند والمال
والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان في امر السيف وامر القلم وامر المال

فينفرد

فينفرد صاحبها لذلك بجز من رياسة الملك وكذلك كان الامر في دولة بني امية بالاندلس والطوايف
بعدهم واما دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون من الموحدين مستقل بالنظر في استخراج الاموال
وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها ثم تنفيذها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب
الاشغال وكان ربما يليها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها ولما استبد بنو ابي حفص بافريقية
وكان شان الجالية من الاندلس فقدم عليهم اهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل في ذلك بالاندلس
مثل بني سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببني ابي الحسين فاستكفوا بهم في ذلك
وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس وداولوا فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل
بها اهل الحسبان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم استفحل امر الحاجب ونفذ امره في كل شان
من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحبه مرؤوسا للحاجب واصبح في جملة الجباة وذهبت
تلك الرياسة التي كانت له في الدولة واما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان الخراج والعطاء
مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسبانات كلها ويرجع الى ديوانه ونظره معقب
بنظر السلطان او الوزير وخطه معتبر في صحة الحسبان في الخراج والعطاء هذه اصول الرتب
والخطط السلطانية وهي الرتبة العالية التي هي عامة النظر ومباشرة للسلطان واما هذه الرتبة
في دولة الترك فمتنوعة وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص بالوزير
وهو الناظر في ديوان الجباية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في
الاموال عندهم يتنوع الى رتب كثيرة لانفساح دولتهم وعظم سلطانهم واتساع الاموال والجبايات
على ان يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر العام منها
هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولى من موالي السلطان واهل عصبيته وارباب
السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير اليه ويجتهد جهده في متابعته ويسمى عندهم استاذ الدار وهو
احد الامرا الاكابر في الدولة من الجند وارباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عندهم اخرى كلها
راجعة الى الاموال والحسبان مقصورة النظر على امور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لاموال
المختصة به التي ليست من اموال المسلمين العامة وكلهم تحت يد الامير استاذ الدار وان كان من الجند
فلا يكون نظر عليه وناظر الخاص ايضا وقد يكون يرجع الى ناظر خازن السلطان من مماليكه
وهو المسمى خازن دار لاختصاص وظيفتهما باموال المسلمين الخاصة به هذا بيان هذه الخطة
في دولة الترك بالمشرق بعد ما قدمناه من امرها بالمغرب والله مصرف الامور لا رب غيره

ذكر الرسايل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغنا كثير من الدول عنها راسا كما في الدول
العريقة في البداوة التي لم ياخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنايع وانما اكد الحاجة اليها
في الدولة الاسلامية شان اللسان العربي والبلاغة في العبارة عند المقاصد فصار الكاتب
يودي كنه الحاجة بابلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكاتب للامير يكون من اهل نسبه
ومن عظما قبيلته كما كان للخلفاء وامرا الصحابة بالشام والعراق لعظم امانتهم وخلوص اسرارهم
فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس رفيعة وكان الكاتب
يصدر السجلات مطلقة ويكتب في اخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه
اسم السلطان او شارته يغمس في طين احمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل

عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته
اولا او آخرا على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان
عند السلطان لغير صاحبها من اهل المراتب في الدولة او استبداد وزير عليه فيصير علامة
هذا الكاتب ملغاة بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والعلامة
لذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شان الحجابة وصار امرها الى التفويض ثم
الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة اتباعا لما سلف من امرها فصار
الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير له من صيغ الانفاذ ما شاء فيأتمر
الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وذلك يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبدا
بامره قائما على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضعه ويتخير له من صيغ الانفاذ ما شاء فيأتمر الكاتب
له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبدا بامره
قائما على نفسه فيرسم الامر للكاتب فيضع علامته **ومن خطط الكتابة التوقيع**
وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة
اليه احكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان باوجز لفظ وابلغه فاما ان تصدر كذلك
واما ان يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من
البلاغة يستقيم بها توقيعه وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد
ويرمي بالقصة الى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على
اساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شان الدول
واعلم ان صاحب هذه الخطة لابد ان يتخير من ارفع طبقات الناس واهل المروءة والحشمة
منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في اصول العلم لما يعرض في مجالس
الملوك ومقاعد احكامهم من امثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب
والتخلق بالفضائل مع ما يضطر اليه في الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها
وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى ارباب السيوف لما يقتضيه طبع الدولة من البعد
عن معاناة العلوم لاجل سذاجة العصبية فيختص السلطان اهل عصبيته بخطط دولته وسائر
رتبه فيقلد المال والسيف والكتابة منهم فاما رب السيف فيستغني عن معاناة القلم واما المال
واما المال والكتابة فيضطر الى ذلك للبلاغة في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من
هذه الطبقة لما دعت اليه الضرورة ويقلدونه الا انه يكون يد آخر من اهل العصبية غالبة على
يده ويكون نظره متصرفا عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فان الكتابة عندهم
وان كانت لصاحب الانشاء الا انه تحت يد امير من اهل عصبية السلطان يعرف بالدويدار وتعويل
السلطان ووثوقه به واستنامته في غالب احواله عليه وتعويله على الآخر في احوال البلاغة
وتطبيق المقاصد وكتمان الاسرار وغير ذلك من توابعها واما الشروط المعتبرة في صاحب هذه
الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من
استوعبها في رسالته الى الكتاب **وهي هذه** اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة
وحفظكم وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات
الله عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف
الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معايشهم واسباب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف

الجهات

الجهات اهل الادب والمروءة والعلم والرزانة بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصائحكم
يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلادهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من
الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يبصرون والسنتهم التي بها ينطقون
وايديهم التي بها يبطشون فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضفاه من النعمة
عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل
المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب
يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما في موضع الحلم
فهيما في موضع الحكم ومقداما في موضع الاقدام محجاما في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل و
الانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما ياتي من النوازل يضع الامور مواضعها
والطوارق في اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلوم فاحكمه فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار
ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر
عنه قبل صدوره فيعد لكل امر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا
يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدؤوا بعلم كتاب الله تعالى والفرائض ثم
العربية فانها ثقاف السنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها
ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم
ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها
ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم
عن الدناءة واربؤوا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف
والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها
بالذي هو اليق باهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا
عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقعد احدا منكم الكبر عن مكسبه ولقاء
اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم
على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة
فلا يضيفها الا الى صاحبها وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة
والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع من القراء وهو لكم افسد منه لها فقد
علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له
من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره ما هو جزاء لحقه ويصدق
ذلك تبعا له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم
في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه من
وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم او صير اليه من امر خلق الله وعياله
امر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فان الخلق
عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله وليكن بالعدل حاكما وللاشراف مكرما وللفيء موفرا
وللبلاد عامرا وللرعية متالفا وعن اذاهم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات
خراجه واستقصاء حقوقه رفيقا واذا صحب احدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها
وقبيحها اعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة

واحمل وسيلة وقد علمتم ان سايس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة اخلاقها
فان كانت رموحا لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوبا اتقاها من بين يديها وان خاف منها
شرودا توقاها من ناحية راسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت
عطفها يسيرا فيسلس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلايل لمن ساس الناس وعاملهم
وخدمهم وداخلهم والكاتب بفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره
من الناس ويناظره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده
من سايس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه
صاحبها الراكب عليها الا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر تامنوا
باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير الى الموافقة وتصيروا
منه الى المواخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه ومركبه وملبسه
ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله
به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال
التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم
واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان
اهلهما ولا سيما الكتاب وارباب الاداب وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا
على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها
حجة واحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير افة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن
انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه
وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للتشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله
في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة الوقوع في الغلط المضر ببدنه وعقله وادبه فانه ان
ظن منكم ظان او قال قايل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته
وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير
منها الى غير كاف وذلك على من تامله غير خاف ولا يقل احد منكم انه ابصر بالامور
واحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان اعقل الرجلين عند
ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره وراى ان اصحابه اعقل منه واحمد في طريقته وعلى كل
واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برايه ولا تزكية لنفسه
ولا تكاثر على اخيه او صاحبه او نظيره وعشيرته وحمد الله تعالى واجب على الجميع وذلك
بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول في كتابي هذا
ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه
بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته اخره وتممته به تولانا الله واياكم
معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه في اسعاده وارشاده فان ذلك اليه
وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته **الشرطة** ويسمى صاحبها
لهذا العهد بافريقية الحاكم وفي دولة اهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك
الوالي وهي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الاحيان
وكان اصلها في الدولة الاسلامية لمن يقيم الجرايم لا نظر للشرع الا في استيفاء حدودها

والسياسة

والسياسة النظر في استبراء موجباتها باقرار يكرهه الحاكم عليه اذا احتفت به القراين لما توجبه المصلحة
العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبراء وباستيفاء الحدود وبعده اذا تنزه عنه القاضي
يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا النظر اليه في الدماء والحدود باطلاق وافردوها من نظر القاضي
ونوهوا بهذه الرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة ومواليهم ولم يكن التنفيذ في
طبقات الناس انما كان حكمه في الزعماء واهل الريب والضرب على ايدي الرعاع والفجرة ثم عظمت نباهتها
في دولة بني امية بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل حكم الكبرى على الخاصة
والدهماء في دولة بني امية بالاندلس وجعل له الحكم على ذوي المراتب السلطانية والضرب على ايديهم
في الظلامات على ايدي اقاربهم ومن اليهم من اهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامة
من نصب لصاحب الكبرى كرسي بباب دار السلطان ورجل يتبوؤون المقاعد بين يديه فلا يبرحون
عنها الا في تصريفه وكانت ولايتها للاكابر من رجالات الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابة
واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنويه وان لم يجعلوها عامة وكان لا يليها
الا رجالات الموحدين وكبراؤهم ولم يكن له التحكم على اهل المراتب السلطانية ثم فسد اليوم منصبها
وخرجت عن ولاية رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما في دولة بني مرين
لهذا العهد بالمغرب فولايتها في بيوت مواليهم واهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالمشرق
في رجالات الترك واعقاب اهل الدولة قبلهم من الكرد يتخيرون لها في النظر بما يظهر منهم من
الصلابة والمضاء في الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم ابواب الدعارة وتخريب مواطن الفسوق
وتفريق مجامعه مع اقامة الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة

قيادة الاساطيل

وهي من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وافريقية ومرؤوسة لصاحب السيف وتحت حكمه
في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم باسم الملند بتفخيم اللام منقولا من لغة الافرنجة فانه
اسمها في اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه الرتبة بملك افريقية والمغرب لانهما جميعا على
ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى الاسكندرية
الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجة والصقالبة والروم الى بلاد الشام
ايضا ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة الى اهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسو حله
من عدوتيه يعانون من احواله ما لا يعانيه امة من امم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط
بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكانت اكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن وكانت مهرة في ركوبه
والحرب في اساطيله ولما اسف من اسف منهم الى ملك العدوة الجنوبية مثل الروم الى افريقية
والقوط الى المغرب اجازوا في الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها ونزعوا من ايديهم امرها
وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسبيطلة وجلولاء ومرناق وشرشال وطنجة
وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبعث الاساطيل لحربه مشحونة بالعساكر
والعدد وكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفافيه معروفة في القديم والحديث ولما ملك
المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان صف لي البحر فكتب ان البحر خلق
عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فاوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب
الا من افتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرفجة بن خزيمة الازدي سيد بجيلة لما غزاه

عمان فبلغه فانكر عليه وعنفه انه ركب في البحر للغزو ولم يزل الشأن ذلك حتى اذا كان لعهد معاوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعواده والسبب في ذلك ان العرب لبداوتهم لم يكونوا لاول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة لممارستهم احواله ومرباهم في التقلب على اعواده مرنوا عليه واحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم العجم خولا لهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية امما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصرا بها فشرعوا الى الجهاد فيه وانشأوا السفن والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من امم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب الى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك الى حسان ابن النعمان عامل افريقية باتخاذ دار صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حرصا على مواسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد ابن الفرات شيخ الفتيا وفتح قوصرة ايضا في ايامه بعد ان كان معاوية بن حديج اغزى صقلية ايام معاوية بن ابي سفيان فلم يفتح الله على يده وفتحت على يد ابن الاغلب وقائده اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افريقية والاندلس في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الى بلادهما في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر الى مايتي مركب او نحوها واسطول افريقية كذلك مثله او قريبا منه وكان قائد الاساطيل بالاندلس ابن رماحس ومرفاها للحط والاقلاع بجاية والمرية وكانت اساطيلها مجتمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر امر جريته بالريح او بالمجاذيف وامر ارسائه في مرفاه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل او غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفاها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وانجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظر ايابهم بالفتح والغنيمة وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه واستطوا ظهره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج وكان ابو القاسم الشيعي وابناؤه يغزون اساطيلهم من المهدية جزيرة جنوة فتنقلب بالظفر والغنيمة وافتتح مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية في اساطيله سنة خمس واربعمائة وارتجعها النصرانية لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على الاكثر من لجة وصارت اساطيلهم جائية وذاهبة والعساكر الاسلامية تجيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتثخن في ممالكهم كما وقع في ايام بني الحسين ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيديين وانحازت امم النصرانية باساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها واساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الاسد على فريسته وقد ملأت الاكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحربا فلم يظهر للنصرانية فيه الواح حتى اذا ادرك الدولة العبيدية

والاموية

والاموية الفشل والوهن وطرقها الاعتلال مد النصارى ايديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة فملكوها ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه كنيسة لاظهار دينهم وعبادتهم وغلبوا بني خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا المهدية مقر ملوك العبيديين من يد اعقاب بلكين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا البحر وضعف شأن الاساطيل في دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يعتنوا بشيء من امره لهذا العهد بعد ان كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في اخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك وبقيت بافريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفور الاساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة فكان قائد الاسطول به لعهد لمتونة بنو ميمون رؤساء جزيرة قادس ومن ايديهم اخذها عبد المومن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد اساطيلهم الى المائة من بلاد العدوتين جميعا ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قائد اساطيلهم احمد الصقلي اصله من صدغيان الموطنين بجزيرة جربة من سدويكش اسره النصارى من سواحلها وربي عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه ثم هلك وولي ابنه فاسخطه ببعض النزعات وخشي على نفسه فلحق بتونس ونزل على السيد بها من بني عبد المومن واجاز الى مراكش فتلقاه الخليفة يوسف العسكري بن عبد المومن بالمبرة والكرامة واجزل له الصلة وقلده امر اساطيله فجلى في جهاد النصرانية وكانت له آثار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين وانتهت اساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة الى ما لم يبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن ايوب ملك مصر والشام لعهده باسترجاع ثغور الشام من يد امم النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنائه تتابعت اساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه فامدوهم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم اساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعدد اساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هنالك كما اشرنا اليه فاوفد صلاح الدين على يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بني منقذ ملوك شيزر وكان ملكها من ايديهم وابقى عليهم في دولته فبعث عبد الكريم هذا منهم الى المغرب طالبا مدد الاساطيل ليحول في البحر بين اساطيل الكفرة وبين مرادهم من امداد النصرانية بثغور الشام واصحبه كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيساني يقول في افتتاحه فتح الله لحضرة سيدنا ابواب المناجح والميامن حسبما نقله العماد الاصفهاني في كتاب الفتح القدسي فنقم عليه المنصور تجافيهم عن خطابه بامير المؤمنين واسرها في نفسه وحملهم على مناهج البر والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك وفي هذا اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما هلك

يعقوب المنصور واعتلت دولة بني الموحدين واستولت امم الجلالقة على الاكثر من بلاد الاندلس والجأوا المسلمين الى سيف البحر وملكوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي قويت ريحهم في بسيط البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه اساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان ابي الحسن ملك زناتة بالمغرب فان اساطيله كانت عند مرامه الجهاد مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصارى فيه الى دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر باحواله وغلب الامم في لججه وعلى اعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الا قليلا من اهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان او قوة من الدولة تستجيش لهم اعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض مسلكا وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة المغربية محفوظة والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهودا لما عساه تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستهبون الريح على الكفر واهله فمن المشتهر بين اهل المغرب عن كتب الحدثان انه لا بد للمسلمين من الكرة على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل والله تعالى ولي المؤمنين

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الا ان الحاجة الى السيف في اول الدولة ما دام اهلها في تمهيد امرهم اشد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة كذلك في اخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقل اهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدمناه فتحتاج الدولة الى الاستظهار بارباب السيوف وتقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تمهيدها فيكون للسيف مزية في الحالتين على القلم ويكون ارباب السيف حينئذ اوسع جاها واكثر نعمة واسنى اقطاعا واما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لانه قد تمهد امره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع غمودها الا اذا نابت نائبة او دعيت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة لها فيكون ارباب الاقلام في هذه الحالة اوسع جاها واعلى رتبة واعظم نعمة وثروة واقرب من السلطان مجلسا واكثر اليه ترددا وفي خلواته نجيا لانه حينئذ آلته التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطافه وتثقيف اطرافه والمباهاة باحواله ويكون الوزراء حينئذ واهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن باطن السلطان حذرين على انفسهم من بوادره وفي معنى ذلك ما كتب به ابو مسلم للمنصور حين امره بالقدوم اما بعد فانه مما حفظناه من وصايا الفرس اخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء

فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به

اعلم ان للسلطان شارات واحوالا تقتضيها الابهة والبذخ فيختص بها ويتميز بانتحالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلنذكر ما هو مشتهر منها بمبلغ المعرفة وفوق كل ذي علم عليم **الآلة** فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الالوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق والقرون وقد ذكر ارسطو

في

في الكتاب المنسوب اليه في السياسة ان السر في ذلك ارهاب العدو في الحرب فان الاصوات الهائلة لها تاثير في النفوس بالروعة ولعمري انه امر وجداني في مواطن الحروب يجده كل احد في نفسه وهذا السبب الذي ذكره ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح ببعض الاعتبارات واما الحق في ذلك فهو ان النفس عند سماع النغم والاصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات كانفعال الابل بالحداء والخيل بالصفير والصريخ كما علمت ويزيد ذلك تاكيدا اذا كانت الاصوات متناسبة كما في الغناء وانت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى ولاجل ذلك تتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقارية لا طبلا ولا بوقا فيحدق المغنون بالسلطان في موكبه بآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم الى الاستماتة ولقد رأينا في حروب العرب المتسند يتغنى امام الموكب ويطرب فتجيش همم الابطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زناتة من امم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغنا بارصنو كانت واصله كل فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما يحدث عنها من الفرح والله اعلم واما تكثير الرايات وتلوينها واطالتها فالقصد بها التهويل لا اكثر وربما يحدث في النفس من التهويل زيادة في الاقدام واحوال النفوس وتلويناتها غريبة والله الخلاق العليم ثم ان الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فمن مكثر ومقل بحسب اتساع الدولة وعظمها فاما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليقة ولم تزل الامم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء واما قرع الطبول والنفخ في الابواق فكان المسلمون لاول الملة متجافين عنه تنزها عن غلظة الملك ورفضا لاحواله واحتقارا لابهته التي ليست من الحق في شيء حتى اذا انقلبت الخلافة ملكا وتبجحوا زهرة الدنيا ونعيمها ولابسهم الموالي من الفرس والروم اهل الدول السالفة واروهم ما كان اولئك ينتحلونه من مذاهب البذخ والترف فكان مما استحسنوه اتخاذ الآلة فاخذوها واذنوا لعمالهم في اتخاذها تنويها بالملك واهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر وقائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لواءه ويخرج الى بعثه او عمله من دار الخليفة او داره في موكب من اصحاب الرايات والآلة فلا يميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة الالوية او قلتها او بما اختص به الخليفة من الالوان لرايته كالسواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سودا حزنا على شهدائهم من بني هاشم ونعيا على بني امية في قتلهم ولذلك سموا المسودة ولما افترق امر الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين من كل جهة وعصر ذهبوا الى مخا في ذلك فاتخذوا الرايات بيضا وسموا المبيضة لذلك سائر ايام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك بالمشرق كالداعي بطبرستان وداعي صعدة او من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم كالقرامطة ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الخضرة فجعل رايته خضراء واما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آلة العبيديين لما خرج العزيز الى فتح الشام خمسمائة من البنود وخمسمائة من الابواق واما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرهم لم يختصوا بلون واحد وسموها بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستمروا على الاذن فيها لعمالهم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناتة نقصوا الالة لدس

لفتهم

لعله وقصروا

الطبول والابواق من السلطان واحظروها على سواه من اعماله وحملوها موكبا خاصا يتبع
اثر السلطان في مسيره سمي الساقة وهم فيه مكثر ومقلل باختلاف مذاهب الدولة في ذلك
فمنهم من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو في دولة الموحدين وبني الاحمر بالاندلس
ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناتة وقد بلغت ايام السلطان ابي الحسن فيما
ادركناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير
وصغير وياذنون للولاة والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضا
وطبل صغير ايام الحرب واما دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فيتخذون اولا راية واحدة
عظيمة في راسها خصلة كبيرة من الشعر ويسمونها الشالش والجتر وهي شعار السلطان
عندهم ثم تتعدد الرايات عندهم ويسمونها السناجق واحدها سنجق وهو الراية بلسانهم
واما الطبول فيبالغون في الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويبيحون لكل امير
او قائد عسكر ان يتخذ من ذلك ما شاء الا الجتر فانه خاص بالسلطان واما الجلالقة
لهذا العهد من امم الافرنجة بالاندلس فاكثر شانهم اتخاذ الالوية القليلة ذاهبة في
الجو صعدا ومعها قرع الاوتار من الطنابير ونفخ الغيطات يذهبون فيها مذهب الغنا
وطريقه في مواطن حروبهم هكذا يبلغنا عنهم وعمن من ورائهم من ملوك العجم ان في خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم لايات للعالمين

السرير والمنبر والتخت والكرسي

وهي اعواد منصوبة او ارائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعة عن اهل مجلسه
ان يساويهم في الصعيد ولم يزل ذلك من سنن الملك قبل الاسلام وفي دار العجم وقد كانوا
يجلسون على اسرة الذهب وقد كان لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام سرير
من عاج مغشى بالذهب الا انه لم تاخذه الدول الا بعد الاستفحال والترف شان الابهة
كلها كما قلناه واما في اول الدولة عند البداوة فلا يتشوفون اليه واول من اتخذه في الاسلام
معاوية واستاذن الناس فيه وقال اني قد بدنت فاذنوا له فاتخذه واتبعه الملوك
الاسلاميون فيه وصار من منازع الابهة ولقد كان عمرو بن العاص يجلس في قصره بمصر
على الارض مع العرب وياتيه المقوقس الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول لجلوسه شان
الملوك فيجلس عليه وهو امامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الذمة واطراحا
لابهة الملك ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيديين وسائر ملوك الاسلام شرقا وغربا
من الاسرة والمنابر والتخوت ما عفا على الاكاسرة والقياصرة والله مقلب الليل والنهار

السكة

وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد
ينقش فيه صور او كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار او الدرهم فتخرج رسوم تلك
النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه
بالسبك مرة بعد اخرى وبعد تقدير اشخاص الدنانير والدراهم بوزن معين يصطلح عليه
فيكون التعامل بها وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك
ثم نقل الى اثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك
والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدولة

وهي

وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المبهرج بين الناس في النقود عند المعاملات
ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم
يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهدها او تمثال
حصن او حيوان او مصنوع او غير ذلك ولم يزل هذا الشان عند العجم الى اخر امرهم ولما جاء
الاسلام اغفل ذلك لسذاجة الدين وبداوة العرب كانوا يتعاملون بالذهب والفضة
وزنا وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون
بها بينهم الى ان تفاحش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك وامر عبد الملك
الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وابو الزناد بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص
وذلك سنة اربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين ثم امر بضربها في سائر النواحي
سنة ست وسبعين وكتب عليها احد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق ايام يزيد بن عبد
الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل اول من ضرب
الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بامر اخيه عبد الله لما ولي الحجاز
وكتب عليها بسم الله الحجاج وقدروا وزنها على ما كانت استقرت ايام عمر وذلك ان الدرهم
فيكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك ان اوزان الدراهم في ايام الفرس
كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما
احتيج الى تقديره في الزكاة اخذ الوسط من الثلاثة وذلك اربعة عشر قيراطا وكان المثقال
درهما وثلاثة اسباع درهم وقيل كان منها البغلي بثمانية دوانق والطبري اربعة
دوانق والمغربي بثمانية دوانق واليمني دانق فامر عمر رضي الله عنه ان ينظر الاغلب في التعامل
فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر دانقا وكان الدرهم ستة دوانق فان زدت ثلاثة اسباعه
كان مثقالا واذا انقصت ثلاثة اعشار المثقال كان درهما فلما راى عبد الملك اتخاذ السكة
لصيانة النقدين الجاريين في معاملة المسلمين من الغش عين مقدارها على هذا العهد الذي
استقر لعهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد ونقش فيه كلمات لا صورا لان العرب كان الكلام
والبلاغة اقرب مناحيهم واظهرها مع ان الشرع ينهى عن الصور فلما فعل ذلك استمر بين
الناس في ايام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في دوائر
متوازية يكتب فيها من احد الوجهين اسماء الله تهليلا وتحميدا وصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة هكذا ايام العباسيين والعبيديين
والامويين واما صنهاجة فلم يتخذوا سكة الا اخر الامر اتخذها المنصور صاحب بجاية
ذكر ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة
الدراهم مربع الشكل وان يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملأ من احد الجانبين
تهليلا وتحميدا ومن الجانب الاخر كتبا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون
وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد ولقد كان المهدي فيما ينقل قبل ظهوره يسمى
صاحب الدرهم المربع نعته بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون في ملاحمهم عن دولته
واما اهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدرة وانما يتعاملون بالدراهم والدنانير وزنا
بصنجات مقدرة بعدة منها ويطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة واسم
السلطان كما يفعله اهل المغرب ذلك تقدير العزيز العليم

الخاتم

واما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك
معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان
يكتب الى قيصر فقيل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش
فيه محمد رسول الله قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر وختم به وقال لا ينقش
احد مثله قال وتختم به ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ثم سقط من يد عثمان في بئر اريس
وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم لذلك عثمان وتطير منه وصنع اخر على مثاله
وفي كيفية نقش ذلك الخاتم والختم به وجوه وذلك ان الخاتم يطلق على الالة التي تجعل في
الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر بلغت اخره وختمت
القران كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتمة الامر ويطلق على السداد الذي يسد به الاواني
والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية
والتمام قال لان اخر ما يجدونه في شرابهم ريح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام
الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين او القار يحفظها ويطيب عرفها
وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بان سدادها من المسك وهو اطيب عرفا وذوقا من الطين
والقار المعهودين في الدنيا فاذا صح اطلاق الخاتم على هذه كلها صح اطلاقه على اثرها
الناشئ عنها وذلك ان الخاتم اذا نقشت فيه كلمات واشكال ثم غمس في مداف من الطين
او مداد ووضع على صفح القرطاس بقي اثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به
على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه واذا كانت كلمات وارتسمت
فقد يقرا من الجهة اليسرى لان النقش يقلب جهة الخط في الصفح كما كان في النقش من
يمين او يسار فيحتمل ان يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد والطين ووضعه على الصفح
فتنتقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب
ونفوذه كان الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملغى ليس بتام وقد
يكون هذا الختم بالخط اخر الكتاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميد او تسبيح او باسم
السلطان او الامير او صاحب الكتاب من كان او شيء من نعوته يكون ذلك الخط علامة على صحة
الكتاب ونفوذه ويسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى ختما تشبيها له باثر الخاتم الاصبعي
في النقش ومنه خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم اي علامته وخطه الذي ينفذ بهما
احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة اي علامته قال الرشيد ليحيى بن خالد
لما اراد ان يستوزر جعفرا ويستبدل به من الفضل اخيه فقال ليحيى ابيهما يا ابت اني اردت
ان احول الخاتم من يميني الى شمالي فكنى له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على
الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم ويشهد لصحة هذا الاطلاق ما نقله
الطبري ان معاوية ارسل الى الحسن عند مراودته اياه في الصلح صحيفة بيضاء ختم على
اسفلها وكتب اليه ان اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ما شئت فهو لك ومعنى
الختم هنا علامة في اخر الصحيفة بخط او غيره ويحتمل ان يختم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه
ويجعل على موضع الحزم من الكتاب اذا حزم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو في
الوجهين اثار الخاتم فيطلق عليه خاتم واول من احدث الختم على الكتب اي العلامة معاوية
لانه كتب الى عمرو بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة الف ففتح الكتاب وصير المائة مائتين

ودفع زياد حسابه فانكرها معاوية وطلب بها عمرا وحبسه حتى قضاها عنه اخوه عبد الله واتخذ
معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال اخرون وحزم الكتب ولم تكن تحزم
اي يجعل لها السداد وديوان الخاتم عبارة عن كتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان والختم
عليها اما بالعلامة او بالحزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه
في ديوان الاعمال والحزم للكتب يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب واما بلصق راس
الصحيفة على ما تنطوي عليه كما في عرف اهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس او اللصاق
علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه فاهل المغرب يجعلون الدس قطعة من الشمع وكان
في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش ايضا قد غمس في مداف من
الطين معد لذلك صبغه احمر فيرتسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين معروفا في الدولة
العباسية بطين الختم وكان يجلب من سيراف فيظهر انه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو
العلامة المكتوبة او النقش للسداد والحزم للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير
في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار لمن اليه الترسل وديوان الكتابة في الدولة ثم
صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للاصبع فيستجيدون
صوغه من الذهب ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزمرد ويلبسه السلطان
شارة في عرفهم كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية
والله مصرف الامور بحكمته **الطراز** وهو من ابهة الملك والسلطان ومذاهب الدول
ان ترسم اسماؤهم او علامات تختص بهم في طراز اثوابهم المعدة للباسهم من الحرير او الديباج
او الابريسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب الحاما وسدا بخيط الذهب او ما يخالف لون
لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك ووضعه
في صناعة نسجهم فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلابسها
من السلطان فمن دونه او التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه اذا قصد تشريفه بذلك
او ولايته لوظيفة من وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز
بصور الملوك واشكالهم او اشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك
بكتب اسمائهم مع كلمات تجري مجرى الفال او السجلات وكان ذلك في الدولتين من ابهة الامور
وافخم الاحوال وكانت الدور المعدة لنسج اثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان
القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في امور الصباغ والالة والحاكة فيها واجراء
ارزاقهم وتسهيل الاتهم ومشارفة اعمالهم وكانوا يقلدون ذلك لخواص دولتهم وثقات
مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني امية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيديين
بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق ثم لما ضاق نطاق الدولة عن الترف
والتفنن فيه بضيق نطاقها في الاستيلاء وتعددت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية
عليها من اكثر الدول بالجملة ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني امية اول المائة
السادسة لم ياخذوا بذلك اول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي
لقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت
هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعقابهم اخر الدولة طرفا لم يكن بتلك النباهة
واما لهذا العهد فادركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانها وشموخها رسما جليلا

لقيتوه من دولة بني الاحمر معاصريهم بالاندلس واتبع هو في ذلك دول الطوايف فاتى منه بلمحة شاهدة بالاثر واما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيه من الطرز تحرز اخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظايف دولتهم وانما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويسمونه الزركش لفظة اعجمية ويرسم اسم السلطان او الامير عليه وتعده الصناع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللايقة بها والله سبحانه وتعالى يرزق من يشا بغير حساب

الفساطيط والسياج اعلم ان هذا من شارات الملك وترفه اتخاذ الاخبية والفساطيط والفازات من ثياب الكتان والصوف بجدل الكتان والقطن تباهى بها في الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار وانما يكون الامر في اول الدولة في بيوتهم التي جرت عادتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين في بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف ولم تزل العرب لذلك العهد بادين الا الاقل منهم وكانت اسفارهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وسائر حللهم واحيائهم من الاهل والولد كما هو شان العرب لهذا العهد فكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحلل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منها على نظر صاحبه من الاخرى كشان العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقة تحشر الناس على اثره ان يقيموا اذا ظعن ونقل انه استعمل في ذلك الحجاج حين اشار به روح بن زنباع وقصتهما في احراق فساطيط روح وخيامه لاول ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يامن الملك بمثل هذه الرتبة ثقة بغنايه فيها بعصبيته وصرامته فلما تفننت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والامصار وانتقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر اتخذوا للسكنى في اسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها بابلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير والقايد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجا من الكتان يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان اهله افراك بالكاف التي بين الكاف والقاف ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره واما في المشرق فيتخذه كل امير وان كان دون السلطان ثم جنحت الدعة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فخف لذلك ظهرهم وتقاربت السياج بين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسيطه زهرا انيقا لاختلاف الوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها وكذا كانت دول الموحدين وزناتة التي اظلتنا كان سفرهم اول امرهم في بيوت سكناهم قبل الملك من الخيام والقياطن حتى اذا اخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور عادوا الى اتخاذ الاخبية والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما ارادوه وهو من الترف بمكان الا ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة وخفتهم من الاهل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فتحتاج في ذلك الى تحفظ اخر كما نذكره والله اعلم

المقصورة

ه **المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة** وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي ولم تعرف في غير دول الاسلام فاما البيت المقصورة لصلاة السلطان فيتخذ سياجا على المحراب فيحوزه وما يليه فاول من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة وقيل اول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني ثم اتخذها الخلفا من بعدهما وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدولة والا شان احوال الابهة كلها وما زال الشان ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعدد الدولة بالمشرق وكذا بالاندلس عند انقراض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوايف واما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم خلفاء العبيديين ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بالقيروان وبنو حماد بالقلعة ثم ملك الموحدون سابر المغرب والاندلس ومحوا ذلك الرسم على طريقة البداوة التي كانت شعارهم ولما استفحلت الدولة واخذت بحظها من الترف وجاء يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة وبقيت من بعده سنة لملوك المغرب والاندلس وهكذا الشان في ساير الدول واما الدعاء على المنابر في الخطبة فكان الشان اولا عند الخلفا ولاية الصلاة بانفسهم وكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضا عن اصحابه واول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس رضي الله عنهما في خطبته وهو بالبصرة دعا لعلي لما كان متوليها من قبله فقال اللهم انصر عليا الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد ولما حدثت الابهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة واستنابوا فيهما فكان الخطيب يستبد بذكر الخليفة على المنبر تنويها باسمه ودعاء له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولان تلك الساعة مظنة للاجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة ينفرد بذلك فلما جاء الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيرا ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء على المنبر دون من سواه وحظر ان يشاركه فيه احد ويسمو اليه وكثيرا ما يغفل الماهرون من اهل الدول وهذا الرسم عندما تكون الدولة في اسلوب الغضاضة ومناحي البداوة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الاجمال والابهام لمن ولي امور المسلمين ويسمون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك ان الدعاء على الاجمال انما يتناول العباسي تقليدا في ذلك لما سلف من الامر ولا يحفلون بما وراء ذلك من تعيينه والتصريح باسمه يحكى ان يغمراسن بن زيان ماهد دولة بني عبد الواد لما غلبه الامير ابو زكريا يحيى بن ابي حفص على تلمسان ثم بدا له في اعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر عمله فقال يغمراسن تلك اعوادهم يذكرون عليها من شاءوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة بني مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بتونس من بني ابي حفص وثالث ملوكهم وتخلف بعض ايامه عن شهود الجمعة فقيل له لم يحضر هذا الرسول لخلو الخطبة من ذكر سلطانه فاذن في الدعاء له وكان ذلك سببا لاخذهم بدعوته وهذا شان الدول في بدايتها وتمكنها في الغضاضة والبداوة فاذا انتبهت عيون سياستهم ونظروا الى اعطاف ملكهم واستتموا شيات الحضارة ومعاني البذخ والابهة انتحلوا جميع هذه السمات وتفننوا فيها وتجاروا الى غايتها وانفوا من المشاركة فيها وجزعوا من افتقادها وخلو دولهم من اثارها والعالم بستان والله اعلم

فصل في الحروف ومذاهب الناس في ترتيبها اعلم ان الحروف وانواع

سقفها

بينها

المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله واصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب
لكل منهما اهل عصبيته فاذا تذامروا لذلك وتوافقت الطايفتان احداهما تطلب الانتقام
والاخرى تدافع كانت الحرب وهو امر طبيعي في البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام
في الاكثر اما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعي في تمهيده
فالاول اكثر ما يجري بين القبايل المتجاورة والعشاير المتناظرة والثاني وهو العدوان اكثر ما يكون
من الامم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والاكراد واشباههم لانهم جعلوا
ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بايدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه اذنوه بالحرب ولا بغية لهم
فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وانما همهم ونصب اعينهم غلب الناس على ما بايديهم والثالث
هو المسمى في الشريعة بالجهاد والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها
فهذه اربعة اصناف في الحروب والصنفان الاولان منها حروب بغي وفتنة والصنفان الاخران
حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين الخليقة منذ اول وجودهم على نوعين نوع
بالزحف صفوفا ونوع بالكر والفر اما الذي بالزحف فهو قتال العرب على تعاقب اجيالهم واما
الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من اهل المغرب وقتال الزحف اوثق واشد من قتال
الفر والكر وذلك ان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح او صفوف
الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو قدما فلذلك اشبه عند المصارع واصدق في القتال
وارهب للعدو لانه كالحايط الممتد والقصر المشيد لا يطمع في ازالته وفي التنزيل ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص اي يشد بعضهم بعضا وفي الحديث المومن للمومن
كالبنيان يشد بعضه بعضا ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب الثبات وتحريم التولي في الزحف
فان المقصود بالصف في القتال حفظ النظام كما قلناه فمن ولى العدو ظهره فقد اخل بالمصاف
وباء باثم الهزيمة كان قد اوقعها على المسلمين وامكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعديها
الى الدين بخرق سياجه فعد من الكباير ويظهر من هذه الادلة ان قتال الزحف اشد عند الشارع
واما قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا انهم قد
يتخذون وراءهم مصافا ثابتا يلجون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره
بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يقسمون الجيوش والعساكر
اقساما لانه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشروا من قاصية النواحي استدعى ذلك ان يجهل
بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من
تدافعهم فيما بينهم لاجل النكراء والجهل بعضهم ببعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعا
ويضمون المتعارفين بعضهم الى بعض ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع
ورئيس العساكر كلها من سلطان او قايد في القلب ويسمون هذا الترتيب التعبية وهو
المذكور في اخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي الملك عسكرا
منفردا بصفوفه متميزا بقايده ورايته يسمونه المقدمة ثم عسكرا اخر من ناحية اليمين عن موقف
الملك يسمونه الميمنة ثم عسكرا اخر من ناحية الشمال يسمونه الميسرة ثم اخر من وراء العساكر
يسمونه الساقة ويقف الملك واصحابه في الوسط بين هذه الاربع ويسمون موقفه القلب
فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر او على مسافة بعيدة اكثرها اليوم واليومان
بين كل عسكرين منها او كيفما اعطاه حال العساكر في القلة والكثرة فحينئذ يكون الزحف

من

من بعد هذه التعبية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين وكيف كانت العساكر لعهد عبدالله
تتخلف عن رحيله لبعد المدى في التعبية فاحتيج الى من يسوقها من خلفه وعين لذلك الحجاج بن يوسف
كما اشرنا اليه وكما هو معروف في اخباره وكان في الدولة الاموية بالاندلس ايضا كثير منه وهو مجهول فيما
لدينا لانا انما ادركنا دولا قليلة العساكر لا تنتهي في مجال الحرب الى التناكر بل اكثر الجيوش من الطا يفتين
معا يجمعهم لدينا حلة او مدينة ويعرف كل منهم قرنه ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغني
عن تلك التعبية

فصل

ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحرب ضرب المصاف
وراء عساكرهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجا للخيالة في كرهم وفرهم يطلبون
به ثبات المقاتلة ليكون ادوم للحرب واقرب للغلبة وقد يفعله اهل الزحف ايضا ليزيدهم ثباتا
وشدة فقد كان الفرس وهم اهل الزحف يتخذون الفيلة في الحروب ويحملون عليها ابراجا من
الخشب امثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم في حومة الحرب
كانها الحصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزدادون ثقتهم وانظر ما وقع من ذلك بالقادسية وان
فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوها وبعجوها
بالسيوف على خراطيمها فنفرت ونكصت على اعقابها الى مرابطها بالمداين فجفا معسكر فارس لذلك
وانهزموا في اليوم الرابع واما الروم وملوك القوطيل واكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة
ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة
دونه وترفع الرايات في اركان السرير ويحدق به سياج اخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السرير
ويصير فية للمقاتلة وملجا للكر والفر وفعل ذلك الفرس ايام القادسية وكان رستم جالسا
فيها على سرير نصبه لجلوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فتحول عنه الى
الفرات وقتل واما اهل الكر والفر من العرب واكثر الامم البدوية الرحالة فيصفون لذلك ابلهم
والظهر الذي يحمل ظعاينهم فيكون فية لهم ويسمونه المجبودة وليس امة من الامم الا وهي تفعل ذلك
في حروبها وتراه اوثق في الجولة وامن من الغرة والهزيمة وهو امر مشاهد وقد اغفلته الدول
لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للاثقال والفساطيط يجعلونها ساقة من خلفهم ولا
تغني غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك معرضة للهزايم مستشعرة للفرار في المواقف
وكان الحرب اول الاسلام كله زحفا وان كان العرب انما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك
اول الاسلام امران احدهما ان عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم لهم
الثاني انهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان والزحف
الى الاستماتة اقرب واول من ابطل الصف في الحروب وصار الى التعبية كراديس مروان بن الحكم في
قتال الضحاك الخارجي والحميري بعده قال الطبري لما ذكر قتال الحميري فولى الخارجي عليهم
شيبان بن عبد العزيز اليشكري ويلقب ابا الدلفا وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وابطل
الصف من يوميذ انتهى فتنوسي قتال الزحف بابطال الصف ثم تنوسي الصف وراء المقاتلة بما
داخل الدولة من الترف وذلك انها حين كانت بدوية وسكناهم الخيام كانوا يستكثرون ويستكثرون
من الابل وسكنى النساء والولدان معهم في الاحياء فلما حصلوا على ترف الملك والفوا سكنى القصور والحواضر
وتركوا شان البادية والقفر نسوا لذلك عهد الابل والظعاين وصعب عليهم اتخاذها فخلفوا
النساء في الاسفار وحملهم ذلك والترف وحملهم ذلك على اتخاذ الفساطيط والاخبية فاقتصروا
على الظهر الحامل للاثقال والابنية وكان ذلك صفتهم في الحرب ولا يغني كل الغناء لانه لا يدعو الى

الاستماتة كما تدعوا اليها الاهل والمال فيخف الصبر من اجل ذلك وتفرقهم الهيآت وتخرم صفوفهم
فصل ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العسكر وتاكده في قتال الكر والفر صار
ملوك المغرب يستخدمون طوايف من الفرنج في جندهم واختصوا بذلك لان قتال اهل وطنهم
كله بالكر والفر والسلطان يتاكد في حقه ضرب المصاف ليكون ردا للمقاتلة امامه فلا بد وان
يكون اهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات في الزحف والا اجفلوا على طريقة اهل الكر
والفر وانهزم السلطان والعسكر باجفالهم فاحتاج الملوك بالمغرب ان يتخذوا جندا من هذه
الامة المعودة الثبات في الزحف وهم الافرنج ويرتبون مصافهم المحدق بهم منها هذا على ما فيه
من الاستعانة باهل الكفر وانما استخفوا ذلك للضرورة التي اريناكها من تخوف الاجفال
على مصاف السلطان والفرنج لا يعرفون غير الثبات وذلك لان عادتهم في القتال الزحف فكانوا
اقوم بذلك من غيرهم مع ان الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع امم العرب والبربر
وقتالهم على الطاعة واما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا من ممالاتهم على المسلمين هذا
هو الواقع لهذا العهد بالمغرب وقد ابدينا سببه والله بكل شي عليم **فصل**
وبلغنا عن امم الترك لهذا العهد وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم
بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فتلوذ الجيوش بالفرار وتجد النفوس في الظلمة
سترا من عارة فاذا تساووا في ذلك ارجف العسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يحتفرون الخنادق
على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا ابنيتهم ويديرون الحفاير نطاقا عليهم من جميع جهاتهم حرصا
ان يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا وكانت الدول في امثال هذا قوة وعلية في حشود العمران
وضخامة الملك فلما خرب العمران وتبعه ضعف الدولة وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي هذا الشان
جملة كان لم يكن والله خير القادرين وانظر وصية علي رضي الله تعالى عنه وتحريضه لاصحابه
يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب اذ لم يكن احد ابصر بها منه قال في كلام له فسووا صفوفكم كالبنيان
المرصوص وقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبا للسيوف عن الهام والتووا
على اطراف الرماح فانه اصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب
واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل واولى بالوقار ورايتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها الا بايدي
شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فان بعد الصبر ينزل النصر وقال الاشتر يومئذ
يحرض الازد عضوا على النواجذ من الاضراس واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا شدة قوم
موتورين يثارون باباءكم واخوانكم حنقا على عدوهم وقد وطنوا على الموت انفسهم كيلا يسبقوا
بوتر ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد اشار الى كثير من ذلك ابو بكر الصيرفي شاعر لمتونة واهل
الاندلس في كلمة يمدح فيها تاسفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شهدها ويذكره
بامور الحرب في وصايا وتحذيرات تنبهك على معرفة الكثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ايها الملاء الذي يتقنع ٭ من منكم الملك الهمام الاروع
ومن الذي عذر العدو به دجا ٭ فانفض كل وهو لا يتضعضع
تمضي الفوارس والطعان يصدها ٭ عنه ويدمرها الوفا فترجع
والليل من وضح الترايل انه ٭ صبح على هام الجيوش ملمع
اذا فزعتم يا بني صنهاجة ٭ واليكم في الروع كان المفزع
وصددتم عن تاسفين وانه ٭ لعقابه لو شاء فيكم موضع

انسان

انسان عين لم يصبه منكم ٭ حصن وقلب اسلمته الاضلع
ما انتم الا اسود خفية ٭ كل لكل كريهة مستطلع
يا تاسفين اقم بجيشك عذره ٭ بالليل والقدر الذي لا يدفع

ومنها في سياسة الحرب

اهديك من اداب السياسة بالذي ٭ كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا انني ادرى بها لكنها ٭ ذكرى تخص المومنين وتنفع
البس من الحلق المضاعفة التي ٭ وصى بها صنع الصنايع تبع
والهندواني الرقيق فانه ٭ امضى على حد الدلاص واقطع
واركب من الخيل السوابق عدة ٭ حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت محلة ٭ سيان تتبع ظافرا او تتبع
والواد لا تعبره وانزل عنده ٭ بين العدو وبين جيشك يقطع
واجعل مناجزة الجيوش عشية ٭ ووراك للصدق الذي هو امنع
فاذا تضايقت الجيوش بمعرك ٭ ضنك فاطراف الرماح توسع
واصدمه اول وهلة لا تكترث ٭ شيئا فاظهار النكول يضعضع
واجعل من الطلاع اهل شهامة ٭ للصدق فيهم شيمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفا ٭ لا راي للكذاب فيما يسمع

قوله واصدمه اول وهلة لا تكترث البيت مخالف لما عليه الناس في امر الحرب فقد قال
عمر لابي عبيد بن مسعود الثقفي لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم واشركهم في الامور ولا تجيبن مسرعا حتى تتبين فانها الحرب ولا يصلح لها الا الرجل
المكيث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له في اخرى انه لن يمنعني ان اومر سليطا الا سرعته في
التسرع في الحرب الا عن ضياع والله لولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا المكيث هذا كلام
عمر رضي الله تعالى عنه وهو شاهد بان التثاقل في الحرب اولى من الخفوف حتى يتبين حال تلك
الحرب وذلك عكس ما قاله الصيرفي الا ان يريد ان الصدم بعد البيان فله وجه والله اعلم
فصل ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت اسبابه من العدة والعدد وانما الظفر
فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك ان اسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من امور
ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكمال الاسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف وصدق
القتال وما جرى مجرى ذلك ومن امور خفية وهي اما من خداع البشر وحيلهم في الارجاف والتشا بيع
الذي يقع بها التخذيل وفي التقدم الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب من اعلا فيتوهم المنخفض
لذلك وفي الكمون في الغياض ومطمئن الارض والتواري بالكدى عن العدو حتى يتداولهم العسكر
دفعة وقد تورطوا فيتلفتون الى النجاة وامثال ذلك واما ان تكون تلك الاسباب الخفية امور
سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى في القلوب فيستولي الرهب عليهم من اجلها فتختل مراكزهم سم
فتقع الهزيمة واكثر ما تقع الهزايم عن هذه الاسباب الخفية لكثرة ما يعتمل لكل واحد من الفريقين
فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع التاثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
الحرب خدعة ومن امثال العرب رب حيلة انفع من قبيلة فقد تبين ان وقوع الغلب في الحروب غالبا
عن اسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البخت كما تقرر في موضعه

ناهيك وتفهم من وقوع الغلب على الامور السماوية كما شرحناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبة المشركين في حياته بالعدد القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكفل لنبيه بالقاء الرعب في قلوب المشركين حتى يستولي على قلوبهم فينهزموا معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في القلوب سببا للهزايم في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه خفي عن العيون وقد ذكر الطرطوشي من اسباب الغلب في الحروب ان يفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون احد الجانبين فيه عشرة او عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الاخر ثمانية او ستة عشر فالجانب الزايد ولو بواحد يكون له الغلب واعاد في ذلك وابدا وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قدمنا وليس بصحيح وانما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان يكون في احد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الاخر عصايب متعددة والجانبان معا متقاربان في العدد فان الجانب الذي عصبيته واحدة اغلب واقوى من الجانب الذي هو عصايب متعددة لان العصايب اذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع في الوحدان المتفرقين الفاقدين للعصبية اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصبيته واحدة لاجل ذلك فتفهمه واعلم انه اصح في الاعتبار مما ذهب اليه الطرطوشي ولم يحمله على ذلك الا نسيان شان العصبية في حلة وبلده وانهم انما يرون الدفاع والحماية والمطالبة الى الوحدان والجماعة الناشية عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسبا وقد بينا ذلك اول الكتاب مع ان هذا وامثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما اشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلا بالغلب ونحن قد قررنا الان ان شيا منها لا يعارض الاسباب الخفية من الحيل والخداع ولا الامور السماوية من الرعب والخذلان الالهي فاعلمه وتفهم احوال الكون والله مقدر الليل والنهار

فصل ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك والعلما او الصالحين او المنتحلين للفضايل على العموم وكثير ممن اشتهر وبعد صيته وليس هناك وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو احق بها واهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقا على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هي بالاخبار والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال لخفايها بالتلبيس والتصنع او لجهل الناقل ويدخلها التقرب لاصحاب التجلة والمراتب الدنيوية بالثنا والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثنا والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثنا والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضايل ولا منافسين في اهلها واين مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبخت كما تقرر والله اعلم

فصل في الجباية وسبب نقصها ووفورها قلتها وكثرتها

اعلم

اعلم ان الجباية تكون اول الدولة قليلة الوزايع كثيرة الجملة واخر الدولة تكون كثيرة الوزايع قليلة الجملة والسبب في ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليس الا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الوزايع لان مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن العصبية والتغلب فلا بد من البداوة في اولها كما تقدم والبداوة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن اموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجتمع الاموال من مجموعها واذا قلت الوزايع والوظايف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتمار ويتزايد لحصول الاغتباط بقلة المغرم واذا كثر الاعتمار كثرت اعداد تلك الوظايف والوزايع فكثرت الجباية التي هي جملتها فاذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا بعد واحد واتصفوا بالكيس وذهب سر البداوة والسذاجة وخلقها من الاغضا والتجافي وجا الملك العضوض والحضارة الداعية الى الكيس وتخلق اهل الدولة حينيذ بخلق التحذلق وتكثرت عوايدهم وحاجاتهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف فيكثرون الوظايف والوزايع حينيذ على الرعايا والاكرة والفلاحين وساير اهل المغارم ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارا عظيما لتكثر لهم الجباية ويضعون المكوس على المبايعات وفي الابواب كما نذكر بعد ثم تتدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرج عوايد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسببه حتى تثقل المغارم على الرعايا وتنهضم وتصير عادة مفروضة لان تلك الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر احد بمن زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما تثبت على الرعايا كانها عادة مفروضة ثم تزيد الى الخروج عن حد الاعتدال فتذهب غبطة الرعايا في الاعتمار لذهاب الامل من نفوسهم بقلة النفع فيه اذا قابل بين نفقته ومغارمه وبين ثمرته وفايدته فتنقبض كثير من الايدي عن الاعتمار جملة فتنقص جملة الجباية حينيذ بنقصان تلك الوزايع منها الجباية ويحسبونه جبرا للنقص حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة الى غاية ليس وراءها نفع ولا فايدة لكثرة الانفاق حينيذ في الاعتمار وكثرة المغارم وعدم وفاء الفايدة المرجوة به فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوظايف والوزايع في زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة بها الى ان ينتقص العمران بذهاب الامال من الاعتمار ويعود وبال ذلك على الدولة لان فايدة الاعتمار عايدة اليها واذا فهمت ذلك علمت ان اقوى الاسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظايف على المعتمرين ما امكن فبذلك تنبسط النفوس اليه لثقتها بادراك المنفعة فيه والله مالك الامور

فصل في ضرب المكوس اواخر الدولة

اعلم ان الدولة تكون في اولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوايده فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينيذ وفاء بازيد منها بل يفضل منها كثير عن حاجاتهم ثم لا تلبث ان تاخذ بدين الحضارة في الترف وعوايدها وتجري على نهج الدول السالفة قبلها فيكثر لذلك خرج اهل الدولة ويكثر خرج السلطان خصوصا كثرة بالغة بنفقته في خاصته وكثرة عطايه ولا تفي بذلك الجباية فتحتاج الدولة الى الزيادة في الجباية لما تحتاج اليه الحامية من العطا والسلطان من النفقة فيزيد في مقدار الوظايف والوزايع اولا كما قلناه ثم يزيد الخرج والحاجات بالتدريج في عوايد الترف وفي العطا للحامية ويدرك الدولة الهرم ويضعف عصابتها عن جباية الاموال من الاعمال والقاصية فتقل الجباية وتكثر العوايد ويكثر بكثرتها ارزاق

قادة

ح

الجند وعطاويهم فيستحدث صاحب الدولة انواعا فيكلفون اهل تلك الاصناف او تاجرا او فلاح بشرا
تلك البضايع ولا يرضون في اثمانها الا القيم وازيد فيستوعبون في ذلك ناض اموالهم وتبقى
تلك البضايع بايديهم عروضا جامدة ويمكثون عطلا من الادارة التي فيها كسبهم ومعاشهم وربما
تدعوهم الضرورة الى شي من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق بابخس ثمن وربما يتكرر
ذلك على التاجر والفلاح منهم بما يذهب راس ماله فيقعد عن سوقه ويتعدد ذلك ويتكرر
ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض امالهم عن السعي في ذلك
جملة ويودي الى فساد الجباية فان معظم الجباية انما هي من الفلاحين والتجار لاسيما بعد
وضع المكوس ونمو الجباية بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلاحة وقعد التجار عن التجارة
ذهبت الجباية جملة او دخلها النقص المتفاحش واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية
وبين هذه الارباح القليلة وجدها بالنسبة الى الجباية اقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا
فيذهب له بحظ عظيم من الجباية فيما يعانيه من شرا او بيع فانه من البعيد ان يوخذ منه فيه
المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسبها كلها حاصلا من جملة الجباية ثم فيه التعرض
لخراب عمرانه واختلال الدولة بفساده ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تثمير اموالهم
بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها اتلاف احوالهم فافهم ذلك وكان
الفرس لا يملكون عليهم الا من اهل بيت المملكة ثم يختارونه من اهل الدين والفضل والادب
والسخا والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان لا يتخذ صنعة فيضر
بجيرانه ولا يتاجر فيحب غلا الاسعار في البضايع ولا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا
مصلحة واعلم ان السلطان لا ينمي ماله ولا يدر موجوده الا الجباية وادرارها انما يكون بالعدل
في اهل الاموال والنظر لهم بذلك فبذلك تنبسط امالهم وتنشرح صدورهم للاخذ في تثمير الاموال
وتنميتها فتعظم منها جباية السلطان واما غير ذلك من تجارة او فلح فانما هو مضرة عاجلة
للرعايا وفساد للجباية ونقص للعمارة ولقد ينتهي الحال بهولاء المنسلخين للتجارة والفلاحة
من الامراء والمتغلبين في البلدان انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين الى
بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاوون ويبيعونها في وقتها لمن تحت ايديهم من الرعايا
بما يفرضون من الثمن وهذه اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم وربما يحمل
السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف اعني التجار والفلاحين لما هي صناعته التي
نشا عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال
سريعا مع ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فينبغي للسلطان ان يحذر من هولا
ولا يعرض عن سعايتهم المضرة بجبايته وسلطانه والله يلهمنا رشد انفسنا وينفعنا
بصالح اعمالنا لا رب غيره **فصل** في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون
في وسط الدولة والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدولة تتوزع على القبيل واهل العصبية
بمقدار غنايهم وعصبيتهم ولان الحاجة اليهم في تمهيد الدولة كما قلناه من قبل فرييسهم
في ذلك متجاف لهم عما يسمون اليه من الجباية معتاض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد عليهم
فله عليهم عزة وله اليهم حاجة فلا يطير في سهمانه من الجباية الا الاقل من حاجته فتجد حاشيته
لذلك واذياله من الوزرا والكتاب والموالي مملقين في الغالب وجاههم متقلص لانه من جاه مخدومهم
ونطاقه قد ضاق بمن يزاحمه فيه من اهل عصبيته فاذا استفحلت طبيعة الملك وحصل

لصاحب

مهم

لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قبض ايديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين الناس من سهمان
وتقل حظوظهم اذ ذاك لقلة غنايهم في الدولة بما انكبح من اعنتهم وصار الموالي والصنايع مساهمين
لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينفرد صاحب الدولة حينيذ بالجباية او معظمها ويحتوي على
الاموال ويحتجنها للنفقة في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتمتلي خزاينه ويتسع نطاق جاهه
ويعتز على ساير قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وحاجب ومولى وشرطي ويتسع جاههم
ويقتنون الاموال ويتاثلونها ثم اذا اخذت الدولة في الهرم بتلاشي العصبية وفنا القبيل
المعاهدين للدولة احتاج صاحب الامر حينيذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخوارج والمنازعين
والثوار وتوهم الانتقاض فصار خراجه لظهرايه واعوانه وهم ارباب السيوف واهل العصبيات
وانفق خزاينه وحاصله في مهمات الدولة وقلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطا
والانفاق فيقل الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال فيتقلص ظل النعمة والترف عن الخواص
والحجاب والكتاب بتقلص الجاه عنهم وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب
الدولة الى المال وتنفق ابنا البطانة والحاشية ما تاثله اباوهم من الاموال في غير سبيلها
من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه اباوهم وسلفهم من المناصحة ويرى صاحب
الدولة انه احق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه وبجاههم فيصطلمها وينتزعها
منهم لنفسه شيا فشيا وواحدا بعد واحد على نسبة رتبهم وتنكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك
على الدولة بفنا حاشيتها ورجالاتها واهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك
كثير من مباني المجد بعد ان يدعمه اهله ويرفعونه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة
العباسية في بني قحطبة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وامثالهم ثم في الدولة الاموية
بالاندلس عند انحلالها ايام الطوايف في بني شهيد وبني ابي عبدة وبني حدير وبني برد وامثالهم
وكذا في الدولة التي ادركناها لعهدنا سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله
تبديلا **فصل** ولما يتوقعه اهل الدولة من امثال هذه المعاطب صار الكثير
منهم ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخلص عن ربقة السلطان بما حصل بايديهم من مال
الدولة الى قطر اخر ويرون انه اهنا لهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط
الفاحشة والاوهام المفسدة لاحوالهم ودنياهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه
عسير ممتنع فان صاحب هذا الغرض ان كان هو الملك بنفسه فلا تمكنه الرعية من ذلك
طرفة عين ولا اهل العصبية المزاحمون له بل ظهور ذلك منه فيه هدم ملكه وتلاف نفسه
بمجاري العادة بذلك لان ربقة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند استفحال الدولة وضيق
نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق بالشر واما اذا كان صاحب هذا
الغرض من بطانة السلطان وحاشيته واهل الرتب في دولته فقل ان يخلى بينه وبين ذلك اما
اولا فلما يراه الملوك ان ذويهم وحاشيتهم بل وساير رعاياهم مماليك لهم مطلعون على ذات
صدورهم فلا يسمحون بحل ربقته من الخدمة ضنانة باسرارهم واحوالهم ان يطلع عليها احد
وغيرة من خدمته لسواهم ولقد كان بنو امية بالاندلس يمنعون اهل دولتهم من السفر لفريضة
الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بايدي بني العباس فلم يحج ساير ايامهم احد من اهل دولتهم وما ابيح الحج
لاهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شان الاموية ورجوعها الى الطوايف واما ثانيا فانهم وان
سمحوا بحل ربقته هو فلا يسمحون بالتجافي عن ذلك المال لا يرون انه جزء من مالهم كما كان ربه

جزاء من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتحوم نفوسهم عن انتزاع ذلك المال وابقائه كما
هو جزء من الدولة ينتفعون به ثم اذا توهموا انه خلص بذلك المال الى قطر آخر وهو في النادر
الاقل فتمتد اليه اعين الملوك بذلك القطر وينتزعونه بالارهاب والتخويف تعريضا او
بالقهر ظاهرا لما يرون انه مال الجباية والدول وانه مستحق للانفاق في المصالح فاذا كانت
عيونهم تمتد الى اهل الثروة واليسار المتكسبين من وجوه المعاش فكما ذكرنا فاحرى بها ان
تمتد الى اموال الجباية والدول التي تجد السبيل اليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان
ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني تاسع او عاشر ملوك الحفصيين بافريقية الخروج من عهدة
الملك واللحاق بمصر فرارا من طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغزو تونس فاستعمل
اللحياني الرحلة الى ثغر طرابلس يوري بتمهيده وركب السفين من هنالك وخلص الى الاسكندرية
بعد ان حمل جميع ما وجد ببيت المال من الصامت والذخيرة وباع كل ما كان بخزائنهم من المتاع
والعقار والجوهر حتى الكتب واحتمل ذلك الى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون
سنة سبع عشرة من المائة الثامنة فاكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته
شيئا فشيئا بالتعريض الى ان حصل عليها ولم يبق معاش ابن اللحياني الا من جرايته التي فرض
له الى ان هلك سنة ثمان وعشرين حسبما نذكره في اخباره فهذا وامثاله من جملة
الوسواس الذي يعتري اهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يخلصون
ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوهمونه من الحاجة فغلط ووهم والذي حصل
لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجدان المعاش لهم بالجرايات السلطانية او بالجاه
في انتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدولة انساب لكن النفوس راغبة اذا
ارغبتها واذا ترد الى قليل تقنع والله الرزاق ذو القوة المتين

فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هو السوق الاعظم للعالم ومنه مادة
العمران فاذا احتجن السلطان الاموال والجبايات او فقدت فلم يصرفها في مصارفها
قل حينئذ ما بايدي الحاشية وانقطع ايضا ما كان يصل اليهم لحاشيتهم وذويهم وقلت
نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع الكساد
حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والجباية
انما تكون من الاعتمار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للفوائد والارباح ووبال
ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة اموال السلطان حينئذ بقلة الخراج فان الدولة
كما قلناه هي السوق الاعظم ام الاسواق كلها واصلها ومادتها في الدخل والخرج فاذا
كسدت وقلت مصارفها فاجدر بما بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك واشد منه
وايضا فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان
عنده فقدته الرعية وكان ذلك اعظم ضرر عليهم **فصل** في ان الظلم
مؤذن بخراب العمران **اعلم** ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب بآمالهم في
تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم
واذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعي في الاكتساب فان

فان كان الاعتداء كثيرا عاما في جميع ابواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله
من جميع ابوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته والعمران ونفاق اسواقه انما هو
بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت
ايديهم عن المكاسب كسدت اسواق العمران وانتقضت الاحوال وابذعر الناس في الآفاق من غير تلك الايالة
في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فخف ساكن القطر وخلت دياره وخربت امصاره واختل باختلاله
حال الدولة والسلطان لما انها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي
في اخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انكار ما كان
عليه من الظلم والغفلة على عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان البوم حين سمع الملك
اصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له ان بوما ذكرا يروم نكاح بوم انثى وانها شرطت عليه عشرين
قرية من الخراب في ايام بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت ايام الملك اقطعتك الف قرية وهذا
اسهل مرام فتنبه الملك من غفلته وخلا بالموبذان وسأله عن مراده فقال له ايها الملك ان الملك
لا يتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للشريعة الا بالملك
ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل
للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك
وانت ايها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من اربابها وعمارها وهم ارباب الخراج ومن تؤخذ
منهم الاموال واقطعتها الحاشية والخدم واهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما
يصلح الضياع وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقي من ارباب الخراج وعمار الضياع
فتركوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس
من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك الا بها فلما سمع الملك ذلك
اقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة لعله
واخذوا بالعمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت الارض واخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباة الخراج
وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور واقبل الملك على مباشرة اموره بنفسه فحسنت
ايامه وانتظم ملكه فتفهم من هذه الحكاية ان الظلم مخرب للعمران وان عائدة الخراب في العمران
على الدولة بالفساد والانتقاض ولا تنظر في ذلك الى ان الاعتداء قد يوجد بالامصار العظيمة من
الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء واحوال اهل
المصر فلما كان المصر كبيرا وعمرانه كثيرا واحواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص فيه بالاعتداء
والظلم يسيرا لان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال في المصر لم يظهر
اثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من اصلها قبل خراب المصر وتجيء الدولة الاخرى
فترفعه بجدتها وتجبر النقص الذي كان خفيا فيه فلا يكاد يشعر به الا ان ذلك في الاقل والمراد
من هذا ان حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لما قدمناه ووباله عائد على
الدول ولا تحسبن الظلم انما هو اخذ المال او الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور
بل الظلم اعم من ذلك وكل من اخذ ملك احد او غصبه في عمله او طالبه بغير حق او فرض عليه حقا لم
يفرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الاموال بغير حقها ظلمة والمعتدون عليها ظلمة والمنتهبون لها
ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة وغصاب الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائد على الدولة
بخراب العمران الذي هو مادتها لذهاب الآمال من اهله واعلم ان هذه هي الحكمة المقصودة للشارع

في تحريم الظلم وهو ما ينشا عنه من فساد العمران وخرابه وهذا موذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة في المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما كان الظلم كما رايت موذنا بانقطاع ما ادى اليه من تخريب العمران كانت حكمة الخطر فيه موجودة فكان تحريمه مهما وادلته من القران والسنة كثيرة اكثر من ان ياخذها قانون الضبط والحصر ولو كان كل واحد قادرا عليه لوضع بازايه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازاء غيره من المفسدات للنوع التي يقدر كل احد من اقترافها من الزنا والقتل والسكر الا ان الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه لا يقع الا من اهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمه وتكرير الوعيد فيه عسى ان يكون الوازع فيه للقادر عليه في نفسه وما ربك بظلام للعبيد ولا تقولن ان العقوبة قد وضعت بازاء الحرابة في الشرع وهي من ظلم القادر لان المحارب من حرابته قادر فان في الجواب من ذلك طريقين احدهما ان يقال العقوبة ما يقترفه من الجنايات في نفس او مال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة بجنايته واما الحرابة فهي خلو من العقوبة الطريق الثاني ان يقول المحارب لا يوصف بالقدرة لانا انما نعني بقدرة الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي المؤذنة بالخراب واما قدرة المحارب فانما هي اخافة يجعلها ذريعة لاخذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعا وسياسة فليست من القدر المؤذن بالخراب والله قادر على ما يشاء

فصل ومن اشد الظلامات واعظمها افسادا للعمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق وذلك ان الاعمال من قبيل المتمولات لما سنبين في باب الرزق ان الرزق والكسب انما هو قيم اعمال اهل العمران فاذن مساعيهم واعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعية المعتملين في العمارة انما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك فاذا كلفوا العمل في غير شانهم واتخذوا سخريا في معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متمولهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك عليهم افسد امالهم في العمارة وقعدوا عن السعي فيها جملة فادى ذلك الى انتقاص العمران وتخريبه

فصل واعظم من ذلك في الظلم وافسد للعمران والدولة التسلط على اموال الناس بشراء ما بايديهم بابخس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم بارفع الاثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع وربما تفرض عليهم تلك الاثمان على النواحي والتاجيل فيتعللون في الخسارة التي تلحقهم بما يحدثهم المطامع من جبر ذلك بحوالة الاسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بابخس الثمن وتعود خسارة ما بين الصفقتين على رؤوس اموالهم وقد يعم ذلك اصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين من الافاق في البضائع وساير السوقة واهل الدكاكين في الماكل والفواكه واهل الصنايع فيما يتخذ من الالات والمواعين فتشمل الخسارة ساير الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات وتجحف برؤوس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا القعود عن الاسواق لذهاب رؤوس الاموال في جبرها بالارباح ويتثاقل الواردون من الافاق لشراء البضائع وبيعها من اجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل معاش الرعايا لان عامته من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل معاشهم وتنقص جباية السلطان او تفسد لان معظمها من اواسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه ويؤول ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدريج ولا يشعر به هذا فيما كان بامثال هذه الذرايع والاسباب الى اخذ الاموال واما اخذها مجانا والعدوان على الناس في اموالهم وحرمهم ودمائهم واسرارهم واعراضهم فهو يفضي

الى الخلل والفساد دفعة وتنتقض الدولة سريعا بما ينشا عنه من الهرج المفضي الى الانتقاض ومن اجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشرا وحظر اكل اموال الناس بالباطل سدا لابواب المفاسد المفضية الى انتقاص العمران بالهرج او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة فيستحدثون القابا ووجوها يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج بسببه يكثر والحاجة الى اموال الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يزيد الى ان تنمحي دايرتها ويذهب رسمها ويغلبها طالبها والله اعلم

صح

فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه لانها لا بد لها من العصبية التي بها يتم امرها ويحصل استيلاؤها والبداوة هي شعار العصبية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك ومذاهبه فاذا كانت الدولة في اول امرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبداوة والقرب من الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ عزه وصار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس للحديث مع اوليائه في خواص شؤونه لما يكثر حينئذ من غاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن ببابه على من لا يامنه من اوليائه واهل دولته ويتخذ حاجبا عن الناس يقيمه ببابه لهذه الوظيفة ثم اذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من يباشرهم فوقع فيما لا يرضيهم فسخطوه وصاروا الى حالة الانتقام منه فانفرد بمعرفة هذه الاداب مع الخواص من اوليائهم وحجبوا عن اولئك الخاصة عن لقائهم في كل وقت حفظا على انفسهم من معاينة ما يسخطهم وعلى الناس من التعرض لعقابهم فصار لهم حجاب اخر اخص من الحجاب الاول يفضي اليهم منه خواصهم من الاولياء ويحجب دونهم من سواهم والحجاب الثاني يفضي الى مجالس الاولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الاول يكون في اول الدولة كما ذكرنا كما حدث ايام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني امية وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب جريا على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وحدث الدولة من العز والترف ما هو معروف وكملت خلق الملك على ما يجب فيها فدعاه ذلك الى الحجاب الثاني وصار اسم الحاجب اخص به وصار بباب الخلفاء داران للعباسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في اخبارهم ثم حدث في الدولة حجاب ثالث اخص من الاولين وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدولة وذلك ان اهل الدولة وخواص الملك اذا انصبوا الابناء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فاول ما يبدا به ذلك المستبد ان يحجب عنه بطانة ابيه وخواص اوليائه يوهمه ان في مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير ويعوده ملابسة اخلاقه هو حتى لا يتبدل بها سواها الى ان يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب الا اواخر الدولة كما قدمناه في الحجر ويكون دليلا على هرم الدولة ونفاد قوتها وهو مما يخشاه اهل الدول على انفسهم لان القائمين على الدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من اعقاب ملوكها لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصا مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومباديه

فصل في انقسام الدولة

الواحد بدولتين اعلم ان اول ما يقع من اثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما
يستفحل ويبلغ احوال الترف والنعيم الى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالمجد وينفرد به
يانف حينئذ عن المشاركة ويصير الى قطع اسبابها ما استطاع باهلاك من استراب منه
من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بانفسهم ونزعوا الى القاصية
اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاغترار والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد اخذ في التقلص
ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال امره يعظم بتراجع نطاق الدولة
حتى يقاسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان امرها حريزا ه
مجتمعا ونطاقها ممتدا في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبة على ساير مضر فلم ينبض
عرق من الخلاف ساير ايامه الا ما كان من نزعة الخوارج المستميتين في شان بدعتهم لم يكن ذلك
لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم امرهم لمزاحمتهم العصبية القوية ثم لما خرج الامر من بني امية واستقل
بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف واذنت بالتقلص
عن القاصية نزع عبد الرحمن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بها ملكا
واقتطعها من دولتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج به وقام بامره
وامر ابنه من بعده البرابر من اوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت
الدولة تقلصا فاضطرب الاغالبة في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بامرهم كتامة
وصنهاجة واستولوا على افريقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على الادارسة
وقسموا الدولة دولتين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب
واصلهم ومادتهم الاسلام ودولة بني امية المجددين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق
ودولة العبيديين بافريقية ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدولة الى ان كان انقراضها
متقاربا او جميعا وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول اخرى وكان بالقاصية بنو سامان
فيما وراء النهر وخراسان والعلوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك الى استيلاء الديلم على العراقين
وعلى بغداد والخلفاء ثم جاء السلجوقية فملكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم ايضا بعد الاستفحال
كما هو معروف في اخبارهم وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة بافريقية والمغرب لما بلغت الى غايتها
ايام باديس بن المنصور خرج عليه عمه حماد واقتطع ممالك العرب لنفسه ما بين جبل اوراس
الى تلمسان وملوية واختط القلعة بجبل كتامة حيال المسيلة ونزلها واستولى على مركزها
اشير بجبل تيطري واستحدث ملكا اخر قسيما لملك آل باديس وبقي آل باديس بالقيروان وما
يليها ولم يزل الى ان انقرض امرهما جميعا وكذلك دولة الموحدين لما تقلص ظلها ثار بافريقية
بنو ابي حفص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لاعقابهم بنواحيها ثم لما استفحل امرهم واستولى على
الغاية خرج على الممالك الغربية من اعقابهم الامير ابو زكرياء يحيى بن السلطان ابي اسحاق ابراهيم
رابع خلفائهم واستحدث ملكا ببجاية وقسنطينة وما يليها اورثه بنيه وقسموا به الدولة قسمين
ثم استولى على كرسي الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد ينتهي
الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاثة في غير اعياص الملك من قومه كما وقع في ملوك الطوايف بالاندلس
وملوك العجم بالمشرق وفي ملك صنهاجة بافريقية فقد كان لاخر دولتهم في كل حصن من حصون
افريقية ثاير مستقل بامره كما تقدم ذكره وكذا حال الجريد والزاب من افريقية قبيل هذا العهد
كما نذكره وهكذا شان كل دولة لا بد وان تعرض فيها عوارض الهرم بالترف والدعة وتقلص

ظل

ظل الغلب فيقتسم اعياصها او من يغلب من رجال دولتها الامر ويتعدد فيها الدولة والله وارث
الارض ومن عليها

فصل في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم واسبابه واحدا بعد واحد وبينا انها تحدث للدول بالطبع
وانها كلها امور طبيعية لها واذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث
الامور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الامراض المزمنة التي لا يمكن دوا وهَا
ولا ارتفاعها لما انه طبيعي والامور الطبيعية لا تتبدل وقد يتنبه كثير من اهل الدول
ممن له يقظة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم ويظن انه ممكن الارتفاع
فياخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك الهرم ويحسب انه لحقها من قبل اهل
الدولة من غفلتهم وليس كذلك فانها امور طبيعية للدولة والعوايد هي المانعة لها من
تلافيها والعوايد بمنزلة طبيعة اخرى فان من ادرك مثلا اباه واهل بيته يلبسون الحرير والد يباج
ويتحلون بالذهب في السلاح والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة
سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس اذ العوايد حينئذ تمنعه
وتقبح عليه مرتكبه ولو فعل لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوايد دفعة وخشي عليه
عايدة ذلك وعاقبته في سلطانه وانظر شان الانبيا في انكار العوايد ومخالفتها لولا التاييد
الالهي والنصر السماوي وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعها
من النفوس فاذا ازيلت تلك الابهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب
اوهام الابهة فتتدرع الدولة بتلك الابهة ما امكنها حتى ينقضي الامر وربما يحدث عند اخر
الدولة قوة توهم ان الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها ايماضة الخمود كما يقع في الذبال
المشتعل فانه عند مقاربة انطفايه يومض ايماضة توهم انها اشتعال وهي انطفاء فاعتبر
ذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل اجل كتاب

فصل في طروق الخلل للدول

اعلم ان مبنى الملك على اساسين لا بد منهما فالاول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند
والثاني المال الذي هو قوام اولئك الجند واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والخلل اذا
طرق الدولة طرقها في هذين الاساسين فلنذكر اولا طروق الخلل في الشوكة والعصبية ثم
نرجع الى طروقه في المال والجباية واعلم ان تمهيد الدولة وتاسيسها كما قلناه انما يكون
بالعصبية وانه لا بد من عصبية كبرى جامعة للعصايب مستتبعة لها وهي عصبية صاحب الدولة
الخاصة به من عشيرته وقبيلته فاذا جاءت الدولة طبيعة الملك من الترف وجدع انوف اهل
العصبية كان اول ما يجدع انوف عشيرته وذوي قرابته المقاسمين له في اسم الملك فيستبد
في جدع انوفهم بما بلغ من سواهم وياخذهم الترف ايضا اكثر من سواهم لمكانهم من الملك والعز
والغلبة فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر ثم يصير القهر اخرا الى القتل لما يحصل من مرض
قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الامر فيقلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه فياخذهم بالقتل
والاهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثير منه فيهلكون وتفسد عصبية صاحب
الدولة منهم وهي العصبية الكبرى التي كان يجمع بها العصايب ويستتبعها فتنحل عروتها
وتضعف شكيمتها وتستبدل عنها بالبطانة من موالي النعمة وصنايع الاحسان وتتخذ منهم

عصبية الا انها ليست مثل تلك في استحكام الشكيمة لفقدان الرحم والقرابة منها وقد كنا قدمنا ان شان العصبية وقوتها انما هي بالقرابة والرحم لما جعل الله في ذلك فينفرد صاحب الدولة عن العشير والانصار الطبيعية ويحس بذلك اهل العصائب الاخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد واحد ويقلد الاخر من اهل الدولة في ذلك الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذي قدمنا فيستولي عليهم الهلاك بالترف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية وينسوا بعزتها وسورتها ويصيروا اوجز على الحماية ويقلون لذلك فتقل الحامية التي تنزل بالاطراف والثغور فتتجاسر الرعايا على بعض الدعوة في الاطراف ويبادر الخوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى تلك الاطراف لما يرجعون حينئذ من حصول غرضهم بمبايعة اهل القاصية لهم وامنهم من وصول اهل الحامية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضايق حتى يصير الخوارج الى اقرب الاماكن الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاثة على قدر قوتها في الاصل كما قلناه ويقوم بامرها غير اهل عصبيتها لكن اذعانا لاهل عصبيتها ولغلبهم المعهود واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام انتهت اولا الى الاندلس والهند والصين وكان امر بني امية نافذا في جميع العرب بعصبية بني عبد مناف حتى لقد امر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد امره ثم تلاشت عصبية بني امية بما اصابهم من الترف فانقرضوا وجاء بنو العباس فغضوا من اعنة بني هاشم وقتلوا الطالبيين وشردوهم فانحلت عصبية عبد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم اهل القاصية مثل بني الاغلب بافريقية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام البربر بامرهم اذعانا للعصبية التي لهم وامنا ان يصلهم مقاتلة او حامية الدولة فاذا خرج الدعاة اخرا فيتغلبون على الاطراف والقاصية ويحصل لهم هنالك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك متى زادت الدولة تقلصا الى ان ينتهي المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما اخذ منها الترف فتهلك وتضمحل وتضعف الدولة المنقسمة كلها وربما طال امدها بعد ذلك فتستغني عن العصبية بما حصل لها من الصبغة في نفوس اهل ايالتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي يعقل احد من الاجيال مبدأها ولا اوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فيستغني بذلك عن قوة العصائب ويكفي صاحبها في تمهيد امرها الاجراء على الحماية من جندي ومرتزق ويعضد ذلك ما وقع في النفوس عامة من التسليم فلا يكاد احد ان يتصور عصيانا او خروجا الا والجمهور منكرون عليه مخالفون له فلا يقدر على التصدي لذلك ولو جهد جهده وربما كانت الدولة في هذه الحال اسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام صبغة التسليم والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يختلج في ضميرها انحراف عن الطاعة فتكون اسلم من الهرج والانتقاض الذي يحدث بالعصائب والعشائر ثم لا يزال امر الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها شان الحرارة الغريزية في البدن العادم للغذاء الى ان تنتهي الى وقتها المقدور فلكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله يقدر الليل والنهار

واما الخلل الذي تطرق من جهة المال فاعلم ان الدولة في اولها تكون بدوية كما مر فيكون خلق الرفق بالرعايا والقصد في النفقات والتعفف عن الاموال فيتجافى عن الامعان

والجباية والتحذلق والكيس في جمع المال وحسبان العمال ولا داعية حينئذ الى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة الى كثرة المال ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستفحل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فيعظم نفقات السلطان واهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى اهل المصر ويدعو ذلك الى الزيادة في اعطيات الجند وارزاق اهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات وينتشر ذلك في الرعية لان الناس على دين ملوكها وعوايدها ويحتاج السلطان الى ضرب المكوس على اثمان البياعات في الاسواق لادرار الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وارزاق جنده ثم تزيد عوايد الترف فلا تفي بها المكوس وتكون الدولة قد استفحلت في الاستطالة والقهر لمن تحت يدها من الرعايا فتمتد ايديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة او نقد في بعض الاحوال بشبهة او بغير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسروا على الدولة بما لحقها من الفشل والهرم في العصبية فتوقع ذلك منهم فتداوي بسكينة العطايا وكثرة الانفاق فيهم ولا تجد عن ذلك وليجة وتكون جباة الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بايديهم وبما اتسع لذلك من جاههم فيتوجه اليهم باحتجان الاموال من الجباية وتفشو السعاية فيهم بعضهم من بعض للمنافسة والحقد فتعمهم النكبات والمصادرات واحدا بعد واحد الى ان تذهب ثروتهم وتتلاشى احوالهم ويفقد ما كان للدولة من الابهة والجمال بهم واذا اصطلمت نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا الطور قد لحق الشوكة وضعفت عن الاستطالة فتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مداراة الامور ببذل المال ويراه ارفع من السيف لقلة غنايه فتعظم حاجته الى الاموال زيادة على النفقات وارزاق الجند ولا تغني فيما يريد ويعظم الهرم بالدولة ويتجاسر عليها اهل النواحي والدولة تنحل عراها في كل طور من هذه الى ان تفضي الى الهلاك وتتعرض لاستيلاء الطلاب فان قصدها طالب انتزعها من ايدي القائمين بها والا بقيت وهي تتلاشى الى ان تضمحل كالذبال في السراج اذا فني زيته وطفي والله مالك الامور ومدبر الاكوان لا اله غيره

فصل في وفور العمران اخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات

اعلم انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدولة في اول امرها لا بد من الرفق في ملكتها والاعتدال في ايالتها اما من الدين ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة والمحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول واذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت امال الرعايا وانبسطوا للعمران واسبابه فتوفر ويكثر التناسل واذا كان ذلك كله بالتدريج فانما يظهر اثره بعد جيل او جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقولن انه قد مر لك ان اواخر الدولة يكون فيها الاجحاف بالرعايا وسوء الملكة فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاجحاف وان حدث حينئذ وقلت الجبايات فانما يظهر اثره في تناقص العمران بعد حين من اجل التدريج في الامور الطبيعية ثم ان المجاعات والموتان لقبض الناس ايديهم عن الفلح في الاكثر بسبب ما يقع في اواخر الدولة من العدوان في الاموال والجبايات والفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم

في كثرة الامطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر الزرع والثمار والضرع على نسبته لان الناس واثقون في اقواتهم بالاحتكار فاذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه اولو الخصاصة فهلكوا وكان بعض السنوات والاحتكار مفقود فشمل الناس الجوع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه او كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل او وقوع الوبا وسببه في الغالب فساد الهوى بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهوى وهو غذا الروح الحيواني وملابسه دايما فيسري الفساد الى مزاجه فاذا كان الفساد قويا وقع المرض في الرية وهذه هي الطواعين وامراضها مخصوصة بالرية وان كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الامزجة وتهلك الابدان وسبب كثرة العفن والرطوبة الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره اخر الدولة بما كان في اوايلها من حسن المملكة وان تخلل ورفقها وعظم الحماية وقلة المغرم وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه في الحكمة وان تخلل الخلا والقفر بين العمران ضروري ليكون تموج الهوا يذهب بما يحصل في الهوا من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهوا الصحيح ولهذا ايضا فان الموتان يكون في المدن الموفورة العمران اكثر من غيرها بكثير كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله يقدر ما يشا

فصل في ان العمران البشري لا بد له من سياسة

ينتظم بها امره اعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع ان الاجتماع ضروري وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه وانه لابد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جا به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا والاخرة والثانية انما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما معناه عند الحكما ما يجب ان يكون عليه كل واحد من اهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكام راسا ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدينة الفاضلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع بالاحكام للمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة او بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير ثم ان السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وجهين احدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على وجه الحكمة وقد اغنانا الله تعالى عنها في الملة ولعهد الخلافة لان الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة في هذه تبعا وهذه السياسة هي التي لساير الملوك في العالم من مسلم وكافر الا ان ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها اذا مجتمعة من احكام شرعية واداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية والاقتداء فيها بالشرع اولا ثم الحكما في ادابهم والملوك في سيرهم ومن احسن ما كتب في ذلك واودع كتاب طاهر بن الحسين قائد المامون لابنه عبد الله بن طاهر

لما

لما ولاه المامون الرقة ومصر وما بينهما فكتب اليه ابوه طاهر كتابه المشهور عهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الاداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقة ونص الكتاب منقولا من كتاب الطبري بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فعليك بتقوى الله تعالى وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه واحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما انت صاير اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيمة من عذابه واليم عذابه فان الله سبحانه قد احسن اليك واوجب الرافة بمن استرعاك امرهم من عباده والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبهم والحقن لدمايهم والامن لسبلهم وادخال الراحة عليهم ومواخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسايلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت واخرت ففرغ لذ لك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل وانه راس امرك وملاك شانك واول ما يوفقك الله عز وجل به وليكن اول ما يلزم به نفسك وينسب اليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها وتوابعها على سننها من اسباغ الوضو لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل في قراتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيه رايك ونيتك واخصص عليك جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشا والمنكر ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلايقه واقتفاء اثر السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما انزل الله عز وجل في كتابه من امره ونهيه وحلاله وحرامه وايتمام ما جاءت به الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل عليك ولا تميلن عن العدل فيما احببت او كرهت لقريب من الناس او لبعيد واثر الفقه واهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان افضل ما يز ين به المرء الفقه في الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقايد اليه والامر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة له واجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها فليس شي ابين نفعا ولا اخص امنا ولا اجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قايد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد واثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الاخرة والاجر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة والرشد والاعانة والاستكثار في البر والسعي له اذا كان يطلب به وجه الله عز وجل ومرضاته ومرافقة اولياء الله في دار كرامته اما تعلم ان القصد في شان الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك من قايل ولا تصلح امورك بافضل منه فاته واهتد به تتم امورك وتزيد مقدرتك ويصلح عامتك وخاصتك واحسن ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن احدا من الناس فيما توليه من عملك قبل ان تكشف امره فان ايقاع التهم بالبرآء والظنون السية بهم اثم ما شد

فاجعل من شانك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعينك ذلك
على استطاعتهم ورياضتهم ولا تتخذن عدو الله الشيطان في امرك مغمزا فانه انما يكتفي
بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم من سوء الظن ما ينغص لذاذة عيشك واعلم انك
تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما احببت كفايته من امورك وتدعوا به الناس الى
محبتك والاستقامة في الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرافة برعيتك
ان تستعمل المسئلة والبحث عن امورك والمباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية
والنظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم ايسر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم للدين واحيا
للسنة واخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انه مسئول
عما صنع ومجزي بما احسن ومواخذ بما اساء فان الله عز وجل جعل الدين حرزا وعزا
ورفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الاهدى واقم
حدود الله تعالى في اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون
به ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم
على امرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروتك
واذا عاهدت عهدا فاوف به واذا وعدت الخير فانجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن
عيب كل ذي عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهل النميمة
فان اول فساد امورك في عاجلها واجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لان الكذب
راس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب
ولا يستقيم لمطيعها امر واحب اهل الصلاح والصدق واعن الاشراف بالحق واعن
الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز امره والتمس فيه ثوابه
والدار الاخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رايك واظهر برائتك من ذلك
لرعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى
واملك نفسك عند الغضب واثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيش والغرور فيما انت
بسبيله واياك ان تقول انا مسلط افعل ما اشاء فان ذلك سريع الى نقص الراي وقلة
اليقين لله عز وجل واخلص لله وحده النية فيه واليقين به **واعلم** ان الملك لله سبحانه
وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى احد اسرع منه
الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفروا نعم الله عز وجل
واحسانه واستطالوا بما اعطاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن
ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم
والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة لملهوفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وادخرت
في الخزائن لا تثمر واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم نمت وزكت
وصلحت بها العامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز
خزائنك تفريق الاموال في عمارة الاسلام واهله ووفر منه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقوقهم
واوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك
واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع اموال رعيتك
وعملك اقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك اسلس لطاعتك واطيب نفسا بكل

ماردت

ما اردت واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقك فيه وانما يبقى من المال ما انفق
في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف الشاكرين شكرهم واثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا
وغرورها هول الاخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث
البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد اسبغ عليك فضله
واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين كرين
وسيرة المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالئن حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا
تداهنن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تامنن غدارا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن
مرائيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا
تخلفن وعدا ولا ترهبن فخرا ولا تظهرن غضبا ولا تاتين رجاء ولا تمشين مرحا ولا تزكين
سفيها ولا تفرطن في طلب الاخرة ولا تدفع الايام عتابا ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه او محاباة
ولا تطلبن ثواب الاخرة في الدنيا واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن اهل
التجارب وذوي العقل والراي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك اهل الرفه والبخل ولا تسمعن
لهم قولا فان ضررهم اكثر من نفعهم وليس شيء اسرع فسادا لما استقبلت فيه امر رعيتك من الشح
واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم امرك
الا قليلا فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ووالى من صفا
لك من اوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه اول ما عصى
الانسان به ربه وان العاصي بمنزلة الخزي وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في نيتك حظا ونصيبا
وايقن ان الجود افضل اعمال العباد فاعدده لنفسك خلقا وسهل طريق الجود بالحق والرضى
به عملا ومذهبا وتفقد الجند في دواوينهم ومكاتبهم وادرر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في
معايشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك امرهم وتزيد به قلوبهم في طاعتك
وامرك خلوصا وانشراحا وحسب ذي السلطان من السعادة ان يكون على جنده ورعيته
رحمة في عدله وعطيته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزايل مكروه احد
البابين باستشعار فضيلة الباب الاخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله تعالى به نجاحا
وصلاحا وفلاحا واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس به شيء من الامور لانه
ميزان الله الذي يعدل عليه احوال الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح
احوال الرعية وتامن السبل وينتصف المظلوم وتاخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى
حق الطاعة ويرزق الله من العافية والسلامة ويقيم الدين ويجري السنن والشرائع على مجاريها
واشتد في امر الله عز وجل وتورع عن النطف وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد عن
الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك واسدد في منطقك وانصف
الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحجة ولا ياخذك في احد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة
لائم وتثبت وتان وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية
وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم
انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام
عزا ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معاهديهم

ذلا وصغارا فوزعه بين اصحابك بالحق والعدل والتسوية والعموم ولا تدفعن منه شيئا عن شريف
لشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا لاحد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تاخذن منه فوق
الاحتمال له ولا تكلف امرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على امر الحق فان ذلك اجمع لالفتهم
والزم لرضا العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي اهل عملك
رعيتك لانك راعيهم وقيمهم فخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه في قوام امرهم وصلاحهم
وتقويم اودهم واستعمل عليهم ذوي الراي والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعمل بالسياسة
والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند
اليك فلا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى اثرته وقمت فيه بالواجب
استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة في عملك واستجررت به المحبة من رعيتك
واعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك
وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بافاضة العطا
فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك وكنت في امورك كلها
ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فيها ولا يقدم عليها شيئا تحمد منقلبه ان شا الله تعالى
واجعل في كل كورة من عملك امينا يخبرك خبر عمالك ويكتب اليك بسيرتهم واعمالهم حتى كانك
مع كل عامل في عمله معاين لاموره كلها واذا اردت ان تامرهم بامر فانظر في عواقبه فان
رايت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والا فتوقف
عنه وراجع اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امره وقد
اتاه على ما يهوى واغواه ذلك واعجبه فان لم ينظر في عواقبه اهلكه ونقض عليه امره
فاستعمل الحزم في كل ما اردت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة واكثر من استخارة
ربك في جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره واكثر مباشرته بنفسك فان لغد
امورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه
فاذا اخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى ترضى منه واذا امضيت
لكل يوم عمله ارحت بذلك نفسك واحكمت امر سلطانك فانظر احرار الناس وذوي
السن منهم ممن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة
على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة
واحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسا وافرد نفسك بالنظر في امور
الفقرا والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه
فسل عنه اخفى مسالة ووكل بامثاله اهل الصلاح في رعيتك ومرهم برفع حوائجهم
وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوي الباساء ويتاماهم واراملهم
واجعل لهم ارزاقا من بيت المال اقتدا بامير المومنين اعزه الله في العطف عليهم والصلة
لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للاضرا من بيت المال وقدم
حملة القران منهم والحافظين لاكثره في الجرايد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا
تؤويهم وقواما يرفقون بهم واطبا يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك
الى سرف في بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقوقهم وافضل امانيهم لم ترضهم وربما
تبرم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما يناله به مؤنة ومشقة

وليس من

من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستثقل ما يقربه الى
الله تعالى ويلتمس رحمته واكثر الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسكن حراسك واخفض لهم
جناحك واظهر لهم بشرك ولن لهم في المسالة والنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا اعطيت
فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على
ذلك تجارة مربحة ان شا الله تعالى واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان
والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بامر الله سبحانه وتعالى
والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وباقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك
وخالفه ودعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع
حراما ولا تنفق اسرافا واكثر مجالسة العلما ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن
واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها وليكن اكرم خلانك عليك وخاصتك عليك من
اذا راى عيبا لم تمنعه هيبتك من انها ذلك اليك في سر واعلامك بما فيه من النقص فان
اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل
منهم في كل يوم وقتا يدخل فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وامور الدولة
ورعيتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه
والتدبير له فما كان موافقا للحق والحزم فامضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا
لذلك فاصرفه الى التثبت والمسالة عنه ولا تمنن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تاتيه اليهم
ولا تقبل من احد الا الوفا والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تضعن المعروف
الا على ذلك وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك
واستخره فان الله عز وجل مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان
لله عز وجل رضا ولدينه نظاما ولاهله عزا وتمكينا وللملة والذمة عدلا وصلاحا وانا اسال
الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام وحدث
الاخباريون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره اعجب به الناس واتصل بالمامون فلما
قرئ عليه قال ما ابقى ابو الطيب يعني طاهرا شيئا من امر الدنيا والدين والتدبير والراي
والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفا وتقويم الخلافة
الا وقد احكمه واوصى به ثم امر المامون فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به
ويعملوا بما فيه هذا احسن ما وقفت عليه في هذه السياسة

فصل في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شانه وكشف الغطاء عن ذلك

اعلم ان المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار
انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون
ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط
الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وان عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال
او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته ويحتجون في الشان باحاديث خرجها
الايمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار وللمتصوفة المتاخرين
في امر هذا الفاطمي طريقة اخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف

الذي يواصل طرايقهم ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة في هذا الشان وما للمنكرين فيها
من المطاعن وما لهم في انكارهم من المستند ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة وارايهم ليستبين
لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة من الايمة خرجوا احاديث المهدي
منهم الترمذي وابو داود والبزار وابن ماجه والحاكم والطبراني وابو يعلى الموصلي واسندوها
الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وابي هريرة وانس وابي
سعيد الخدري وام حبيبة وام سلمة وثوبان وقرة بن اياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث
باسانيد ربما يعرض لها المنكرون كما نذكره الا ان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم
على التعديل فاذا وجدنا طعنا في بعض رجال الاسانيد بغفلة او بسوء حفظ او ضعف او سوء
راي تطرق ذلك الى صحة الحديث واوهن منها ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال
الصحيحين فان الاجماع قد اتصل في الامة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما وفي الاجماع اعظم
حماية واحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك فقد نجد مجالا للكلام في اسانيدها
بما نقل عن ايمة الحديث في ذلك ولقد توغل ابو بكر بن ابي خيثمة على ما نقل السهيلي عنه في
جمعه للاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكاف في
فوايد الاخبار مستندا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب وقال في طلوع
الشمس من مغربها مثل ذلك فيما احسب وحسبك هذا غلوا والله اعلم بصحة طريقه الى مالك
بن انس على ان ابا بكر الاسكاف عندهم متهم وضاع واما الترمذي فخرج هو وابو داود
بسنديهما الى ابن عباس من طريق عاصم ابن النجود احد القراء السبعة عن زر بن حبيش
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم قال
زايدة لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل مني او من اهل بيتي يواطي اسمه اسمي واسم
ابيه اسم ابي هذا لفظ ابي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت عليه
في كتابه فهو صالح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل
بيتي يواطي اسمه اسمي وفي لفظ اخر حتى يلي رجل من اهل بيتي وكلاهما حديث حسن صحيح ورواه
ايضا من طريق موقوفا على ابي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة وزايدة وغيرهم
من ايمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما اصلته
من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو امام من ايمة المسلمين انتهى الا ان عاصما قال فيه احمد بن
حنبل كان رجلا صالحا قاريا للقران خيرا ثقة والاعمش احفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش
عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف عليه في زر وابي وائل يشير بذلك
الى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه كثير الخطا في حديثه وقال يعقوب
بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم قلت لابي ان ابا زرعة يقول
عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سيء الحفظ
وقال ابو حاتم محله عندي محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف
فيه قول النسائي وقال ابن خراش في حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلي لم يكن الا سيء
الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شي وقال يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم
الا وجدته رديء الحفظ وقال ايضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن ابي النجود وفي الناس

ما فيها

ما فيها وقال الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق يهم وهو حسن الحديث وان احتج
احد بان الشيخين اخرجا له فنقول اخرجا له مقرونا بغيره لا اصلا والله اعلم وخرج ابو داود في الباب عن علي رضي
الله تعالى عنه من رواية فطر بن خليفة عن القاسم بن ابي بزة عن ابي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملاها عدلا كما ملئت جورا
وفطر بن خليفة وان وثقه احمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا ان العجلي قال
حسن الحديث وفيه تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال احمد بن عبد الله بن يونس كنا
نمر على فطر وهو مطروح لا نكتب عنه وقال مرة كنت امر به وادعه مثل الكلب وقال الدارقطني
لا يحتج به وقال ابو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه الا لسوء مذهبه وقال الجوزجاني زايغ
غير ثقة انتهى وخرج ابو داود ايضا بسنده الى علي رضي الله تعالى عنه عن مروان بن المغيرة
عن عمر بن ابي قيس عن شعيب بن خالد عن ابي اسحاق السبيعي قال قال علي ونظر الى ابنه الحسن
فقال ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل
يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ثم ذكر قصة يملا الارض عدلا وقال
هرون حدثنا عمرو بن ابي قيس عن مطرف بن طريف عن ابي الحسن عن هلال بن عمرو سمعت
عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث على
مقدمته رجل يقال له منصور يوطي او يمكن لال محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وجب على كل مومن نصره او قال اجابته سكت ابو داود عليه وقال في موضع
اخر في هارون هو من ولد الشيعة وقال السليماني فيه نظر وقال ابو داود في عمرو بن ابي
قيس لا باس به في حديثه خطا وقال الذهبي صدوق له اوهام واما ابو اسحاق السبيعي
وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت انه اختلط اخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذا رواية
ابي داود عن هارون بن المغيرة واما السند الثاني فابو الحسن فيه وهلال بن عمرو مجهول لان
ولم يعرف ابو الحسن الا من رواية مطرف بن طريف عنه انتهى وخرج ابو داود ايضا عن ام سلمة
وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرك من طريق علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ولفظ الحاكم سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم
عليه بتصحيح ولا غيره وقد ضعفه ابو جعفر العقيلي وقال لا يتابع علي بن نفيل عليه ولا
يعرف الا به وخرج ابو داود ايضا عن ام سلمة من رواية صالح ابي الخليل عن صاحب له عن ام
سلمة قالت يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من اهل المدينة هاربا الى مكة فياتيه
ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من
الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا راى الناس ذلك اتاه ابدال الشام وعصايب
اهل العراق فيبايعونه ثم ينشا رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم
وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة
نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الاسلام بجرانه الى الارض فيلبث سبع سنين وقال بعضهم
تسع سنين ثم رواه ابو داود من رواية ابي الخليل عن عبد الله بن الحارث عن ام سلمة
فتبين بذلك المبهم في الاسناد الاول ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز وقد
يقال انه من رواية قتادة عن ابي الخليل وقتادة مدلس وقد عنعنه والمدلس لا يقبل من

حديثه الاصرح فيه بالسماع مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي نعم ذكره ابو داود في ابوابه
وخرج ابو داود ايضا وتابعه الحاكم عن ابي سعيد الخدري من طريق عمران القطان عن قتادة
عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني اجلى
الجبهة اقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين وهذا
لفظ ابي داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدي منا اهل البيت اشم الانف اقنى اجلى يملأ
الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط يساره واصبعين من يمينه السبابة
والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وعمران القطان
مختلف في الاحتجاج به وانما اخرج له البخاري استشهادا لا اصلا وكان يحيى القطان لا يحدث
عنه قال يحيى بن معين ليس بالقوي وقال مرة ليس بشيء وقال احمد بن حنبل ارجو ان يكون
صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على اهل القبلة وقال النسائي
ضعيف وقال ابو عبيد الآجري سألت ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن وما سمعت الا خيرا
او سمعته مرة اخرى ذكره مرة اخرى فقال ضعيف افتى في ايام ابراهيم بن عبد الله بن
حسن بفتوى شديدة فيها سفك الدماء وخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد
الخدري قال خشينا ان يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان في امتي المهدي يخرج يعيش خمسا او سبعا او تسعا زيد الشاك قال قلنا وما ذاك
قال سنين قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني اعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع
ان يحمله لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع
والا فتسع فتنعم فيه امتي نعمة لم يسمعوا بمثلها قط تؤتى الارض اكلها ولا يدخر منه
شيئا والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ انتهى
وزيد العموات قال فيه الدارقطني واحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد احمد
الا فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى الا انه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه
ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في رواية اخرى لا شيء وقال مرة يكتب حديثه وهو ضعيف
وقال الجوزجاني متماسك وقال ابو زرعة ليس بقوي واهي الحديث ضعيف وقال ابو
حاتم ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عامة ما يرويه
وما يروي عنهم ضعفاء على ان شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه
وقد يقال ان حديث الترمذي وقع تفسيرا لما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر امتي خليفة يحثي المال حثيا
لا يعده عددا ومن حديث ابي سعيد قال من خلفائكم خليفة يحثي المال حثيا ومن طريق اخرى
عنهما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده انتهى واحاديث مسلم
لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل يقوم على ان المراد بها ورواه الحاكم ايضا من طريق
عوف الاعرابي عن ابي بكر الصديق الباجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا ثم يخرج
من اهل بيتي من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه الحاكم هذا صحيح على
شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن ابي بكر الصديق

البلجي

الناجي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج في امتي المهدي يسقيه احزم
الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الامة يعيش سبعا او
ثمانية يعني حججا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد لم يخرج له
احد من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم ير احدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم ايضا من طريق
اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وابي هارون العبدي عن ابي بكر الصديق الناجي
عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الارض جورا وظلما فيخرج رجل
من عترتي فيملك سبعا او تسعا فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال الحاكم
فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم وانما جعله على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة
وعن شيخه مطر الوراق واما شيخه الآخر وهو ابو هارون العبدي فلم يخرج له وهو ضعيف
جدا متهم بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة في تضعيفه واما الراوي له عن حماد بن
سلمة وهو اسد بن موسى يلقب اسد السنة وان قال البخاري مشهور الحديث واستشهد
به في صحيحه واحتج به ابو داود والنسائي الا انه قال مرة اخرى ثقة لو لم يصنف كان خيرا له
وقال فيه ابو محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الاوسط من رواية ابي الواصل مل
عبد الحميد بن واصل عن ابي بكر الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي احد بني سعد له عن ابي
سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول
بسنتي ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرج الارض من بركتها تملأ الارض منه
قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل بيت المقدس
وقال فيه الطبراني رواه جماعة عن ابي بكر الصديق ولم يدخل احد منهم بينه وبين ابي سعيد
الا ابا الواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد ورواية ابي بكر الصديق عنه
وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية
وقال فيه يروي عن انس وروى عن شعبة وعتاب بن بشير وخرج ابن ماجه في كتاب السنن
عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال
بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي صلى
الله عليه وسلم ذرفت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال انا
اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا
حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون ن
فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتي فيملأها قسطا كما ملؤوها
جورا فمن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج انتهى وهذا الحديث يعرف عند المحدثين
بحديث الرايات ويزيد بن ابي زياد راويه قال فيه شعبة كان رفاعا يعني يرفع الاحاديث
التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن فضيل كان من كبار ائمة الشيعة وقال احمد بن حنبل لم يكن
بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعيف وقال العجلي جائز الحديث
وكان باخرة يلقن وقال ابو زرعة لين يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابو حاتم ليس بالقوي
وقال الجوزجاني سمعتهم يضعفون حديثه وقال ابو داود لا اعلم احدا ترك حديثه وغيره احب
الي منه وقال ابن عدي هو من شيعة اهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن
مقرونا بغيره وبالجملة فالاكثرون على ضعفه وقد صرح الائمة بتضعيف هذا الحديث الذي

رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات فقال وكيع بن الجراح فيه ليس
بشيء وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة يقول في حديث يزيد
عن ابراهيم في الرايات لو حلف عندي خمسين يمينا قسامة ما صدقته اهذا مذهب ابراهيم
اهذا مذهب علقمة اهذا مذهب عبد الله واورد العقيلي هذا الحديث في الضعفا وقال
الذهبي ليس بصحيح وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله تعالى عنه من رواية ياسين العجلي عن
ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة وياسين العجلي وان قال فيه ابن معين ليس به
باس فقد قال البخاري فيه نظر وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية في التضعيف جدا واورد
له ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له وقال هو
معروف به وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن علي رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله
عليه وسلم امنا المهدي ام من غيرنا يا رسول الله قال بل منا بنا يختم الله كما فتح وبنا
يستنقذون من الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما بنا الف بين قلوبهم
بعد عداوة الشرك قال علي امؤمنون ام كافرون قال مفتون وكافر انتهى وفيه عبد
الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه قال احمد
ابن حنبل روى عن جابر مناكير وبلغني انه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال
ابن لهيعة كان شيخا احمق ضعيف العقل وكان يقول علي في السحاب وكان يجلس معنا فيبصر
سحابة فيقول هذا علي قد مر في السحاب وخرج الطبراني عن علي رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في اخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب
في المعدن فلا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا اشرارهم فان فيهم الابدال يوشك ان
يرسل على اهل الشام سيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم
فعند ذلك يخرج خارج من اهل بيتي في ثلاث رايات المكثر يقول هم خمسة عشر الفا
والمقلل يقول هم اثنا عشر الفا وامارتهم امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها
رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين الفتهم ونعمتهم وقاصيهم
ورأيهم انتهى وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في
المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه في روايتهم ثم يظهر الهاشمي فيرد الله
الناس الى الفتهم الى اخره وليس في طريقه ابن لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكر وخرج
الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله تعالى عنه من رواية ابن الطفيل عن محمد بن الحنفية
قال كنا عند علي رضي الله تعالى عنه فسأله رجل عن المهدي فقال علي هيهات ثم عقد
بيده سبعا فقال ذلك يخرج في اخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل فيجمع الله
تعالى له قوما قزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون الى احد ولا
يفرحون باحد دخل فيهم على عدة اصحاب بدر لم يسبقهم الاولون ولا يدركهم الاخرون
وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر قال ابو الطفيل قال ابن الحنفية اتريده
قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الاخشبين قلت لا جرم والله ولا ادعها حتى اموت
ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما هو على شرط
مسلم فقط فان فيه عمار الذهبي ويونس بن ابي اسحاق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو

ابن محمد

ابن محمد العنقزي ولم يخرج له البخاري احتجاجا بل استشهادا مع ما ينضم الى ذلك من تشيع
عمار الذهبي وهو وان وثقه احمد وابن معين وابو حاتم النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني
عن سفيان ان بشر بن مروان قطع عرقوبيه قلت في اي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه
عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد
اليمامي عن عكرمة بن عمار عن اسحاق بن عبد الله عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نحن ولد عبد المطلب سادة اهل الجنة انا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي
انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة وقد ضعفه بعض ووثقه
اخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل الا ان يصرح بالسماع وعلي بن زياد
قال الذهبي في الميزان لا ندري من هو ثم قال الصواب فيه ليس به باس تكلم فيه الثوري
قالوا لانه رآه يفتي في مسايل ويخطي فيها وقال ابن حبان كان ممن فحش خطاؤه فلا يحتج به
وقال احمد بن حنبل سعد بن عبد الحميد يدعي انه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه
ذلك وهو هاهنا ببغداد لم يحج فكيف سمعها وجعله الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم
فيه وخرج الحاكم في مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد
قال لي عبد الله بن عباس لو لم اسمع انك مثل اهل البيت ما حدثتك بهذا الحديث قال
فقال مجاهد فانه في ستر لا اذكره لمن يكره فقال ابن عباس منا اهل البيت اربعة منا
السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي فقال مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة
قال اما السفاح فربما قتل انصاره وعفى عن عدوه واما المنذر اراه قال فانه يعطي
المال الكثير لا يتعاظم في نفسه ويمسك القليل من حقه واما المنصور فانه يعطي النصر على
عدوه الشطر مما كان يعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرعب منه عدوه على مسيرة
شهرين والمنصور يرعب منه عدوه على مسيرة شهر واما المهدي الذي يملأ الارض عدلا
كما ملئت جورا وتأمن البهايم السباع وتلقي الارض افلاذ كبدها قال قلت وما افلاذ كبدها
قال امثال الاسطوانة من الذهب والفضة انتهى وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد
ولم يخرجاه وهو من رواية اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن ابيه واسماعيل ضعيف وابوه
ابراهيم وان خرج له مسلم فالاكثرون على تضعيفه وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهم
ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر شيئا لا احفظه
قال فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي انتهى ورجاله
رجال الصحيحين الا ان فيه ابا قلابة الجرمي وذكر الذهبي وغيره انه مدلس وفيه سفيان
الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهما عنعن ولم يصرح بالسماع فلا يقبل
وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعمي في اخر وقته فخلط قال ابن
عدي حدث باحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها احد ونسبوه الى التشيع انتهى وخرج
ابن ماجه عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس
من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم
لنا في حديث علي الذي خرجه الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن لهيعة ضعيف وان شيخه عمر
ابن جابر اضعف منه وخرج البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ للطبراني

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والا فثمان والا فتسع
تنعم امتي فيها نعمة لم ينعموا بمثلها يرسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيا من
النبات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي اعطني فيقول خذ قال الطبراني والبزار
تفرد به محمد بن مروان العجلي زاد البزار ولم نعلم تابعه عليه احد وهو وان وثقه ابو داود
وابن حبان ايضا بما ذكره في الثقات وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به باس
فقد اختلفوا فيه وقال ابو زرعة ليس عندي بذلك وقال عبد الله بن احمد بن حنبل
رايت محمد بن مروان العجلي وحدث باحاديث وانا شاهد لم اكتبها تركتها على عمد وكتب
بعض اصحابنا عنه كانه ضعفه وخرج ابو يعلى الموصلي في مسنده عن ابي هريرة وقال
حدثني خليلي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل
من اهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق قال وقلت وكم يملك قال خمس واثنين قال
قلت ما خمس واثنين قال لا ادري انتهى وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهيك وقال
فيه ابو حاتم لا يحتج به الا ان فيه رجاء بن رجاء اليشكري وهو مختلف فيه قال ابو زرعة ثقة
وقال يحيى بن معين ضعيف وقال ابو داود ضعيف وقال مرة صالح وعلق له البخاري في
صحيحه حديثا واحدا وخرج ابو بكر البزار في مسنده والطبراني في معجميه الكبير والاوسط
عن قرة بن اياس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتملان الارض جورا وظلما
فاذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من امتي اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملاها عدلا
وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء شيا من قطرها ولا الارض شيا من نباتها
يلبث فيكم سبعا او ثمانيا او تسعا يعني سنين انتهى وفيه داود بن المحبر بن قحذم عن ابيه
وهما ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والانصار علي بن ابي طالب عن يساره والعباس عن يمينه
اذ تلاحى العباس ورجل من الانصار فاغلظ الانصاري للعباس فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم
بيد العباس وبيد علي فقال سيخرج من صلب هذا فتى يملا الارض جورا وظلما وسيخرج من
صلب هذا فتى يملاء الارض قسطا وعدلا فاذا رايتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي
فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي انتهى وفيه عبد الله بن عمر العمري وعبد الله
ابن لهيعة وهما ضعيفان انتهى وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبيد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يهدا منها جانب الا جاش منها جانب حتى
ينادي مناد من السماء ان اميركم فلان انتهى وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا
وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وانما ذكروه في ابوابه وترجمته استيناسا ه
فهذه جملة الاحاديث التي خرجها الايمة في شان المهدي وخروجه اخر الزمان
وهي كما رايت ولم يخلص منها على النقد الا القليل والاقل منه وربما تمسك المنكرون
لشانه بما رواه محمد بن خالد الجندي عن ابان بن صالح عن ابي عياش عن الحسن البصري
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم
وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندي انه ثقة وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد
وقال الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف عليه في اسناده فمرة يروونه كما تقدم وينسب
ذلك الى محمد بن ادريس الشافعي ومرة يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب وقد قيل ان لا مهدي الا عيسى
اي لا يتكلم في المهد الا عيسى يحاولون بهذا التاويل رد الاحتجاج به او الجمع بينه وبين الاحاديث
وهو مدفوع بحديث جريج ومثله من الخوارق والله سبحانه وتعالى اعلم **واما المتصوفة**
فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون في شي من هذا وانما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل
عنها من نتائج المواجد والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي
الله تعالى عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري
من الشيخين كما ذكرناه في مذاهبهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت
التواليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام بنوع الحلول واخرون
يدعون رجعة من مات من الايمة بنوع التناسخ واخرون ينتظرون من يقطع بموته منهم واخرون
ينتظرون عود الامر في ال البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها
ثم حدث ايضا عند المتاخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء حجاب الحس وظهر من كثير
منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بالوهية
الايمة وحلول الاله فيهم وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال وكانه يحاكي مذهب الرافضة
في الامام والنقباء واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا
مستند طريقهم في لبس الخرقة ان عليا رضي الله تعالى عنه البسها الحسن البصري واخذ عليه
العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه
صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله تعالى وجهه بل الصحابة كلهم اسوة في طرق
الدين وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رايحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها مما تقدم
دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه وظهر منهم ايضا القول بالقطب وامتلات كتب الاسماعيلية
من الرافضة وكتب المتاخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمي المنتظر وكان بعضهم يمليه
على بعض ويلقنه بعضهم عن بعض وكانه مبني على اصول واهية من الفريقين وربما يستدل بعضهم
بكلام المنجمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم وياتي الكلام عليها في الباب الذي
يلي ذلك ومن تكلم من هولاء المتصوفة المتاخرين في شان الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقا
مغرب وابن قسي في كتابه خلع النعلين وعبد الحق بن سبعين وابن ابي واطيل تلميذه في شرحه
لكتاب خلع النعلين واكثر كلماتهم في شانه الغاز وامثال وربما يصرحون في الاقل او يصرح
مفسرو كلامهم وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن ابي واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى
بعد الضلال والعمى وانها يعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم يعود تجبرا وتكبرا و
باطلا قالوا ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يحيا امر النبوة
والحق بالولاية ثم بخلافتها ثم يعقبها الرجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله كما كان
قبل النبوة يشيرون بهذا الى ما وقع بعد النبوة من الخلافة ثم بعدها الملك وهي ثلاث مراتب
فكذلك ايضا الولاية التي لهذا الفاطمي الذي يحيي امر النبوة والحق ثم خلافة امره ثم الدجل بعدها
وهو الباطل الذي كنى عنه بخروج الدجال فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث الاولى ثم يعود الكفر
كما كان قبل النبوة قالوا ولما كان امر الخلافة لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من
لم يزاول علمه وجب ان تكون الامامة فيمن هو اخص من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما ظاهرا
كبني عبد المطلب واما باطنا ممن كان من حقيقة الال والال من اذا حضر لم يغب من هو اله

وابن العربي الحاتمي سماه في كتاب عنقاء مغرب من تاليفه خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم
مثلي فيمن قبلي من الانبيا كمثل رجل ابتنى بيتا واكمله حتى لم يبق منه الا موضع لبنة فانا تلك اللبنة
فيفسرون خاتم الانبيا باللبنة حتى اكملت البنيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة
ويمثلون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاوليات
اي حايز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما كان خاتم الانبيا حايز الرتبة التي فيها خاتمة النبوة
وكنى الشارع عن تلك الرتبة الخاتمة بلبنة البيت في الحديث المذكور وهي على نسبة واحدة
فيهما فهي لبنة واحدة في التمثيل ففي النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين
الرتبتين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولبنة الفضة كناية عن هذا الولي الفاطمي المنتظر ذاك خاتم الانبيا وهذا خاتم الاولياء
وقال ابن العربي فيما نقل ابن ابي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من اهل البيت من
ولد فاطمة وظهوره يكون من بعد مضي خ ف ج من الهجرة ورسم حروفا ثلاثة يريد عددها
بحساب الجمل وهي الخاء المعجمة بواحدة من فوق بستماية والفا اخت القاف بثمانين والميم
المعجمة بواحدة من اسفل بثلاثة وذلك ستماية وثلاث وثمانون سنة وهو في اخر القرن
السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لهم على ان المراد بتلك المدة
مولده وعبر بظهوره عن مولده وان خروجه يكون عند العشر والسبعماية فانه الامام الناجم
من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث وثمانين وستماية فيكون
عمره يوم خروجه ستا وعشرين سنة قال وزعموا ان خروج الدجال يكون ثلاث واربعين
وسبعماية من اليوم المحمدي وابتداء اليوم المحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
الى تمام الف سنة قال ابن ابي واطيل في شرحه كتاب خلع النعلين الولي المنتظر القايم
بامر الله المشار اليه بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو بنبي وانما هو ولي ابتعثه روحه
وحبيبه قال صلى الله عليه وسلم العالم في قومه كالنبي في امته وقال علماء امتي كانبياء بني
اسرايل ولم تزل البشرى تتتابع به من اول اليوم المهدي الى قبل الخمسماية نصف اليوم وتاكدت
وتضاعفت بتباشير المشايخ بتقريب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جرا قال
وذكر الكندي ان هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويجدد الاسلام ويظهر العدل
ويفتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومة فيفتحها ويسير الى المشرق فيفتحه ويفتح القسطنطينية
ويصير له ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلو الاسلام ويظهر دين الحنيفية فان من صلاة
الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت وقال الكندي ايضا
الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتتح بها سور القران جملة عددها سبعماية وثلاثة
واربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر فيصلح الدنيا وتمشي الشاة مع
الذيب ثم يبلغ ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى ماية وستون عاما عدد الحروف المعجمة
وهي ق ي ن دولة العدل منها اربعون عاما قال ابن ابي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا
عيسى فمعناه لا مهدي تساوي هدايته وقيل لا يتكلم في المهد الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريج
وغيره وقد جاء في الصحيح انه قال لا يزال هذا الامر قايما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم
اثنا عشر خليفة يعني قرشيا وقد اعطى الوجود ان منهم من كان في اول الاسلام ومنهم من سيكون
في اخره وقال الخلافة بعدي ثلاثون او احد وثلاثون او ستة وثلاثون وانقضاؤها في

خلافة الحسن واول امر معاوية خلافة اخذ باوايل الخلفاء فهو سادس الخلفاء واما سابع الخلفاء
فعمر بن عبد العزيز والباقون خمسة من اهل البيت من ذرية علي يؤيده قوله انك لذو قرنيها يريد
الامة اي انك خليفة في اولها وذريتك في اخرها وربما استدل بهذا الحديث القايلون بالرجعة
فالاول هو المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما
في سبيل الله وهو هذا المنتظر يفتح القسطنطينية فنعم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش
كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر
اربعين وفي بعض الروايات سبعين واما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقين
من اهله القايمين بامره من بعده على جميعهم السلام قال وذكر اصحاب النجوم والقرانات
ان بقاء امره واهل بيته من بعده ماية وتسعة وخمسون سنة فيكون الامر على هذا جاريا على الخلافة
والعدل اربعين او سبعين ثم تختلف الاحوال فتكون ملكا انتهى كلام ابن واطيل وقال في موضع
اخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر من اليوم المحمدي حين تمضي ثلاثة ارباعه قال
وذكر الكندي يعقوب بن اسحاق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القرانات انه اذا وصل القران الى ثور
على راس ضح بحرفي الضاد المعجمة والحاء المعجمة يريد ثمانماية وتسعين وستماية من الهجرة ينزل
المسيح فيحكم في الارض ما شاء الله قال وقد ورد في الحديث ان عيسى ينزل عند المنارة البيضاء في
دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين مزعفرتين صفراوين ممصرتين واضعا كفيه على اجنحة
الملكين له لمة اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو كثير خيلان الوجه
وفي حديث مربوع الخلق والى البياض والحمرة وفي اخر انه يتزوج في الغرب والغرب دلو البادية
يريد انه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد اربعين عاما وجاء ان عيسى يموت بالمدينة
ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجاء ان ابا بكر وعمر يحشران بين نبيين قال ابن ابي واطيل
والشيعة تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من ال محمد وعليه حمل بعضهم حديث لا مهدي الا
عيسى اي لا يكون مهدي الا المهدي الذي نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة
الموسوية في الاتباع وعدم النسخ الى كلام من امثال هذا يعينون فيه الوقت والرجل والمكان
فينقضي الزمان ولا اثر لشيء من ذلك فيرجعون الى تجديد راي اخر منتحل كما تراه من مفهومات
لغوية واشياء تخييلية واحكام نجومية في هذا انقضت الاعمار الاول منهم والاخر **واما**
المتصوفة الذين عاصرناهم فاكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجدد لاحكام الملة
ومراسم الحق ويتحينون ظهوره لما قرب من عصرهم فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم
يطلق القول فيه سمعناه من جماعة اكبرهم يعقوب البادسي كبير الاولياء بالمغرب كان في اول
هذه الماية الثامنة واخبرني عنه حافده ابو زكريا يحيى عن ابيه ابي محمد عبد الله عن ابيه
الولي يعقوب المذكور هذا اخر ما اطلعنا عليه او بلغنا من كلام هولاء المتصوفة
وما اورده اهل الحديث من اخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا والحق الذي
ينبغي ان يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكة وعصبية
تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم امر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين الطبيعية
التي اريناك هنالك وعصبية الفاطميين والطالبيين بل وقريش اجمع قد تلاشت من
جميع الافاق ووجد امم اخرون استعلت عصبيتهم على عصبية قريش الا ما بقي بالحجاز

في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرين في تلك البلاد
وغالبون عليها وهم عصايب بدوية متفرقون في مواطنهم وامارتهم واراءهم يبلغون الاف
من الكثرة فان صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا بان يكون منهم ويولف الله بين
قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واما على غير
هذا الوجه مثل ان يدعوا الناس فاطمي منهم الى مثل ذلك الامر في افق من الافاق من غير عصبية
ولا شوكة الا مجرد نسبة في اهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما اسلفناه من البراهين الصحيحة
واما ما تدعيه العامة والاغمار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك الى عقل يهديه ولا علم يفيده
فيتحسبون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقليدا لما اشتهر من ظهور فاطمي ولا يعلمون حقيقة
الامر فيه كما بيناه واكثر ما يتحسبون في القاصية من الممالك واطراف العمران مثل الزاب بافريقية
والسوس من المغرب ونجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة ولما كان ذلك
الرباط بالقرب من الملثمين من كدالة واعتقادهم انه منهم او قائمون بدعوته زعما لا مستند
له الا غرابة تلك الامم وبعدهم على يقين المعرفة باحوالها من كثرة او قلة او ضعف او قوة ولبعد
القاصية عن منال الدولة وخروجها عن نطاقها فتقوى عندهم الاوهام في ظهوره هنالك
بخروجه عن ربقة الدولة ومنال الاحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك الا هذا ولقد
يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تمنيه تمامها وسواسا وحمقا
وكثير منهم قتل اخبرنا شيخنا محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج برباط ماسة لاول المائة الثامنة
وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتويزري نسبة الى توزر
مصغرا وادعى انه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من اهل السوس من ضالة وكزولة وعظم امره
وخافه رؤسا المصامدة على امرهم فدس عليه السكسيوي من قتله بياتا وانحل امره وكذلك ظهر
في غمارة في اخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمي
واتبعه الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق اسواقها وارتحل الى بلد المزمة
فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرني شيخنا المذكور بغريبة في مثل
هذا وهو انه صحب في حجه في رباط العباد وهو مدفن الشيخ ابي مدين في جبل تلمسان المطل
عليها رجلا من اهل البيت من سكان كربلا كان متبوعا معظما كثير التلميذ والخادم قال
وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في اكثر البلدان قال وتاكدت الصحبة بيننا في تلك
الطريق فانكشف لي امرهم وانهم انما جاوا من موطنهم بكربلا لطلب هذا الامر وانتحال دعوة
الفاطمي بالمغرب فلما عاين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال
لاصحابه ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا ويدل هذا القول من هذا الرجل
على انه مستبصر في ان الامر لا يتم الا بالعصبية المكافئة لاهل الوقت فلما علم انه غريب في ذلك
الوطن ولا شوكة له وان عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان
ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن ان عصبية الفواطم وقريش اجمع
قد ذهبت لا سيما في المغرب الا ان التعصب لشانه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وانتم لا تعلمون
وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاء الى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون
فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير
المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعه واكثر ما يعنون باصلاح السابلة لما ان اكثر فساد الاعراب فيها

لما قدمناه من طبيعة معاشهم فياخذون انفسهم في تغيير المنكر باصلاح السابلة ما استطاعوا الا ان
الصبغة الدينية فيهم لا تستحكم لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن
الغارة والنهب لا يعقلون في توبتهم واقبالهم على مناحي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا
عليها قبل المقربة ومنها توبتهم فتجد تابع ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير
متعمقين في فروع الاقتداء والاتباع انما دينهم الاعراض عن النهب والبغي وافساد السابلة ثم الاقبال
على طلب الدنيا والمعاش باقصى جهدهم وشتان بين هذا الاخذ من اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا
باتفاقهما ممتنع فلا تستحكم له صبغة في الدين ولا يكمل لهم نزوع عن الباطل على الجملة ولا يكثرون
ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعه فاذا هلك انحل
امرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم بن مرا بن احمد في المائة
السابعة ثم من بعده لرجل اخر من بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان اشد
دينا من الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امر تابعه كما ذكرناه حسبما ياتي ذكر
ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل
ذلك ويلبسون فيه وينتحلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شيء من امرهم

فصل في حدثان الدول والامم

وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر اعلم ان من خواص النفوس البشرية
التشوف الى عواقب امورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة او موت او خير او شر سيما الحوادث
العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول او تفاوتها والتطلع الى هذا طبيعة البشر
مجبولون عليها ولذلك تجد الكثير من الناس يتشوفون الى الوقوف على ذلك في المنام والاخبار
عن الكهان من قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد في المدن صنفا من الناس
ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون
لمن يسالهم عنه فتغدو وتروح عليهم نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون
عواقب امورهم في الكسب والجاه والعشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه
المنجم وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب ونظر في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل
وهو من المنكرات الفاشية في الامصار لما تقرر في الشريعة من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب
الا من اطلعه الله عليه من عنده في نوم او ولاية واكثر ما يعتني بذلك ويتطلع اليه الملوك
والامراء في اماد دولتهم ولذلك انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم يوجد لهم
كلام من كاهن او منجم او ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه او دولة يحدثون انفسهم بها وما يحدث
لهم من الحروب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل
ذلك الحدثان وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبروا بما سيكون
للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق وسطيح في تاويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن
اخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملة والدولة للعرب من بعد ذلك
وكذا تاويل سطيح لرؤيا الموبذان حين بعث اليه كسرى بها مع عبد المسيح واخبرهم بظهور دولة العرب
وكذا الموبذانه وكذا كان في جيل البربر كهان من اشهرهم موسى بن صالح من بني يفرن ويقال
من غمرة وله كلمات حدثانية على طريقة الشعر برطانتهم وفيها حدثان كثير ومعظمه فيما يكون

لزناتة من الملك والدولة بالمغرب وهي مبدأ أو لقي بين أهل الجيل وهم يزعمون تارة أنه ولي وتارة
أنه كاهن وقد يزعمون لبعض مزاعمهم أنه كان نبيا لأن تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله
أعلم وقد يستند الجيل في ذلك إلى خبر الأنبياء إن كانوا لعهدهم كما وقع لبني إسرائيل فإن أنبياءهم
المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثله عند ما يعنتون في السؤال عنه وأما في الدولة الإسلامية
فوقع منه كثير فيما يرجع إلى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع إلى الدولة وأعمارها
على الخصوص وكان المعتمد في ذلك صدر الإسلام آثار منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة
بني إسرائيل مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر
مأثورة وتأويلات محتملة ووقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله
أعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم
وأعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم إن فيكم محدثين فهم أولى الناس بهذه الرتبة الشريفة
والكرامات الموهوبة وأما بعد صدر الملة وحين علق الناس على العلوم والاصطلاحات
وترجمت كتب الحكماء إلى اللسان العربي فأكثر معتمدهم في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول
وسائر الأمور العامة من القرانات وفي المواليد والمسائل وسائر الأمور الخاصة من الطوالع
لها وهي شكل الفلك عند حدوثها فلنذكر الآن ما وقع لأهل الأثر في ذلك ثم نرجع إلى
كلام المنجمين أما أهل الأثر فلهم في مدة الملة وبقاء الدنيا وما وقع في كتاب السهيلي فإنه نقل
عن الطبري ما يقتضي أن مدة بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة وتنتقض ذلك بظهور كذبه
وسند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة ولم يذكر لذلك
دليلا والله أعلم وتقدير الدنيا بأيام خلق الله السموات والأرض وهي سبعة ثم اليوم بألف سنة
لقوله تعالى وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين أنه
صلى الله عليه وسلم قال أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى غروب الشمس وقال
بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس
حين صيرورة ظل كل شيء مثليه يكون على التقريب نصف سبع وكذلك وصل الوسطى على السبابة
فتكون هذه المدة نصف سبع الجمعة كلها وهو خمسمائة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم
لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف
وخمسمائة سنة وعن وهب بن منبه أنها خمسة آلاف وستمائة أعني الماضي وعن كعب مدة الدنيا
كلها ستة آلاف قال السهيلي وليس في الحديثين ما يشهد لشيء مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه
فأما قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم فلا يقتضي نفي الزيادة على النصف وأما
قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فإنما فيه الإشارة إلى القرب وأنه ليس بينه وبين الساعة نبي غيره
ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي إلى تعيين أمد الملة من مدرك آخر لو ساعده التحقيق
وهو أن جمع الحروف المقطعة في أوائل السور بعد حذف المكرر قال وهي أربعة عشر حرفا
يجمعها قولك ألم يسطع نص حق كره فأخذ عددها بحساب الجمل فكان سبعمائة وثلاثة
نقصان إلى المنقضي من الألف الآخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يبعد ذلك أن يكون
من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يبعد لا يقتضي ظهوره ولا
التعويل عليه والذي حمل السهيلي على ذلك إنما هو ما وقع في كتاب السير لابن إسحاق في حديث
ابني أخطب من أحبار اليهود وهما أبو ياسر وأخوه حيي حين سمعا الحر من هذه الحروف المقطعة

وتأويلها

فارج

وتأويلها على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت إحدى وسبعين فاستقرت المدة وجاء حيي إلى النبي
صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره فقال المص ثم استزاد الر ثم استزاد المر فكانت إحدى
وسبعين ومائتين فاستطال المدة لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا
ثم ذهبوا عنه وقال لهم أبو ياسر ما يدريكم لعله أعطي عددها كلها تسعمائة وأربع وستين قال
ابن إسحاق فنزل قوله تعالى آيات محكمات هن أم الكتاب الآيات انتهى ولا يقوم من القصة دليل
على تقدير الملة بهذا العدد لأن دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية
وإنما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل نعم إنه قديم مشهور وقدم الاصطلاح
لا يصير حجة وليس أبو ياسر وأخوه حيي ممن يؤخذ رأيه في ذلك دليلا ولا من علماء اليهود لأنهم
كانوا بادية بالحجاز غفلا من الصنائع والعلوم حتى من علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وإنما
يتلقفون مثل هذا الحساب كما يتلقفه العوام في كل ملة فلا ينهض للسهيلي دليل على ما ادعاه من
ذلك ووقع في الملة في حدثان دولها على الخصوص مسند من الأثر إجمالي في حديث خرجه أبو داود
عن حذيفة بن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهلي عن سعيد بن أبي مريم عن عبد الله بن فروخ
عن أسامة بن زيد الليثي عن ابن قبيصة بن ذؤيب عن أبيه قال قال حذيفة بن اليمان والله
ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة
إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته
وسكت عليه أبو داود وقد تقدم أنه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح وهذا الحديث
إذا كان صحيحا فهو مجمل ويفتقر في بيان إجماله وتعيين مبهماته إلى آثار أخرى يجود أسانيدها
وقد وقع هذا الحديث في كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة
أيضا قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك
إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابه هؤلاء ولفظ البخاري
ما ترك شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة
إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه انتهى وهذه الأحاديث كلها محمولة على ما ثبت في
الصحيحين من أحاديث الفتن والأشراط لا غير لأنه المعهود من الشارع صلوات الله وسلامه عليه
في أمثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي انفرد بها أبو داود في هذا الطريق شاذة منكرة
مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله فقال ابن أبي مريم في ابن فروخ أحاديثه مناكير وقال البخاري يعرف
منه وينكر وقال ابن عدي أحاديثه غير محفوظة وأسامة بن زيد وإن خرج له في الصحيحين ووثقه
ابن معين فإنما خرج له البخاري استشهادا وضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل وقال أبو حاتم
يكتب حديثه ولا يحتج به وابن قبيصة بن ذؤيب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لأبي داود
في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص
إلى كتاب الجفر ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون
أصل ذلك ولا مستنده واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي وهو
رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض
الأشخاص منهم على الخصوص ووقع ذلك لجعفر ونظرائه من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي
يقع لمثلهم من الأولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه

الجفر باسم الجلد الذي كتب عليه لان الجفر في اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علما على هذا
الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القران وما في باطنه من المعاني غرايب مروية عن جعفر الصادق
وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها
دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه فهم اهل
الكرامات وقد صح عنه انه كان يحذر بعض قرابته بوقايع تكون لهم فتصح كما يقول وقد حذر
يحيى بن عمه زيد من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت الكرامات
تقع لغيرهم فما ظنك بهم علما ودينا واثارا من النبوة وعناية من الله تعالى بالاصل الكريم
تشهد لفروعه الطيبة وقد ينقل بين اهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى احد وفي اخبار
دولة العبيديين كثير منه وانظر ما حكاه ابن الرقيق في لقاء ابي عبد الله الشيعي لعبيد الله المهدي
مع ابنه محمد الحبيب وما حدثاه به وكيف بعثاه الى ابن حوشب داعيتهم باليمن فامره بالخروج الى
المغرب وبث الدعوة فيه على علم لقنه ان دولتهم تتم هناك وان عبيد الله لما بنى المهدية بعد
استفحال دولتهم بافريقية قال بنيتها ليعتصم بها الفواطم ساعة من نهار واراهم موقف صاحب
الحمار ابي يزيد بالمهدية وكان يسال عن منتهى موقفه حتى جاءه الخبر ببلوغه الى المكان الذي
عينه جده عبيد الله فايقن بالظفر وبرز من البلد فهزمه واتبعه الى ناحية الزاب فظفر به
وقتله ومثل هذه الاخبار عندهم كثيرة واما المنجمون فيستدلون في حدثان الدول على
الاحكام النجومية اما في الامور العامة مثل الملك والدول في القرانات وخصوصا بين العلويين
وذلك ان العلويين زحل والمشتري يقترنان في كل عشرين سنة مرة ثم يعود القران الى برج اخر
في تلك المثلثة من التثليث الايمن ثم بعده الى اخر كذلك الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة اثنتي
عشرة مرة تستوي بروجها الثلاثة في ستين سنة ثم يعود فيستويها في ستين اخرى ثم يعود ثالثة
ثم رابعة فيستوفي في المثلثة ثنتي عشرة مرة واربع عودات في مايتين واربعين سنة ويكون
انتقاله في كل برج على التثليث الايمن وينتقل من المثلثة الى المثلثة التي تليها اعني الى البرج
الذي يلي البرج الاخير من القران الذي قبله في المثلثة وهذا القران الذي هو قران
العلويين ينقسم الى كبير وصغير ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من
الفلك الى ان يعود اليها بعد تسعماية وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين
في كل ثنتي عشرة مرة وبعد مايتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى والصغير هو اقتران
العلويين في برج وبعد عشرين سنة يقترنان في برج اخر على تثليثه الايمن في مثل درجته او دقايقه
مثال ذلك وقع القران اول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون اول دقيقة من القوس وبعد
عشرين في الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى اول الحمل بعد ستين سنة
ويسمى دور القران وعود القران وبعد مايتين واربعين ينتقل من النارية الى الترابية لانها
بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية ثم المائية ثم يرجع الى اول الحمل في تسعماية وستين
سنة وهو الكبير والقران الكبير يدل على عظام الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك
من قوم الى قوم والوسط على ظهور المتغلبين والطالبين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة
وخراب المدن او عمرانها ويقع اثناء هذه القرانات قران النحسين في برج السرطان في كل ثلاثين
سنة مرة ويسمى الرابع وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المريخ فتعظم دلالة
هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان

الجند

الجند والوباء والقحط ويدوم ذلك او ينتهي على قدر السعادة والنحوسة في وقت قرانهما على
قدر تسيير الدليل فيه قال جراش بن احمد الحاسب في الكتاب الذي الفه لنظام الملك
ورجوع المريخ في العقرب له اثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دليلها فان المولد النبوي
كان عند قران العلويين ببرج العقرب فلما رجع هنالك احدث تشويشا على الخلفاء وكثر المرض
في اهل العلم والدين ونقصت احوالهم وربما انهدم بعض بيوت العبادة وقد يقال انه عند قتل
علي رضي الله عنه ومروان بن امية والمتوكل من بني العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام
القرانات كانت في غاية الاحكام وذكر شاذان البلخي ان الملة تنتهي الى ثلاثماية
وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين منها اختلاف
كثير ولم يصح ذلك وقال جراش رايت في كتب القدماء ان المنجمين اخبروا كسرى عن ملك العرب
وظهور النبوة فيهم وان دليلهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك فيهم اربعين سنة
وقال ابو معشر في كتاب القرانات القسمة اذا انتهت الى السابعة والعشرين من الحوت
فيها شرف الزهرة ووقع القران معه ذلك ببرج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة
العرب وكان منهم نبي وكان قوة ملكه ومدته على قدر ما بقي من درجات شرف الزهرة وهي احدى
عشرة درجة بتقريب من برج الحوت ومدة ذلك ستماية وعشر سنين وكان ظهور ابي مسلم عند
انتقال الزهرة ووقوع القسمة اول الحمل وصاحب الجد المشتري وقال يعقوب بن اسحاق
الكندي ان مدة الملة تنتهي الى ستماية وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران
الملة في ثمان وعشرين درجة وثنتين واربعين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشرة درجة
وثماني عشرة دقيقة ودقايقها ستون فيكون ستماية وثلاثا وتسعين سنة قال وهذه مدة
الملة باتفاق الحكماء ويعضده الحروف الواقعة في اوايل السور بحذف المكرر واعتباره بحساب
الجمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي والغالب ان الاول هو مستند السهيلي فيما
نقلناه عنه قال جراش هو مدا فريد الحكيم عن مدة ازدشير وولده ملوك الساسانية
فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطي اطول السنين واجودها اربعماية وسبعا وعشرين
سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل ان العرب يملكون لان طالع القران الميزان
وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها فدل انهم يملكون الفا وستين سنة وسال كسرى
انوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القايم منهم يولد
لخمس واربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري يفوض الى الزهرة وينتقل القران
من الهوائية الى العقرب وهو مائي وهو دليل العرب فهذه الادلة تقضي للملة بمدة دور الزهرة
وهي الف وستون سنة وسال كسرى ابرويز البوذرجمهر الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر
وقال نوفيل الرومي المنجم ايام بني امية ان دولة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعماية
وستين سنة فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب
عن هيئتها في قران الملة فحينئذ اما يفتر العمل به واما يتجدد من الاحكام ما يوجب خلاف
الظن قال جراش واتفقوا ان خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك ساير
المكونات وذلك عندما يقطع قلب الاسد اربعا وعشرين درجة الذي هو حد المريخ وذلك بعد مضي
تسعماية وستين سنة وذكر جراش ان ملك زابلستان بعث الى المامون بحكيمه دوبان
اتحفه به في هدية وانه تصرف للمامون في اختيارات بحروب اخيه وبعقد اللواء لطاهر وان

المامون اعظم حكمه فساله عن مدة ملكهم فاخبره بانقطاع الملك عن عقبه واتصاله في ولد
اخيه وان العجم يتغلبون على الخلافة الديلم اولا في دولة حسنة خمسين سنة ثم يسوء حالهم
حتى تظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الى الشام والفرات وسيحون بلاد الروم ويكون
ما يريد الله تعالى فقال له المامون من اين لك هذا قال من كتب الحكما ومن احكام صصه
ابن داهر الهندي واضع الشطرنج قلت والترك الذين اشار الى ظهورهم بعد الديلم هم
السلجوقية وقد انقضت دولتهم اول القرن السابع قال جراس وانتقال القران الى
المثلثة المائية في برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانماية ليزدجرد وبعدها الى
برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذي في الحوت هو اول الانتقال
والذي في العقرب يستخرج منه دلايل الملة وتحويل السنة الاولى من القران الاول في
المثلثات المائية في ثاني رجب سنة ثمان وستين وثمانماية ولم يستوف الكلام على ذلك
واما مستند المنجمين في دولة على الخصوص فمن القران الاوسط وهيئة الفلك عند
وقوعه لان له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتها من العمران والقائمين لها من
الامم وعدد ملوكهم واسمايهم واعمارهم ونحلهم واديانهم وعوايدهم وحروبهم كما ذكر
ابو معشر في كتابه في القرانات وقد توجد هذه الدلالة في القران الاصغر اذا كان الاوسط
دالا عليه فمن هذا يوجد الكلام في الدول وقد كان يعقوب بن اسحاق الكندي منجم الرشيد
والمامون وضع في القرانات الكاينة في الملة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب
الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس وانها نهايته واشار الى
انقراضها والحادثة على بغداد انه يقع في منتصف الماية السابعة وان انقراضها يكون
بانقراض الملة ولم نقف على شي من خبر هذا الكتاب ولا راينا من وقف عليه ولعله غرق في
كتبهم التي طرحها هولاكو ملك التطر في دجلة عند استيلايهم على بغداد وقتل المعتصم
اخر الخلفا وقد وقع بالمغرب جزء منسوب الى هذا الكتاب يسمونه بالجفر الصغير
والظاهر انه وضع لبني عبد المومن لذكر الاولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة
ما تقدم عن ذلك من حدثانه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون
وكتب في الحدثان وانظر ما نقله الطبري في اخبار المهدي عن ابي بديل من صنايع الدولة
قال بعث الى الربيع والحسن في غزاتهما مع الرشيد ايام ابيه فجيتهما في جوف الليل فاذا عندهم
كتاب من كتب الدولة يعني الحدثان واذا مدة المهدي فيه عشر سنين فقلت هذا الكتاب
لا يخفى عن المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعيتم اليه نفسه قالا
فما الحيلة فاستدعيت عنبسة الوراق مولى ال بديل وقلت له انسخ هذه الورقة
واكتب مكان عشر اربعين ففعل فوالله لولا اني رايت العشرة في تلك الورقة والاربعين في
هذه ما شككت انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدثان الدول منظوما ومنثورا
ورجزا ما شاء الله ان يكتبوه وبايدي الناس متفرقة كثير منها وتسمى الملاحم وبعضها
في حدثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص وكلها منسوبة الى مشاهير
من اهل الخليقة وليس منها اصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب اليه فمن هذه
الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روي الرا وهي متداولة
بين الناس وتحسب العامة انها من الحدثان العام فيطلقون كثيرا منها على الحاضر والمستقبل

والذي

والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمتونة لان الرجل كان من قبيل دولتهم وذكر فيها
استيلاهم على سبتة من ايدي موالي بني حمود وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بايدي اهل المغرب
ايضا قصيدة تسمى التبعية اولها

طربت وماذاك مني طرب • وقد يطرب الطاير المغتصب
وماذاك مني لهوى اراه • ولكن لتذكار بعض السبب

قريبا من خمسماية بيت او الف فيما يقال ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين واشار الى الفاطمي
وغيره والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا ملعبة من الشعر الزجلي منسوبة
لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرانات لعصره العلويين والنحسين وغيرهما وذكر ميتته
قتيلا بفاس وكان ذلك زعموا واوله

في صنع ذا الازرق لشرفه جبارا • فافهموا يا قوم ذا الاشارا
عم زحل الخبر بذي العلاما • وبدل السلا وهي سلاما
ساهية ذرقا بدل العماما • وطاش ازرق بدل العقادا
قد تم ذا التخنيس لانسان يهودي • يصلب على واد فاس في يوم عيد
حتى تجيه الناس من البوادي • وقتله يا قوم على العناد

وابياته نحو الخمسماية وهي في احكام القرانات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم
المغرب ايضا قصيدة من عروض المتقارب على روي البا في حدثان دولة بني ابي حفص
بتونس من الموحدين منسوبة لابن الابار وقال لي قاضي قسنطينة الخطيب الكبير ابو علي
ابن باديس وكان بصيرا بما يقول وله قدم في علم النجوم فقال لي ان هذا ابن الابار ليس هو
الحافظ الكاتب مقتول المستنصر وانما هو رجل خياط من اهل تونس تواطت شهرته
مع شهرة الحافظ وكان والدي رحمه الله ينشد هذه الابيات من هذه الملحمة وبقي بعضها
في حفظي مطلعها

عذيري من زمن قلب • يغر ببارقة الاشنب
تاسع ملوك الدولة فينعب • من جنسه قايد ويبقى هنالك على مرقب
وياتي الى السبخ اجناده • فيقتل كالجمل الاجرب
ويظهر من عدله سيرة • وتلك سياسة مستجلب

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فلما دات الرسوم امحت • ولم يرع حق لذي منصب
فخذ في الرحيل عن تونس • وودع معالمها واذهب
فسوف يكون بها فتنة • تضيف البري الى المذنب

ووقفت بالمغرب على ملحمة اخرى في دولة بني حفص هولاء بتونس فيها بعد السلطان
ابي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر محمد اخيه يقول فيه

وبعد ابو عبد الاله شقيقه • ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل

الا ان هذا الرجل لم يملك بعد اخيه وكان يمني بذلك نفسه الى ان هلك ومن ملاحم المغرب
ايضا الملعبة المنسوبة الى الهوشني على لغة العامة في عروض البلد اولها

دعني باد معي الهتان • نثرت الامطار ولم تفتر
واستفتت كلها الديدان • واني بلاد ينعد

البلدان كلها تركى   فاوى يا مسكين ما تدرى
واثنى الضيف والمشترى   والعاو الربيع يجرى
قال حين صحنا الدعوى   دعنى نبكى ومن عذرى
انا دير من ذى الازمان   ذا القرن اشتد وانمر مر

وهى طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقصى والغالب عليها الوضع لانه لم يصح منها قول الا على تاويل يحرفه العامة او الجازف فيه من ينتحلها من الخاصة ووقفت بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربى الحاتمى فى كلام طويل شبه الالغاز لا يعلم تاويله الا الله تعالى يتخلله اوفاق عددية ورموز ملغوزة واشكال حيوانات تامة وروس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفى اخرها قصيدة على روى اللام والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تنشا عن اصل علمى من نجامة ولا غيرها وسمعت ايضا ان هناك ملاحم اخرى منسوبة لابن سينا وابن عقب وليس فى شى منها دليل على الصحة لان ذلك انما يوخذ من القرانات ووقفت بالمشرق ايضا على ملحمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى التاجربقى وكلها الغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سر الجفر يا سائلى   من علم جفر ووصى والد الحسن
فافهم وكن واعيا وجملته   والوصف فافهم كفعل الحاذق الفطن
اما الذى قبل عصرى لست اذكره   لكننى اذكر الاتى من الزمن
بيبرس يسقى بجاه بعد خمستها   وحاميم يطيش تامر فى الكمن
شين له اثر من تحت سرته   له القضا وقضا اى ذى المنن
فمصر والشام مع ارض العراق له   وادربيجان فى ملكه الى اليمن
وال بوار لما نال ظاهرهم   الفاتك الباتك المعنى بالشجن
اخلع سعيدا ضعيف السن سابقا   لا لارفاق ونون لدى قرن
قوم شجاع له عقل ومشورة   يصعق بها وابن بعدد وسجن
ومن بعد بار من الاعوام قتلته   يلى المشوه ميم الملك ذى اللسن
هذا هو الاعرج الكلبى فاعن به   فى عصره فتن ناهيك من فتن
ياتى من الشرق جيش يقدمهم   عار عن القاف فاوجر بالعنق
فيقتل الدال قتل الشام اجمعها   فابدت تبكى على الاهلين والوطن
اذا الزلزلت ياويح مصر من   الزلزل اذ عاعين مفتطن
طا وظا وعين كلهم حسبوا   هلكا ويشفق امو الابلا من
يسير القاف قانا نحو اجود بهم   هون به اناذاك الحصن فى مكن
وينصبون اخاه وهو صنا لجهم   لام الف سنين لذاك بنى
تمت ولايتهم بالحاء لا احد   من السنين يدانى الملك فى الزمن

ويقال انه اشار الى الملك الظاهر وقدوم ابيه عليه بمصر

مات اليه ابوه بعد خمس سنه   وطول غيبته والسخط والرزن

وابياتها كثيرة والغالب انها موضوعة ومثل صنعتها كان فى القديم كثيرا ومعروف الانتحال حكى المورخون لاخبار بغداد انه كان بها ايام المقتدر وراق ذكى يعرف بالدانيالى

يبلى

يبلى الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق بحروف من اسماء اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال الرفعة والجاه كانها ملاحم ويحصل على ما يريده منهم من الدنيا وانه وضع فى بعض دفاتره ميم مكررة ثلاث مرات وجاء به مطلع مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مفلح مولى المقتدر وذكر عنه ما يرضاه مما ينال له من الدولة ونصب علامات كذلك يموه بها عليه فبذل له ما يغنيه به ثم وضعه الوزير بن القاسم بن وهب على مفلح هذا وكان معزولا فجاءه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وانه يلى الوزارة للثانى عشر من الخلفا وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعدا وتعمر الدنيا فى ايامه ووقف مفلحا على الاوراق وذكر فيها كوائن اخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع وما لم يقع ونسب جميعه الى دانيال فاعجب به مفلح ووقف عليه المقتدر واهتدى من تلك الرموز والعلامات الى ابن وهب وكان ذلك سببا لوزارته بمثل هذه الحيلة الغريبة فى الكذب والجهل بمثل هذه الالغاز والظاهر ان هذه الملحمة انه ينسبونها الى التاجربقى من هذا النوع ولقد سالت اكمل الدين شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذى تنسب اليه من الصوفية وهو التاجربقى وكان عارفا بطرايقهم فقال كان من القلندرية المبتدعة فى حلق اللحية وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف ويومى الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها فى ضمير لمن يراه منهم وربما نظم ذلك فى ابيات قليلة كان يتعاهدها فتنوقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس فى كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو امر ممتنع اذ الرمز انما يهدى الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له واما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا الناظم لا يتجاوزه فرايت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان فى النفس من امر هذه الملحمة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله والله سبحانه وتعالى اعلم بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيى لنا من امرنا رشدا

الفصل الرابع فى البلدان والامصار

والمدن وساير العمران الحضرى وما يعرض فى ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق

فصل فى ان الدول اقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثانية عن الملك وبيانه ان البنا واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التى يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متاخر عن البداوة ومنازعها وايضا فالمدن والامصار ذات هياكل واجرام عظيمة وبناء كبير وهى موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج الى اجتماع الايدى وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التى تعم بها البلوى حتى يكون نزوعهم اليها شوقيا واضطراريا بل لا بد من اكراههم على ذلك وسوقهم اليه مضطهدين بعصاء الملك او مرغبين فى الثواب والاجر الذى لا يفى بكثرته الا الملك والدولة فلا بد من تمصير الا مصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم اذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فعمر الدولة حينئذ عمر لها فان كان امد الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت وان كان امد الدولة طويلا ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر

وتتعدد ونطاق الاسوار يتباعد وينفسح الى ان تتسع الخطة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة
كما وقع ببغداد وامثالها ذكر الخطيب في تاريخه ان الحمامات بلغ عددها ببغداد بعهد
المامون خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة
تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة واحدة يجمعها سور واحد لافراط العمران كذا حال القيروان
وقرطبة والمهدية في الملة الاسلامية وحال مصر والقاهرة بعدها فيما يبلغنا لهذا العهد
واما بعد انقراض الدولة المستتبعة للمدينة فاما ان يكون الضواحي تلك المدينة وما قاربها
من الجبال والبسائط بادية يمدها العمران دائما فيكون ذلك حافظا لوجودها ويستمر
عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لهما
عمران الجبال لان اهل البداوة انتهت احوالهم الى غاياتها من الرفه والكسب نزعوا الى الدعة
والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتاهلون واما ان لم يكن
لتلك المدينة المؤسسة مادة تمدها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض
الدولة خرقا لسياجها فيزول حفظها ويتناقص عمرانها شيئا فشيئا الى ان يذعر ساكنها وتخرب
كما وقع ببغداد ومصر والكوفة بالمشرق والقيروان والمهدية وقلعة بن حماد بالمغرب وامثالها
فتفهمه وربما ينزل المدينة بعد انقراض مختطيها الاولين ملك اخر ودولة ثانية يتخذها
قرارا وكرسيا ويستغني بها عن اختطاط المدينة لنزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها
وتتزايد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفها ويستجد بعمرانها عمر اخر
كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد والله تعالى اعلم

فصل في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وذلك ان القبائل والعصائب اذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلاء على الامصار
لامرين احدهما ما يدعو اليه الملك من الدعة والراحة وحط الاثقال واستكمال ما كان
ناقصا من امور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من امر المنازعين والمشاغبين
لان المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم
وانتزاع ذلك الملك الذي سموا اليه من ايديهم فيعتصم بذلك المصر ويغالبهم ومغالبة
المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من
الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم شوكة لان
الشوكة والعصابة انما احتيج اليهما في الحرب للثبات لما يقع من بعد كرة القوم بعضهم على
بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون الى كثير عصابة ولا عدد فيكون
حال هذا المصر ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت في عضد الامة التي تروم الاستيلا
ويحصل شوكة استيلائها فاذا كانت بين اجنابهم امصار انتظموها في استيلائهم للامن من
مثل هذا الانخرام وان لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم اولا وحط
اثقالهم وليكون اولا شجا في حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم فقد
تبين ان الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله سبحانه اعلم **فصل**
في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكبير وقد قدمنا ذلك في اثار
الدولة من المباني وغيرها وانها تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل باجتماع

الفعلة

الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشر الفعلة من اقطارها
وجمعت ايديهم على عملها وربما استعين في ذلك اكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر
في حمل اثقال البناء لعجز القدرة البشرية عن ذلك كالمخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا
نظر الى اثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل ايوان كسرى واهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال
بالمغرب انها كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتخيل لهم اجساما تناسب ذلك اعظم من هذه
بكثير في طولها وعرضها واقطارها لتناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها
ويغفل عن شان الهندام والمخال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتقلبين
في البلاد يعاين في شان البناء واستعمال الحيل في نقل الاجرام عند اهل الدولة المعتنية بذلك
من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا واكثر اثار الاقدمين لهذا العهد يسميها العامة عادية نسبة
الى قوم عاد لتوهمهم ان مباني عاد ومصانعهم انما عظمت لعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم
وليس كذلك فقد نجد اثارا كثيرة من اثار الذين تعرف مقادير اجسامهم من الامم وهي في مثل ذلك
العظم واعظم كايوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بافريقية والصنهاجيين واثارهم
باد الى اليوم في صومعة قلعة بن حماد وكذلك بناء الاغالبة في جامع القيروان وبناء الموحدين
في رباط الفتح وبناء السلطان ابي الحسن لعهد اربعين سنة في المنصورة بازاء تلمسان
وكذلك الحنايا التي جلب اهل قرطاجنة اليها الماء في القناة الراكبة عليها ماثلة ايضا
لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهياكل التي نقلت الينا اخبار اهلها قريبا وبعيدا وتيقنا
انهم لم يكونوا بافراط في مقادير اجسامهم وانما هذا راي ولع به القصاص عن قوم عاد وثمود
والعمالقة ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح انها
بيوتهم يمر بها الركب الحجازي اكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد في جوها ومساحتها وسمكها على
المتعاهد وانهم ليبالغون فيما يعتقدون حتى انهم ليزعمون ان عوج بن عناق من جيل
العمالقة كان يتناول السمك من البحر طريا فيشويه في الشمس يزعمون بذلك ان الشمس حارة
فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر فيما لدينا هو الضوء لانعكاس الشعاع بمقابلة سطح الارض
والهوا واما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضيء لا مزاج له وقد تقدم
شيء من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا ان الدولة على نسبة قوتها في اصلها والله يخلق
ما يشا ويحكم ما يريد **فصل** في ان الهياكل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها
الدولة الواحدة والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر
البشرية وقد تكون المباني في عظمها اكثر من القدر مفردة او مضاعفة بالهندام كما قلناه
فتحتاج الى معاودة قدر اخرى مثلها في ازمنة متعاقبة الى ان تتم فيبتدئ الاول منهم بالبناء
ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل ببنائه في حشر الفعلة وجمع الايدي
حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ماثلا للعيان فيظنه من يراه من الاخرين انه بناء دولة واحدة
وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مارب وان الذي بناه سبا بن يشجب وساق اليه
سبعين واديا وعاقه الموت فاتمه ملوك حمير من بعده ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجنة
وقناتها الراكبة على الحنايا العادية واكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شانها ويشهد
لذلك ان المباني العظيمة لعهدنا الواحد يشرع في تاسيسها واختطاطها فاذا لم يتبع
اثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك

ان المباني العظيمة كهمدنا الواحد ايضا انا نجد اثارا كثيرة في المباني العظيمة تعجز الدولة
عن هدمها وتخريبها مع ان الهدم اسهل من البنا بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو
العدم والبناء على خلاف الاصل فاذا وجدنا بنا تضعف قدرتنا البشرية عن هدمه مع سهولة
الهدم علمنا ان القدرة التي استسته مفرطة القوة وانها ليست اثر دولة واحدة وهذا مثل
ما وقع للعرب في ايوان كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبسه
يستشيره في ذلك فقال يا امير المومنين لا تفعل واتركه ماثلا يستدل به على عظم ملك ابائك
الذين سلبوا الملك لاهل ذلك الهيكل فاتهمه في النصيحة وقال اخذته النعرة للعجم والله
لاصرعنه وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذ له الفوس وحماه بالنار وصب عليه الخل
حتى اذا ادركه العجز بعد ذلك كله وخاف الفضيحة بعث الى يحيى يستشيره ثانيا في التجافي
عن الهدم فقال يا امير المومنين لا تفعل واستمر على ذلك لئلا يقال عجز امير المومنين
وملك العرب عن هدم مصنع من مصانع العجم فعرفها الرشيد واقصر عن هدمه وكذلك
اتفق للمامون في هدم الاهرام التي بمصر وجمع الفعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقبه
فانتهوا الى جو بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى
اليوم فيما يقال منفذ ظاهر ويزعم زاعمون انه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله
اعلم وكذلك الحنايا المعلقة التي هذا العهد تحتاج الى اهل مدينة تونس الى انتخاب
الحجارة لبنائهم وتستجيد الصناع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على هدمها الايام
العديدة ولا يسقط الصغير منها الا بعد عصر الريق وتجتمع له المحافل المشهورة
شهدت منها في ايام صباي كثيرا والله خلقكم وما تعملون

فصل فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن
وما يحدث اذا اغفل عن المراعاة

اعلم ان المدن قرار تتخذه الامم عند حصول
الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتوثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ
المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والماوى وجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية
من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان
يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في ممتنع من الامكنة اما على
هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور
على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يراعى
في ذلك للحماية من الافات السماوية طيب الهوا للسلامة من الامراض فان الهوا اذا كان
راكدا خبيثا او مجاورة للمياه الفاسدة او منافع متعفنة او مروج خبيثة اسرع اليها
العفن من مجاورتها فاسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد والمدن التي
لم يراع فيها طيب الهوا كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس
من بلاد الجريد بافريقية فلا يكاد ساكنها او طارقها يخلص من حمى العفن بوجه ولقد يقال
ان ذلك حديث فيها ولم تكن كذلك قديما ونقل البكري في سبب حدوثه انه وقع فيها حفر
ظهر فيه انا من نحاس مختوم بالرصاص فلما فض ختامه صعد منه دخان الى الجو وانقطع
وكان ذلك بدو امراض الحميات فيه واراد بذلك ان الانا كان مشتملا على بعض اعمال

الطلسمات

الطلسمات لوبائه وانه ذهب سره بذهابه فرجع اليه العفن والوبا وهذه الحكاية من مذاهب العامة
ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا
او يتبين خرفه فنقله كما سمعه والذي يكشف لك الحق في ذلك ان هذه الاهوية العفنة اكثر
ما يهيئها لتعفين الاجسام وامراض الحميات ركودها فاذا تخللتها الريح وتفشت وذهبت
بها يمينا وشمالا خف شان العفن والمرض البادي منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن
وكثرت حركات اهله فيتموج الهواء ضرورة وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكد ويكون ذلك
معينا له على الحركة والتموج واذا خف الساكن لم يجد الهواء معينا على حركته وتموجه فبقي
راكدا وعظم عفنه وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عندما كانت افريقية مستبحرة العمران كثيرة
الساكن تموج باهلها موجا فكان ذلك معينا على تموج الهواء واضطرابه وتخفيف الاذى منه
فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وعندما خف ساكنها ركد هواؤها المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن
والمرض فهذا وجهه لا غير ذلك وقد راينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهواء
وكانت اولا قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة فلما كثر ساكنها انتقل حالها عن ذلك وهذا
مثل دار الملك بفاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتفهمه تجد ما قلته لك
واما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه امور منها الماء بان يكون البلد على نهر او بازائه بلـ
عيون عذبة ثرة فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية فيكون
لهم في وجوده مرفقة عامة ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعي لسائمتهم اذ صاحب كل قرار
لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من المرعى فاذا كان قريبا
طيبا كان ذلك ارفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده ومما يراعى ايضا المزارع فان الزروع ع
هي الاقوات فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك اسهل في اتخاذه واقرب في تحصيله
ومن ذلك الشجر للحطب والبناء فان الحطب مما تعم البلوى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلا
والطبخ والخشب ايضا ضروري لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم وقد يراعى ايضا قربها
من البحر لتسهيل الحاجات القصية من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة الاولى وهذه
كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما تدعو اليه ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن
الاختيار الطبيعي فانما يراعي ما هو اهم على نفسه او قومه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب
لاول الاسلام في المدن التي اختطوها بالعراق والحجاز وافريقية فانهم لم يراعوا فيها الا الاهم
عندهم من مراعي الابل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب
ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقيروان والكوفة والبصرة وسجلماسة
وامثالها ولهذا كانت اقرب الى الخراب لما لم يراع فيها الامور الطبيعية

فصل

ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ان تكون في جبل او تكون بين امة من الامم موفورة
العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب في ذلك ان المدينة اذا
كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل العصبيات ولا موضعها متوعر من الجبل
كانت في غرة للبيات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لها وان الحضر
المتعودين للدعة قد صاروا عيالا وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذا كالاسكندرية من المشرق
وطرابلس من المغرب وبونة وسلا ومتى كانت القبائل والعصائب موطنين بقربها بحيث يبلغهم
الصريخ والنفير وكانت متوعرة المسالك على من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال

وعلى اسمهما كان لهما بذلك منعة من العدو ويئسوا من طروقهما لما يكابدونه من وعرها وما يتوقعونه من اجابة صريخها كما في سبتة وبجاية وبلد القل على صغرها فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع ان الدعوة من ورائها ببرقة وافريقية وانما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها ولذلك والله اعلم كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى اعلم

فصل في المساجد والبيوت المعظمة في العالم

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور واخبرنا بذلك على السنة رسله وانبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم وكانت المساجد الثلاثة هي افضل بقاع الارض كما علمناه حسبما ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه امره الله ببنائه وان يؤذن في الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسماعيل كما نصه القرآن وقام بما امره الله فيه وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر منها وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام امرهما الله ببناء مسجده ونصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحاق صلوات الله وسلامه عليه امره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبنى مسجده الحرام بها وكان ملحده الشريف في تربتها فهذه المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ومهوى افئدتهم وعظمة دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فلنشر الى شيء من الخبر عن اولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت احوالها الى ان كمل ظهورها في العالم فاما مكة فاوليتها فيما يقال ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محمل الآية في قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ثم بعث الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زوجه سارة وغيرتها من هاجر بالفلاة فوضعهما في مكان البيت وسار عنهما وكيف جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم بهما حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوالي زمزم كما عرف في موضعه فاتخذ اسماعيل بموضع الكعبة بيتا يأوي اليه وادار عليه سياجا من الردم وجعله زربا لغنمه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام امر في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بابنه اسماعيل ودعا الناس الى حجه وبقي اسماعيل ساكنا به ولما قبضت امه هاجر وقام بنوه بعده بامر البيت مع اخوالهم من جرهم ثم العمالقة من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل افق من جميع اهل الخليقة لا من بني اسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا ونأى فقد نقل ان التبابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبع كساها الملاء والوصائل وامر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا ونقل ايضا ان الفرس كانت تحجه وتقرب اليه وان غزالي الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم كان من قرابينهم ولم يزل لجرهم الولاية عليه بعد بني اسماعيل من قبل خؤولتهم حتى اذا خرجت خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد اسماعيل

حواليه والمدينة مهاجر سيدنا محمد صلعم

وانتشروا

وانتشروا وتشعبوا الى كنانة ثم كنانة الى قريش امرهم واخرجوهم من البيت وملكوها عليهم يومئذ قصي بن كلاب فبنى البيت وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل وقال الاعشى

حلفت بثوبي راهب والتي ۞ بناها قصي وحده وابن جرهم

ثم اصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم واعادوا بناءه وجمعوا النفقة لذلك من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا عن قواعده وحملوا منه ستة اذرع وشبرا اداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحصين بن نمير السكوني سنة اربع وستين فاصابه حريق يقال من النفط الذي رموا به على ابن الزبير واعاد بناءه احسن ما كان بعد ان اختلف عليه الصحابة في بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف على اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه واشار اليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فادار على الاساس الخشب ونصب من فوقها الستور حفظا للقبلة وبعث الى صنعاء في الفضة والكلس فحملها وسأل عن مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض كما روي في حديثه وجعل فرشها وازرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ثم جاء الحجاج لحصاره ايام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنيقات الى ان تصدعت حيطانها ثم لما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فامره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال انه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة وقال وددت اني كنت حملت ابا خبيب في امر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة اذرع وشبرا مكان الحجر وبناها على اساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك سائرها لم يغير منه شيئا فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان لحمة بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لحم ويعرض هنا اشكال قوي لمنافاته لما يقوله الفقهاء في امر الطواف ويحذر الطائف ان يميل على الشاذروان الدائر باساس الجدر من اسفلها فيقع طوافه داخل البيت بناء على ان الجدر انما قامت على بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان ولذا قالوا في تقبيل الحجر الاسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائما لئلا يقع بعض طوافه داخل البيت واذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو انما بني على اساس ابراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه ولا مخلص من ذلك الا باحد امرين اما ان يكون الحجاج هدم جميعه واعاده وقد نقل ذلك جماعة الا ان العيان في شواهد البناء بالتحام ما بين البناءين وتمييز احد الشقين من اعلاه الى الآخر في الصناعة يرد ذلك واما ان يكون ابن الزبير لم يرد البيت على اساس ابراهيم من جميع جهاته وانما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله فهي الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد ولا

تحيص عن هذين والله اعلم ثم ان ساحة البيت وهو المسجد كان فضا للطايفين ولم يكن عليه
جدار ايام النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر من بعده ثم كثر الناس فاشترى عمر رضي الله
تعالى عنه دورا وهدمها وزادها في المسجد وادار عليه جدارا ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي
من بعده ووقفت الزيادة واستقر على ذلك لعهدنا وتشريف الله لهذا البيت وعنايته اعظم
من ان يحاط به وكفى من ذلك ان جعله مهبطا للوحي والملايكة ومكانا للعبادة وفرض
شعاير الحج ومناسكه واوجب لحرمه من ساير نواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجبه
لغيره فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم واوجب على داخله ان يتجرد عن
المخيط الا ازارا يستره وحمى العايذ به والراتع في مساربه من مواقع الافات فلا يراع
فيه خايف ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمة من طريق
المدينة ثلاثة اميال الى التنعيم ومن طريق العراق سبعة اميال الى ثنية جبل المنقطع ومن
طريق الطايف سبعة اميال الى بطن نمرة ومن طريق جدة عشرة اميال الى منقطع العشاير
هذا شان مكة وخبرها وتسمى ام القرى وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال
لها ايضا بكة قال الاصمعي لان الناس يبك بعضهم بعضا اليها اي يدفع وقال مجاهد
انما هي باء بكة ابدلوها ميما كما قالوا لازب ولازم لقرب المخرجين وقال النخعي
بالبا للبيت وبالميم للبلد وقال الزهري بالبا للمسجد كله وبالميم للحرم وقد كانت الامم
منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تبعث اليه بالاموال والذخاير ككسرى وغيره وقصة
الاسياف وغزالي الذهب الذي وجدها فيه عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة وقد
وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيها سبعين الف اوقية
من الذهب مما كان الملوك تهدي الى البيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمايتي قنطار
وزنا وقال له علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يا رسول الله لو استعنت بهذا
المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه هكذا افاد الازرقي وفي البخاري بسنده
الى ابي وايل قال جلست الى شيبة بن عثمان وقال جلس الي عمر بن الخطاب فقال هممت ان
لا ادع فيها صفرا ولا بيضا الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت بفاعل قال ولم قلت
لم يفعله صاحباك قال هما اللذان يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن ماجه واقام ذلك
المال الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسين بن الحسن بن علي بن زين العابدين سنة
تسع وتسعين ومايه حين غلب على مكة عمد الى الكعبة فاخذ ما في خزاينها وقال ما تصنع
الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا ينتفع به نحن احق به نستعين به على حربنا واخرجه
وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يوميذ **واما بيت المقدس**
وهو المسجد الاقصى فكان اول امره ايام الصابية موضع الزهرة وكانوا يقربون اليه
الزيت فيما يقربونه ويصبونه على الصخرة التي هنالك ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها
بنو اسرايل حين ملكوها قبلة لصلاتهم وذلك ان موسى صلوات الله عليه لما خرج
ببني اسرايل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله اباهم اسرايل واباه اسحاق من قبله
واقاموا بارض التيه امره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحي مقدارها وصفتها
وهياكلها وتماثيلها وان يكون فيها تابوت ومايدة بصحافها ومنارة بقناديلها
وان يصنع مذبحا للقربان ووصف ذلك كله في التوراة فصنع القبة ووضع فيها

تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الالواح المصنوعة عوضا من الالواح المنزلة بالكلمات العشر لما
تكسرت ووضع المذبح عندها وعهد الله الى موسى بان يكون هارون صاحب القربان ونصبوا تلك القبة
بين خيامهم في التيه يصلون اليها ويقربون في المذبح امامها ويتعرضون للوحي عندها ولما ملكوا ارض
الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم ووضعوها على الصخرة ببيت المقدس واراد داود عليه السلام بناء
مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربع سنين من ملكه ولخمسماية
سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمده من الصفر وجعل به صرح الزجاج وغشى ابوابه وحيطانه
بالذهب وصاغ هياكله وتماثيله واوعيته ومناوره ومفاتيحه من الذهب وجعل ظهره مقبوا ليوضع
فيه تابوت العهد وجاء به من صهيون بلد ابيه داود تحمله الاسباط والكهونية حتى وضع في
القبو ووضعت القبة والاوعية والمذبح كل واحد حيث اعد له من المسجد واقام كذلك ما شاء
الله ثم خربه بخت نصر بعد ثمانماية سنة من بنايه واحرق التوراة والعصاة وصاغ الهياكل
ونثر الاحجار ثم لما اعادهم ملوك الفرس بناه عزير نبي بني اسرايل لعهده باعانة بهمن ملك الفرس الذي
كانت الولادة لبني اسرايل عليه من سبي بخت نصر وحد لهم في بنايه حدودا دون بناء سليمان عليه
السلام فلم يتجاوزها ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملك لبني اسرايل
في هذه المدة لبني حشمناي من كهنتهم ثم لصهرهم هيرودس ولبنيه من بعدهم وبنى هيرودس
بيت المقدس على حدود سليمان عليه السلام وتانق فيه حتى اكمله في ست سنين فلما جاء طيطش الكله
من ملوك الروم وغلبهم وملك امرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وامر ان يزرع مكانه
ثم اخذ الروم بدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم في
الاخذ بدين النصرانية تارة وتركها اخرى الى ان جاء قسطنطين وتنصرت امه هيلانة
وارتحلت الى القدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فاخبرها القماسة بانه
رمي بخشبته على الارض والقي عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنت مكان
تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على قبره بزعمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وامرت
بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخفي مكانها جزاء بزعمها لما فعلوه في قبر المسيح
ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي الامر كذلك
الى ان جاء الاسلام والفتح وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسال عن الصخرة فاري مكانها وقد علاها
الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداوة وعظم من شانه ما اذن الله
في تعظيمه وما سبق من ام الكتاب في فضله حسبما ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد
مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفي مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزم ملك
الروم ان يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينمقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك
وتم بناوها على ما اقترحه ثم لما ضعف امر الخلافة اعوام الخمسماية من الهجرة في اخرها وكانت
في ملكة العبيديين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل امرهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس
فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها
ويفتخرون ببنايها حتى اذا استقل صلاح الدين ايوب الكردي بملك مصر والشام ومحا اثر
العبيديين وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلب على بيت المقدس
وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام وذلك لنحو ثمانين وخمسماية من الهجرة وهدم تلك

الكنيسة واظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليه لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال
المعروف في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع فقال مكة قيل ثم اي
قال بيت المقدس قيل فكم بينهما قال اربعون سنة فان المدة بين بناء مكة وبناء بيت المقدس
بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بانيها وهو ينيف على الالف بكثير واعلم ان المراد بالوضع
في الحديث ليس البناء وانما المراد اول بيت عين للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة
قبل سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل ان الصابئة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك انها
كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حول الكعبة وفي جوفها والصابئة
الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبعد مدة الاربعين سنة بين
وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من بنى
بيت المقدس سليمان عليه السلام فتفهمه ففيه حل هذا الاشكال والله اعلم **واما المدينة**
وهي المسماة يثرب فهي من بناء يثرب بن مهلايل من العمالقة وملكها بنو اسرائيل من ايديهم
فيما ملكوه من ارض الحجاز ثم جاورهم ابناء قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها
ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها ومعه ابو بكر
وتبعه اصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته في الموضع الذي كان الله قد اعده لذلك وشرفه
في سابق ازله واواه ابناء قيلة ونصروه وبذلك سموا الانصار وتمت كلمة الاسلام من
المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن الانصار انه يتحول عنهم
الى بلده فاهمهم ذلك فخاطبهم صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض صلى
الله عليه وسلم كان ملحده الشريف بها وجاء في فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا خفاء به
ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة وقال به مالك رحمه الله تعالى لما ثبت عنده
في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير من
مكة نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة الى احاديث اخرى يدل بظاهرها على ذلك وخالف
ابو حنيفة والشافعي واصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام وجنح اليها الامم بافئدتهم
من كل اوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها
وتفهم سر الله في الكون وتدريجه على ترتيب محكم في امور الدين والدنيا **واما** غير هذه
المساجد الثلاثة فلا نعلمه في الارض الا ما يقال من شان مسجد ادم عليه السلام بسرنديب
من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شيء يعول عليه وقد كانت للامم في القديم مساجد يعظمونها
على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان وبيوت العرب
بالحجاز التي امر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها في غزواته وقد ذكر المسعودي منها بيوتا
لسنا من ذكرها في شيء اذ هي غير مشروعة ولا هي على طريق ديني ولا يلتفت اليها ولا الى الخبر
عنها ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ فمن اراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء
سبحانه

فصل في ان الامصار والمدن بافريقية والمغرب

قليلة والسبب في ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ الاف من السنين قبل الاسلام
وكان عمرانها كله بدويا ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل احوالها والدول التي ملكتهم
من الافرنجة والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تزل العوائد البداوة
وشونها فكانوا اليها اقرب فلم تكثر مبانيهم وايضا فالصنائع بعيدة عن البربر لانهم اعرق في

البدو

البدو والصنائع من توابع الحضارة وانما تتم المباني بها ولا بد من الحذق في تعلمها فلما لم يكن
للبربر انتحال لها لم يكن لهم تشوف الى المباني فضلا عن المدن وايضا فهم اهل عصبيات وانساب
لا يخلو عن ذلك جمع منهم والانساب والعصبية اجنح الى البدو وانما يدعو الى المدن الدعة
والسكون ويصير ساكنها عيالا على حاميتها فتجد اهل البدو لذلك يستنكفون من سكنى المدينة
او المقامة بها ولا يدعوهم لذلك الا الترف والغنى وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران
افريقية والمغرب كله او اكثره بدويا اهل خيام وظواعن وقياطن وكنن في الجبال وكان عمران
بلاد العجم كله او اكثره قرى وامصارا ورساتيق في بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم
وامثالها لان العجم في الغالب ليسوا باهل انساب يحافظون عليها ويتباهون في صراحتها والتحامها مما
الا في الاقل واكثر ما يكون سكنى البدو لاهل الانساب لان لحمة النسب اقرب واشد فتكون
عصبيته كذلك وتنزع بصاحبها الى سكنى البدو والتجافي عن المصر الذي يذهب بالبسالة ويصيره
عيالا على غيره فافهمه وقس عليه

فصل في ان المباني والمصانع في الملة

الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول والسبب في ذلك ما ذكرناه
مثله في البربر بعينه اذ العرب ايضا اعرق في البدو وابعد عن الصنائع وايضا فكانوا اجانب
في الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما تملكوها لم ينفسح الامد حتى تستوفي رسوم
الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا من مباني غيرهم وايضا فكان الدين اول الامر مانعا
من المغالاة في البنيان والاسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استاذنوه في بناء
الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا
يزيدن احد على ثلاثة ابيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة وعهد
الى الوفد وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا
يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتحرج في امثال هذه المقاصد
وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب امة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمباني
ودعتهم اليها احوال الدعة والترف فحينئذ شيدوا المباني والمصانع وكان عهد ذلك
قريبا بانقراض الدولة ولم ينفسح الامد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قليلا
وليس كذلك غيرهم من الامم والفرس طالت مددهم الافا من السنين وكذلك القبط والنبط والروم
وكذلك العرب الاولى من عاد وثمود والعمالقة والتبابعة طالت امادهم ورسخت الصنائع فيهم
فكانت مبانيهم وهياكلهم اكثر عددا وابقى على الايام اثرا واستبصر في هذا تجده كما قلت والله اعلم

فصل في ان المباني التي تختطها العرب تسرع اليها الخربة الا في الاقل والسبب
في ذلك شان البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها وله
والله اعلم وجه اخر وهو امس به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه
في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي فان بالتفاوت في هذه يتفاوت جودة المصر ورداءته
من حيث العمران الطبيعي والعرب بمعزل عن هذا وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة لا يبالون بالماء
طاب او خبث قل او كثر ولا يسالون عن زكاء المزارع والمنابت والاهوية لانتقالهم في الارض
ونقلهم الحبوب من البلد البعيد واما الرياح فالقفر مختلف المهاب كلها والظعن كفيل لهم بطيبها
لان الرياح انما تخبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة

والقيروان كيف لم يراع في اختطاطها الا مراعى ابلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم يكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدمناه انه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامم فيعمرها الناس فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سياجا لها اتى عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكم لا معقب لحكمه سبحانه

فصل في مبادي الخراب

في الامصار اعلم ان الامصار اذا اختطت اولا تكون قليلة المساكن وقليلة الآت البنا من الحجر والكلس وغيرهما مما يعالي على الحيطان عند التانق كالزليج والرخام والفسيفسا والسبج والصدف والزجاج فيكون بناؤها يوميذ بدويا والاتها فاسدة فاذا عظم عمران المدينة وكثر ساكنها كثرت الالات بكثرة الاعمال حينيذ وكثرت الصنايع الى ان تبلغ غايتها من ذلك كما سبق في شانها فاذا تراجع عمرانها وقل ساكنها قلت الصنايع لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالات عليه بالتنميق ثم تقل الاعمال لعدم الساكن فيقل جلب الالات من الحجر والرخام وغيرهما فتفقد ويصير بناؤهم وتشييدهم من الالات التي في مبانيهم ينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاء اكثر المصانع والقصور والمنازل لقلة العمران وقصوره عما كان اولا ثم لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى ان يفقد الكثير منها جملة فيعودون الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن التنميق بالكلية فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمداشر ويظهر عليها ميسم سيما البداوة ثم تمر في التناقص الى غايتها في الخراب ان قدر لها به والله يفعل ما يشا سبحانه

فصل في ان تفاضل الامصار والمدن

في كثرة الوفد ونفاق الاسواق انما هو بتفاضل عمرانها في الكثرة والقلة والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وانهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طايفة منهم تسد ضرورة الاكثر من عددهم اضعافا فالقوت من الحنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه واذا انتدب لتحصيله الستة او العشرة من حداد ونجار للالات وقايم على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل وساير مون الفلح وتوزعوا على تلك الاعمال او اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينيذ قوت لاضعافهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زايدة على حاجات العاملين وضروراتهم واهل مدينة او مصر اذا وزعت اعمالهم كلها على مقدار ضروراتهم وحاجاتهم اكتفي فيها بالاقل من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها زايدة على الضرورات تنصرف في حالات الترف وعوايده وما يحتاج اليه غيرهم من اهل الامصار ويستجلبونه منهم باعواضه وقيمته فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين ذلك في الفصل الخامس من باب الكسب والرزق ان المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت قيمتها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم احوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التانق في المساكن والملابس واستجادة الانية والماعون واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها اعمال يستدعى بقيمتها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها فتنفق اسواق الاعمال والصنايع ويكثر دخل المصر وخرجه ويحصل اليسار لمنتحليها من قبل اعمالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانية ثم زاد الترف

تابعا

تابعا للكسب وزادت عوايده وحاجاته واستنبطت الصنايع لتحصيلها فزادت قيمتها وتضاعف الكسب في المدينة كذلك ثانية ونفقت سوق الاعمال بها اكثر من الاول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة الزايدة كلها تختص بالترف والغنا بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش والمصر اذا فضل بعمران واحد فضله بزيادة كسب ورفه وبعوايد من الترف لا توجد في الاخر فما كان عمرانه من الامصار اكثر واوفر كان حال اهله في الترف ابلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف القاضي مع القاضي والتاجر مع التاجر والصانع مع الصانع والسوقي مع السوقي والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي واعتبر ذلك في المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من امصاره الاخرى مثل بجاية وتلمسان مع وهران والجزاير وحال وهران والجزاير مع ما دونهما الى ان تنتهي المداشر الذين اعمالهم في ضروراتهم معاشهم فقط ويقصرون عنها وما ذلك الا لتفاوت الاعمال

د

فيها فكانها اسواق للاعمال والخراج في كل سوق على نسبته فالقاضي بفاس دخله كخرجه وكذا القاضي بتلمسان وحيث الدخل والخرج اكثر تكون الاحوال اعظم واوسع وهما بفاس اكثر لنفاق الاعمال بما يدعو اليه الترف فالاحوال اضخم ثم هكذا حال وهران وقسطنطينة والجزاير وبسكرة حتى تنتهي كما قلناه الى الامصار التي لا تفي اعمالها بضروراتها ولا تعد في الامصار اذ هي من قبيل القرى والمداشر فلذلك تجد اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما ان اعمالهم لا تفي بضروراتهم ولا يفضل لهم عنها ما يتاثلونه كسبا فلا تنموا مكاسبهم فهم لذلك مساكين محاويج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك في احوال الفقرا والسوال فان السايل بفاس احسن حالا من السايل بتلمسان او وهران ولقد شاهدت بفاس السوال يسالون ايام الاضاحي اثمان ضحاياهم ورايتهم كثيرا من احوال الترف واقتراح

يسالون هم

الماكل مثل اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون كالغربال والانية ولو سال السايل مثل هذا بتلمسان او وهران لاستنكر وعنف وزجر ويبلغنا لهذا العهد عن احوال القاهرة ومصر من الترف والغنا في عوايدهم ما يقضى منه العجب حتى ان كثيرا من الفقرا بالمغرب ينزعون الى النقلة الى مصر لذلك ولما يبلغهم ان شان الرفه بمصر اعظم من غيرها وتعتقد العامة من الناس ان ذلك لزيادة الاموال في تلك الافاق وان الاموال مختزنة لديهم وانهم اكثر صدقة وايثارا من جميع اهل الامصار وليس كذلك وانما هو لما تعرفه من ان عمران مصر والقاهرة اكثر من عمران هذه الامصار التي لديك فعظمت لذلك احوالهم واما حال الدخل والخرج فمتكافي في جميع الامصار ومتى عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت احوال الساكن

كن

ووسع المصر كل شيء يبلغك عن هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل والايثار على مبتغيه ومثله شان الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف تختلف احوالها في هجرانها او غشيانها فان بيوت اهل النعم والثروة والموايد الخصبة منها تكثر بساحتها وافنيتها بنثر الحبوب وسواقط الفتات فيزدحم عليها عواشي النمل والخشاش ويحلق فوقها عصايب الطيور حتى تروح بطانا وتمتلي شبعا وريا وبيوت اهل الخصاصة والفقر الكاسدة ارزاقهم لا يسري بساحتها دبيب ولا يحلق بجوهم طاير ولا تاوي الى زوايا بيوتهم فارة ولا هرة كما قال

تسقط الطير حيث تلتقط الحب ۞ وتغشى منازل الكرماء

فتامل سر الله عز وجل في ذلك واعتبر غاشية الاناسي بغاشية العجم من الحيوانات وفتات

الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يبذلها لاستغنائهم عنها في الاكثر بوجود امثالها
لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرته والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في اسعار المدن

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الاقوات من
الحنطة وما في معناها كالباقلا والبصل والثوم واشباهه ومنها الحاجي والكمالي من الادم
والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر الصنائع والمباني فاذا استبحر المصر وكثر
ساكنه رخصت اسعار الضروري من القوت وما في معناه وغلت اسعار الكمالي من الادم
والفواكه وما يتبعهما واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الامر بالعكس من ذلك والسبب في
ذلك ان الحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواعي على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت
نفسه ولا قوت منزله لشهره او لسنته فيعم اتخاذها اهل المصر اجمع او الاكثر منهم في ذلك
المصر وفيما قرب منه لا بد من ذلك وكل متخذ لقوته فتفضل عنه وعن اهل بيته فضلة كبيرة
تسد خلة كثير من اهل ذلك المصر فتفضل الاقوات عن اهل المصر من غير شك فترخص اسعارها
في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية ولولا احتكار الناس لها لما
يتوقع من تلك الآفات لبذلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران واما سائر المرافق
من الادم والفواكه وما اليها فانها لا تعم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصر
اجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستبحرا موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت
حينئذ الدواعي على طلب تلك المرافق والاستكثار منها كل بحسب حاله فيقصر الموجود منها
عن الحاجات قصورا بالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم اهل الاغراض
ويبذل اهل الرفه والترف اثمانها باسراف في الغلاء لحاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها
الغلاء كما تراه واما الصنائع والاعمال ايضا في الامصار الموفورة العمران فسبب الغلاء فيها
امور ثلاثة احدها الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانه والثاني اعتزاز اهل الاعمال
بخدمتهم وامتهان انفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة اقواتها والثالث كثرة المترفين
وكثرة حاجاتهم الى امتهان غيرهم والى استعمال الصنائع في مهنهم فيبذلون في ذلك لاهل
الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم مزاحمة ومنافسة في الاستئثار بها فتعتز العمال والصناع
واهل الحرف وتغلو اعمالهم وتكثر نفقات اهل المصر في ذلك واما الامصار الصغيرة
والقليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقلة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم
القوت فيتمسكون بما يحصل منه بايديهم ويحتكرونه فيعز وجوده لديهم ويغلو ثمنه على
مستامه واما مرافقهم فلا تدعو اليها ايضا حاجة لقلة الساكن وضعف الاحوال فلا
ينفق لديهم سوقها فتختص بالرخص في سعرها وقد يدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة ما يفرض عليها
من المكوس ولذلك كانت الاسعار في الامصار اغلى من الاسعار في البادية اذ المكوس والمغارم
قليلة لديهم ومصرومة والامصار بالعكس سيما في آخر الدول وقد تدخل ايضا في قيمة الاقوات
قيمة علاجها في الفلح ويحافظ على ذلك في اسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك انهم
لما الجاهم النصارى الى سيف البحر وبلاده المتوعرة الخبيثة الزراعة النكدة النبات وملكوا
عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والفدن لاصلاح نباتها

وفلحها

وفلحها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤونة وصارت في فلحهم
نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم واختص قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى
الى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها لاجل ذلك ويحسب الناس اذا سمعوا بالغلاء في الاسعار
في قطرهم انها لقلة الاقوات والحبوب بارضهم وليس كذلك فهم اكثر اهل المعمور فلحا فيما علمناه
واقومهم عليه وقل ان يخلو منهم سلطان او سوقة عن فدان او مزرعة او فلح الا قليلا من
اهل الصناعات والمهن او الطراء على الوطن من الغزاة والمجاهدين ولهذا يختصهم السلطان
في عطائهم بالعولة وهي اقواتهم وعلوفتهم من الزرع وانما السبب في غلاء السعر عندهم في
الحبوب ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء منابتهم وطيب ارضهم ارتفعت
عنهم المؤن جملة في الفلح مع كثرته وعمومه فصار ذلك سببا لرخص الاقوات ببلدهم والله المقدر
لكل شيء سبحانه

فصل في قصور اهل البادية

عن سكنى المصر الكثير العمران والسبب في ذلك ان المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه
وتكثر حاجات ساكنه من اجل الترف وتعتاد تلك الحاجات لما يدعو اليها فتنقلب ضرورات
وتصير الاعمال فيه كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازدحام الاغراض عليها من اجل الترف
وبالمغارم السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها
الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة بالغة على نسبة عمرانه
ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عيشهم
وسائر مؤنهم والبدوي لم يكن دخله كثيرا اذ هو ساكن بمكان كاسد الاسواق في الاعمال التي
هي سبب الكسب فلم يتأثل كسبا ولا مالا فيتعذر عليه من اجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مرافقه
وعزة حاجاته وهو في بدوه يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر
مؤنه فلا يضطر الى المال وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من اهل البادية فسريعا ما يظهر
عجزه ويفتضح الا من يقدم منهم تأثل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري الى الغاية
الطبيعية لاهل العمران من الدعة والترف فحينئذ ينتقل الى المصر وينتظم حاله مع احوال
اهله من عوائدهم وترفهم وهكذا شأن بداية عمران الامصار والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقر مثل الامصار

اعلم ان ما توفر عمرانه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت احوال اهله وكثرت
اموالهم وامصارهم وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال
وما سيأتي ذكره من انها سبب للثروة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن
من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته فيعود على الناس كسبا يتأثلونه حسبما نذكر ذلك
في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب فيتزيد الرفه لذلك وتتسع الاحوال ويجيء الترف والغنى
وتكثر الجباية للدولة بنفاق الاسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها ويتفنن في اتخاذ المعاقل
والحصون واختطاط المدن وتشييد الامصار واعتبر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام
وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها واقطارها وراء البحر الرومي لما كثر عمرانها
كيف كثر المال فيهم وعظمت دولهم وتعددت مدنهم وحواضرهم وعظمت متاجرهم واحوالهم
فالذي نشاهده لهذا العهد من احوال تجار الامم النصرانية الواردين على المسلمين بالمغرب

في دفنهم واتساع احوالهم اكثر من ان يحيط به الوصف وكذا تجار اهل المشرق وما يبلغنا عن
احوالهم وابلغ منها احوال اهل المشرق الاقصى من عراق العجم والهند والصين فانه يبلغنا عنهم
في باب الغنا والرفه احوال غرايب يسير الركبان بحديثها وربما تتلقى بالانكار في غالب الامر
ويحسب من يسمعها من العامة ان في ذلك الزيادة في اموالهم او لان المعادن الذهبية ه
والفضية اكثر بارضهم او لان ذهب الاقدمين من الامم استاثروا به دون غيرهم فمعدن
الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب اقرب وجميع ما في
ارضهم من البضاعة فانما يجلبونه الى بلادهم للتجارة فلو كان المال عتيدا موفورا لديهم
لما جلبوا بضايعهم الى سواهم يبتغون بها الاموال ولا استغنوا عن اموال الناس بالجملة
ولقد ذهب المنجمون لما راوا مثل ذلك واستغربوا ما في المشرق من كثرة الاحوال واتساعها
ووفور اموالها فقالوا ان عطايا الكواكب والسهام في مواليد اهل المشرق اكثر منها
حصصا في مواليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية
والاحوال الارضية كما قلناه وانما اعطوا في ذلك السبب النجومي وبقي عليهم ان يعطوا ه
السبب الارضي وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بارض المشرق واقطاره وكثرة
العمران تفيد كثرة الكسب بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرفه من بين
الافاق لا ان ذلك بمجرد الامر النجومي فقد فهمت مما اشرنا اليك اولا انه لا يستقل بذلك
وان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها امر لا بد منه واعتبر حال هذه الرفه من
العمران في قطر افريقية وبرقة لما خف ساكنها وتناقص عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها
وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتهم فقلت اموال دولها بعد ان كانت دول
الشيعة بها وصنهاجة على ما بلغك من الرفه وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم
واعطياتهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من القيروان الى صاحب مصر في غالب الاوقات
لحاجاته ومهماته وكانت اموال الدولة بحيث حمل جوهر الكاتب في سفره الى فتح مصر الف حمل
من المال يستعدها لارزاق الجنود واعطياتهم ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان في
القديم دون افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت احواله في دولة الموحدين متسعة وجباياته
موفورة وهو لهذا العهد قد اقصر عن ذلك لقصور العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمرانه
البربر فيه اكثره ونقص عن معهوده نقصا ظاهرا محسوسا وكاد يلحق في احواله بمثل احوال
افريقية بعد ان كان عمرانه متصلا من البحر الرومي الى بلاد السودان في طول ما بين السوس
الاقصى وبرقة وهي اليوم كلها او اكثرها قفار وخلاء ومجاري الا ما هو منها بسيف البحر
وما يقاربه من التلول

فصل في تاثل العقار والضياع في الامصار وحال فوايدها ومستغلاتها

اعلم ان تاثل العقار والضياع الكثيرة لاهل المدن
والامصار لا تكون دفعة ولا في عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به
الاملاك التي تخرج قيمها عن الحد ولو بلغت احوالهم في الرفه ما عسى ان تبلغ وانما يكون ملكهم
لها وتاثلهم تدريجا اما بالوراثة من ابايه وذوي رحمه حتى تتادى املاك الكثيرين منهم الى الواحد
واكثر لذلك او يكون بحوالة الاسواق فان العقار في اخر الدولة واول الاخرى عند فناء الحامية
وخرق السياج وتداعي المصر الى الخراب تقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها بتلاشي الاحوال

فترخص

فترخص قيمتها وتملك بالاثمان اليسيرة وتتخطى بالميراث الى ملك اخر وقد استجد المصر شبابه
باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له احوال حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياع
لكثرة منافعها حينئذ فتعظم قيمتها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا معنى الحوالة فيها
ويصبح مالكها من اغنى اهل المصر وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته تعجز عن مثل ذلك
واما فوايد العقار والضياع فهي غير كافية لمالكها في حاجات معاشه اذ هي لا تفي بعوايد الترف
واسبابه وانما هي في الغالب لسد الخلة وضرورة المعاش والذي سمعناه من مشيخة البلدان
ان القصد من اقتناء الملك من العقار والضياع انما هو الخشية على من يترك خلفه من
الذرية الضعفاء ليكون مرباهم به ورزقهم فيه ونشوؤهم بفائدته ما داموا عاجزين عن
الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بانفسهم وربما يكون من الولد
من يعجز عن التكسب لضعف بدنه او آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار قواما لحاله
هذا قصد المترفين في اقتنايه واما التمول منه واجرا احوال المترفين فلا وقد يحصل
ذلك منه للقليل او النادر بحوالة الاسواق وحصول الكثرة البالغة منه والعالي في
جنسه وقيمته في المصر الا ان ذلك اذا حصل ربما امتدت اليه اعين الامرا والولاة واغتصبوه
في الغالب او ارادوه على بيعه منهم ونالت اصحابه منه مضار ومعاطب والله سبحانه اعلم

فصل في حاجة المتمولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة

وذلك ان الحضري اذا عظم تموله وكثر العقار والضياع تاثله واصبح
اغنى اهل المصر ورمقته العيون بذلك وانفسحت احواله في الترف والعوايد زاحم
عليها الامرا والملوك وغصوا به ولما في طباع البشر من العدوان وان تمتد اعينهم
الى تملك ما بيده وينافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربقة
حكم سلطاني وسبب من المواخذة ظاهر ينتزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة في
الغالب اذ العدل المحض انما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة اللبث قال صلى الله عليه وسلم
الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوضا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة
الشهيرة في العمران من حامية تذود عنها وجاه ينسحب عليه من ذي قرابة للملك او خالصة
له او عصبية يتحاماها السلطان فيستظل هو بظلها ويرتع في امنها من طوارق التعدي
وان لم يكن له ذلك اصبح نهبا بوجوه التحيلات واسباب الحكام والله يحكم لا معقب لحكمه

فصل في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة

والسبب في ذلك ان الحضارة هي احوال عادية زائدة على الضروري من احوال العمران زيادة
تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الامم في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر ويقع فيها كثرة
التفنن في انواعها واصنافها فتكون بمنزلة الصنايع ويحتاج كل صنف منها الى القومة
عليه المهرة فيه وبقدر ما يتزيد من اصنافها تتزيد اهل صناعتها ويتلون ذلك الجيل بها
ومتى اتصلت الايام وتعاقبت تلك الصناعات حذق اولئك الصناع في صناعتهم ومهروا
في معرفتها والاعصار بطولها وانفساح امدها وتكرار امثالها تزيدها استحكاما ورسوخا
واكثر ما يكون ذلك في الامصار لاستبحار العمران وكثرة الرفه في اهلها وذلك كله انما
يجي من قبل الدولة لان الدولة تجمع اموال الرعية وتنفقها في بطانتها ورجالها وتتسع
احوالهم بالجاه اكثر من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها في اهل

الدولة فيمن تعلق بهم من اهل المصر وهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم وتتزيد عوايدهم في الترف ومذاهبه وتستحكم لديهم الصنايع في ساير فنونه وهي الحضارة ولهذا تجد الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها احوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذاك الا لمجاورة السلطان لهم وفيض امواله فيهم كالماء يخضر ما قرب منه فما قرب من الارض الى ان ينتهي الجفوف على البعد وقد قدمنا ان السلطان والدولة سوق العالم فالبضايع كلها موجودة في السوق وما قرب منه واذا ابعدت عن السوق افتقدت البضايع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب في ذلك المصر واحدا بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك في اليهود لما طال ملكهم بالشام نحوا من الف واربعماية سنة رسخت حضارتهم وحذقوا في احوال المعاش وعوايده والتفنن في صناعاته من المطاعم والملابس وساير احوال المنزل حتى انها لتؤخذ عنهم في الغالب الى اليوم ورسخت الحضارة ايضا وعوايدها في الشام منهم ومن دول الروم بعدهم ستماية سنة وكانوا في غاية الحضارة وكذلك ايضا القبط دام ملكهم في الخليقة ثلاثة آلاف من السنين فرسخت عوايد الحضارة في بلدهم مصر واعقبهم بها ملك اليونانيين والروم ثم ملك الاسلام الناسخ للكل فلم تزل عوايد الحضارة بها متصلة وكذلك ايضا رسخت عوايد الالافا من السنين واعقبهم ملك مضر وكذا الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بها من لدن الكلدانيين والكرو والعرب بعدهم الافا من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احضر من اهل الشام والعراق ومصر وكذلك رسخت عوايد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما اعقبها من ملك بني امية آلافا من السنين وكلا الدولتين عظيم فاتصلت فيها عوايد الحضارة واستحكمت واما افريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم انما قطع الافرنجة الى افريقية البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر اهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة واوفاز واهل المغرب لم تجاورهم دولة وانما كانوا يبعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا اول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بافريقية والمغرب لم يجد بهما من الحضارة ما يقلد فيه من سلفه اذ كانوا برابر منغمسين في البداوة ثم انتقض برابرة المغرب الاقصى لاقرب العهود على يد ميسرة المطغري ايام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا امر العرب واستقلوا بامر انفسهم وان تابعوا لادريس فلا تعد دولته فيهم عربية لان البرابرة هم الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدد وبقيت افريقية للاغالبة ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القيروان وورث ذلك عنهم كتامة ثم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ اربعماية سنة وانصرمت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخربوها وبقي اثر خفي من حضارة العمران فيها والى هذا العهد تونس فيمن سلف له بالقلعة والقيروان او المهدية سلف فتجد له من الحضارة في شؤون منزله وعوايد احواله آثارا ملتبسة بغيرها الحضري البصير بها فكذا في اكثر امصار افريقية وليس ذلك في المغرب وامصاره لرسوخ الدولة بافريقية اكثر امدا منذ عهد الاغالبة والشيعة وصنهاجة واما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوايدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكامها معظمها من اهل الاندلس ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند جالية النصارى الى افريقية فابقوا بها وبامصارها من الحضارة آثارا معظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوايدها فكان بذلك للمغرب وافريقية حظ من الحضارة صالح عفا عليه الخلا حال فاثر الحضارة بافريقية اكثر منها بالمغرب وامصاره لما تداول فيها من الدول السالفة اكثر من المغرب ولقرب عوايدهم من عوايد اهل مصر بكثرة المترددين بينهم فتفطن لهذا السر فانه خفي عن الناس واعلم انها امور متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الامة او الجيل وعظم المدينة او المصر وكثرة النعمة واليسار وذلك ان الدولة والملك صورة الخليقة والعمران وكلها مادة له من الرعايا والامصار وساير الاحوال واموال الجباية عايدة عليهم ويسارهم في الغالب ومتاجرهم واذا افاض السلطان عطاءه وامواله في اهلها انبثت فيهم ورجعت اليه ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخراج عايدة عليهم في العطاء فعلى نسبة مال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا ايضا وكثرتهم يكون مال الدولة واصله كله العمران وكثرته فاعتبره وتامله في الدول تجده والله يحكم لا معقب لحكمه

فصل في ان الحضارة غاية للعمران ونهاية لعمره وانها موذنة لفساده

كما قدمنا لك فيما سلف ان الملك والدولة غاية للعصبية وان الحضارة غاية للبداوة وان العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس كما ان للشخص الواحد من اشخاص المكونات عمرا محسوسا وتبين في المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها وانه اذا بلغ سن الاربعين وقفت الطبيعة على اثر النشو والنمو برهة ثم تاخذ بعد ذلك في الانحطاط فلتعلم ان الحضارة في العمران ايضا كذلك لانه غاية لا مزيد وراءها وذلك ان الترف والنعمة اذا حصل لاهل العمران دعاهم بطبعه الى مذاهب الحضارة والتخلق بعوايدها والحضارة كما علمت هي التفنن في الترف واستجادة احواله والكلف بالصنايع التي هي تؤنق من اصنافه وساير فنونه كالصنايع المهيئة للمطابخ والملابس والمباني والفرش والانية وساير احوال المنزل وللتانق في كل واحد من هذه صنايع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة وعدم التانق فيها واذا بلغ التانق في هذه الاحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوايد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها اما دينها فلاستحكام صبغة العوايد التي يعسر نزعها واما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوايد ويعجز الكسب عن الوفاء بها وبيانه ان المصر بالتفنن في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فمتى كان العمران اكثر كانت الحضارة اكمل وقد كنا قدمنا ان المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في اسواقه واسعار حاجاته ثم تزيدها المكوس غلاء لان كمال الحضارة انما تكون عند غاية الدولة في استفحالها وهو زمن وضع المكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود على البياعات بالغلاء لان السوقة والتجار كلهم يحتسبون على سلعهم

وبضايعهم جميع ما ينفقونه حتى في مونة انفسهم فيكون المكس لذلك داخلا في قيم المبيعات
واثمانها فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك
لما ملكهم من اثر العوايد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتتابعون في الاملاق
والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبضايع فتكسد الاسواق ويفسد حال المدينة
وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق
والعمران واما فساد اهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوايد
والتلون بالوان الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون اخر
من الوانها فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير
وجهه وتنصرف النفس الى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم اجرياء على الكذب
والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم ابصر
بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الاقارب
وذوي المحارم الذين تقتضي البداوة الحياء منهم في الاقذاع بذلك وتجدهم ايضا ابصر بالمكر
والخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب على تلك
القبايح حتى يصير ذلك عادة وخلقا لاكثرهم الا من عصمه الله ويموج بحر المدينة بالسفلة
من اهل الاخلاق الذميمة ويجاريهم فيها كثير من ناشية الدولة وولدانهم ممن اهمل عن التاديب
وغلب عليه خلق الجوار وان كانوا اهل انساب وابوات وذلك ان الناس بشر متماثلون وانما
تفاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الفضايل واجتناب الرذايل فمن استحكمت فيه صبغة الرذيلة
باي وجه كان وفسد خلق الخير فيه لم ينفعه ذكاء نسبه ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيرا من
اعقاب البيوت وذوي الاحساب والاصالة واهل الدول منطرحين في الغمار منتحلين للحرف
الدنية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسفسفة واذا كثر ذلك
في المدينة والامة تاذن بخرابها وخرابها وهو معنى قوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ووجهه ان مكاسبهم حينئذ لا تفي
بحاجاتهم لكثرة العوايد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص
واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الخواص ان المدينة
اذا كثر فيها غرس النارنج تاذنت بالخراب حتى ان كثيرا من العامة يتحامى غرس النارنج بالدور
وليس المراد ذلك ولا انه خاصية في النارنج وانما معناه ان البساتين واجراء المياه هو من
توابع الحضارة ثم ان النارنج والليم والسرو وامثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غاية
الحضارة اذ لا يقصد بها في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد التفنن في مذاهب
الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك
في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد بها الا تلون البساتين بنورها ما بين احمر
وابيض وهو من مذاهب الترف **ومن مفاسد الحضارة** ايضا الانهماك في الشهوات
والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات البطن من الماكل وملاذها ويتبع ذلك
التفنن في شهوات الفرج بانواع المناكح من الزنا واللواط فيفضي ذلك الى فساد النوع اما
بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجهل كل احد ابنه اذ هو لغير رشدة لان المياه مختلطة
في الارحام فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويودي ذلك الى

انقطاع

انقطاع النوع والزنا يودي الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مالك رحمه الله تعالى في اللواط ط
اظهر من مذهب غيره ودل على انه ابصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر
به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وانه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالاعمار عماد
الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الخلق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد لان
الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في
ذلك والحضري لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجزا لما حصل له من الدعة او ترفعا لما حصل من
المربا في النعيم والترف وكلا الامرين ذميم وكذلك لا يقدر على دفع المضار بما فقد من خلق الانسان
بالترف والنعيم في قهر التاديب والتعليم فهو بذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه ثم هو
فاسد ايضا غالبا بما فسدت منه العوايد وطاعتها وما تلونت به النفس من ملكاتها كما قررناه
الا في الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته على اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته
وصار مسخا على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يتقربون على الحضارة وخلقها وهذا
موجود في كل دولة فقد تبين ان الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة والله
سبحانه وتعالى كل يوم هو في شان لا يشغله شان عن شان **فصل** في ان الامصار
التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها قد استقرينا في العمران ان الدولة
اذا اختلت وانتقضت فان المصر الذي يكون كرسيا لسلطانها ينتقض عمرانه وربما ينتهي في
انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه امور الاول ان الدولة لا بد في اولها من
البداوة المقتضية للتجافي عن اموال الناس والبعد عن التحذلق ويدعو ذلك الى تخفيف الجبايات
والمغارم التي منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصر الذي كان كرسيا
للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقصت احوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت ايديها
من اهل المصر لان الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعا لما في طباع البشر
من تقليد متبوعهم او كرها لما يدعو اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع الاحوال
وقلة الفوايد التي هي مادة العوايد فيقصر لذلك حضارة المصر ويذهب منه كثير من عوايد الترف
وهو معنى ما نقوله في خراب المصر الامر الثاني ان الدولة انما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب
وانما يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين اهل الدولتين وتنكر احدهما
على الاخرى في العوايد والاحوال وتغلب احد المتنافيين يذهب بالمنافي الاخر فتكون احوال الدولة
السابقة منكرة عند اهل الدولة الجديدة ومستبشعة وقبيحة وخصوصا احوال الترف فتفقد
في عرفهم بنكير الدولة لها حتى تنشا لهم بالتدريج عوايد اخرى من الترف تكون عنها حضارة مستانفة
وفيما بين ذلك قصور الحضارة الاولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في المصر الامر الثالث
ان كل امة لا بد لهم من وطن هو منشاوهم ومنه اولية ملكهم واذا ملكوا وطنا اخر صار تبعا للاول
وامصاره تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط الكرسي بتخوم الممالك التي
للدولة لانه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه من مكان الكرسي الاول وتهوى افئدة الناس اليه
من اجل الدولة والسلطان فينتقل اليه العمران ويخف من مصر الكرسي الاول والحضارة انما
هي توفر العمران كما قدمناه فتنقص حضارته وتمدنه وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسلجوقية
في عدولهم بكرسيهم عن بغداد الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المداين الى الكوفة والبصرة
ولبني عباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولبني مرين بالمغرب في العدول عن مراكش الى فاس وبالجملة

وبالجملة فاتخاذ الدولة الكرسي في مصر يخل بعمران الكرسي الاول لامر الرابع ان الدولة السابقة لا بد فيها من تتبع اهل الدولة السابقة واشياعها بتحويلهم الى قطر اخر يؤمن فيه غائلتهم على الدولة واكثر اهل المصر الكرسي اشياع للدولة اما من الحامية الذين نزلوا به اول الدولة او اعيان المصر لان لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع اصنافهم بل اكثرهم ناشئ في الدولة فهم شيعة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم بالميل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو اثار الدولة السابقة فينقلهم من مصر الكرسي الى وطنها المتمكن في ملكتها فبعضهم على نوع التغريب والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى لا يبقى في مصر الكرسي الا الباعة والهمل من اهل الفلح والعيارة وسواد العامة وينزل مكانهم حاميتها واشياعها من تشتد به المصر واذا ذهب من مصر اعيانهم على طبقاتهم نقص ساكنه وهو بمعنى اختلال عمرانه ثم لا بد له من ان يستجد عمران اخر في ظل الدولة ويحصل فيه حضارة اخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من قدر على تغيير تلك الاوصاف واعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانيا وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي للملك وشاهدناه وعلمناه والله مقدر الليل والنهار والسبب الطبيعي الاول في ذلك على الجملة ان الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها وقد تقرر في علوم الحكمة انه لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع فتتعين السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة واذا كانا لا ينفكان فاختلال احدهما مؤثر في اختلال الاخر كما ان عدمه مؤثر في عدمه والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الفرس او الروم او العرب على العموم او بني امية او بني العباس كذلك واما الدولة الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك ابن مروان او الرشيد فاشخاصها متعاقبة على العمران حافظة لوجوده وبقائه وقريبة الشبه بعضها من بعض فلا تؤثر كبير اختلال لان الدولة بالحقيقة الفاعلة في مادة العمران انما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة مع اشخاص الدولة فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية اخرى مؤثرة في العمران فاذهبت اهل الشوكة باجمعهم وعظم الخلل كما قررناه اولا والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع

دون بعض وذلك انه من البين ان اعمال المصر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم البلوى به في المصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في المصر يكون غفلا اذ لا فائدة لمنتحله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك من ضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالخياط والحداد والنجار وامثالها وما يستدعي لعوائد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستبحرة في العمارة الاخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصائغ والدهان والطباخ والصفار والسفاج والهراس والدباغ وامثال هذه وهي متفاوتة وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي احوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فيوجد بذلك المصر دون غيره ومن هذا الباب الحمامات

لانها

لانها انما توجد في الامصار المستحضرة المستبحرة العمران لما يدعو اليه الترف والغنى من التنعم ولذلك لا يكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والرؤساء اليه فيختطها ويجري احوالها الا انها اذا لم يكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما يهجر ويخرب ويفر عنها القومة لقلة فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

فصل في وجود العصبية

في الامصار وتغلب بعضهم على بعض من البين ان الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قدمناه اضعف مما يكون بالنسب وانه تحصل به العصبية بعضا مما يحصل بالنسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا الى ان يكونوا لحما لحما وقرابة قرابة وتجد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله فيفترقون شيعا وعصائب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الملك عن القاصية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والنظر في حماية بلدهم ورجعوا الى الشورى وتميز العلية عن السفلة والنفوس بطباعها متطاولة الى الغلب والرياسة فيطمح المشيخة لخلاء الجو من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وينازع كل صاحبه ويستوصلون بالاتباع من الموالي والشيع والاحلاف ويبذلون ما في ايديهم للاوغاد والاوشاب فيعصوصب كل لصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكفائه ليقص من اعنتهم ويتتبعهم بالقتل او التغريب حتى يخضد منهم الشوكات النافذة ويقلم الاظفار الخادشة ويستبد بمصره اجمع ويرى انه قد استحدث ملكا يورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الاصغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعاظم اصحاب القبائل والعشائر والعصبيات والزحوف والحروب والاقطار والممالك فينتحلون من الجلوس على السرير واتخاذ الالة واعداد المواكب للسير في اقطار البلد والتختم والتحية والخطاب بالتهويل ما يسخر منه من يشاهد احواله لما انتحلوه من شارات الملك التي ليسوا لها باهل انما دفعهم الى ذلك تقلص الدولة والتحام بعض القرابات حتى صارت عصبية وقد يتنزه بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السذاجة فرارا من التعريض بنفسه للسخرية والعبث وقد وقع هذا بافريقية لهذا العهد في اخر الدولة الحفصية لاهل بلاد الجريد من طرابلس وقابس وتوزر ونفطة وقفصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سموا الى مثلها عند تقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلوا على امصارهم واستبدوا بامرها على الدولة في الاحكام والجباية واعطوا طاعة معروفة وصفقة ممرضة واقطعوها جانبا من الملاينة والملاطفة والانقياد وهم بمعزل عنه واورثوا ذلك اعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاعقاب الملوك وخلفهم ونظموا انفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقة وقد كان مثل ذلك وقع في اخر الدولة الصنهاجية واستقل بامصار الجريد اهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المومن بن علي ونقلهم كلهم من اماراتهم بها الى المغرب ومحا من تلك البلاد اثارهم كما نذكر في اخباره وكذلك وقع بسبتة لاخر دولة بني عبد المومن وهذا التغلب يكون غالبا في اهل السروات والبيوتات المرشحين للمشيخة والرياسة في المصر وقد يحدث التغلب لبعض السفلة من الدهماء والغوغاء اذا حصلت له العصبية والالتحام بالاوغاد لاسباب يجرها له المقدار فيتغلب على المشيخة والعلية اذا كانوا فاقدين للعصابة والله سبحانه وتعالى غالب على امره

ع
لك
استيلاء

فصل في لغات اهل الامصار

ولهذا العهد

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجيل الغالبين عليها او المختطين لها ولذلك
كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب عربية وان كان اللسان العربي المضري
قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم
والدين والملة صورة للوجود وللملك وكلها مواد له والصورة مقدمة على المادة والدين انما
يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب لما ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى
اللسان العربي من الالسن في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهي عمر رضي الله تعالى عنه عن بطانة
الاعاجم وقال انها خب يعني مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاعجمية وكان لسان القائمين
بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه
فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم
والسنتهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في
جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنة الاعجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان
العربي بمخالطتها في بعض احكامه وتغير اواخره وان كان بقي في الدلالة على اصله
وسمي لسانا حضريا في جميع امصار الاسلام وايضا فاكثر اهل الامصار في الملة لهذا
العهد من اعقاب العرب المالكين لها الهالكين في ترفها بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا ارضهم
وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة الاعقاب على حيال لغة الاباء وان فسدت
احكامها بمخالطة الاعاجم شيئا فشيئا وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى اهل الحواضر والامصار
بخلاف لغة البدو من العرب فانها كانت اعرق في العروبية ولما تملك العجم من الديلم
والسلجوقية بعدهم بالمشرق وزناتة والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع
الممالك الاسلامية فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية
المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجحا لبقاء اللغة العربية
بالامصار عربية فلما ملك التتر والمغل بالمشرق ولم يكونوا على دين الاسلام ذهب ذلك المرجح
وفسدت اللغة العربية على الاطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية بالعراق وخراسان
وبلاد فارس وارض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت اساليب
اللغة العربية من الشعر والكلام الا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالقوانين المتدارسة من
علوم العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك وربما بقيت اللغة العربية الحضرية بمصر
والشام والاندلس والمغرب لبقاء الدين طلبا لها فانحفظت بعض الشيء واما في ممالك العراق
وما وراءه فلم يبق له اثر ولا عين حتى ان كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه
في المجالس والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه من الكسب

والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل **فصل** في حقيقة الرزق
والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية اعلم ان الانسان مفتقر بالطبع الى
ما يقوته ويمونه في حالاته واطواره من لدن نشوئه الى اشده الى كبره والله الغني وانتم الفقراء
والله سبحانه وتعالى خلق جميع ما في العالم للانسان وامتن به عليه في غير ما اية من كتابه فقال
خلق لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وسخر لكم الشمس والقمر وسخر لكم البحر وسخر لكم

الفلك

الفلك وسخر لكم الانعام وكثيرا من شواهده ويد الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله
له من الاستخلاف وايدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الاخر
الا بعوض فالانسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق
ما اتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعواض عنها قال تعالى فابتغوا عند
الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالمطر المصلح للزراعة وامثاله الا انها انما تكون
معينة ولا بد من سعيه معها كما ياتي فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت بمقدار الضرورة
والحاجة ورياشا ومتمولا ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل او المقتنى ان عادت منفعته
على العبد وحصلت له ثمرته من انفاقه في مصالحه وحاجاته سمي ذلك رزقا قال صلى الله
عليه وسلم انما لك من مالك ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وان لم ينتفع
به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى رزقا والمتملك منه حينئذ بسعي العبد وقدرته
يسمى كسبا وهذا مثل التراث فانه يسمى بالنسبة الى الهالك كسبا ولا يسمى رزقا اذ لم يحصل
له به منتفع وبالنسبة الى الوارثين متى انتفعوا به رزقا هذا حقيقة مسمى الرزق عند اهل
السنة وقد اشترط المعتزلة في تسميته رزقا واخرجوا المغصوبات والحرام كله عن ان
يسمى شيء منها رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر ويختص برحمته وهدايته
من يشاء ولهم في ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم ان الكسب انما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد
الى التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه قال تعالى
فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله تعالى والهامه فالكل من عند الله
فلا بد من الاعمال الانسانية في كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملا بنفسه مثل الصنائع فظاهر
وان كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانساني كما تراه والا لم
يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله تعالى خلق الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة
قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لاهل العالم في الغالب وان اقتني سواهما في بعض الاحيان
فانما هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالة الاسواق التي هما عنها بمعزل فهما اصل
المكاسب والقنية والذخيرة واذا تقرر هذا كله فاعلم ان ما يفيده الانسان ويقتنيه من المتمولات
ان كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله وهو القصد بالقنية اذ ليس هناك الا العمل
وليس بمقصود في نفسه للقنية وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرها مثل النجارة والحياكة
معهما الخشب والغزل الا ان العمل فيهما اكثر فقيمته اكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد
في قيمته ذلك المفاد والقنية من دخول قيمة العمل الذي حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل
قنيتها وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فيجعل له حصة من القيمة عظمت او صغرت
وقد تخفى ملاحظة العمل كما في اسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها
ملاحظة في اسعار الحبوب كما قدمناه لكنه خفي في الاقطار التي علاج الفلح فيها ومؤنته يسيرة فلا
يشعر به الا القليل من اهل الفلح فقد تبين ان المفادات والمكتسبات كلها او اكثرها انما هي قيم الاعمال
الانسانية وتبين معنى الرزق وانه المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما
واعلم انه اذا فقدت الاعمال او قلت بانتقاص العمران تاذن الله برفع الكسب الا ترى الى الامصار
القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها او يفقد لقلة الاعمال الانسانية وكذلك الامصار
التي تكون اعمالها اكثر يكون اهلها اوسع احوالا واشد رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب

كذا

عمال

تغور العامة في البلاد اذا انتقص عمرانها فقد ذهب رزقها حتى ان العيون والانهار ينقطع جريها في القفر لما ان فور العيون انما يكون بالانباط والامتراء الذي هو بالعمل الانساني كالحال في ضروع الانعام فما لم يكن انباط ولا امتراء نضبت وغارت بالجملة كما يجف الضرع اذا ترك امتراؤه وانظره في البلاد التي تعهد فيها العيون لايام عمرانها ثم ياتي عليها الخراب كيف تغور مياهها جملة كان لم تكن والله مقدر الليل والنهار

فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وهو مفعل من العيش لانه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل الا بهذه جعلت موضعا له على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان يكون باخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرما وجباية واما ان يكون من الحيوان الوحشي باقتراسه واخذه برميه من البر او البحر ويسمى اصطيادا واما ان يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الانعام والحرير من دوده والعسل من نحله او يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه واعداده لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلحا واما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية اما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة وخياطة وحياكة وفروسية وامثال ذلك او في مواد غير معينة وهي جميع الامتهانات والتصرفات واما ان يكون الكسب من البضائع واعدادها للاعواض اما بالتقلب بها في البلاد او احتكارها وارتقاب حوالة الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجوه المعاش واصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب والحكمة كالحريري وغيره قال المعاش امارة وتجارة وفلاحة وصناعة فاما الامارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شيء من احوال الجبايات السلطانية واهلها في الفصل الثاني واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش اما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظر ولا الى علم ولهذا تنسب في الخليقة الى آدم ابي البشر وانه معلمها والقائم عليها اشارة الى انها اقدم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة واما الصنائع فهي ثانيتها ومتاخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والانظار ولهذا لا توجد غالبا الا في اهل الحضر الذي هو متاخر عن البدو وثان عنه ومن هذا نسبت الى ادريس الاب الثاني للخليقة فانه مستنبطها لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى واما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالاكثر من طرقها ومذاهبها انما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء او البيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة ولذلك اباح الشرع فيه المكاسبة لما انه من باب المقامرة الا انه ليس اخذ المال من الغير مجانا فلهذا اختص بالمشروعية

فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي

اعلم ان السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر ابواب الامارة والملك الذي هو بسبيله من الجندي والشرطي والكاتب ويستكفي في كل باب بمن يعلم غناءه فيه ويتكفل بارزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والملك الاعظم هو ينبوع جداولهم واما دون ذلك من الخدمة فسببها ان اكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته او يكون عاجزا عنها لما ربي عليه من خلق التنعم والترف فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه

عليه

عليه اجرا من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولة الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ولانها تزيد في الوظائف وتدل على العجز والخنث الذي ينبغي في مذاهب الرجولة التنزه عنهما الا ان العوائد تقلب طباع الانسان الى مألوفها فهو ابن عوائده لا ابن نسبه ومع ذلك فالخديم الذي يستكفى به ويوثق بغنائه كالمفقود اذ الخديم القائم بذلك لا يعدو اربع حالات اما مضطلع بامره ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس في احداهما فقط مثل ان يكون مضطلعا غير موثوق او موثوقا غير مضطلع فاما الاول هو المضطلع الموثوق فلا يمكن احدا استعماله بوجه اذ هو باضطلاعه وثقته غني عن اهل الرتب الدنية ومحتقر لمنال الاجر من الخدمة لاقتداره على اكثر من ذلك فلا يستعمله الا الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما الصنف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي لعاقل استعماله لانه يجحف بمخدومه في الامرين معا فيضيع عليه بعدم الاضطلاع تارة ويذهب ماله بالخيانة اخرى فهو كل على مولاه فهذان الصنفان لا يطمع احد في استعمالهما ولم يبق الا استعمال الصنفين الآخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللناس في الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجيحين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير موثوق ارجح لانه يؤمن من تضييعه ويحاول على التحرز من خيانته جهد الاستطاعة واما المضيع ولو كان مأمونا فضرره بالتضييع اكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذه قانونا في الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

فصل في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي اعلم ان كثيرا من ضعفاء العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال من الارض ويبتغون الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مختزنة كلها تحت الارض مختوم عليها كلها بطلاسم سحرية لا يفض ختامها ذلك الا من عثر على علمه واستحضر ما يحله من البخور والدعاء والقربان فاهل الامصار بافريقية يرون ان الافرنجة الذين كانوا قبل الاسلام بها دفنوا اموالهم كذلك واودعوها في الصحف بالكتاب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك في امم القبط والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه احاديث خرافة من انتهاء بعض الطالبين لذلك الى حفر موضع المال ممن لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خلوا او معمورا بالديدان او يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها منتضين سيوفهم او تميد به الارض حتى يظنه خسفا او مثل ذلك من الهذر ونجد كثيرا من طلبة البربر بالمغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي واسبابه يتقربون الى اهل الدنيا بالاوراق المتخرمة الحواشي اما بخطوط عجمية او بما ترجم بزعمهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء الامارات عليها في اماكنها يبتغون بذلك الرزق منهم بما يبعثونهم على الحفر والطلب ويموهون عليهم انما حملهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في مثل هذا من منال الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة او غريبة من الاعمال السحرية يموه بها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بمعزل عن السحر وطرقه فيولع الكثير من ضعفاء العقول بجمع الايدي على الاحتفار والتستر فيه بظلمات الليل مخافة الرقباء وعيون اهل الدول فاذا لم يعثروا على شيء ردوا ذلك على الجهل بالطلسم الذي ختم به على ذلك المال يخادعون به انفسهم على اخفاق مطامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة والفلح والصناعة فيطلبونه بالوجوه المنحرفة وعلى غير الوجه الطبيعي من هذا وامثاله عجزا

عن السعي في المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون انهم يوقعون انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب وجهد شديد اشد من الاول ويعرضون انفسهم مع ذلك لمنال العقوبات وربما يحمل في الاكثر على ذلك زيادة الترف وعوائده وخروجها عن حد النهاية حتى تقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا تفي بمطالبها فاذا عجز له الكسب بالمجرى الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة ليفي له ذلك بالعوائد التي حصل اسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا اكثر من تراهم يحرصون على ذلك هم المترفون من اهل الدولة ومن سكان الامصار الكثيرة الترف المتسعة الاحوال مثل مصر وما في معناه نجد الكثير منهم مغرمين بابتغاء ذلك ومسايلة الركبان عن شواذه كما يحرصون على الكيميا هكذا بلغنا عن اهل مصر في مفاوضة من يلقونه من طلبة المغاربة لعلهم يعثرون منه على دفين او كنز ويزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون ان غالب هذه الاموال الدفينة كلها في مجاري النيل وانه اعظم ما يستر دفينا او مختزنا في تلك الافاق ويموه عليهم اصحاب الدفاتر المفتعلة في الاعتذار عن الوصول اليها بجرية النيل تسترا بذلك حتى يحصل على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على نضوب الماء بالاعمال السحرية ليحصل ما ابتغاه من هذه كلفا بشان السحر متوارثا في ذلك القطر عن اوليهم فعلومهم السحرية واثارها باقية بارضهم في البرابي وغيرها وقصة سحرة فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل المغرب قصيدة ينسبونها الى حكما المشرق تعطي فيها كيفية العمل بالتغوير بصناعة سحرية حسبما تراه فيها وهي هذه

يا طالبا للسر في التغوير * اسمع كلام الصدق من خبير *
دع عنك ما قد صنفوا في كتبهم * من قول بهتان ولفظ زور *
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي * ان كنت ممن لا يرى بالزور *
فاذا اردت تغور البير التي * حارت لها الاوهام في التدبير *
صور كصورتك التي اوقفتها * والراس راس الشبل في التغوير *
ويداه ماسكتان للحبل الذي * في الدلو ينشل من قرار البير *
ويطا على الطاآت غير ملامس * مشي اللبيب الكيس النحرير *
ويكون حول الكل خط دائر * تربيعه اولى من التكوير *
واذبح عليه الطير والطخه به * واقصد عقيب الذبح بالتبخير *
بالسندروس وباللبان وميعة * والقسط والبسه بثوب حرير *
من احمر او اصفر لا ازرق * لا اخضر فيه ولا تكدير *
ويشده خيطان صوف ابيض * او احمر من خالص التحمير *
والطالع الاسد الذي قد بينوا * ويكون بدر الشهر غير منير *
والبدر متصل بسعد عطارد * في يوم سبت ساعة التدبير *

يعني ان تكون الطاآت بين قدميه كانه يمشي عليها وعندي ان هذه القصيدة من تمويهات المتحذلقين فلهم في ذلك احوال غريبة واصطلاحات عجيبة وتنتهي الحرفة والكذب بهم الى ان يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة بمثل هذه ويحتفرون الحفر ويضعون المطابق فيها والشواهد التي يكتبونها في صحايف كذبهم ثم يقصدون ضعفاء العقول

بامثال هذه الصحايف ويبعثونه على اكترا ذلك وسكناه ويوهمونه ان به دفينا من المال لا يعبر عن كثرته ويطالبونه بالمال لاشترا العقاقير والبخورات لحل الطلاسم ويعدونه بظهور الشواهد التي قد اعدوها هنالك بانفسهم ومن فعلهم فينبعث لما يراه من ذلك وهو قد خدع ولبس عليه من حيث لا يشعر وبينهم في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون به عليهم ليخفى عليهم عند محاورتهم فيما يتناولونه من حفر وبخور وذبح حيوان وامثال ذلك واما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا اصل له في علم ولا في خبر واعلم ان الكنوز وان كانت توجد لكنها في حكم النادر وعلى وجه الاتفاق لا على وجه القصد اليها وليس ذلك بامر تعم به البلوى حتى يدخر الناس غالبا اموالهم تحت الارض ويختمون عليها بالطلاسم لا في القديم ولا في الحديث والركاز الذي ورد في الحديث وفرضه الفقها وهو دفين الجاهلية انما يوجد بالعثور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضا فمن اختزن ماله وختم عليه بالاعمال السحرية فقد بالغ في اخفايه فكيف ينصب عليه الادلة والامارات لمن يبتغيه ويكتب ذلك في الصحايف حتى يطلع على ذخيرته اهل الاعصار والافاق هذا يناقض قصد الاخفا وايضا فافعال العقلا لا بد وان تكون لغرض مقصود في الانتفاع ومن اختزن المال فانه يختزنه لولده او قريبه او من يؤثره واما ان يقصد اخفاءه بالكلية عن كل احد وانما هو للبلا والهلاك او لمن لا يعرفه بالكلية ممن سياتي من الامم فليس هذا من مقاصد العقلا بوجه واما قولهم اين اموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم ان الاموال من الذهب والفضة والجواهر والامتعة انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وساير العقارات والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بايدي الناس فهو متناقل متوارث وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى دولة اخرى بحسب اغراضه والعمران الذي يستدعي له فان نقص المال في المغرب وافريقية فلم ينقص في بلاد الصقالبة والفرنجة وان نقص في مصر والشام فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الالات والمكاسب والعمران يوفرها او ينقصها مع ان المعادن يدركها البلا كما يدرك ساير الموجودات ويسرع الى اللولؤ والجوهر اعظم مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلا والفنا ما يذهب باعيانها لاقرب وقت واما ما وقع في مصر من امر المطالب والكنوز فسببه ان مصر في ملكة القبط منذ الفين او يزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجوهر واللالي على مذهب من تقدم من اهل الدول فلما انقرضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نقروا عن ذلك في قبورهم وكشفوا عنه فاخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالاهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعثر على الدفين فيها في كثير من الاوقات اما ما يدفنونه من اموالهم او ما يكرمون به موتاهم في الدفن من اوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ الاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذا عني اهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى انهم حين ضربت المكوس على الاصناف اخر الدولة ضربت على اهل المطالب وصارت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحمقا والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون من اهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والزعم باستخراجه وما حصلوا الا على الخيبة في جميع

في جميع مساعيهم نعوذ بالله من الخسران فيحتاج من دفع الجهد في هذا الوسواس او ابتلي به ان يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات والكاذب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير حساب

فصل في ان الجاه مفيد للمال

وذلك انا نجد صاحب المال والحظوة في جميع اصناف المعاش اكثر يسارا وثروة من فاقد الجاه والسبب في ذلك ان صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يتقرب بها اليه في سبيل التزلف والحاجة الى جاهه فالناس معينون له باعمالهم في جميع حاجاته من ضروري او حاجي او كمالي فتحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شانه ان تبذل فيه الاعواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتتوفر قيم تلك الاعمال احد اسباب المعاش كما قدمناه وفاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره الا بمقدار ماله وعلى نسبة سعيه وهؤلاء هم اكثر التجار ولهذا تجد اهل الجاه منهم يكونون ايسر بكثير ومما يشهد لذلك انا نجد كثيرا من الفقهاء واهل الدين والعبادة اذا اشتهر حسن الظن بهم واعتقد الجمهور معاملة الله في ارفادهم فاخلص الناس في اعانتهم على احوال دنياهم والاعتمال في مصالحهم اسرعت اليهم الثروة واصبحوا مياسير من غير مال مقتنى الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم راينا من ذلك اعدادا في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجر وهو قاعد بمنزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتاثل الغنى من غير سعي ويعجب من لا يفطن لهذا السر في حال ثروته واسباب غناه وتبيانه والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء وهو القوي العزيز

فصل

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالبا لاهل الخضوع والتملق وان هذا الخلق من اسباب السعادة قد سبق لنا فيما سلف ان الكسب الذي يستفيده البشر انما هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عاطلا عن العمل جملة لكان فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى نسبة ذلك يكون نمو كسبه او نقصانه وقد بينا ايضا ان الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس باعمالهم واموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل او مال عوضا عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح او طالح وتصير تلك الاعمال في كسبه وقيمها اموال وثروة له فيستفيد الغنى واليسار لاقرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفل الى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين ابناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خليقته بما ينتظم معاشهم وتتيسر مصالحهم ويتم بقاؤهم لان النوع الانساني لما كان لا يتم وجوده الا بالتعاون وانه وان ندر ذلك في صورة مفروضة فلا يصح بقاؤه ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان افعالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع فقد يمتنع من المعاونة فيتعين حمله عليها فلا بد من حامل يكره ابناء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون فقد تبين ان معنى الجاه هو القدرة الحاصلة للبشر على التصرف فيمن تحت ايديهم من ابناء جنسهم بالاذن والمنع والتسليط بالقهر والغلبة ليحملهم على

دفع

دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل باحكام الشرائع والسياسة وعلى اغراضه فيما سوى ذلك لكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الالهي لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا يفوت الخير لذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم ثم ان كل طبقة من طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد هذا الجاه من اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كاسبه تصرفا فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه مع ذلك داخل على الناس في جميع ابواب المعاش ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاه متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقا او قليلا فمثله وفاقد الجاه ولو كان له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله او ماله وعلى نسبة سعيه ذاهبا وجائيا في تنميته كاكثر التجار واهل الفلاحة في الغالب واهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصروا على فوائد صنائعهم فانهم يصيرون الى الفقر والخصاصة في الاكثر ولا يسرع اليهم ثروة وانما يرمقون العيش ترميقا ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة واذا تقرر ذلك وان الجاه متفرع وان السعادة والخير مقترنان بحصوله علمت ان بذله وافادته من اعظم النعم واجلها وان باذله من اجل المنعمين وانما يبذله لمن تحت يده فيكون بذله بيد عالية وعزة فيحتاج طالبه ومبتغيه الى الخضوع والتملق والا فيتعذر حصوله فلذلك قلنا ان الخضوع والتملق من اسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وان اكثر اهل الثروة والسعادة بهذا التملق ولهذا نجد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشمم لا يحصل لهم غرض من الجاه فيقتصرون في التكسب على اعمالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة واعلم ان هذا الكبر والترفع من الاخلاق المذمومة انما يحصل من توهم الكمال وان الناس يحتاجون الى بضاعته من علم او صناعة كالعالم المتبحر في علمه والكاتب المجيد في كتابته او الشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم ان الناس محتاجون الى ما بيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم اهل الانساب ممن كان في آبائه ملك او عالم مشهور او كامل في طور يعتزون بما راوه او سمعوه من حال آبائهم في المدينة ويتوهمون انهم استحقوا مثل ذلك بقرابتهم اليهم ووراثتهم عنهم فهم متمسكون في الحاضر بالمعدوم ومن الكمال وكذلك اهل الحيلة والبصر والتجارب بالامور قد يتوهم بعضهم كمالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه وتجد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب الجاه ولا يتملقون لمن هو اعلى منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس فيستنكف احدهم عن الخضوع ولو كان للملك ويعده مذلة وهوانا وسفها ويحاسب الناس في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء مما يتوهمه من ذلك وربما يدخل على نفسه الهموم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستمر في عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه واباية الناس له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع البشر من التاله وقل ان يسلم احد منهم لاحد في الكمال والترفع عليه الا ان يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقود له كما تبين لك مقته الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم وفقد الجاه لذلك من اهل الطبقة التي هي اعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر او فوق ذلك بقليل واما الثروة فلا تحصل له اصلا ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكامل في المعرفة محروم من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشيء يسر له والله المقدر لا رب سواه وقد يقع في الدول

ده

له

اضراب في المراتب من اهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء وانفرد منها منبت الملك بملكهم وسلطانهم ويئس سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له فاذا استمرت الدولة وشمخ الملك تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتمى الى خدمته وتقرب اليه بنصيحة واصطنعه السلطان لغنائه في كثير من مهماته فتجد كثيرا من السوقة يسعى في التقرب من السلطان بجده ونصحه ويتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتملق له ولحاشيته واهل نسبه حتى يرسخ قدمه معهم وينظمه السلطان في جملته فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة وينتظم في عدد اهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من ابناء قومها الذين ذللوا اصعابها ومهدوا اكنافها مغترون بما كان لابائهم في ذلك من الاثار تشمخ به نفوسهم على السلطان ويعتدون باثاره ويجرون في مضمار الدالة بسببه فيمقتهم السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع انما دابهم الخضوع له والتملق والاعتمال في غرضه متى ذهب اليه فيتسع جاههم وتعلو منازلهم وينصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم من قبل السلطان والمكانة عنده ويبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا بعدا من السلطان ومقتا وايثارا لهؤلاء المصطنعين عليهم الى ان تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدولة ومنه جاء شان المصطنعين في الغالب والله تعالى اعلم

فصل في ان القائمين بامور الدين

من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب والسبب لذلك ان الكسب كما قدمناه قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى فيه كانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة اليها اشد واهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص ممن اقبل على دينه وان احتيج الى الفتيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما يهتم باقامة مراسمهم صاحب الدولة بما له من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لا يساويهم باهل الشوكة ولا باهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل وهم ايضا لشرف بضائعهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لاهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم بمعزل عن ذلك فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب ولقد باحثت بعض الفضلاء فنكر ذلك علي فوقع بيدي اوراق مخرقة من حسابات الدواوين بدار المامون تشتمل على كثير من الدخل والخرج وكان فيما طالعت فيه ارزاق القضاة والائمة والمؤذنين فوقفته عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من اسرار الله في خليقته وحكمته في عوالمه والله الخالق المقدر

فصل في ان الفلاحة من معاش المستضعفين واهل العافية وذلك انه اصل

في

في الطبيعة ويتبسط في منحاه ولهذا لا تجده ينتحله احد من اهل الحضر في الغالب ولا من المترفين ويختص منتحله بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد راى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخله الذل وحمله البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالة الزرع او تجاوز الحد الذي امر به والسبب فيه والله اعلم ما يتبعها من المغرم المفضي الى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا بما تتناوله ايدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما اشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغرما للملوك والدول والله قادر على ما يشاء

فصل في معنى التجارة ومذاهبها

واصنافها **اعلم** ان معنى التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلعة بالرخص وبيعها بالغلاء اياما كانت السلعة من دقيق او زرع او حيوان او سلاح او قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا فالمحاولة لذلك الربح اما بان يختزن السلعة ويتحين بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة انا اعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة اشارة له بذلك الى المعنى الذي قررناه

فصل في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وايهم ينبغي له

اجتناب حرفها قد تقدم لنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة الاسواق او بنقلها الى بلد هي فيه انفق واغلى او بيعها بالغلاء على الاجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال يسير الا ان المال اذا كان كثيرا عظم الربح لان القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي اثمانها واهل النصفة قليل فلا بد من الغش والتطفيف المجحف بالبضائع ومن المطل في الاثمان المجحف بالربح لتعطيل المحاولة في تلك المدة وبها نماؤه ومن الجحود والانكار المسحت لراس المال ان لم يتقيد بالكتاب والشهادة وغناء الحكام في ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك احوالا صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح الا بعظيم العناء والمشقة او لا يحصل ويتلاشى راس ماله فان كان جريئا على الخصومة بصيرا بالحسبان شديد المماحكة مقداما على الحكام كان ذلك اقرب له الى النصفة بجراءته منهم ومماحكته والا فلا بد له من جاه يدرع به يوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافه من معامليه فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعا في الاول وكرها في الثاني واما من كان فاقد الجراءة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكام فينبغي له ان يجتنب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للذهاب والضياع ويصير ماكلة للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لان الناس في الغالب وخصوصا الرعاع والباعة شرهون الى ما في ايدي سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الاحكام اصبحت اموال الناس نهبا ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

فصل في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك والرؤساء بعيدة عن المروءة وذلك ان التجار في غالب احوالهم انما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة ضرورة فان اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهي اعني خلق

المكايسة بعيدة عن المروة التي تتخلق بها الملوك والاشراف واما ان استرذل خلقه بما يتبع ذلك
في اهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلابة وتعاهد الايمان الكاذبة على الاثمان
ردا وقبولا فاجدر بهذا الخلق ان يكون في غاية المذمة لما هو معروف ولذلك تجد اهل الرياسة
يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكتسب بهذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا
الخلق ويتحاماه بشرف نفسه وكرم جلاله الا انه في النادر بين الموجود والله يهدي من يشاء

فصل في نقل التاجر للسلع

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الا ما تعم الحاجة اليه من الغني والفقير والسلطان
والسوقة اذ في ذلك نفاق سلعته واما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد
يتعذر نفاق سلعته حينئذ باعواز الشراء على ذلك البعض لعارض من العوارض فيكسد سوقه
وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من صنفها فان العالي
من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس
اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليتحر ذلك جهده ففيه نفاق سلعته واكسادها
وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة او في شدة الخطر في الطرقات يكون اكثر فائدة
للتجار واعظم ارباحا واكفل بحوالة الاسواق لان المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد
مكانها او شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلت اثمانها
واما اذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها وترخص
اثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان ارفه الناس واكثرهم
اموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المسافة والمفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش
لا يوجد فيها الماء الا في اماكن معلومة يهتدي اليها ادلاء الركاب فلا يركب خطر هذا الطريق وبعده
الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم
فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك وكذلك المسافرون
من بلادنا الى المشرق لبعد الشقة ايضا واما المترددون في الافق الواحد ما بين امصاره
وبلدانه ففائدتهم قليلة وارباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقليها والله سبحانه وتعالى
هو الرزاق ذو القوة المتين

فصل في الاحتكار

ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الامصار ان احتكار الزرع لتحين اوقات الغلاء
مشؤوم وانه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لحاجتهم
الى الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا فتبقى النفوس متعلقة بها
وفي تعلق النفوس بما لها سر كبير في وباله على من ياخذه ولعله الذي اعتبره الشارع في اخذ
اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير
سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والماكولات من المبيعات لا اضطرار للناس اليها
وانما يبعثهم اليها التفنن في الشهوات فلا يبذلون اموالهم فيها الا باختيار وحرص ولا يبقى
لهم تعلق بما اعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما ياخذ
من اموالهم فيفسد ربحه والله تعالى اعلم وسمعت فيما يناسب هذا حكاية ظريفة

عن

عن مشيخة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الابلي قال حضرت عند القاضي بفاس لعهد السلطان
ابي سعيد وهو الفقيه ابو الحسن المليلي وقد عرض عليه ان يختار بعض الالقاب المخزنية لجرايته
قال فاطرق مليا ثم قال من مكس الخمر فاستضحك الحاضرون من اصحابه وعجبوا وسالوه عن حكمة
ذلك فقال اذا كانت الجبايات كلها حراما فاختار منها ما لا تتابعه نفس معطيه والخمر قل ان
يبذل فيها احد ماله الا وهو طرب مسرور بوجدانه غير اسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة
غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

فصل في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخيص

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدمناه انما هو بالصنائع او التجارة والتجارة هي شراء البضائع
والسلع وادخارها يتحين بها حوالة الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى ربحا ويحصل
منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائما فاذا استديم الرخص في سلعة او عرض من ماكول
او ملبوس او متمول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق فيه فسد الربح والنماء بطول
تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس اموالهم
واعتبر ذلك اولا بالزرع اذا استديم رخصه فانه يفسد حال المحترفين بسائر انواعه من الفلح
والزراعة لقلة الربح فيه وندارته او فقده فيفقدون النماء في اموالهم او يجدونه على قلة ويعودون
بالانفاق على رؤوس اموالهم وتفسد احوالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد
حال المحترفين ايضا بالطحن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرف الى صيرورته ماكولا ويفسد
حال الجند اذا كانت ارزاقهم من السلطان على اهل الفلح زرعا فانه تقل جبايتهم من ذلك ويعجزون
عن اقامة الجندية التي هم بسببها ومطالبون بها فتفسد احوالهم وكذا اذا استديم الرخص في
السكر والعسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا
استديم فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يجحف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا
الغلاء المفرط ايضا وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق وعلى
ذلك يرجع الى العوائد المتقررة بين اهل العمران وانما يحمد الرخص في الزرع من بين المبيعات
لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغني والفقير والعالة من الخلق هم الاكثر
في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجح جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله
الرزاق ذو القوة المتين

فصل في اي اصناف الناس ينتفع بالتجارة

وايهم ينبغي له تركها قد تقدم لنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها
بما على من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة الاسواق او نقلها الى بلد هي فيه انفق واغلى او بيعها
بالغلاء على الاجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال يسير الا ان المال اذا كان كثيرا عظم
الربح لان القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه التنمية الذي هو الربح من حصول هذا
المال بايدي الباعة في شراء البضائع وبيعها وتقاضي اثمانها واهل النصفة منهم قليل فلا بد من الغش
والتطفيف المجحف بالبضائع والمطل في الاثمان المجحف بالربح لتعطيل المحاولة في تلك المدة
وبها نماؤه ومن الجحود والانكار المجحف لراس المال ان لم يتقيد بالكتابة والشهادة وغنى الحكام
في ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك احوالا صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك
التافه من الربح الا بعظيم العناء والمشقة او لا يحصل او يتلاشى راس ماله فان كان جريئا على الخصومة

المماحكة

بصيرا بالحسبان شديد المماحكة مقداما على الحكام كان ذلك اقرب له الى النصفة منهم والا فلا بد له من جاه يدرع به فيوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافه من غرمائه فيحصل له بذلك النصفة في ماله منهم طوعا في الاول وكرها في الثاني واما من كان فاقدا للجراة والاقدام من نفسه وفاقد الجاه من الحكام فينبغي له ان يجتنب التجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير مأكلة للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لان الناس في الغالب متطلعون لما في ايدي الناس ولولا وازع الاحكام ما سلم لاحد شيء في يده وخصوصا الباعة وسفلة الناس ورعاعهم ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

فصل في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الروسا

وبعيدة عن المروة قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحكة وممارسة الخصومات واللجاج وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف تغض من الذكاء والمروة وتجرح فيها لان الافعال لا بد من عود اثارها على النفس فافعال الخير تعود باثار الخير والذكاء وافعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وتنقص من خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من اثارها المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة عن الافعال وتتفاوت هذه الاثار بتفاوت اصناف التجار في اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور محالفا لاشرار الباعة واهل الغش والخلابة والفجور في الايمان على البياعات والاثمان اقرارا وانكارا كانت رداءة تلك الخلق عنده اشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المروة واكتسابها بالجملة والا فلا بد له من المكايسة والمماحكة في مروته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل قبله انهم يدرعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر واقل من النادر وذلك ان يكون المال قد توجد عنده دفعة بنوع غريب او ورثه عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين اهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلائه وحشمه ويسهل لهم الحكام النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره واتحافه فيبعدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الافعال المقتضية لها كما مر فتكون مروتهم ارسخ وابعد عن تلك المحاجات الا ما يسري من اثار تلك الافعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون الى مشارفة احوال اولئك الوكلاء ووفاقهم او خلافهم فيما يأتون او يذرون من ذلك الا انه قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خلقكم وما تعملون

فصل في ان الصنائع لا بد لها من المعلم

اعلم ان الصناعة هي ملكة في امر عملي فكري ويكون عمليا جسمانيا محسوسا والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة اوعب لها واكمل لان المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة اتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعاينة اوعب واتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه اكمل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيطة ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته اولا ولانه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقا في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا ولا يزال

الفكر

الفكر يخرج اصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدريج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في ازمان واجيال اذ خروج الاشياء من القوة الى الفعل لا يكون دفعة ولا سيما في الامور الصناعية فلا بد له اذا من زمان ولهذا تجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الفعل والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

فصل في ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري

وكثرته والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضري وتتمدن المدينة انما همهم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها فاذا تمدنت المدينة وتزيدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه حينئذ الى الكمالات من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم انما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد يكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ وجودة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة واما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار او حداد او خياط او جزار او حائك واذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وانما يوجد منها بمقدار الضرورة اذ هي كلها وسائل الى غيرها وليست مقصودة لذاتها واذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع اخرى معها مما يدعو اليه عوائد الترف واحواله من جزار ودباغ وخراز وصائغ وامثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران ان يوجد فيها كثير من الكمالات ويتأنق فيها في الغاية ويكون من وجوه المعاش في المصر لمنتحلها بل تكون فائدتها اعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والطباخ والسماح والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صنعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فان هذه الصناعة انما يدعو اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك وقد يخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن اهل مصر ان فيهم من يعلم الطيور العجم والحمر الانسية ويتخيل اشياء من العجائب بايهام قلب الاعيان وتعليم الحداء والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الاثقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في ان رسوخ الصنائع في الامصار برسوخ الحضارة

وطول امدها والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد للعمران والالوان والعوائد انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال واذا استحكمت الصبغة عسر نزعها ولهذا فانا نجد في الامصار التي كانت استبحرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها اثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فانا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة واحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد امصارها كالمباني والطبخ واصناف الغناء واللهو من الالات والاوتار والرقص وتنضيد

الغزير في القصور وحسن الترتيب والاوضاع في البناء وصوغ الانية من المعادن والخزف وجميع المواعين واقامة الولايم والاعراس وساير الصنايع التي يدعوا اليها الترف وعوايده فنجدهم اقوم عليها وابصر بها ونجد صنايعها مستحكمة لديهم فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منهم لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدوة وما ذلك الا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدها من دولة الطوايف الى هلم فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر الا ما ينقل عن العراق والشام ومصر ايضا لطول اماد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنايع وكملت جميع اصنافها على الاستجادة والتنميق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه الى ان ينتقض بالكلية حال الصبغ اذا رسخ في الثوب وكذا ايضا حال تونس فيما حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استعمل لها ذلك من الصنايع في ساير الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا انه متضاعف برسوم منها ينتقل اليها من مصر لقرب المسافة بينهما وتردد المسافرين من قطرها الى قطر مصر في كل سنة وربما سكن اهلها هنالك عصورا فينقلون من عوايد ترفهم ومحكم صنايعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت احوالها في ذلك متشابهة من احوال مصر لما ذكرناه ومن احوال الاندلس لما ان اكثر ساكنها من شرق الاندلس حين الجلا لعهد الماية السابعة ورسخ فيها من ذلك الاحوال وان كان عمرانها ليس بمناسب لذلك لهذا العهد الا ان الصبغة اذا استحكمت فقليلا ما تحول الا بزوال محلها وكذا نجد بالقيروان ومراكش وقلعة بن حماد اثرا باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا او في حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه الصنايع اثارا تدله على ما كان بها كاثر الخط الممحو في الكتاب والله الخلاق العليم

فصل في ان الصنايع انما تستجاد وتكثر اذا كثر طالبها

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان الانسان لا يسمح بعمله ان يقع مجانا لانه كسبه ومنه معاشه اذ لا فايدة له في جميع عمره في شي مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النفاق كانت حينيذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع فيجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولم يوجد قصد الى تعلمها فاختصت بالترك وفقدت للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله تعالى عنه قيمة كل امرء ما يحسن بمعنى ان الصنايع هي قيمته اي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضا فهنا سر اخر وهو ان الصنايع واجادتها انما يطلبها غيرها من اهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها نفاق كل شي والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما نفق منها كان اكثريا ضرورة والسوقة وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم لعام ولا سوقهم بنافقة والله سبحانه وتعالى اعلم قادر على ما يشا

فصل في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنايع

وذلك لما بيناه من ان الصنايع انما تستجاد اذا احتيج اليها وكثر طالبها فاذا ضعفت احوال المصر واخذ في الهرم بانتقاص عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصار على الضروري من احوالهم فتقل الصنايع التي كانت من توابع الترف لان صاحبها

حينيذ

حينيذ لا يصح له بها معاشه فيفر الى غيرها او يموت ولا يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنايع جملة كما يذهب النقاشون والصواغون والكتاب والنساخ وامثالهم من الصنايع لحاجات الترف ولا تزال الصناعات في تناقص الى ان تضمحل والله الخلاق العليم سبحانه **فصل** في ان ابعد الناس عن الصنايع والسبب في ذلك انهم اعرق في البدو وابعد عن العمران الحضري وما يدعو اليه من الصنايع وغيرها والعجم من اهل المشرق وامم النصرانية عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لانهم اعرق في العمران الحضري وابعد عن البدو وعمرانه حتى الابل التي اعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها والرمال المهيئة لنتاجها ولهذا نجد اوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنايع بالجملة حتى يجلب اليه من قطر اخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند وارض الترك وامم النصرانية كيف استكثرت فيها الصنايع واستجلبها الامم من غيرهم وعجم المغرب من البربر بمثابة العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ احقاب من السنين ويشهد لك بذلك قلة الامصار بقطرهم كما قدمناه فالصنايع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والجلد في خرزه ودبغه فانهم لما استحضروا وبلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون هذين اغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة **واما** المشرق فقد رسخت الصنايع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من الفرس والنبط والقبط وبني اسرائيل ويونان والروم احقابا متطاولة فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن جملتها الصنايع كما قدمناه فلم يمح رسمها **واما** اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكها العرب الا انهم تداولوا ملكه الافا من السنين في امم كثيرين منهم واختطوا ايضا امصاره ومدنه وبلغوا المبالغ من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم والتبابعة والاذواء فطال امد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنايع ورسخت فلم تبل ببلى الدولة كما قلناه فبقيت مستجدة حتى الان واختصت بذلك الموطن بصناعة الوشي والعصب وما يستجاد من حوك الثياب والحرير والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين سبحانه وتعالى لا رب غيره

العرب

فصل في ان من حصلت له ملكة في صناعة فقل

ان يجيد بعدها ملكة اخرى ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها ورسخت في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة النجارة والبناء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها والسبب في ذلك ان الملكات صفات للنفس والوان فلا تزدحم دفعة ومن كان على الفطرة كان اسهل لقبول الملكات واحسن استعدادا لحصولها فاذا تلونت النفس بالملكة خرجت عن الفطرة وضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة الاخرى اضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان تجد صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها اخرى ويكون فيهما معا على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان اهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم واجادها في الغاية فقل ان يجيد ملكة علم اخر على نسبته بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومناسبة على ما ذكرناه من شان الاستعداد وتلوينه بلون الملكة الحاصلة في النفس والله اعلم

فصل في الاشارة الى امهات الصنايع

اعلم ان الصنايع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشذ عن
الحصر ولا ياخذها العدد الا ان منها ما هو ضروري في العمران او شريف بالموضوع فنخصهما
بالذكر ونترك ما سواهما فاما الضروري فالفلاحة والبنا والخياطة والنجارة والحياكة واما
الشريفة بالموضوع فكالتوليد والكتابة والوراقة والغنا والطب فاما التوليد فانها ضرورية
في العمران وعامة البلوى اذ بها تحصل حياة المولود ويتم غالبا وموضوعها مع ذلك المولودون
وامهاتهم واما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه
مع ذلك بدن الانسان واما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته
ومقيدة لها عن النسيان ومبلغة ضماير النفس الى البعيد الغايب ومخلدة نتايج الافكار والعلوم
في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني واما الغنا فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاسماع
وكل هذه الصنايع الثلاثة داع الى مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس انسهم فلها بذلك
شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنايع فتابعة وممتهنة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف
الاغراض والدواعي

فصل في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على اثارة الارض لها وازدراعها وعلاج
نباتها وتعهدها بالسقي والتنمية الى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه
واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه وهي اقدم الصنايع لما انها محصلة للقوت
المكمل لحياة الانسان غالبا الذي يمكن وجوده من دون جميع الاشيا الا من دون القوت ولهذا
اختصت هذه الصناعة لذلك بالبدو اذ لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها لان احوالهم كلها ثانية
عن البداوة فصنايعهم ثانية عن صنايعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد فيما اراد

فصل في صناعة البنا

هذه الصناعة اول صنايع العمران الحضري واقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت
والمنازل للسكن والماوى والمدن وذلك ان الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله
لابد ان يفكر فيما يدفع عنه اذى الحر والبرد باتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من ساير
جهاتها والبشر مختلفة في هذه الجبلة الفكرية فمنهم المعتدلون فيها فيتخذون ذلك باعتدال
الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس واما اهل السنة فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور
افكارهم عن ادراك الصنايع الانسانية فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج ثم المعتدلون
المتخذون للماوى قد يتكاثرون في البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشون
طروق بعضهم بعضا لحفظ مجتمعهم بادارة الاسوار التي تحوطهم ويحوطهم الحكام من داخل
يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الانتصار ويتخذون المعاقل والحصون لهم ولمن تحت
ايديهم مثل الملوك ومن في معناهم من الامرا وكبار القبايل في المدن كل مدينة على ما يتعارفونه
ويصطلحون عليه ويناسب مزاج هوايهم واختلاف احوالهم في الغنا والفقر وكذا حال اهل
المدينة الواحدة فمنهم من يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور
والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها
بالكلس ويعالي عليها بالجص ويبالغ في كل ذلك بالتنجيد والتنميق اظهارا للبسطة في العناية

بشان

بشان الماوى وهي مع ذلك الاسراب والمطامير لاختزان اقواته والاصطبلات لربط مقرباته ان كان
من اهل الجنود وكثرة التابع والحاشية كالامرا ومن في معناهم ومنهم من يبني الدويرة والبيوت
لنفسه وسكنه وولده لا يبتغي ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقتصاره على الكن الطبيعي للبشر
وبين ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج الى هذه الصناعة ايضا عند تاسيس الملوك واهل الدول
المدن العظيمة والهياكل المرتفعة ويبالغون في اتقان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ
الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك واكثر ما تكون هذه الصناعة
في الاقاليم المعتدلة من الرابع وما حواليه اذ الاقاليم المنحرفة لا بنا فيها وانما يتخذون البيوت
حظاير من القصب والطين وانما يوجد في الاقاليم المعتدلة واهل هذه الصناعة القايمون
عليها متفاوتون فمنهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي تتنوع انواعا كثيرة فمنها البنا بالحجارة
المنجدة يقام بها الجدران ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويلتحم كانها
جسم واحد ومنها البنا بالتراب خاصة يتخذ له لوحان من الخشب مقداران طولا وعرضا باختلاف
العادات في التقدير واوسطه اربعة اذرع في ذراعين فينصبان على اساس وقد بوعد ما بينهما بما
يراه صاحب البنا في عرض الاساس ويوصل بينهما باذرع من خشب يربط عليها بالحبال والجدل
ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلا بينهما بلوحين اخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب
مختلطا بالكلس ويركز بالمراكز المعدة لذلك حتى ينعم ركزه ويختلط اجزاوه بالكلس ثم
يزاد التراب ثانيا وثالثا الى ان يمتلي ذلك الخلا بين اللوحين وقد تداخلت اجزا الكلس والتراب
وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة ويركز كذلك الى ان يتم وتنتظم الالواح
كلها سطرا من فوق سطر الى ان ينتظم الحايط كله ملتحما كانه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه
الطواب ومن صنايع البنا ايضا ان تجلل الحيطان بالكلس بعد ان يحل بالما ويخمر اسبوعا او اسبوعين
على قدر ما يعتدل مزاجه عن افراط النارية المفسدة للالحام فاذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه
من فوق الحايط وذلك الى ان يلتحم ومن صنايع البنا عمل السقف بان يمد الخشب المحكمة النجارة
او الساذجة على حايطي البيت ومن فوقها الالواح كذلك موصولة بالدساتر ويصب عليها التراب
والكلس ويبسط بالمراكز حتى تتداخل اجزاوهما وتلتحم ويعالي عليه الكلس كما يعالى على الحايط ومن
صناعة البنا ما يرجع الى التنميق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الاشكال المجسمة
من الجص يعقد بالما ثم يرفع مجمدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريما بمثاقب الحديد
الى ان يبقى له رونق ورواء وربما عولي على الحيطان ايضا بقطع الرخام والاجر والخزف
والصدف او السبج يفصل اجزاء متجانسة او مختلفة وتوضع في الكلس على نسب واوضاع مقدرة
عندهم يبدو به الحايط للعيان كانه قطع الرياض المنمنمة الى غير ذلك من بناء الجباب والصهاريج
لسيح الما بعد ان تعد في البيوت قطاع الرخام القوراء المحكمة الخرط بالفوهات في وسطها لنبع
الما الجاري الى الصهريج يجلب اليها من خارج في القنوات المفضية الى البيوت وامثال ذلك من
انواع البنا وتختلف الصنايع في جميع ذلك باختلاف الحذق والبصر ويعظم عمران المدينة
ويتسع فيكثرون وربما يرجع الحكام الى نظرهم فيما يعم الضرورية من احوال البنا وذلك ان
الناس في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضا والهوا الاعلى والاسفل
ومن الانتفاع بظاهر البنا مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من ذلك الا ما كان
له فيه حق ويختلفون ايضا في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات المسربة

في القنوات وربما يدعي بعضهم حق بعض في حائطه او علوه او قناته لتضايق الجوار ويدعي بعض على
جاره اعتلال حائطه وخشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره على جاره عند
من يراه او يحتاج الى قسمة دار او عرصة بين شريكين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا اهمال
لمنفعتها وامثال ذلك ويخفى جميع ذلك الا على اهل البصر العارفين بالبناء واحواله المستدلين
عليها بالمعاقد ومراكز الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة اوضاعها
ومنافعها وتسريب المياه في القنوات مجلوبة ومدفوعة بحيث لا تضر بما مرت عليه من البيوت
والحيطان وغير ذلك فلهم بذلك البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة
وفي الاجيال باعتبار الدول وقوتها فانا قدمنا ان الصنائع وكمالها انما هو بكمال الحضارة
وكثرتها بكثرة الطالب لها فلذلك عندما تكون الدولة بدوية في اول امرها تفتقر في امر البناء
الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين اجمع بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام
فبعث الى ملك الروم بالقسطنطينية في الفعلة المهرة في البناء فبعث اليه منهم من حصل له غرضه
من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل تسوية الحيطان بالوزن
واجراء المياه باخذ الارتفاع وامثال ذلك فيحتاج الى البصر بشيء من مسائله وكذلك في جر
الاثقال بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة تعجز قدر الفعلة عن رفعها
الى مكانها من الحائط فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الحبل بادخاله في المعالق من اثقال مقدرة
على نسب هندسية يصير الثقيل عند معاناة الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلفة وهذا
انما يتم باصول هندسية معروفة متداولة بين البشر وبمثلها كان بناء الهياكل الماثلة لهذا
العهد التي يحسب الناس انها من بناء الجاهلية وان ابدانهم كانت على نسبتها في عظم الجسمان
وليس كذلك وانما تم لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه فتفهم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

فصل في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل
للادمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته او حاجاته وكان منها الشجر فان له
فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها خشبا اذا يبست واول
منافع الخشب ان يكون وقودا للنيران في معاشهم وعصيا للاتكاء والذود وغيرهما من ضروراتهم
ودعائم لما يخشى ميله من اثقالهم ثم بعد ذلك منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل
البدو فيتخذون منها العمد والاوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسي والسهام
للسلاح واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاغلاق لابوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة
من هذه فالخشبة مادة لها ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة المتكفلة بذلك
المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب
اولا اما بخشب اصغر منه او بالواح ثم تركيب تلك الفضائل بحسب الصورة المطلوبة فهو في كل ذلك
يحاول بصنعته اعداد تلك الفضائل بالانتظام الى ان يصير اعضاء لذلك الشكل المخصوص والقائم
على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتانق
الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف او باب او كرسي او ماعون حدث التانق في صناعة
ذلك واستجادته بغرائب من الصنعة كمالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الابواب

والكراسي

والكراسي ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخرط يحكم بريها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب
مقدرة وتلحم بالدسائر فتبدو للعين ملحمة وقد اخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب
يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجيء انق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الالات
المتخذة من الخشب من اي نوع كانت وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في انشاء السفن البحرية ذات الالواح ح
والدسر وهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه في الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل
اعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح وربما اعينت
بحركة المقاديف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى اصل كبير من الهندسة في جميع
اصنافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب في المقادير
لابد من الرجوع الى المهندس ولهذا كان ايمة الهندسة اليونانيين كلهم ايمة في هذه الصناعة فكان
اوقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة نجارا وبها كان يعرف وكذلك ابلونيوس صاحب كتاب المخروطات
وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه الصلاة والسلام
وبها انشا سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكنا اعني
كونه نجارا الا ان كونه اول من عملها لا دليل يقوم عليه لبعد الاماد وانما معناه الاشارة الى قدم
النجارة لانه لم يصح حكايتها عنها قبل خبر نوح عليه السلام فجعل كانه اول من تعلمها فتفهم اسرار
الصنائع في الخليقة والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في صناعة الخياطة والحياكة

هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج اليه البشر من الدفء فالاولى لنسج الغزل
من الصوف والقطن سدى في الطول والحاما في العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد
فيتم قطعة مقدرة فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس
والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل اولا بالمقراض
قطعا مناسبة للاعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا او حبكا او تسبيكا
او تستغنون عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالا وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها
بالخياطة للناس من مذاهب الحضارة وفنونها وتفهم هذا في سر تحريم المخيط في الحج لما ان
مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا اول
مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشيء من عوائد ترفه ولا نساء ولا مخيطا ولا خفاء ولا تعرض لصيد لاطباعي
ولا لشيء من عوائده التي تلونت بها نفسه وخلقه مع انه يفقدها بالموت ضرورة وانما يجي
كانه وارد الى المحشر ضارعا بقلبه مخلصا لربه وكان جزاؤه ان تم له اخلاصه في ذلك ان
يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه سبحانك ما ارفق بعبادك وارحمك بهم في طلب هدايتهم
اليك وهاتان الصناعتان قديمتان في الخليقة لما ان الدفء ضروري للبشر في العمران المعتدل
واما المنحرف الى الحر فلا يحتاج اهله الى دفء ولهذا يبلغنا عن اهل الاقليم الاول من
السودان انهم عراة في الغالب ولقدم هذه الصنائع ينسبها العامة الى ادريس عليه
الصلاة والسلام وهو اقدم الانبياء وربما ينسبونها الى هرمس وقد يقال ان هرمس هو
ادريس والله سبحانه اعلم

فصل في صناعة التوليد

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الادمي من بطن امه من الرفق في اخراجه من رحمها وتهيئة اسباب ذلك ثم ما يصلحه بعد الخروج على ما يذكر وهي مختصة بالنسا في غالب الامر لما انهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسمى القايمة منهن على ذلك القابلة استعير فيه معنى الاعطا والقبول كان النفسا تعطيها الجنين وكانها تقبله وذلك اذا استكمل خلقه في الرحم واطواره وبلغ الى غايته والمدة التي قدر الله لمكثه وهي تسعة اشهر في الغالب فيطلب الخروج بما جعل الله فيه من النزوع لذلك ويضيق عليه المنفذ فيعسر وربما مزق جوانب الفرج وربما انقطع بعض ما كان في الاغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم وكلا الامرين ه وكلها الام يشتد لها الوجع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض الشي بغمز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من الاسافل يساوق بذلك فعل الدافعة في اخراج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حتى كان يتغذى منها متصلة من سرته بمعاه وتلك الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة بحيث لا تتعدى مكان الفضلة ولا تضر بمعاه ولا برحم امه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي او بما تراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه في ذلك المنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانثناء فربما تتغير اشكال اعضايه واوضاعها لقرب التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز والاصلاح ثم يرجع كل عضو الى شكله الطبيعي ووضعه المقدر له ويرتد خلقه سويا ثم بعد ذلك تراجع النفسا وتحاذيها بالغمز والملاينة لخروج اغشية الجنين لانها ربما تتاخر عن خروجه قليلا وتخشى عند ذلك ان تراجع الماسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الاغشية وهي فضلات فتتعفن ويسري عفنها الى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان تخرج تلك الاغشية وهي فضلات فتتعفن فيسري عفنها الى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان تخرج تلك الاغشية ان كانت قد تاخرت ثم ترجع الى المولود فتمرخ اعضاءه بالادهان والذرور القابضة لتشده وتجفف رطوبات الرحم وتحنكه لرفع لهاته وتسعطه لاستفراغ بطون دماغه وتغرغره باللعوق لدفع السدد من معاه وتجويفها عن الالتصاق ثم تداوي النفسا بعد ذلك من الوهن الذي اصابها بالطلق وما لحق رحمها من الم الانفصال اذ المولود ان لم يكن عضوا طبيعيا فحالة التكوين في الرحم صيرته بالالتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله الم يقرب من الم القطع وتداوي مع ذلك ما يلحق الفرج من جراحة التمزيق عند الضغط في الخروج وهذه كلها ادوا نجد هولاء القوابل ابصر بدوايها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من ادواء في بدنه الى حين انفصاله نجدهن ابصر بها من الطبيب الماهر وما ذلك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة انما هو بدن انساني بالقوة فقط فاذا جاوز الفصال صار بدنا انسانيا بالفعل فصارت حاجته حينئذ الى الطبيب اشد فقد يعرض لبعض اشخاص النوع الاستغنا عن هذه الصناعة اما بخلق الله لهم معجزة وخرقا للعادة كما في حق الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم او بالهام وهداية يلهم بها المولود ويفطر عليها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة فاما شان المعجزة من ذلك فقد وقع كثيرا ومنه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع مختونا مسرورا واضعا يديه على الارض شاخصا ببصره الى السماء وكذلك شان عيسى في المهد وغير ذلك واما شان الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص بغرايب من الالهامات كالنحل

وغيرها

كالنحل وغيرها فما ظنك بالانسان المفضل عليها وخصوصا بمن اختص بكرامة الله ثم الالهام العام للمولودين في الاقبال على الثدي اوضح شاهد على وجود الالهام العام لهم فشان العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن هنا يفهم بطلان راي الفارابي وحكما الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات وخصوصا في النوع الانساني وقالوا لو انقطعت اشخاصه لاستحال وجودها بعد ذلك لتوقفه على وجود هذه الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفالتها الى حين الانفصال لم يتم بقاوه اصلا ووجود الصنايع دون الفكر ممتنع لانها ثمرته وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الراي لمخا لفته اياه وذهابه الى امكان انقطاع الانواع وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانية لاقتضاءات فلكية واوضاع غريبة تندر في الاحقاب بزعمه فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا ثم يقيض له حيوان يخلق فيه الهام لتربيته والحنو عليه الى ان يتم وجوده وفصاله واطنب في بيان ذلك في الرسالة التي سماها برسالة حي بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع لكن من غير ما استدل به فان دليله مبني على اسناد الافعال الى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الافعال والقدرة القديمة ولا حاجة الى هذا التكلف ثم لو سلمناه جدلا فغاية ما يبنى عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الهام لتربيته في الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان الالهام يخلق في الحيوان الاعجم فما المانع من خلقه للمولود نفسه كما قررناه اولا وخلق الالهام في شخص لمصالح نفسه اقرب من خلق المولود نفسه كما قررناه اولا وخلق الالهام في شخص لمصالح نفسه اقرب من خلقه لمصالح غيره فكلا المذهبين شاهدان على انفسهما بالبطلان في مناحيهما لما قررنه لك والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في صناعة الطب وانها محتاج لها في الحواضر

والامصار دون البادية هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فايدتها فان ثمرتها حفظ الصحة ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من ادوايهم واعلم ان اصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية راس الدوا واصل كل داء البردة فاما قوله المعدة بيت الداء فظاهر واما قوله الحمية راس الدواء فالحمية الجوع وهو الاحتما من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدوا العظيم الذي هو اصل الادوية واما قوله اصل كل داء البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل ان يتم هضم الاول وشرح هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وتنفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية الى ان يصير دما ملايما لاجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تاخذه النامية فينقلب لحما وعظما ومعنى الهضم طبخ الغذا بالحرارة الغريزية طورا بعد طور حتى يصير جزءا بالفعل من البدن وتفسيره ان الغذا اذا حصل في الفم ولاكته الاشداق اثرت فيه حرارة الفم طبخا يسيرا وقلبت مزاجه بعض الشي كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاما ثم اجدتها مضغا فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صفو ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما رسب منه ثفلا في المعا ينفذ الى المخرجين ثم تطبخ حر

الكبد ذلك الكيموس الى ان يصير دما غليظا وتطفو عليه رغوة من الطبخ هي الصفراء ويرسب منه اجزاء يابسة هي السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشي عن طبخ الغليظ منه فهو البلغم ثم يرسلها الكبد كلها في العروق والجداول وياخذها طبخ الحار الغريزي هنالك فيكون من الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني وتاخذ النامية ماخذها في الدم فيكون لحما ثم غليظه عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والمخاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لحما ثم ان الامراض ومعظمها هي الحميات وسببها ان الحار الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نضج وسببه غالبا كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون اغلب على الحار الغريزي او ادخال الطعام الى المعدة قبل ان يستوفي طبخ الاول فيستقل به الحار الغريزي ويترك الاول بحاله او يتوزع عليهما فيقصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه وربما بقي في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا اخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللعاب ان اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتتزايد مع الايام وكل ذي رطوبة من الممتزجات اذا لم ياخذ الطبخ والنضج يعفن فيعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل متعفن ففيه حرارة غريبة وتلك هي المسماة في بدن الانسان بالحمى واعتبر ذلك في الطعام اذا ترك حتى يتعفن وفي الزبل اذا تعفن كيف تنبعث فيه الحرارة وتاخذ ماخذها فهذا معنى الحميات في الابدان وهي راس الامراض واصلها كما وقع في الحديث وهذه الحميات علاجها بقطع الغذا عن المريض اسابيع معلومة ثم يتناول له الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة له علاج في التحفظ من هذا المرض وغيره وقد يكون ذلك التعفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسة او في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة له هذه كلها جماع الامراض واصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله مدفوع الى الطبيب ووقوع هذه الامراض في اهل الحضر والامصار اكثر لخصب عيشهم وكثرة ماكلهم وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيرا ما يخلطون بالاغذية من التوابل والبقول والفواكه رطبا ويابسا في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك على نوع ولا انواع فربما عددنا في النوع الواحد من الوان الطبخ اربعين نوعا من النبات والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون غريبا عن ملائمة البدن واجزائه ثم ان الاهوية في الامصار تفسد بمخالطة الابخرة العفنة من كثرة الفضلات والاهوية منشطة للارواح ومقوية بنشاطها لاثر الحار الغريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لاهل الامصار اذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تاخذ منهم الرياضة شيا ولا تؤثر فيهم اثرا فكان وقوع الامراض كثيرا في المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة واما اهل البدو فماكولهم قليل في الغالب والجوع اغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن انها جبلة لاستمرارها ثم الادم قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه انما يدعو اليه ترف الحضارة الذي هم عنه بمعزل فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويقرب

مزاجها

مزاجها من ملائمة البدن واما اهويتهم فقليلة العفن لقلة الرطوبات ان كانوا آهلين او لاختلاف الاهوية ان كانوا ظواعن ثم ان الرياضة موجودة فيهم من كثرة الحركة في ركض الخيل او الصيد او طلب الحاجات او مهنة انفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كله الهضم ويجود ويفقد ادخال الطعام على الطعام فتكون امزجتهم اصلح وابعد عن الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه وما ذلك الا للاستغناء عنه اذ لو احتيج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعوه الى سكناه سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

فصل في ان الخط والكتابة من عداد الصنايع

الانسانية وهو رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان وايضا فهي تطلع على ما في الضماير وتتادى بها الاغراض الى البلد البعيد فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم واخبارهم فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذ هو من جملة الصنايع وقد قدمنا ان هذا شانها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اكثر البدو اميين لا يقرؤون ولا يكتبون ومن قرا منهم او كتب فيكون خطه قاصرا وقراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها عن الحد ابلغ واسهل واحسن طريقا لاستحكام الصنعة فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين واحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتاتي ملكته على اتم الوجوه وانما اتى هذا من كمال الصنايع ووفورها بكثرة العمران وانفساح العمران وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري لما كان بها من دولة المنذر نسبا التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بارض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنايع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه اهل الطائف وقريش فيما ذكر ويقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن امية ويقال حرب بن امية واخذها من اسلم بن سدرة وهو قول ممكن واقرب ممن ذهب الى انهم تعلموها من اياد اهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ايادا وان نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شانهم من البداوة والخط من الصنايع الحضرية وانما معنى قول الشاعر انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار وضواحيها فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة من التبابعة وحمير وهو الاليق من الاقوال وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعليمها الا باذنهم ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين لها شان الصنايع اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة الى الاتقان والتنميق

لعه

لبون ما بين البدو والصناعة واستغنا البدو عنها في الاكثر فكانت كتابة العرب بدوية مثل كتابتهم او قريبا من كتابتهم لهذا العهد احسن صناعة لان هولا اقرب الى الحضارة ومخالطة الامصار والدول واما مضر فكانوا اعرق في البدو وابعد عن الحضر من اهل اليمن واهل العراق واهل الشام ومصر فكان الخط العربي لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك من رسم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند اهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتفى لهذا العهد خط ولي او عالم تبركا ويتبع رسمه خطا او صوابا واين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك واثبت رسما ونبه العلما بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن في ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين من انهم كانوا محكمين لصناعة الخط وان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه ويقولون في مثل زيادة الالف في لاأذبحنه انه تنبيه على ان الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في بأييد انه تنبيه على كمال القدرة الربانية وامثال ذلك مما لا اصل له الا التحكم المحض وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم ان في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص ونسبوا اليهم الكمال باجادته وطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح واعلم ان الخط ليس بكمال في حقهم اذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رايته فيما مر والكمال في الصنائع اضافي وليس بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وانما يعود على اسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما في النفوس وقد كان صلى الله عليه وسلم اميا وكان ذلك كمالا له وبالنسبة في مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي اسباب المعاش والعمران كلها وليست الامية كمالا في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على المعاش شان الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا ثم جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افريقية والاندلس واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الافريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من اوضاع الخط المشرقي وتحيز ملك الاندلس بالامويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الكتبية الملوكية بما لا كفاء له وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتناغوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص

ذلك

ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شانها من الخط والكتابة والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل اسواقه بها نافقة لهذا العهد وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم ان يحكم اشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع وقد لقنها حسنا وحذق فيها دربة وكتابا واخذها قوانين علمية فتجي احسن ما يكون واما اهل الاندلس فافترقوا في الامصار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم امم النصرانية وانتشروا في عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة اللمتونية الى هذا العهد وشاركوا اهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقي وعفى عليه ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوايدهما وصنايعهما وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم الاندلسي بتونس وما اليها لتوفر اهل الاندلس بها عند الجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الاندلس ولا تمرسوا بجوارهم انما كانوا يغدون على دار الملك بتونس فصار خط اهل افريقية من احسن خطوط اهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشي وتراجع امر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه اثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من ان الصنائع اذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الاقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريبا واستعمالهم اياهم سائر الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كان لم يعرف فصارت الخطوط بافريقية والمغربين مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها الا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرا الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدولة والله سبحانه اعلم

فصل في صناعة الوراقة

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بحر زاخر بالعراق والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونفاق اسواق ذلك لديهما فكثرت التواليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الافاق والاعصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين واختصت بالامصار العظيمة وكانت السجلات اولا لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقتصروا على الكتاب في الرق تشريفا للمكتوبات وميلا بها الى الصحة والاتقان ثم طما بحر التاليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك واشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت ثم وقفت عناية اهل العلوم وهمم اهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها لانه الشان الاهم من التصحيح والضبط فبذلك تسند

الاقوال الى قايلها والفتيا الى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها وما لم يكن بصحيح المتون باسنادها الى مؤلفها فلا يصح اسناد قول لهم ولا فتيا وهكذا كان شان اهل العلم وحملته في العصور والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فايدة الصناعة الحديثية في الرواية على هذه فقط اذ ثمرتها الكبرى عن معرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت وتمخضت زبدة في ذلك الامهات المتلقات بالقبول عند الامة وصار القصد الى ذلك لغوا من العمل ولم يبق ثمرة الرواية والاشتغال بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغيرها من الدواوين والتواليف العلمية واتصال سندها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق والاندلس معبدة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في اقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها لهذا العهد بايدي الناس في العالم اصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك واهل الافاق يتناقلونها الى الان ويشدون عليها يد الضنانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب واهله لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداوة اهله وصارت الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية ينسخها طلبة البربر صحايف مستعجمة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصحيف فتستغلق على متصفحها ولا يحصل منها فايدة الا في الاقل النادر وايضا فقد دخل الخلل من ذلك في الفتيا فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن ايمة المذهب وانما تتلقى من تلك الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك ايضا ما يتصدى اليه بعض ايمتهم من التاليف لقلة بصرهم بصناعته وعدم الصنايع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم الا اثارة خفية بالاندلس وهي على الاضمحلال فقد كاد العلم ان ينقطع بالكلية من المغرب والله غالب على امره ويبلغنا لهذا العهد ان صناعة الرواية قايمة بالمشرق وتصحيح الدواوين لمن يروم ذلك سهل على مبتغيه لنفاق اسواق العلوم والصنايع كما نذكره بعد الا ان الخط الذي بقي من الاجادة في الانتساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم واما النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب واشد والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في صناعة الغنا

هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع اخر وخمس اخر وجزء من احد عشر من اخر واختلاف هذه النسب عند تاديتها الى السمع يخرجها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذا عند السمع بل تراكيب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد تساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع اصوات اخرى من الجمادات اما بالقرع او بالنفخ في الالات تتخذ لذلك فترى لها لذة عند السمع فمنها لهذا العهد بالمغرب اصناف منها ما يسمونه الشبابة وهي قصبة جوفا بابخاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك الابخاش ويقطع الصوت بوضع

الاصابع من اليدين جميعا على تلك الابخاش وضعا متعارفا حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فيلتذ السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الالة المزمار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفا من غير تدوير لاجل ايتلافها من قطعتين منفوذتين كذلك بابخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الابخاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة ومن احسن الات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من النحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع الى ان يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف على شكل بري القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت ثخينا دويا وفيه ابخاش ايضا معدودة ويقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذا ومنها الات الاوتار وهي جوفا كلها اما على شكل قطعة من الكرة كالبربط والرباب او على شكل مربع كالقانون توضع الاوتار على بسايطها مشدودة في راسها الى دساتر جايلة ليتاتى شدها عند الحاجة اليه بادارتها ثم تقرع الاوتار اما بعود اخر او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد ان يطلى بالشمع والكندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره او نقله من وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع الات الاوتار توقع باصابعها على اطراف الاوتار فيما يقرع او يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذوذة وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان او في الاعواد بعضها ببعض على توقيع متناسب يحدث عنه التلذذ بالمسموع ولنبين لك السبب في اللذة الناشية عن الغنا وذلك ان اللذة كما تقرر في موضعه هي ادراك الملايم والمحسوس انما يدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملايمة كانت ملذوذة واذا كانت منافية له منافرة كانت مولمة فالملايم من الطعوم ما ناسبت كيفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملايم من الملموسات وفي الروايح ما ناسب مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك واليه تؤديه الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار العطريات احسن رايحة واشد ملايمة للروح لغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي واما المرئيات والمسموعات والملايم فيهما تناسب الاوضاع في اشكالها وكيفياتها فهو انسب عند النفس واشد ملايمة لها فاذا كان المرئي متناسبا في اشكاله وتخاطيطه التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينيذ مناسبا للنفس المدركة فتلتذ بادراك ملايمها ولهذا تجد العاشقين المستهترين في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج ارواحهم بروح المحبوب ومعناه من وجه ان الوجود يشترك بين الموجودات كما تقوله الحكما فتود ان تمتزج بما شاهدت فيه الكمال لتتحد به ولما كان انسب الاشيا الى الانسان واقربها الى ان يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن في تخاطيطه واصواته من المدارك التي هي اقرب الى فطرته فيلهج كل انسان بالحسن من المرئي والمسموع بمقتضى الفطرة والحسن في المسموع ان تكون الاصوات متناسبة لا متنافرة وذلك ان الاصوات لها كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة يخرج من الصوت الى ضده دفعة بل تتدرج ثم ترجع كذلك وكذا الى المثل بل لا بد من توسط المغاير بين الصوتين وتامل هذا من افتتاح اهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة والمتقاربة المخارج فانه من بابه وثانيا تناسبهما الاجزا

كما مر اول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه او ثلثه او جزء من كذا منه على حسب ما يكون التنقل متناسبا على ما حصره اهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره اهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطا ويكون الكثير من الناس مطبوعا عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وامثال ذلك وتسمي العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من القراء بهذه المثابة يقرأون القران فيجيدون في تلاحين اصواتهم كانها المزامير فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشرحه بعد عند ذكر العلوم وقد انكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلاحين واجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي فانه لا ينبغي ان يختلف في حظره اذ صناعة الغناء مباينة للقران بكل وجه لان القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت يتعين اداء الحروف لا من حيث اشباع الحركات في موضعها ومقدار المد عند من يطلقه او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين واعتبار احدهما قد يخل بالاخر اذا تعارضا وتقديم التلاوة متعين من تغيير الرواية المنقولة في القران فلا يمكن اجتماع التلحين والاداء المعتبر في القران بوجه وانما المراد في اختلافهم التلحين البسيط الذي يهتدي اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه فيردد اصواته ترديدا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القران عن هذا كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى لان القران محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التلذذ بادراك الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما في اخبارهم واما قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود فليس المراد به الترديد والتلحين انما معناه حسن الصوت واداء القراءة والابانة في مخارج الحروف والنطق بها واذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم انه يحدث في العمران اذا توفر وتجاوز حد الضروري الى الحاجي ثم الى الكمالي وتفننوا فيه فتحدث هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر احوالهم تفننا في مذاهب الملذوذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاخر في امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان لملوك الفرس اهتمام باهل هذه الصناعة ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدهم ومجامعهم ويغنون فيها وهذا شان العجم لهذا العهد في كل افق من افاقهم ومملكة من ممالكهم واما العرب فكان لهم من الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالافادة لا ينعطف على الاخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالتجزئة اولا ثم تناسب الاجزاء في المقاطع والمبادي ثم تادية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليه فلهجوا به وامتاز من بين كلامهم بحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديوانا لاخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكا لقرائحهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمروا على هذا وهذا التناسب

الذي

الذي من اجل الاجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتاب الموسيقى الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم ينتحلوا علما ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة اغلب نحلهم ثم تغنى الحداة منهم في حداء ابلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترنموا وكانوا يسمون الترنم اذا كان بالشعر غناء واذا كان بالتهليل او نوع القراءة تغبيرا بالغين المعجمة والباء الموحدة وعللها ابو اسحاق الزجاج بانها تذكر بالغابر وهو الباقي اي باحوال الاخرة وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق اخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيضطرب ويستخف الحلوم وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسيط كله من التلاحين هو من اوائلها ولا يبعد ان تتفطن له الطباع من غير تعليم شان البسائط كلها من الصنائع ولم يزل هذا شان العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدته في ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش فهجروا ذلك شيئا ولم يكن الملذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي كان ديدنهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الامم صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي العرب وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للاصوات فلحنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه واجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم اخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريج وانظاره وما زالت صناعة الغناء تتدرج الى ان كملت ايام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث بعده به وبمجالسه لهذا العهد وامعنوا في اللهو واللعب واتخذت الات الرقص في الملبس والقضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفا وحده واتخذت الات اخرى للرقص تسمى بالكرج وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويتثاقفون وامثال ذلك من اللعب المعد للولائم والاعراس وايام الاعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ببغداد وامصار العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصليين غلام اسمه زرياب اخذ عنهم الغناء فاجاد فصرفوه الى المغرب غيرة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس فبالغ في تكرمته وركب للقائه واسنى له الجوائز والاقطاعات والجرايات واحله من دولته وندمائه بمكان فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف وطما منها باشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقية والمغرب وانقسم على امصارها وبها الان منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها وهذه الصناعة اخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كمالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهي ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا

وخصوصا الكتابة والحساب وقد ذكرنا في الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات من المحسوسات اولا ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكا بالفعل وعقلا محضا فتكون ذاتا روحانية ويستكمل حينيذ وجودها فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا مزيدا والصنايع ابدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة فلهذا كانت الحنكة بالتجربة تفيد عقلا والملكات الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لانها مجتمعة من صنايع في شان تدبير المنزل ومعاشرة ابناء الجنس وتحصيل الاداب في مخالطتهم ثم القيام بامور الدين واعتبار ادابها وشرايطها وهذه كلها قوانين تنتظم علوما فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنايع اكثر افادة لذلك لانها تشتمل على العلوم والانظار خلاف الصنايع وبيانه ان في الكتابة انتقالا من صور الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس فذلك دايما فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكتسب به العلوم المجهولة فيكتسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به مزيد فطنة وكيس في الامور كما تعوده من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لما راهم بتلك الفطنة والكيس فقال ديوانه اي شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى متعودا للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل السادس في العلوم والتعليم وطرقه

وساير وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

فصل في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

وذلك ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذا والكن وغير ذلك وانما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابنا جنسه والاجتماع المهيي لذلك التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح اخراه فهو مفكر في ذلك كله دايما لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين بل اختلاج الفكر اسرع من لمح البصر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطبايع فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم او زاد عليه بمعرفة او ادراك او اخذه ممن تقدمه من الانبيا الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعلمه ثم ان نظره وفكره يتوجه الى واحد من الحقايق وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد اخر ويتمرن على ذلك حتى يصير الحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة فيكون علمه حينيذ بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا وتتشوف نفوس اهل الجيل الناشي الى تحصيل ذلك فيفزعون الى اهل معرفته ويجي التعليم من هذا فقد تبين بذلك ان العلم طبيعي في البشر والله تعالى اعلم

فصل في ان التعليم للعلم من جملة الصنايع

وذلك

وذلك ان الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمباديه وقواعده والوقوف على مسايله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن حاصلا وهذه الملكة غير الفهم والوعي لانا نجد فهم المسيلة الواحدة من الفن الواحد مشتركا بين من شدا في ذلك الفن ومن هو مبتدي فيه وبين العامي الذي لم يحصل علما وبين العالم النحرير والملكة انما هي للعالم او الشادي في الفنون دون من سواهما فدل على ان هذه الملكة غير الفهم والوعي والملكات كلها جسمانية وسواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم او صناعة يفتقر الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند اهل كل افق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل امام من الايمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شان الصنايع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم اذ لو كان من العلم لكان واحدا عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتاخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم ان سند العلم لهذا العهد قد كاد ان ينقطع عن اهل المغرب كلهم باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص الصنايع وفقدانها كما مر وذلك ان القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستبحر عمرانهما وكان فيهما للعلوم والصنايع اسواق نافقة وبحور زاخرة ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة فلما خربتا انقطع التعليم عن المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين بمراكش مستفادا منها ولم ترسخ الحضارة بمراكش لبداوة الدولة الموحدية في اولها وقرب عهد انقراضها بمبداها فلم تتصل احوال الحضارة فيها الا في الاقل وبعد انقراض الدولة بمراكش ارتحل الى المشرق من افريقية القاضي ابو القاسم بن زيتون لعهد اواسط الماية السابعة فادرك تلميذ الامام ابن الخطيب واخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق في العقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على اثره من المشرق ابو عبد الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل اليه من المغرب فاخذ عن مشيخة مصر ورجع الى تونس واستقر بها وكان تعليمه مفيدا فاخذ عنهما اهل تونس واتصل سند تعليمهما في تلاميذهما جيلا بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه فانه قرا مع بن عبد السلام على مشيخة واحدة وفي مجالس باعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الامام بتلمسان لهذا العهد الا انهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زواوة في اخر الماية السابعة ابو علي ناصر الدين المشدالي وادرك تلميذ ابي عمرو بن الحاجب واخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرا مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد فنزل بجاية واتصل سند تعليمه في طلبتها وربما انتقل الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذه واوطنها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فاس وساير امصار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم وايسر طرق الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسايل العلمية فهو الذي يقرب

سنانها ويحصل مرامها فتجد الطالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس
العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة فلا يحصلون
على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل تجد
ملكته قاصرة في علمه ان فاوض او ناظر او علم وما اتاهم القصور الا من قبل التعلم وانقطاع
سنده والا فحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من ملكة العلمية
وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم
ستة عشر سنة وهي بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس هي اقل ما يتاتى لطالب العلم
حصول مبتغاه من الملكة العلمية او الياس من تحصيلها فطال امدها في المغرب لهذه المدة
لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة لا مما سوى ذلك واما اهل الاندلس فذهب رسم
التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مايتين من السنين
ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب اقتصروا عليه وانحفظ سند تعليمه بينهم
فانحفظ بحفظه واما الفقه بينهم فرسم خلو واثر بعد عين واما العقليات فلا اثر ولا
عين وما ذلك الا لانقطاع سند التعليم بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا
بسيف البحر شغلهم بمعاشهم اكثر مما بعدها والله غالب على امره واما المشرق فلم ينقطع
سند التعليم فيه بل اسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند
فيه وان كان الامصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة
الا ان الله تعالى قد ابدل منها بامصار اعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان
وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا
وسند التعليم بها قايما فاهل المشرق على الجملة ارسخ في صناعة تعليم العلم بل في ساير الصنايع
حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان عقولهم على الجملة اكمل
من عقول اهل المغرب وان نفوسهم الناطقة اكمل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون
التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الانسانية لما يرون من كيسهم في العلوم والصنايع وليس كذلك
ولا بين قطر المشرق تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا
الاقاليم المنحرفة مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفوس على نسبتها كما مر وان
الذي فضل به اهل المشرق اهل المغرب فهو ما يحصل في النفس من اثار الحضارة من العقل المزيد
كما تقدم في الصنايع ونزيده الان تحقيقا وذلك ان الحضر لهم اداب في احوالهم من المعاش والمسكن
والبنا وامور الدين والدنيا وكذلك ساير اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم
فلهم في ذلك اداب توقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من اخذ وترك حتى كانها
حدود لا تتعدى وهي مع ذلك صنايع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة
مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا تستعد به لقبول صناعة اخرى ويتهيا
به العقل لسرعة الادراك للمعارف ولقد بلغنا في تعليم الصنايع عن اهل مصر غايات لا تدرك
مثل انهم يعلمون الحمر الانسية والحيوانات العجم من الماشي والطاير مفردات من الكلام والافهام
يستغرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم والصنايع و
ساير الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضاءة في فكره بكثرة الملكات
الحاصلة للنفس اذ قدمنا ان النفس انما تنشا بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون

بذلك كيسا لما يرجع الى النفس من الاثار العلمية فيظنه العامي تفاوتا في الحقيقة الانسانية
وليس كذلك الا ترى اهل الحضر مع اهل البدو وكيف تجد الحضري متحليا بالذكاء ممتليا من
الكيس حتى ان البدوي ليظنه انه فاته في حقيقة انسانيته وعقله وليس كذلك وما ذاك
الا لاجادته في ملكات الصنايع والاداب في العوايد والاحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوي
فلما امتلا الحضري من الصنايع وملكاتها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات انها
لكمال في عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتها وجبلتها عن فطرته وليس كذلك فانا
نجد من اهل البدو من هو اعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته وانما الذي ظهر من
اهل الحضر من ذلك فهو رونق الصنايع والتعليم فان لهما اثارا ترجع الى النفس كما قدمناه
وكذا اهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنايع ارسخ رتبة واعلا قدما وكان اهل المغرب اقرب
الى البداوة لما قلناه في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادي الراي انه لكمال في حقيقة
الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب وليس ذلك بصحيح فتفهمه والله يزيد في الخلق ما يشا

فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة

والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قلناه من جملة الصنايع وقد كنا قدمنا ان الصنايع
انما تكثر في الامصار على نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة
الصنايع في الجودة والكثرة لانه امر زايد على المعاش فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم
انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنايع ومن تشوف
بفطرته الى العلم ممن نشا في القرى والامصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو
صناعي لفقدان الصنايع في اهل البدو كما قدمناه ولا بد له من الرحلة في طلبه من الامصار
المستبحرة شان الصنايع كلها واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة
والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم
وتفننوا في اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسايل والفنون حتى اربوا
على المتقدمين وفاتوا المتاخرين فلما تناقص عمرانها وابذعر سكانها انطوى ذلك
البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام ونحن لهذا
العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستبحر وحضارتها
مستحكمة منذ الاف من السنين فاستحكمت فيها الصنايع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم
واكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ مايتين من السنين في دولة الترك من ايام
صلاح الدين العرب وهلم جرا وذلك ان امراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على
من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق او الولا ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته
فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون
فيها شركا لولدهم ينظر عليها او نصيب فيها مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخير والتماس الاجور
في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوايد وكثر طالب العلم ومعلمه
بكثرة جرايتهم فيها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها اسواق
العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشا

فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره وصنف نقلي ياخذه عمن وضعه والاول هي العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسايلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطا فيها من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسايلها بالاصول لان الجزييات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الى الالحاق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الاصل وهو نقلي فرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه واصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي نهيؤها للافادة منها ثم ستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القران واصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعلم احكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي ماخوذة من الكتاب والسنة بالنص او بالاجماع او بالالحاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان الفاظه اولا وهذا علم التفسير ثم باسناد نقله وروايته الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القرا في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم باسناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذا هو علوم الحديث ثم لا بد في استنباط الاحكام من اصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو اصول الفقه ثم ان التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالايمان وما يجب ان يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقايد الايمانية في الذات والصفات وامور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالادلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القران والحديث لا بد ان تتقدمه العلوم اللسانية لانه متوقف عليها وهي اصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الادب حسبما نتكلم عليها كلها وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث انها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها واما على الخصوص فمباينة لجميع الملل لانها ناسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظور فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القران قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد وراي النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله تعالى عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال الم اتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي ثم ان هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت اسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية التي لا فوقها وهذبت الاصطلاحات ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق وكان لكل فن رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها عندما نذكره الان عند تعديد هذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما ادري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي ساير الصنايع الضرورية والكمالية لكثرة عمرانها فيه والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم بالجراية من الاوقاف التي اتسعت بها ارزاقهم والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد وبيده التوفيق والاعانة

علوم القران من التفسير والقراءات

القران هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة الا ان الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في ادايها وتنوقل ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها ايضا بادايها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات اخر لحقت بالسبع الا انها عند ايمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كيفيات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القران واباه الاكثر وقالوا بتواترها وقال اخرون بتواتر غير الادا منها كالمد والتسهيل لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القرا يتداولون هذه القراءات وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلما منفردا وتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جيل بعد جيل الى ان ملك بشرق الاندلس مجاهد من موالي العامريين وكان معتنيا بهذا الفن من بين فنون القران لما اخذه به مولاه المنصور بن ابي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من ايمة القرا بحضرته فكان سهمه في ذلك وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية والجزاير الشرقية فنفقت بها سوق القراءة لما كان هو من ايمتها وبما كان له من العناية بساير العلوم عموما وبالقراءات خصوصا فظهر لعهده ابو عمرو الداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت اليه رواية اسانيدها وتعددت تواليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والاجيال ابو القاسم بن فيره من اهل شاطبة فعمد الى تهذيب ما دونه ابو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها اسماء القرا للحفظ لاجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا وعني الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار المغرب والاندلس وربما اضيف الى فن القراءات فن الرسم ايضا وهي اوضاع حروف القران في المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في بايد وزيادة الالف في لا اذبحنه ولا اوضعوا والواو في جزاؤا الظالمين وحذف الالف في مواضع دون اخرى وما رسم فيه من التاءات ممدودا والاصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير ذلك وقد مر تعليل هذا الرسم عند الكلام في الخط فلما جاءت هذه المخالفة لاوضاع الخط وقانونه احتيج الى حصرها فكتب فيها الناس ايضا عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى ابي عمرو الداني المذكور فكتب فيها كتبا من اشهرها كتاب المقنع واخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه ابو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على روي الراء وولع الناس بحفظها ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف اخرى ذكرها ابو داود

سليمان بن نجاح من موالي مجاهد في كتبه وهو من تلاميذ ابي عمرو الداني والمشهور بحمل علومه وروايته
كتبه ثم نقل بعده خلاف اخر فنظم الخرازي المتاخرين بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجروا بها
كتب ابي داود وابي عمرو والشاطبي في الرسم **واما التفسير** فاعلم ان القران نزل بلغة العرب
وعلى اساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا
جملا وايات ايات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الايمانية
ومنها ما هو في احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتاخر ويكون ناسخا وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الايات ومقتضى
الحال منها منقولا عنه كما علم من قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح انها نعي النبي صلى الله عليه وسلم
وامثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وتداول ذلك التابعون
من بعدهم ونقل عنهم ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الاول والسلف حتى صارت المعارف
علوما ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الاثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين
وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وامثالهم من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان يكتبوه
من الاثار ثم صارت علوم اللسان صناعية الكلام في موضوعات اللغة واحكام الاعراب
والبلاغة في التركيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد ان كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل
ولا كتابة فتنوسي ذلك وصارت تتلقى من كتب اهل اللسان فاحتيج الى ذلك في تفسير القران
لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على صنفين تفسير نقلي مستند الى الاثار
المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد الاي وكل ذلك
لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك واوعوا الا ان كتبهم
ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا
اهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والامية واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس
الانسانية في اسباب المكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود فانما يسالون عنه اهل الكتاب
قبلهم ويستفيدونه منهم وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى واهل التوراة
الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب
ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق
له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل اخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم
وامثال ذلك وهولاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وامثالهم فامتلات
التفاسير من المنقولات عندهم في امثال هذه الاغراض اخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع
الى الاحكام فتتحرى في الصحة التي يجب بها العمل وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤا كتب
التفسير بهذه المنقولات واصلها كما قلناه عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق
عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك الا انهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهم بما كانوا عليه من
المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتمحيص
وجاء ابو محمد بن عطية من المتاخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو اقرب الى الصحة
منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب والاندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في
تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب اخر مشهور بالمشرق والصنف الاخر من التفسير وهو ما يرجع
الى اللسان من معرفة اللغة والبلاغة في تادية المعنى بحسب المقاصد والاساليب وهذا الصنف

من

من التفسير قل ان ينفرد عن الاول اذ الاول هو المقصود بالذات وانما جاء بعد ما صار اللسان
وعلومه صناعات نعم قد يكون في بعض التفاسير غالبا ومن احسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير
كتاب الكشاف للزمخشري من اهل خوارزم العراق الا ان مولفه من اهل الاعتزال في العقائد فياتي بالحجاج
على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في اي القران من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من اهل
السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكانه مع اقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة
واذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على المذاهب السنية محسنا للحجاج عنها فلا جرم انه مامون من غوائله
فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ولقد وصل الينا في هذه العصور تاليف لبعض العراقيين
شرف الدين الطيبي من اهل توريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتتبع الفاظه وتعرض
لمذاهبه في الاعتزال بادلة تزيفها ويبين ان البلاغة انما تقع في الاية على ما يراه اهل السنة
لا على مذهب المعتزلة فاحسن في ذلك ما شاء مع امتاعه من سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي
علم عليم

علوم الحديث

واما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لان منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت
في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفا من الله بعباده وتخفيفا عنهم باعتبار مصالحهم
التي تكفل لهم بها قال تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها فاذا تعارض
الخبران بالنفي والاثبات وتعذر الجمع بينهما ببعض التاويل وعلم تقدم احدهما تعين ان المتاخر
ناسخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ من اهم علوم الحديث واصعبها قال الزهري اعيا الفقهاء
واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه وكان للشافعي رضي
الله تعالى عنه فيه قدم راسخة ومن علوم الاحاديث النظر في الاسانيد ومعرفة ما يجب العمل به
من الاحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لان العمل انما وجب بما يغلب على الظن صدقه
من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجتهد في الطريق الذي يحصل ذلك الظن وهو بمعرفة
رواة الحديث بالعدالة والضبط وانما يثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من
الجرح والغفلة ويكون لنا ذلك دليلا على القبول او الترك وكذلك مراتب هولاء النقلة من
الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحدا واحدا وكذلك الاسانيد تتفاوت
باتصالها وانقطاعها بان يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتها من العلل الموهنة
لها وتنتهي بالتفاوت الى طرفين فحكم بقبول الاعلى ورد الاسفل ويختلف في المتوسط بحسب
المنقول عن ائمة الشان ولهم في ذلك الفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل الصحيح
والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من القابه المتداولة
بينهم وبوبوا على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لائمة الشان او الوفاق ثم النظر في كيفية
اخذ الرواية بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مناولة او اجازة وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك
من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك بالكلام في الفاظ تقع في متون الحديث من غريب او مشكل
او تصحيف او مفترق منها او مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه اهل الحديث وغالبه
وكانت احوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند اهل بلده
فمنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والجميع معروفون مشهورون
في اعصارهم وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهم في الاسانيد اعلى ممن سواهم وامتن في الصحة

لاستبدادهم في شروط النقل لعدالة والضبط وتجافيهم عن قبول المجهول الحال في ذلك وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة رضي الله تعالى عنه ثم اصحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام احمد بن حنبل وامثالهم وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الامر نقلا صرفا شمر لها السلف وتحروا الصحيح حتى اكملوها وكتب مالك رحمه الله تعالى كتاب الموطا اودعه اصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم عني الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيدها المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث ايضا في ابواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها وجاء محمد بن اسماعيل البخاري امام المحدثين في عصره فخرج احاديث السنة على ابوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما اجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكرر الاحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت لذلك احاديثه حتى يقال انه اشتمل على تسعة الاف حديث ومايتين منها ثلاثة الاف متكررة وفرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فالف مسنده الصحيح حذا فيه حذو البخاري في نقل المجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والاسانيد وبوبه على ابواب الفقه وتراجمه ومع ذلك فلم يستوعبا الصحيح كله وقد استدرك الناس عليهما في ذلك ثم كتب ابو داود السجستاني وابو عيسى الترمذي وابو عبد الرحمن النسائي في السنن باوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كما هو معروف واما من الذي دونه من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة وهي امهات كتب الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها في علم الحديث وربما يفرد عنها الناسخ والمنسوخ فيجعل فنا براسه وكذا الغريب وللناس فيه تواليف مشهورة ثم المؤتلف والمختلف وقد الف الناس في علوم الحديث واكثروا ومن فحول علمائه وائمته ابو عبد الله الحاكم وتواليفه فيه مشهورة وهو الذي هذبه واظهر محاسنه واشهر كتاب للمتاخرين فيه كتاب ابي عمرو بن الصلاح كان لعهد اوائل المائة السابعة وتلاه محي الدين النووي بمثل ذلك والفن شريف في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخريج شيء من الاحاديث واستدراكها على المتقدمين اذ العادة تشهد بان هؤلاء الائمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا شيئا من السنة او يتركوه حتى يعثر عليه المتاخر هذا بعيد عنهم وانما تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفيها والنظر في اسانيدها الى مؤلفها وعرض ذلك على ما تقرر في علوم الحديث من الشروط والاحكام لتتصل الاسانيد محكمة الى منتهاها ولم يزيدوا في ذلك على العناية باكثر من هذه الامهات الخمسة الا في القليل فاما البخاري وهو اعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا منحاه من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من اهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم وكذلك يحتاج الى امعان النظر في التفقه في تراجمه لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند او طريق ثم يترجم اخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى ان يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح

كابن

كابن بطال وابن المهلب وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم الله تعالى يقولون شرح كتاب البخاري دين على الامة يعنون ان احدا من علماء الامة لم يوف ما يجب له من الشرح بذلك الاعتبار واما صحيح مسلم فكثرة عناية علماء المغرب واكبوا عليه واجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري قال ابن الصلاح وانما يفضل على كتاب البخاري بما وقع فيه من تجريد عما مزج به البخاري كتابه من غير الصحيح مما لم يكن على شرط واكثر ما وقع له في التراجم واملا الامام الماذني من فقهاء المالكية عليه شرحا سماه المعلم بفوائد مسلم واشتمل على عيون من علم العلم وبين من الفقه ثم اكمله القاضي عياض من بعده وتممه واما كتب السنن الاخرى وفيها معظم ماخذ الفقهاء فاكثر شرحها في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث وموضوعا والمسانيد التي اشتملت على الاحاديث المعمول بها من السنة واعلم ان الاحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها ائمة الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الائمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفطنون انه قلب عن موضعه ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد المحدثون امتحانه فسالوه عن احاديث قلبوا اسانيدها فقال لا اعرف هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل متن الى سنده واقروا له بالامامة واعلم ايضا ان الائمة المجتهدين تفاوتوا في الاكثار من هذه البضاعة والاقلال فابو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا او نحوها ومالك رحمه الله انما صح عنده ما في كتاب الموطا وغايتها او نحوها واحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون الف حديث ولكل ما اداه اليه اجتهاده في ذلك وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين الى ان منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلهذا قلت روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الائمة لان الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته والجد والتشمير في ذلك لياخذ الدين عن اصول صحيحة ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها عن الله وانما اقل منهم من اقل الرواية لاجل المطاعن التي تعترضه فيها والعلل التي تعرض في طرقها سيما والجرح مقدم عند الاكثر فيؤديه الاجتهاد الى ترك الاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الاحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف الطرق هذا مع ان اهل الحجاز اكثر رواية للحديث من اهل العراق لان المدينة دار الهجرة وماوى الصحابة ومن انتقل منهم الى العراق كان شغلهم بالجهاد اكثر والامام ابو حنيفة انما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل فاستضعف وقلت من اجلها روايته فقل حديثه لانه ترك رواية الحديث متعمدا فحاشاه من ذلك ويدل على انه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم والتعويل عليه واعتباره ردا وقبولا واما غيره من المحدثين وهم الجمهور فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع اصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوي فاكثر وكتب مسنده وهو جليل القدر الا انه لا يعدل الصحيحين لان الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيهما مجمع عليها بين الامة كما قالوه وشروط الطحاوي غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره فلهذا قدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتاخر شرطه عن شروطهم ومن اجل هذا قيل في الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع على صحة

لعله المازري

مابينهما على الشروط المتفق عليها فلا تاخذك ريبة في ذلك فالقوم احق الناس بالظن الجميل
بهم والتماس المخارج الصحيحة لهم والله سبحانه وتعالى اعلم بحقايق الامور

الفقه وما يتبعه من الفرايض

والفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الادلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه وكان السلف يستخرجونها من تلك الادلة على اختلاف فيما بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الادلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضاءات الفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وايضا فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح وهو مختلف ايضا فالادلة من غير النصوص مختلف فيها وايضا فالوقايع المتجددة لا توفي بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهما وهذه كلها اشارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والايمة من بعدهم ثم ان الصحابة لم يكونوا كلهم اهل فتيا ولا كان الدين يوخذ عن جميعهم وانما كان ذلك مختصا بالحاملين للقران العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وساير دلالته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم او ممن سمعه منهم من عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء اي الذين يقرون الكتاب لان العرب كانوا امة امية فاختص من كان منهم قاريا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يوميذ وبقي الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية عن العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكمل الفقه واصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة اهل الراي والقياس وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قليلا في اهل العراق لما قدمناه فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل لهم اهل الراي ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وامام اهل الحجاز مالك بن انس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طايفة من العلماء وابطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس الجلي والعلة المنصوصة الى النص لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب داود بن علي وابنه واصحابهما وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الامة وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الايمة ورفع الخلاف عن اقوالهم وهي كلها اصول واهية وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوها جانب الانكار والقدح فلا نعرف شيا من مذاهبهم ولا نروي كتبهم ولا اثر لشي منها الا في مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قايمة في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتواليف واراء في الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل الظاهر اليوم بدروس ايمته وانكار الجمهور على منتحله ولم يبق الا في الكتب المجلدة وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يحلو بطايل ويصير الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما عد بهذه النحلة من اهل البدع بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح

العلمين

العلمين وقد فعل ذلك ابن حزم بالاندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في اقوالهم وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من ايمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه واوسعوا مذهبه استهجانا وانكارا وتلقوا كتبه بالاغفال والترك حتى انها ليحظر بيعها بالاسواق وربما تمزق في بعض الاحيان ولم يبق الا مذهب اهل الراي من العراق واهل الحديث من الحجاز فاما اهل العراق فامامهم الذي استقرت عنده مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق شهد له بذلك اهل جلدته وخصوصا مالك والشافعي واما اهل الحجاز فكان امامهم مالك بن انس الاصبحي امام دار الهجرة رحمه الله تعالى واختص بزيادة مدرك اخر للاحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل اهل المدينة لانه راى انهم فيما يتفقون عليه من فعل او ترك متابعون لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتدايهم وهكذا الى الجيل المباشرين لفعل النبي صلى الله عليه وسلم الاخذين ذلك عنه وصار ذلك عنده من اصول الادلة الشرعية وظن كثير ان ذلك من مسايل الاجماع فانكره لان دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة من سواهم بل هو شامل للامة واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق على الامر الديني عن اجتهاد ومالك رحمه الله تعالى لم يعتبر عمل اهل المدينة من هذا المعنى وانما اعتبره من حيث اتباع الجيل بالمشاهدة للجيل الى ان ينتهي الى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة اقتدايهم بعين ذلك يعم الملة ذكرت في باب الاجماع والابواب بها من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الا ان اتفاق اهل الاجماع عن اجتهاد ونظر في الادلة واتفاق هولاء في فعل او ترك مستندين الى مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسيلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره او مع الادلة المختلف فيها مثل مذهب الصحابي وشرع من قبلنا والاستصحاب لكان اليق ثم كان من بعد مالك بن انس محمد بن ادريس المطلبي الشافعي رحمه الله رحل الى العراق من بعد مالك ولقي اصحاب الامام ابي حنيفة واخذ عنهم ومزج طريقة اهل الحجاز بطريقة اهل العراق واختص بمذهب وخالف مالكا رحمه الله تعالى في كثير من مذهبه وجاء من بعدهما احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وكان من علية المحدثين وقرا اصحابه على اصحاب ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب اخر ووقف التقليد في الامصار عند هولاء الاربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد ولما خشي من اسناد ذلك الى غير اهله ومن لا يوثق برايه ولا بدينه فصرحوا بالعجز والاعواز وردوا الناس الى تقليد هولاء كل من اختص به من المقلدين وحظروا ان يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذاهبهم وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية لا محصول اليوم للفقه غير هذا ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه مهجور تقليده وقد صار اهل الاسلام اليوم على تقليد هولاء الايمة الاربعة فاما ابن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية والاخبار بعضها ببعض واكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم اكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث واما ابو حنيفة فقلده اليوم اهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر والعجم كلها لما كان مذهبه اخص بالعراق ودار الاسلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني العباس فكثرت تواليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافيات وجاوزوا منها بعلم مستطرف وانظار غريبة وهي بين ايدي الناس وبالمغرب منها شي قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وابو الوليد الباجي في رحلتهما واما الشافعي رحمه الله تعالى فمقلدوه بمصر اكثر من سواها وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء

النهر وقاسموا الحنفية الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق واقطاره وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم واشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحارث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه اهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة وتداول بها فقه اهل البيت وتلاشى من سواهم الى ان ذهب دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين بن ايوب ورجع اليهم فقه الشافعي واصحابه من اهل العراق والشام فعاد الى احسن ما كان ونفق سوقه واشتهر منهم محيي الدين النووي من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين بن عبد السلام ايضا ثم ابن الرفعة بمصر وتقي الدين بن دقيق العيد ثم تقي الدين السبكي بعدهما الى ان انتهى ذلك شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم اكبر الشافعية بمصر كبير العلماء من اهل العصر واما مالـــك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه اهل المغرب والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم غالبا كانت الى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الاخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ امامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده ورجع اليه اهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته وايضا فالبداوة كانت غالبة على اهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم ياخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب ولما صار مذهب كل امام علما مخصوصا عند اهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الالحاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول المقررة من مذاهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير او التفرقة واتباع مذهب امامهم فيهما ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد واهل المغرب جميعا مقلدون لمالك رحمه الله تعالى وقد كان تلامذته افترقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل وطبقته مثل ابن خواز منداد وابن اللبان والقاضي ابو بكر الابهري والقاضي ابو الحسين بن القصار والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم واشهب وابن الحكم والحرث بن مسكين وطبقتهم ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فاخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك بالاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتبي من تلامذته كتاب العتبية ورحل من افريقية اسد بن الفرات فكتب عن اصحاب ابي حنيفة اولا ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب عن ابن القاسم في سائر ابواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسمي الاسدية نسبة الى اسد بن الفرات فقرا بها سحنون على اسد ثم ارتحل الى المشرق ولقي ابن القاسم واخذ عنه وعارضه بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب سحنون مسائلها ودونها واثبت ما رجع عنه وان ياخذ بكتاب سحنون فانف من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الابواب فكانت تسمى المدونة والمختلطة وعكف اهل القيروان على المدونة واهل الاندلس على الواضحة والعتبية ثم اختصر ابن ابي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر ولخصه ايضا ابو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده المشيخة من اهل افريقية واخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد اهل الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب

يتعاهدون

يتعاهدون هذه الامهات بالشرح والايضاح والجمع فكتب اهل افريقية على المدونة ما شاء الله ان يكتبوا مثل ابن يونس واللخمي وابن محرز والتونسي وابن بشير وامثالهم وكتب اهل الاندلس على العتبية ما شاء الله مثل ابن رشد وامثاله وجمع ابن ابي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع اقوال المذهب وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على المدونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الافقين الى انقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تمسك بهما اهل المغرب بعد ذلك الى ان جاء كتاب ابي عمرو بن الحاجب لخص فيه طرق اهل المذهب في كل باب وتعديد اقوالهم في كل مسئلة فجاء كالبرنامج للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن المبشر وابن اللهيث وابن رشيق وابن شاس وكانت الاسكندرية في بني عوف وبني سند وابن عطاء الله ولا ادري عمن اخذها ابو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيديين وذهاب فقه اهل البيت وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية ولما جاء كتابه الى المغرب اخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب فانه كان قراء على اصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاء وانتشر بقطر بجاية في تلميذه ومنهم انتقل الى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن راشد وابن هارون وكلهم من مشيخة اهل تونس وسابقهم في الاجادة في ذلك ابن عبد السلام وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

علم الفرائض

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الاصول او مناسختها وذلك اذا هلك احد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته فانه حينئذ يحتاج الى حسبان يصحح الفريضة الاولى حتى يصل اهل الفروض جميعا في الفريضتين الى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسخات اكثر من واحد واثنين وتتعدد لذلك اكثر وبقدر ما يحتاج الى الحسبان وكذا اذا كانت فريضة ذات وجهين مثل ان يقر بعض الورثة بوارث وينكره الاخر فتصحح على الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من اصل الفريضة وكل ذلك يحتاج الى الحسبان وكان غالبا فيه وجعلوه فنا منفردا وللناس فيه تواليف كثيرة اشهرها عند المالكية من متاخري الاندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القاسم الحوفي ثم الجعدي ومن متاخري افريقية ابن النمر الطرابلسي وامثالهم واما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تواليف كثيرة واعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوصا ابي المعالي رضي الله تعالى عنه وامثاله من اهل المذاهب وهو فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به الى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة يقينية عندما تجهل الحظوظ وتشكل على القاسمين وللعلماء من اهل الامصار بها عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها الى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج في استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور وامثال ذلك فيملؤن بها تواليفهم وهو وان لم يكن متداولا بين الناس ولا يفيد فيما يتداولونه من وراثتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المران وتحصيل الملكة في المتداول على اكمل الوجوه وقد يحتج الاكثر من اهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان الفرائض ثلث العلم وانها اول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرجه ابو نعيم الحافظ واحتج به اهل الفرائض بناء على ان المراد بالفرائض فروض الوراثة

يتعدد

والذي يظهر أن هذا الحمل بعيد وأن المراد بالفرائض إنما هي الفروض التكليفية في العبادات والعادات والمواريث وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا اللفظ إلا على عمومه مشتقا من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع الفروض كما قلناه وهي حقيقته الشرعية فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل في عصرهم فهو أليق بمرادهم منه والله أعلم

أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات

اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل إلينا منها قولا أو فعلا بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الإجماع منزلتهما لإجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم ولا يكون مثل ذلك إلا عن مستند لأن مثلهم لا يتفقون عن غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فصار الإجماع دليلا ثابتا في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيسون الأشباه منهما بالأشباه ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فإن كثيرا من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج في النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت وألحقوها بما نص عليه بشروط في ذلك الإلحاق تصحح تلك المساواة بين الشبيهين والمثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلا شرعيا بإجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الأدلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الأدلة وإن خالف بعضهم في الإجماع والقياس إلا أنه شذوذ وألحق بعضهم بهذه الأربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان أول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه أدلة فأما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل إلينا منها فالإجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قدمناه معتضدا بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من إنفاذ الرسل والكتب إلى النواحي بالأحكام والشرائع آمرا وناهيا وأما الإجماع فلاتفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على إنكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للأمة وأما القياس فبإجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه هذه أصول الأدلة ثم إن المنقول من السنة محتاج إلى تصحيح الخبر بالنظر في طرق النقل وعدالة الناقلين لتتميز الحالة المحصلة للظن بصدقه التي هي مناط وجوب العمل بالخبر وهذه أيضا من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منهما

معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من فصوله أيضا وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الألفاظ وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك من علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان الكلام ملكة لأهله لم تكن هذه علوما ولا قوانين ولم يكن الفقيه حينئذ يحتاج إليها لأنها جبلة وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوما يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى ثم إن هنا استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استفادة الأحكام الشرعية من المعاني من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق بل لا بد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالة الخاصة وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة لا تثبت قياسا والمشترك لا يراد به معنياه معا والواو لا تقتضي الترتيب والعام إذا أخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها والأمر للوجوب أو الندب وللفور أو التراخي والنهي يقتضي الفساد أو الصحة والمطلق هل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف في التعدي أو لا وأمثال ذلك فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم إن النظر في القياس من أعظم قواعد هذا الفن لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الأحكام وينقح الوصف الذي يغلب على الظن أن الحكم علق به في الأصل من تبيين أوصاف ذلك المحل ووجود ذلك الوصف في الفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه إلى مسائل أخرى من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن واعلم أن هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة وكان السلف في غنية عنه بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصا فمنهم أخذ معظمها وأما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعية كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فنا قائما بنفسه سموه أصول الفقه وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون أيضا كذلك إلا أن كتابة الفقهاء فيها أمس بالفقه وأليق بالفروع لكثرة الأمثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون إلى الاستدلال العقلي ما أمكن لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس بأوسع من جميعهم وتمم الأبحاث والشروط التي يحتاج إليها فيه وتكملت صناعة أصول الفقه بكماله وتهذبت مسائله وتمهدت قواعده وعني الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لإمام الحرمين والمستصفى للغزالي وهما من الأشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لأبي الحسين البصري

وبمباني المعتزلة وكانت الاربعة قواعد هذا الفن واركانه ثم لخص هذه الكتب الاربعة فحلان من
المتكلمين المتاخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الآمدي
في كتاب الاحكام واختلفت طرايقهما في الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب اميل الى الاستكثار
من الادلة والاحتجاج والآمدي مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسايل واما كتاب المحصول فاختصره تلميذ
الامام مثل سراج الدين الارموي في كتاب التحصيل وتاج الدين الارموي في كتاب الحاصل واقتطف شهاب
الدين القرافي منهما مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب
المنهاج وعني المبتدون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس واما كتاب الاحكام للآمدي وهو اكثر
تحقيقا في المسايل فلخصه ابو عمرو بن الحاجب في كتابه المعروف بالمختصر الكبير ثم اختصره في كتاب اخر
تداوله طلبة العلم وعني اهل المشرق والمغرب بمطالعته وشرحه وحصلت زبدة المتكلمين في هذا
الفن في هذه المختصرات واما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرا وكان من احسن كتابة المتقدمين فيها
تاليف ابي زيد الدبوسي واحسن كتابة المتاخرين فيها تاليف سيف الاسلام البزدوي من ايمتهم وهو مستوعب
وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين وسمى كتابه
بالبديع فجاء من احسن الاوضاع وابدعها وايمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحثا وولع كثير
من علماء العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته
وتعديد التواليف المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعنا بالعلم ويجعلنا من اهله بمنه وكرمه

واما الخلافيات

فاعلم ان هذا العلم المستنبط من الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف
مداركهم وانظارهم خلافا لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان
للمقلدين ان يقلدوا من شاوا منهم ثم لما انتهى ذلك الى الايمة الاربعة من علماء الامصار وكانوا
بمكان من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنع من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبته
وتشعب العلوم التي هي مواده باتصال الزمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الاربعة
الملة واجري الخلاف بين المتمسكين بها والاخذين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية
والاصول الفقهية وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة
وطرايق قويمة يحتج بها كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به واجريت في مسايل الشريعة
كلها وفي كل باب من ابواب الفقه فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وابو حنيفة يوافق
احدهما وتارة بين مالك وابي حنيفة والشافعي يوافق احدهما وتارة يكون بين الشافعي وابو حنيفة
ومالك يوافق احدهما وكان في هذه المناظرات بيان ماخذ هولاء الايمة ومثارات اختلافهم ومواقع
اجتهادهم كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل
بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط وصاحب
الخلافيات يحتاج اليها لحفظ تلك المسايل المستنبطة من ان يهدمها المخالف بادلته وهو لعمري
علم جليل الفايدة في معرفة ماخذ الايمة وادلتهم ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون
الاستدلال عليه وتواليف الحنفية والشافعية اكثر من تواليف المالكية لان القياس عند الحنفية
اصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك اهل النظر والبحث واما المالكية فالاثر اكثر معتمدهم
وليسوا باهل نظر وايضا فاكثرهم اهل المغرب وهم بادية غفل من الصنايع الا في الاقل وللغزالي رحمه

الله

الله تعالى فيه كتاب المآخذ ولابي زيد الدبوسي كتاب التعليقة ولابن القصار من شيوخ المالكية
عيون الادلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في اصول الفقه جميع ما ينبني عليها من الفقه الخلافي
مدرجا في كل مسيلة ما ينبني عليها من الخلافيات **واما** الجدل وهو معرفة اداب المناظرة التي تجري
بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من
المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطا
فاحتاج الايمة الى ان يضعوا ادابا واحكاما يقف المتناظران عند حدودهما في الرد والقبول وكيف
يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له ان يكون مستدلا وكيف يكون مخصوما منقطعا ومحل
اعتراضه او معارضته واين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه
انه معرفة بالقواعد من الحدود والاداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ راي او هدمه
كان ذلك الراي من الفقه او غيره وهي طريقتان طريقة البزدوي وهي خاصة بالادلة الشرعية من النص
والاجماع والاستدلال وطريقة العميدي وهي عامة في كل دليل يستدل به من اي علم كان واكثره
استدلال وهو من المناحي الحسنة والمغالطات فيه في نفس الامر كثيرة واذا اعتبرنا النظر المنطقي كان
في الغالب اشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي الا ان صور الادلة فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها
طرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العميدي هو اول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه ووضع الكتاب
المسمى بالارشاد مختصرا وتبعه من بعده من المتاخرين كالنسفي وغيره جاوا على اثره وسلكوا مسلكه وكثرت
في الطريقة التواليف وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الامصار الاسلامية وهي مع ذلك
كمالية وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

علم الكلام

وهو علم يتضمن الحجاج عن العقايد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في
الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقايد الايمانية هو التوحيد فلنقدم هنا
لطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على اقرب الطرق والماخذ ثم نرجع الى تحقيق علمه
وفيما ينظر ويشير الى حدوثه في الملة وما دعا الى وضعه فنقول ان الحوادث في عالم الكاينات
سواء كانت من الذوات ام من الافعال البشرية والحيوانية فلا بد لها من اسباب بهذا المعنى متقدمة
عليها بها تقع في مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من تلك الاسباب حادث ايضا فلا بد له من اسباب
اخرى ولا تزال تلك الاسباب مرتقية حتى تنتهي الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا اله
الا هو وتلك الاسباب في ارتقايها تتضاعف وتنفسح طولا وعرضا ويحار العقل في ادراكها وتعديدها
فاذا لا يحصرها الا العلم المحيط سيما الافعال البشرية والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد القصود
والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بارادته والقصد اليه والقصود والارادات امور نفسانية في الغالب
عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضا وتلك التصورات هي اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب
تلك التصورات تصورات اخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطلع احد على
مبادي الامور النفسانية ولا على ترتيبها انما هي اشيا يلقيها الله في الفكر يتبع بعضها بعضا والانسان
عاجز عن معرفة مباديها وغاياتها وانما يحيط علما في الغالب بالاسباب التي هي طبيعية ظاهرة ويقع في مدار كها
على نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها واما التصورات فنطاقها اوسع من النفس
لانها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلا عن الاحاطة وتامل من ذلك الحكمة

الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه واد يهيم فيه الفكر ولا يحلو منه بطايل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وربما انقطع في وقوفه عن الارتقا الى ما فوقه فزلت قدمه واصبح من الضالين الهالكين نعوذ بالله من الحرمان والخسران المبين ولا تحسبن ان هذا الوقوف او الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصبغة تستحكم من الخوض في الاسباب على نسبة لا نعلمها اذ لو علمناها لتحرزنا منها فلنتحرز من ذلك بقطع النظر عنها جملة وايضا فوجه تاثير هذه الاسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لانها انما يوقف عليها بالعادة وقضية الاقتران الشاهد بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التاثير وكيفيته مجهولة وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلذلك امرنا بقطع النظر عنها والغائها جملة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفاعلها وموجدها لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو اعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعه على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سبح في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتاثيراتها واحدا بعد واحد فانا الضامن له ان لا يعود الا بالخيبة فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وامرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من انه مقتدر على الاحاطة بالكاينات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رايه في ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادي رايه انه منحصر في مداركه لا يعدوها والامر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورايه الا يرى الاصم كيف ينحصر الاعمى ايضا يسقط عنده صنف المرييات ولولا ما يردهم الى ذلك تقليد الابا والمشيخة من اهل عصرهم والكافة لما اقروا به لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه الاصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة ادراكهم ولو سيل الحيوان الاعجم ونطق لوجدناه منكرا للمعقولات وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت ذلك فلعل هناك ضربا من الادراك غير مدركاتنا لان ادراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله اكبر من خلق الناس والحصر مجهول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورايهم محيط فاتهم ادراكك ومداركك في الحصر واتبع ما امرك الشارع به في اعتقادك وعملك فهو احرص على سعادتك واعلم بما ينفعك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح واحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان تزن به امور التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة وحقايق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل راى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع ان يزن به الجبال وهذا لا يدرك على ان الميزان في احكامه غير صادق لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له ان يحيط بالله وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتفطن في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في امثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رايه فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فلعل الاسباب اذا تجاوزت في الارتقا نطاق ادراكنا ووجودنا خرجت عن ان تكون مدركة فيضل العقل في بيدا الاوهام ويحار وينقطع فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب وكيفيات تاثيرها وتفويض ذلك الى خالقها المحيط بها اذ لا فاعل غيره وكلها ترتقي اليه وترجع الى قدرته وعلمنا به انما هو من حيث صدورنا عنه وهذا هو معنى ما نقل من بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك ثم ان المعتبر في هذا التوحيد هو الايمان فقط الذي هو تصديق حكمي فان ذلك من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس كما ان المطلوب من الاعمال والعبادات ايضا حصول ملكة الطاعة والانقياد

وتفريغ القلب عن شواغل ما سوى المعبود حتى ينقلب المريد السالك ربانيا والفرق بين الحال والعلم في العقايد فرق ما بين القول والاتصاف وشرحه ان كثيرا من الناس يعلم ان رحمة اليتيم والمسكين قربة الى الله تعالى مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر ماخذه من الشريعة وهو لو راى يتيما او مسكينا من ابنا المستضعفين لفر عنه واستنكف ان يباشره فضلا عن التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان رحمة المسكين قربة الى الله مقام اخر اعلى من الاول وهو الاتصاف بالرحمة وحصول ملكتها فمتى راى مسكينا او يتيما بادر اليه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك ولو دفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علمك بالتوحيد مع اتصافك به والعلم حاصل عن الاتصاف ضرورة وهو اوثق مبنى من العلم الحاصل قبل الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق ويجي العلم الثاني النافع في الاخرة فان العلم الاول المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع وهذا علم اكثر النظار والمطلوب انما هو العلم الحالي الناشي عن العادة واعلم ان الكمال عند الشارع في كل ما كلف به انما هو في هذا فما طلب اعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف وما طلب عمله من العبادات فالكمال فيها في الاتصاف والتحقق بها ثم ان الاقبال على العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في راس العبادات جعلت قرة عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالا يجد فيها لذته وقرة عينه واين هذه من صلاة الناس ومن لهم بها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم وفقنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين امين فقد تبين لك من جميع ما قررناه ان المطلوب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس يحصل منها علم للنفس هو التوحيد وهو العقيدة الايمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك سوا في التكاليف القلبية والبدنية ويفهم منه ان الايمان الذي هو اصل التكاليف كلها وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب اولها التصديق القلبي الموافق للسان واعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا ارفع مراتب الايمان وهو الايمان الكامل الذي لا يقارف المومن معه كبيرة ولا صغيرة اذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجها طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وفي حديث هرقل لما سال ابا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم واحواله فقال في اصحابه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه قال لا قال وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ومعناه ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس مخالفتها شان الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمثابة الجبلة والفطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبيا وجوبا سابقا وهذه حاصلة للمومنين حصولا تابعا لاعمالهم وتصديقهم بهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذي يتلى عليك من اقاويل السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وان الصلاة والصيام من الايمان وان تطوع رمضان من الايمان والحيا من الايمان والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي اشرنا اليه والى ملكته وهو فعلي واما التصديق الذي هو اول مراتبه فلا تفاوت فيه

فمن اعتبر اوايل الاسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال ايمة المتكلمين ومن اعتبر اواخر الاسماء وحمله على هذه الملكة التي هي الايمان الكامل ظهر له تفاوت وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود في جميع رتبه لانه اقل فلا يجزي اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت وانما التفاوت في الحال الحاصلة عن الاعمال كما قلناه ه فافهمه واعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذي في الرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين امورا مخصوصة كلفنا التصديق بها بقلوبنا واعتقادها في انفسنا مع الاقرار بها بالسنتنا وهي العقايد التي تقررت في الدين قال صلى الله عليه وسلم حين سيل عن الايمان فقال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره وشره وهذه هي العقايد الايمانية المقررة في علم الكلام ولنشر اليها مجملة ليتبين لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوثه فنقول

اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان بهذا الخالق الذي رد الافعال كلها اليه وافرده به كما قدمناه ه وعرفنا ان في هذه الايمان نجاتنا اذا حضرنا عند الموت لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الخالق المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا ومن فوق طورنا فكلفنا اولا اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين والا لما صح انه خالق لهم لعدم الفارق على ذلك التقدير ثم تنزيهه عن صفات النقص والا لشابه المخلوقين ثم توحيده بالاتحاد والا لم يتم الخلق للتمانع ثم اعتقاد انه عالم قادر فبذلك تتم الافعال شاهد قضيته لكمال الاتحاد والخلق ومريد والا لم يتخصص شي من المخلوقات ومقدر لكل كاين والا فالارادة حادثة وانه يعيدنا بعد الموت تكميلا لعنايته بالايجاد ولو كان الامر فان كان الامر عبثا فهو للبقاء السرمدي بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقا هذا المعاد لاختلاف احواله بالشقا والسعادة وعدم معرفتنا بذلك وتمام لطفه بنا في الاتيان بذلك وبيان الطريقين وان الجنة للنعيم وجهنم للعذاب هذه امهات العقايد الايمانية معللة بادلتها العقلية وادلتها من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الادلة اخذها السلف وارشد اليها العلما وحققها الايمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقايد اكثر مثارها من الاي المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة الى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولنبين لك تفصيل هذا المجمل وذلك ان القران ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تاويل في اي كثيرة وهي سلوب كلها وصريحة في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القران اي اخرى قليلة توهم التشبيه مرة في الذات واخرى في الصفات فاما السلف فغلبوا ادلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها وعلموا استحالة التشبيه وقضوا بان الايات من كلام الله فامنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تاويل وهذا معنى قول الكثير منهم اقروها كما جات اي امنوا بها من عند الله ولا تتعرضوا لتاويلها ولا تفسيرها لجواز ان تكون ابتلا فيجب الوقف والاذعان له وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الايات وتوغلوا في التشبيه ففريق شبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة اي التنزيه لان معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب ايات السلوب في التنزيه المطلق التي هي اكثر موارد واوضح دلالة اولى من التعلق بظواهر هذه التي لنا عنها غنية وجمع بين الدليلين بتاويلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالاجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول متناقض وجمع بين نفي واثبات ان كان بالمعقولية واحدة من الجسم وان خالفوا بينهما

ونفيا

ونفيا المعقولية المتعارفة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسما من اسمايه ويتوقف مثله على الاذن وفريقا منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وامثال ذلك وال قولهم الى التجسيم فنزعوا مثل الاولين الى قولهم صوت لا كالاصوات جهة لا كالجهات نزول لا كالنزول يعنون من الاجسام واندفع ذلك بما اندفع به الاول ولم يبق في هذه الظواهر الا اعتقادات السلف ومذاهبهم والايمان بها كما هي لئلا يكر النفي على معانيها بنفيها مع انها صحيحة ثابتة من القران ولهذا تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لابن ابي زيد وكتاب المختصر له وفي كتب الحافظ ابن عبد البر وغيرهم فانهم يحومون على هذا المعنى ولا تغمض عينك عن القراين الدالة على ذلك في غضون كلامهم ثم لما كثرت العلوم والصنايع وولع الناس بالتدوين والبحث في ساير الانحا والف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في اي السلوب فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زايدة على احكامها لما يلزم عن ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود بان الصفات ليست عين الذات ولا غيرها وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما من عوارض الاجسام وهو مردود لعدم اشتراط البنية في مدلول هذا اللفظ وانما هو ادراك المسموع او المبصر وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بان القران مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة ولقنها بعض الخلفا عن بعض ايمتهم فحمل الناس عليها وخالفهم ايمة السلف فاستباح لخلافهم ايسار كثير منهم ودماءهم وكان ذلك سببا لانتهاض اهل السنة بالادلة العقلية على هذه العقايد دفعا في صدور هذه البدع وقام بذلك الشيخ ابو الحسن الاشعري امام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه واثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف وشهدت له الادلة المخصصة لعمومه فاثبت الصفات الاربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القايم بالنفس بطريق العقل والنقل ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والاصلح والتحسين والتقبيح وكمل العقايد في البعثة واحوال الجنة والنار والثواب والعقاب والحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حينئذ من بدعة الامامية في قولهم انها من عقايد الايمان وانه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة فيها لمن هي له وكذلك على الامة وقصارى امر الامامة انها قضية مصلحية اجماعية ولا تلحق بالعقايد فلذلك الحقوها بمسايل هذا الفن وسموا مجموعه علم الكلام اما لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست براجعة الى عمل لان سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام النفساني وكثر اتباع الشيخ ابي الحسن الاشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره واخذ عنهم القاضي ابو بكر الباقلاني فتصدر للامامة في طريقتهم وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والانظار وذلك مثل اثبات الجوهر الفرد والخلا وان العرض لا يقوم بالعرض وانه لا يبقى زمنين وامثال ذلك مما تتوقف عليه ادلتهم وجعل هذه القواعد تبعا للعقايد الايمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الادلة عليها وان بطلان الدليل يوذن ببطلان المدلول وجملت هذه الطريقة وجاءت من احسن الفنون النظرية والعلوم الدينية الا ان صور الادلة تعتبر بها الاقيسة لم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشي فلم ياخذ بها المتكلمون لملابستها للعلوم الفلسفية المباينة لعقايد الشرع بالجملة فكانت عندهم مهجورة لذلك ثم جاء بعد القاضي ابي بكر من ايمة الاشعرية امام الحرمين ابو المعالي واملى في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول فيه ثم لخصه في كتاب الارشاد واتخذه الناس اماما لعقايدهم ثم انتشرت بعد

ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعيار للأدلة فقط يسبر به الأدلة منها كما يسبر من سواها ثم نظروا في تلك القواعد المقدمات في فن الكلام للأقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التي أدتهم إلى ذلك وربما أن كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم إلى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار إليه القاضي فصارت هذه الطريقة في مصطلحهم مباينة للطريقة الأولى وتسمى طريقة المتأخرين وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الإيمانية وجعلوهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الإمام ابن الخطيب وجماعة قفوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسائل فيهما واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات هو بعض من هذه الكائنات إلا أن نظره فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الوجود من حيث يدل على الموجد وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد وإذا تأملت حال الفن في حدوثه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرا بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والأدلة علمت حينئذ ما قررناه لك في موضوع الفن وأنه لا يعدوه ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفنين من الآخر ولا يحصل طالبه عليه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تواليفهم إلا أن هذه الطريقة قد يعنى بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والإغراق في معرفة الحجاج لوفور ذلك فيها وأما محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فإنما هو في الطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الإرشاد وما حذا حذوه ومن أراد إدخال الرد على الفلاسفة في عقائده فعليه بكتب الغزالي والإمام ابن الخطيب فإنها وإن وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا والأدلة العقلية إنما احتيج إليها لما دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها إلا الكلام تنزيه الباري عن الكثير من إيهاماته وإطلاقه ولقد سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مر بهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيل قوم ينزهون الله تعالى بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها والله ولي المؤمنين

علم التصوف

هذا

هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة قال القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر أنه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفا أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة اختصوا بمآخذ مدركة لهم وذلك أن الإنسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك وإدراكه نوعان إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وإدراك للأحوال القائمة به من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضى والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ من إدراكات وإرادات وأحوال وهي التي يتميز بها الإنسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة والفرح والحزن عن إدراك المؤلم أو المتلذذ به والنشاط عن الحمام والكسل عن الإعياء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بد أن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحال إما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاما للمريد وإما أن لا تكون عبادة وإنما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك والمقامات لا يزال المريد يترقى فيها من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترقي في هذه الأطوار وأصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدمها الإيمان ويصاحبها وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان وإذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم أنه إنما أتى من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد إلى محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك إلا القليل من الناس لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات إذا لم ينتهوا إلى هذا النوع أنهم يأتون بالطاعات مخلصة من نظر الفقه في الإجزاء والامتثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليطلعوا على أنها خالصة من التقصير أو لا فظهر أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والتروك والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما ويترقى منها إلى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلحنا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق

والمواجد العارضة في طريقهم وكيفية الترقي منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي
تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت والف الفقها في الفقه واصوله والكلام
والتفسير وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه الطريقة في طريقهم فمنهم من كتب في احكام الورع
ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك كما فعلها القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي
في كتاب عوارف المعارف وامثالهم وجمع الغزالي رحمه الله تعالى بين الامرين في كتاب الاحياء
فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين اداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم
وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت احكامها انما
تتلقى من صدور الرجال كما وقع في ساير العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث
والفقه والاصول وغير ذلك ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب
الحس والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب الحس ادراك شي منها والروح من تلك العوالم
وسبب هذا الكشف ان الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال الحس وقويت
احوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه واعان على ذلك الذكر فانه كالغذا لتنمية الروح
ولا تزال في نمو وتزيد الى ان يصير شهودا بعد ان كان علما ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس
الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك فتتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح
الالهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الافق الاعلا افق الملايكة وهذا الكشف كثيرا ما يعرض
لاهل المجاهدة فيدركون من حقايق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات
قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم
فالعظما منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شي لم يومروا
بالتكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه اذا هاجمهم وقد كان الصحابة
رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات اوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم
بها عناية وفي فضايل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك اهل الطريقة
ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم ثم ان قوما من المتاخرين
انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والكلام في المدارك التي وراه واختلفت طرق الرياضة
عندهم في ذلك باختلاف تعليمهم في اماتة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى
يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوها وتغذيتها فاذا حصل ذلك زعموا ان الوجود
قد انحصر في مداركها حينئذ وانهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقايقها كلها من العرش الى الطش
هكذا قال الغزالي في كتاب الاحيا بعد ان ذكر صورة الرياضة ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحا
كاملا عندهم الا اذا كان ناشيا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم
يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشي
عن الاستقامة ومثاله ان المراة الصقيلة اذا كانت محدبة او مقعرة وحوذي بها جهة المري
فانه يتشكل فيها معوجا على غير صورته واذا كانت مسطحة تشكل فيها المري صحيحا فالاستقامة
للنفس كالانبساط للمراة فيما ينطبع فيها من الاحوال ولما عني المتاخرين بهذا النوع من الكشف تكلموا
في حقايق الموجودات العلوية والسفلية وحقايق الملك والروح والعرش والكرسي وامثال ذلك
وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم اذواقهم ومواجدهم في ذلك واهل الفتيا بين منكر
عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق ردا وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانيات

وربما

وربما قصد بعض المصنفين بيان مذاهبهم في كشف الوجود وترتيب حقايقه فاتى بالاغمض فالاغمض بالنسبة
الى اهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتب
في صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة
الوحدانية التي هي مظهر الوحدانية وهما معا صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير
ويسمون هذا الصدور بالتجلي واول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال
بافاضة الايجاد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقلونه كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت
الخلق ليعرفوني وهذا الكمال في الايجاد المتنزل في الوجود وتفصيل الحقايق وهو عندهم عالم المعاني
والحضرة الكمالية والحقيقة المحمدية وفيها حقايق الصفات واللوح والقلم وحقايق الانبيا والرسل اجمعين
والكمل من اهل الملة المحمدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر عن هذه الحقايق حقايق
اخرى في الحضرة الاهبية وهي مرتبة المثال ثم عنها الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب
العرش ثم
هذا في عالم الرتق فاذا تجلت فهي في عالم الفتق ويسمى هذا المذهب مذهب اهل التجلي والظاهر
والحضرات وهو كلام لا يقتدر اهل النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام
صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل وربما انكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب اخرون
منهم الى القول بالوحدة المطلقة وهو راي اغرب من الاول في تعقله وتفاريعه يزعمون فيه ان الوجود
كله له قوى في تفاصيله بها كانت حقايق الموجودات وصورها وموادها والعناصر انما كانت بما فيها
من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى
متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بهيولاها وزيادة
القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها في نفسها وكذا القوة الانسانية
مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن الانسانية وزيادة وكذا الذوات الروحانية والقوة الجامعة للكل
من غير تفصيل هي القوة الالهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجمعتها واحاطت بها من
كل وجه لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفا ولا من جهة الصورة ولا من جهة المادة فالكل واحد
وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصل لها كالانسانية
مع الحيوانية الا ترى انها مندرجة فيها وكاينة بكونها فتارة يمثلونها بالجنس مع النوع في كل موجود
كما ذكرناه وتارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال وهم في هذا كله يفرون من التركيب والكثرة
بوجه من الوجوه شبيه بما تقول الحكما في الالوان من ان وجودها مشروط بالضو فاذا عدم الضو
لم تكن الالوان موجودة بوجه وكذا عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك العقلي
فان الوجود المفصل كله مشروط بالمدرك البشري فلو فرضنا عدم المدرك البشري جملة لم يكن هناك
تفصيل الوجود بل هو بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة واللين بل والارض والما والنار والسما
والكواكب انما وجدت لوجود الحواس المدركة لها لما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الموجود
وانما هو في المدارك فقط فاذا فقدت المدارك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو انا لا غيره
ويعتبرون ذلك بحال النايم فانه اذا نام وفقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة
الا ما يفصله له الخيال قالوا فكذلك اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه
البشري ولو فقد فقد التفصيل وهذا هو معنى قولهم الوهم لا الوهم الذي هو من جملة المدارك البشرية
هذا ملخص رايهم على ما يفهم من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط لانا نقطع بوجود البلد الذي
نحن مسافرون عنه واليه يقينا مع غيبته عن اعيننا وبوجود السماء المظلة والكواكب وساير

الاشيا الغايبة عنا والانسان قاطع بذلك ولا يكابر احد نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتاخرين يقولون ان المريد عند الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموجودات ويعبر عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق ولا بد للمريد عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة لانه يخشى على المريد من وقوفه عندها فتخسر صفقته فقد تبينت مراتب اهل هذه الطريقة ثم ان هولاء المتاخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك وذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة كما اشرنا اليه وملوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصايدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتاخرين من الرافضة الداينين ايضا بالحلول والاهية الايمة مذهبا لم يعرف لاولهم فاشرب كل واحد من الفريقين مذهب الاخر واختلط كلامهم وتشابهت عقايدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه راس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله تعالى ثم يورث مقامه لاخر من اهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال جل جناب الحق ان يكون شرعة لكل وارد او يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من انواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قال الشيعة في النقبا حتى انهم لما اسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه اصلا لطريقتهم وتخيلهم رفعوه على علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا والا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتحلية ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ازهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم عبادة ولم يختص احد منهم في الدين بشي يوثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين والورع والزهد والمجاهدة يشهد بذلك من كلام المتصوفة في امر الفاطمي وما شحنوا كتبهم من ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي او اثبات وانما هو ماخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق ثم ان كثيرا من الفقها واهل الفتيا انتدبوا للرد على هولاء المتاخرين في هذه المقالات وامثالها وشملوا بالنكير ساير ما وقع لهم في الطريقة والحق ان كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في اربعة مواضع احدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التي تصير مقاما ويترقى منه الى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملايكة والوحي والنبوة والروح وحقايق كل موجود غايب او شاهد وتركيب الاكوان في صدورها عن موجدها وتكونها كما مر وثالثها التصرفات في العوالم والاكوان بانواع الكرامات ورابعها الفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من ايمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمنكر ومحسن ومتاول فاما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الاذواق والمواجد في نتايجها ومحاسبة النفس على التقصير في اسبابها فامر لا مدفع فيه لاحد واذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة واما الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكاينات فامر صحيح غير منكر وان مال بعض العلما الى انكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني من ايمة الاشعرية على انكارها لالتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من اهل السنة بينهما بالتحدي وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم ان وقوعها على

ودفع دعوى الكاذب غير معتد ولان دلالة المعجزة على الصدق عقلية فان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة النفس وهو محال هذا مع ان الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وانكارها نوع مكابرة وقد وقع للصحابة واكابر السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور واما الكلام في الكشف واعطاء حقوق العلويات وترتيب صدور الكاينات فاكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما انه وجداني عندهم وفاقد الوجدان عندهم بمعزل من اذواقهم فيه واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه لانها لم توضع الا للمتعارف واكثره من المحسوسات فينبغي ان لا نتعرض لكلامهم في ذلك ونتركه فيما تركناه من المتشابه ومن رزقه الله فهم شي من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فاكرم بها سعادة واما الالفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويواخذهم بها اهل الشرع فاعلم ان الانصاف في شان القوم انهم اهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور فمن علم منهم فضله واقتداوه حمل على القصد الجميل من هذا وان العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لابي يزيد وامثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمواخذ بما صدر منه من ذلك اذ لم يتبين لنا ما يحملنا على تاويل كلامه واما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال فمواخذ ايضا ولهذا افتى الفقها واكابر المتصوفة بقتل الحلاج لانه تكلم في حضور وهو مالك لحاله والله اعلم وسلف المتصوفة من اهل الرسالة اعلام الملة الذين اشرنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك انما همتهم الاتباع والاقتدا ما استطاعوا ومن عرض له شي من ذلك اعرض عنه ولم يحفل به بل يفرون منه ويرون انه من العوايق والمحن وانه ادراك من ادراكات النفس مخلوق حادث وان الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان وعلم الله اوسع وخلقه اكبر وشريعته بالهداية املك فلم ينطقوا بشي مما يدركون بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من اصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتدا ويامرون اصحابهم بالتزامها وهكذا ينبغي ان يكون حال المريد والله الموفق

علم تعبير الرويا

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنايع وكتب الناس فيها واما الرويا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وربما كان في الملوك والامم من قبل الا انه لم يصل الينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من اهل الاسلام والا فالرويا موجودة في صنف البشر على الاطلاق ولا بد من تعبيرها وقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرويا كما وقع في القران وكذا ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جز من ستة واربعين جزا من النبوة وقال لم يبق من المبشرات الا الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له واول ما بدي به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا وكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلاة الغداة يقول لاصحابه هل راى احد منكم الليلة رويا يسالهم عن ذلك ليستبشر بما وقع من ذلك لما فيه ظهور الدين واعزازه واما السبب في كون الرويا مدركا للغيب فهو ان الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في ساير البدن وبه تكمل افعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا ادركه الملال بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سطح البدن ما يغشاه من برد الليل انحسر الروح من ساير

انظار البدن الى مركزه القلبي يستجم بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب ثم ان هذا الروح القلبي هو مطية الروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في العالم الامر بذاته اذ حقيقته وذاته انه عين الادراك وانما يمنع من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من الحجاب والاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقته وهو عين الادراك فيعقل كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من ادراك لمحة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك اللائقة من عالمه واذا ادرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه اذ هو ما دام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه ينتزع من الصور المحسوسة صورا خيالية ثم يرفعها الى الحافظة تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صورا اخرى نفسانية عقلية فيترقى في التجريد من المحسوس الى المعقول والخيال واسطة بينهما ولذلك اذا ادركت النفس من عالمها ما تدركه القته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النائم كانه محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلي الى الحس والخيال ايضا واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصادقة واضغاث الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصور متنزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وان كانت ماخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهي اضغاث احلام واما معنى التعبير فاعلم ان الروح العقلي اذا ادرك مدركه والقاه الى الخيال فصوره فانما يصوره الخيال كصورة البحر او يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية فاذا استيقظ وهو لم يعلم من امره الا انه راى البحر او الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد ان يتيقن ان البحر صورة محسوسة وان المدرك وراءها وهو يهتدي بقرائن اخرى تعين له المدرك فيقول مثلا هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذا الحية يناسب ان تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالنسا لانهن اوعية وامثال ذلك ومن المرائي ما يكون صريحا لا يفتقر الى تعبير لجلائها ووضوحها او لقرب التشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر الى تاويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث واعلم ايضا ان الخيال اذا القي اليه الروح مدركه فانما يصوره في القوالب المعتادة للحس وما لم يكن الحس ادركه قط من القوالب فلا يصور فيه شيئا فلا يمكن من ولد اعمى ان يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النسا بالاواني لانه لم يدرك شيئا من هذه وانما يصور له الخيال امثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات وليتحفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يبني عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتاويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع اخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع اخر يدل على الهم والامر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على الحياة وامثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما يقتضيه

القراين

القراين التي تعين من هذه القوانين ما هو اليق بالرؤيا وتلك القراين منها في اليقظة ومنها في النوم ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يزل هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيهم من اشهر العلماء وكتبت عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد والف الكرماني فيه من بعده ثم الف المتاخرون واكثروا والمتداول بين اهل المغرب لهذا العهد كتب ابن ابي طالب القيرواني من علماء اهل القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشارة ومن مدارك الوحي كما ثبت في الصحيح والله علام الغيوب

العلوم العقلية واصنافها

واما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران الخليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على اربعة علوم الاول علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطا من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية او النفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها واما ان يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو العلم الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على اربعة علوم وتسمى التعاليم اولها علم الهندسة وهو النظر على الاطلاق واما المنفصلة من حيث كونها معدودة او المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد ثلاث وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها اما من حيث ذاتها او من حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها علم الارتماطيقي وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر اوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه اصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم وبعده التعاليم فالارتماطيقي اولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه فمن فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة الازياج وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد الى اخرها واعلم ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا اخبارهم الامتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت اسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصره لهم فكانت هذه العلوم بحورا زاخرة في افاقهم وامصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم

من القبط عناية بالسحر والنجامة وما يتبعهما من التاثيرات والطلسمات واخذ ذلك عنهم الامم من فارس
ويونان واختص بها القبط وطما عبابها فيهم كما وقع في المتلو من خبر هاروت وماروت وشان السحرة
وما نقله اهل العلم من شان البرابي بصعيد مصر ثم تتابعت الملل بحظر ذلك وتحريمه فدرست
علومه وبطلت كان لم تكن الا بقايا يتناقلها منتحلو هذه الصنايع والله اعلم بصحتها مع ان سيوف
الشرع قايمة على ظهورها ومانعة من اختبارها واما الفرس فكان شان هذه العلوم العقلية
عندهم عظيما ونطاقها متسعا لما كانت عليه دولهم من الضخامة واتصال الملك ولقد يقال ان
هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية
فاستولى على كتبهم وعلومهم ما لا ياخذه الحصر كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب ليستاذنه
في شانها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء فان يكن فيها هدى فقد هدانا
الله باهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم
الفرس فيها عن ان تصل الينا واما الروم فكانت الدولة منهم ليونان اولا وكان لهذه العلوم بينهم
مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمة وغيرهم واختص فيها المشاوون منهم
اصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرءون في رواق يظلهم من الشمس والبرد على ما زعموا
واتصل فيهم تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه الى سقراط الدن ثم الى تلميذه
ارسطو ثم الى تلميذه اسكندر الافرودسي وتامسطيوس وغيرهم وكان ارسطو معلما للاسكندر
ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من ايديهم وكان ارسخهم في هذه العلوم قدما
وابعدهم فيها صيتا وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكرا ولما انقرض امر اليونانيين
وصار الامر للقياصرة واخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرايع
فيها وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزاينهم ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم
باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لاهله الظهور الذي لا كفاء له وابتزوا الروم ملكهم
فيما ابتزوه للامم وابتدا امرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنايع حتى اذا تبحبح السلطان
والدولة واخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا في الصنايع والعلوم
تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية بما سمعوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين ببعض
ذكر منها وبما تسمو اليه افكار الانسان فيها فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث
اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات وقراها المسلمون
واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي منها وجاء المامون من بعد ذلك وكانت له
في العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث لهذه العلوم حرصا واوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج
علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك فاوعى منه واستوعب
وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها
وخالفوا كثيرا من اراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودونوا
في ذلك الدواوين واربوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من اكابرهم في الملة ابو نصر الفارابي
وابو علي بن سينا بالمشرق والقاضي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر الصايغ بالاندلس الى
اخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هولاء بالشهرة والذكر واقتصر كثير على انتحال التعاليم
وما ينضاف اليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة في هذا المنتحل على مسلمة
بن احمد المجريطي من اهل الاندلس وتلميذه ودخل على الملة من هذه العلوم واهلها داخلة واستهوت

الكثير من الناس بما جنحوا اليها وقلدوا اراها والذنب في ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فعلوه ثم ان
المغرب والاندلس لما ركدت ريح العمران به وتناقصت اضمحل ذلك منه الا قليلا من رسومه تجدها في
تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء السنة ويبلغنا عن اهل المشرق ان بضايع هذه العلوم لم تزل
عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر وانهم على ثبج من العلوم العقلية
والنقلية لتوفر عمرانهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر على تاليف في المعقول لرجل من
عظماء هراة من بلد خراسان يشتهر بسعد الدين التفتازاني منها في علم الكلام واصول الفقه والبيان
تشهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي اثنايها ما يدل على ان له اطلاعا في العلوم الحكمية
وتطلعا بها وقدما عالية في ساير الفنون العقلية والله يويد بنصره من يشاء وكذلك بلغنا
لهذا العهد ان هذه العلوم الفلسفية ببلاد الافرنجة من ارض رومة وما اليها من العدوة الشمالية
نافقة الاسواق وان رسومها هنالك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة
وحملتها متوفرون وطلبتها متكثرون والله اعلم بما هنالك والله يخلق ما يشاء ويختار ه

العلوم العددية

واولها الارتماطيقي وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التاليف اما على التوالي او بالتضعيف
مثل ان الاعداد اذا توالت متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها مساو ولعدد بعدهما من الطرفين
بعد واحد ومثل ضعف الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فردا مثل الافراد على تواليها والازواج ج
على تواليها والافراد على تواليها ومثل ان الاعداد اذا توالت على نسبة واحدة يكون اولها نصف
ثانيها الى اخرها او يكون اولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الى اخرها فان ضرب الطرفين
احدهما في الاخر كضرب كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد احدهما في الاخر ومثل مربع الواسطة
ان كانت العدة فردا وذلك مثل اعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فاربعة فثمانية فستة عشر
ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والمخمسات والمسدسات اذا
وضعت متتالية في سطورها بان يجمع من الواحد الى العدد الاخير فيكون مثلثة وتوالى المثلثات
هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على كل مثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة وتزيد على
كل مربع مثلث الذي قبله فتكون مخمسة وهلم جرا وتتوالى الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ود
ذو طول وعرض ففي عرضه الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم المخمسات
الى اخرها وفي طوله كل عدد واشكاله بالغا ما بلغ ويحدث في جمعها وقسمة بعضها على بعض طولا
وعرضا خواص غريبة استقريت منها وتقررت في دواوينهم مسايلها وكذلك ما يحدث للزوج
والفرد وزوج الزوج وزوج الفرد وزوج الزوج والفرد فان لكل منها خواص مختصة به
تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن اول اجزاء التعاليم واثبتها ويدخل في براهين
الحساب وللحكماء المتقدمين والمتاخرين فيه تواليف واكثرهم يدرجونه في التعليم ولا يفردونه
بالتاليف فعل ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاة وغيره من المتقدمين واما المتاخرون فهو عندهم
مهجور اذ هو غير متداول ومنفعته في البراهين لا في الحساب فهجروه لذلك بعد ان استخلصوا
زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البنا في كتاب رفع الحجاب والله تعالى اعلم

ومن فروع علم العدد صناعة الحساب

وهي صناعة عملية في حساب الاعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو الجمع وبالتضعيف اي يضاعف عدد باحاد عدد اخر وهذا هو الضرب والتفريق ايضا يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او تفصيل عدد باجزا متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من العدد او الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد وتلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون الضم والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب مثله فيكون منه العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد المربع فان تلك الجذور ايضا يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة حادثة احتيج اليها للحساب في المعاملات والف فيها الناس كثيرا وتداولوها في الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن التعليم عندهم الابتداء بها لانها معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشا عنها في الغالب عقل مضي درب على الصواب وقد يقال ان من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا ومن احسن التواليف المبسوطة فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولابن البنا المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدي بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر ادركنا المشيخة تعظمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاءه الاستغلاق من طريق البرهان ببيان العلوم التعاليم لان مسائلها واعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فانما هو اعطاء العلل في تلك الاعمال وفي ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد في اعمال المسائل فتامله والله يهدي من يشا

ومن فروع الجبر والمقابلة

وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على ان جعلوا للمجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب اولها العدد لانه به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة المجهول اليه وثانيها الشي لان كل مجهول فهو من جهة ابهامه شي وهو ايضا جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو مربع مبهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المفروض في المسئلة فيخرج الى معادلة بين مختلفين او اكثر من هذه الاجناس فيقابلون بعضها ببعضها ويجبرون ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحا ويحطون المراتب الى اقل الاسوس ان امكن حتى يصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشي والمال فان كانت المعادلة بين واحد وواحد تعين فالمال والجذر يزول ابهامه بمعادلة العدد ويتعين والمال وان عادل الجذور فيتعين بعدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين اخرجه العمل الهندسي من طريق تفصيل الضرب في الاثنين وهي مبهمة فيعينها ذلك الى ست مسايل لان المعادلة بين عدد وجذر ومال مفردة او مركبة يجي ستة واول من كتب في هذا الفن ابو عبد الله الخوارزمي وبعده ابو كامل شجاع بن اسلم وجاء الناس على اثره فيه وكتابه في مسائله الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فاجادوا ومن احسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا ان بعض ائمة التعاليم من اهل المشرق انهى المعادلات الى اكثر من هذه الستة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج

لها

لها كلها اعمالا وثيقة ببراهين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء ومن فروعه ايضا المعاملات وهو تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وساير ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف في ذلك صناعتا الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والغرض من تكثير المسايل المفروضة فيها حصول المران والدربة بتكرر العمل حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب ولاهل صناعة الحساب من اهل الاندلس تواليف فيها متعددة ومن اشهرها معاملات الزهراوي وابن السمح وابي مسلم بن خلدون من تلميذ مسلمة المجريطي وامثالهم

ومن فروعه ايضا الفرايض

وهي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات اذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته او زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على المال كله او كانت الفريضة اقرارا وانكارا من بعض الورثة دون بعض فتحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة الى كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مصححا حتى يكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتيب على ترتيب ابواب الفرايض الفقهية ومسايلها وتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو احكام الوراثات في الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسايلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهمان باعتبار الحكم الفقهي وهو من اجل العلوم وقد يورد اهلها احاديث نبوية تشهد بفضلها مثل الفرايض ثلث العلم وانها اول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندي ان ظواهر تلك الاحاديث كلها انما هي في الفرايض العينية كما تقدم لا الفرايض الوراثات فانها اقل من ان تكون في كميتها ثلث العلم واما الفرايض العينية فكثيرة وقد الف الناس في هذا الفن قديما وحديثا واوعبوا ومن احسن التواليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابو القاسم الحوفي ثم كتاب ابن المنمر والجعدي والصردي وغيرهم لكن الفضل للحوفي فكتابه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله سليمان السطي كبير مشيخة فاس فاوضح واوعب ولامام الحرمين فيها تواليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع باعه في العلوم ورسوخ قدمه وكذا الحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله اعلم

العلوم الهندسية

هذا العلم هو الناظر في المقادير اما الخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل ان كل مثلث فزواياه مثل قائمتين ومثل ان كل خطين متوازيين لا يلتقيان في جهة ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل ان الاربعة المقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وامثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب اوقليدس ويسمى كتاب الاصول والاركان وهو ابسط ما وضع فيها للمتعلمين واول ما ترجم من كتب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المنصور ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين فمنها لحنين بن اسحاق ولثابت بن قرة وليوسف بن الحجاج ويشتمل على خمس عشرة مقالة اربعة

في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة واخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض وثلاث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوية على المنطقات ومعناه الجذور وخمس في المجسمات وقد اختصره الناس في اختصارات كثيرة كما فعله ابن سينا في تعاليم الشفا افرد له جزءا منها واختصره به وكذلك ابن الصلت في كتاب الاختصار وغيرهم وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق واعلم ان الهندسة تفيد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيستها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطا وينشا لصاحبها عقل على ذلك المهيع ولقد زعموا انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخلن منزلنا وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل من الاقذار وينقيه من الاوضار والادران وانما ذلك لما اشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه والله اعلم

ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة

بالاشكال الكرية والمخروطات اما الاشكال الكرية ففيها كتابان من كتب اليونانيين لثاودوسوس ومنلاوس في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاودوسوس مقدم في التعليم على كتاب منلاوس لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد منهما لمن يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليهما فالكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر باسباب الحركات كما نذكره فقد يتوقف على معرفة احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها واما المخروطات فهو من فروع الهندسة ايضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطة من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض براهين هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل النجارة والبناء وكيف يصنع التماثيل الغريبة والهياكل النادرة وكيف يتحيل على جر الاثقال ونقل الهياكل بالهندام وامثال ذلك وقد افرد بعض المولفين في هذا الفن كتابا في الحيل العملية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستظرفة كل عجيب وربما استغلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بايدي الناس وينسبونه الى بني شاكر انتهى

ومن فروع الهندسة المساحة

وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار الارض المعلومة بنسبة شبر او ذراع او غيرهما ونسبة ارض من ارض اذا قويست بمثل ذلك ويحتاج الى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والفدن وبساتين الغراسة وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركا والورثة وامثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة

المناظر من فروع الهندسة

وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على ان ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي راسه نقطة الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبيرا والبعيد صغيرا وكذلك رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء

ووراء

ووراء الاجسام الشفافة كبيرة ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والشعلة دائرة وامثال ذلك فيتبين في هذا العلم اسباب ذلك وكيفياته بالبراهين الهندسية ويتبين به ايضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي يبنى عليه معرفة رؤية الاهلة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد الف في هذا الفن كثير من اليونانيين واشهر من الف فيه من الاسلاميين ابن الهيثم ولغيره فيه تواليف ايضا وهو من هذه الرياضة وتفاريعها

علم الهيئة

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحيرة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على اشكال واوضاع للافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما يبرهن على ان مركز الارض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بتعدد الميول له وامثال ذلك وادراك الموجود من الحركات وكيفياتها واجناسها انما هو بالرصد فانا انما علمنا حركة الاقبال والادبار وكذا ترتيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك وكان اليونانيون يعتنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات التي توضع ليرصد بها حركة الكوكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بايدي الناس واما في الاسلام فلم يقع به عناية الا في القليل وكان في ايام المامون شيء منه وصنع هذه الآلة المعروفة بذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة بحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطي التحقيق فاذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك بالتقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما تفهم في المشهور انها تعطي صورة السموات وترتيب الافلاك بالحقيقة بل انما تعطي ان هذه الصور والهيئات للافلاك لزمت عن هذه الحركات وانت تعلم انه لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطي الحقيقة بوجه على انه علم جليل وهو احد اركان التعاليم ومن احسن التواليف فيه كتاب المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونانيين الذين اسماؤهم بطليموس على ما حققه شراح الكتاب وقد اختصره الائمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وادرجه في تعاليم الشفا ولخصه ابن رشد ايضا من حكماء الاندلس وابن السمح وابن الصلت وكتاب الاقتصار ولابن الفرغاني هيئة ملخصة قربها وحذف براهينها الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم

ومن فروعه علم الازياج

وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في افلاكها لاي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية واصول متقررة من معرفة الاوج والحضيض والميول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلا وتقويما وللناس فيه تواليف كثيرة للمتقدمين والمتاخرين مثل البتاني وابن الكماد وقد عول المتاخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن اسحاق ويزعمون ان

ابن اسحاق عول فيه على الرصد وان يهوديا كان بصقلية ماهرا في الهيئة والتعاليم وكان قد عني بالرصد وكان يبعث اليه لوثاقة مبناه على ما يزعمون ولخصه ابن البنا في اخر سماه المنهاج فولع به الناس لما سهل من الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتبنى عليها الاحكام النجومية وهو معرفة الاثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والمواليد البشرية كما نبينه بعد ونوضح فيه ادلتهم ان شاء الله

علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات وذلك ان الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنها بادراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل في الخيال من الاشخاص المتفقة صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلي ثم ينظر الذهن بين تلك الاشخاص المتفقة واشخاص اخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطبق ايضا عليهما باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكلي الذي لا يجد كليا اخر معه يوافقه فيكون لاجل ذلك بسيطا وهذا مثل ما يجرد من اشخاص الانسان صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبقة عليهما ثم بينهما وبين النبات الى ان ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا يوافقه في شي فيقف العقل هنالك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذي به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصورا للماهيات ويعني به ادراك ساذج من غير حكم معه واما تصديقا اي حكما بثبوت امر لامر فصار سعي الفكر في تحصيل المطلوبات اما بان تجمع تلك الكليات بعضها الى بعض على جهة التاليف فتحصل صورة في الذهن كلية منطبقة على افراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بامر على امر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة الى التصور لان فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق الاشياء الذي هو مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فاقتضى ذلك تمييز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل المطالب العلمية ليتميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق وتكلم فيه المتكلمون اول ما تكلموا به جملا جملا ومفترقا ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله حتى ظهر في يونان ارسطو فهذب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله اول العلوم الحكمية وفاتحتها ولذلك يسمى بالمعلم الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى الفص وهو يشتمل على ثمانية كتب اربعة منها في صورة القياس واربعة في مادته وذلك ان المطالب التصديقية على انحاء فمنها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يفيده وما ينبغي ان تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن اي جنس يكون من العلم او الظن وقد ينظر في القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص بل من جهة انتاجه خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة ونعني بالمادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثاني انه من حيث الصورة وانتاج القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الاول في الاجناس العالية التي ينتهي اليها تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا التصديقية واصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث في القياس وصورة انتاجه على الاطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا اخر النظر من حيث الصورة ثم الرابع كتاب البرهان

وهو

وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماته يقينية ويختص بشروط اخرى لافادة اليقين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية واولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود اذ المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والمحدود لا تحتمل غيرها فلذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب والخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب وافحام الخصم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويختص ايضا من جهة افادته لهذا الغرض بشروط اخرى هي مذكورة هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد بالغرض الموضوع وانما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشي او النفرة عنه وما يجب ان يستعمل فيه من القضايا التخيلية هذه كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم ان حكماء اليونانيين بعد ان تهذبت الصناعة ورتبت راوا انه لا بد من الكلام في الكليات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسعا وترجمت كلها في الملة الاسلامية وتناولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس ولابن سينا كتاب الشفا استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتاخرون فغيروا اصطلاح المنطق والحقوا بالنظر في الكليات الخمس ثمرته وهي الكلام في الحدود والرسوم نقلوها من كتاب البرهان وحذفوا كتاب المقولات لان نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات والحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس وان كان من كتاب الجدل في كتب المتقدمين لكنه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من حيث انتاجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحذفوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة وربما يلم بعضهم باليسير منها الماما واغفلوها كان لم تكن وهي المهم المعتمد في الفن ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث انه فن براسه لا من حيث انه الة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع واول من فعل ذلك الامام فخر الدين ابن الخطيب ومن بعده افضل الدين الخونجي وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل ومختصر الموجز وهو حسن في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر اربعة اوراق اخذ بمجامع الفن واصوله تتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن وهي ممتلئة من ثمرة المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

الطبيعيات

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون في الارض من العيون والزلازل وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبدا الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات وكتب ارسطو فيه موجودة بين ايدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة ايام المامون والف الناس على حذوها واوعب من الف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفا جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمناه ثم لخصه في كتاب النجاة وفي كتاب الاشارات وكانه يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها ويقول برايه فيها واما ابن رشد فلخص كتاب

ارسطو في الكثير من مسايلها ويقول برايه فيها واما ابن رشد فلخص كتاب ارسطو وشرحها متبعا له غير مخالف والف الناس في ذلك كثيرا لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولاهل المشرق عناية بكتاب الاشارات لابن سينا وللامام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الآمدي وشرحه نصير الدين الطوسي المعروف بخواجه من اهل العراق وبحث مع الامام في كثير من مسايله فاوفى على انظاره وبحوثه وفوق كل ذي علم عليم

علم الطب

وهو صناعة ينظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالادوية والاغذية بعد ان يبين المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض التي تنشا عنها وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك بامزجة الادوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدوا اولا في السحنة والفضلات والنبض محاذين لذلك قوة الطبيعة فاما ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب وربما افردوا بعض الاعضاء بالكلام وجعلوه علما خاصا كالعين وعللها واكحالها وكذلك الحقوا بالفن من منافع الاعضا ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق كل عضو من اعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك موضوعا الا انهم جعلوه من لواحقه وتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيها من الاقدمين جالينوس يقال كان معاصرا لعيسى عليه السلام ويقال مات بصقلية في سبيل تقلب ومطاوعة اغتراب وتواليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع الاطبا من بعده وكان في الاسلام في هذه الصناعة ايمة جاؤا من وراء الغاية مثل الرازي والمجوسي وابن سينا ومن اهل الاندلس ايضا كثير واشهرهم ابن زهر وهي لهذا العهد في المدن الاسلامية كانها نقصت لوقوف العمران وتناقصه وهي من الصنايع التي لا تستدعيها الا الحضارة والترف كما نبينه بعد

فصل

وللبادية من اهل العمران طب يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص ويتداولونه متوارثا عن مشايخ الحي وعجايزه وربما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعي ولا عن موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم اطبا معروفون كالحارث بن كلدة وغيره والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شي انما هو امر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر احوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر احواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة ان ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلم انما بعث ليعلمنا الشرايع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شان تلقيح النخل ما وقع فقال انتم اعلم بامور دنياكم فلا ينبغي ان يحمل شي من الطب الذي وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة على انه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم الا ان استعمل على جهة التبرك وتصديق العقد الايماني فيكون له اثر عظيم في النفع وليس ذلك من الطب المزاجي وانما هو من اثار الكلمة الايمانية كما وقع في مداواة المبطون بالعسل والله الهادي الى الصواب

الفلاحة

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشوه بالسقي والعلاج وتعهده بمثل ذلك وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عاما عندهم في النبات

من

من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك في باب السحر فعظمت عنايتهم لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير ولما نظر اهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا فاقتصروا منه في الكلام على النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه جملة واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفن الاخر منها مغفلا نقل منه مسلمة في كتبه السحرية امهات من مسايله كما نذكر عند الكلام على السحر ان شا الله تعالى وكتب المتاخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج وحفظ النبات من جوايحه وعوايقه وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة والله تعالى اعلم

علم الالهيات

وهو علم ينظر بزعمهم في الوجود المطلق فاولا في الامور العامة الجسمانيات والروحانيات من الماهيات والوحدة والكثرة والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر في مبادي الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها ثم في احوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدا وهو عندهم علم شريف يزعمون انه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة بزعمهم وسياتي الرد عليهم بعد وهو تال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما بعد الطبيعة وكتب المعلم الاول فيه موجودة بين ايدي الناس ولخصه ابن سينا في كتاب الشفا والنجا وكذلك لخصها ابن رشد من حكما الاندلس المتاخرون في علوم القوم من المتكلمين مسايل علم الكلام بموضوع الالهيات ومسايله بمسايلها فصارت كانها فن واحد وغيروا ترتيب الحكما في مسايل الطبيعيات والالهيات وخلطوهما فنا واحدا وقدموا الكلام في الامور العامة ثم اتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى اخر العلم كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع ما بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطا بمسايل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعهما ومسايلهما واحد والتبس ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسايل علم الكلام انما هي عقايد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه بمعنى انها لا تثبت الا به فان العقل معزول عن الشرع وانظاره وما تحدث فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس بحثا عن الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما كما هو شان الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد عقايد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه اهل البدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان تفرض صحيحة بالادلة النقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها ومحيطة بها لاستمدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك المحاط بها فاذا هدانا الشارع الى مدرك فينبغي ان نقدمه على مداركنا ونثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعتقد ما امرنا به اعتقادا وعلما ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام الالحاد في معارضة العقايد السلفية بالبدع النظرية ومحاذاة العقايد السلفية واما النظر في مسايل الطبيعيات والالهيات

دهما

بالصحيح والباطل فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس أنظار المتكلمين فاعلم ذلك لتميز به بين الفنين فإنهما مختلطان عند المتأخرين في الوضع والتأليف والحق مغايرة كل منهما لصاحبه بالموضوع والمسائل وإنما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج أهل الكلام كأنه إنشاء لطلب الاعتقاد بالدليل وليس كذلك بل إنما هو رد على الملحدين والمطلوب مفروض الصدق معلوم وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواجيد أيضا فخلطوا مسائل الفنين بفنهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلها مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة وأبعدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لأنهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وأبحاثها وتوابعها كما بيناه والله الهادي إلى الصواب بمنه

علم السحر والطلسمات

وهو علم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية والأول هو السحر والثاني هو الطلسمات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس إلا ما وجد في كتب الأمم الأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين فإن جميع من تقدم من الأنبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جاءوا بالأحكام إنما كانت كتبهم مواعظ وتوحيد وتذكير بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التواليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس هذا العلم منها وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرها من التواليف وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لأنها من توابعها لأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسانية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر كما نذكره في موضعه ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده ولنقدم هنا مقدمة يتبين بها حقيقة السحر وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص فطرة وجبلة لصنفها فنفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتبع ذلك من التأثير في الأكوان ونفوس السحرة لها خاصية التأثير في الأكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية فأما تأثير الأنبياء فمدد إلهي وخاصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر والنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة يأتي شرحها فأولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر والثاني بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول والثالث تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى

المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤون كأنها في الخارج وليس هناك شيء كما يحكى عن بعضهم أنه يري البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والنية له فهي لذلك وجهة إلى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرا والكفر من مواده وأسبابه كما رأيت ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله أو لتصرفه بالإفساد وما ينشأ عنه من الفساد في الأكوان والكل حاصل عنه ولما كانت المرتبتان الأوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة الأخيرة الثالثة لا حقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو له حقيقة أو إنما هو تخييل فالقائلون بأن له حقيقة نظروا إلى المرتبتين الأوليين والقائلون بأن لا حقيقة له نظروا إلى المرتبة الثالثة الأخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الأمر بل إنما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل له يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في بئر ذروان فأنزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها إلا انحلت وأما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الأخبار وكان السحر في بابل ومصر زمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة ولهذا كانت معجزته من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور وأمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عينا أو معنى ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرار مخارج حروف ذلك الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعده لذلك تفاؤلا بالعقد واللزام وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفثه في فعله ذلك استشعارا للعزيمة بالعزم ولتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا أيضا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فإذا هو مقطوع متخرق ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها على الأرض وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحتت قلبه ويقع ميتا وينقلب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير إلى الرمانة فتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك سمعنا بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب الأعداد المتحابة وهي رك رفد أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وثمانون ومعنى المتحابة أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وربع وسدس وخمس وأمثالها إذا جمع كان مساويا للعدد الآخر صاحبه فيسمي

لاجل ذلك المتحابة ونقل اصحاب الطلسمات ان لتلك الاعداد اثرا في الالفة بين المتحابين ه
واجتماعهما اذا وضع لهما مثالان احدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها او شرفها ناظرة الى القمر
نظر مودة وقبول ويجعل طالع الثاني سابع الاول ويضع على احد التمثالين احد العددين والاخر
على الاخر ويقصد بالاكثر الذي يراد ائتلافه اعني المحبوب ما ادري الاكثر كمية او الاكثر اجزاء ه
فيكون لذلك من التاليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينفك احدهما عن الاخر قاله صاحب
الغاية وغيره من ايمة الشان وشهدت له التجربة وكذا طابع الاسد ويسمى بطابع الحصى وهو ان
يرسم في قالب هند اصبع صورة اسد شايلا ذنبه عاضا على حصاة وقد قسمها بنصفين وبين يديه
صورة حية منسابة من رجليه الى قبالة وجهه فاغرة فاها الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب يدب
ويتحين برسمه حلول الشمس بالوجه الاول او الثالث من الاسد بشرط صلاح النيرين وسلامتهما
من النحوس فاذا وجد ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المثقال فما دونه من الذهب
وغمس بعد في الزعفران محلولا بماء الورد ورفع في خرقة حرير صفرا فانهم يزعمون ان لممسكه
من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر عنه وكذلك للسلاطين
فيه من القوة والعز على من تحت ايديهم ذكر ذلك ايضا اهل هذا الشان في الغاية وغيرها وشهدت
له التجربة وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس ذكروا انه يوضع عند حلول الشمس في شرفها
وسلامتها من النحوس وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتبر فيه نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع نظر
مودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في مواليد الملوك من الادلة الشريفة ويرفع في خرقة حرير
صفرا بعد ان يغمس في الطيب فزعموا ان له اثرا في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وامثال ذلك
كثير وكتاب الغاية لمسلمة بن احمد المجريطي هو مدونة اهل هذه الصناعة وفيه استيفاوها وكمال
مسايلها وذكر لنا ان الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك وسماه بالسر المكتوم وانه
بالمشرق يتداوله اهله ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من ايمة هذا الشان فيما نظن ولعل
الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف من هولاء المنتحلين لهذه الاعمال السحرية يعرفون بالبعاجين
وهم الذين ذكرت اولا انهم يشيرون الى الكسا والجلد فيتخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج
فتنبعج ويسمى احدهم لهذا العهد باسم البعاج لان اكثر ما ينتحل من السحر بعج الانعام يرهب
بذلك اهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترون في الغاية خوفا على انفسهم من الحكام لقيت
منهم جماعة وشاهدت من افعالهم هذه واخبروني ان لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات
كفرية واشراك لروحانيات الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها
وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال وان التاثير الذي لهم انما هو فيما
سوى الحر للامتعة والحيوانات والرقيق ويعبرون عن ذلك بما يمشي فيه الدراهم اي ما يملك
ويباع ويشترى من سائر المتملكات هذا ما زعموه وسالت بعضهم فاخبرني به واما افعالهم فظاهرة
موجودة وقفنا على الكثير منها وعاينتها من غير ريبة في ذلك هذا شان السحر والطلسمات واثارهما
في العالم فاما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان اثبتوا انهما جميعا اثر للنفس الانسانية
بان لها اثارا في بدنها على غير المجرى الطبيعي واسبابه الجسمانية بل اثار عارضة من كيفيات ه
الارواح تارة كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصورات النفسانية اخرى كالذي
يقع من قبل التوهم فان الماشي على حروف حايط او على حبل منتصب اذا قوي عنده توهم السقوط
سقط بلا شك ولهذا تجد كثيرا من الناس يعودون انفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم

يمشون

يمشون على حرف الحايط والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك من اثار النفس في بدنها
من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فجاز ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنها اذ نسبتها
الى الابدان في ذلك النوع من التاثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا منطبعة فثبت انها
موثرة في سائر الاجسام واما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج
الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب واسرار الاعداد وخواص
الموجودات واوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون ويقولون السحر اتحاد روح
بروح والطلسم روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطبايع العلوية السماوية بالطبايع السفلية
والطبايع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبه في غالب الامر بالنجامة والساحر
عندهم غير مكتسب لسحره بل هو مفطور عندهم على تلك الجبلة المختصة بذلك النوع من التاثير
والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ان المعجزة قوة الهية تبعث في النفس ذلك التاثير فهو مويد
بروح الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وبامداد
الشياطين في بعض الاحوال فبينهما الفرق في المعقولية والحقيقة والذات في نفس الامر
وانما نستدل نحن على التفرقة بالعلامات وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير
وللنفوس المتمحضة للخير والتحدي بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر
وفي افعال الشر في الغالب من التفريق بين الزوجين وضرر الاعدا وامثال ذلك وللنفوس
المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما عند الحكما الالاهيين وقد يوجد لبعض المتصوفة ه
واصحاب الكرامات تاثير ايضا في احوال العالم وليس معدودا من جنس السحر وانما هو بالامداد
الالاهي حظ على قدر حالهم وايمانهم وتمسكهم بكلمة الله واذا اقتدر احد منهم على افعال
الشر فلا ياتيها لانه متقيد فيما ياتيه ويذره للامر الالاهي فما لا يقع لهم فيه الاذن لا ياتونه
بوجه ومن اتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح
الله والقوى الالاهية فلذلك لا يعارضها شي من السحر وانظر شان سحرة فرعون مع موسى في
معجزة العصى كيف تلقفت ما كانوا يافكون وذهب سحرهم واضمحل كان لم يكن ولذلك لما انزل
على النبي صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عايشة رضي الله
عنها فكان لا يقروها على عقدة من العقد التي سحر فيها الا انحلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله ه
وذكره وقد نقل المورخون ان درفش كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفق المئيني العددي
منسوجا بالذهب في اوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق فوجدت الراية يوم قتل رستم
بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام فارس وشتاتهم وهو فيما تزعم اهل الطلسمات
والاوفاق انه مخصوص بالغلب في الحروب وان الراية التي فيها او معها فلا تنهزم اصلا الا ان
هذه عارضها المدد الالاهي من ايمان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكلمة
الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون واما الشريعة فلم تفرق بين
السحر والطلسمات والشعوذة وجعلته كله بابا واحدا محظورا لان الافعال انما اباح لنا الشارع
منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح دنيانا وما لا يهمنا في شي منهما فان كان فيه ضرر او نوع ضرر
كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات لان اثرهما واحد وكالنجامة التي فيها نوع
ضرر باعتقاد التاثير فتفسد العقيدة الايمانية برد الامور الى غير الله فيكون حينئذ ذلك
الفعل محظورا على نسبته في الضرر وان لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا اقل من تركه قربة الى الله

فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر وخصته بالحظر والتحريم واما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون انه راجع الى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قالوا ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية لان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال فاذًا لا تقع المعجزة مع الكذب باطلاق واما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا منه الخير ولا يستعمل في اسباب الخير والشر في اصل فطرتهما والله يهدي من يشاء

فصل ومن قبيل هذه التاثيرات النفسانية الاصابة بالعين وهو تاثير من نفس المعاين عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات او الاحوال ويفرط في استحسانه وينشا عن ذلك الاستحسان حينئذ ان يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به فيوثر فساده وهو جبلة فطرية اعني هذه الاصابة بالعين والفرق بينها وبين التاثيرات وان كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع الى اختيار فاعلها والفطري منها قوة صدورها لا نفس صدورها ولهذا قال القاتل بالسحر او بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذاك الا لانه ليس مما يريده ويقصده او يتركه وانما هو مجبور في صدوره عنه والله اعلم

علم اسرار الحروف

وهو المسمى لهذا العهد بالسيمياء نقل وضعه من الطلسمات اليه في اصطلاح اهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على ايديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه وزعموا ان الكمال الاسمائي مظاهره ارواح الافلاك والكواكب وان طبايع الحروف واسرارها سارية فهي سارية في الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن الابداع الاول تنتقل في اطواره وتعرب عن اسراره فحدث لذلك علم اسرار الحروف وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا يحاط بالعدد مسايله تعددت فيه تاليف البوني وابن العربي وغيرهما ممن اتبع اثارهما وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالاسماء الحسنى والكلمات الالهية الناشية عن الحروف المحيطة بالاسرار السارية في الاكوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبايع الى اربعة اصناف كالعناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلا وانفعالا بذلك الصنف فتنوعت الحروف بقانون صناعي يسمونه التكسير الى نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالالف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب ثم ترجع ذلك الى التوالي من الحروف والعناصر الى ان تنفذ فتعين لعنصر النار حروف سبعة الالف والهاء والطا والميم والفا والسين والذال وتعين لعنصر الهواء سبعة ايضا الجيم والزاي والتا والنون والصاد والياء والظا وتعين لعنصر الماء سبعة ايضا الذال والحاء والكاف والضاد والقاف والبا والعين وتعين للتراب سبعة ايضا الدال والحاء واللام والعين والراء والخاء والغين والحروف النارية لدفع الامراض الباردة حيث تطلب مضاعفتها اما حسا او حكما في تضعيف قوى المريخ في

الحروب والقتل والفتك والمائية ايضا لدفع الامراض الحارة من حميات وغيرها ولتضعيف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حسا او حكما كتضعيف قوى القمر وامثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف للنسبة العددية فان حروف ابجد دالة على اعدادها المتعارفة وضعا فبينها من اجل تناسب في نفسها ايضا كما بين الكاف والراء لدلالتها كلها على الاثنين كل في مرتبة الاحاد والكاف على اثنين في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكالذي بينها وبين الدال والميم والتاء لدلالتها على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج للاسماء اوفاق كما للاعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الاوفاق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل او عدد الحروف وامتزاج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لاجل التناسب الذي بينهما فاما سر هذا التناسب الذي بين الحروف وامزجة الطبايع او بين الحروف والاعداد فامر عسير على الفهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وانما مستندهم فيه الذوق والكشف قال البوني ولا تظن ان سر الحروف مما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بالمشاهدة والتوفيق الالهي واما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة منها وتاثر الاكوان عن ذلك فامر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا وقد يظن ان تصرف هولاء وتصرف اصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم وتاثيره على ما حققه اهله ان قوى روحانية من جوهر القهر تفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر باسرار فلكية ونسب عددية وبخورات جالبة لروحانية ذلك الطلسم مشدودة فيه بالهمة فائدتها ربط الطبايع العلوية بالطبايع السفلية وهو عندهم كالخميرة المركبة من ارضية وهوائية ومائية ونارية حاصلة في جملتها تحيل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقلبه الى صورتها وكذلك الاكسير للاجسام المعدنية كالخميرة تقلب المعدن الذي تسري فيه الى نفسها بالاحالة ولذلك يقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانه ربط الطبايع العلوية بالطبايع السفلية والطبايع العلوية حينئذ والطبايع السفلية روحانية وتحقيق الفرق بين تصرف اهل الطلسمات واهل الاسماء بعد ان تعلم ان التصرف في عالم الطبيعة كله انما هو للنفس الانسانية والهمم البشرية لان النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحاكمة عليها بالذات الا ان تصرف اهل الطلسمات انما هو في استنزال روحانية الافلاك وربطها بالصور او بالنسب العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة والقلب بطبيعته فعل الخميرة فيما حصلت فيه وتصرف اصحاب الهمة انما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور الالهي والامداد الرباني فيسخر الطبيعة لذلك طايعة غير مستعصية ولا يحتاج الى مدد من القوى الفلكية ولا غيرها لان مدده اعلى منها وتحتاج اهل الطلسمات الى قليل من الرياضة تفيد النفس قوة على استنزال روحانية الافلاك واهون بها وجهة ورياضة بخلاف اهل الاسماء فان رياضتهم هي الرياضة الكبرى وليست لقصد التصرف في الاكوان اذ هو حجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض كرامة من كرامات الله لهم فان خلا صاحب الاسماء عن معرفة اسرار الله وحقايق الملكوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الاسماء وطبايع الحروف والكلمات وتصرف بها من هذه الحيثية وهولاء هم اهل السيمياء في المشهور كان اذًا لا فرق بينه وبين اصحاب الطلسمات بل صاحب الطلسمات اوثق منه لانه يرجع الى طباعية وقوانين مرتبة واما صاحب اسرار الاسماء اذا فاته الكشف الذي يطلع على حقايق الكلمات وآثار المناسبات بفوات الخلوص في الوجهة وليس له في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه فيكون حاله اضعف رتبة وقد يمزج صاحب الاسماء قوى الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الاسماء الحسنى او ما يرسم من اوفاقها او بل ساير الاسماء

اوفقا تكون من حظوظ الكوكب الذي تناسب ذلك الاسم كما فعله البوني في كتابه الذي سماه الانماط
وانما يبرز تفصيلها في الحقايق على ما هي عليه من المناسبة واثبات هذه الكلمات عندهم انما هو بحكم
المشاهدة فاذا خلا صاحب الاسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة تقليدا كان عمله بمثابة عمل
صاحب الطلسم بل هو اوثق منه كما قلناه ولذلك قد يمزج ايضا صاحب الطلسمات عمله وقوى كواكبه
بقوى الدعوات المولفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب الا ان مناسبة
الكلمات عندهم ليس كما هي عند اصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما يرجع الى ما اقتضته
اصول طريقتهم السحرية من اقتسام الكواكب لجميع ما في العالم المكونات من جواهر واعراض وذوات
ومعان والحروف والاسما من جملة ما فيه فلكل واحد من الكواكب قسم منها يخصه ويبنون على ذلك
مباني غريبة منكرة من تقسيم سور القران واية على هذا النحو كما فعله مسلمة المجريطي في الغاية
والظاهر من حال البوني في انماطه انه اعتبر طريقتهم فان تلك الانماط اذا تصفحتها وتصفحت
الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفحت
قيامات الكواكب التي فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب يسمونها قيامات الكواكب
اي الدعوة التي تقام له بها شهد ذلك اما بانه من مادتها او بان التناسب الذي كان في اصل
الابداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وليس كل ما حرمه الشارع من
العلوم بمنكر الثبوت فقد ثبت ان السحر حق مع حظره لكن حسبنا ما علمنا الله

وَمِنْ فُرُوعِ السِّيمِيَا عِنْدَهُمْ اِسْتِخْرَاجُ الْأَجْوِبَةِ

من الاسئلة بارتباطها بين الكلمات حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولون علمه
من الكاينات الاستقبالية وانما هي شبه المعاياة والمسائل السيالة ولهم في ذلك كلام كثير
من اوعبه واعجبه زايرجة العالم للسبتي وقد تقدم ذكرها ونبين هنا ما ذكروه في كيفية
العمل بتلك الزايرجة بدايرتها وجدولها المكتوب حولها ثم نكشف عن الحق فيها وانها ليست
من الغيب وانما هي مطابقة بين مسيلة وجوابها في الافادة فقط وقد اشرنا الى ذلك من قبل
وليس عندنا رواية يعول عليها في صحة هذه القصيدة الا انا تحرينا اصح النسخ منها في ظاهر الامر وهي
هذه

يقول سبتي ويحمد ربه   مصل على هادي الى الناس ارسلا
محمد المبعوث خاتم الانبيا   ويرضى عن الصحب ومن لهم تلا
الا هذه زايرجة العالم الذي   تراه بحكم وبالعقل قد حلا
فمن احكم الوضع فيحكم جسمه   ويدرك احكاما تورثها العلا
ومن احكم الربط فيحكم قوة   ويدرك للقوى وللكل حصلا
وفي عالم الامر تراه محققا   وهذا مقام من بالاذكار كملا
فعدد كسر ابر عليكم بكتمها   اقمها دوائر وبالحاء عدلا
وطالعها عرش وفيه نقوشها   بنظم ونثر وتراه مجدولا
ونسب دوائر كنسب فلكها   وارسم كواكب لادراجها العلا
واخرج لاوتار وارسم حروفها   وكرر تمثلها على حد من جلا
اقم شكل زيرهم وسوبيونه   وحقق بيمن حيث نورهم جلا
وحصل علوما للطباع مهندسا   وعلم بهيئات وللادباء مثلا

دسو

وسولو بسقا وعلم حروفهم   وعلم بالله وحقق وحصلا
وسودوابر وانسب حروفها   وعالمها اطلق والاقاليم جدولا
امير لنا يهوي بجاية دولهم   زناتية ابت وحكم لها حلا
وقطر الاندلس فابن هود هم   وجاء بنو نصر وظفرهم تلا
ملوك وفرسان واهل الحكمة   فان شيت تفصيلهم فمقطوعهم خلا
ومهدي توحد ستوسن حكمهم   ملوك لمشرق بالاوفاق نزلا
وقسم على القطر وكن معتقدا   فان شيت بالرومي بلا لحن شكلا
نقفيس ويرسلون والزاحوفة   وافرنسيهم ذاك وبالطاء كملا
ملوك كباوق وسند فهرمس   وفرس طرطي وما بعدهم طلا
فقيصرهم جاوين دجرد بهم   لكاف وقبطهم بلامه صوق لا
وعباس كلهم شريف معظم   ولكن تركي اذا الفعل عطلا
فان شيت تدقيق الملوك وحالهم فخمس بيوتا ثم تسبت وجدولا
على حكم قانون الحروف وعلمها   وعلم طبايعها وكله مثلا
فمن علم العلوم تعلم علمنا   ويعلم اسرار الوجود واكملا
فيرسم علمه ويعرف ربه   وعلم ملاحيم بجسم فصلا
وجيت الى اسم والعروض نسقه   فحكم الحكيم فيه قطعا لتفتلا
وياتيك احرف تسولطريها   واحرف سمتويه تاتيك تفصلا
فمن بتنكير وقابل وعوص   بتربيعك الغالي للاجر اجملا
وفي العقد والمجرور تعرف غالبا   وزد تيح وصنيه ففي العقل فلا
واختر لمطلع وسو بيوتها   بجد رح وبالدور عد لا
وبدر لها المر فيبلغ قصده   وتغضي حروفها وفي نظمها الحلا
اذا ما زحل سعد والكواكب سعدت   فحسبك في الملك ونيل سها العلا
واتباع دالهم برموز نمة   فنسب دنا دينا تجد فيه منهلا
واوتار زيرهم فللحاء بمهتم   ومساهم المثلث بخمسه قد جلا
وادخل بافلاك وعدل بجدول   وارسم اباحاد وباقيه جملا
وجور سعد ود البحر تحوي ومثله   الى في عروض الشعر عن جمله تلا
فاصل الدين واصل لغتنا   وعلم النحو اتانا فاحفظ وحصلا
فادخل لقسطاط على الوفق جلا   وسبح لاسمه وكبر وهللا
فتخرج ابياتا في كل مطلب   بنظم طبيعي وسر من العلا
وكيفما تخرجها كذا احكم عدهم   فعلم الفواتح ترى فيه مسهلا
فتخرج ابياتا وعشرون ضعفت من الاقطيعا فياصاح جدولا
تريك صنايعا من الضرب كملت   فصح لك المنا وصح لك العلا
وسجع بزيرهم وانث بنقوة   اقمها دوائر الزير حصلا
اقمها باوفاق واصل لودها   من اسرار حروفهم فعد به سلسلا

٣ عم ك اك و ك ح و اه عم سد ١٩ سع ك ط ا لم ذ ح ع ق ولصاوم

الكلام على استخراج ستة الأوزان وكيفيتها ومقادير

التابل منها وفوق الدرجة المهيرة بالنسبة الى موضع المعلق من امتزاج طبايع وعلم الطب ومناعة الكيميا

ايا طالبا التطبيع علم جابر   وعلم مقدار المقادير بالاولا
اذا شئت علم الطب لاتدسه   لاحكام ميزان لصادق منهلا
فينبغي عليكم والاكسير يحكم   وامزاج وصنعكم بتصحيح انجلا

الطب الروحاني

وسب بلاوس لاعير كاهه   ودهه نحلا
لبهرام برحس   وسعه اكملا
لتغليل اوجاع البوارد صحوا   لذلك والتركيب حيث سعلا

بهسع بهه ٥٥ ٢ بهه عرصح ذى ٦ لمح ٣١ بهه بهه ياى ٧ صم لا ذى بهها
بهه ع ع ع وح ساعرى فى كـ عاعر

مطالع الشعاعات في موالية الملوك ونغنيتهم

وعلم مطارح الشعاعات مشكل   وصنع تسميها بمنطقة حلا
ولكن توضح مقام امامنا   وبيدو اذا عرض الكواكب عدلا
بداك مراكز من طول وعرضها   فمن ادركه ثم موصلا
مواقع تربيع وسه تسقط   لتسديد منهم تثليث بيت لذي تلا
يراد لتربيع وهذا قيامه   يقينا وحذرع وبالعين اعملا
ومن نسبه التربيعين ركب   شعاعك يصاد وضعته وتربيعه اعلا

اختصره صح عر ٨ سع ولى هذا العمل هنا بالملوك والقانون بطرد عمله ولم يراعي منه ه
مقامات الملوك المقام الاول ده المقام الثانى با ٢ ٩ بهبهمه سع ع المقام الثالث
ع ٤ ره المقام الرابع بهح المقام الخامس لاى المقام السادس ع يى المقام السابع عر با
خط الاتصال والانفصال عر ١ ٥ ١ ع ٦ ط ٨ ع بهح خط الانفصال ادد اح لمح
خط الانفصال صح داح د و ه الوتر الجميع وتابع الجدر التام
بهبه ٩ بهبه ٩ بهبه سع لمح ١١٣ ك بهح ٢ الانفصال والانفصال ع ع ح الواجب التام
في الانفصالات ش مح ٥ بهح ه اقامة الانوار ٣ ع و ه ش ع الجدر المجيب في العمل
صح ١ ٣ م ع ع ع اقامة السوال عن الملوك ٢ ١ ٥ ع كم ع بهح الى مقام ره
الاولاد مقام نور عب عو مقام بها ه ح لا

الانفعال الروحاني والانقياد الرباني

ايا طالب السر لتهليل ربه   لديك اسمايه الحسنى تصادق منهلا
بضبطك اخبار الانام تعلمهم   كذلك رسيمهم وفي النمى اعملا
ترى عامة الناس اليك تقيدوا   وما قبله حقا سبق الغير اعملا
طريقك هذا السبيل والسبيل اكد   اقوله غيركم ويغركم اصلا

اذا شئت تحيي في الوجود مع النفي   ودينا مبينا او تكن موصلا
كذا النون والجند مع صنعة   وفي سر بسطام ادرك مسربلا
وفي العالم العلوي تكون محدثا   كذا قاله الهند وصوفية الملا
طريق رسول الله بالحق ساطع   وما حكم صمع مثل جبريل انزلا
فبطشك تهليل وقومك مطلع   وبوم الخميس البدو والاحد انجلا
وفي جمعة نصابا لاسماء مثله   وفي اثنين للحسني تكون مكملا
وفي طايه سره في هايه اذا   اراك بها مع نسبة الكل اعطلا
وفي ساعة سعد سرطهم في نفوسها   وعود ومصطكا بخور تحصلا
وتتلوا عليها اخر الحشر دعوة   والاخلاص والسبع المثاني مرتلا
انفصال انوار الكواكب بلماني لا ع ج لا ٣ سع لصح نه و بهح ور
وفي يدك اليمنى خديد وحاتم   وكل براسك وفي دعوة فلا
واية حشر واجعل القلب لوجهها   واتل اذا نام الانام ورتلا
هي السر في الاكوان لاشي غيرها   هي الاية العظمى تحقق وحصلا
تكون بها قطبا اذا جدت خدمة   وتدرك اسرارا من العالم العلا
تشرك بها تاجا ومعروف بعده   وباح بها الحلاج جهرا فقتلا
وكان بها الشبلي يذاب دايما   الى ان رقا فوق المريدين واعتلا
فنصف من الادناس قلبك جاهدا   ولازم الاذكار وصم وتنفلا
فما نال سر القوم الا محقق   عليم باسرار العلوم محصلا

ع صع فح ٥ عر ى ى ى كلمح صى ١١ لمح ١١ ى اع لا لاى ١١ح دو ده صح اى ام

مقام المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة

والعبادة وحب وتعشق وفنا الفنا وتوجه ومراقبة وخلوة دايمة الانفكاك الطبيعي

لمن حس في المحبة الوفق صرفوا   بتصدير او غاس الخلط اعملا
وتيل نفقته صحيحا راسته   تجعلك طالعا خطوطه ما علا
توخ به زيادة النور للقمر   وجعلك المقبول شمسه اصلا
ويومه والبخور عود لهند ثم   ووقت الساعة ودعوته لا
ودعوته لغاية فهي اعملت   وعن طلسما دعوة ولها حلا
وقيل بدعوة حروف لو منعها   بحر هوا او مطالب اهلا
تنفش احرفا ودال ولامها   وذلك وفق المربع حصلا
ان لم يكن يهوي يهواك ولا لها فذلك البيد واد والارض بيت معطلا
فخس لبابه وبابهم الى هواك   وباقيه قليله حملا
ونقش مثالا بشرط لبعضهم   وما زدت نسبة لفعلك عدلا
ومفتاح مربع وفعلهما سوا   فنودي وبسطامي سورها تلا
وجعلك بالقصد وكن متعفف   ادله وحسبي لنصه مسلا
فاعكس بيوتها بالف ونيف   بباطنها سر وفي سرها انجلا

فصل في المقامات النهاية

لك الغيب صوره من العالم العلا وتوحدها دارا وملبسها الحلا
ويوسف في الحسن وهذا اشبهه بنثر وترتيل حقيقته انزلا
وفي يده طول وفي الغيب ناطق فيحكي الوعود يجاذب بلبلا
وقد جن مجنون بعشق جمالها وعند تجليها لبسطام اخذلا
ومات اهلها واسرت بحبها جنيد وبصري والحسن اهملا
فتطلب في التهليل غايته ومن باسمائه الحسنى بلا نسبة خلا
ومن صاحب الحسنى له الفوز والمنى ويسهم بالزلفى لذي حيرة العلا
ويخبر بالغيب اذ احدث خدمه تزيل لحجابها لمن كان موبلا
فهذا هو الفوز وحسن تناله ومنها زيادات لتفسيرها تلا

الوصية والنجم والايمان والاسلام والتحريم والاهلية

فهذا قصيدنا وتسعون عدة ومازاد خطبه وختما وحدولا
عجيب لابيات وتسعون عن هذا تولد ابيات وما حصرها انجلا
فمن فهم السر فيفهم نفتشه ويفهم تفسيرا منشئا بها اشكلا
حرام وشرعي لاظهار سرها لناس وان خصوا وكان اناهلا
فان شئت اهله فتلفظ بيمينهم وتفهم برحله ودين تطوق لا
لعلك ان تنجوا وسامع سرهم من القطع والافشا فتراس العلا
فخل لعباس لسره كاتم فنال سعادات وتابعه علا
وقام رسول الله في الناس خاطبا فمن راس عشرهم فذلك اكتلا
وقد ركد الارواح اجساد مظهر فنالت لتلهم بدق تطوق لا
الى العالم العلوي يبقى فناوها ويلبس اثواب الوجود على الولا
فقد تم نظمنا وصلى الهنا على خاتم الرسل صلاة بها العلا
وصلى اله العرش ذو المجد والعلا على سيد سادة الانام وكملا
محمد الهادي الشفيع امامنا واصحابه اهل المكارم والعلا

مرتبه باست عن العدد سرح اسع ٢ مى ١٨٥١٣موطعهجهه

تصحيح النيرين وتعديل الكواكب عند كل تاريخ مطلوب

باسركل و١٥الا لوطرح الاوتار الكلية ٣٢١عوعولهح الاول
٨٣٤٥عوعوح عوطعو٥٨٩ضح حا٤عوعوعو صح كلمة الزايرجة

كيفية العمل في استخراج اجوبة المسايل من زايرجة العالم بحول الله تعالى

السوال له ثمانية وستون جوابا عدة الدرج وتختلف الاجوبة عن سوال واحد في طالع مخصوص باختلاف الاسئلة المضافة الى حروف الاوتاد

وتناسب

وتناسب العمل من استخراج الاحرف من بيت القصيدة **تنبيه** تركيب حروف الاوتاد والجدول على ثلاثة اصول حروف عربية تنتقل على هيئتها تماما وحروف برسم الغبار وهذه تتبدل فمنها ما ينتقل على هيئة متى لم تزد الادوار عن اربعة فاذا زادت عن الاربعة تنقلب الى الرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك المرتبة المبين على حسب العمل كما سنبينه ومنها حروف برسم الزمام كذلك غير ان رسم الزمام يعطى نسبة ثانية فهي بمنزلة واحد الف ويميز له عشرة ولها نسبة من خمسة بالعربي فاستحق البيت من الجدول ان يوضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفين في الرسم فاختصروا من الجدول بيوتا خالية فمتى كانت اصول الادوار زايدا على اربعة حسبت في العدد في طول الجدول وان لم تزد عن اربعة لم يحسب الا العام منها والعمل في السوال ينتقل الى سبع اصول عدة حروف الاوتاد وحفظ ادوارها بعد طرحها اثنا عشر وهي ثمانية ادوار في الكامل وستة في الناقص ابدا ومعرفة درج الطالع وسلطان البرج والدول الاكبر الاصلي وهو واحد ابدا وما يخرج في اضافة الطالع الممدود الاصلي وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج واضافة سلطان البرج للطالع والعمل جميعه ينتج على ثلاثة ادوار مضروبة في اربعة تكن باثنا عشر دورا ولنسبة هذه الثلاثة ادوار التي هي كل دور من اربعة لنشأت ثلاثية كل نشأة لها ابتداء ثم انها تنقرب ادوار رباعية ايضا ثلاثية ثم انها من ضرب ستة في اثنين فكان لها نشأه يظهر ذلك في العمل

وينتج هذه الادوار نتائج وهي ٣ الادوار اما ان تكون نتيجة او اكثر الى ستة فاول ذلك يعرض سوال سائل عن الزايرجة هل هي علم محدث او قديم بطالع اول درج من القوس فوضعنا حروف وتر راس القوس ونظيره من راس الجوزاء وثالثه وتر راس الدلو الى حد المركز واضفنا اليه حروف السوال ونظرنا عدتها واقل ما تكون ثمانية وثمانين واكثر ما تكون ستة وتسعين وهو جملة دور صحيح وكانت في سوالنا ثلاثة وتسعين ويختصر السوال ان زاد على ستة وتسعين كما يسقط جميع ادواره الاثنا عشرية ويحفظ ما يخرج منها وما بقي فكانت في سوالنا سبعة ادوار الباقي تسعة اثبتها في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثنا عشر درج فان بلغ لم يثبت لها عدة ولا دور ثم تثبت باعدادها ايضا ان زاد الطالع عن اربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع وهو واحد وسلطان الطالع وهو اربعة والدور الاكبر واجمع ما بين الطالع والدور وهو اثنان في هذا السوال واضرب ما خرج منهما في سلطان البرج يبلغ ثمانية واضيف السلطان للطالع تكون خمسة فهذه سبعة اصول مما خرج من ضرب الطالع والدور الاكبر في سلطان القوس ما لم يبلغ اثنا عشر فيه يدخل في ضلع ثمانية من اسفل الجدول صاعدا وان زاد على اثنا عشر طرح ادوارا وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية ويعلم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع السطح المبسوط الاعلى من الجدول ونعد منه بالخمسات ادوارا ونحفظها الى ان يقف العدد في مقابلة البيوت العامرة بالعدد من الجدول وان وقف في مقابلة الخالي من بيوت الجدول على الحد بها فلا تغيير وتستمر على ادوارك على حرف من اربعة او الفا او باء او جيم او زاي فموضع العدد في علمنا على حرف الالف وخلفه ثلاثة ادوار فضربنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة فهو عدد الدور الاول فاثبته واجمع ما بين الضلعين القايم والمبسوط لكن في بيت ثمانية وادخل بعدد ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي اجتمعنا فيه مارا الى جهة اليسار وهو ثمانية فيقع على حرف لاهم الا الالف لا تخرج منها ابوا حرف

مركب وانما هو اذ احرف تا اربع ماية برسم الزمام فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيد واجمع عدد الدور السلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار واثبتها وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيد ومن هذا القانون تدرك كم تدور الحروف في النظم الطبيعي وذلك ان تجمع حرف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو اربعة يبلغ ثلاثة عشر اضفها لمثلها تكن ستة وعشرين اسقط منه درج الطالع وذلك واحد في هذا السوال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاول ثم ثلاثة وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون على حسب هذا الطرح الى ان تنتهي الى الواحد ثم اخر البيت المنظوم ولا تقف على اربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد اولا ٢ ثم ضع الدور الثاني وضع حروف الدور الاول الى ثمانية الخارج من ضرب الطالع والدور في السلطان يكن سبعة عشر الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة من حيث انتهت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول تسعة عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالي والدور عشرين فوجد ثاحرف خا بخمسماية وانما هو ة لان دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسماية بخمسين لان دورها سبعة عشر فلو يكن سبعة وعشرين لكان مثلنا نور ثم ادخل بخمسة ايضا من اوله وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجد واحد فهو العدد واحدا بتم خمسة اضف لها واحد السطح تكن ستة اثبت واو وعلم عليها من بيت القصيد اربعة وضعها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثنا عشر اضف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا بسبعة عشر في حروف الاوتار فوقع العدد على واحد اثبت الف وعلم عليها من بيت القصيد واسقط من حروفها الاوتار ثلاثة حروف عدة الخارجة من الدور الثاني وضع الدور الثالث وضعف خمسة الى ثمانية تكن ثلاثة عشر في حروف الاوتار واثبت ما خرج وهو سين وعلم عليه من بيت القصيد وهذا ابتدا له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو ان تضعف ثلاثة عشر بمثلها اليها وتضعف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف المستخرج من الاوتار من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قابله من السطح واضعفه بمثله وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم فكانت الجملة سبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذه اخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من العدد تسعة باضافة الثاني من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور اخر العمل في البيت الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واصعد بتسعة في ضلع ثمانية وادخل بتسعة من دور الحرف الذي اخذته اخرا من بيت القصيد فالتاسع حروف راء فاثبته وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قابلها من السطح يكون نح فهو العدد واحد يكون الف وهو الثاني وهو من حرف الراء من بيت القصيد فاثبته وعلم عليه وعد مما يلي الثاني تسعة يكون الف ايضا اثبته وعلم عليه واضرب على حرف من الاوتار واضعف تسعة لمثلها تبلغ ثمانية عشر وادخل بها في حرف راء اثبتها وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعة وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار وتقف على دال اثبتها وعلم عليها اثنين وضعف اثنين الى تسعة تكون احد عشر وادخل في صدر الجدول باحد عشر فقابلها من السطح الف اثبتها وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اصعد بخمسة في ضلع ثمانية واضرب

علي

حرفين من الاوتار واضعف خمسة بمثلها واضعفها الى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون ادخل بها في حروف الاوتار فتقع على باء اثبتها وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في اثنين اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على قاف اثبتها وعلم عليها ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك حرف باء اثبته وعلم عليه اربعة وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتبين اذ ذاك ان دور النظم من خمسة وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة وواحد فاضرب خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانية بواحد ويكن لم يدخلوا في بيت القصيد ثلاثة عشر كما قدمناه لانه دور ثاني من نشاه تركيبته ثانية بل اضفنا الاربعة التي من اربعة وخمسين الخارجة على حرف تا من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة تضعف خمسة الى ثلاثة عشر للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل في صدر الجدول بها وخذ ما قبلها من السطح وهو الف اثبته وعلم عليه من بيت القصيد اثنا عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر احرف السوال ليكون داخلا في العدد من بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف بعد ذلك مناسبا لحروف السوال فما خرج منها رده الى بيت القصيد من اخره وعلم عليه ثم اضف الى ثمانية عشر ما علمته على حروف الالف من الاحاد فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين ادخل بها في حروف الاوتار وتقف بها على حرف راء اثبته وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين وهو نهاية الدور السابع وهو ابتداء المخترع ثاني بلمشي من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة تضعف لها واحد تكن عشرين للسيارة الثانية وهذا الواحد تزيد بعد الى اثنا عشر دورا اذا كان من جزء النسبة او تنقصه من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاصعد في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسماية وانما هي خمسون لان مضاعفة بمثلها وثلث ف فاثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين واسقط من اثنين وخمسين واسقط تسعة التي للدور الباقي احد واربعون ثم ادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد اثبته وكذلك ادخل بها في بيت القصيد تجد واحد فوجدنا ميزان هذه السيارة الثانية تعلم عليه من بيت القصيد علا ستين علامة في الالف الاخير الميزاني واجري على الالف الاولى فقط والثانية اربعة وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدده سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع ثمانية تقع وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقع على ع سبعين اثبتها وعلم عليها وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قابلها من السطح وذلك واحد اثبته وعلم عليه من البيت ثمانية واربعين واسقط واحد من ثمانية واربعين للاسم الثاني واضف لها خمسة الدور الجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية وهي مرتبة مستثنية لتزايد العدد فتكون ما بين وهي حرف راء اثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اربعة وعشرين فضعف الى اربعة وعشرين خمسة الدور واسقط واحدا تكون الجملة ثمانية وعشرون ادخل بالضعف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية اثبت حرف وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحدا صفه في ضلع ثمانية بواحد وليست لنسبة العمل هنا كنسبتها في الدور الثالث لتضاعف العدد ولانه من السيارة الثانية ولانه اول الثالث الثالث من مثلثات البروج واخر النسبة الرابعة من المثلثات فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في اربعة التي هي مثلثات البروج السابعة

الجملة اثنان وخمسون ادخل بهما في صدر الجدول تقف على حرفين اثنين عبارته وانما هي مستثنة
لنا او زها في العدد عن مرتبة الاحاد والعشرات فاثبته مائتين زاد علم عليهما من بيت القصيد
تبلغ ح فعلم عليهما بثمانية وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين
من الاوتاد وادخل بسبعة تقف على حرف لا فاثبته وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدد
تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية بتسعة تكون خ فاصعد
بتسعة ثانية تصير في السابع من الابتدا اضرب تسعة في اربعة اصعود نا بتسعتين والتمامات
تضرب في اثنين ادخل في الجدول بستة وثلاثين تقف على اربعة زمامية وهي عشرية واخذ نا
احادية لعلة الادوار فاثبت حرف د وان اضفت الى ستة وثلاثين واحد الاس كان حرفها
من بيت القصيد فعلم عليها ولو دخلت بتسعة لا عشرين عن ضرب في صدر الجدول لو وقع على
ثمانية فاطرح من ثمانية واربعين الباقي في اربعة وهو المقصود ولو دخلت في صدر الجدول
بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنين لو وقف على واحد زمامي وهو عشري فاطرح منه اثنين
تكرار السبعة الباقي ثمانية نصفها المطلوب ولو يدخل في صدر الجدول تسعة وعشرين
ضربها في ثلاثة لو نقف على عشرة زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد
واثبت ما خرج وهو الف ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية واسقط
واحدا وادخل في صدر الجدول ستة وعشرين واثبت ما خرج وهو ما بنان بحرف را وعلم
عليه من بيت القصيد ستة وتسعين واضرب على حرفين من الاوتاد وضع الدور الحادي
عشر وله سبعة عشر الباقي خمسة اصعد في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر عليه المثنى
في الدور الاول وادخل في صدر الجدول باربعة يقف على خاء فخذ ما قابله من السطح وهو
واحد فادخل بواحد في بيت القصيد تكون رس اثبته وعلم عليه اربعة ولو يكون الرابع
في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد ثلاثة واضعف بتسعة عشر بمثلها واسقط واخرها
وزدها اربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها في الاوتاد تقف على ه اثبتها وعلم عليها
عشرين واضرب على حرفين من الاوتاد الثاني عشر وله ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد
في ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور اخر الادوار واخر الاخر اعني واخر المربعات الثلاثية
واخر المثلثات الرباعية والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمامية وانما هي احاد
ثمانية وليس معنا في الادوار الا واحد فلو زاد على واحد من مربعات اثنى عشر او ثلاثة
من مثلثات اثنى عشر لكانت ح وانما هي د فاثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اربعة وسبعين
ثم انظر ما ناسبها من السطح تكن خمسة اضعفها بمثلها الاس تبلغ عشرة اثبت ي وعلم عليها
وانظر في اي المراتب وقعت وجدناها في السابعة تدخلنا بسبعة حروف الاوتار وهذا
المدخل يسمى التوليد الحرفي فكانت ق اثبتها وضف الى سبعة واحد الدور الجملة الثانية
ادخل بها في الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها بثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة
على عشرة الدور فانها اخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ اربعة وعشرين ادخل في
بيت القصيد وعلم على ما يخرج منها وهو ما بنان وعلامتها ستة وتسعون وهو نهاية
الدور الثاني في الادوار الحرفية واضرب على حرفين من الاوتار بعد طرحهما ادوارا وذلك
تسعة فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتاد وضف لها
واحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتاد تبلغ

الذ اثبته وعلم عليه ستة وتسعين واضرب تسعة التي هي ادوار الحروف التسعينية في
اربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقي من الدور الثاني عشر كذلك واصعد
في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية واضرب تسعة فيما ثبت
من السطح وذلك ثلاثة واضعف لذلك سبعة عدد الاوتار الحرفية واطرح واخذ الباقي من
دور اثنى عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخلها في البيت تبلغ خمسة فاضعفها واضعف تسعة
بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر وخذ ما في السطوح وهو واحد ادخل به في
حروف الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية
وخمسين واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر اضف لها واحد
الباقي من الدور الثاني عشر تكون تسعة وادخل بستة عشر في البيت تبلغ تا اثبته
وعلم عليه اربعة وستين وضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين وزد واحد
الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة وثلاثين زمامية وانظر ما في السطح تجد واحد
اثبته وعلم عليه من بيت القصيد وهو التاسع ايضا من البيت وادخل بتسعة صدر
الجدول يقف على ثلاثة وهو عشرات فاثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة
وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد فانتقل في ضلع ثمانية بواحد وضف الى ثلاثة عشر
الثلاثة الزائدة على تسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ تسعة عشر وواحد
النتيجة تكن ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تكن لام فهذا اخر العمل في هذا السؤال
السابق اردنا ان نعلم ان هذه الزايرجة علم محدث او قديم بطالع اول درج من القوس
حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون
ادوارها سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس اربعة الدور
الاكبر واحد درجات الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للطالع
خمسة

بيت القصيد

سؤال عظيم الخلق حزت اذن • فصن غرايب شك ضبطه الجد مثلا

حروف الاوتار

ص ر ط د ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه س ا ب ل م ن ص
ع ف ص ق ر س ي ك ل م ن ص ف ف ر س ب ب ح ذ ط
ع س ط ك ل ن ع ح ص د و ح ل م ل م ل ص ا ب ح د ه و ر ح ط ي

السؤال

ل ز ا ي ر ج ت ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م

وعد وهع وا ٧ ع

الدور الاول
تسعة

الدور الثاني
سبعة وعشرين
الباقي خمسه

الدور الثالث
ثلاثة عشر
الباقي واحد

الدور الرابع
تسعة

الدور الخامس
تسعة عشر
الباقي خمسه

الدور السادس
ثلاثة عشر الباقي
واحد

الدور السابع
تسعة

الدور الثامن
سبعة عشر
الباقي
خمسه

الدور التاسع
ثلاثة عشر
الباقي
ك

الدور العاشر
تسعة

الدور الحادي عشر
سبعة عشر
الباقي خمسة
ع و ا ح
ه ح
ع ر ا د ح

الدور الثاني عشر
ثلاثة عشر الباقي
واحد

النتيجة الاولى
تسعة

النتيجة الثانية
سبعة عشر الباقي
خمسه

ن و ه ع ع ح

النتيجة الثالثة
ثلاثة عشر الباقي
واحد

ه د

س و ا ل ع ظ ي م ا ل خ ل ق ح ز ن ا ذ ن ف ص ن ع ر ا ي ش ك ص ه ا

١ ح ححح ع ف ا و ه و ١٥ ١١ ح١ ح١ عوا ع١ ١٦ وا ى١ ٥ح اح ٢٢ ٢ح ٥ع ح ٣ع ح ٦ ح وح ٨ح وح ٩ ححح اح عو حح ح حح د ٤ع حح

ب و ن ا ف س ر ر ا س ا ب و د ا د ف ا ع ا د م ح ر ج
ل د ا ر س ا ل د ي ف س ر ا ه م ب ا د ل

دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على احد وعشرين مرتين الى ان ينتهي الواحد من اخر البيت وتنتقل الحروف جميعها والله اعلم

ب د و ح ن د و ح ا ن د س ا ب د ر س ر ه ا د ا د
د ي س ق ا س ب ر ق ا ب ه ا م د ب ق ا ا ل ع ل ا

هذا اخر الكلام في استخراج الاجوبة من زايرجة العالم منظومة وللقوم طرايق اخرى من غير الزايرجة يستخرجون بها اجوبة المسايل غير منظومة وعندي ان السر في استخراج الجواب منظوما من الزايرجه انما هو من مزجهم بيت مالك بن وهيب وهو سوال عظيم الخلق البيت ولذلك يخرج الجواب على رويه واما الطرق الاخرى منهم يخرج منها الجواب غير منظوم فمن طرايقهم في استخراج الاجوبة ما ننقله قال بعض المحققين

فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية

اعلم ارشدنا الله واياك ان هذه الحروف اصل الاسئلة في كل قضية وانما تستنتج الاجوبة على تجربته بالكلية وهي ثلاثة واربعون حرف كما ترى

ا و ل ا ع ه س ا ل م ح ي د ذ ر و ن ا ف د ص ر ذ ع س
ر ا ك ي ب و ص د ح ط ل ح ه د ث ل ث ا

وقد نظمها بعض الفضلا في بيت جعل فيه كل حرف مشدد من حرفين وسماه القطب فقال

سوال عظيم الخلق حزت اذن فصن   غرايب شك ضبطه الجد مثلا

فاذا اردت استنتاج المسيلة فاحذف ما تكرر من حروفها واثبت ما فضل منها ثم احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسيلة حرفا يماثله واثبت ما فضل منه ثم امزج الفضلين في سطر واحد تبدا بالاول من فضله والثاني من فضل المسيلة وكذلك الى ان يتم الفضلين او يفنى احدهما قبل الاخر فتضع البعيد على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا لعدد حروف الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح فحينيذ تضيف اليها خمس نونات لتعتدل بها الموازين الموسيقية وتكمل الحروف ثمانية واربعون حرفا تنظم بها جدولا مربعا يكون اخر ما في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وتنقل البعيد على حالها وكذلك الى ان يتم عمارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف بقسمه مربعة على اعظم جز يوجد له وتضع الوتر مقابلا للحرف ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدول وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرايرها النفسانية واسوسها الاصلية من الجدول الموضوع كذلك وهذه صورته

ثم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه في اسوس اوتاد الفلك الاربعة واحذر ما يلي الاوتاد وكذلك
السواقط فان نسبتها مضطربة وهذا الخارج هو اول رتب السريان ثم تاخذ مجموع العناصر
وتحط منها اسوس المولدات يبقى اسوس عالم الخلق تجد عروضه للمدد الكونية فتحمل عليه بعض
المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج افق النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من
مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا المخصوص بعوالم الاكوان من البسيطة لا المركبة ثم
تنضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلا فتحمل عليه اول رتب السريان
ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلي يبقى ثالث رتبة السريان تنضرب مجموع اخر العناصر
ابدا في رابع مرتبة السريان يخرج اول عالم التفصيل والثاني في الثالث يخرج ثاني عالم التفصيل
والثالث في الثالث يخرج عالم التفصيل والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم
التفصيل وتحط من عوالم الكل يبقى العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول
وينقسم المنكسر على الافق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في
الرباعي وان شئت الكرس الرباعي فتستكثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوفاق
بعدد الحروف والله يرشدنا واياك وكذلك اذا اقسم عالم التجريد على اول رتب السريان يخرج الجزء
الاول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من عالم الكون فافهم وتدبر والله المرشد
المعين

ومن طرايقهم ايضا في استخراج الجواب

قال بعض المحققين منهم اعلم ايدنا الله واياك بروح منه ان علم الحروف علم جليل
يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم والعمل به شرايط تلتزم وقد
يستخرج العالم اسرار الخليقة وسرائر الطبيعة فيطلع بذلك على نتيجتي الفلسفة اعني السيميا
واختها ويرتفع له حجاب المجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهدت جماعة
بارض المغرب ممن اتصل بذلك فاظهر العجايب وخرق العوايد وتصرف في الوجود بتاييد الله واعلم
ان ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة مع الصبر مفتاح كل خير كما ان الخرق والعجلة راس
الحرمان فاقول اذا اردت ان تعلم قوة كل حرف من حروف الفانيطوس اعني ابجد الى اخر العدد
وهذا اول مدخل من علم الحرف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فتلك الدرجة التي هي مناسبة
للحرف هي قوته في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله تخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره وهذا
في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم في الغير المنقوطة لان المنقوط منها مراتب لمعان ياتي عليها البيان
فيما بعد واعلم ان لكل شكل من اشكال الحروف شكلا في العالم العلوي اعني الكرسي ومنها المتحرك
والساكن والعلوي والسفلي كما هو مرقوم في اماكنه من الجداول الموضوعة في الزايرج واعلم ان قوى
الحروف ثلاثة اقسام الاول وهو اقلها قوة يظهر بعد كتابتها فتكون كتابية لعالم روحاني مخصوص
بذلك الحرف الموسوم فمتى خرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همة كانت قوى الحروف مؤثرة
في عالم الاجسام الثاني قوتها في الهيبة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها فهي قوة
في الروحانيات العلويات وقوة شكلية في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجمع الباطن اعني القوة
النفسانية على تكوينه فتكون قبل النطق به صورة في النفس بعد النطق به صورة في الحروف وقوة
في النطق واما طبايعها فهي الطبيعيات المنسوبات للمتولدات وهي الحرارة واليبوسة والحرارة
والرطوبة والبرودة والرطوبة والبرودة واليبوسة فهذا سر العدد الثماني والحرارة جامعة

للهوا

للهوا والماء ر ك ذ ب ط و ي ن ص ت ض ج ز ك س ق ث ظ د ح ل ع ر خ غ
واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ د و ي ن ص ت ض فهذه نسبة حروف
الطبايع وتداخل اجزا بعضها في بعض وتداخل اجزاء العالم فيها علويات وسفليات باسباب
الامهات الاول اعني الطبايع الاربع المتفرقة فمتى اردت استخراج مجهول من مسيلة
فاحقق طالع السايل او طالع مسيلته واستنطق حروف اوتادها الاربعة اولا واخرا
ودا مستوية مرتبة واستخرج اعداد القوى والاوتاد كما سنبين واجمل وانسب واستنتج
الجواب يخرج لك الجواب اما صريح اللفظ او بالمعنى وكذلك في كل مسيلة يقع لك بيانه اذا اردت
ان تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السايل والحاجة فاجمع اعدادها بالجمل الكبير فكان
الطالع الحمل رابعه السرطان خامسه الميزان عاشره الجدي وهو اقوى هذه الاوتاد فاسقط
من كل برج حرفي التعريف وانظر ما يخص كل برج من الاعداد المنطقة الموضوعة في دايرتها
واحذف اجزاء الكسير في النسب الاستنطاقية كلها واثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك
ثم اعداد حروف العناصر الاربعة وما يخصها كالاول فارسم ذلك كله حرفا ورتب الاوتاد
والقوى والعناصر بسطر امتزاجا وكسر واضرب ما ينضرب لاستخراج الموازين واجمع واستنتج
الجواب يخرج لك الضمير وجوابه مثال افرض ان الطالع الحمل كما تقدم ترسم ح م ل
فللحاء من العدد ثمانية لها النصف والربع والثمن د ب ا الميم لها من العدد اربعون لها النصف
والربع والثمن والعشر ونصف العشر اذا اردت التدقيق م ك ي ه د ب الميم لها من العدد
ثلاثون لها النصف والثلثان والثلث والخمس والسدس والعشرية ك ي ه ج ه وهكذا
تفعل بساير حروف المسيلة والاسم من كل لفظ يقع لك واما استخراج الاوتاد فهو ان تقسم
مربع كل حرف على اعظم جزء يوجد له مثال حرف د له من الاعداد اربعة مربعها ستة عشر
اقسمها على اعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتر مقابلا لحرفه
ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرد في استخراجها
من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح

فصل في الاستدلال على ما في الضماير الخفية

بالقوانين الحرفية وذلك لو سالك سايل عن عليل ما لم يعرف مرضه ما علته وما الموافق
لبرئه منه فمر السايل ان يسمي شيا من الاشيا على اسم العلة المجهولة لتجعل ذلك الاسم
قاعدة لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسايل واليوم والساعة
ان اردت التدقيق في المسيلة والا اقتصرت على الاسم الذي سماه السايل وفعلت به كما تبين
فاقول مثلا سمي السايل فرسا فاثبت الحروف والثلاثة مع اعدادها المنطقة ببيانها ان
للفاء من العدد ثمانين وهي م ك ي ح د ثم الرا لها من العدد مايتان وهي ق ك ك
ي ثم السين لها من العدد ستون ولها م ل ك ي وح قالوا وعدد تام له حرف والسايل
مثله لها م ل ك ي فاذا بسطت حروف الاسما وجدت عنصرين متساويين فاحكم لاكثرهما
حروفا بالغلبة على الاخر ثم اجمل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه وكذلك بسطها وكذلك
اسم الطالب واحكم للاكثر والاقوى بالغلبة انتهى **وصفة** استخراج قوى العناصر

نار	تراب	هوا	ما
٥٥٥	٥ ٥ ٥	ص	لح
م م	م م	د د د د	
		و	

فتكون الغلبة فيها للتراب وطبعه البرد البرد واليبوسة طبع السودا فيحكم على المرض بالسودا فان الغلبة من حروف الاستنطاق كلها على نسبة تقريبية خرج موضع الوجع في الحلق ودواه من الادوية حقنة ومن الاشربة شراب الليمون هذا ما خرج من قوى اعداد حروف اسم فرتو وهو مثال تقريبي مختصر واما استخراج قوى العناصر من الاسماء العلمية فهو ان يرسم مثلا محمد فترسم احرفه مقطعة ثم تضع اسما العناصر الاربعة على ترتيب الفلك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

نار		تراب		هوا		ما	
ا ا ا	آ	ب ب ب	آ	ص ص	آ	د د د د	آ
ه ه	ب	و و و	ب	ز ز	ب	ح ح ح	ب
م م	ج	ن ن	ج	ك ك ك		ل ل ل	
				س س		ع ع ع	
				و و		ر ر ر	
				ز ز	ج	ح ح ح	ج

فنجد اقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لان عدد حروفه عشرون له حرفا فجعلت له الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا تفعل بجميع الاسما حينئذ تضاف الى اوتادها او للوتر المنسوب للطالع في الزايرجه او لوتر البيت المنسوب لمالك بن وهيب الذي جعله قاعدة لمزج الاسئلة وهو

سوال عظيم الخلق حزت اذن فصن • غرايب شك ضبطه الجد مثلا

وهو وتر مشهور لاستخراج المجهولات وعليه كان يعتمد ابن الرقام واصحابه وهو عمل تام قائم بنفسه في المثالات الوضعية **وصفة العمل بهذا الوتر المذكور** ان ترسمه مقطعا ممتزجا بالفاظ السوال على قانون صنعة التكسير وعدة حروف هذا الوتر اعني البيت ثلاثة واربعون حرفا لان كل حرف مشدد من حرفين ثم تحذف ما تكرر عند المزج من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسيلة حرفا يماثله وتثبت الفضلتين سطرا ممتزجا بعضه ببعض الحروف الاول من فضلة القطب والثاني من فضلة السوال حتى يتم الفضلتان جميعا فيكون ثلاثة واربعين فتضيف اليها خمس نونات لتكون ثمانية واربعين وتعدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضلة على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق العدد الاصلي قبل الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما خرجت جدولا فربما يكون اخر في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وعلى هذا النسق حتى يعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في النظر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف كما تقدم وتضعه مقابلا لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية لتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرايزها النفسانية واسوسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك والله اعلم

وصفة استخراج النسب العنصرية

هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه فان اتفقتا فحسن والا فاستخرج بين الحرفين نسبة ويتبع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية وتحقق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هي معروفة في دايرتها الموسيقية

ثم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه في اسوس اوتاد الفلك الاربعة كما تقدم واحذر على ما يلي الاوتاد وكذلك السواقط لان نسبتها مضطربة وهذا الذي يخرج لك هو اول رتب السريان ثم تاخذ مجموع العناصر وتحط منها اسس المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عروضه للمدد الكونية فيحمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج افق النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى فتحمل عليه رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلي يبقى ثالث رتبة السريان فتضرب اجزاء العناصر ابدا في رابع رتبة السريان يخرج عالم التفصيل وتحط من عالم الكل يبقى العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل التامة وله مقامات في كتب ابن وحشية والبوني وغيرهما وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكمي في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزايرجة الحرفية والصنعة الالهية والنيرجات الفلسفية والله الملهم المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

علم الكيميا

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك فيتصفحون المكونات كلها بعد معرفة امزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام الى اجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد الذايب منها بالتكليس وامهاء الصليب بالفهر والصلاية وامثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وانه يلقى على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب او الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد ان يحمى بالنار فيعود ذهبا ابريزا ويكنون عن ذلك الاكسير اذا الغزوا اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقى عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقلب هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب والفضة هو علم الكيميا وما زال الناس يولفون فيها قديما وحديثا وربما يعزى فيها الكلام الى من ليس من اهلها وامام المدونين فيها جابر ابن حيان حتى انهم يخصونها به فيسمونها علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالالغاز وزعموا انه لا يفتح مقفلها الا من احاط علما بجميع ما فيها والطغرائي من حكما المشرق المتاخرين له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغيرهم من الحكما وكتب فيها مسلمة المجريطي من حكما الاندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم وجعله قرينا لكتابه الاخر في السحر والطلسمات الذي سماه غاية الحكيم وزعم ان هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة اجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تاليفهم في الغاز يتعذر فهمها على من لم يمارس اصطلاحاتهم في ذلك ونحن نذكر سبب عدول اهل هذه الرموز والالغاز ولابن المغيربي من ايمة هذا الشان كلمات شعرية على حروف المعجم من ابدع ما يجيء في الشعر ملغوزة كلها لغز الاحاجي والمعاياة فلا تكاد تفهم

وقد ينسبون للغزالي رحمه الله بعض التواليف فيها وذلك ليس بصحيح لان الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف على خطا ما يذهبون اليه حتى ينتحله وربما نسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البين ان خالدا من الجيل العربي والبداوة اليه اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنايع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبايع المركبات وامزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهم الا ان يكون خالد بن يزيد اخر من اهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فممكن وانا انقل لك هاهنا رسالة ابي بكر ابن بشرون لابن السمح في هذه الصناعة وكلاهما من تلاميذ مسلمة فيستدل من كلامه فيها على ما ذهب اليه في شانها اذا اعطيته حقه من التامل قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض والمقدمات التي لهذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقتص جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكون المعادن وتخلق الاحجار والجواهر وطباع البقاع والاماكن فمنعنا اشتهارها من ذكرها ولكن ابين لك من هذه الصنعة ما تحتاج اليه فنبدا بمعرفته فقد قالوا ينبغي لطالب هذا العلم ان يعلم اولا ثلاث خصال اولها هل تكون والثانية من اي شي تكون والثالثة كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم فاما البحث عن وجودها والاستدلال عن تكونها فقد كفيناكه بما بعثنا به اليك من الاكسير واما من اي شي تكون فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه العمل وان كان العمل موجودا من كل شي بالقوة لانها من الطبايع الاربع منها تركيب ابتدا واليها يرجع انتهاء لكن من الاشيا ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها فالتي يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهي التي تخرج من القوة الى الفعل والتي لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها فيها بالقوة فقط وانما لم يمكن تفصيلها لاستغراق بعض طبايعها في بعض وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغي لك وفقك الله ان تعرف اوفق الاحجار المنفصلة التي يمكن فيها العمل وجنسه وقوته وعمله وما يدبر من الحل والعقد والتنقية والتكليس والتنشيف والتقليب فان من لم يعرف هذه الاصول التي هي عماد هذه الصنعة لم ينجح ولم يظفر بخير ابدا وينبغي لك ان تعلم هل يمكن ان يستعان عليه بغيره ان يكتفى به وحده وهل له واحد في الابتدا ام شاركه غيره فصار في التدبير واحدا فسمي حجرا وينبغي لك ان تعلم كيفية عمله وكمية اوزانه وازمانه وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد تركيبها فان لم تقدر فلاي علة وما السبب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم واعلم ان الفلاسفة كلها مدحت النفس وزعمت انها المدبرة للجسد والحاملة له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكرت الجسد والنفس لان هذه الصنعة شبيهة بجسد الانسان الذي تركيبه على الغذا والعشا وقوامه وتمامه بالنفس الحية النورانية التي بها تفعل العظايم والاشيا المتقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التي فيها وانما انفعل الانسان لاختلاف تركيب طبايعه ولو اتفقت طبايعه لسلمت من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من جسده ولكان خالدا باقيا فسبحان مدبر الاشيا تعالى واعلم ان الطبايع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية

دافعة

دافعة في الابتدا منفصلة محتاجة الى الانتها وليس لها اذا صارت في هذا الحد ان تستحيل الى ما منه تركبت كما قلناه انفا في الانسان لان طبايع الجوهر قد لزم بعضها بعضا وصارت شيا واحدا شبيها بالنفس في قوتها وفعلها وبالجسد في تركيبه ومجسته بعد ان كانت طبايع مفردة باعيانها فيا عجبا من افاعيل الطبايع ان القوة للضعيف الذي يقوى على تفصيل الاشيا وتركيبها وتمامها فلذلك قلت قوي وضعيف وانما وقع التغيير والفنا في التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل المحلول انبساطا حياة وبقا والتركيب موت وفنا وهذا الكلام دقيق المعنى لان الحكيم اراد بقوله حياة وبقا خروجه من العدم الى الوجود لانه ما دام على تركيبه الاول فهو فان لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الفنا والتركيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل والتقطيع فاذن التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا ابقى الجسد المحلول انبسط فيه لعدم الصورة لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه لا وزن له فيه وسترى ذلك ان شا الله تعالى وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط اللطيف اهون من اختلاط الغليظ وانما اريد بذلك التشاكل في الارواح والاجساد لان الاشيا تتصل باشكالها وذكرت لك ذلك لتعلم ان العمل اوفق وايسر من الطبايع اللطايف الروحانية منها من الغليظة الجسمانية وقد يتصور في العقل ان الاحجار اقوى واصبر على النار من الارواح كما ترى الذهب والحديد والنحاس اصبر على النار من الكبريت والزيبق وغيرهما من الارواح فاقول ان الاجساد قد كانت ارواحا في بديها فلما اصابها حر الكيان قلبها اجسادا لزجة غليظة فلم تقدر النار على اكلها لافراط غلظها وتلزجها فاذا افرطت النار عليها صيرتها ارواحا كما كانت اول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة ان اصابتها النار ابقت ولم تقدر على البقا عليها فينبغي لك ان تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذه الحال فهو اجل ما تعرفه اقول انما ابقت تلك الارواح لاشتعالها ولطافتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها ولان النار اذا احست بالرطوبة تعلقت بها لانها هوايية تشاكل النار ولا تزال تغتذي بها الى ان تفنى وكذلك الاجساد اذا ابت بوصول النار اليها بقلة تلزجها وغلظها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من ارض وما صابر على النار فلطيفه متحد بكثيفه بطول الطبخ الملين المازج الاشيا وذلك ان كل متلاش انما يتلاشى بالنار لمفارقة لطيفه كثيفه ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والموافقة فصار ذلك الانضمام والتداخل مجاورة لا ممازجة فسهل بذلك افتراقهما كالما والدهن وما اشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به على تركيب الطبايع وتقابلها فاذا علمت ذلك علما شافيا فقد اخذت حظك منها وينبغي لك ان تعلم ان الاخلاط التي هي طبايع هذه الصناعة موافقة بعضها لبعض مفصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في الجزء منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا احكمت تدبير الطبايع وتاليفها ولم تدخل عليها غريبا فقد زاغ عنها ووقع الخطا واعلم ان هذه الطبيعة اذا حل لها جسد من قرايبها على ما ينبغي في الحل حتى يشاكلها في الرقة واللطافة انبسطت فيه وجرت معه حيثما جرى لان الاجساد ما دامت غليظة جافية لا تنبسط ولا تتزاوج وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم هداك الله هذا القول

واعلم هداك الله ان هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يضمحل ولا ينقض وهو الذي يقلب الطبايع ويمسكها ويظهر لها الوانا عجيبة وليس كل جسد يحل خلاف هذا هو الحل التام لانه يخالف الحياة وانما حله بما يوافقه ويدفع عنه حرف حتى يزول عن الغلظ وتنقلب الطبايع عن حالتها الى انها الى ان تنقلب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التحليل والتلطيف ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنفذ وكل عمل لا ترى له مصداق في اول فلا خير فيه واعلم ان البارد من البارد من الطبايع هو تيبس الاشيا وتعقد رطوبتها والحار منها يظهر رطوبتها ويعقد بيبسها وانما افردت الحر والبرد لانهما فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعن انفعال كل واحد منهما لصاحبه حدثت الاجسام وتكون وان كان الحرارة فعلا في ذلك من البرد لان البرد ليس له نقل الاشيا ولا تحركها والحر هو علة الحركة ومتى ضعفت علة الكون وهي الحرارة لم يتم منها شي ابدا كما انه اذا افرطت الحرارة على شي ولم يكن ثم برد احرقته واهلكته فمن اجل هذه العلة احتيج الى البارد في هذه الاعمال ليقوي به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم تحذر الفلاسفة اكثر شي الا من النيران المحرقة وامر بتطهير الطبايع والانفاس واخراج دنسها ورطوبتها ونفي افاتها واوساخها عنها على ذلك استقام رايهم وتدبيرهم فان عملهم انما هو مع النار اولا واليها يصير اخرا فلذلك قالوا اياكم والنيران المحرقات وانما ارادوا بذلك نفي الافات التي معها يجمع على الجسد افتنى فيكون اسرع لهلاكه وكذلك كل شي انما يتلاشى ويفسد لتضاد طبايعه واختلافه فيتوسط بين شيين فلم يجد ما يغذيه ونجيه الافة الاقرية واهلكته واعلم ان الحكما ذكرت تزداد الارواح على الاجساد مرارا لتكون الزم اليها واقوى على فتات النار اذا هي باشرتها عند الالفة اعني بذلك النار العنصرية فاعلمه ولنتكلم الان على الحجر الذي يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة وقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم انه في الحيوان ومنهم من زعم انه في النبات ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه الدعاوي ليست لنا بها حاجة الى استقصايها ومناظرة اهلها عليها لان الكلام يطول جدا ولو قلت فيما تقدم ان العمل من كل شي بالقوة لان الطبايع موجودة في كل شي فهو كذلك فنريد ان نعلم من اي شي يكون العمل بالقوة والفعل فنقصد الى ما قاله الحراني ان الصبغ كله احد صبغين اما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الابيض حتى يحول فيه وهو مضمحل منتقض التركيب والصبغ الثاني تنقلب الجوهر من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتقليب الشجر التراب نباتا ويصير النبات حيوانا ولا يكون الا بالروح والكتاب الفاعل الذي له تولد الاجرام وقلب الاعيان فاذا كان هذا هكذا فاقول ان العمل لابد ان يكون في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انهما مطبوعان على الغذا وبه قوامهما وتمامهما فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكما فيه واما الحيوان فهو اخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك ان المعدن يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا والحيوان لا يستحيل الى شي وهو الطف منه الا ان ينعكس راجعا الى الغلظ وانه ايضا لا يوجد في العالم شي تتعلق به الروح الحية غيره والروح الطف ما في العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان الا لمشاكلتها اياها فاما الروح التي في النبات فانها يسير فيها غلظ وكثافة وهو مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلظها وغلظ جسد

النبات

النبات فلم يقدر على الحركة لغلظه وغلظ روحه والروح المتحركة الطف من الروح الكامنة كثيرا وذلك ان المتحركة لها قبول الغذا والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذا وحده ولا يجري اذا تيبست بالروح الحية الا كالارض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان اعلا وارفع واهون وايسر فينبغي للعاقل اذا عرف ذلك ان يجرب ما كان سهلا ويترك ما كان فيه عسر واعلم ان الحيوان عند الحكما ينقسم اقساما من الامهات التي هي الطبايع والحديثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم فلذلك قسمت الحكما العناصر والمواليد اقساما حية واقساما ميتة فجعلوا كل متحرك فاعلا حيا وكل ساكن مفعولا ميتا وقسموا ذلك في جميع الاشيا وفي الاجساد الذائبة وفي العقاقير المعدنية فسموا كل شي يذوب في النار ويطير ويشتعل حيا وما كان على خلاف ذلك سموه ميتا ثم انهم طلبوا جميع الاقسام الحية فلم يجدوا لوفق هذه الصناعة مما يفصل فصولا اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فبحثوا عن جنسه حتى عرفوه واخذوه ودبروه فتكشف لهم منه الذي ارادوا وقد ينكشف مثل هذا في المعادن والنبات بعد جمع العقاقير وخلطها ثم تنفصل بعد ذلك فاما النبات فمنه ما ينفصل ببعض هذه الفصول مثل الاشنان واما المعادن ففيها اجساد وارواح وانفاس اذا مزجت ودبرت كان منها ماله تاثير وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها اعلا وارفع وتدبيره اسهل وايسر فينبغي ان تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وكل طريق وجوده انا بينا ان الحيوان ارفع المواليد ولذلك ما تركب منه فهو الطف منه كما النبات من الارض انما كان النبات الطف من الارض لانه انما يكون من جوهرها الصافي وجسدها اللطيف فوجب له بذلك اللطافة والرقة وكذلك هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات في التراب وبالجملة انه ليس في الحيوان شي ينفصل طبايع اربع غيره فافهم هذا القول فانه لا يكاد يخفى الا على الجاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد اخبرتك ماهية هذا الحجر واعلمتك جنسه وانا ابين لك وجوه تدبيره حتى يكمل لك الذي شرطناه على انفسنا من الانصاف ان شا الله تعالى

التدبير

على بركة الله تعالى خذ الحجر الكريم فاودعه المقرعة والانبيق وفصل طبايعه الاربع التي هي الما والهوا والارض والنار وهي الجسد والروح والنفس والطبع فاذا اعزلت الما عن التراب فارفع كل واحد في انايه على حدة وخذ الهابط اسفل الانا وهو الثفل فاغسله بالنار الحارة حتى يذهب عنه سواده ويزول غلظه وجفاوه وتبيضه تبييضا محكما وطير عنه فضول الرطوبات المبخبة فانه يصير عند ذلك ما ابيض لا ظلمة فيه ولا وسخ ولا انضاد ثم اعمد الى تلك الطبايع الاول الصاعدة منه فطهرها ايضا من السواد والمتضاد وكرر عليها الغسل والتصعيد حتى يلطف ويرق ويصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدا بالتركيب الذي هو مدار العمل واعلم ذلك ان التركيب لا يكون الا بالتزويج والتعفين فاما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ واما التعفين فهو التمشية والسحق حتى يختلط بعضه ببعض ويصير شيا واحدا لا اختلاط فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالما فعند ذلك يتقوى الغليظ على امساك اللطيف ويقوى الروح على مقابلة النار ويصير النهار تقوى النفس على الغوص في الاجساد والتذبيب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح مازجه بجميع اجزايه ودخل بعضها في بعض لتشابها فصارت شيا واحدا ووجب من ذلك ان يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقا والثبوت ما يعرض

كلهما

الجسد لو وضع لامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيهما بخدمة التركيب لتدبير اجزاء وهما بجميع الجزء الاخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيا واحدا لا اختلاف فيه بمنزلة الجزو الكلي الذي سلمت طبايعه واتفقت اجزاوه فاذا لقي هذا المركب الجسد المحلول ومن شان الرطوبة والح عليه النار واظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه فذاب الجسد المحلول ومن شان الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق بها منعها من الاتحاد بالنفس ممازجة الماء لها فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك الماء من شانه النفور من النار فاذا الحت عليه النار وارادت تطييره حبسه الجسد اليابس الممازج له في جوفه فمنعه من الطيران فكان الجسد علة لامساك الماء والماء علة لبقاء الدهن والدهن علة لثبات الصبغ والصبغ علة لظهور الدهن واظهار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه البيضة التي سالت عنها وهي التي سماها الحكما بيضة واياها يعنون لا بيضة واعلم ان الحكما لم يسموها بهذا الاسم بغير معنى ولقد سالت مسلمة عن ذلك يوما وليس عنده غيري فقلت له ايها الحكيم الفاضل اخبرني لاي شي سمت الحكما مركب الحيوان بيضة اختيارا منهم لذلك او لمعنى دعاهم اليه فقال بل لمعنى غامض فقلت ايها الحكيم وما ظهر لهم من ذلك المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها وسموها بيضة فقال لشبهها وقرابتها من المركب فتفكر فيه وقال لي يابا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كمية الالوان عند امتزاج الطبايع وتاليفها فلما قال ذلك انجلا عني الظلمة واضاء لي نور قلبي وقوي عقلي على فهمه فنهضت شاكرا لله عليه الى منزلي وانشات عليه شكلا هندسيا يبرهن به صحة ما قاله مسلمة وانا واضعه لك في هذا الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكمل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهوى الى ما فيه البيضة من طبيعة الهوى كنسبة ما في المركب من طبيعة النار الى ما في البيضة النار وكذلك الطبيعتان الاخريان الارض والماء فاقول ان كل شيين متناسبين على هذه الصفة فهما متشابهان ومثال ذلك ان تجعل لسطح البيضة هزوح فاذا اردنا ذلك فانا ناخذ اقل الطبايع في المركب وهي طبيعة اليبوسة ونضيف اليها مثلها من طبيعة الرطوبة وندبرهما حتى تنشف طبيعة اليبوسة طبيعة الرطوبة وتقبل قوتها وكان في هذا الكلام رمزا ولكنه لا يخفى عليك ثم تحمل عليهما جميعا مثليهما من الروح وهو الماء فيكون الجميع ستة امثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثلا من طبيعة الهوى التي هي النفس وذلك ثلاثة اجزا فيكون الجميع تسعة امثال اليبوسة بالقوة وتجعل كل ضلعين من هذا المركب الذي طبيعته محيطة بسطح المركب طبيعتين فتجعل اولا الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهوا وهما ضلعا اح د وسطح ابجد وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة اللذان هما الماء والهوا ضلعا هزوح فاقول ان ابجد نسبة سطح هزوح طبيعة الهوا التي تسمى نفسا وكذلك بحر من سطح المركب والحكما لم تسم شيا باسم شي الا لشبهه به والكلمات التي سالت عن شرحها الارض المقدسة هي المنعقدة من الطبايع العلوية والسفلية والنحاس هو الذي اخرج سواده وقطع حتى صار هبا ثم حمر بالزاج حتى صار نحاسيا والمغنيسيا الذي تجمد فيه الارواح وتخرجه الطبيعة العلوية التي تستجن فيها الارواح لتقابل عليها النار والفرفرة لون احمر فانه يحدثه الكيان والرصاص حجر له ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنها متشاكلة ومتجانسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الفاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة غير انها اغلظ من الاولى ومركزها دون مركز الاولى

والثالثة

والثالثة قوة ارضية حاسة قابضة منعكسة الى مركز الارض لثقلها وهي الماسكة الروحانية و والنفسانية جميعا والمحيطة بهما واما ساير الباقية فمبتدع ومخترع الباسا على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غيرها فهذا جميع ما سالتني عنه وقد بعثت به اليك مفسرا ونرجو بتوفيق الله ان تنال املك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ مسلمة المجريطي شيخ الاندلس في علوم الكيميا والسيميا والسحر في القرن الثالث وما بعده وانت ترى كيف صرف الفاظهم كلها في الصناعة الى الرموز والالغاز التي لا تكاد تبين ولا تعرف وذلك دليل على انها ليست بصناعة طبيعية والذي يجب ان يعتقد في امر الكيميا وهو الحق الذي يعضده الواقع انها من جنس اثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة اما من نوع الكرامة ان كانت النفوس خيرة او من نوع السحر ان كانت شريرة فاجرة فاما الكرامة فظاهرة واما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تحقيقه يقلب الاعيان المادية بقوته السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحري فيها كتخليق بعض الحيوانات من مادة التراب او الشعر او النبات وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها كما وقع لسحرة فرعون في الحبال والعصي وكما ينقل عن سحرة السودان والهنود في ناحية الجنوب والترك في ناحية الشمال انهم يسحرون الجو للامطار وغير ذلك ولما كانت هذه تخليقا للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر والمتكلمون فيه من اعلام الحكما مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلهم من حكما الامم انما نحوا هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغازا حذرا عليها من انكار الشرايع على السحر وانواعه لا ان ذلك يرجع الى الصيانة بها كما هو راي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر كيف سمى مسلمة كتابه فيها رتبة الحكيم وسمى كتابه في السحر والطلسمات غاية الحكيم وسمى كتابه هذه لان الغاية اعلى من الرتبة وكان مسايل الرتبة بعض من مسايل الغاية وتشاركهما في الموضوعات ومن كلامه في الفنين يتبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد غلط من يزعم ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله العليم الخبير

فصل في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها

اعلم هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب ان يصدع بشانها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك ان قوما من عقلا النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته واحواله باسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية وان تصحيح العقايد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وهولا يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوموا على اصابة الغرض منه ووضعوا قانونا يهتدي به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق ومحصل ذلك ان النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها اولا صورا منطبقة على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي ترسمها في طين او شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوايل ثم تجرد من تلك المعاني الكلية اذا كانت مشتركة مع معاني اخرى وهي التي اشتركت معها تجردا ثانيا ان شاركها غيرها وثانيا وثالثا الى ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعاني والاشخاص ص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الاجناس العالية لتحصل العلوم منها تسمى المعقولات

الثواني فاذا انظر الفكر في هذه المعقولات ونفى بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل الوجود
تصورا صحيحا مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كامر وصنف التصديق الذي هو تال الاضافة
والحكم متقدم عندهم على صنف التصور التام عندهم هو غاية الطلب الادراكي وانما التصديق
وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف التصديق بمعنى الشعور لا بمعنى
العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون ان السعادة في ادراك الموجودات كلها
ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت
اليه وهو الذي فرعت عليه قضايا انظارهم انهم عثروا اولا على الجسم السفلي بحكم الشهود
والحس ثم ترقى ادراكهم قليلا فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات ثم
احسوا من قوى النفس بسلطان العقل ووقف ادراكهم فقضوا على الجسم العالي السماوي بنحو من
القضاء ثم انهوا ذلك نهاية عدد الاحاد وهي العشر تسع مفصلة ذواتها جمل وواحد اول مفرد
وهو العاشر ويزعمون ان السعادة في ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس
وتخلقها بالفضائل وان ذلك ممكن للانسان ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة
من الافعال بمقتضى عقله ونظره وميله الى المحمود منها واجتنابه للمذموم بفطرته وان ذلك
اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدي وهذا عندهم
هو معنى النعيم والعذاب في الاخرة الى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف من كلماتهم وامام
هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون علمها وسطر حجاجها فيما بلغنا في هذه الاحقاب
هو ارسطو المقدوني من اهل مقدونية من بلاد الروم من تلميذ افلاطون وهو معلم اسكندر
ويسمونه المعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة
وهو اول من رتب قانونها واستوفى مسائلها واحسن بسطها ولقد احسن في ذلك
القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم في الالهيات ثم كان من بعده في الاسلام من اخذ بتلك
المسائل واتبع فيها رايه حذو النعل بالنعل الا في القليل وذلك ان كتب هؤلاء المتقدمين
ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني الى اللسان العربي فتصفحها كثير من اهل
الملة واخذ من مذاهبهم من اضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل
من تفاريعها وكان من اشهرهم ابو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة
وابو علي بن سينا في المائة الخامسة لعهد بني بويه باصبهان وغيرهما واعلم ان هذا
الراي الذي ذهبوا اليه باطل بجميع وجوهه فاما اسنادهم الموجودات كلها الى العقل
الاول واكتفاؤهم به في الترقي الى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود
اوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون وكانهم في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة
عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن النفس والعقل
المعتقدين انه ليس وراء الجسم في حكمة الوجود شيء فاما البراهين التي يزعمونها على
مدعياتهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية
بالغرض اما ما كان منها في الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه قصوره
بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقيسة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير
يقيني لان تلك احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل في
المواد ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك

فدليله

فدليله شهوده لا تلك البراهين فاين اليقين الذي يجدونه فيها وربما يكون تصرف الذهن ايضا في
المعقولات الاول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية التي تجريدها في الرتبة الثانية فيكون
الحكم حينئذ يقينيا بمثابة المحسوسات اذ المعقولات الاول اقرب الى مطابقة الخارج بكمال الانطباق
فيها فنسلم لهم حينئذ دعاويهم في ذلك الا انه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك
المسلم ما لا يعنيه فان مسائل الطبيعيات لا تهمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها واما
ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي الروحانية ويسمونه العلم الالهي وعلم ما بعد
الطبيعة فان ذواتها مجهولة راسا ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها لان تجريد
المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو مدرك لنا في الحس بيننا
وبينها فلا يتاتى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجملة الا ما نجده بين
جنبينا من امر النفس الانسانية واحوال مداركها وخصوصا في الرؤيا التي هي وجدانية لكل احد
وما وراء ذلك من حقيقتها وصفاتها فامر غامض لا سبيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم
حيث ذهبوا الى ان ما لا مادة له فلا يمكن البرهان عليه لان مقدمات البرهان من شرطها ان تكون
ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الى يقين وانما يقال فيها بالاخلق والاولى
يعني الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب على الظن فقط فيكفينا الظن الذي كان
اولا فاي فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها ونحن انما عنايتنا بتحصيل اليقين فيما وراء الحس
من الموجودات وهذه غاية الافكار الانسانية عندهم واما قولهم ان السعادة في ادراك الموجود
على ما هو عليه بتلك البراهين فقول مزيف مردود وتفسيره ان الانسان مركب من جزئين احدهما
جسماني والاخر روحاني يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية الا ان المدارك
الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة الات الجسم من الدماغ والحواس
وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه واعتبره بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة
كيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي
للنفس من ذاتها بغير واسطة يكون اشد والذ فالنفس الروحانية اذا شعرت بادراكها الذي لها
من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وانما
يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة كثيرا ما يعنون بحصول
هذا الادراك للنفس بحصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة اماتة القوى الجسمانية ومداركها
حتى الفكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها عند زوال الشواغب والموانع الجسمانية
فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها وهو الذي زعموه بتقدير صحته مسلم لهم وهو مع ذلك غير واف
بمقصودهم فاما قولهم ان البراهين والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج
عنه فباطل كما رايته اذ البراهين والادلة من جملة المدارك الجسمانية لانها بالقوى الدماغية من
الخيال والفكر والذكر ونحن اول شيء نعنى به في تحصيل هذا الادراك اماتة هذه القوى الدماغية
كلها لانها منازعة له قادحة فيه وتجد الماهر منهم عاكفا على كتاب الشفاء والاشارات والنجاة
وتلاخيص ابن رشد للفص من تاليف ارسطو وغيره يبعثر اوراقها ويتوثق من براهينها ويلتمس
هذا القسط من السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك من الموانع عنها ومستندهم في ذلك
ما ينقلونه عن ارسطو والفارابي وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل الفعال واتصل به
في حياته الدنيا فقد حصل على حظه من السعادة والعقل الفعال عندهم عبارة عن اول رتبة ينكشف

عنها الحس من ذات الروحانيات ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الادراك العلمي وقد رايت فساده
وانما يعنى ارسطو واصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير
واسطة وهو لا يحصل الا بكشف حجاب الحس واما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا الادراك
هي عين السعادة الموعود بها فباطل ايضا لانا انما تبين لنا بما قرروه ان وراء الحس مدركا اخر
للنفس من غير واسطة وانها تبتهج بادراكها ذلك ابتهاجا شديدا وذلك لا يعين لنا انه عين
السعادة الاخروية ولا بد بل هي من جملة الملاذ التي لتلك السعادة واما قولهم ان السعادة
في ادراك الاوهام والاغلاط في ان الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه وبينا فساد
ذلك وان الوجود اوسع من ان يحاط به او يستوفى ادراكه بجملته روحانيا او جسمانيا
والذي يحصل من جميع ما قررناه من مذاهبهم ان الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجسمانية
ادرك ادراكا ذاتيا له مختصا بصنف من المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس بعام
الادراك في الموجودات كلها اذ لم ينحصر وانه يبتهج بذلك النحو من الادراك ابتهاجا شديدا
كما يبتهج الصبي بمداركه الحسية في اول نشوه ومن لنا بعد ذلك بادراك جميع الموجودات او بحصول
السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيهات هيهات لما توعدون واما قولهم ان الانسان
مستقل بتهذيب نفسه واصلاحها بملابسة المحمود من الخلق ومجانبة المذموم فامر مبني على ان
ابتهاج النفس بادراكها الذي لها من ذاتها هو عين السعادة الموعود بها لان الرذائل عائقة
للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية وقد بينا ان اثر السعادة
والشقاوة من وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فهذا التهذيب الذي توصلوا الى معرفته
انما نفعه في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين
واما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من الاعمال
والاخلاق فامر لا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم ابو علي بن سينا فقال
في كتاب المبدا والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني واحواله هو مما يتوصل اليه بالبراهين
العقلية والمقاييس لانه على نسبة طبيعية محفوظة ووتيرة واحدة فلنا في البراهين عليه
سعة واما المعاد الجسماني واحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة وقد
بسطته لنا الشريعة الحقة المحمدية فلينظر فيها وليرجع في احواله اليها فهذا العلم كما رايته
غير واف بمقاصدهم التي حوموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس له فيما علمنا
ان ملكة الجودة والصواب في البراهين وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام
والاتقان كما شرطوه في صناعتهم المنطقية وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحكمية من
الطبيعيات والتعاليم وما بعدها فيستولي الناظر فيها بكثرة البراهين بشروطها على ملكة الاتقان
والصواب في الحجاج والاستدلالات لانها وان كانت غير وافية بمقصودهم فهي اصح ما علمناه
من قوانين الانظار هذه هي ثمرة هذه الصنائع مع الاطلاع على مذاهب اهل العالم وارائهم
ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها وليكن نظر من ينظر فيها بعد
الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكبن احد عليها وهو خلو من علوم الملة
فقل ان يسلم لذلك من معاطبها والله الموفق للحق والهادي اليه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله

فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها

وفساد غايتها هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها
من قبل معرفة قوى الكواكب وتاثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة فيكون لذلك
اوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من انواع الكائنات الكلية والشخصية
فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتاثيرها بالتجربة وهو امر تقصر الاعمار كلها
عن تحصيله لو اجتمعت اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن
ادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى اماد واحقاب متطاولة يتقاصر عنها
اعمار العالم وربما ذهب ضعفاء منهم الى ان معرفة قوى الكواكب وتاثيراتها كانت بالوحي وهو راي فائل
وقد كفونا مؤنة ابطاله ومن اوضح الادلة فيه ان تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابعد عن
الصنائع فانهم لا يتعرضون للاخبار عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة
ويشرعون لذلك لتابعيهم من الخلق واما بطليموس ومن تبعه من المتاخرين فيرون ان دلالة
الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان
فعل النيرين واثرهما في العنصريات ظاهر لا يسع احدا جحده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول
وامزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفنة
وفواكه القثاء وسائر افعاله ثم قال ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان الاولى التقليد لمن
نقل ذلك عنه من ائمة الصناعة الا انه غير مقنع للنفس الثانية الحدس والتجربة بقياس كل واحد
منهما الى النير الاعظم الذي عرفنا طبيعته واثره معرفة ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند
القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته في الطبيعة او ينقص عنها فتعرف مضادته ثم اذا عرفنا
قواها مفردة عرفناها مركبة وذلك عند تناظرها باشكال التثليث والتربيع وغيرهما ومعرفة
ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس ايضا الى النير الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة
في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهواء يحصل لما تحته من المولدات وتتخلق
به النطف والبزور فتصير حالا للبدن المتكون عنها وللنفس المتعلقة به الفائضة عليه
المكتسبة لما لها منه ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كيفيات البزرة والنطفة كيفيات
لما يتولد عنهما وينشا منهما قال وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شيء وليس هو ايضا من القضاء
الالهي يعني القدر انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكائن والقضاء الالهي سابق على كل شيء
هذا محصل كلام بطليموس واصحابه وهو منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف
مدرك هذه الصناعة وذلك ان العلم الكائن او الظن به انما يحصل عن العلم بجملة اسبابه
من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه والقوى النجومية على ما قرروه
انما هي فاعلة فقط والجزء العنصري هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي الفاعل بجملتها
بل هناك قوى اخرى فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التوليد للاب والنوع التي في النطفة
والقوى الخاصة التي تميز بها صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصلت كمالها وحصل
العلم بها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم
بقوى النجوم وتاثيراتها مزيد حدس وتخمين حينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والحدس
والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من اصوله فاذا فقد هذا الحدس
والتخمين رجعت ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى النجومية على
سداده ولم تعترضه افة وهذا معوز لما فيه من معرفة حسبانات الكواكب وسيرها لتتعرف به

أو مناظرها ولما أن اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه ومدرك بطليموس في إثبات القوى للكواكب
الخمسة بقياسها إلى الشمس مدرك ضعيف لأن قوة الشمس غالبة لجميع القوى من الكواكب
ومستولية عليها فقل أن يشعر بالزيادة فيها أو النقصان منها عند المقارنة كما قالوه وهذه
كلها قادحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة ثم إن تأثير الكواكب
فيما تحتها باطل إذ قد تبين في باب التوحيد أن لا فاعل إلا الله بطريق استدلالي كما رأيته
واحتج له أهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من أن إسناد الأسباب إلى المسببات مجهول
الكيفية والعقل متهم على ما يقضي به فيما يظهر بادي الرأي من التأثير فلعل استنادها على غير
صورة التأثير المتعارف والقدرة الإلهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا
سيما والشرع يرد الحوادث كلها إلى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك والنبوات أيضا
منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله إن الشمس
والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته وفي قوله أصبح من عبادي مؤمن وكافر بالكواكب
فأما من قال مطرنا بفضل الله تعالى وبرحمته فذلك مؤمن كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا
بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصناعة
من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران
الإنساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض
الأحايين اتفاقا لا يرجع إلى تعليل ولا تحقيق فيلهج بذلك من لا معرفة له ويظن اطراد الصدق
في سائر أحكامها وليس كذلك فيقع في رد الأشياء إلى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثيرا في
الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الأعداء والمتربصين
بالدولة إلى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغي أن تحظر هذه الصناعة
على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدح في ذلك كون وجودها
طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم فالخير والشر طبيعيان في العالم موجودان لا يمكن
نزعهما وإنما يتعلق التكليف بأسباب حصولهما فيتعين السعي في اكتساب الخير بأسبابه
ودفع أسباب الشر والمضار وهذا هو الواجب على من عرف مفاسد هذا العلم ومضاره
وليعلم من ذلك أنها وإن كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن أحدا من أهل هذه الملة تحصيل
علمها ولا ملكتها بل إن نظر فيها ناظر وظن الإحاطة بها فهو في غاية القصور في نفس الأمر
فإن الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من أهل العمران لقراءتها والتحليق بتعليمها
وصار المولع بها من الناس وهم الأقل وأقل من الأقل إنما يطالع كتبها ومسائلها في كسر
بيته متسترا عن الناس وتحت ربقة من الجمهور مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها
واعتياصها على الفهم فكيف يحصل منها طائل ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه دينا ودنيا
وسهلت مآخذه من الكتاب والسنة وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق
والتجميع وطول المدارسة وكثرة المجالس وتعددها إنما يحذق فيه الواحد بعد الواحد
في الأعصار والأجيال فكيف بعلم مهجور للشريعة مضروب دونه الحظر والتحريم مكتوم
عن الجمهور صعب المأخذ محتاج بعد الممارسة والتحصيل والحذق فيه مع هذه كلها
ومدعي ذلك من الناس مردود على عقبه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفن بين أهل الملة
وقلة حملته فاعتبر ذلك يتبين لك صحة ما ذهبنا إليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه

احدا

أحدا ومما وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر عند ما غلب العرب عساكر السلطان
أبي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثر إرجاف الفريقين الأولياء والأعداء فقال في ذلك أبو القاسم
الرحوي من شعراء أهل تونس

أستغفر الله كل حين   قد ذهب العيش والهناء
أصبح في تونس وأمسي   والصبح لله والمساء
الخوف والجوع والمنايا   يحدثها الهرج والوباء
والناس في مرية وحرب   وما عسى ينفع المراء
فأحمدي يرى عليا   حل به الهلك والتواء
وآخر قال سوف يأتي   به إليكم صبا رخاء
والله من فوق ذا وهذا   يقضي لعبده ما يشاء
يا راصد الخنس الجواري   ما فعلت هذه السماء
مطلتمونا وقد زعمتم   أنكم اليوم أملياء
مر خميس على خميس   وجاء سبت وأربعاء
ونصف شهر وعشر ثان   وثالث ضمه القضاء
ولا نرى غير زور قول   أذاك جهل أم ازدراء
إنا إلى الله قد علمنا   أن ليس يستدفع القضاء
رضيت بالله لي إلها   حسبكم البدر أو ذكاء
ما هذه الأنجم السواري   إلا عباديد أو إماء
يقضى عليها وليس تقضي   وما لها في الورى اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما   ما شأنه الجرم والفناء
وحكمة في الوجود طبعا   يحدثه الماء والهواء
لم تر حلوا إزاء مر   تغذوهما تربة وماء
الله ربي ولست أدري   ما الجوهر الفرد والخلاء
وما الهيولى التي تنادي   ما لي عن صورة عراء
ولا وجود ولا انعدام   ولا ثبوت ولا انتفاء
ولست أدري ما الكسب إلا   ما جلب البيع والشراء
وإنما مذهبي وديني   ما كان والناس أولياء
إذ لا فصول ولا أصول   ولا جدال ولا ارتياء
ما تبع الصدر والبقايا   يا حبذا ذاك الاقتفاء
كانوا كما يعلمون منهم   ولم يكن ذلك الهراء
يا أشعري الزمان إني   أشعرني الصيف والشتاء
أنا أجزى بالشر شرا   والخير عن مثله جزاء
وإنني إن أكن مطيعا   فرب واعصي ولي رجاء
وإنني تحت حكم بار   أطاعه العرش والثراء
ليس بإسطارهم ولكن   إباحة الحكم والقضاء

لو حدث الاشعري عمن * له الى رايه انتماء
لقال اخبرهم باني * مما يقولونه براء

فصل في انكار ثمرة الكيميا واستحالة وجودها وما ينشا من المفاسد عن انتحالها

اعلم ان كثيرا من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على انتحال هذه الصناعة ويرون انها احد مذاهب المعاش ووجوهه وان اقتناء المال منها ايسر واسهل على مبتغيه فيرتكبون فيها من المتاعب والمشاق ومعاناة الصعاب وعسف الحكام وخسارة الاموال في النفقات زيادة الى النيل من عرضه والعطب اخرا اذا ظهر على خيبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وانما اطمعهم في ذلك انهم راوا المعادن تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة والذهب والنحاس والقصدير فضة ويحسبون انها من ممكنات عالم الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم للعلاج المسماة عندهم بالحجر المكرم هل هي العذرة او الدم او الشعر او البيض او كذا او كذا مما سوى ذلك وجملة التدبير عندهم بعد تعيين المادة ان تمهى بالفهر على حجر صلد وتسقى اثناء امهائها بالماء بعد ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويؤثر في انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تجفف بالشمس من بعد السقي او تطبخ بالنار او تصعد او تكلس لاستخراج مائها او ترابها فاذا رضي ذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته اصول صنعته حصل من ذلك تراب او مائع يسمونه الاكسير ويزعمون انه اذا القي على الفضة المحماة بالنار عادت ذهبا او النحاس المحمى بالنار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله ويزعم المحققون منهم ان ذلك الاكسير مادة مركبة من العناصر الاربعة حصل فيها بذلك من العلاج الخاص والتدبير مزاج وقوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها ومزاجها وتبث فيه ما حصل من الكيفيات والقوى كالخميرة للخبز تقلب العجين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانفشاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريعا الى الغذا وكذا اكسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن تصرفه اليهما وتقلبه الى صورتهما هذا محصل زعمهم على الجملة فتجدهم عاكفين على هذا العلاج يبتغون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون احكامه وقواعده من كتب لائمة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف اسرارها اذ هي في الاكثر تشبه المعمى كتواليف جابر بن حيان في رسايله السبعين ومسلمة المجريطي في كتاب رتبة الحكيم والطغرايي والمغربي في قصايده العريقة في اجادة النظم وامثالها ولا يحلون من هذا كله بطايل فاوضت يوما شيخنا ابا البركات التلفيقي كبير مشيخة الاندلس في مثل ذلك ووقفته على بعض التواليف فيها فتصفحه طويلا ثم رده الي وقال لي وانا الضامن له الا يعود الى بيته الا بالخيبة ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما الظاهرة كتمويه الذهب بالفضة او النحاس بالفضة او خلطهما على نسبة جزء او جزءين او ثلاثة او الخفية كالقاء الشبه من المعادن بالصناعة مثل تبييض النحاس وتليينه بالزوق المصعد فيجيء جسما معدنيا شبيها بالفضة ويخفى الا على النقاد المهرة فيقدر اصحاب هذه الدلس مع دلستهم هذه سكة يسربونها في الناس

ـان
هب بالذ
الفضة

ويطبعونها

ويطبعونها بطابع السلطان تمويها على الجمهور بالخلاص من الغش وهولاء اخس الناس حرفة واسوءهم عاقبة لتلبسهم بسرقة اموال الناس فان صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نحاسا في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه فهو سارق او اشر من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة البربر المنتبذين باطراف البقاع ومساكن الاغمار ياوون الى مساجد البادية يموهون على الاغنيا منهم بان بايديهم صناعة الذهب والفضة والنفوس مولعة بحبهما والاستهلاك في طلبهما فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة الى ان يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفر الى مكان اخر ويستجد حالا اخرى في استهواء بعض اهل الدنيا باطماعهم فيما لديه ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية من الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعلتهم الا اشتداد الحكام عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع ايديهم متى ظهر على شانهم لان فيه افساد السكة التي تعم بها البلوى وهي متمول الناس كافة والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسديها واما من انتحل هذه الصناعة ولم يرض بحال الدلسة بل استنكف عنها ونزه نفسه عن افساد سكة المسلمين ونقودهم وانما يطلب احالة الفضة الى الذهب والرصاص الى النحاس والقصدير الى الفضة بذلك النحو من العلاج وبالاكسير الحاصل عنده فلنا مع هولا متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع انا لا نعلم ان احدا من اهل العالم تم له هذا الغرض او حصل منه على بغية انما تذهب اعمارهم في التدبير والفهر والصلايا والتصعيد والتكليس واعتيام الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها ويتناقلون في ذلك حكايات وقعت لغيرهم ممن تم له الغرض منها او وقف على الوصول يقنعون باستماعها والمفاوضة فيها ولا يستريبون في تصديقها شان الكلفين المغرمين بوساوس الاخبار فيما يكلفون به فاذا سيلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة انكروه وقالوا انما سمعنا ولم نره هكذا شانهم في كل عصر وجيل واعلم ان انتحال هذه الصنعة قديم في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين والمتاخرين فلننقل مذا

هبهم

في ذلك ثم نتلوه بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الامر في نفسه فنقول ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكما على حال المعادن السبعة المتطرقة وهي الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والخارصيني هل هي مختلفات وكلها انواع قايمة بانفسها او انما هي مختلفة بخواص من الكيفيات وهي كلها اصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه ابو نصر الفارابي وتابعه عليه حكما الاندلس انها نوع واحد وان اختلافها بالكيفيات من الرطوبة واليبوسة واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها اصناف لذلك النوع الواحد والذي ذهب اليه ابن سينا وتابعه عليه حكما المشرق انها مختلفة بالفصول وانها انواع متباينة كل واحد منها قايم بنفسه متحقق بحقيقته له فصل وجنس شان ساير الانواع وبنى ابو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالنوع امكان انقلاب بعضها الى بعض لامكان تبدل الاعراض حينئذ وعلاجها بالصنعة فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيميا عنده ممكنة سهلة الماخذ وبنى ابو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع انكار هذه الصنعة واستحالة وجودها بنا على ان الفصل لا سبيل بالصناعة اليه وانما يخلقه خالق الاشيا ومقدرها وهو الله عز وجل

والفصول مجهولة الحقائق رأسا بالقصود فكيف يحاول انقلابهما بالصنعة وغلطه الطغرائي من اكابر اهل هذه
الصنعة في هذا القول ورد عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل وابداعه وانما هو في
اعداد المادة لقبوله خاصة والفصل ياتي من بعد الاعداد من لدن خالقه وباريه كما يفيض النور
على الاجسام بالصقل والامهاء ولا حاجة في ذلك الى تصوره ومعرفته قال وإذا كنا قد عثرنا
على تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بفصولها مثل العقرب من التراب والتبن ومثل الحيات المتكونة
من الشعر ومثل ما ذكره اصحاب الفلاحة في تكوين النحل اذا فقدت من عجاجيل البقر وتكوين القصب
من قرون ذوات الظلف وتصييره سكرا بالحشو المقرون بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون فما
اذن من العثور على مثل ذلك في الذهب والفضة فنتخذ مادة نضيفها للتدبير بعد ان يكون
فيها استعداد اول لقبول صورة الذهب والفضة ثم نحاولها بالعلاج الى ان يتم فيها الاستعداد
لقبول فصلها انتهى كلام الطغرائي بمعناه وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا
في الرد على اهل هذه الصنعة ماخذا اخر يتبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم اجمعين
لا الطغرائي ولا ابن سينا وذلك ان حاصل علاجهم انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاستعداد
الاول يجعلونها موضوعا ويحاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة للجسم في المعدن حتى
احالته ذهبا او فضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعلة ليتم في زمان اقصر لانه تبين في موضعه
ان مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين ان الذهب انما يتم كونه في معدنه بعد الف
وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن
كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه او يتحرون بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة
تصيرها كالخميرة تفعل في الجسم المعالج الافاعيل المطلوبة في احالته وذلك هو الاكسير على ما تقدم
واعلم ان كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعة وعلى نسبة
متفاوتة اذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم امتزاجها فلا بد من الجزء الغالب على الكل ولا بد في كل
ممتزج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة لصورته ثم كل متكون في زمان
فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور الى طور حتى ينتهي الى غايته وانظر شان الانسان
الرضيع الى نهايته ونسب الاجزاء في كل طور تختلف مقاديرها وكيفياتها والا لكان الطور بعينه
الاول هو الاخر وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في الطور الاخر فانظر الى الذهب
ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ الف سنة وثمانين وما ينتقل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب
الكيميا ان يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاذيه بتدبيره وعلاجه الى ان يتم ومن شرط الصناعة
ابدا تصور ما يقصد اليه بالصنعة فمن الامثال السائرة للحكماء اول العمل اخر الفكرة واخر الفكرة
اول العمل فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور
واختلاف الحار الغريزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوى
المضاعفة ويقوم مقامه حتى يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن او يعد لبعض المواد صورة
مزاجية تكون كصورة الخميرة للخبز وتفعل في هذه المادة بالمناسبة لقواها ومقاديرها وهذه
كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وانما حال من يدعي حصوله على الذهب
بهذه الصنعة بمثابة من يدعي بالصنعة تخليق انسان من المني ونحن اذا سلمنا له الاحاطة
باجزائه ونسبه واطواره وكيفية تخليقه في رحمه وعلم ذلك علما محصلا بتفاصيله حتى لا يشذ
منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان وانى له ذلك ولنقرب هذا البرهان بالاختصار

ليسهل

ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة الكيميا وما يدعونه بهذا التدبير انه مساوقة الطبيعة المعدنية
بالفعل الصناعي ومحاذاته به الى ان يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة بقوى وافعال وصورة مزاجية
تفعل في الجسم فعلا طبيعيا فتصيره وتقلبه الى صورتها والفعل الصناعي مسبوق بتصورات
احوال الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها ومحاذاتها او فعل المادة ذات القوى فيها تصورا
مفصلا واحدة بعد اخرى وتلك الاحوال لا نهاية لها والعلم البشري عاجز عن الاحاطة بما دونها
وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان او حيوان او نبات هذا محصل هذا البرهان وهو اوثق ما علمته
وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول كما رايته ولا من الطبيعة انما هو من تعذر الاحاطة وقصور
البشر عنها وما ذكره ابن سينا بمعزل عن ذلك وله وجه اخر في الاستحالة من جهة غايته وذلك ان
حكمة الله في الحجرين وندورهما انهما قيم لمكاسب الناس ومتمولاتهم فلو حصل عليهما بالصنعة
لبطلت حكمة الله في ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل احد من اقتنائهما على شيء وله وجه اخر من
الاستحالة ايضا وهو ان الطبيعة لا تترك اقرب الطرق في افعالها وتترك الاعوص والابعد
فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون انه صحيح وانه اقرب من طريق الطبيعة في معدنها
واقل زمانا لما تركته الطبيعة الى طريقها الذي سلكته في كون الفضة والذهب وتخلقهما واما
تشبيه الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات الامثال في الطبيعة كالعقرب والنحل والحية
وتخليقها فامر صحيح في هذه ادى اليه العثور كما زعم واما الكيميا فلم ينقل عن احد من اهل العالم
انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال منتحلوها يخبطون فيها عشواء الى هلم ولا يظفرون الا بالحكايات
الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لحفظه عنه اولاده او تلميذه او اصحابه وتنوقل في الاصدقاء وضمن
تصديقه صحة العمل بعده الى ان ينتشر ويبلغ الينا او الى غيرنا واما قولهم ان الاكسير بمثابة الخميرة
وانه مركب يحيل ما يحصل فيه ويقلبه الى ذاته فاعلم ان الخميرة انما تقلب العجين وتعده للهضم وهو فساد
والفساد في المواد سهل يقع بايسر شيء من الافعال والطبائع والمطلوب بالاكسير قلب المعدن الى ما هو
اشرف منه واعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين اصعب من الفساد فلا يقاس الاكسير بالخميرة وتحقيق
الامر في ذلك ان الكيميا ان صح وجودها كما تزعم الحكماء المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن
احمد المجريطي وامثالهم فليست من باب الصنائع الطبيعية ولا تتم بامر صناعي وليس كلامهم فيها من منحى
الطبيعيات انما هو من منحى كلامهم في الامور السحرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك للحلاج وغيره وقد
ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكيم من هذا المنحى وهذا كلام
جابر في رسائله ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا الى شرحه وبالجملة فامرها عندهم من كليات
المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما لا يتدبر منه الخشب والحيوان في يوم او شهر خشب او حيوان
فيما عدا مجرى تخليقه كذلك لا يتدبر ذهب من مادة ذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عادته
الا بارفاد مما وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع فكذلك من طلب الكيميا طلبا صناعيا ضيع ماله
وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم لان نيلها ان كان صحيحا فهو واقع مما وراء
الطبائع والصنائع فهو كالمشي على الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كثائف الاجساد ونحو ذلك
من كرامات الاولياء الخارقة للعادة او مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فتكون طيرا باذن الله وعلى ذلك فسبيل تيسيرها مختلف
بحسب حال من يؤتاها فربما اوتيها الصالح ويؤتيها غيره فتكون عنده معارة وربما اوتيها الصالح
ولا يؤتيها غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحريا فقد تبين انها انما تقع بتاثيرات النفس وخوارق

العادة اما معجزة او كرامة او سحر ولهذا كان كلام الحكما كلهم فيها الغازا لا يظفر بتحقيقه الا من خاض لجة من علوم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة وامور خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط واكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة وانتحالها هو كما قلناه العجز عن طرق الطبيعية للمعاش وابتغاوه من غير وجوهه الطبيعية كالفلاحة والتجارة والصناعة فيستصعب العاجز ابتغاوه من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه غير طبيعية من الكيميا وغيرها واكثر من يعتني بذلك الفقرا من اهل العمران حتى في الحكما المتكلمين في انكارها واستحالتها كان من علية الوزرا فكان من اهل الغنا والثروة والفارابي القايل بامكانها كان من اهل الفقرا الذين يعوزهم ادنى بلغة من المعاش واسبابه وهذه تهمة ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها وانتحالها والله ذو القوة المتين

فصل في ان كثرة التاليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعلم انه مما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التواليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او اكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شان الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتاخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر ينقضي في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الامر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا وماخذه قريبا ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ويمثل ايضا علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتاخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم وينقضي عمره دونه ولا يطمع احد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل الينا بالمغرب لهذا العهد من تواليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيه انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسيبويه وابن جني واهل طبقتهما لعظم ملكته وما احاط به من اصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه ودل ذلك على ان الفضل ليس منحصرا في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتواليف ولكن فضل الله يوتيه من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود والا فالظاهر ان المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلا الذي هو آلة من الالات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة والله يهدي من يشاء

فصل في ان كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم

ذهب

ذهب كثير من المتاخرين الى اختصار الطرق والانحا في العلوم يولعون بها ويدونون منها مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وادلتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وامثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لان فيه تخليطا على المبتدي بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سياتي وفيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها واستخراج المسائل من بينها لان الفاظ المختصرة تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والاحالة المفيدين لحصول الملكة التامة واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشان هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والله الموفق

فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقي عليه اولا مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا الا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رايت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي ادركنا يجهلون طرق التعليم وافاداته ويحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل ان يستعد لفهمها فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشا تدريجا ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالامثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن واذا القيت عليه الغايات في البداية وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وتمادى في هجرانه وانما اتى ذلك من سوء التعليم

ولا ينبغي للمعلم ان يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي اكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتديا كان او منتهيا ولا يخلط مسايل الكتاب بغيرها حتى يعيه من اوله الى اخره ويحصل اغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره لان المتعلم اذا احصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له في طلب المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم واذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وادركه الكلال وانطمس فكره وييس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي من يشا وكذلك ينبغي ان لا تطول على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطيع المجالس وتفريق ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسايل الفن بعضها عن بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها واذا كانت اوايل العلم واواخره حاضرة عند الفكر كانت الملكة ايسر حصولا واحكم ارتباطا واقرب صبغة لان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره واذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشية عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون **ومن المذاهب** الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ان لا يخلط على المتعلم علمان معا فانه حينيذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الاخر فيستغلقان معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة واذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصرا عليه فربما كان ذلك اجدر بتحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

فصل واعلم ايها المتعلم اني اتحفك بفايدة في تعلمك فان تلقيتها بالقبول وامسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة واقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر ساير مبتدعاته وهو وجدان وحركة في النفس بقوة في البطن الاوسط من الدماغ وتارة يكون مبدا للافعال الانسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدا لعلم ما لم يكن حاصلا بان يتوجه الى المطلوب وقد تصور طرفيه ويروم نفيه او اثباته وينتقل الى تحصيل وسط اخر ان كان متعددا ويصير الى الظفر بمطلوبه هذا شان هذه الطبيعة الفكرية التي يميز بها البشر من بين ساير الحيوان ثم الصناعة المنطقية هي كيفية هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداده من خطاه لانها وان كان الصواب لها ذاتيا الا انه قد يعرض لها الخطا في الاقل من تصور الطرفين على غير صورتهما ومن اشتباه الهيات في نظم القضايا وترتيبها للنتاج ه فيتعين المنطق على التخلص من ورطة هذا الفساد ان عرض فالمنطق اذا امر صناعي مساو للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولكونه امرا صناعيا استغني عنه في الاكثر ولذلك تجد كثيرا من فحول النظار في الخليقة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فان ذلك اعظم معين ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فتفضي بالطبع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا الامر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة اخرى من التعلم وهي معرفة الالفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب او مشافهة اللسان بالخطاب فلا بد ايها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فاولا دلالة الكتابة الموسومة على الالفاظ المقولة وهي اخفها ثم دلالة الالفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشراكا يقتنص بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله تعالى ومواهبه وليس كل احد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعلم بسهولة بل ربما وقف

في الذهن

الذهن في حجب الالفاظ وعويص الشبهات بالمناقشات او عثر في اشتراك الادلة بشغب الجدال والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكد يتخلص من تلك الغمرة الا قليلا ممن هداه الله فاذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك او تشغيب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك واترك الامر الصناعي جملة واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وسرح نظرك فيه وفرغ ذهنك للغوص على مرامك منه واضعا ما حث وضعها اكابر النظار قبلك مستعرضا للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنه من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعلت ذلك اشرقت عليك انوار الفتح من الله بالظفر بمطلوبك وحصل الامام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر وفطره عليه كما قلناه وحينيذ فارجع به الى قوالب الادلة وصورها فافرغه فيها ووفه حقه من القانون الصناعي ثم اكسه صور الالفاظ وابرزه الى عالم الخطاب والمشافهة وثيق العرى صحيح البنيان واما ان وقفت عند المناقشة والشبهة في الادلة الصناعية وتمحيص صوابها من خطايها وهذه امور صناعية وتتشابه لاجل الوضع ه والاصطلاح فلا تتميز جهة الحق منها اذ جهة الحق انما تتميز اذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتياب وتسدل الحجب على المطلوب وتقعد بالناظر عن تحصيله وهذا شان الاكثر من النظار المتاخرين سيما من سبقت له في لسانه فربطت عن ذهنه ومن حصل له شغف بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى درك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعي كما قلناه اذا جرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه لرحمة الله تعالى والله اعلم

فصل في ان العلوم الالية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسايل

اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات والالهيات من الفلسفة وعلوم هي الية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات وكالمنطق للفلسفة وربما كان الة لعلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتاخرين **فاما** العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسايل واستكشاف الادلة والانظار فان ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وايضاحا لمعانيها المقصودة **واما** العلوم التي هي الة لغيرها مثل العربية والمنطق وامثالها فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي الة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تستفرع المسايل لان ذلك مخرج لها عن المقصود اذ المقصود منها ما هي الة له لا غير فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عايقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسايلها مع ان شانها اهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الالية تضييعا للعمر وشغلا بما لا يعني وهذا كما فعله المتاخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق لا بل واصول الفقه لانهم اوسعوا دايرة الكلام فيها واكثروا من التفاريع والاستدلالات بما اخرجها عن كونها الة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها مسايل وانظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي ايضا مضرة بالمتعلمين على الاطلاق لان المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة اكثر من اهتمامهم بوسايلها فاذا قطعوا العمر في تحصيل الوسايل فمتى يظفرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الالية ان لا يستبحروا في شانها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده ه

فمن نزعت به همته بعد ذلك الى شيء من التوغل فليرق له ما شاء من المراقي صعبا او سهلا وكل ميسر لما خلق له

فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه

اعلم ان تعليم الولدان للقران من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقايده من ايات القران وبعض متون الاحاديث وصار القران اصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك ان تعليم الصغر اشد رسوخا وهو اصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال ما يبنى عليه واختلفت طرقهم في تعليم القران للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشا عن ذلك التعليم من الملكات فاما اهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القران فقط واخذهم اثنا المدارسة بالرسم ومسايله واختلاف حملة القران فيه لا يخلطون ذلك سواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يحذق فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر امم المغرب في ولدانهم الى ان يجاوز حد البلوغ الى الشبيبة وكذا في الكبير اذا رجع مدارسة القران بعد طايفة من عمره فهم لذلك اقوم على رسم القران وحفظه من سواهم واما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القران والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعونه في التعليم الا انه لما كان القران اصل ذلك واسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه اصلا في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم فيه بالخط اكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم لو كان فيها سند لتعليم العلوم لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في افاقهم ولا يحصل بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن ارشده الله تعالى واستعد اذا وجد المعلم واما اهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القران واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته اكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك وبالجملة فطريقتهم في تعليم الولدان اقرب الى طريقة اهل الاندلس لان سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واستقروا بتونس وعنهم اخذ ولدانهم من بعد ذلك واما اهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا ادري بما عنايتهم منها والذي ينقل الينا ان عنايتهم بدراسة القران وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطون بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده كما تتعلم ساير الصنايع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان واذا كتبوا لهم الالواح فبخط قاصر عن الاجادة ومن اراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من اهل صنعته فاما اهل افريقية والمغرب فافادهم الاقتصار على القران القصور عن ملكة اللسان جملة وذلك ان القران لا ينشا عنه في الغالب ملكة لما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على اساليبه والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير اساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان اهل افريقية في ذلك اخف من اهل المغرب لما يخلطون في

تعليمهم القران بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الا ان ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان اكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سياتي في فصله واما اهل الاندلس فافادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من اول العمر حصول ملكة صاروا بها اعرف في اللسان العربي وقصروا في ساير العلوم لبعدهم عن مدارسة القران والحديث الذي هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك اهل خط وادب بارع او مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب القاضي ابو بكر بن العربي في كتاب رحلته الى طريقة غريبة في وجه التعليم واعاد في ذلك وابدا وقدم تعليم العربية والشعر على ساير العلوم كما هو مذهب اهل الاندلس قال لان الشعر ديوان العرب ويدعو الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل الى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل الى درس القران فانه يتيسر عليه بهذه المقدمة ثم قال وما غفلة اهل بلادنا في ان يوخذ الصبي بكتاب الله في اول امره يقرا ما لا يفهم وينصب في امر غيره اهم عليه منه قال ثم ينظر في اصول الدين ثم الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه ونهى مع ذلك ان يخلط في التعليم علمان الا ان يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الذهن والنشاط هذا ما اشار اليه القاضي ابو بكر رحمه الله تعالى وهو لعمري مذهب حسن الا ان العوايد لا تساعد عليه وهي املك بالاحوال ووجه ما اختصت به العوايد من تقدم دراسة القران ايثارا للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الافات والقواطع عن العلم فيفوته القران لانه ما دام في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ وانحل من ربقة القهر فربما عصفت به رياح الشبيبة فالقته بساحل البطالة فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القران لئلا يذهب خلوا منه ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي اولى ما اخذ به اهل المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه

فصل في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وذلك ان ارهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في اصاغر الولد لانه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعا الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه او منزله وصار عيالا على غيره في ذلك وتسلب النفس عن اكتساب الفضايل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك امره عليه ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به وتجد ذلك فيهم استقراء وانظره في اليهود وما حصل فيهم بذلك من خلق السوء حتى انهم يوصفون في كل افق وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد وسببه ما قلناه فلذلك ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدوا عليهم في التاديب وقد قال ابو محمد بن ابي زيد في كتاب الفه في حكم المتعلمين والمعلمين ينبغي

لا ينبغي للمؤدب للصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيا ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا ادبه الله حرصا على صون النفوس عن مذلة التاديب وعلما بان المقدار الذي عينه الشرع لذلك املك له فانه اعلم بمصلحته ومن احسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده قال خلف الاحمر بعث الي الرشيد لتاديب ولده محمد الامين فقال يا احمر ان امير المومنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك امير المومنين اقروه القران وعرفه الاخبار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك الا في اوقاته وخذه بتعظيم بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويالفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة

فصل في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم

والسبب في ذلك ان البشر ياخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاما واقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها والاصطلاحات ايضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكاته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فصل في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

والسبب في ذلك انهم معتادون النظر الفكري والغوص في المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن امورا كلية عامة ليحكم عليها بامر على العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا امة ولا صنف من الناس ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات وايضا يقيسون الامور على اشباهها وامثالها بما اعتادوه من القياس الفقهي فلا تزال احكامهم وانظارهم كلها في الذهن ولا تصير الى المطابقة الا بعد الفراغ من البحث والنظر او لا تصير بالجملة الى مطابقة وانما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك كالاحكام الشرعية فانها فروع عما في المحفوظ من ادلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما في الخارج لها عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج فهم متعودون في سائر انظارهم الامور الذهنية والانظار الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الاحوال ويتبعها فانها خفية ولعل ان يكون فيها ما يمنع من الحاقها بشبه او مثال وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شي من احوال العمران

على الاخر

على الاخر اذ كما اشتبها في امر واحد فلعلهما اختلفا في امور فتكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على بعض اذا نظروا في السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالاتهم فيقعون في الغلط الكثير ولا يؤمن عليهم ويلحق بهم اهل الذكاء والكيس من اهل العمران لانهم ينزعون بثقوب اذهانهم الى مثل شان الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف من الاحوال والاشخاص على ما اختص به ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في اكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالسابح لا يفارق الموج عند البر قال

ولا توغلن اذا ما سبحت ❊ فان السلامة في الساحل

فيكون مامونا من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة جنسه فيحسن معاشه وتندفع افاته ومضاره باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا يتبين ان صناعة المنطق غير مامونة الغلط لكثرة ما فيها من الانتزاع وبعدها عن المحسوس فانها تنظر في المعقولات الثواني ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الاحكام وينافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني واما النظر في المعقولات الاول وهي التي تجريدها قريب فليست كذلك لانها خيالية وصور المحسوسات حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه

فصل في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم

من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شريعتها عربي والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداوة وانما احكام الشريعة التي هي اوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا ماخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه عن صاحب الشرع واصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتاليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعتهم اليه حاجة وجرى الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء اي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا اميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربا فقيل لحملة القران يومئذ قراء اشارة الى هذا فهم قراء لكتاب الله تعالى والسنة المأثورة عن الله تعالى لانهم لم يعرفوا الاحكام الا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارده تفسير له وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتيج الى وضع التفاسير القرانية وتقييد الحديث مخافة ضياعه ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الرجال للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما دونه ثم كثر استخراج احكام الواقعات من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان فاحتيج الى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباطا ت والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت الى علوم اخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد الايمانية بالادلة لكثرة البدع والا الحاد فصارت هذه العلوم كلها علوما ذات ملكات محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع من منتحل الحضر وان العرب ابعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية

وبعد العهد عنها وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم او من في معناهم من الموالي واهل الحواضر
الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة
الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من
بعدهما وكلهم عجم في انسابهم وانما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب
وصيروه قوانين وفنا لمن بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه على اهل الاسلام اكثرهم عجم
او مستعجمون باللغة والمربى وكان علماء اصول الفقه كلهم عجما كما يعرف وكذا حملة اهل الكلام
وكذا اكثر المفسرين ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم
لو تعلق العلم باكناف السماء لناله قوم من فارس واما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها
وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه من القيام
بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولي سياستها مع ما يلحقهم
من الانفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء ابدا يستنكفون عن
الصنائع والمهن وما يجر اليها ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين وما زالوا يرون لهم
حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يحتقرون حملتها كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب
جملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية غريبة النسب عند اهل الملك بما هم عليه من البعد عن
نسبها وامتهن حملتها بما يرون انهم بعداء عنهم مشتغلون بما لا يجدي عليهم في الملك والسياسة
كما ذكرناه في فصل المراتب الدينية فهذا الذي قررناه هو السبب في ان حملة الشريعة او عامتهم
عجما واما العلوم العقلية ايضا فلم تظهر في الملة الا بعد ان تميز حملة العلوم ومؤلفوه واستقر
العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الا المعربون من
العجم شان الصنائع كما قلناه اولا فلم يزل ذلك في الامصار ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم من
العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله
في حصول العلوم والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة واختص العلم بالامصار
الموفورة الحضارة ولا اوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي ام العالم وايوان الاسلام وينبوع العلوم
والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها فلهم بذلك حصة
من العلوم والصنائع لا تنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم من تآليف وصلت الينا الى
هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني واما غيره من العجم فلم نر لهم من بعد الامام ابن الخطيب
ونصير الدين الطوسي كلاما يعول على نهايته في الاجادة فاعتبر ذلك وتامله تر عجبا في احوال
الخليقة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو

فصل في علوم اللسان العربي

واركانه اربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على اهل الشريعة اذ ماخذ
الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب
وشرح مشكلاتها من لغتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن اراد علم الشريعة
وتتفاوت في التاكد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسب ما يتبين في الكلام عليها فنا
فنا والذي يتحصل ان الاهم المقدم منها هو النحو اذ به يتبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل
من المفعول والمبتدا من الخبر ولولاه لجهل اصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقديم لولا ان

اكثر

اكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الاعراب الدال على الاسناد والمسند والمسند اليه فانه تغير
بالجملة ولم يبق له اثر فلذلك كان علم النحو اهم من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتفاهم جملة وليست
كذلك اللغة والله اعلم

النحو

اعلم ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فلابد ان
تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة
الحاصلة من ذلك للعرب احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها
على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور اعني المضاف ومثل الحروف
التي تفضي بالافعال الى الحركات اي الذوات من غير تكلف الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في
لغة العرب واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال فلابد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك
نجد كلام العجم في مخاطباتهم اطول مما نقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم
اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصار الحروف في لغتهم والحركات والاوضاع اي الهيئات
اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها انما هي ملكة
في السنتهم ياخذها الاخر عن الاول كما تاخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام
وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في ايدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة
بما القي اليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم والسمع ابو الملكات اللسانية ففسدت
بما القي اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتبار السمع وخشي اهل العلوم منهم ان تفسد تلك
الملكة راسا ويطول العهد فينغلق القران والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم
قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون
الاشباه بالاشباه مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدا مرفوع ثم راوا تغير الدلالة
بتغير هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وامثال
ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة
واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو واول من كتب فيها ابو الاسود الدؤلي من بني كنانة ويقال باشارة
علي رضي الله عنه لانه راى تغير الملكة فاشار عليه بحفظها ففزع الى ضبطها بالقوانين الحاصرة
المستقراة ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدي ايام الرشيد
احوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب فهذب الصناعة وكمل ابوابها
واخذها عنه سيبويه فكمل تفاريعها واستكثر من ادلتها وشواهدها ووضع فيها كتابه المشهور
الذي كان اماما لكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع ابو علي الفارسي ابو القاسم الزجاجي كتبا مختصرة
للمتعلمين يحذون فيها حذو الامام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف
بين اهلها في الكوفة والبصرة المصرين القديمين للعرب وكثرت الادلة والحجاج بينهم وتباينت
الطرق في التعليم وكثر الاختلاف في اعراب كثير من اي القران باختلافهم في تلك القواعد وطال
ذلك على المتعلمين وجاء المتاخرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيرا من ذلك الطول
مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وامثاله او اقتصارهم على المبادي
للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له وربما نظموا ذلك نظما
مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبرى والصغرى وابن معطي في الارجوزة الالفية وبالجملة

فالتواليف في هذا الفن اكثر من ان تحصى او يحاط بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتاخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كان هذه الصناعة ان تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتناقص العمران ووصل الينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه احكام الاعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في اكثر ابوابها وسماه بالمغني في الاعراب واشار الى نكت اعراب القران كلها وضبطها بابواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وكانه ينحو في طريقته منحاة اهل الموصل الذين اقتفوا اثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه فاتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء

علم اللغة

وهذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك انه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند اهل النحو بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تادى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشا عنها من الجهل بالقران والحديث فشمر كثير من ائمة اللسان لذلك واملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن احمد الفراهيدي الف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي وتاتى له حصر ذلك بوجوه عددية حاصرة وذلك ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها يوخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يوخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يوخذ السابع والعشرين مع الثامن والعشرين فيكون واحدا فتكون كلها اعدادا على توالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند اهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان التقديم والتاخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجتمع من واحد الى ستة وعشرين على توالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب المخارج فبدا بحروف الحلق ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخرا وهي الحروف الهوائية وبدا من حروف الحلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمي الكتاب بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا وهو تسميته باول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل والمستعمل في الخماسي والرباعي اكثر لقلة استعمال العرب له لثقله ولحق به

الثنائي لقلة دورانه وكان الاستعمال في الثلاثي اغلب فكانت اوضاعه اكثر لدورانه وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين واستوعبه احسن استيعاب واوعاه وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد المستعمل ولخصه للحفظ احسن تلخيص والف الجوهري من المشارقة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر الى اواخر الكلم وحصر اللغة اقتداء بحصر الخليل ثم الف فيها من الاندلسيين ابن سيده من اهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصريفها فجاء من احسن الدواوين ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلم وبناء التراجم عليها فكانا توامي رحم وسليلي ابوة وهذه اصول كتب اللغة فيما علمناه وهنالك مختصرات اخرى مختصة بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الابواب او لكلها الا ان وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رايت ومن الكتب الموضوعة ايضا في اللغة كتاب الزمخشري في المجاز بين فيه كلما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة الفاظا اخرى خاصة بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز الماخذ كما وضع الابيض لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه البياض من الخيل بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالاملح حتى صار استعمال الابيض في هذه كلها لحنا وخروجا عن لسان العرب واختص بالتاليف في هذا المنحى الثعالبي وافرده في كتاب سماه فقه اللغة وهو من اكد ما ياخذ به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظمه ونثره حذرا ان يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو اشد من اللحن في الاعراب وافحش وكذلك الف بعض المتاخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم يبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب للاكثر واما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهيلا لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والفصيح لثعلب وغيرهما وبعضها اقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الاهم على الطالب للحفظ والله الخلاق العليم

علم البيان

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق بالالفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك ان الامور التي يقصد المتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصور مفردات تسند ويسند اليها ويفضي بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما تمييز المسندات من المسند اليها والازمنة ويدل عليها بتغير الحركات وهو الاعراب وابنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو ويبقى من الامور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة احوال المتخاطبين والفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج الى الدلالة عليه وهو من تمام الافادة واذا

حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الافادة في كلامه واذا لم يشتمل منها على شي فليس من جنس كلام العرب
فان كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به كمال الاعراب والابانة الا ترى ان قولهم زيد
جاني مغاير لقولهم جاء زيد من قبل ان المتقدم منهما هو الاهم عند المتكلم فمن قال جاني زيد
افاد ان اهتمامه بالشخص قبل المجي المسند وكذا التعبير عن اجزاء الجملة بما يناسب المقام من
موصول او مبهم او معرفة وكذا تاكيد الاسناد في الجملة كقولهم زيد قايم وان زيدا قايم وان زيدا
لقايم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراب فان الاول العاري عن التاكيد انما يفيد
الخالي الذهن والثاني المؤكد بان يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر فهي مختلفة وكذلك
تقول جاني الرجل ثم تقول مكانه بعينه جاني رجل اذا قصدت بذلك التنكير تعظيمه وانه رجل
لا يعادله احد من الرجال ثم الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه او لا
وانشايية وهي التي لا خارج لها كالطلب وانواعه ثم قد يتعين ترك العاطف بين الجملتين
اذا كان للثانية محل من الاعراب فينزل بذلك منزلة التابع المفرد نعتا وتوكيدا او بدلا بلا
عطف او يتعين العطف اذا لم يكن للثانية محل من الاعراب ثم يقتضي المحل الاطناب او الايجاز فيورد
الكلام عليهما ثم قد يدل باللفظ ولا يريد منطوقه ويريد لازمه ان كان مفردا كما تقول زيد اسد
فلا يريد حقيقة الاسد المنطوقة وانما يريد شجاعته اللازمة على ما تركه وتسندها الى زيد
وتسمى هذه استعارة وقد يريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير الرماد
وتريد به ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماد ناشية عنهما فهي دالة عليهما
وهذه كلها دلالة زايدة على دلالات الالفاظ المفرد والمركب وانما هي هيات واحوال لواقعات جعلت
للدلالة عليها احوال وهيات في الالفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم
المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالة التي للهيات والاحوال والمقامات وجعل على ثلاثة اصناف
الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الاحوال
ويسمى علم البلاغة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة
والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان والحقوا بهما صنفا اخر وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه
بنوع من التنميق اما بسجع يفصله او تجنيس يشابه بين الفاظه او ترصيع يقطع اوزانه
او تورية عن المعنى المقصود بايهام معنى اخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وامثال ذلك
ويسمى عندهم البديع واطلق على الاصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف
الثاني لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه ثم تلاحقت مسايل الفن واحدة بعد اخرى وكتب فيها
جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم املاات غير وافية فيها ثم لم تزل مسايل الفن تكمل
شيا فشيا الى ان محض السكاكي زبدته وهذب مسايله ورتب ابوابه على نحو ما ذكرناه انفا
من الترتيب والف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفن من بعض
اجزايه واخذه المتاخرون من كتابه ولخصوا منه امهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله
السكاكي في كتاب التبيان وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القزويني في كتابه
الايضاح والتلخيص وهو اصغر حجما من الايضاح والعناية لهذا العهد به عند اهل المشرق
في الشرح والتعليم منه اكثر من غيره وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن اقوم من المغاربة وسببه
والله اعلم انه كمالي في العلوم اللسانية والصنايع الكمالية توجد في العمران والمشرق اوفر عمرانا
من المغرب كما ذكرناه او نقول لعناية العجم وهم معظم اهل المشرق بتفسير الزمخشري وهو كله

مبني على هذا الفن وهو اصله وانما اختص من اهل المغرب من اصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من
جملة علوم الادب الشعرية وفرعوا له القابا وعددوا ابوابا ونوعوا انواعا وزعموا انهم
احصوها من لسان العرب وانما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الكلام وان علم البديع سهل الماخذ
وصعبت عليهم ماخذ البلاغة والبيان لدقة انظارهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما ومن الف
في البديع من اهل افريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى كثير من اهل افريقية والاندلس
على منحاه واعلم ان ثمرة هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القران لان اعجازه في وفاء الدلالة منه
بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة وهي اعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختص بالالفاظ
في انتقايها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الاعجاز التي تقصر الافهام عن دركه وانما يدرك
بعض الشي منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته فيدرك من اعجازه على قدر ذوقه
فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه اعلى مقاما في ذلك لانهم فرسان الكلام وجهابذته
والذوق عندهم موجود باوفر ما يكون واصحه واحوج ما يكون الى هذا الفن المفسرون واكثر تفاسير
المتقدمين غفل منه جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع اي القران باحكام هذا الفن
ع بما يبدي البعض من اعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه يؤيد عقايد اهل البدع
عند اقتباسها من القران بوجوه البلاغة ولاجل هذا يتحاماه كثير من اهل السنة مع وفور بضاعته
من البلاغة فمن احكم عقايد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه
من جنس كلامه او يعلم انها بدعة فيعرض عنها ولا يضر في معتقده فانه يتعين عليه النظر في
هذا الكتاب للظفر بشي من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى
سواء السبيل

علم الادب

هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها وانما المقصود منه عند اهل
اللسان من حفظ كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو
في الاجادة ومسايل من اللغة والنحو مبثوثة اثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر
في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب يفهم به ما يقع في اشعارهم منها
وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كله ان لا يخفى على
الناظر فيه شي من كلام العرب يفهم به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك اذا تصفحه لانه لا تحصل
الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا حد
هذا الفن قالوا الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون
من علوم اللسان او العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القران والحديث اذ لا مدخل
لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتاخرون عند كلامهم بصناعة البديع من التورية
في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينيذ الى معرفة
اصطلاحات العلوم ليكون قايما على فهمها وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول
هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب
البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع
لها وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من اجزاء هذا الفن
هو تابع للشعر اذ الغناء انما هو تلحينه وقد كان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة

العباسية يأخذون انفسهم به حرصا على تحصيل اساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتحاله قادحا في العدالة والمروءة وقد الف القاضي ابو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابه في الاغاني جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وايامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب واوفاه ولعمري انه ديوان العرب وجامع اشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها وانى له بها ولنرجع الان الى التحقيق على الاجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله تعالى الهادي للصواب

فصل في ان اللغة ملكة صناعية

اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة او نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التاليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع اولا وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال انه صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة اي صفة راسخة فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام اهل جيله واساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات فيلقنها ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله متكررا الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا تصيرت الالسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا هو معنى ما تقوله العامة من ان اللغة للعرب بالطبع اي بالملكة الاولى التي اخذت عنهم ولم ياخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الاعاجم وسبب فسادها ان الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات اخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب ايضا فاختلط عليه الامر واخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش افصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني اسد وبني تميم واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند اهل صناعة العربية والله تعالى اعلم بالصواب

فصل في ان لغة العرب لغة مستقلة لهذا العهد مغايرة للغة مضر وحمير

وذلك انا نجدها في بيان المقاصد والوفا بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها الا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتاخير وبقرائن

تدل على خصائص المقاصد الا ان البيان والبلاغة في اللسان العربي اكثر واعرف لان الالفاظ باعيانها دالة على المعاني باعيانها ويبقى ما تقتضيه الاحوال ويسمى بساط الحال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وان تكتنفه تخصه فيجب ان تعتبر تلك الاحوال في تادية المقصود لانها صفاته وتلك الاحوال في جميع الالسن اكثر ما يدل عليها بالفاظ تخصها بالوضع واما في اللسان العربي فانما يدل عليها باحوال وكيفيات في تراكيب الالفاظ وتاليفها من تقديم وتاخير او حذف او حركة اعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة ولذلك تتفاوت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك اوجز واقل الفاظا وعبارة من جميع الالسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمرو وقد قال له بعض النحاة اني اجد في كلام العرب تكرارا في قولهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا لقائم والمعنى واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول افادة الخالي الذهن عن قيام زيد والثاني لمن سمعه فانكره والثالث لمن عرف بالاصرار على انكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الاحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك الى خرفشة النحاة اهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع اواخر الكلم من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم والقاها القصور في افئدتهم والا فنحن نجد اليوم الكثير من الفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه بتفاوت الابانة موجودة في كلامهم لهذا العهد واساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم وفيهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر المفلق على اساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من احوال اللسان المدون الا حركات الاعراب في اواخر الكلم فقط والذي لزم في لسان مضر بما فسد لمخالطتهم الاعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت اولا فانقلب لغة اخرى وكان القرآن متنزلا به والحديث النبوي منقولا بلغته وهما اصلا الدين والملة فخشي تناسيهما وانغلاق الافهام عنهما بفقدان اللسان الذي تنزلا به فاحتيج الى تدوين احكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه وصار علما ذا فصول وابواب ومقدمات ومسائل سماه اهله بعلم النحو وصناعة العربية فاصبح فنا محفوظا وعلما مكتوبا وسلما الى فهم كتاب الله وسنة رسوله وافيا ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا احكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية التي فسدت موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها ولعلها تكون في اواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات وملكاتها مجانا ولقد كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بهذه المثابة وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته تشهد بذلك الانقال الموجودة لدينا خلافا لمن يحمله القصور على انهما لغة واحدة ويلتمس اجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان الحميري انه من القول وكثير من اشباه هذا وليس ذلك بصحيح ولغة حمير لغة اخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر الا ان العناية بلسان مضر من اجل الشريعة كما قلناه حمل ذلك الاستنباط وليس عندنا لهذا العهد ما يحملنا على مثل ذلك ويدعونا اليه ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد ما عملنا

على بناء ذلك ويدعونا اليه ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار ●
شانهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند اهل الامصار كما هو مذكور في كتب
العربية انه من اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلا كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف
والقاف وهو موجود للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الامم
والاجيال ومختصا بهم لا يشاركهم فيه غيرهم حتى ان من يريد التعرب والانتساب الى الجيل والدخول
فيه يحاكيهم في النطق بها وعندهم انما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق
بهذه القاف ويظهر ذلك انها لغة مضر بعينها فان هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقا
وغربا في ولد منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة
ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهو لهذا العهد اكثر الامم في المعمور واغلبهم وهم من
اعقاب مضر وسائر الجيل منهم في النطق بهذه القاف اسوة وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل
بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك انها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله
عليه وسلم بعينها وقد ادعى ذلك فقهاء اهل البيت وزعموا ان من قرا في ام القران الصراط ●
المستقيم بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وافسد صلاته وما ادري من اين جاء هذا
فان لغة اهل الامصار ايضا لم يستحدثوها وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان اكثرهم من
مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح واهل الجيل ايضا لم يستحدثوها الا انهم ابعد من مخالطة
الاعاجم من اهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم انه من لغة سلفهم هذا مع اتفاق اهل
الجيل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وانها الخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري
فتفهم ذلك والله الهادي المبين

فصل في ان لغة الحضر والامصار لغة قائمة بنفسها

مخالفة للغة مضر اعلم ان عرف التخاطب في الامصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة
ولا بلغة اهل الجيل بل هي لغة اخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل
العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مضر ابعد اما انها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد
له ما فيها من التغاير الذي يعد عند صناعة اهل النحو لحنا وهي مع ذلك تختلف باختلاف
الامصار في اصطلاحاتهم فلغة اهل المشرق مباينة بعض الشي للغة اهل المغرب وكذا اهل
الاندلس معهما وكل منهم متوصل بلغته الى تادية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى
اللسان واللغة وفقدان الاعراب ليس بضائرهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما
انها ابعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة فمن خالط العجم اكثر كانت لغته عن هذا اللسان
الاصلي ابعد لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الاولى
التي كانت للعرب والملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعونه من العجمة ويربون عليه
يبعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك في امصار افريقية والمغرب والاندلس والمشرق
اما افريقية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لوفور عمرانها بهم ولم يكد يخلو
عنها مصر ولا جيل فغلبت العجمة على اللسان العربي الذي كان لهم وصارت لغة اخرى ممتزجة
والعجمة فيها اغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول ابعد وكذا المشرق لما غلب على امة
من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الاكرة والفلاحين والسبي الذين
اتخذوهم خولا ودايات واظآرا ومراضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة

وكذا

وكذا اهل الاندلس مع عجم الجلالقة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم اهل لغة اخرى
مخصوصة بهم تخالف لغة مضر وتخالف ايضا بعضها بعضا كما نذكره وكانها لغة اخرى لاستحكام ملكتها
في اجيالهم والله يخلق ما يشا

فصل في تعلم اللسان المضري

اعلم ان ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجيل كلهم
مغايرة للغة مضر التي نزل بها القران وانما هي لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الا ان
اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكنا شان سائر الملكات ووجه التعليم لمن يبتغي هذه
الملكة ويروم تحصيلها ان ياخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على اساليبهم من القران والحديث
وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اسجاعهم واشعارهم وكلمات المولدين ايضا في سائر فنونهم
حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشا بينهم ولقن العبارة عن المقاصد
منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتاليف كلماتهم وما وعاه وحفظه
من اساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا
وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب واساليبهم في التراكيب ومراعاة
التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد لذلك وهو ينشا من هذه الملكة والطبع
السليم فيهما كما نذكره وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا
ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها وهكذا
ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشا

فصل في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة ومستغنية عنها في

التعليم والسبب في ذلك ان صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة
فهو علم بكيفية لا نفس كيفية فليست نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع
علما ولا يحكمها عملا مثل ان يقول بصير بالخياطة غير محكم لملكتها في التعبير عن بعض انواع الخياطة
ان يدخل الخيط في خرت الابرة ثم يغرزها في لفقي الثوب مجتمعين ويخرجها من الجانب الاخر بمقدار
كذا ثم يردها الى حيث ابتدات ويخرجها قدام منفذها الاول بمطرح ما بين الثقبين الاولين
ثم يتمادى على وصفه الى اخر العمل ويعطي صورة الحبك والتنبيت والتفتيح وسائر انواع الخياطة
واعمالها وهو اذا طولب ان يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيا وكذا لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل
الخشب فيقول هو ان تضع المنشار على راس الخشبة وتمسك بطرفه واخر قبالتك ممسك بطرفه
الاخر وتتعاقبانه بينكما واطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائية الى ان ينتهي
الى الخشبة وهو لو طولب بهذا العمل او شي منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه ●
الملكة في نفسها فان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل ليس هو نفس العمل ولذلك تجد
كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل في كتابة سطرين
الى اخيه او ذي مودته او شكوى ظلامة او قصد من قصوده اخطا فيها عن الصواب واكثر من اللحن
ولم يجد تاليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود فيه على اساليب اللسان العربي وكذا نجد كثيرا
ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول
ولا المرفوع من المجرور ولا شيا من قوانين صناعة العربية وانها مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض
المهرة في صناعة الاعراب بصيرا بحال هذه الملكة وهو قليل واتفاقي واكثر ما يقع للمخالطين لكتاب

سيبويه فانه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط بل ملا كتابه من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فتجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه في اماكنه ومفاصل حاجاته ومنه لشان الملكة فاستوفى تعليمها فكان ابلغ من الافادة من هؤلاء المخالطين لكتاب سيبويه يغفل عن التفطن لهذا فتحصل على علم اللسان ملكة ولا يحصل عليه ملكة واما المخالطون لكتب المتاخرين العارية عن ذلك الا من القوانين النحوية مجردة عن اشعار العرب وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بامر هذه الملكة او ينتبهون لشانها فتجدهم يحسبون انهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم ابعد الناس عنه واهل صناعة العربية بالاندلس ومعلموها اقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها ممن سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وامثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم فيسبق الى المبتدي كثير من الملكة اثناء التعليم فتنقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها واما سواهم من اهل المغرب وافريقية وغيرهم فاجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثا وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب الا ان اعربوا شاهدا او رجحوا مذهبا من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه فاصبحت صناعة العربية كانها من جملة قوانين المنطق العقلية والجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته وافاد ذلك الا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبهم وتمييز اساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم فهو احسن ما تفيده الملكة في اللسان وتلك القوانين انما هي وسائل للتعليم لكنهم اجروها على غير ما قصد بها واختاروها علما بحتا وبعدوا عن ثمرتها وتعلم مما قررناه في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه ويتنزل بذلك منزلة من نشا معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الامور

فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان

اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في افادة ذلك فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على اساليب العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجه ونبا عنه سمعه بادنى فكر بل وبغير فكر الا بما استفاده من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كانها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شان الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعي وتقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم كلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادي الراي انها جبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها اهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها وقد مر ذلك واذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولو رام صاحب هذه

الملكة

الملكة حيدا عن هذه السبل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده واذا عرض عليه الكلام حايدا عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ومجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع اهل القوانين النحوية والبيانية فان ذلك استدلالي بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشا وربي في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شان الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها وليس من العلم القانوني في شي وانما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم واشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشا في جيلهم وربي بين اجيالهم والقوانين بمعزل عن هذا واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه اهل صناعة البيان وانما هو موضوع لادراك الطعوم استعير لها اسمه وايضا فهو وجداني للسان كما ان الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق واذا تبين ذلك علمت منه ان الاعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئين عليه المضطرين الى النطق به لمخالطة اهله كالفرس والروم والترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانهم لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا امرها لان قصاراهم بعد طايفة من العمر وسبق ملكة اخرى الى اللسان وهي لغاتهم ان يعتنوا بما يتداوله اهل مصر بينهم في المحاورة من مفرد ومركب لما يضطرون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدوا عنها كما تقدم وانما لهم في ذلك ملكة اخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف احكام تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شي وانما حصل احكامها كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب فان عرض لك ما تسمعه من ان سيبويه والفارسي والزمخشري وامثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجاما مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم ان اوليك القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا عجما في نسبهم فقط واما المربا والنشا فكانت بين اهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها وكانهم في اول نشاتهم من العرب الذين نشاوا في اجيالهم حتى ادركوا كنه اللغة وصاروا من اهلها فهم وان كانوا عجما في النسب فليسوا باعجام في اللغة والكلام لانهم ادركوا الملة في عنفوانها واللغة في شبابها ولم تذهب آثار الملكة ولا من اهل الامصار ثم عكفوا على المدارسة والممارسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته واليوم الواحد من العجم اذا خالط اهل اللسان العربي بالامصار فاول ما يجد تلك الملكة المقصودة من اللسان العربي ممتحية الاثار ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة اخرى مخالطة لملكة اللسان العربي ثم اذا فرضنا انه اقبل على الممارسة لكلام العرب واشعارهم بالمدارسة والحفظ ليستفيد تحصيلها فقل ان يحصل له ما قدمناه من ان الملكة اذا سبقتها ملكة اخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان فرضنا عجميا في النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالحفظ والمدارسة فربما يحصل له ذلك لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت في تلك القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فصل في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة

اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصولها عليه اصعب والسبب في ذلك ما يسبق الى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما سبق اليه من اللسان الحضري الذي افادته العجمة حتى نزل بها اللسان عن ملكته الاولى الى ملكة اخرى هي لغة الحضر لهذا العهد ونجد المعلمين يذهبون الى المسابقة بتعليم الولدان وتعتقد النحاة ان هذه المسابقة بصناعتهم وليس كذلك وانما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب نعم صناعة النحو اقرب الى مخالطة ذلك وما كان من لغات اهل الامصار اعرق في العجمة وابعد عن لسان مضر قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها لتمكن المنافاة حينئذ واعتبر ذلك في اهل الامصار فاهل افريقية والمغرب لما كانوا اعرق في العجمة وابعد عن اللسان كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقيق بعض كتاب القيروان كتب الى صاحب له يا اخي ومن لا عدمت فقده اعلمني ابو سعيد كلاما انك كنت ذكرت انك تكون مع الذين تاتي وعاقنا اليوم فلم يتهيا لنا الخروج واما اهل المنزل الكلاب من امر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا وكتابي اليك وانا مشتاق اليك وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري وسببه ما ذكرناه وكذلك اشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك ولهذا العهد وما كان بافريقية من مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن شرف واكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عليها ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الان مائلة الى القصور واهل الاندلس اقرب منه الى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا وكان فيهم ابن حيان المورخ امام اهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها بحار اللسان والادب وتداول ذلك فيهم مئين من السنين حتى كان الانفضاض والجلاء ايام تغلب النصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران فتناقص ذلك شان الصنائع كلها فقصرت الملكة فيهم عن شانها حتى بلغت الحضيض وكان من اخرهم صالح ابن شريف ومالك بن المرحل من تلاميذ الطبقة الاشبيليين بسبتة وكتاب دولة ابن الاحمر في اولها والقت الاندلس افلاذ كبدها من اهل تلك الملكة بالجلاء الى العدوة من اشبيلية الى سبتة ومن شرق الاندلس الى افريقية ولم يلبثوا الى ان انقرضوا وانقطع سند تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول العدوة لها وصعوبتها عليهم بعوج السنتهم ورسوخهم في العجمة البربرية وهي منافية لما قلناه ثم عادت الملكة بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجم بها ابن بشرين وابن جابر وابن الجياب وطبقتهم ثم ابراهيم الساحلي الطويجن وطبقته وقفاهم ابن الخطيب من بعدهم الهالك لهذا العهد شهيدا بسعاية اعدائه وكان له في اللسان ملكة لا تدرك واتبع اثره تلميذه من بعده وبالجملة فشان هذه الملكة بالاندلس اكثر وتعليمها ايسر واسهل بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه ومن معاناة علوم اللسان ومحافظتهم عليها وهي علوم الادب وسند تعليمها ولان اهل اللسان العجمي الذي تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم اصلا للغة اهل الاندلس والبربر في هذه العدوة هم اهلها ولسانهم لسانها الا في الامصار فقط وهم فيها منغمسون في بحر عجمتهم ورطانتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف اهل الاندلس المشرق لعهد الاموية والعباسية فكان شانه شان الاندلس في تمام هذه الملكة واجادتها لبعدهم لذلك العهد اقوم وكان فحول الشعراء والكتاب اوفر لتوفر العرب وابنائهم بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب

الاغاني

الاغاني من نظمهم ونثرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم وفيه لغتهم واخبارهم وايامهم وملتهم العربية واثار خلفائهم وملوكهم واشعارهم وغناؤهم وساير مغانيهم لهم فلا كتاب اوعب منه لاحوال العرب وبقي امر هذه الملكة مستحكما بالمشرق في الدولتين وربما كانت فيهم ابلغ ممن سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشى امر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى امرهم ودولهم وصار الامر للاعاجم والملك في ايديهم والتغلب لهم وذلك في دولة الديلم والسلجوقية وخالطوا اهل الامصار والحواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته وصار متعلمها منهم مقصرا عن تحصيلها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور وان كانوا مكثرين منه والله يخلق ما يشاء ويختار

فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

اعلم ان لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون اوزانه كلها على روي واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير المنظوم وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فاما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء واما النثر فمنه السجع وهو الذي يوتى به قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم واما القران وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا بل تفصيل ايات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الاية الاخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الايات ويسمى اخر الايات منها فواصل اذ ليست اسجاعا ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي ايضا قواف واطلق اسم المثاني على ايات القران كلها على العموم لما ذكرناه واختص بام القران للغلبة فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت السبع المثاني وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني يشهد لك الحق برجحان ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون اساليب تختص به عند اهله ولا يصلح للفن الاخر ولا يستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعا المختص بالخطب والدعا المختص بالمخاطبات وامثال ذلك وقد استعمل المتاخرون اساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الاغراض وصار هذا المنثور اذا تاملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا الا في الوزن واستمر المتاخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال في المنثور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصا اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنثور المقفى ادخل المتاخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان ينزه المخاطبات السلطانية عنه اذ اساليب الشعر تنافيها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال

وكثرة التشبيهات والاستعارات لا تدعو الى ذلك ضرورة في الخطاب والتزام التقفية ايضا من اللودعة وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويباينه والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام اسلوب يخصه من اطناب او ايجاز او حذف او اثبات او تصريح او اشارة او كناية او استعارة واما اجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الا استيلاء العجمة على السنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد امده في البلاغة وانفساح خطوته وولعوا بهذا المسجع يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاب البديعة ويغفلون عما سوى ذلك واكثر من اخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر انحاء كلامهم كتاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد حتى انهم ليخلون بالاعراب في الكلمات والتصريف اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لا يجتمعان معها فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس فتامل ذلك واستدل بما قدمنا لك تقف على صحة ما ذكرناه والله الموفق

فصل في انه لا يتفق الاجادة في فني المنظوم والمنثور

معا الا للاقل والسبب في ذلك انه كما بيناه ملكة في اللسان فاذا تسبقت الى محله ملكة اخرى قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة لان تمام الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة الاولى اسهل وايسر واذا تقدمتها ملكة اخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة وعائقة عن سرعة القبول فوقعت المنافاة وتعذر التمام في الملكة وهذا موجود في الملكات الصناعية كلها على الاطلاق وقد برهنا عليه في موضعه بنحو من هذا البرهان فاعتبر مثله في اللغات فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من العجمة الفارسية لا يستولي على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والافرنجي قل ان تجد احدا منهم محكما لملكة اللسان العربي وما ذاك الا لما سبق الى السنتهم من ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم من اهل هذه الالسن اذا طلبه بين اهل اللسان العربي جاء مقصرا في معارفه عن الغاية والتحصيل وما اوتي الا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل ان الالسن واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك ان الصنائع وملكاتها لا تزدحم وان من سبقت له اجادة في صناعة فقل ان يجيد اخرى او يستولي فيها على الغاية والله خلقكم وما تعملون

فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات الا انا الان انما نتكلم في الشعر الذي للعرب فان امكن ان تجد فيه اهل الالسن الاخرى مقصودهم من كلامهم والا فلكل لسان احكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية الوزن متحدة في الحروف الاخيرة من كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ويسمى الحرف الاخير الذي يتفق فيه رويا وقافية ويسمى جملة

الكلام الى اخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت منه بافادته في تراكيبه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وبعده واذا افرد كان تاما في بابه في مدح او تشبيب او رثا فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل به في افادته ثم يستانف في البيت الاخر كلاما اخر كذلك ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطي المقصود الاول ومعانيه الى ان تناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التنافر كما يستطرد من التشبيب الى المدح ومن وصف البيدا والطلو د
الى وصف الركاب او الخيل او الطيف ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ومن التفجع والعزاء في الرثا الى التاثر وامثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذرا من ان يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من اجل المقا رية
ربة على كثير من الناس ولهذه الموازين شروط واحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن وانما هي اوزان مخصوصة تسميها اهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها في خمسة عشر بحرا بمعنى انهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظما واعلم ان فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطائهم واصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شان ملكاتهم كلها والملكات اللسانية كلها انما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب الماخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتاخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده ويصلح ان ينفرد دون ما سواه فيحتاج من اجل ذلك الى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلا بنفسه ثم ياتي ببيت اخر كذلك ثم ببيت اخر ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالاة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة ولصعوبة منحاه وغرابة فنه كان محكا للقرائح في استجادة اساليبه وشحذ الافكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلطف ومحاولة في رعاية الاساليب التي اختصته العرب بها واستعمالها ولنذكرها سلوك الاسلوب عند اهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب او القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب او المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب او النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فان لكل فن من الكلام اساليب تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله

يا دار مية بالعليا فالسند

ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

او بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله

الم تسال فتخبرك الرسوم   ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب غير معين بقوله
حي الديار بجانب الغزل   او بالدعا لها بالسقيا كقوله   اسقى طلولهم اجش هزيم
وغدت عليهم نضرة ونعيم   او سوال السقيا لها من البرق كقوله
يا برق طالع منزلا بالابرق   واحد السحاب له حدا الاينق   ومثل
التفجع في الجزع باستدعا البكا كقوله   كذا فليجل الامر   وليس لعين لم يفض ماوها
عذر   او باستعظام الحادث كقوله
ارايت من حملوا على الاعواد   رايت يحنف حياضنا الوادي
او بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقده كقوله
منابت العشب لا حام ولا راع   مضى الردى بطويل الرمح والباع
او بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقوله   الخارجية
ايا شجر الخابور مالك مورقا   كانك لم تجزع على ابن طريف
او بتهنئة فريقه بالراحة من ثقل وطاته كقوله
القى الرماح ربيعة بن نزار   اودى الردى بقريعك المغوار

وامثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وينتظم التراكيب فيه بالجمل وغير الجمل انشائية وخبرية اسمية وفعلية متبعة وغير متبعة مفصولة وموصولة على ما هو شان التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما تستفيده بالارتياض في اشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مولف الكلام هو كالبناء او كالنساج والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبني فيه او المنوال الذي ينسج عليه فان خرج عن القالب في بنائه او عن المنوال في نسجه كان فاسدا ولا تقولن ان معرفة قوانين البلاغة انما هي قواعد علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيئاتها الخاصة بالقياس وهو قياس علمي صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الاساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شي انما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب جريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذا بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في الكلام باطلاق وان القوانين العلمية من الاعراب والبيان لا تفيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعملوه وانما المستعمل عندهم من ذلك انحا معروفة يطلع عليها الحافظون لكلامهم وتندرج صورها تحت تلك القوانين القياسية فاذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وهذه الاساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظرا في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب في الذهن انما هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في المنثور فان العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين وجاوا به مفصلا في النوعين ففي الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالبا وقد يقيدونه بالاسجاع وقد يرسلونه وكل واحد من هذه العلوم معروفة في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذي يبني مولف الكلام عليه تاليفه ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في ذهنه من القوالب المعينة الشخصية قالب كلي مطلق يحذو حذوه في التاليف كما يحذو البنا على

التالب

القالب والنساج على المنوال فلهذا كان فن تاليف الكلام منفردا على نظر النحوي والبياني والعروضي نعم ان مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فاذا تحصلت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يسمونها اساليب ولا يفيده الا حفظ كلام العرب نظما ونثرا واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعده حدا او رسما للشعر به تفهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض فانا لم نقف عليه لاحد من المتقدمين فيما رايناه وقول العروضيين في حده انه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له وصناعتهم انما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والاوصاف المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على اساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ كالجنس وقولنا المبني على الاستعارة والاوصاف فصل عما يخلو من ذلك فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزا متفقة الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر وقولنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون ابياته الا كذلك ولم يفصل به شي وقولنا الجاري على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجر منه على اساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون شعرا انما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس من الشعر في شي لانهما لم يجريا على اساليب العرب من الامم عند من يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى انه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجاري على الاساليب المخصوصة واذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر واحكام صناعته شروطا فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا اولها الحفظ من جنسه اي من جنس شعر العرب حتى تنشا في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذو الرمة وجرير وابي نواس وحبيب والبحتري والرضي وابي فراس واكثره شعر كتاب الاغاني لانه جمع شعر اهل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردي ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلا من المحفوظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة اذ هي صادة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها كانه منوال يوخذ بالنسج عليه بامثالها من كلمات اخرى ضرورة ثم لا بد له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذلك المسموع لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور ثم مع هذا كله فشرطه ان يكون على جمام ونشاط فذلك اجمع له وانشط للقريحة ان تاتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه قالوا وخير الاوقات لذلك

ضي

اوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هواء الحمام وربما قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء ذكر ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة واعطى حقها ولم يكتب احد فيها قبله ولا بعده قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت اخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها فربما تجيء نافرة قلقة واذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الاليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يبق الا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضن به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو نبات فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص من الضرورات اللسانية فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق الفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت الفاظه طبقا على معانيه او اوفى فان كانت المعاني كثيرة كان حشوا واشتغل الذهن بالغوص عليها فمنع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله تعالى يعيبون شعر ابي بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحاكم في ذلك هو الذوق وليجتنب الشاعر ايضا الحوشي من الالفاظ والمقعر وكذلك السوقي المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة ايضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسماء فوقنا وبمقدار ما يقرب من طبقة عدم الاستفادة يبعد عن رتبة البلاغة اذ هما طرفان ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الاجادة في الغالب ولا يحذق فيه الا الفحول وفي القليل على العسر لان معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده فان القريحة مثل الضرع يدر بالامتراء ويجف بالترك والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد ومن اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية من ذلك وهذه نبذة كافية والله المعين وقد ذكر الناس في امر هذه الصناعة الشعرية وما يجب فيها ومن احسن ما قيل في ذلك واظنه لابن رشيق

لعن الله صنعة الشعر ماذا   من صنوف الجهال فيها لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما   كان سهلا للسامعين مبينا
ويرون المحال معنى صحيحا   وخسيس الكلام شيئا ثمينا
يجهلون الصواب منه ولا يد   رون للجهل انهم يجهلونا
فهم عند من سوانا يلامو   ن وفي الحق عندنا يعذرونا
انما الشعر ما يناسب في النظم   وان كان في الصفات فنونا
فاتى بعضه يشاكل بعضا   واقامت له الصدور المتونا
كل معنى اتاك منه على ما   تتمنى ولو يكن او يكونا
فتناهى من البيان الى ان   كاد حسنا يبين للناظرينا

فكان

فكان الالفاظ منه وجوه   والمعاني ركبن فيها عيونا
فاتيا في المرام حسب الاماني   يتحلى بحسنه المنشدونا
فاذا ما مدحت بالشعر حرا   رمت فيه مذاهب المشتهينا
فجعلت النسيب سهلا قريبا   وجعلت المديح صدقا مبينا
وسلبت ما يهجن في السمع وان   كان لفظه موزونا
واذا ما قرضته بهجاء   عبت فيه مذاهب المرقبينا
فجعلت التصريح منه دواء   وجعلت التعريض داء دفينا
واذا ما بكيت فيه على العادين   يوما للبين والظاعنينا
حلت دون الاسى وذللت ما كان من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتبا شبت بالوعد   وعيدا وبالصعوبة لينا
فتركت الذي عتبت عليه   حذرا آمنا عزيزا مهينا
واصح القريض ما قارب النظم   وان كان واضحا مستبينا
فاذا قيل اطمع الناس طرا   واذا ريم اعجز المعجزينا

ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشعر ما قومت زيغ صدوره   وشددت بالتهذيب اس متونه
ورأبت بالاطناب شعب صدوعه   وفتحت بالايجاز عور عيونه
وجمعت بين قريبه وبعيده   وجمعت بين مجمه ومعينه
واذا مدحت به جوادا ماجدا   وقضيته في الشكر حق ديونه
اصفيته بنفيسه ورضيته   وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلا في مساق صنوفه   ويكون سهلا في اتفاق فنونه
واذا بكيت به الديار واهلها   اجريت للمحزون ماء شؤونه
واذا اردت كناية عن ريبة   باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه   ببيانه وظنونه بيقينه

فصل في صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم ان صناعة الكلام نظما ونثرا انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تبع لها وهي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ بحفظ امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد نشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كانه واحد منهم في لسانهم وذلك ان قدمنا ان اللسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وانما المعاني في الضمائر وايضا فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعة وتاليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يغترف بها الماء من البحر منها انية الذهب والفضة

والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف
جنسها باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام
في تاليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني اذ احاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن
بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون

فصل في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها

بجودة المحفوظ قد قدمنا انه لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر
جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ
فمن كان محفوظه شعر حبيب او العتابي او ابن المعتز او ابن هاني او الشريف الرضي او رسايل ابن المقفع
او سهل بن هارون او ابن الزيات او البديع او الصابي تكون ملكته اجود واعلا مقاما ورتبة في البلاغة
ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتاخرين او ابن النبيه او ترسل البيساني والعماد الاصبهاني لنزول
طبقة هولاء عن اوليك يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المحفوظ
والمسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملكة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقته
من الكلام ترتقي الطبقة الحاصلة لان الطبع انما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها
وذلك ان النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في
الادراكات والملكات والالوان التي تكيفها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى
الفعل صورتها والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدمناه فالملكة الشعرية
تنشا بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات
والابحاث والانظار والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسايل وتفريعها وتخريج الفروع على
الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات والاذكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد
عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى حسه الباطن وروحه وينقلب ربانيا
وكذا سايرها وللنفس في كل واحد منها لون تتكيف به وعلى حسب ما نشات الملكة عليه من جودة
او رداءة تكون تلك الملكة في نفسها فملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها انما تحصل بحفظ
العالي في طبقته من الكلام ولهذا كان الفقها واهل العلم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما
يسبق الى محفوظهم ويمتلي به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن اسلوب البلاغة
النازلة عن الطبقة لان العبارات عن القوانين والعلوم لا حظ فيها للبلاغة فاذا سبق ذلك
المحفوظ الى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشية عنه في غاية القصور وانحرفت
عباراته عن اساليب العرب في كلامهم وهكذا نجد شعر الفقها والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم
ممن لا يمتلي من حفظ النقي الحر من كلام العرب اخبرني صاحبنا الفاضل ابو القاسم بن رضوان
كاتب العلامة بالدولة المرينية قال ذاكرت يوما صاحبنا ابا العباس بن شعيب كاتب السلطان
ابي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهده فانشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم انسبها
له وهو

لم ادر حين وقفت بالاطلال • ما الفرق بين جديدها والبالي •

فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن اين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذ هي من عبارات
الفقها وليست من اساليب كلام العرب فقلت لله ابوك انه ابن النحوي واما الكتاب والشعرا فليسوا
كذلك لتخيرهم في محفوظهم ومخالطتهم كلام العرب واساليبهم في الترسل وانتقايهم له الجيد

من الكلام

من الكلام ذاكرت يوما ابا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس وكان الصدر المقدم في الشعر
والكتابة فقلت له اجد استصعابا علي في نظم الشعر متى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من كلام
من القران والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلا وانما اوتيت والله اعلم من قبل ما حصل
في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التاليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى
واستظهرتهما وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول وجمل الخونجي في المنطق وكثيرا
من قوانين التعليم في المجالس فامتلا محفوظي من ذلك وخدش وجه الملكة التي استعددت لها
بالمحفوظ الجيد من القران والحديث وكلام العرب فعاق القريحة عن بلوغها فنظر الي ساعة معجبا
ثم قال لله انت هل يقول هذا الا مثلك ويظهر لك من هذا الفصل وما تقرر فيه سر اخر
وهو اعطاء السبب في ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذواقها من كلام
الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة والحطيه
وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف من العرب في
الدولة الاموية وصدر من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك ارفع طبقة
في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد
ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك
للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هولاء الذين ادركوا الاسلام سمعوا الطبقة
العالية من الكلام في القران والحديث الذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما لكونهما ولجت في قلوبهم
ونشات على اساليبهما نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من
قبلهم من اهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشا عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم
احسن ديباجة واصفى رونقا من اوليك وارصف مباني واعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام
العالي الطبقة وتامل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت من اهل الذوق والبصر بالبلاغة
ولقد سالت يوما شيخنا الشريف ابا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة
اخذ بسبتة عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوبين واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه
فسالته يوما ما بال العرب الاسلاميين اعلا طبقة من الجاهليين ولم يكن يستنكر ذلك بذوقه فسكت
طويلا ثم قال والله ما ادري فقلت اعرض عليك شيا ظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه وذكرت
له هذا الذي كتبت فسكت معجبا ثم قال يا فقيه هذا كلام من حقه ان يكتب بالذهب
وكان من بعدها يوثر محلي ويصيخ في مجالس التعليم الى قولي ويشهد لي بالنباهة والله خلق
الانسان وعلمه البيان

فصل في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر

اعلم ان الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم واخبارهم وحكمتهم وكان روسا العرب
منافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على
فحول الشان واهل البصر لتمييز حوله حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم باركان
البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير
ابن ابي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب
المعلقات السبع فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه
وعصبيته ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك اول

الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من اسلوب القران ونظمه فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك واونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم واثاب عليه فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه وكان لعمر بن ابي ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجبا به ثم جاء بعد ذلك الملك الفحل والدولة العزيزة فتقرب اليهم العرب باشعارهم يمدحونهم بها ويجيزهم الخلفا باعظم الجوائز على نسبة الجودة في اشعارهم ومكانهم في قومهم ويحرصون على استهداء اشعارهم يطلعون منها على الاثار والاخبار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل الشان هذا ايام بني امية وصدرا من دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعناية بانتحاله والتبصر بجيد الكلام ورديه وكثرة محفوظه منه ثم جاء خلف من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من اجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا باشعارهم امراء العجم الذين ليس لهم اللسان طالبين معروفهم فقط لا سوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبحتري والمتنبي وابن هاني ومن بعدهم الى هلم جرا فصار غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للاولين كما ذكرناه انفا وانف منه لذلك اهل الهمم والمراتب من المتاخرين وتغير الحال واصبح تعاطيه هجنة في الرياسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

فصل في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية او عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب المنطق اوميروس الشاعر واثنى عليه وكان في حمير ايضا شعراء متقدمون ولما فسد لسان مضر ولغتهم التي دونت مقاييسها وقوانين اعرابها واختلفت اللغات من بعد بحسب ما خالطها ومازجها من العجمة فكان جيل العرب بانفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك الحضر اهل الامصار نشات فيهم لغة اخرى خالفت لسان مضر في الاعراب واكثر الاوضاع والتصاريف وخالفت ايضا لغة الجيل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات اهل الافاق فلاهل المشرق وامصاره لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره وتخالفهما ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعر موجودا بالطبع في كل اهل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتحركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحوله وفرسان ميدانه حسب ما اشتهر بين اهل الخليقة بل كل جيل واهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضر اهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ورصف بنائه على مهيع كلامهم فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كانت عليه لسلفهم المستعربين ويأتون منها بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام وربما هجموا على

المقصود

المقصود لاول كلامهم واكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون فاهل المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى الاصمعي راوية العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحانا بسيطة لا على طريقة اهل الصناعة الموسيقاوية ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة الى حوران من اطراف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد ولهم فن اخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به معصبا على اربعة اجزاء يخالف اخرها الثلاثة في رويه ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى اخر القصيدة شبيها بالمربع والمخمس الذي احدثه المولدون من المتاخرين ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتاخرون عن ذلك والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ويمج نظمهم اذا انشد ويعتقد ان ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما اتي من فقدان الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له ذوقه وطبعه ببلاغتها ان كان سليما من الافات في فطرته ونظره والا فالاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل والنصب دالا على المفعول او بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه اهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك واساليب الشعر وفنونه موجودة في اشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في اواخر الكلمات فان غالب كلماتهم موقوفة الاخر ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدا من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب فمن اشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يبكي الجازية بنت سرحان ويذكر ظعنها مع قومها الى المغرب

عل

الشريف بن هاشم   على طا كبد شكت من زفيرها
يعز للاعلام ابن مادات   حاطر يرد علام البدو بلوي عصيرها
وماذا شكات لروح مما طرالها   غداة وداع بالك الله خيرها
عشى ان قطاعاما ضميرها   بمسرطوهد او صافي و كبرها
وعادت كما حرارق في يد غاسل   على ميل شوك الطلح عمو يسيرها
تخابدوها اثنين والفرع بينهم   على شو لو لعه والعايا حريرها
وجات دموعي دارقات لكمها   تبدين دواد السواني بديرها
تدارك منها الجم حذرا وزادها مرون بن عيسى منزا كبا من صبيرها
بصب من العمان من جانب الصفا   عنوقا ولحمار البرق في غزيرها
هلا معني مني لشانت غزوة   ناصب من بغداد حتى فقيرها
ونادي المنادي بالرحيل وشدوا   وعرج غاربها على مستقيرها
وشد لها الاريادا بن غانم   على ايد بن ماضي بن مقرب بتيرها
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا   وسوقوا النجع ان كان انا هو غزيرها
ويركوا ونبدو بيننا بالشابع   وباليمين لا نحرو امع في معيرها
عدي دبان السمح بن عابس   وما كان برضى من حمير ومبرها

غدرني وهو زعما صديقي وصاحبي   وانا لله ما من ردفني ما يريدها
ورجع يقول لهم بلاد بن هاشم   تخير البلاد المعطشا ما تخيرها
امر على باب بغداد وارضها   داخل ولا عاود وليس في بيرها
تصدق روحي عن بلاد بن هاشم   على الشمس او نزل الفضا من هجيرها
وباتت نيران العذاري توادح   ملودوا عرجان بيسد واسيرها

ومن قولهم في رثاء امير زناتة ابي سعيد المصري مقارعهم بافريقية وارض الزاب ورثاهم على طريقة التهكم

تقول فتاة الحي سعدى وما منها   لها في الظعون الباكرين عويل
يا سايلي عن قبر الزناتي خليفة   خذ النعت مني لا تكون هبيل
اراه لعالي واد ران وفوقه   من الربط عيساوي بناه طويل
اراه يميل النور من شارع النقا   به الواد والبراع دليل
يا لهف كبداه الزناتي خليفة   وقد كان لاعقاب الجياد سليل
قتيل فتى الهيجا دياب بن غانم   جراحا كافواه المزاد تسيل
ايا جارنا مات الزناتي خليفة   لا ترحل الا ان تريد رحيل
الا واش رحلنا ثلاثين مرة   وعشرا وستا في النهار تقليل

ومن قولهم على لسان الشريف يذكر عتابا وقع بينه وبين ماضي بن مقرب

تبدي ماضي الجياد وقال لي   اشكر ما نحا عليك رمانش
اشكر اعدى ما شكر وداس   عربا وعربي لستيش قماش
نحن عربنا نصد قوانا اقضى لنا   كما صنادف طعم الزناد طشاش
ان كان نبت بينلج بارضكم   هبا العرب ما رد بالحصاش

ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى المغرب وغلبهم زناتة عليه

واي جميل ضاع لي في ابن هاشم   واي رجال ضاع قبلي جميلها
انا كنت انا واياه في زهو بيننا   عنا بي لحجة ما عناني دليلها
وعدت كاني شارب من مدامة   من الخمر فهو اما قدر من يميلها
او مثل شمطا مات مضيون كبدها   غريبا وهو مدوحا عن قبيلها
اتاها زمان السوء حتى تدوحت   دهي بين عربا غافلا عن نزيلها
كذلك انا مما لحاني من الوحا   شاكي بكبد بادي بينها زعيلها
وامرت قومي بالرحيل وبكروا   وقفوا وشدادا الحوايا جميلها
قعدنا سبعة ايام محبوس نجعنا   والبدو ما ترفع عمودا يبي لها
تظل على اجداث الثنايا نوادي   بظل الحرا فوق الصفا واتصالها

ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزواودة احدى بطون رياح واهل الرياسة فيهم يقولها وهو معتقل بالمهدية في سجن الامير ابي زكريا بن ابي حفص اول ملوك افريقية من الموحدين

يقول وفي نوح الدجا بعد هجعة   حراما على اجفان عيني منامها
يا من لقلب حالف الوجد والاسى   وروحا هيامي طال ما في سقامها
حجازية بدوية عربية   عداوية ولها بعيد مرامها
مولعة بالبدو لا تعرف القرى   سوى عابل الوعسا توالي خيامها

عناب

عناب ومشتاهيا بها كل شتوة   مسحونة فيها وسيعا غرامها
ومن باعلها عشب الاراضي من الحيا   نوارى من النور الحلايا حسامها
تشوق بسوق العين مما ذاكرت   عليها من السحب السواري غمامها
كان عروس البكر لاحت ثيابها   عليها ومن نور الاقاحي خزامها
ومشروبها من محض الالبان شوبها   عسيم ومن لحم الحوادي طعامها
تعانت عن الاسواق والموقف الذي   يشيب الفتى مما يقاسي زحامها
مكان نهنا بالودمين ولينها   ظفرت بايا ما مضت في ركامها
ليالي اقواس الصبا في سواعدي   اذا قمت لم تخطى من ايدي سهامها
وفرسي عديد تحت سرجي مسافة   زمان الصبا سرجا وبيدي لجامها
وكم من رداحا اسهرتني ولم ارى   من الخلق ابهى من نظام ابتسامها
وكم غيرها من كاعبا مرجحنة   مطرزة الاجفان بايي وشامها
وصفقت من وجدي عليها طريحة   بكفي ولو يبيني صدايا دامها
ونار المحب الوجد تويح في الحشا   وتويح لا يطفى من الماء ضرامها
ابا من هذا الى متى   نتي الكبر في دار عما بي ظلامها
ولكن رايت الشمس تكسف ساعة   ويغما عليها ثم يبرا غمامها
بنوارايات من السعد اقبلت   الينا بعون الله يهفوا علامها
الا واعلى بالعين اطعان عزوتي   وربي على كنفي وسيرا امامها
بجرعا عتاب العزوف من فوق سامس   احب بلاد الله عندي حيامها
الى منزل بالجعفرية للنوى   مقيم بها ما ان عندي سهامها
ويلقى سراة من هلال بن عامر   يزيل الصدا والغل عندي سلامها
بهم تضرب الامثال غرب ومشرق   الا قاتلوا قوما سريع انهزامها
عليهم ومن هو في حماهم تحية   مدا الدهر ما غنا بغصنا حمامها
ادع ذا ولا تاسف على سالف مضى   فذي الدنيا ما دام لاحد دوامها

ومن اشعار المتاخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عمر شيخ الكعوب من اولاد ابي الليل يعاتب اقتالهم اولاد مهلهل ويجيب شاعرهم شبل ابن مسكيانة بن مهلهل عن ابيات فخر عليهم فيها بقومه

يقول وذا قول المصاب الذي نشا   قوارع قيعان يعاني صعابها
يريع بها حاد المصاب الا انتقا   فنونا من انشاد القوافي عذابها
بجرم بختار من نشاد ذنا   عدلي لما امر الرسا مليا بها
مغربلة عن ناقد في غضونها   محكمة القيفان دابي ودابها
هيض تذكاري بها نادي البديه   قوارع من شبل وهذي جوابها
اشبل جنينا من جناك ظرايف   فراح يريع الموجعين العنا بها
فخرت ولم تقصر ولانت بعادم   سوا قلت في جمهود ها ما اعابها
لقولك في ام المتين بن حمزة   حامي حماها عاديا في تحرابها
اما تعلم انه قامها بعد ما لقا   رصاص بني يحيى وعلا قدابها
سهاما من اهل الامر يا شبل خارق   وهل ريت من جا للتقلق واصطلابها

سواهم طفناها وضربت بعد طفيها • وانا اطفناها لحاسر الاهابها
وضربت بعد الطفيتين التي صحب • لعاس الى بيت المنا يقتد ابها

ومنها في العتاب

وليدا نعاتبنوا انا اعنى لانني • عتبت بعلاق الينا واعتقابها
على وما بدفع بها كل مصنع • بلساق شاس لعدا من رقابها
فان كانت الاملال نعتم ابي • علينا باطراف المنى احتطابها
بني عمنا لا تزنتضى الذل علمه • نقصير السنايا والمطايا ركابها
وهي عالما بان المنايا بعلها • بلا شك والدنيا سريع انقلابها
بطعن قطوع البيد لا تخشى العدا • فتوف لحويات تحوف تخبا بها
ترى العين منها فكل بشبل عرايف • وكل مهاة يحتفظها ربابها
ترى اهلها عطا الصباح اذ • ها لها تحل حلوب الحوف باسخدنابها
لها كل يوم في الارا ما فتنا بكم • وراء الفاخر المزوج عبود صبابها

ومن قولهم في الامثال الحكمية

وطلبك في الممنوع منك سفاهة • وصدك عمن صد عنك صواب
الا ربت ناسا يغلقوا عنك بابهم • ظهور المطايا يفتح الله باب

ومن قول شبل بن ذكر انتساب الكعوب الى برجم

نسب وسان من اولاد برجد • جميع البرايا تشتكي من صهارها

ومن قوله يعاتب اخوانه في موالاة الشيخ الموحدين ابي محمد بن تافراكين المستبد بتونس على سلطانها مكفوله ابي اسحاق بن السلطان ابي يحيى وذلك فيما قرب من عصرنا

يقول بلا جهل فتى الجود خالد • مقالة قوال وقال صواب
مقالة حبر ذات ذهن ولم يكن • صريحا ولا فيما يقود ذهاب
تهجست معنى فانها الا لحاجة • ولا امر حقا يستفاد منه معاب
ولبت بها كبدى وهم نعم صبابة • حزينة فكر والحزين يصاب
تعوهت بادي ترجمها عن مارب • جرت من رجال والقبيل اقارب
بني كعب ادنى الاقربين لدمنا • بني عم منهم شايب وشباب
جرى عند فتح الوطن منا لبعضهم • مصافاة ود واتساع جناب
وبعضهم منا له عن خصمه • كما تعلموا قولى بعتبة صاب
وبعضهم موهود من بعض ملكنا • خرابا وحل الظهير كتاب
وبعضهم جانا جريح نشمحت • خواطرنا للجزيل وهاب
وبعضهم شاكي من اوغاد وعاد على عنه في احكام السقايف باب
نعمنا عنه واقتفنا منه مورد • على كره مولى البالغي ورباب
ونحن على ذا في مدا نطلب العلا • لهم ما خططنا للعموم نقاب
ونهدي من الاملاك ما كان خارج • عن احكامه دالى امرها له باب
بردع فروم من تروم قبيلنا • بني كعب لاولها العرير وطاب

جزيناهم عن كل تاليف في العدا • وفيتنا بهم عن كل قيد مناب
الى عاد من لا كان فيهم بهمة • وفيها وصرا بو عليه خضاب
وركبوا الشايا المثمنات من اهلها • ولبسوا من انواع الحرير ثياب
ولبسوا من اصناف السعايا دخم • ضخام لحراب الزمان نصاب
وعادوا انظر التوملين قبل ذا • والاهلا الا في زمان ذياب
وكانوا الناد رعا لكل مهمة • الى بان من نار العدو شهاب
خلوا الدار في جنح الظلام ولا انقوا • ملامة ولا دار الكرام عتاب
نوا امروبي ان الفتى ابو محمد • وهو بلالاف بعيد حساب
وبرحت الاوغاد منه وحسبوا • بروحه يا يحيى بروح سحاب
جروا يطلبوا تحت السحاب شرايع • لقوا كل ما بستا ملوح سراب
وهو لو عطا ما كان للراي عارف • ولكن في قلة عطاه صواب
وان نحن ما نسنا ملوا عنه راحة • وانه لبسهام التلاف مصاب
وانه نهاه عن قريب مفاصل • حلوح عار هواها وصاب
رعى فا نتات الظراف عند عوايج • ربوا خلف استار وخلف حجاب
بنية اذا باملوا ونصبوا اذا ضنوا • بحسن قوافي وصوت رباب
بصلوع من عدم اليقين وربما • نطارح حتى ما كنه ساب
بهم جاد له زمنا وطوع اواس • ولذة ماكول وطيب شراب
وان كان له عقلا رجيح وفطنة • يلجج في اليم العريض غراب
وجمى بها سوق علمت اسلامة • وتحمى او معصوب النتار جغا
ويمسح علامر طالب ربح ملحقا • يدوما ولا يمسى صحيح ثياب
يا واكلين الخبز سغوا ادامة • غلطوا ادمنوا في السحوم لباب

ومن شعر علي بن عمر بن ابراهيم من رؤساء بني عامر لهذا العهد احد بطون زغبة يعاتب بني عمه المنطاولين الى رياسة بنيه

• ابانات عديه من قريض كلام
بخزة كالدر في يدي صانع لنا • اذا كان في سلك الحرير نظام
اباحها بين اسباب ما جرى • وساير اتراك الظعون قيام
غدامة لام الحي جنبي وانشطت • عصاما ولا اصبيا عليه حكام
لكن ضميري يوم بان بهم النبا • بترم على سوق النقاد برام
والا كما براص الهامي فؤاد ح • بين عوج الكتايف الضرام
والا لكن القلب في يدين قانص • اناهم بمنشار القطيع عسام
لنا اذ اقلت نعتما من شقا البين زادني اذاه ينادي بالفراق وحام
الا يا ربوعا كان بالامس عامر • بحي وبالحلة والقطين لمام
ونحن نشوف الناظرين الهامة • لنا ما بدا من مهرق ولطام
وغدو دناسيها يرعو ربيبها • واطلاق ومن سرب المها ونعام
واليوم ما فيها سوى اليوم حولها • ينوحوا على اطلالها وخيام

وتعنت بها طورا طويل لنا لها   يبين سخيفا والدموع حمام
ولا صح لي منها سوى وحش خاطري   وشيمي من اسباب عرفت وهام
وبعد ذا ابتدي منصور ابو علي   سلام ومن بعد السلام سلام
الا يا عنا بم تونبك كيف دايم   مثل سدور قلاما لهن تمام
حلو الغنا ونعار في برقت العلا   مواضع ماهنا لهم بمقام
وحق النبي والبيت واركانه الزاه   وما زارها في كل دهر وعام
لبد الليالي منه ان طالت الحيا   بذوقون من خمط السكام مدام
وان بدها تبكي البوادي عكابة   بكل رديني مطوب وحسام
وكل مسافا كالسد اناه عاسق   عليها من اولاد الكرام علام
وخلي رجاله لا يري الضيم جارهم   ولا يعمعوا برحي العدو ذمام
الا يعتبوها وبعد بوسهم   وهم عرر عنه دايما ودوا حر
كم ثار طعنهما على العدو وسابق   بين صماصيح وبين حسام
نتى انا رفقاد الصوابو سنا علي   لنا بارض نبرك الظاعنين زمام
وكم ذا بحيبوا الى اثره من غنيمة   حليفا لنا سجاع كل غنام
وان جاو يعمون الملوك وسعوا   غدا طعنه يحدي عليه قيام
عليكم سلام الله من لسن نايم   ما غنت ورقا وناح حمام

ومن شعر عرب البرية بنواحي حوران لامراة قتل زوجها فبعثت الى احلافه من قيس تغريهم بطلب ثاره

تقول فتاة الحي ام سلامه   بعين اراع الله من لا رثا لها
تبات طوال الليل ما تالف الكرى   مرجعة كي الشقا من مجالها
على ما جرى في دارها وعيا لها   بلحظة عين غير البين حالها
فقدنا شهاب الدين يا قيس كلكم   ونمتوا عن اخذ الثار ماذا او فالها
انا قلت اذا وردا الكتاب يسرني   ويبرد من نيران قلبي ذبالها
ايا حين تسريح الذوايب واللحا   وبيض العذارى ما حميتوا جمالها

الموشحات والازجال للاندلس

واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتاخرون منهم فنا منه سموه بالموشح ينظمونه اسماطا واغصانا يكثرون منها ومن اعاريضها واوزانها متشاكلا فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصايد وتجاوزوا في ذلك الى الغاية واستظرفه الناس وجمله الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر الفريري من شعرا الامير عبد الله بن محمد المرواني واخذ ذلك عنه عبد الله بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لهما مع المتاخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان اول من برع في هذا الشان عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الاعلم البطليوسي

انه سمع ابا بكر بن زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله   بدر تم   شمس ضحا   غصن نقا   مسك شم   ما اتم   ما اوضحا   ما اورقا   ما انم   لا جرم   من لمحا   قد عشقا   قد حرم   وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف وجا مصليا خلفه منهم ابن رافع راسه شاعر المامون بن ذي النون صاحب طليطلة قالوا وقد احسن في ابتدايه الموشحة التي طارت له حيث يقول

العود قد ترنم   بابدع تلحين   وسقت المذانب   رياض البساتين

وفي انتهايه حيث يقول

يخطر ولا يسلم   عساك المامون
مروع الكتايب   يحيى بن ذي النون

ثم جات الحلبة التي كانت في مدة الملثمين فظهرت لهم البدايع وجليان حلبتهم الاعمى الطليطلي ويحيى بن بقي وللطليطلي من الموشحات المهذبة قوله

كيف السبيل الى صبري   وفي المعالم اشجان
والركب وسط الفلا   بالخرد النواعم قد بانوا

وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشان بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم اصطنع موشحة وتانق فيها فتقدم الاعمى البطليطلي للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

ضاحك عن جمان   سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان   وحواه صدري

خرق ابن بقي موشحته وتبعه الباقون وذكر الاعلم البطليوسي انه سمع ابن زهير يقول ما حسدت قط وشاحا على قول الا ابن بقي حين وقع له

اما ترى احمد   في مجده العالي   لا يلحق
اطلعه الغرب   فارنا مثله   يا مشرق

وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين ابو بكر الابيض وكان في عصرهم ايضا الحكيم ابو بكر ابن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة انه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فالقى على بعض قيناته موشحته

جرر الذيل ايما جر   وصل السكر منك بالسكر

فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر   لامير العلا ابي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما احسن ما بدات وما ختمت وحلف بالايمان المغلظة لا يمشي ابن باجة الى داره الا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بان جعل ذهبا في نعله ومشى عليه وذكر ابو الخطاب بن زهر انه جرى في مجلس ابي بكر بن زهير ذكر ابي بكر الابيض الوشاح المتقدم الذكر فغض منه احد الحاضرين فقال كيف تغض ممن يقول

ما لذ لي شراب راح   على رياض الاقاح   لولا هضيم
الوشاح   اذا اسى في الصباح   او في الاصيل   اضحى يقول ما للشمول
لطمت خدي وللشمال   هبت فمال   غصن اعتدال   ضمه بردي   مما اباد القلوبا

يمنى لنا مستريبا   يا لحظه رد ذنوبا   ويا لماه الشنيبا   برد غليل صب عليل
لا يستحيل فيه عن عهدي   ولا يزال   في كل حال يرجو الوصال   وهو في الصد

واشتهر بعد هولاء في صدر دولة الموحدين محمد بن ابي الفضل بن شرف قال الحسن بن دويريده رايت حاتم بن سعيد على هذا الافتتاح

شمس قاربت بدرا   راح ونديم   وابن هردوس الذي له باليله الوصل والسعودي
بالله عودي   وابن موهل الذي له   ما العيد في حلة وطاق وشم طيب
وانما العيد في التلاقي مع الحبيب

وابو اسحاق الدويني قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل على ابن زهر وقد اسن وعليه زي البادية اذ كان يسكن بحصن استبه فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة ان انشد لنفسه موشحة وقع فيها

كحل الدجا يجري   من مقلة الفجر   على الصباح
ومعصم النهر   في حلل خضر   من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال انت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التي ادركت هو لا ابو بكر بن زهر وقد شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول

ما للموله   من سكره لا يفيق   ياله سكران
هل تستعاد   ايامنا بالخليج   ولياليناه
او نستفاد   من النسيم الاريج   مسك دارينا
واذ يكاد   حسن المكان البهيج   ان تحيينا
ونهر اظله   دوح عليه انيق   مورق فينان
والماء يجري   وعائم وغريق   من جنا الريحان

واشتهر بعدهما ابن حيون الذي من الزجل المشهور وهو قوله   ينشد في المقصد

تفوق بينهم كل حين   بما شئت من يد وعين
حلقت مليح علمت رامي   فليس تخلو ساع من قتال
وبعمل بذي العينين متاعي   ما تعمل يدي بالنبال

واشتهر معهما يومئذ بغرناطة المهر بن الفرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهر قوله

لله ما كان من يوم بهيج   بنهر حمص على تلك المروج
ثم انعطفنا على فم الخليج   نفض مسك الختام
عن عسجدي المدام   ورداء الاصيل يطويه كف   الظلام

قال ابن زهر اين كنا عن هذا الردا وكان معه في بلده مطرف اخبرني ابن سعيد عن والده ان مطرفا هذا دخل على ابن الفرس فقام له واكرمه فقال له لا تفعل فقال ابن الفرس كيف لا اقوم لمن يقول

قلوب مصابة بالحاظ تصيب   فقل كيف تبقى بلا وجد

وبعد هذا ابن حزمون بمرسية ذكر ابن الرايس ان يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فانشده موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا عن التكلف قال على مثل ماذا قال على مثل قولي   يا هاجري هل الى الوصال منك سبيل   او هل ترى عن هواك سالي القلب العليل

وابو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدي يعجب بقوله

ان سيل الصباح في الشرق   عاد بحرا في اجمع الافق
فتداعت نوادب الورق   انراها خافت من الغرق
فبكت سحرة على الورق

واشتهر باشبيلية لذلك العهد ابي الحسن بن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

واحسرتا لزمان مضى   عشية بان الهوى وانقضى
وافردت بالرغم لا بالرضى   وبت على جمرات الغضا
اعانق بالفكر تلك الطلول   والثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت ابا بكر بن الصابوني ينشد الاستاذ ابا الحسن الدباج موشحاته غير مرة فما سمعته يقول لله درك الا في قوله

قسما بالهوى لذي حجر   ما لليل المشوق من فجر
جمد الصبح ليس يطرد   ما لليلي فيما اظن غد
صح يا ليل انك الابد   او قصت قوادم النسر
فنجوم السماء لا تسري

ومن موشحات ابن الصابوني

ما حال صب ذي ضنى واكتئاب   امرضه يا ويلتاه الطبيب
عامله محبوبه باجتناب   ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفوني النوم لكنني   لم ابكه الا لفقد الخيال
وذا الوصال اليوم قد غرني   منه كما شاء وشاء الوصال
فلست بالائم من صدني   بصورة الحق ولا بالمحال

واشتهر بين العدوة ابن خلف الجزايري صاحب الموشحة المشهورة

يد الاصباح قدحت   زناد الانوار   في مجامر الزهر

وابن خزر البجاي وله من موشحة

ثغر الزمان موافق   حياك منه بابتسام

ومن محاسن الموشحات للمتاخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها قوله

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى   قلب صب حله عن مكنس
فهو في نار وخفق مثل ما   لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره وقدم ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث همى   يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما   في الكرى او خلسة المختلس
اذ يقود الدهر اسباب المنى   ينقل الخطو على ما يرسم
زمرا بين فرادى وثنى   مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا   فثغور الازهار فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السماء   كيف يروي مالك عن انس

فكساه الحسن ثوبا معلما   يزدهي منه بابهى ملبس
في ليال كتمت سر الهوى   بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجم الكاس فيها وهوى   مستقيم السير سعد الاثر
وطر ما فيه من عيب سوى   انه كلمح البصر
حين لذ الانس شيا او كما   هجم الصبح هجوم الحرس
غارت الشهب بنا او ربما   اثرت فينا عيون النرجس
اي شي لامرئ قد خلصا   فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الازهار فيه الفرصا   امنت من مكره ما تتقيه
فاذا الماء تناجي والحصا   وخلا كل خليل باخيه
تبصر الورد غيورا برما   يكتسي من غيظه ما يكتسيه
يا اهيل الحي من وادي الغضا   وبقلبي مسكن انتم به
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا   لا ابالي شرقه من غربه
فاعيدوا عهد انس قد مضى   تعتقوا عانيكم من كربه
واتقوا الله واحيوا مغرما   يتلاشى نفسا في نفس
حبس القلب عليكم كرما   افترضون عفا الحبس
وبقلبي منكم مقترب   باحاديث المنى وهو بعيد
قمر اطلع منه المغرب   شقوة المغرى به وهو سعيد
قد تساوى محسن ومذنب   في هواه بين وعد ووعيد
ساحر المقلة معسول اللمى   جال في النفس مجال النفس
سدد السهم وسمى ورمى   ففؤادي نهبة المفترس
ان يكن جار وخاب الامل   وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب اول   ليس في الحب لمحبوب ذنوب
امره معتمل ممتثل   في ضلوع قد براها وقلوب
حكم اللحظ بها فاحتكما   لم يراقب في ضعاف الانفس
منصف المظلوم ممن ظلما   ومجازي البر منها والمسي
ما لقلبي كلما هبت صبا   عاده عيد من الشوق جديد
واصرف القول الى المولى الرضا   ملهم التوفيق في ام الكتاب
الكريم المنتهى والمنتمى   اسد السرج وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثلما   ينزل الوحي بروح القدس

واما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سنا الملك المصري اشتهرت شرقا وغربا واولها

حبيبي ارفع حجاب النور   عن العذار
تنظر المسك على كافور   في جلنار
كللي يا سحب تيجان   الربا بالحلي
واجعلي سوارها منعطف   الجدول

وما

ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوه فنا سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فجاوا فيه بالغرايب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة واول من ابدع في هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قزمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا في زمانه وكان لعهد الملثمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد ورايت ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رايتها بحواضر المغرب قال وسمعت ابا الحسن بن جحدر الاشبيلي امام الزجالين في عصرنا يقول ما وقع لاحد من ايمة هذا الشان مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منتزه مع بعض اصحابه فجلسوا تحت عريش وامامهم تمثال اسد من رخام يصب الماء من فيه على صفايح من حجر متدرجة فقال

وعريش قد قام على دكان   بحال رواق
واسد قد ابتلع ثعبان   من غلظ ساق
وفتح فمه بحال انسان   فيه الفواق
وانطلق يجري على الصفاح   والقى الصياح

وكان ابن قزمان مع انه قرطبي الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيلية وينتاب نهرها فاتفق انه اجتمع ذات يوم جماعة من اعلام هذا الشان وقد ركبوا في النهر للنزهة ومعهم غلام جميل الصورة من ثروة اهل البلد وبيوتهم وكانوا مجتمعين في زورق للصيد فنظموا في وصف الحال وبدا منهم عيسى البليد فقال

يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتو   وقد ضنوا عشقو لعماتو
تراه قد حصل مسكين حلاتو   تقلق ولذاك امر عظيم ماتو
لوحش الجفون الكحل اذ غابو   وذيك الجفون الكحل ابلاتو

ثم قال ابو عمرو بن الزاهد الاشبيلي

نشب والهوى من لج فيه ينشب   ترى ايش كان دعاه يشقى ويتعذب
مع العشق قام في مالو ايغلب   وخلق كثير من ذا العب ماتوا

ثم قال ابو الحسن المقرئ الداني

نهار مليح يعجبني اوصافو   شراب وملاح من حولي قد طافو
والمقلين يقول فصعصافو   والبوري اخرى حملانو

ثم قال ابو بكر بن مرتين

الحق تريد حديث نعالى عاد   في الواد نحمير والنزه والصاد
لنشبه حبيبات ذاك الذي يصطاد   قلوب الورى هي في شبيكاتو

ثم قال ابو بكر بن قزمان

اذا شمر اكمامو يرميها   ترى البوري يرشق لذاك الجها
وليس مرادو ان يقع فيها   الا ان يقبل يديا تو

وكان في عصرهم بشرق الاندلس مخلف الاسود وله محاسن من الزجل منها قوله

قد كنت منشوب واحتشت السبب   وردني ذا العشق لامر صعب

يقول فيه حين تنظر الخد الشريق البهي   تنتهي في الخمر المسا تنتهي
يا طالب الكيميا في عيني هي   تنظر بها الفضة وترجع ذهبي

وجاءت من بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس وقعت له العجائب في هذه الطريقة فمن قوله في زجله المشهور

ورذاذ دق ينزل   وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض   وترى الاخر يذهب
وتريد تجي الينا   ثم تستحي وترجع

ومن محاسن ازجاله قوله

لاح الضيا والنجوم حيارى   فقم بنا ننزع الكسل
شربت ممزوجة من قراعا   احلا هي عندي من العسل
يا من يلمني كما يقلد   قلدك الله بما تقول
يقول بان الذنوب تولد   وانه يفسد العقول
لارض الحجاز يكن لك ارشد   اش ساقك معي في الفضول
مر انت للحج والزيارة   ودعني في الشرب منهمل
من لس لو قدرة ولا استطا   النية ابلغ من العمل

وظهر بعد هولاء في اشبيلية بن جحدر الذي فضل على الزجالين في فتح منورقة بالزجل الذي اوله

من عاند التوحيد بالسيف يمحق   الا بري ممن يعاند الحق

قال ابن سعيد لقيته ولقيت تلميذه المعمع صاحب الزجل المشهور اوله

يا ليتني ان ريت حبيبي   افتل ادنو ابالرسيلا
لش اخذ عنق الغزيل   وسرق فم الحجيلا

ثم جاء من بعدهم ابو الحسن سهل بن مالك امام الاداب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر في الملة الاسلامية غير مدافع فمن محاسنه في هذه الطريقة

امزج الاكواس واملالي تجدد   ما خلق المال الا ان يبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششتري منهم بين طلوع وبين نزول

اختلطت الغزول   ومضى من لم يكن   وبقي من لم يزول

ومن محاسنه ايضا قوله في ذلك المعنى

البعد عنك يا بني اعظم مصابي   وحين حصل لي قربك نسيت اقاربي

وكان لعصر الوزير بن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من اهل وادي اش وكان اماما في هذه الطريقة وله من زجل يعارض مدغليس في قوله

لاح الضيا والنجوم حيارى بقوله

حل المجون يا اهل الشاطرة   مذ حلت الشمس بالحمل
تجددوا كل يوم خلاعة   لا تغفلوا اسمها بمهل
اليها تخلعوا في سبيل   على حصون ذلك البنات
وحل بغداد واجنا ذا النيل   احسن عندي ذيك الجهات

وطاقتها

وطاقتها اصلح من اربعين ميل   ان مرت الريح عليه وجات
لم يلتقي المعيار اماري   ولا يمتد ازما يكحل
وكيف وليس فيه موضع   رفاعا الا وبرخ فيه النخل

وهذه الطريقة الحزملية لهذا العهد هي فن العامة بالاندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامية ويسمونها الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم

دهر لي بعشق جفونك وسنين   وانت لا شفقة ولا قلب يلين
حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجع   صنعة السكة ما بين الحداديين
الدموع ترشش والنار تلتهب   والمطارق من شمال ومن يمين
خلق الله النصارى للغزو وانت   تغزو في قلوب العاشقين

وكان من المجيدين في هذه الطريقة لاول هذه المائة الاديب ابو عبد الله اللوشي وله قصيدة يمدح فيها السلطان بن الاحمر

طل الصباح قم يا نديم نشربوا   ونضحكوا من بعد ما نطربوا
سبيكة الفجر احكت شفق   في ميلق الليل فقم تلعبوا
تراها نار خالص ابيض نقي   فض هو لكن الشفق ذهبوا
تنفق سكتوا عند البشر   نور الجفون من نورها تكسبوا
ضو النهار يا صاحبي للمعاش   عيش الغني فيه نا الله ساطيبوا
والليل فصا للقبل والعناق   على سرير الوصل يتقلبوا
جاد الزمان من بعد ما كان بخيل   ولس كنقطه من يديه نعتربوا
كما جرح مروا فامذ مضى   نبره سهوا وبكل طيبوا
قال الرقيب يا ادبا اش ذا   في الشرب والعشق ترى تنجبوا
ويتجبوا عذالي من ذا الخبر   فقلت يا قوم من ذا تعجبوا
بعشق مليح الا دقيق الطباع   علاش كسفرنا الله ويكتبوا
ليس يربح الحس الا شاعر اديب   يمنيض بكروا ويدع نسيبوا
وانما الكاس حرام اسو حرام   على الذي ليس يدري كيف شربوا
واهل العقل والنكر والمجون   يغفر ذنوبهم هذا ان اذنبوا
نسيم كالخاتم وتقشر نفح   خطيب الامة المقبل غضبوا
جوهر في مرجان اي عقد يا فلان قد صفقوا الناظر ولم يثقفوا
وشارب اخضر يريد لش يريد   من شبهوا بالمسك قد عيبوا
تسبل دلال مثل جناح الغراب   ليالي هجري منوا نستقربوا
على بدن ابيض فلون الحليب   لم قط راعي في الغنم حلبوا
ونهود بهندات علمت قلبها   ذيك الصلا يا رب ما اصلبوا
تحت العكاكن معها خصر رقيق   من رقيق يخفي اذا تطلبوا
ارق هو من ديني فيما نقول   حدير اعندك شي ما اكذبوا
اي دين بقا لي معك واي عقل   من تتبعك من ذا وذا تسلبوا

اذا لم ينفش عزالو ينفتشع في ● طرف ديسا والبيض نصلبوا
يصير ليك المكان حين يجي ● وحين يغيب يرجع في عيني قتبوا
محاسنك مثل خصال الامراو ● الرمل من هو الذي يحسبوا
عماد الامصار وفصيح العرب ● فمن فصاحته لفظا يستعربوا
بحملة العلم انفرد والكمال ● ومع بديع الشعر ما اكتبوا
ففي العدو وبالرمح ما اطعنوا ● وفي الرقاب بالسيف ما اضربوا
من السما يحسد في اربع صفات ● ممن يعدوا انك او يحسبوا
الشمس نورو والقمر همتو ● والغيث جودو والنجم منصبوا
يركب جواد الجود ويطلق عنان ● الاعدا والجود حين يركبوا
قد اظهر الحق وكان في حجاب ● لمن تقدر الباطل بعد يحجبوا
وقد بنا بالبنا ركن التقا ● من بعد ما كان الزمان خربوا
تخافو حين تلقاه لما تر تجيه ● فمع سماحة وجهو ما اهيبوا
يلقى الحروب مضحك وفي ابيا ● غالب هو ليس في الدنيا من يغلبوا
اذ احية سيفو ما بين الردود ● فليس شي على من يضربوا
وهو سمي المصطفى والاله ● للسلطنة اختاروا واستنجبوا
تراه خليفة امير المومنين بجود ● جيوشو ويزين موكبوا
لذي الامرا تخضع الروس ثم ● دفي تقبيل يديه ترغبوا
بيته بني يدور الزمان تطلعوا ● في المجد ولا تقربوا
دفي المعالي والشرف يبعدوا ● دفي التواضع والحيا يقربوا
والله يبقيهم ما دار الفلك ● واشرقت شمسو ولاح كوكبو
وما تغنى ذا القصيد وفي ● عروض باشمس ملحا مغربوا

ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب فنا اخر من الشعر في اعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية ايضا وسموه عروض البلد وكان اول من استحدثه بينهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذهب الاعراب مطلعها

ابكاني بشاطي البحر نوح الحمام ● على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف الصبح يمحو مداد الظلام ● وما الندا يجري بثغر الاقاح
باكرت الرياض والطل فيه افتراق ● كنظم الجواهر في نحور الجوار
ودمع النواعر ينهرق انهراق ● يحاكي ثعابين حلقت بالثمار
لووا بالغصون خلخال على كل ساق ● ودار الجميع بالروض دور السوار
وايدي الندى تخرق جيوب الكمام ● وتحمل نسيم المسك عنها رياح
وجا الصبا يطلي بمسك الغمام ● وجر النسيم ذيلو عليها وفاح
رايت الحمام بين الورق في القضيب ● قد ابتلت ارياشو بقطر الندى
تنوح مثل ذاك المستهام الغريب ● قد التف في ثوبو الجديد في ردا
ولكن بمنقار احمر وساق خضيب ● بنظم سلوك جوهر وتتقلدا

جلس من الاغصان جلسة المستهام ● جناحا توسد والتوى في جناح
وصار يشتكي ما في الفواد من غرام ● منها ضم منقارو لصدرو وصاح
فقلت يا حمام احرمت جفني الهجوع ● ادي ما تزال تبكي بدمع سفوح
قال لي قد بكيت حتى صفت لي الدموع ● بلا دمع نبقى طول حياتي ننوح
وانتم من بلا منكم اذ استرعا ● يقول قد عناني ذا البكا والنواح
فقلت يا حمام لو خضت بحر الضنا ● كان تبكي وترثي لي بدمع سكوب
ولو كان في قلبك ما في قلبي انا ● رماد كان يصير تحتك فروع الغصون
قال لي لو رقدت الاوذان الرياض ● من خوفي عليه دوت النفوس الفواد
واخضبت من دمعي وذاك البياض ● طوق العهد في عنقي ليوم التناد
واما طرف منقاري حريقو استفاض ● بجا طرف البلد والجسد صار رماد

فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شانهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكازي والملعبة والغزل واختلفت اسماوها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها فمن المزدوج ما قاله شجاع من فحولهم وهو من اهل بازي

المال زينة الدنيا وعز النفوس ● يبهي وجوها ليس هي باهيا
فها كل من هو كثير الفلوس ● ولوه الكلام والرتبة العاليا
يكبر من كان ما لو كان صغير ● ويصغر عزيز القوم اذا يفتقر
اذي ينطحي من هو في قومو كبير ● لمن لا اصل عندو ولا لو خطر
لقد ينبغي يحزن على ذي العكوس ● وتضيع عليه تو في فراش خابيا
اذ صارت الاذناب امام الروس ● وصار يستفيد الواد من الساقيا
عشنا والسلام حتى راينا عيان ● انفاس السلاطين في جلود الكلاب
كبار النفوس جدا ضعاف الاسوس ● هم في ناحية والمجد في ناحيا
يروا انهم والناس يروهم تيوس ● وجوه البلد والعمدة الراسيا

ومن مذاهبهم قول ابن شجاع منهم في بعض مزدوجاته

تعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان ● اهمل يا فلان لا يلعب الحسن بيك
ما منهم عاهد مليحا الا وخان ● قليل من عليه تحبس وتحبس عليك
ينهبوا العشاق ويمت تعوا ● ويستعبدوا انقضيع تكون الرجال
وان واصلوا من جهدهم يقطعوا ● وان عاهدوا اخانوا على كل حال
مليح كنت هويت وتبت قلبي معوا ● وصيرت من خدي لقدمو انعال
ومهدت لو مني ووسط قلبي مكان ● وقلت اكرم القلب لمن حل بيك
وهون عليك ما يعتريك من هوان ● فلا بد من هول الهوى يعتريك
حكمتو علي وانقضيت به امير ● فلو كان براحتي اذ ابصروا
ونعلمت من ساعا بسبق الضمير ● ويفهم مرادو واقبل ان يذكروا
وعيلي في مطلوبو ولو ان كان ● عصر في الربيع او في الليالي وبيك
ويمشي بيوتو ولو ان يجي في اصفهان ● واش ما يقل يحتاج يبقى لو بجيبك

حتى ابي علي اخوه وكان منهم علي بن المودن سلمان وكان لهذه العصور الغربية من فحولهم يزدهون بك
مواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف ابدع في مذاهب هذا الفن ومن احسن ما علق له بحفوظي
قوله في رحلة السلطان ابي الحسن وبني مرين الى افريقية بصفة ضميرهم بالقيروان
ويعزيهم عنها ويونسهم بما وقع لغيرهم بعد ان عيبهم على غزاتهم الى افريقية في ملعبة من فنون
هذه الطريقة يقول في مفتتحها وهو من ابدع مذاهب البلاغة في الاشعار بالمقصد
في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة الاستهلال

سبحان مالك خواطر الامرا • بنواصيها في كل حين وزمان
ان طعناه اعطيهم كذا انصرا • وان عصيناه عاقب بكل هوان

الى ان يقول في السوال عن جيوش المغرب بعد التخلص

كن مرعي قل ولا تكن راعي • فالراعي عن رعيته مسئول
واستفتح بالصلاة على الداعي • للاسلام والرضى النبي المكمول
للخلفاء الراشدين والاتباعي • واذكر بعدهم اذا غب وقول
احجاجا تحللوا الصحرا • وذروسرح البلاد مع السكان
عسكر فاس المنيرة الغرا • ابن سارت به عزايم السلطان
احجاج بالنبي الذي زرتو • وقطعتم لو كلا كل البيدا
عن جيش الغرب حين يسالكم • المسلوف في مرقفنا السودا
ومن كان بالعطايا يزدكم • ويبدع تربة الحجاز رغدا
قام كل كالتنبيه صادف الحزرا • وبتجرسوط بعد ما يخفان
ويرف كردم وبعث في العبرا • اي صار اذ عن لهم سحبان
لو كان ما بين تونس الغربا • وبلاد الغرب رد لسكندر
يبني من شرقها الى غربها • طبقا عدد ونابنا يصفر
ان كان نعلم حمام ولا رقاص • عن السلطان شهرا وقل سبعا
نتطير عند المهيمن الغواص • وعلامات تنتشر على الصمعا
الامور عاريه بلا استرا • بحمص لين لا امكان ولا امكان
امولاي بو الحسن خطيب الباب • نقصته مسيرنا الى تونس
نعما كنا عن الجريد والزاب • واش لك فاعراب غربتنا الفولس
ما بلغك عن عمر بنا الخطاب • الفاروق فاتح البري المواس
ملك الحجاز والشام وتاج كسرى • وفتح من بزيتيا دكان
هذا الفاروق ذمر والاكون • صرح في افريقيا بذا التصريح
وبقت حما الى زمن عثمان • وفتحها ابن الزبير عن نصحاه
لما دخلت عنايما الديوان • مات عثمان وانقلب علينا الريح
وافترق الناس على ثلاث امرا • وبقايا هو السكوت عن ايمانك
فاذا كان ذا من سلف البررا • اش يجمل في اخر الازمان
واصحاب الخضر من كناسا • وفي تاريخ كما صاوكبو انا
تذكروا صحيحها وابياتا • شق وسطيح وابن مرابا

اذمرين

ان مرين اذا ابكت مرايانا • الدار تونس فقد سقط بنيانا
وذكرنا قال السيد الوزرا • عيسى بن الحسن الرفيع الشانا
قال لي رسا وانا بذا ادرا • لكن ذا جا القدر عمت الاجفانا
ويقول لك مارما المرسا • من حضرة فاس الى غرب ذباب
زاد المولى يموت تو يحيا • سلطان تونس وصاحب العباد

ثم اخذ في ترحيل السلطان وجيوشه الى اخر رحلته ومنتهى امره مع اعراب افريقية واتى فيها بكل
غريبة من الابداع واما اهل تونس فاستحدثوا فن الملعبة ايضا على لغتهم الحضرية الا ان اكثره
ردي ولم يعلق بحفوظي منه شي لرداته وكان لعامة بغداد ايضا فن من الشعر يسمونه المواليا
تحته فنون كثيرة يسمون منها الحوف وكان ذو بيتين على اختلاف المعنين عندهم في كل واحد منها
وغالبها مزدوجة من اربعة اغصان وتبعهم في ذلك اهل مصر والقاهرة واتوا فيها بالغرايب
وتجاروا فيها في اساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاوا بالعجايب ومن اعجب ما علق بحفظي
منه قول شاعرهم

هذي جراحي طريا والدما تنضح • وقاتلي بالخبا في الفلا يمرح
قالوا واخذ بثارك قلت ذا اقبح • الي جرحني يداويني يكون اصلح

ولغيره

طرقت باب الخبا قالت من الطارق • فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق
تبسمت لاح لي من ثغرها بارق • رجعت حيران في بحر ادمعي غارق

ولغيره

ولعهدي بها وهي لا تامن على البين • وان شكيت الهوى قالت فديتك العين
لما تعين لها غيري غلام زين • ذكرتها العهد قالت لك علينا دين

ولغيره في وصف الحشيش

خمر سراوالي عهدي بها باقي • نعني عن الخمر والخمار والساقي
قحبا ومن فحبها تعمل على احراقي • حنينها في الحشا طلت من احداقي

ولغيره

يا من وصاله لاطفال المحبه بح • كم ذا توجع القلب بالهجران اوه اح
اودعت قلبي حوحو والتصبر نخ • كل الورى كم في عيني وشخص لح

ولغيره

ناديتها وشيبي قد طواني طي • جودي عليا بقبلة في الهوى يا بي
قالت وقد تركت داخل فوادي كي • ماذا القطن يعيشني قطن هو حي

ولغيره

داني ابتسم بصقت ادمعي برقوا • ماط اللثام تبدا بدر في شرقوا
اسبل دجا الشعر تاه القلب في طرقوا • رجع هدانا بغيط الصبح من فرقوا

ولغيره

ياحادي العيس ترجر بالمطايا زجر • اقف على منزل الحبايب قبيل الفجر
وصح في خيمهم يامن يريد الاجر • ينهض يصلي على ميت قتيل الهجر

ولغيره

عيني التي كنت انظركم بها ماتت   ترعى النجوم وبالتسهيد افنانت
واسهم البين صابتني ولا فاتت   وسلوتي عظم الله اجركم ماتت

ولغيره

هويت في قنطرتكم يا ملاح الحكر   غزال يبلي الاسود الضاريا بالفكر
غصن اذا ما انثنى يسبي البنات البكر   واذا انجلى فما للبدور عنده ذكر

ومن الذي يسمونه دوبيت

قد اقسم من احبه بالباري   ان يبعث طيفه مع الاسحار
يا نار شوقي به فانقدي   ليلا عساه يهتدي بالنار

واعلم ان الاذواق في معرفة البلاغة منها كلها انما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثر استعماله لها ومخاطبته بين اجيالها حتى يحصل ملكتها كما قلنا في اللغة العربية الاندلسي بالبلاغة التي في شعر اهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر اهل المشرق والاندلس ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر اهل الاندلس والمغرب لان اللسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم وكل احد منهم مدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من اهل جلدته وفي خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ايات للعالمين وقد كدنا ان نخرج عن الغرض وعزمنا ان نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الاول الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاية ولعل من ياتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسائله على اكثر مما كتبناه فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه والمتاخرون يلحقون المسائل من بعده شيئا فشيئا الى ان يكمل والله يعلم وانتم لا تعلمون بسم الله الرحمن الرحيم يا معين

الطبقة الرابعة من العرب وهم العرب المستعجمة اهل الجيل الناشئ لهذا العهد من بقية اهل الدولة الاسلامية من العرب

لما استقلت مضر وقريشها وانصارها من اليمن بالدولة الاسلامية فيمن تبعهم من اخوانهم ربيعة ومن لف لفهم من احياء اليمنية وغلبوا الامم والملل على امرهم وانتزعوا الامصار من ايديهم وانقلبت احوالهم من خشونة البداوة وسذاجة الخلافة الى عز الملك وترف الحضارة ففارقوا الحلل وافترقوا على الثغور البعيدة والاقطار النائية من ممالك الاسلام فنزلوها حامية ومرابطين عصبا وفرادى وتناقلوا الملك من عنصر الى عنصر ومن بيت الى بيت واستفحل ملكهم في دولة بني امية وبني العباس من بعدهم بالعراق ثم دولة بني امية الاخرى بالاندلس وبلغ من الترف والبذخ ما لم تبلغه دولة من دول العرب والعجم من قبلهم فانغمسوا في الدنيا ونشأت اجيالهم في ماء النعيم واستوثروا مهاد الدعة ه واستطابوا خفض العيش وطال نومهم في ظل العز والسلم حتى الفوا الحضارة ونسوا عهد

ثبت لراقم هذه الصفحة
من الطبقات فانها موجودة
المعدومة

البادية

البادية وانفلتت من ايديهم الملكة التي نالوا بها الملك وغلبوا الامم من خشونة الدين وبداوة الاخلاق ومضاء المضرب فاستوت الحامية والرعية لولا اللغة ونشأ به الجيل والحضر الا في الشارة والف السلطان من المساهمة في المجد والمشاركة في النسب فجدعوا انوف المتطاولين اليه من اعياصهم وعشايرهم ووجوه قبايلهم وغضوا من عنان طموحهم واتخذوا البطانة لمعترهم من موالي الاعجام وصنايع الدولة حتى كثروا بهم قبيلهم من العرب الذين اقاموا الدولة ونصروا الملة ودعموا الخلافة واذاقوهم وبال القهر وساموهم خطة الخسف والذل فانسوهم ذكر المجد وحلاوة العز واسلبوهم نعرة العصبية حتى صاروا اجراء على الحماية وخولا لمن يستعبدهم من الخاصة واوزاعا متفرقين بين الامة وصيروا لغيرهم الحل والعقد والابرام والنقض من الموالي والصنايع فداخلتهم اريحية العز وحدثوا انفسهم بالملك فحجروا الخلفاء وتغلبوا واستبدوا بالامر والنهي واندرج العرب اهل الحامية في الغمار واختلطوا بالهمج ولم يراجعوا احوال البداوة لبعدها ولا تذكروا ه عهد الانساب لدروسها فدثروا وتلاشوا شأن من قبلهم وبعدهم من الامم سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وكان المتولون لتمهيد قواعد الامر وبناء اساسه من اول الاسلام والدين والخلافة من بعد قبايل من العرب موفورة العدد عزيزة الاحياء والايمان والملة ووطدوا اكناف الخلافة وفتحوا الامصار والاقاليم وغلبوا عليها الامم في الدول **اما مضر** فقريش وكنانة وخزاعة وبنو اسد وهذيل وتميم وغطفان وسليم وهوازن وبطونها من ثقيف وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة ومن اليهم من الشعوب والبطون والافخاذ والعشاير والحلفاء والموالي **واما من ربيعة** فبنو تغلب ابن وايل وبنو بكر بن وايل وكافة شعوبهم من بني يشكر وبني حنيفة وعجل وبني ذهل وبني شيبان وتيم الله ثم بنو النمر بن قاسط ثم عبد القيس ومن اليهم **واما من اليمنية** ثم من كهلان بن سبا منهم والانصار الاوس والخزرج ابناء قيلة من شعوب غسان وساير قبايل الازد ثم همدان وخثعم وبجيلة ثم مذحج وكافة بطونها من عنس ومراد وزبيد والنخع والاشعريين وبني الحرث بن كعب ثم من طي وبطونها ولخم وبطونها ثم كندة وملوكها **واما من حمير** بن سبا فقضاعة وجميع بطونها ومن الى هذه القبايل من الافخاذ والعشاير والاحلاف هولاء كلهم ابتغتهم الدولة الاسلامية العربية فانتزعتهم الثغور القصية والتهمتهم الاقطار المتباعدة واستلحمتهم الوقايع المذكورة فلم يبق منهم حي يطرق ولا حلة تنتجع ولا عشير يعرف ولا قبيل يذكر ولا عاقلة تحمل جناية ولا عصابة تصرخ الا ما يسمع من ذكر اسمايهم في انساب اعقاب متفرقين في الامصار الذين الخمول بجملتهم فتقطعوا في البلاد ه وانخلطوا بين الناس فامتهنوا واستهينوا واصبحوا خولا للامراء وبهما للرايد وعالة على الحرف وقام بالاسلام والملة غيرهم وصار الملك والامر في ايدي سواهم وجلبت بضايع العلوم والصنايع الى غير سوقهم فغلب اعاجم المشرق من الديالم والسلجوقية والاكراد والغز والترك على ملكه ودولته فلم تزل متناقلة فيهم الى هذا العهد وغلب اعاجم المغرب من زناتة والبربر على امره ايضا فلم تزل الدول تتناقل فيهم على ما نذكره بعد الى هذا العهد وانقرض اكثر الشعوب الذين كان لهم الملك من بعد هولاء فلم يبق لهم ذكر وانتبذ بقية شعوب هذه الطبقة بالقفار واقاموا احياء بادين لم يفارقوا الحلل ولا تركوا البداوة ه والخشونة فلم يتورطوا في مهلكة الترف ولا غرقوا في بحر النعيم ولا فقدوا في غيابات

الامصار والحضارة حتى لقد انشد شاعرهم • فمن تكن الحضارة اعجبته • فاي رجال
بادية ترانا • وقال المتنبي يمدح سيف الدولة ويعرض بذكر العرب الذين اوقع بهم لما
كثر عيثهم وفسادهم

• وكانوا يروعون الملوك بان بدوا • وان نبتت في الماء نبت الغلافق •
• فهاجوك اهدى في الفلا من القطا • وابدى بيوتا من بيوت النقانق •

واقامت هذه الاحياء في صحاري الجنوب من المغرب والمشرق بافريقية ومصر والشام والحجاز والعراق وكرمان كما كان سلفهم من ربيعة ومضر وكهلان في الجاهلية وعتوا وكثروا وانقرض الملك العربي الاسلامي وطرق الدول الهرم الذي هو شأنها واعتز بعض هذا الجيل عربا وبربرا فاستعملتهم الدول وولوهم الامارة على احيائهم واقطعوهم في الضاحية والامصار والتلول واصبحوا جيلا في العالم ناشيا كثروا سائر اهله من العجم ولهم بتلك الامارة دول فاستحقوا ان تذكر اخبارهم وتلحق بالاجيال من العرب سلفهم ثم ان اللسان المضري الذي وقع به الاعجاز ونزل به القران فشيد فيهم وتبدل اعرابه فمالوا الى العجمة وان كانت الاوضاع في اصلها صحيحة واستحقوا ان يوصفوا بالعجمة من اجل الاعراب فلذلك قلنا فيهم العرب المستعجمة **فلنذكر** الان بقية هؤلاء الشعوب من هذه الطبقة في المغرب والمشرق ونخص منهم بالذكر اهل الاحياء الناجعة والاقدار النابهة ونلغي المندرجين في غيرهم ثم نرجع الى ذكر المنتقلين من هذه الطبقة الى افريقية والمغرب فنستوعب اخبارهم لان العرب لم يكن المغرب لهم في الايام السابقة موطنا وانما انتقل اليه في اواسط المائة الخامسة افاريق من بني هلال وسليم اختلطوا بالدول هنالك فكانت اخبارهم من اخبارها فلذلك استوعبناها **واما اخر** مواطن العرب فكانت برقة وكان فيها بنو قرة من هلال بن عامر وكانت لهم في دولة العبيديين اخبار وحكايتهم في الثورة ايام الحاكم والبيعة لابي ركوة من بني امية الاندلس معروفة وقد اشرنا اليها في دولة العبيديين ولما اجاز بنو هلال وسليم الى المغرب خالطوهم في تلك المواطن ثم ارتحلوا معهم الى المغرب كما نذكر في دخول العرب الى افريقية والمغرب وبقي في موطنهم ببرقة لهذا العهد احياء بني جعفر وكان شيخهم اواسط هذه المائة الثامنة ابو ذيب واخوه حامد بن كميل وهم ينتسبون في العرب تارة في الهيب ويزعمون انهم من بني كعب بن سليم وتارة في هيب كذلك وتارة في فزارة والصحيح في نسبهم انهم من مسراتة احدى بطون هوارة سمعته من كثير من نسابتهم وبعدهم فيما بين برقة والعقبة الكبيرة اولاد سلام وما بين العقبة الكبيرة والاسكندرية اولاد مقدم وهم بطنان اولاد التركية واولاد فايد ومقدم وسلام معا ينتسبون الى لبيد فبعضهم يقول لبيد بن هيبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر وبعضهم يقول في مقدم بن عزاز بن كعب بن سليم وذكر لي سلام شيخ اولاد التركية ان ام مقدم من ربيعة بن نزار ومع هؤلاء الاحياء حي محارب ينتمون بال جعفر ويقال انهم من جعفر بن كلاب وحي رواحة ينتمون بال زبيبة ويقال من جعفر ايضا والناجعة من هؤلاء الاحياء كلهم ينتهون في مشاتيهم الى الواحات من بلاد القبلة وقال ابن سعيد ومن غطفان في برقة هيب ورواحة وفزارة فجعل هؤلاء من غطفان فالله اعلم بصحة ذلك وفيما بين الاسكندرية ومصر قبائل رحالة ينتقلون من نواحي البحيرة هنالك ويعمرون ارضها بالسكنى

والفلح ويخرجون في المشاتي الى نواحي العقبة وبرقة من مزاتة وهوارة وزناتة احدى بطون لواتة وعليهم مغارم الفلح ويندرج فيهم اخلاط من العرب والبربر لا يحصون كثرة وبنواحي الصعيد قبائل من العرب من بني هلال وبني كلاب بن ربيعة احياء كثيرة يركبون الخيل ويحملون السلاح ويعمرون الارض بالفلاحة ويقومون بالخراج للسلطان وبينهم مع ذلك من الفتن والحروب ما ليس يكون بين احياء القفر وبالصعيد الاعلى من اسوان وما وراءها الى ارض النوبة ثم الى بلاد الحبشة قبائل متعددة واحياء متفرقة كلهم من جهينة احدى بطون قضاعة ملكوا تلك القفار وغلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم وزاحموا الحبشة في بلادهم وشاركوهم في اطرافها والذين يلون اسوان منهم يعرفون باولاد الكنز كان جدهم كنز الدولة وله مقامات مع الدول مذكورة ونزل معهم في تلك المواطن من اسوان الى قوص بنو جعفر بن ابي طالب حين غلبهم بنو الحسين على نواحي المدينة واخرجوهم منها فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ويحترفون في غالب احوالهم بالتجارة وبنواحي مصر من جهة القبلة الى عقبة ايلة احياء من جذام جمهورهم من العايذ وعليهم درك السابلة بتلك الناحية ولهم على ذلك الاقطاع من السلطان يميزونها ويليهم الى جهة الشرق بالكرك ونواحيها احياء بني عقبة من جذام ايضا رحالة ناجعة تنتهي رحلتهم الى المدينة النبوية وعليهم درك السابلة فيما بينهم **و**فيما وراء عقبة ايضا الى الازلم قبائل بلي من قضاعة ومن الازلم الى الينبع قبائل من جهينة ومن الينبع الى بدر ونواحيه قبائل من زبيد احدى بطون مذحج ولهم مع الامراء بمكة من بني حسن حلف ومواخاة وفيما بين مكة والمهجم قبائل اليمن قبائل بني شعبة من كنانة وفيما بين الكرك وغزة شرقا قبائل جرم من قضاعة في جموع وافرة ولهم امراء اعزة يقطعهم السلطان على العسكر وحوط السابلة ويجيئون في المشاتي الى معان وما يليها من اسافل نجد مما يلي تيما وبعدهم في ارض الشام بنو حارثة من سنبس وال مراء من ربيعة اخوة ال فضل الملوك على العرب في برية الشام والعراق ونجد واخبرني بعض امراء حارثة ان سنبس من بطون طي فلنذكر الان خبر ولد فضل امراء الشام والعراق من طي فبهم يتبين حال اعراب الشام جميعا

خبر ال فضل وبني مهنا منهم ودولتهم بالشام والعراق

هذا الحي من العرب يعرفون بال فضل وهم رحالة ما بين الشام والجزيرة وبرية نجد من ارض الحجاز يتقلبون هكذا بينهما في الرحلتين وينتسبون في طي ومعهم احياء من زبيد وكلب وهذيم ومذحج احلاف لهم ويناهضهم في الغلب والعدد ال مراء ويزعمون ان فضلا ومراء ال ربيعة ويزعمون ايضا ان فضلا ينقسم ولده بين ال مهنا وال علي وان ال فضل كلهم كانوا بارض حوران فغلبهم عليها ال مراء واخرجوهم منها فنزلوا حمص ونواحيها واقامت زبيد من احلافهم بحوران فهم بها حتى الان لا يفارقونها قالوا ثم اتصل ال فضل بالدولة السلطانية وولوهم على احياء العرب واقطعوهم على اصلاح السابلة ما بين الشام والعراق فاستظهروا على ال مراء وغلبوهم على المشاتي فصار عامة رحلتهم في نجد والشام ويباعدون التلول والقرى لا ينتجعون الى البرية الا في الاقل وكانت معهم احياء من افاريق الاعراب منهم رجوف في انتجاعهم ورحلتهم من مذحج وعامر وزبيد كما كان لال

مضافا الى اكثر من كان من امرا اولئك الاحياء واوفرهم عددا بنو حارثة بن سنبس احدى
شعوب طي هكذا ذكر القتادة عندي من رجالاتهم وحارثة هولاء متغلبون لهذا العهد في تلول
الشام لا يجاوزونها الى الاقفار ومواطن طي بنجد قد اتسعت وكانوا اول خروجهم من اليمن
نزلوا جبلي اجاء وسلمى وغلبوا عليهما بني اسد وجاوروهم وكان لهم من المواطن سميرا وفيد
من منازل الحاج ثم انقرض بنو اسد وورثت طي بلادهم فيما يلي الكرخ من ارض نجد وكذلك
ورثوا منازل تميم بارض نجد فيما بين البصرة والكوفة واليمامة وكذلك ورثوا منازل
غطفان بنجد مما يلي وادي القرى هكذا قال ابن سعيد وقال اشهر الحجازيين منهم الان بنو
لام وبنو نبهان والصولة بالحجاز لبني لام بين المدينة والعراق ولهم حلف مع بني الحسين
امراء المدينة قال وشنبوص منهم في جهة فيما بين خيبر والشام قال وغزية من طي
بنو غزية بن افلت بن معبد بن معن بن عمرو بن عنبس بن سلامان من ثعل بلادهم عين التمر
والانبار ودنو هلال عزة ومنازلهم لهذا العهد في مصايفهم بالكسان وفي مشاتيهم
مع بني لام من طي وهم اهل غارة وصولة بين الشام والعراق ومن بطونهم الاجود والبطنين
واخوتهم زبيد نازلون بالموصل فقد جعل ابن سعيد زبيدا هولاء من بطون طي ولم يجعلهم
من مذحج ورياسة آل فضل لهذا العهد في بني مهنا ويشهرونه هكذا مهنا بن مانع بن
حديثة بن عضية بن فضل بن بدر بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن قصية بن بدر بن سميع
ويقفون عند سميع ويقولون زعماؤهم ان سميعا هذا هو الذي ولدته العباسة اخت
الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي وحاش لله من هذه المقالة في الرشيد واخته ومن انتساب
كبراء العرب من طي الى موالي العجم من بني برمك وامثال لهم الوجود يحيل رياسة مثل هولاء
على هذا الحي اذا لم يكونوا من نسبهم وقد تقدم مثل ذلك في مقدمة الكتاب وكان
مبدا رياستهم من اول دولة بني ايوب قال العماد الاصبهاني في كتاب البرق
الشامي نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب في جموع
كثيرة وكانت الرياسة فيهم لعهد الفاطميين لبني جراح من طي وكان كبيرهم مفرج بن دغفل
ابن جراح وكان من اقطاعه الرملة وهو الذي قبض على افتكين مولى بني بويه لما انهزم مع
مولاه بختيار بالعراق وجاء الى الشام سنة اربع وستين وثلاثمائة وملك دمشق وزحف
مع القرامطة لقتال العزيز بن المعز لدين الله صاحب مصر فهزمهم العزيز وهرب افتكين
فلاقيه مفرج بن دغفل وجاء به الى العزيز فاكرمه ورقاه في دولته ولم يزل شان مفرج
هذا وتوفي سنة اربع واربعمائة وكان من ولده حسان ومحمود وعلي وجرار وولي حسان
بعده وعظم صيته وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين نفرة واستقامة وهو الذي هدم
الرملة وهزم قائدهم باروق التركي وقتله وسبا نساءه وهو الذي مدحه التهامي
ويذكر المسبحي وغيره من مورخي دولة العبيديين في قرابة حسان بن مفرج هذا
فضل بن ربيعة بن حازم بن جراح واخاه بدر بن ربيعة وابنه بدر ولعل فضلا هذا هو
جد آل فضل وقال ابن الاثير ان فضل بن ربيعة بن حازم كان اباوه اصحاب البلقا
والبيت المقدس وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع خلفاء مصر وذكر لذلك طغتكين اتابك
دمشق وكافل بني تتش وطرده من الشام فنزل على صدقة بن مزيد بالحلة وحالفه ووصله صدقة
بسبعة الاف دينار فلما خالف صدقة بن مزيد على السلطان محمد بن ملكشاه سنة خمسمائة

وما

وما بعدها ووقعت بينهما الفتنة اجتمع له فضل هذا وقرواش بن شرف الدولة مسلم بن قريش
صاحب الموصل وبعض امراء التركمان كانوا اولياء صدقة فخالفوا وانحازوا في الطلائع بين يدي
الحرب وهربوا الى السلطان فاكرمهم وخلع عليهم وانزل فضل بن ربيعة بدار صدقة بن مزيد
ببغداد حتى اذا سار السلطان لقتال صدقة استاذنه فضل في الخروج الى البرية ليأخذ
بحجزة صدقة فاذن له وعبر الى الانبار ولم يراجع السلطان بعدها انتهى كلام ابن الاثير ويظهر
من كلامه وكلام المسبحي ان فضلا هذا وبدرا من آل الجراح بلا شك ويظهر من سياقة هولاء نسبهم
ان فضلا هذا هو جدهم لانهم يشهرونه فضل بن ربيعة بن علي بن مفرج وهو عند الاخرين
فضل بن ربيعة بن الجراح فلعل هولاء نسبوا ربيعة الى مفرج الذي هو كبير بني الجراح
لطول العهد وقلة المحافظة على مثل هذا من البادية الغفل واما نسبة هذا
الحي من آل فضل بن ربيعة بن فلاح بن مفرج في طي فبعضهم يقول ان الرياسة في طي كانت لاياس
ابن قبيصة من بني هني بن عمرو بن الغوث بن طي واياس هو الذي ملكه كسرى على الحيرة بعد آل
المنذر عندما قتل النعمان بن المنذر وهو الذي صالح خالد بن الوليد على الحيرة على الجزية
ولم تزل الرياسة في طي في بني قبيصة هولاء صدرا من دولة الاسلام فلعل بني الجراح
وآل فضل هولاء من اعقابهم وان كان انقرض اعقابهم فهم من اقرب الحي اليهم لان الرياسة
على الاحياء والشعوب انما تتصل في اهل العصبية والنسب كما مر اول الكتاب وقال
ابن حزم عند ما ذكر انساب طي وانهم لما خرجوا من اليمن مع بني اسد نزلوا جبلي اجاء وسلمى
واوطنوهما وما بينهما ونزل بنو اسد ما بينهم وبين العراق وفضل كثير منهم وهم بنو خارجة
ابن سعد بن قطرة ويقال لهم جديلة نسبة الى امهم وتيم الله وحبيش والاسعد اخوتهم
رحلوا عن الجبلين في حرب الفساد فلحقوا بحلب وحاضر طي واوطنوا تلك البلاد الا بني رومان
ابن جندب بن خارجة بن سعد فانهم اقاموا بالجبلين فكان يقال لاهل الجبلين الجبليون ولاهل
حلب وحاضر طي من بني خارجة السهليون انتهى فلعل هذه الاحياء الذين بالشام من بني الجراح
وآل فضل من بني خارجة هولاء الذين ذكر ابن حزم انهم انتقلوا الى حلب وحاضر طي لان هذا
الموطن اقرب الى مواطنهم لهذا العهد والى مواطن بني الجراح بفلسطين من جبلي اجاء وسلمى
الذي هو موضع الاخرين فالله اعلم اي ذلك يصح من انسابهم وتحت خفارتهم بنواحي الفرات
من كلاب بن ربيعة بن عامر دخلوا مع قبائل عامر بن صعصعة من نجد الى الجزيرة ولما افترق
بنو عامر على الممالك الاسلامية اختص هولاء بنواحي حلب وملكوها منهم بنو صالح بن مرداس
من بني عمرو بن كلاب ثم تلاشى ملكهم ورجعوا عنها الى الاحياء واقاموا بالفرات تحت خفارة
هولاء الامراء من طي واما ترتيب رياستهم على العرب بالشام والعراق منذ دولة بني ايوب ايام
العادل والى هذا العهد وهي آخر سنة تسعين وسبعمائة وقد ذكرنا ذلك في دولة الترك
ملوك مصر والشام وذكرناهم واحدا بعد واحد على ترتيبهم ولنعدد ذكرهم هاهنا على ذلك
الترتيب فنقول كان الامير لعهد بني ايوب عيسى بن محمد بن ربيعة ايام العادل
كما كان بعده حسام الدين مانع بن حديثة بن عضية بن فضل وتوفي سنة ثلاثين وستمائة
وولي عليهم بعده ابنه مهنا ولما ارتجع قطز ملك الترك بمصر الشام من ايدي الططر
وهزم عساكرهم بعين جالوت اقطع سلمية لمهنا بن مانع وانتزعها من عمل المنصور بن مظفر
ابن شاهنشاه صاحب حماة ولم اقف على تاريخ وفاة مهنا ثم ولي الظاهر على احياء العرب

بالشام عندما استعجل ملك الترك وسار الى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم عم المستعصم الى بغداد
فولى على العرب عيسى بن مهنا بن مانع ووفر له الاقطاعات على حفظ السابلة وحبس بن عمه
زامل بن علي بن ربيعة من آل علي بسعايته واعوانه ولم يزل اميرا على احياء العرب ومخلصا
في ايامه لانه خالف اباه في السنة عليهم وهرب اليه سنقر الاشقر سنة تسع وسبعين
وكاتبوا ابغا واستحثوه لملك الشام وتوفي عيسى بن مهنا سنة اربع وثمانين فولى المنصور
قلاوون بعده ابنه مهنا ثم سار الاشرف بن قلاوون الى الشام ونزل حمص ووفد عليه مهنا
بن عيسى وبعث بهم الى مصر فحبسوا بها حتى افرج عنهم العادل كتبغا عندما جلس على التخت
سنة اربع وتسعين ورجع الى امارته ثم كان له في ايام الناصر نفرة واستشارة وميل الى
ملوك التتر بالعراق ولم يحضر شيئا من وقائع غازان ولما انتقض قراسنقر واقوش الافرم
واصحابهما سنة عشر وسبعماية لحقوا به وساروا من عنده الى خربندا واستوحش هو من
السلطان واقام في احيائه منقبضا عن الوفادة ووفد اخوه فضل سنة اثنتي عشرة فرعى
له حق وفادته وولاه على العرب مكان اخيه مهنا وبقي مهنا مشردا ثم لحق سنة ست عشرة
بخربندا ملك التتر فاكرمه واقطعه بالعراق وهلك خربندا في تلك السنة فرجع مهنا
الى احيائه واوفد ابنه احمد وموسى واخاه محمد بن عيسى مستعتبين للناصر ومتطارحين
عليه فاكرم وفادتهم وانزلهم بالقصر الابلق وشملهم بالاحسان واعتب مهنا ورده على امارته
واقطاعه وذلك سنة سبع عشرة وحج هذه السنة ابنه عيسى واخوه محمد وجماعة من آل
فضل في اثني عشر الف راحلة ثم رجع مهنا الى ديدنه في مماراة التتر والاجلاب على الشام
واتصل ذلك منه فنقم السلطان عليه وسخط قومه اجمع وتقدم الى نواب الشام سنة
عشرين عند مرجعه من الحج بطرده آل فضل عن البلاد وادال منهم بآل علي عديلهم نسبهم
وولى منهم على احياء العرب محمد بن ابي بكر وصرف اقطاع مهنا وولده الى محمد وولده فاقام
مهنا على ذلك مدة ثم وفد سنة احدى وثلاثين مع ابن فضل من المؤيد صاحب حماة متوسلا
به ومتطارحا على السلطان فاقبل عليه ورد عليه اقطاعه وامارته وذكر لي بعض كبراء
الامراء بمصر ممن ادرك وفادته او حدث بها انه تجافى في هذه الوفادة عن قبول شيء من السلطان
حتى انه ساق عدة من النياق المحلوبة والعذاء بها وانه لم يغش باب احد من ارباب الدولة
ولا سال منهم شيئا من حاجاته ثم رجع الى احيائه وتوفي سنة اربع وثلاثين فولي ابنه مظفر
الدين موسى وتوفي سنة اثنتين واربعين عقب مهلك الناصر وولي مكانه اخوه سليمان
ثم هلك سليمان سنة ثلاث واربعين فولي مكانه شرف الدين عيسى بن عمه فضل بن عيسى
ثم توفي سنة اربع واربعين بالقريتين ودفن عند قبر خالد بن الوليد وولي مكانه اخوه
سيف بن فضل ثم عزله السلطان بمصر الكامل بن الناصر سنة ست واربعين وولي مكانه
احمد بن مهنا بن عيسى ثم جمع سيف بن فضل ولقيه فياض بن مهنا وانهزم سيف ثم
ولي السلطان حسن الناصر في دولته الاولى وهو في كفالة بيبغاروس احمد بن مهنا فسكنت
الفتنة بينهم ثم توفي سنة تسع واربعين فولي مكانه اخوه فياض وهلك سنة اثنتين
وستين فولي مكانه اخوه خيار بن مهنا ولاه حسن الناصر في دولته الثانية ثم انتقض
سنة خمس وستين واقام سنتين بالقفر عاصيا الى ان شفع فيه نايب حماة فاعيد
الى امارته ثم انتقض سنة سبعين فولى السلطان الاشرف مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن

عيسى

عيسى وجاء الى نواحي حلب واجتمع اليه بنو كلاب وغيرهم وعاثوا في البلاد وعلى حلب يومئذ قشتمر
المنصوري فبرز اليهم وانتهى الى مخيمهم واستاق نعمهم وتخطى الى الخيام فاستماتوا دونها
وهزموا عساكره وقتل قشتمر وابنه في المعركة فولى نعير قتله بيده وذهب الى القفر منتقضا
فولى الاشرف مكانه ابن عمه معيقل بن فضل بن عيسى ثم بعث معيقل حاجبه سنة احدى
وسبعين يستامن لخيار فامنه ثم وفد خيار بن مهنا سنة خمس وسبعين فرضي عنه
السلطان واعاده الى امارته ثم توفي سنة سبع وسبعين فولى اخوه قارة الى ان هلك
سنة احدى وثمانين فولى بعده معيقل ابن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن عيسى بن
مهنا شريكين في امارتهما ثم عزلا لسنتهما وولي نعير بن خيار بن مهنا واسمه محمد وهو
لهذا العهد امير على آل فضل وجميع احياء الحي بالشام والسلطان الظاهر لعهده يراجعه
متى سخطه محمد بن عمه قارا ثم اتصل انتقاضه على السلطان وخلافه وظاهر السلطان
على موالات محمد بن قارا له فسخطه وولى بمكانهما ابن عمهما موسى بن عساف بن مهنا فقام بامر العرب
وبقي نعير منتبذا بالقفر وعجز عن الميرة فتلاشت ابله واختلت احواله وهو على ذلك لهذا
العهد والله ولي الامور

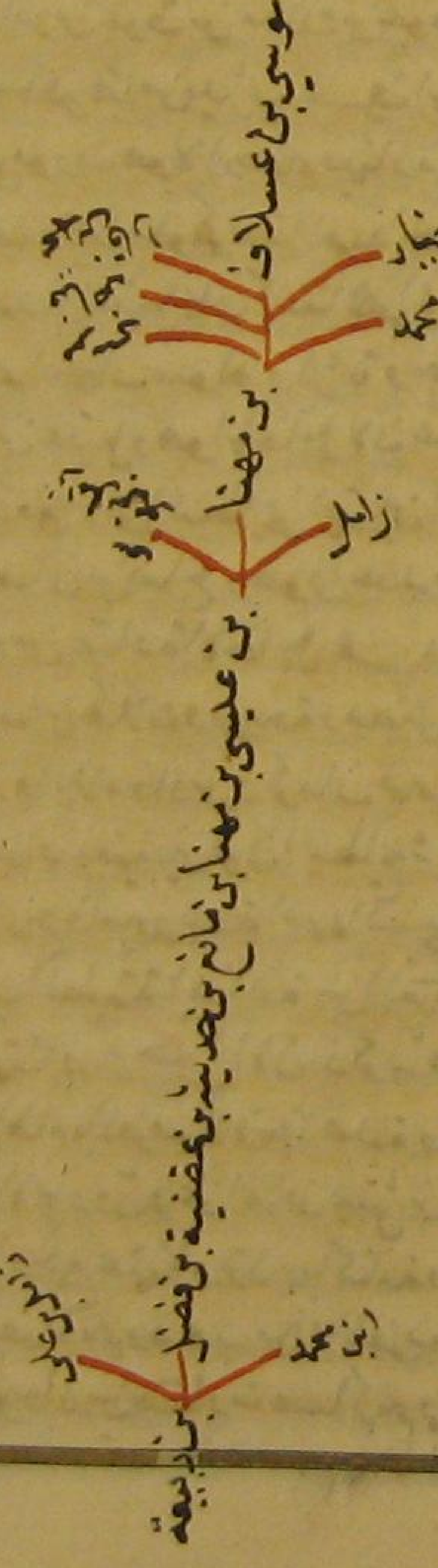

من بني بكر

ولنرجع الى شعوب هذه الطبقة فنقول كان بنو عامر بن صعصعة كلهم بنجد فبنو كلاب في حما ضرية والربذة من جهات المدينة وكعب بن ربيعة فيما بين تهامة المدينة وارض الشام وبنو هلال بن عامر في بساط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان ونمير بن عامر معهم وجشم محسوبون منهم من نجد وانتقلوا كلهم في الاسلام الى الجزيرة الفراتية فنزل نمير حران ونواحيها واقام بنو هلال بالشام الى ان ظعنوا الى المغرب كما نذكر في خبرهم وبقي منهم بقية بجبل بني هلال المشهور بهم الذي فيه قلعة صرخد واكثرهم اليوم يعانون الفلح وبنو كلاب بن ربيعة ملكوا ارض حلب ومدينتها كما ذكرناه وبنو كعب بن ربيعة دخلت الى الشام منهم قبائل عقيل وقشير والحريش وجعدة فانقرض الثلاثة في دولة الاسلام ولم يبق الا عقيل وذكر ابن خرداذبه ان عددهم يعني عدد جميع مضر فملك منهم الموصل بنو المقلد بعد بني حمدان وتغلب واستولوا عليها وعلى نواحيها وعلى حلب معها ثم انقرض ملكهم ورجعوا الى البادية وورثوا مواطن العرب في كل جهة ⁂ فمنهم بنو المنتفق بن عامر بن عقيل وكان بنو عامر بن عقيل في ارض تيماء من نجد وهم بجهات البصرة في الآجام التي بينها وبين الكوفة المعروفة بالبطائح والامارة منهم في بني معروف وبالمغرب من بني المنتفق احياء دخلوا مع هلال بن عامر يعرفون بالخلط وموطنهم بالمغرب الاقصى ما بين فاس ومراكش وقال الجرجاني ان بني المنتفق كلهم يعرفون بالخلط ويليهم في جنوب البصرة اخوتهم بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر وعوف اخو المنتفق قد غلبوا على البحرين وعمان وملكوها من يد ابي الحسين الاصغر من تغلب وكانت هذه المواطن للازد وبني تميم وعبد القيس فورث هولاء ارضهم فيها وديارهم قال ابن سعيد وملكوا ايضا ارض اليمامة من بني كلاب وكان ملوكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة بنو عصفور وكان من بني عقيل خفاجة بن عمرو بن عقيل كان انتقالهم الى العراق فاقاموا به وملكوا ضواحيه وكانت لهم مقامات وذكر وهم اصحاب صولة وكثرة وهم الان ما بين دجلة والفرات ومن عقيل هولاء بنو عبادة بن عقيل وهو الاخابل لان عبادة كان يعرف بالاخيل وهم لهذا العهد بالعراق مع بني المنتفق وفي البطائح التي بين البصرة والكوفة وواسط والامارة فيهم على ما بلغنا لرجل اسمه حسان بن صالح وهو في عدد ومنعة ولا ادري من هو من بني معروف امرا البطائح بني المنتفق او من عبادة الاخابل هذه احوال بني عامر بن صعصعة واستيلايهم على مواطن العرب من هلال وربيعة ومضر فاما بنو هلال فلم يبق لهم احياء فيما نسمع واما ربيعة فاجازوا الى بلاد فارس وكرمان فهم ينتجعون هنالك ما بين كرمان وخراسان وبقيت منهم بالعراق بقية ينزلون البطائح وانتسب الى الكوفة منهم بنو صباح ومنهم لفائف من الاوس والخزرج فامير ربيعة اسمه الشيخ ولي وعلى الاوس والخزرج طاهر ابن حصر منهم هذه شعوب الطبقة الثالثة من العرب لهذا العهد في ديار المشرق بما ادى اليه الامكان والاجتهاد ونحن الان نذكر شعوبهم الذين انتقلوا الى المغرب فان امة العرب لم يكن لهم قط المام بالمغرب لا في جاهلية ولا في اسلام لان امة البربر الذين كانوا به كانوا يمانعون عنه الامم وقد غزاه افريقش بن صيفي الذي سميت به افريقية من ملوك التبابعة وملكها ثم رجع عنها وترك بها كتامة وصنهاجة من قبائل حمير فاستحالت صبغتهم الى البربر واندرجوا في عدادهم وذهب ملك العرب منها ثم جاءت الملة الاسلامية وظهر العرب على سائر الامم بظهور الدين فسارت عساكرهم في المغرب وافتتحوا سائر امصاره ⁂

ومدنه

ومدنه وعانوا من حروب البربر شدة وقد تقدم لنا ما ذكره ابن ابي زيد من انهم ارتدوا اثنتي عشرة مرة ثم رسخ فيهم الاسلام ولم يسكنوا في جهاته بالخيام ولا نزلوا احياء لان الملك حصل لهم يمنعهم من سكنى الضاحية ويعدلهم الى المدن والامصار فلهذا قلنا ان العرب لم يوطنوا بلاد المغرب ثم انهم دخلوا اليه في منتصف المائة الخامسة واوطنوه وافترقوا باحيائهم وحللهم في جهاته كما نذكره الان ونستوعب اسبابه

حية

الخبر عن دخول العرب من بني هلال وسليم المغرب من الطبقة الرابعة واخبارهم هنالك

كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية وكانوا احياء ناجعة بمجالاتهم من قفر الحجاز بنجد فبنو سليم مما يلي المدينة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف وربما كانوا يطرقون في رحلة الشتاء والصيف اطراف العراق والشام فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق وربما اغار بنو سليم على الحاج ايام الموسم بمكة وايام الزيارة بالمدينة وما زالت البعوث تجهز والكتائب تكتب من باب الخلافة ببغداد للايقاع بهم وصون الحاج عن معرة هجومهم ثم تحيز بنو سليم والكثير من ربيعة بن عامر الى القرامطة عند ظهورهم وصاروا جندا لهم بالبحرين وعمان ولما تغلب الشيعة بنو عبيد الله المهدي على مصر والشام وكان القرامطة قد تغلبوا على امصار الشام فانتزعها العزيز منهم وغلبهم عليها وردهم على اعقابهم الى قرارهم بالبحرين ونقل اشياعهم من العرب من بني هلال وسليم فانزلهم بالصعيد وفي العدوة الشرقية من بحر النيل فاقاموا هنالك وكان لهم اضرار بالبلاد ولما انساق ملك صنهاجة بالقيروان الى المعز بن باديس بن المنصور سنة ثمان واربعمائة وقلده الظاهر لدين الله علي بن الحاكم بامر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد امر افريقية على عادة ابائه كما نذكر ذلك بعد وكان لعهده لابنه غلاما يفعة ابن ثماني سنين فلم يكن مجربا للامور ولا بصيرا بالسياسة وكانت فيه عزة وانفة ثم هلك الظاهر سنة سبع وعشرين وولي ابنه المستنصر بالله معد الطويل امد الخلافة بما لم يبلغه احد من خلفاء الاسلام يقال ولي خمسا وسبعين وقيل خمسا وستين والصحيح ثلاث وستون لان مهلكه كان على راس المائة الخامسة وكان في المعز بن باديس صاغية الى مذاهب اهل السنة وربما كانت شواهدها تظهر عليه وكبا به فرسه لاول ولايته في بعض مذاهبه فنادى مستغيثا بالشيخين ابي بكر وعمر وسمعته العامة فثاروا بالرافضة وقتلوهم واعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الايمان وقطعوا من الاذان حي على خير العمل واغضى عنه الظاهر عند ذلك وابنه معد المستنصر من بعده واعتذر بالعامة فقبل واستمر على اقامة الدعوة والمهاداة وهو في اثناء ذلك يكاتب وزيرهما وصاحب دولتهما المضطلع باموره ابا القاسم احمد بن علي الجرجاني ويستميله ويعرض ببني عبيد وشيعتهم وكان الجرجاني يلقب بالاقطع بما كان قطعه الحاكم لجناية ظهرت عليه في الاعمال وانهضته السيدة بنت الملك عمة المستنصر فلما قامت استبد بالدولة سنة اربع عشرة واربعمائة الى ان هلك سنة ست وثلاثين وولي الوزارة بعده ابو محمد الحسن ابن علي اليازوري اصله من قرى فلسطين وكان ابوه فلاحا بها فلما ولي الوزارة خاطبه اهل

ع

الجهات ولم يمولوه نانف من ذلك وعظم عليه وعتب ثمال بن صالح صاحب حلب والمعز بن باديس صاحب
افريقية فاخرنوا عنه وحلف المعز لينقض طاعتهم وليحولن الدعوة الى بني عباس ويمحون اسم
بني عبيد ولج في ذلك وقطع اسماءهم من الطرز والرايات وبايع للقايم ابي جعفر بن القادر من من منابره
خلفاء بني العباس وخاطبه ودعا له على منابره سنة سبع وثلاثين وبعث بالبيعة الى بغداد
ووصله ابو الفضل البغدادي رسولا من الخليفة بالتقليد والخلع وقرا كتابه بجامع
القيروان ونشرت الرايات السود وهدمت دار الاسماعيلية وبلغ الخبر الى المستنصر بعد
الخليفة بالقاهرة والى الشيعة الرافضة من كتامة وصنايع الدولة فوجموا وطلع عليهم
المقيم المقعد من ذلك وارتبكوا في امرهم وكان احياء هلال هؤلاء الاحياء من جشم والاثبج
وزغبة ورياح وربيعة وعدي في محلاتهم بالصعيد كما قدمناه وقد عم ضررهم واحرق
البلاد والدولة شررهم فاشار الوزير ابو محمد الحسن بن علي البازوري باصطناعهم واستقدام
مشايخهم وتوليتهم اعمال افريقية وتقليدهم امرها ودفعهم الى حرب صنهاجة ليكونوا عتبة
نصح للشيعة وسيف دفاع عن الدولة فان صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا
اولياء للدعوة وعمالا بتلك القاصية وارتفع عدوانهم من ساحة الخلافة وان كانت الاخرى
فلها ما بعدها وامر العرب البادية اسهل من امر صنهاجة الملوك فتقبلوا رايه وشكروا هدايته
وقيل ان الذي اشار بذلك وفعله وادخل العرب الى افريقية انما هو ابو القاسم الجرجاني
وليس ذلك بصحيح فبعث المستنصر وزيره عن هؤلاء الاحياء سنة احدى واربعين وارضخ
لامرائهم في العطاء ووصل عامتهم بفرو ودينار لكل واحد واباح لهم اجازة النيل وقال
لهم قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الابق لا تفتقرون ابدا وكتب
البازوري الى المعز اما بعد فقد انفذنا اليكم خيولا فحولا وارسلنا عليها رجالا
كهولا ليقضي الله امرا كان مفعولا فطمعت العرب اذ ذاك واجازوا النيل الى برقة وانتحوا
امصارها واستباحوها وكتبوا لاخوانهم شرقي النيل يرغبونهم في البلاد فاجازوا اليهم
بعد ان اعطوا دينارا بن على كل راس فاخذ منهم اضعاف ما اخذوه وتقارعوا على البلاد
فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب وخربوا المدينة الحمراء واجدابية واسمرا وسرت
واقامت هيب من سليم واحلافها رواحة وناصرة وعميرة بارض برقة وقبايل دباب وعوف
وزغب وجميع بطون هلال الى افريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشي الا اتوا عليه حتى
وصلوا الى افريقية سنة ثلاث واربعين وكان اول من وصل منهم امير رياح مونس بن يحيى
الصنبري واستماله المعز واستدعاه واستخلصه لنفسه واصهر اليه وفاوضه في
استدعاء العرب من قاصية وطنه للاستغلاظ على خوارج بني عمه بالثغر الغربي وابا
عليه فاستدعاهم فعاثوا في البلاد واظهروا الفساد في الارض ونادوا بشعار الخليفة
المستنصر وسرح اليهم العساكر من صنهاجة والاولياء فاوقعوا بها فتحفظ المعز لكبره
واستشاط لغضبه وتقبض على اخي مونس وعسكر بظاهر القيروان وبعث بالصريخ الى ابن
عمه صاحب القلعة القايد بن حماد بن بلكين فبعث اليه كتيبة من الف فارس سرحهم اليه
واستنفروا من زناتة فوصل اليه المستنصر بن خزرون المغراوي في الف فارس من قومه
وكان بالبدو من افريقية مع الناجعة من زناتة وهو من اعظم ساداتهم واوغل المعز في
اوليائه الثغور ومن لف لفهم من الاتباع والحشم والاولياء ومن في ايالتهم من رفاعة عرب الفتح

وحشد

وحشد زناتة والبربر وصمد نحوهم في امم لا تحصى فاهز عددهم فيما يذكر ثلاثين الفا وكانت
رياح وزغبة وعدي بحيدران من جهة قابس ولما تزاحف الفريقان انخزل عنه عرب
الفتح وتحيزوا الى الهلاليين للعصبية القديمة وخانته زناتة وصنهاجة وكانت الهزيمة
على المعز وفر بنفسه وخاصته الى القيروان وانتهب العرب جميع مخلفه من المال والمتاع
والذخيرة والفساطيط والرايات وقتلوا فيها من البشر ما لا يحصى وقال ان القتلى
من صنهاجة بلغوا ثلاثة الاف وثلاثماية وفي ذلك يقول علي بن رزق الرياحي كلمته ويقال
انها لابن شداد واولها

لقد زار وهنا من اميم خيال   وايدي المطايا بالذميل عجال
وان ابن باديس لافضل مالك   لعمري ولكن ما لديه رجال
ثلاثون الفا منهم هزمتهم ثلاثة   الاف منا وذاك ضلال

ثم نازلوه بالقيروان وطال عليه امد الحصار وهلكت الضواحي والقرى بافساد العرب
وعيثهم وانتقام السلطان منهم بانتهابهم في ولاية العرب ولجا الناس الى القيروان وكثر
النهب واشتد الحصار وفر اهل القيروان الى تونس وسوسة وعم النهب والعيث بلاد افريقية
ودخلت بلاد الاربس وابة سنة خمس واربعين واحاطت زغبة ورياح بالقيروان ونزل
مونس قريبا من ساحة البلد وفر القرابة والاعياص من الزيريين ولاهم مونس قابس وغيرها
ثم ملكوا البلاد قسنطينية كلها وغزا عابد بن ابي الغيث منهم زناتة ومغراوة فاستباحهم
ورجع واقتسمت العرب بلاد افريقية سنة ست واربعين فكان لزغبة طرابلس وما يليها
ولمرداس من رياح باجة وما يليها ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من قابس الى الغرب
وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والاثبج وشداد والخلط وسفيان وتصرم الملك
من يد المعز وتغلب عابد بن ابي الغيث على مدينة تونس وسباها وملك ابو مسعود من
شيوخهم بونة صلحا وعامل المعز على خلاص نفسه وصاهر ببناته ثلاثة من امراء العرب
فارس بن ابي الغيث واخاه عابدا والفضل بن ابي علي المرداسي وقدم ابنه تميما الى المهدية
سنة ثمان واربعين ولسنة تسع بعدها بعث الى اصهاره من العرب وتذمم بهم ولحق بالقيروان وان
واتبعوه فركب البحر من الساحل واصبح اهل القيروان فاخبرهم ابنه المنصور بخبر ابيه فساروا
الى باسودان والمنصور وجا العرب فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخربوا بوا
المباني وعاثوا في مساكنها وطمسوا من الحسن والرونق معالمها واستصفوا ما كان لال بلكين
في قصورها وشملوا بالعيث والنهب ساير من فيها وتفرق اهلها في الاقطار فعظمت الرزية
وانتشر الداء واعضل الخطب ثم ارتحلوا الى المهدية فنازلوها وضيقوا عليها بمنع المرافق
وافساد السابلة ثم حاربوا زناتة من بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحي واتصلت الفتنة
بينهم واغزاهم صاحب تلمسان من اعقاب محمد بن خزر جيوشه مع وزيره ابي سعدى خليفة
اليفرني فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة واضطرب امر افريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلها
وكانت رياسة الضواعن من زناتة والبربر لبني يفرن ومغراوة وبني ومانو وبني يلومان ولم
يزل هذا داب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحي افريقية والزاب وغلبوا
عليها صنهاجة وقهروا من بها من البربر واصاروهم عبيدا وخولا للجباية وكان في هولاء
العرب لعهد دخولهم افريقية رجالات مذكورون وكان من اشرهم حسن بن سرحان واخوه

بدر بن سرحان وفضل بن ناهض وينسبون هولاء في زيد من الاثبج وشبانة بن الاحيمر واخوه صليصل وينسبونهم في بني عطية بن كرفة وذياب بن غانم وينسبونه في بني ثور ومونس بن يحيى وينسبونه في مرداس ويعنون مرداس رياح لا مرداس سليم فاحذر من الغلط في هذا وهو من بني صنبر بطن من بطون مرداس رياح وزيد بن زيدان وينسبونه في الضحاك ومليحان بن عابس وينسبونه في حمير وزيد العجاج بن فاضل ويزعمون انه مات بالحجاز قبيل دخولهم الى افريقية وفارس بن ابي الغيث وعابد اخوه والفضل بن ابي علي وينسبهم اهل الاخبار منهم في مرداس والمعنى مرداس رياح كل هولاء مذكورون في اشعارهم ۵ وكان ذياب بن غانم رايدهم في دخولهم افريقية ويسمونه لذلك ابا مخيبر وشعوبهم لهذا العهد كما قلناه زغبة ورياح والاثبج وقرة وكلهم من هلال بن عامر وجاء ذكر فيهم بنو عدي ولم نقف على اخبارهم وليس لهم لهذا العهد حي معروف فلعلهم دثروا وتلاشوا وافترقوا في القبايل وكذلك ذكر فيهم ربيعة ولم نعرفهم لهذا العهد الا ان يكونوا هم المعقل كما تراه في نسبهم وكان فيهم من غير هلال كثير من فزارة واشجع من بطون غطفان وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول بن مرة بن صعصعة بن معاوية والمعقل من بطون اليمنية وعنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار وبني ثور بن معاوية بن عبادة بن ربيعة البكا بن عامر بن صعصعة وعدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان وطرود بطن من فهم بن قيس الا انهم كلهم مندرجون في هلال وفي الاثبج منهم خصوصا لان الرياسة كانت عند دخولهم للاثبج من هلال وانتحلوا فيهم وصاروا مندرجين في جملتهم وفرقة من هولاء الهلاليين لم يكونوا من الذين اجازوا النيل لعهد اليازوري او الجرجرائي وانما كانوا من قبل ذلك ببرقة ايام الحاكم العبيدي ولهم فيها اخبار ومع الصنهاجيين ببرقة والسيفة بمصر خطوب ونسبهم الى بني عبد مناف بن هلال كما ذكر شاعرهم في قوله

طلبنا القرى منهم وجدناه عندهم ۵ بلا عيب من عرب سحاح جدودها ۵
وبن عن ذا نزه مناف ونسبها ۵ طرادكه انا نخنى ما لا بلودها ۵
مانت ثلاثة الاف قرة ومن بقا ۵ مجرحة ضانة اوى كنودها ۵
ايا رب خير الخلق من نابح البلا ۵ الا القبيل الخارسا لا يحيرها ۵
وخص بها قرة مناف ونسبها ۵ دايما لارباب البوادي نسيرها ۵

فذكر نسبهم في مناف وليس في هلال مناف هكذا امنفرد انما هو مناف والله اعلم وكان شيخهم ايام الحاكم مختار بن القاسم ولما بعث الحاكم يحيى بن علي الاندلسي لصريخ فلفول بن سعيد بن خزرون بطرابلس على صنهاجة كما ذكر في اخبار بني خزرون اوعز اليهم بالمسير معه فوصلوا الى طرابلس وجروا الهزيمة على يحيى بن علي ورجعوا الى برقة وبعث عنهم فامتنعوا ثم بعث لهم بالامان ووصل وفدهم الى الاسكندرية فقتلوا عن اخرهم سنة اربع وتسعين وثلاثماية وكان عندهم معلم للقران اسمه الوليد بن هشام ينتسب الى المغيرة بن عبد الرحمن من بني امية وكان يزعم ان لديه اثارة من علم في اختيار ملك ابايه وتبع ذلك منه البرابرة من مزاتة وزناتة ولواتة وعقدوا لبيعته فنصبه بنو قرة وبايعوه بالخلافة سنة خمس وتسعين وتغلبوا على مدينة برقة وزحف اليهم جيوش الحاكم فهزموها وقتل الوليد بن هشام قايدها من الترك ثم زحفوا به الى مصر فانهزموا ولحق

الوليد بارض النجا بلاد السودان ثم اخفرت ذمته وسيق الى مصر وقتل وهدرت لبني قرة ۵ جناياتهم هذه وعفا عنهم ولما كان سنة ثنتين واربعماية اعترضوا هدية باديس بن المنصور ملك صنهاجة من افريقية الى مصر فاخذوها وزحفوا الى برقة فتغلبوا العامل عليها وفر في البحر واستولوا على برقة ولم يزل هذا شانهم ببرقة فلما رحف اخوانهم الهلاليون من زغبة ورياح والاثبج واتباعهم الى افريقية كانوا فيمن زحف معهم وكان من شيوخهم ماضي بن مقرب المذكور في اخبار هلال ولهولاء الهلاليين في الحكاية عن دخولهم الى افريقية طرق في الخبر غريبة يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ويسمونه شكر ابن ابي الفتوح وانه اصهر الى حسن بن سرحان في اخته الجازية فانكحه اباها وولدت منه ولدا اسمه محمد وانه حدث بينهم وبين الشريف معاضبة وفتنة واجمعوا الرحلة عن نجد الى افريقية وتحيلوا عليه في استرجاع هذه الجازية فطلبته في زيارة قومها فازارها اياهم وخرج بها الى حللهم فارتحلوا به وبها وكتموا رحلتها عنه وموهوا عليه بانهم يباكرون به للصيد والقنص ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها فلا يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه وصار الى حيث لا يملك امرها عليهم ففارقوه فرجع الى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل وانها من بعد ذلك كلفت به مثل كلفه الى ان ماتت من حبه ويتناقلون من اخبارها في ذلك ما يعفي على خبر قيس وكثير ويروون كثيرا من اشعارهم محكمة المباني متفقة الاطراف وفيها المطبوع والمنتحل المصنوع لم يفقد فيها من البلاغة شي وانما اخلوا فيها بالاعراب فقط ولا مدخل له في البلاغة كما قررناه لك في الكتاب الاول من كتابنا هذا الا ان الخاصة من اهل العلم يزهدون في روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل الاعراب ويحسبون ان الاعراب هو اصل البلاغة وليس كذلك وفي هذه الاشعار كثير دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بايامهم ووقايعهم مع زناتة وحروبهم وضبط لاسماء رجالاتهم وكثير من احوالهم لكنا لا نثق بروايتها وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها ويتهمه وهذا اقصارى الامر فيه وهم متفقون على الخبر عن حال هذه الجازية والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل ويكاد القادح فيها والمستريب لامرها ان يرمى عندهم بالجنون والخبل المفرط لتواترها بينهم وهذا الشريف الذي يشيرون اليه هو من الهواشم وهو شكر بن ابي الفتوح الحسن بن جعفر بن ابي هاشم محمد بن موسى بن عبد الله ابي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن ادريس وابن ابو الفتوح هو الذي خطب لنفسه بمكة ايام الحاكم العبيدي وبايع له بنو الجراح امير طي بالشام وبعثوا عنه فوصل الى احيائهم وبايع له كافة العرب ثم غلبتهم عساكر الحاكم ورجع الى مكة وهلك سنة ثلاثين واربعماية وولي بعده ابنه شكر هذا وهلك سنة ثلاث وخمسين وولي ابنه محمد الذي يزعم هولاء الهلاليون انه من الجازية هذه وفي مر ذلك كله في اخبار العلوية هكذا انسبه بن حزم وقال ابن سعيد هو من السليمانيين من ولد محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسن السبط الذي بايع له ابو السرايا الشيباني بعد بن طباطبا ويسمى الناهض ولحق بالمدينة فاستولى على الحجاز واستقرت امارة مكة في بنيه الى ان غلبهم عليها هولاء الهواشم وما ذكره بن حزم اصح لانهم جميعا يقولون في الشريف ابن هاشم يميزونه بذلك عن ساير الشرفا ولا يصح ذلك الا ان يكون هاشم او ابو هاشم

حد اقرب من الحسن والحسين واما هاشم الاعلى فمشترك بين سائر الشرفا فلا يكون مميزا لبعض عن
بعض واخبرني من اثق به من الهلاليين لهذا العهد انه وقف على بلاد الشريف شكر وانها بقعا
من ارض نجد مما يلي الفرات وان ولده بها لهذا العهد والله اعلم ومن بقية زعمهم ان الجازية لما
صارت الى افريقية عقد لرجالاتهم وفارقت الشريف خلفه عليها منهم ماضي بن مقرب من
دريد وكان المستنصر لما بعثهم الى افريقية عقد لرجالاتهم على امصارها وثغورها وقلدهم
اعمالها وعقد لمونس بن يحيى المرداسي على القيروان وباجة وعقد لزغبة على طرابلس وقابس
وعقد لحسن بن سرحان على قسنطينة فلما غلبوا صنهاجة على الامصار وملك كل ما عقد له
سيموا الرعايا بالامصار عسفهم وعيثهم باختلاف الايدي اذ الوازع مفقود بين اهل هذا
الجيل العربي منذ كانوا فثاروا بهم واخرجوهم من الامصار وصاروا الى ملك الضواحي والتغلب
عليها وسوم الرعايا بالخسف في النهب والعيث واقتسام السابلة هكذا الى هلم ولما تغلبوا
على صنهاجة اجتمعت زناتة مدافعتهم بما كانوا املك للبأس والنجدة بالبداوة فحاربوهم
وزحفوا اليهم من افريقية والمغرب الاوسط وجهز صاحب تلمسان من بني خزر قائدهم
اباسعدي اليفرني فكانت بينه وبينهم حروب الى ان قتلوه بنواحي الزاب وتغلبوا على
الضواحي في كل وجه وعجزت زناتة عن مدافعتهم بافريقية والزاب وصار الحجر بينهم
في الضواحي جبل راشد ومصاب من بلاد المغرب الاوسط فلما استقر لهم الغلب وضعت الحرب
اوزارها وصالحهم الصنهاجيون على خطة خسف في انفرادهم بملك الضواحي دونهم
وصاروا الى التضريب بينهم وظاهروا الاثبج على رياح وزغبة وحشد الناصر بن علناس
صاحب القلعة لمظاهرتهم وجمع زناتة وكان فيهم المعز بن زيري صاحب فاس من مغراوة
ونزلوا الاربس جميعا ولقيتهم رياح وزغبة بسبيبة ومكر المعز بن زيري المغراوي
بالناصر وصنهاجة بدسيسة زعموا من تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان فجر
عليهم الهزيمة واستباحت العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه وقتل اخوه القاسم
ونجا الى قسنطينة ورياح في اتباعه ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا جنباتها واحطموا
عروشها وعاجوا على ما هنالك من الامصار مثل طبنة والمسيلة وازعجوا ساكنها
وعطفوا على المنازل والقرى والضياع فتركوها قاعا صفصفا اقفر من بلاد الجن واوحش
من جوف العير وغوروا المياه واحتطبوا الشجر واظهروا في الارض الفساد وهجروا ملوك
افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة امرهم في الامصار وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون
جوانبهم ويقعدون لهم بالمراصد وياخذون منهم الاتاوة على التصرف في اوطانهم ولم
يزل هذا دابهم حتى انه هجر الناصر بن علناس سكنى القلعة واختط بالساحل مدينة بجاية
ونقل اليها ذخيرته واعدها لنزله ونزلها المنصور ابنه من بعده فرارا من ضيم هذا الجيل
وفسادهم بالضواحي الى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلهم واستقروا بها بعد
وتركوا القلعة وكانوا يختصون الاثبج من هولاء الاحياء بالرياسة سائر ايامهم ثم افترق
جمع الاثبج وذهبت بذهاب صنهاجة دولتهم ولما غلب الموحدون سائر الدول بالمغرب
في سنة احدى واربعين وخمسمائة وزحف شيخ الموحدين عبد المومن الى افريقية ومر عليه
بالجزائر اميران منهم لذلك العهد ابو الجليل بن شاكر امير الاثبج وحابس من رجالات جشم فلقياه
بالمرة وعقد لهما على قومهما ومضى لوجهه وفتح بجاية سنة سبع وخمسين ثم انتقض العرب

الهلاليون

الهلاليون واعصوصبوا على دعوة صنهاجة وكان امير رياح فيهم محرز بن زياد بن فادع احد
بطون بني علي بن رياح فلقيتهم جيوش الموحدين بسطيف وعليهم عبد الله بن عبد المومن فثبتوا قعوا
ثلاثا عقلوا فيها رواحلهم واثبتوا في مستنقع الموت اقدامهم ثم انفضوا في الرابعة وجمعهم
واستلحمهم الموحدون وغنموا اموالهم واسروا رجالهم وسبوا النساء ثم اتبعوا ادبارهم
الى قفصة لتبسة ثم راجعوا من بعد ذلك بصائرهم واستكانوا لعز الموحدين وغلبهم ودخلوا
في دعوتهم وتمسكوا بطاعتهم واطلق عبد المومن اسراهم ولم يزالوا على استقامتهم وكان
الموحدون يستنفرونهم في جهادهم بالاندلس وربما بعثوا اليهم في ذلك المخاطبات الشعرية
فاجازوا امر عبد المومن ويوسف ابنه كما هو في اخباره ولم يزالوا على استقامتهم الى ان
خرج على الدولة بنو غانية المسوفيون امراء ميورقة اجازوا البحر في اساطيلهم الى بجاية
فكبسوها سنة احدى وثمانين وخمسمائة لاول دولة المنصور وكشفوا القناع في نقض طاعة
الموحدين ودعوا العرب لمعاونتهم الى اذيالها وكانت قبائل جشم ورياح وجمهور الاثبج من هولاء
الهلاليين اسرع اجابة اليها ولما تحركت جيوش الموحدين الى افريقية لكف عدوانهم غيرت
قبائل زغبة اليهم وكانوا في جملتهم ولحق بنو غانية بقابس ومعهم كافة جشم ورياح ولحق بهم
من قومهم بني مسوفة واخوانهم لمتونة من اطراف القفار واستمسكوا بالدعوة العباسية التي
كان امراؤهم بنو تاشفين بالمغرب يتمسكون بها فاقاموها فيمن اليهم من القبائل والعمالات
ونزلوا بقابس وطلبوا من الخليفة ببغداد المستنصر تجديد العهد لهم بذلك واوفدوا
عليه كاتبهم عبد البر بن فرسان فعقد لابن غانية واذن له في حرب الموحدين واجتمعت
اليه قبائل سليم بن منصور وكانوا جاءوا على اثر الهلاليين عند اجازتهم الى افريقية
وظاهروه على امره ذلك قراقوش الارمني ونذكر اخباره في اخبار الموحدين فاجتمع لعلي بن غانية
من الد والعرب والغز عساكر جمة وغلب على الضواحي وافتتح بلاد الجريد وملك قفصة
وتوزر ونفطة ونهض اليه المنصور من مراكش بعساكر المغرب من زناتة والمصامدة وزغبة
من الهلاليين وجمهور الاثبج فاوقعوا بمقدمته بغمرة من جهات قفصة ثم زحف اليهم
من تونس فكانت له الكرة واجتاحوا عامتهم واتبع آثارهم الى ان شردهم الى صحارى برقة وانتزع
بلاد قسطيلة وقابس وقفصة من ايديهم وراجعت قبائل جشم ورياح من الهلاليين
طاعته ولاذوا بدعوته فنقلهم الى المغرب الاقصى وانزل جشم ببلاد تامسنا ورياحا
ببلاد الهبط وازغار مما يلي سواحل طنجة الى سلا وكانت تخوم بلاد زناتة منذ غلبهم الهلاليون
على افريقية وضواحيها ارض مصاب ما بين صحراء افريقية وصحراء المغرب الاوسط وبها قصور
اتخذوها فسميت باسم من ولي خطتها من شعوبهم وكان بنو بادين من زناتة وهم بنو عبد
الواد وتوجين ومصاب وبنو زردال وبنو راشد شيعة الموحدين منذ اول دولتهم فكانوا
اقرب اليهم من اقتالهم بني مرين وانظارهم كما ياتي بعد وكانوا يتولون من ارياف المغرب الاوسط
وتلوله ما ليس يليه احد من زناتة ويعوسون خلاله في رحلة الصيف بما لم يوذن لاحد من
سواهم في مثله حتى كانهم من جملة عساكر الموحدين وحاشيتهم وامرهم اذ ذاك راجع الى صاحب
تلمسان من سادة القرابة ونزل هذا الحي من زغبة مع بني بادين هولاء لما اعتزلوا
اخوانهم الهلاليين وتحيزوا الى فيئتهم وصاروا جميعا قبلة المغرب الاوسط من مصاب الى
جبل راشد بعد ان كانت قسمتهم الاولى بقابس وطرابلس وكانت لهم حروب مع اولاد خزرون

اصحاب طرابلس وقتلوا سعيد بن خزرون فصاروا الى هذا الوطن الآخر لفتنة بن غانية ه
واخرجهم عنه الى الموحدين وانعقد ما بينهم وبين بني يامن حلف على الجوار والذب عن
الاوطان وحمايتها من معرة العدو في اهتبال غرتها وانتهاز الفرصة فيها فتعاقدوا
على ذلك واحتفروا واقامت زغبة في القفار وبني بادين بالتلول والضواحي ثم فر
مسعود بن سلطان بن زمام امير الرياحيين من بلاد الهبط ولحق بطرابلس ونزل على زغب
وذباب من قبائل بني سليم ووصل الى قراقش برياح وحضر معه طرابلس حين افتتحها وهلك
هنالك وقام بامره في قومه ابنه محمد ولما استبد ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص بولايته
زحف الى الميورقي ولقيه بالحمة فهزمه وقتل الكثير من قومه واسرت طائفة من قوم محمد
ابن مسعود منهم ابنه عبد الله وابن عمه حركات بن ابي الشيخ بن عساكر بن سلطان وشيخ من
شيوخ قرة فضربت اعناقهم وفر يحيى بن غانية الى مسقطه من الصحراء واستمرت على ذلك
احوال هذه القبائل من هلال وسليم واتباعها ونحن الان نذكر اخبارهم ومصاير امورهم ونعددهم
فرقة فرقة ونخص منهم بالذكر من كان لهذا العهد بحيه وناجعته ونطوي ذكر من انقرض
منهم ونبدا بذكر الاثبج لتقدم رياستهم ايام صنهاجة كما ذكرناه ثم نقفي بذكر جشم لانهم
معدودون منهم ثم نذكر رياحا وزغبة ثم المعقل لانهم من عداد هلال ثم ناتي بعدهم
بذكر سليم لانهم جاءوا من بعدهم والله الخلاق العليم

الخبر عن الاثبج وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

كان هؤلاء الاثبج من الهلاليين اوفر عددا واكثر بطونا وكان التقدم لهم في جملتهم
وكان منهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم ولطيف ودريد وبرقة وغيرهم حسبما
يظهر في نسبهم وفي دريد بطنان توبة وعنز ويقولون بزعمهم ان اثبج هو ابن ابي
ربيعة بن نهيك بن هلال وكرفة هو ابن اثبج وكان لهم جمع وقوة وكانوا احياء عزيزة
من جملة الهلاليين الداخلين لافريقية وكانت مواطنهم جبال جبل اوراس من شرقيه
ولما استقر امر الاثبج بافريقية على غلب صنهاجة على الضواحي وقعت الفتنة بينهم
وذلك ان حسن بن سرحان وهو من دريد قتل شبانة بن الاحيمر من كرفة غيلة فنطوت
طرفة له على الثار ثم ان اخته الجازية غاضبت زوجها ماضي بن مقرب بن قرة ولحقت
باخيها فمنعها منه فاجتمعت قرة وكرفة على فتنة حسن وقومه وظاهرهم عياض ولم
تزل الفتنة الى ان قتل حسن بن سرحان قتله اولاد شبانة وثاروا منه بابيهم ثم
كان الغلب بعد لدريد على كرفة وعياض وقرة واستمرت الفتنة بين هؤلاء الاثابج
وافترق امرهم وجاءت دولة الموحدين وهم على ذلك الشتات والفتنة وكانت لبطونهم
ولاية لصنهاجة فلما ملك الموحدون افريقية نقلوا منهم الى المغرب العاصم ومقدم
وقرة وتوابع لهم من جشم وانزلوا جميعهم بالمغرب كما نذكر واعتزت بعدهم رياح بافريقية
وملكوا ضواحي قسنطينة ورجع اليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب فاعتز
الدواودة على الامراء والدول وساء اثرهم فيها وغلبوا بقايا الاثابج فتنزلوا قرى

الزاب وقعدوا عن الظعن واوطنوا بالقرى والاطام ولما استبد بنو ابي حفص للعهد
للدولة كما يأتي في اخبارهم واستجاشوا عليهم بني سليم وانزلوهم القيروان اصطنعوا
كرفة من بطون هؤلاء الاثابج فكانوا حربا لرياح وشيعة للسلطان واقطعتهم الدولة
لذلك جباية الجانب الشرقي من جبل اوراس وكثيرا من بلاد الزاب الشرقية حيث كانت
سهام الاثبج الشتوية حتى اذا استقل ربح الدولة واخذ في تجديدها واعتزت رياح عليها
وملكوا المجالات على من يظعن فيها انزلت كرفة هؤلاء بجبل اوراس حيث اقطاعاتهم
وسكنوه حللا متفرقة واتخذوه وطنا وربما يظعن بعضهم الى تخوم الزاب كما نذكر
عن بطونهم وهم بطون كثيرة فاولهم بنو محمد بن كرفة والمراونة بنو كثير بن مروان
من بطن بن كرفة وهؤلاء ظواعن بادية في القفار تحت الحرجات وهم اولاد كليب بن غطفة
ابن قضى بن كرفة ويعرفون بالكلبية واولاد شبيب بن محمد بن كليب ويعرفون بالشبيبة
واولاد صبيح بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالصبح واولاد سرحان بن فاضل ايضا
ويعرفون بالسرحية هؤلاء هم الحرجات وهم موطنون بجبل اوراس مما يلي زاب تهودا ثم
اولاد نابت بن فاضل وهم اهل الرياسة في كرفة ولهم اقطاعات السلطان التي ذكرناها
وهم ثلاثة افخاذ اولاد مساعد واولاد ظافر واولاد قطيفة والرياسة اخص باولاد
مساعد في اولاد علي بن جابر بن مفتاح بن مساعد بن نابت واما بنو محمد والمراونة فهم
ظواعن جابلة في القفار تلقاء مواطن اولاد نابت ويحتالون الحبوب لاقواتهم من زروع
اهل الجبل واولاد نابت وربما يستعملهم صاحب الزاب في تصاريف امره من عسكره او اخفار
عير او غير ذلك من اغراضه واما دريد فكانوا اعز الاثبج واعلاهم كعبا بما كانت الرياسة
على الاثبج كلهم عند دخولهم الى افريقية لحسن بن سرحان بن وبرة احدى بطونهم وكانت
مواطنهم ما بين بلد العناب الى قسنطينة الى طارف مفصله وما يحاذيها من القفر
وكانت بينهم وبين كرفة الفتنة التي هلك فيها حسن بن سرحان كما ذكرناه وقبره هنالك
وكانوا بطونا كثيرة منهم اولاد عطية بن دريد واولاد سرور بن دريد واولاد جار الله
من ولد عبد الله بن دريد وتوبة من ولد عبد الله ايضا وهو توبة بن عطاف الله وكانت
لهم بين هلال رياسة كبيرة ومدحهم شعراؤهم بشعر كثير فمن ذلك قول بعض شعرائهم

ابن عبد صح

دريد سراة البدو للجود منبع • كما كل ارض منبع الماء خيارها
نحى الى اوطان صبرة ناقتي • لاكن معاجله دريد جوارها
وهم عرضوا الاعراد حتى تعرفت • بطرف المعالي ما بنو في قصارها
وضكوا الطريق البارمين نسيبة • وقد كان ما يعوي المطايا جارها

فاما اولاد عطية فكانت رياستهم في بني مبارك بن حباس وكانت لهم قلة بن علوان من
ارض قسنطينة ثم دثروا وتلاشوا وغلبتهم توبة على تلة بن خلوف ونزعوا لهم عن
مواطنهم بطارف مفصله فتملكوها وما اليها ثم عجزوا عن رحلة القفر وتركوا الابل
واتخذوا الشاء والبقر وصاروا في عداد القبائل الغارمة وربما طالبهم السلطان
بالعسكر معه فيتبعون له جندا منهم ورياستهم في اولاد وشاح بن عطوة بن عطية
ابن كمون بن فرج بن توبة وفي اولاد مبارك بن عابد بن عطية بن عطوة وهم على ذلك لهذا
العهد وبجانبهم اولاد سرور واولاد جار الله على سننهم في ذلك فاما اولاد وشاح

ورياستهم لهذا العهد منقسمة بين سحيم بن كثير بن جماعة بن وشاح وبين احمد بن خليفة
ابن رشاش بن وشاح واما اولاد مبارك بن عابد فرياستهم ايضا منقسمة بين نجاح بن
محمد بن منصور بن عبيد بن مبارك وعبد الله بن احمد بن عنان بن منصور وربما عن
عمه راجح بن عنان بن منصور واما اولاد جار الله فرياستهم في ولد عنان بن سلام
منهم واما العاصم وحذوه والضحاك وعياض فمنهم اولاد مشرف بن اثبج ولطيف هو ابن
حندج بن مشرف وكان لهم عدد وقوة بين الاثابج وكان عاصم ومقدم اخرجوا عن طاعة
الموحدين الى ابن غانية فاشخصهم يعقوب المنصور الى المغرب وانزلهم بتامسنا مع جشم
ورياح وبقيت عياض والضحاك بمواطنهم من افريقية فعياض نزلوا بجبل
القلعة قلعة بني حماد وملكوا قبايله وغلبوهم على امرهم وصاروا يتولون جبايتهم
ولما غلبت عليهم الدولة بمظاهرة رياح صاروا الى المدافعة عن تلك الرعايا وجبايتهم
للسلطان وسكنوا ذلك الجبل بطوله من الشرق الى الغرب ما بين ثنية غنية والقصاب
الى وطن بني يزيد من زغبة فاولهم مما يلي ثنية المغاية ورياستهم في اولاد دبعتل
ومعهم بطن منهم يقال لهم الزبير وبعدهم المرتفع والخراج من بطونهم فاما المرتفع
فثلاثة بطون اولاد تبان ورياستهم في بني محمد بن موسى واولاد حناش ورياستهم في
بني عبد السلام واولاد عبدوس ورياستهم في بني صالح وتدعى اولاد حناش واولاد تبان
جميعا اولاد حناش واما الخراج فرياستهم في اولاد زايدة لبني عباس بن خضير
ويجاور الخراج من جانب الغرب اولاد صخر واولاد رحمة من بطون عياض وهم يجاورون
لبني يزيد من زغبة في آخر وطن الاثابج من الهلاليين واما الضحاك فكانوا بطونا
كثيرة وكانت رياستهم مفترقة بين اميرين منهم وهما ابو عطية وكلب بن منيع وغلب
كلب ابا عطية على رياسته فيلهما لاول دولة الموحدين وارتحل فيما زعموا الى المغرب
وسكن صحرا سجلماسة وكانت لهم فيها آثار حتى قتله الموحدون او غربوه الى الاندلس
هكذا انقل اصحاب اخبارهم وبقي بقيتهم بالزاب حتى غلب مسعود بن زمام والدواودة
عليهم واصاروهم في جملتهم لعجزهم عن الظعن ونزلوا بلاد الزاب واتخذوا بها المدن
على ذلك لهذا العهد واما لطيف فهم بطون كثيرة منهم اليتامى وهم ولد كسلان
ابن خليفة بن لطيف بين ذوي مطرف وذوي ابي الخليل وذوي جلال بن معافا ومنهم
اللقامنة اولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ومنهم اولاد جرير بن علوان بن محمد
ابن لقمان وبراز بن معن بن يحيا بن جزي بن علوان وجبر يزعمون انهم من يحيا بن جزي
ومونة من ذرية ابن يحيا واليه يرجع نسب بني مزني الولاة بالزاب لهذا العهد
وكانت للطيف هولاء كثرة ومنعة ثم عجزوا عن الظعن وغلبهم على الضواحي
الدواودة من بعدهم لما قل جمعهم وافترق ملوكهم وصار الى المغرب من صار منهم
من جمهور الاثبج فاعتصموا وغلبهم رياح والدواودة فنزلوا بلاد الزاب واتخذوا
بها الاطام والمدن مثل الدوس وغربيوا تهودة وتنومة وبادس وهم لهذا العهد
من جملة الرعايا الغارمة لامير الزاب ولهم نجعة منذ رياستهم القديمة لو ينازعوها
وهم على ذلك لهذا العهد وبينهم في قصورهم بالزاب فتن متصلة بين المتجاورين
منهم وحروب وقتل وعامل الزاب يدارى بعضا ببعض ويستوفي جبايته منهم جميعا والله

خير الوارثين ويلحق بهذا الاثبج العمور ويغلب على الظن انهم من عمرو بن عبد مناف بن
هلال اخو قرة ابن عبد مناف وليسوا من عمرو بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال لان رياحا
وزغبة والاثبج من ابي ربيعة ولا نجد بينهم انتماء بالجملة ونجد بينهم وبين قرة وغيرهم
من بطون هلال انتماء فدل على انهم لعمرو بن عبد مناف او يكونون من عمرو بن رويبة
ابن عبد الله بن هلال وكلهم معروف ذكره ابن الكلبي وهم بطنان قرة وعبد الله
وليس لهم رياسة على احد من هلال ولا ناجعة تظعن لقلتهم وافتراق ملاهم انما هم
ساكنون بالضواحي والجبال ومنهم الفرسان واكثرهم رجل وموطنهم ما بين جبل اوراس
شرقا الى جبل راشد وكسال كل ذلك من ناحية الحصنة والصحرا واما التلول
فهم مدفوعون عنها لقلتهم وحتو فهم من حامية الدول فيجدهم اقرب الى مواطن القفر
والجدب فاما بنو قرة منهم فبطن متسع الا انهم مفترقون في القبايل والمدن
وجدانا وبنو عبد الله منهم محل رياسة فيهم وهو عبد الله بن علي وبنوه محمد وماضي
بطنان وولد محمد عنان وعزيز بطنان وولد عنان شكر وفارس بطنان ومن ولد شكر
اولاد يحيا بن سعيد بن سبيط بن شكر بطن ايضا فاما اولاد فارس واولاد عزيز
واولاد ماضي فموطنهم بسفح جبل اوراس المطل على بسكرة قاعدة الزاب متصلين كذلك
غربا الى موطن غمرة وهم في جوار رياح وتحت ايديهم وحولها اولاد محمد خصوصا من
الدواودة المتولين موطنهم بالمجال ولصاحب الزاب عليهم طاعة لقرب جواره وحاجتهم
الى سلطانه فيصرفهم لذلك في حاجاته متى عنت من اخفار العير ومنازلة مدن
الزاب مع رجله وغير ذلك واما اولاد شكر وهم اكثر رياسة فيهم فنزلوا جبل راشد
وكانوا امرا بغير وافتتنوا واحتربوا وغلب اولاد يحيا بن سعيد منهم اولاد زكرير
ودفعوهم عن جبل راشد فصاروا الى جبل كسال يحاذيه من ناحية الغرب واوطنوه
واتصلت فتنتهم معهم على الايام واقتسمتهم رجال زغبة باقتسام المواطن فصار اولاد
يحيا اهل جبل راشد في ايالة سويد من زغبة واحلافا لهم واولاد زكرير اهل جبل كسال
في ايالة بني عامر واحلافا لهم وربما يتسمون بادية زغبة من النضر احلافا لهم
في فتنتهم كما نذكره في اخبار زغبة وكان شيخ اولاد يحيا فيما قرب من عهدنا عامر
ابن يحيى بن يحيا وكان له فيهم ذكر وشهرة وكان ينتحل العبادة وحج ولقي بمصر شيخ
الصوفية لعصره يوسف الكوراني واخذ عنه ولقن طرق هدايته ورجع الى قومه
وحملهم على طريقته ونحلته واتبعه الكثير منهم وغزا المفسدين من بادية النضر في
جواره وجاهدهم الى ان اغتالوه بعض الايام في الصيد فقتلوه وكان شيخ اولاد
زكرير يعمور بن موسى بن بوزيد بن زكرير وكان يسامي عامرا وبنا حصنه في شرفه
الا ان عامرا كان اسود منه لنحلة العبادة والله مصرف الامر والخلق

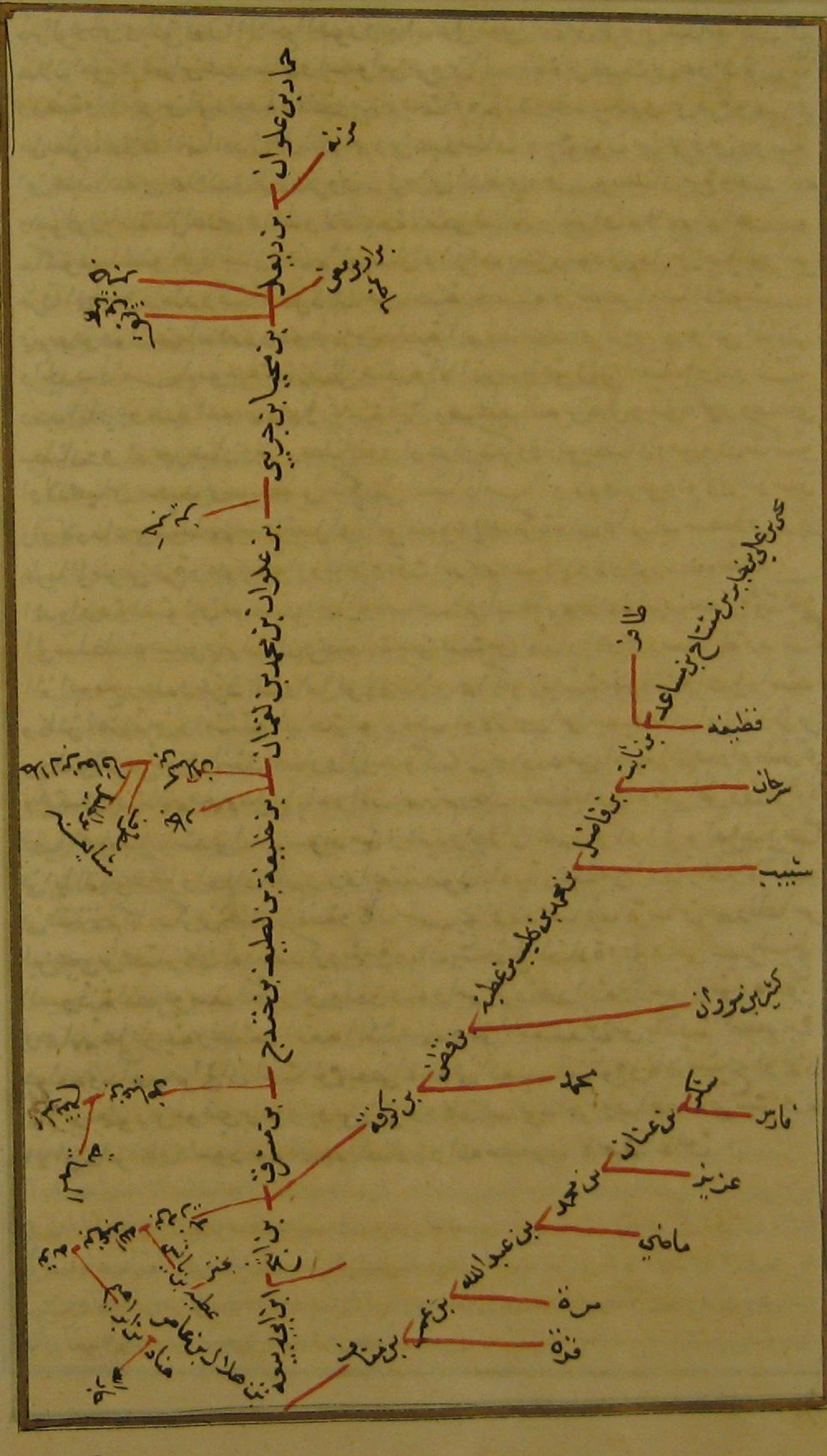

الخبر

الخبر عن جشم الموطنين ببسائط المغرب

وبطونهم من هذه الطبقة

هولاء الاحيا بالمغرب لهذا العهد فيهم بطون من قرة والعاصم ومقدم وهو الاثبج وجشم والخلط وغلب عليهم جميعا اسم جشم فعرفوا به وهو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان اصل دخولهم الى المغرب ان الموحدين لما غلبوا على افريقية اذعنت لهم هولاء القبايل من العرب طوعا وكراهية ثم كانت فتنة بن غانية فاجلبوا فيها واغروا عن الموحدين ثم راجعوا الطاعة لعهد المنصور فنقل جمهور هولاء القبايل الى المغرب فحصل له كثرة وشوكة وظواعن ناجعة فنقل العاصم ومقدم من بطون الاثبج وجشم بطون ونقل جشم هولاء الذين غلب اسمهم على من معهم من الاحياء وانزلهم تامسنا ونقل رياحا وانزلهم الهبط فنزل جشم بتامسنا البسيط الافيح ما بين سلا ومراكش اوسط بلاد المغرب الاقصى وابعدها عن الثنايا المنيعة الى القفار احاطة جبل درن بها وشموخه بانفه حذاءها وسوح اعرافه حجرا عليها فلم ينتجعوا بعدها قفرا ولا ابعدوا رحلة واقاموا بها حلولا وافترقت شعوبهم بالمغرب الى الخلط وسفيان وبني جابر وكانت الرياسة لسفيان من بينهم في اولاد جرمون سائر ايام الموحدين ولما فشل امر بني عبد المومن وفشل ريحهم استكثروا بجموعهم فكانت لهم سورة غلب واعتزاز على الدولة بكثرتهم وقرب عهدهم بالبداوة وضربوا بين الاعياص وظاهروا الخلافة بمراكش وظاهروا عليها وساءت اثارهم في البغي ولما افتتح بنو مرين بلاد المغرب على الموحدين وملكوا افاسه وقربها لم تكن به حامية اشد باسا منهم ومن رياح لقرب العهد بالبداوة كما قلناه فكانت لهم معهم وقايع وحروب استلحمتهم فيها بنو مرين الى ان حق الغلب واستكانوا للعز بني مرين وصولتهم واعطوهم صفقة الطاعة واصهر بنو مرين الى الخلط منهم في بيت بني مهلهل فكان من جملة بني مرين وكانت لهم الحظوة للملك واستقرت رياسة جشم وكثرتهم في الخلط منهم في بيت مهلهل بعد ان كانت على عهد الموحدين في سفيان ثم ضربت الايام ضربانها وخلقت جدتهم وفشل ريحهم ونسوا عهد البداوة والناجعة وصاروا في عداد القبايل الغارمة للجباية والعسكرة مع السلطان ولنذكر الان فرقهم الاربع واخبار كل واحدة منها ونحقق الكلام في انسابهم فليست راجعة الى جشم على ما تبين ولكن الشهرة بهذا النسب متصلة والله اعلم بحقائق الامور

سفيان من جشم

هذه القبايل معدودة في جشم وجشم المعهود هو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ولعله جشم اخر من غيرها وكان شيخهم المشهور لعهد المامون وبنيه جرمون بن عيسى ونسبه فيما يزعم بعض المورخين لايام الموحدين في بني قرة وكان بينهم وبين الخلط فتن طويلة وكانت الخلط شيعة للمامون وبنيه فصار سفيان لذلك شيعة ليحيى بن الناصر

منازعه في الخلافة بمراكش ثم قتل الرشيد مسعود بن حميدان شيخ الخلط كما نذكر بعد فصاروا الى يحيى بن الناصر وصارت سفيان الى الرشيد ثم ظهر بنو مرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين ونزع جرمون سنة ثمان وثلاثين عن الرشيد ولحق بمحمد بن عبد الحق امير بني مرين حياء مما وقع له معه وذلك انه نادمه ذات ليلة حتى سكر وحمل عليه وهو سكران ان يرقص فرقص طربا ثم افاق فندم وفر الى محمد بن عبد الحق وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين وستمائة وهلك سنة تسع وثلاثين بعدها وعلا كعب كانون ابنه من بعده عند السعيد وخالف عليه عند نهوضه الى بني مرين سنة ثلاث واربعين ورجع الى ازمور فملكها وقعد في عصد السعيد فرجع عن حركته وقصد كانون بن جرمون ففر امامه وحضر حركته الى تامرزدكت وقتل قبل مهلكه بيوم قتله الخلط في فتنة وقعت بينهم بمحلة السعيد وهي التي جرت عليه تلك الواقعة وقام بامر سفيان من بعده اخوه يعقوب بن جرمون وقتل محمد بن اخيه كانون وقام بامر سفيان وحضر مع المرتضى حركته امان ايملولين سنة تسع واربعين فرحل عن السلطان واختل عسكره ورجع فاتبعه بنو مرين وكانت الهزيمة ثم راجع المرتضى وعفا له عنها ثم قتله سنة تسع وخمسين مسعود وعلي ابنا اخيه كانون بثار ابيهما ولحقا بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن فعجز عن القيام بامره فقدم عبيد الله بن جرمون فعجز فقدم مسعود ابن كانون ولحق عبد الرحمن ببني مرين ثم تقبض المرتضى على يعقوب بن قيطون شيخ ابن جابر وقدم عوضا منه يعقوب بن كانون السفياني ثم راجع عبد الرحمن ابن يعقوب سنة اربع وخمسين فتقبض عليه واعتقل واقام مسعود بن كانون شيخا على سفيان وكان لابني عمه معه ظهور هما حطوش وعيسى ابنا يعقوب بن جرمون ونزع مسعود عن يعقوب بن عبد الحق ولحق بسكسيوا وشب نار الفتنة والحرب واقام حطوش بن يعقوب مقامه الى ان هلك سنة تسع وستين فولي مكانه اخوه عيسى وهلك مسعود بمعسكره من حصار تلمسان سنة ست وسبع مائة فقتله واتصلت الرياسة على سفيان في بني جرمون هؤلاء الى عهدنا وادركت شيخا عليهم لعهد السلطان ابي عنان يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون بن عيسى وكان سفيان هؤلاء احياء حلولا باطراف تامسنا مما يلي اسفي وملك بسائطها الفسيحة عليهم الخلط وبقي من احيائهم الحرث والطلابية ينتجعون ارض السوس وقفاره ويطلبون ضواحي بلاد حاحة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك باس وشدة ورياستهم في اولاد مطاع من الحرث وطال عيثهم في ضواحي مراكش وافسادهم فلما استبد سلطان مراكش الامير عبد الرحمن بن بويفلوسن على السلطان ابي علي سنة ست وسبعين وسبعمائة كما نذكر استخلصهم ورفع منزلتهم واستظهر بهم بعض ايامه للعرض بفرسانهم ورجلهم على العادة وشيخهم منصور بن يعيش من اولاد مطاع فتقبض عليهم اجمعين وقتل من قتل منهم واودع الاخرين سجونه فذهبوا مثلا في الانام وخضدت شوكتهم والله قادر على ما يشاء

الخلط من جشم

هذا القبيل يعرفون بالخلط وهم في عداد جشم هؤلاء لكن المعروف ان الخلط بنو المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب من ربيعة بن عامر وكان بنو عقيل بن كعب كلهم شيعة للقرامطة بالبحرين ولما ضعف امر القرامطة استولى بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة ثم غلبهم عليها بنو ابي الحسين من بطون تغلب بالدعوة العباسية فارتحل بنو سليم وبنو المنتفق هؤلاء المسمون بالخلط الى افريقية وبقي سائر بني عقيل بنواحي البحرين الى ان غلب منهم على التغلبيين بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر بن عقيل اخوة الخلط هؤلاء ثم لاكنهم بالمغرب منسوبون الى جشم تخليطا في النسب ممن يحققه من العوام ولما ادخلهم المنصور الى المغرب كما قلناه استقروا ببسائط تامسنا وكانوا اولي عدد وقوة وكان شيخهم هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج لا نعرف من نسبه اكثر من هذا فلما ولي العادل بن المنصور خالفوا عليه وهزموا عساكره وبعث هلال بيعته الى المامون سنة خمس وعشرين واتبعه الموحدون في ذلك وجاء المامون وظاهروه على امره وتحيز اعداؤهم سفيان الى يحيى بن الناصر منازعه ولم يزل هلال مع المامون الى ان هلك في حركة سبتة وبايع بعده لابنه الرشيد وجاء به الى مراكش وهزم سفيان واستباحهم ثم هلك هلال وولي اخوه مسعود وخالف على الرشيد عمر بن اوقاريط شيخ الهساكرة من الموحدين وكان صديقا لمسعود بن حميدان واغراه بالخلاف على السلطان فخالف وحاول عليه الرشيد حتى قدم عليه بمراكش وقتله في طائفة من قومه سنة ثنتين وثلاثين وولي امر الخلط بعده يحيى بن اخيه هلال وتحيز بقومه الى يحيى بن الناصر وحاصروا مراكش ومعهم ابن اوقاريط وخرج الرشيد الى سجلماسة واستولوا على امر مراكش وعاثوا فيها ثم جاء الرشيد سنة ثلاث وثلاثين وغلبهم عليها ولحق ابن ابي اوقاريط بالاندلس وافدا على ابن هود ببيعة الخلط وعلموا انها حيلة من ابن اوقاريط وانه تخلص من الورطة فطردوا عنهم يحيى بن الناصر الى المعقل وراجعوا الرشيد فتقبض على علي ووشاح ابني هلال وسجنهم بازمور سنة خمس وثلاثين ثم اطلقهم ثم غدر بعد ذلك بمشيختهم بعد الاستدعاء والتانيس وقتلهم جميعا مع عمر بن اوقاريط جاء اهل اشبيلية بعثوا به اليه ثم حضروا مع السعيد في حركته الى بني عبد الواد وجروا عليه الواقعة التي قتل فيها بفتنتهم مع سفيان يومئذ فلم يزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم الى ان تقبض على اشياخهم سنة ثنتين وخمسين وقتلهم ولحق عوج بن هلال ببني مرين وقدم المرتضى عليهم علي بن ابي علي من بيت الرياسة فيهم ثم رجع عوج سنة اربع وخمسين واغراه علي بن ابي علي فقتل في غزواته ثم كانت واقعة ام الرجلين على المرتضى سنة ستين فرجع علي بن ابي علي الى بني مرين ثم صار الخلط كلهم الى بني مرين وكانت الرياسة فيهم لاولاد سلطان بني مرين لمهلهل ابن يحيى بن مقدم واصهر اليه يعقوب بن عبد الحق فانكحه ابنته التي كان منها السلطان ابو سعيد ولم يزل مهلهل عليهم الى ان هلك سنة خمس وتسعين ثم ابنه عطية وكان لعهد السلطان ابي سعيد وابنه ابي الحسن وبعثه سفيرا الى سلطان مصر الملك الناصر ولما هلك قام بامره من بعده اخوه عيسى بن عطية ثم اخوه علي بن عطية ثم ابن اخيهما زمام بن ابراهيم بن عطية وبلغ المبالغ من العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه الى ان هلك فولي امره ابنه حمو بن ابراهيم ثم اخوه سليمان بن ابراهيم

ثم اخوهما مبارك على مثل حالهم ايام السلطان ابي عنان ومن بعده الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعد مهلك السلطان ابي سالم واستولى على المغرب اخوه عبد العزيز وانتظم ابنه ابو الفضل ناحية مراكش فكان مبارك هذا معه ولما تقبض على ابي الفضل تقبض على مبارك واودع السجن الى ان غلب السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد وقتله فقتل معه مبارك هذا لما كان يعرف به من صحابته ومداخلته في الفتن كما نذكر في اخبار بني سويد وولي ابنه محمد على قبيل الخلط الا ان اليوم الخلط دثرت كان لم تكن لما اصابهم من الخصب والترف منذ ما ينيف من السنين بذلك البسيط الافيح زيادة العز والدعة فاكلتهم السنون وذهب بهم الترف والله غالب على امره

بنو جابر من جشم

بنو جابر هؤلاء من عداد جشم بالمغرب وربما يقال انهم من سدراتة احدى بطون زناتة او لواتة والله اعلم بذلك وكان لهم اثر في فتنة يحيى بن الناصر بما كانوا معه ومن احزابه ولما هلك يحيى بن الناصر سنة ثلاث وثلاثين وستماية بعث الرشيد لقتل شيخهم قايد بن عامر واخيه فايد بن عامر واخيه فايد وولي بعدهم يعقوب بن محمد ابن قيطون ثم اعتقله يغلو قايد الموحدين بعثه المرتضى لذلك وقدم يعقوب بن جرمون وولي مشيخة بني جابر اسماعيل بن يعقوب بن قيطون ثم تغير بنو جابر هؤلاء من احياء جشم الى سفح الجبل بتادلا وما اليها يجاورون صناكة الساكنين بقنتة وهضابه من البربر فيسهلون الى البسيط تارة ويأوون الى الجبل من خلف البربر وجوارهم اخرى اذا دهمتهم مخافة من السلطان او ذي غلبة والرياسة فيهم لهذا العهد في وردیغة من بطونهم ادركت شيخا عليهم لعهد السلطان ابي عنان حسين بن علي الورديغي ثم هلك وادم مقامه الناصر ابنه ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوعه من السلطان ابي سالم سنة ستين وسبعماية ونهضت اليهم عساكر السلطان فامكنوا منه ثم لحق بهم ابو الفضل بن السلطان ابي سالم عند فراره عن مراكش سنة ثمان وستين ونازله السلطان عبد العزيز واحاط به فلحق ببرابرة صناكة من ورائهم ثم امكنوا منه على مال حمل اليهم ولحق بهم اثناء هذه الفتن الامير عبد الرحمن بن يغلوسن على عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب على المغرب وطلبه عمر فاخرجوه عنهم وطال بذلك مراس الناصر هذا الفتنة فنكرته الدولة وتقبض عليه واودع السجن ثم مكث فيه سنين وتعاقبت الدول عليه من بعد ذلك واطلق عقاله ثم حج ورجع من المشرق فتقبض عليه الوزير ابو بكر بن غازي المستبد بالمغرب على ابن السلطان عبد العزيز واودعه السجن وتنقلوا الرياسة عن بني علي هؤلاء والله يقلب الليل والنهار وقد يزعم كثير من الاسرار الناس ان وردیغة من بني جابر ليسوا من جشم وانهم بطن من بطون سدراتة احدى شعوب لواتة من البربر ويستدلون على ذلك بمواطنهم وجوارهم للبربر والله اعلم بحقيقة ذلك

العاصم ومقدم من الاثبج

هؤلاء الاحياء من الاثبج كما ذكرناه في انسابهم ونزلوا تامسنا معهم وكانت لهم عزة وعليا ان جشم اعز منهم لمكان الكثرة وكان موطنهم ببسيط تامسنا وكانت للسلطان عليهم عسكرة وجباية شان اخوانهم من جشم وكان شيخ العاصم لعهد الموحدين لعهد المامون منهم حسن ابن زيد مع قايد وقايد ابني عامر شيوخ بني جابر فقتلوا جميعا ثم صارت الرياسة لابي عياد وبنيه وكان منهم لعهد بني مرين عياد بن ابي عياد وكان له تقلب في الفرة والاستقامة نزل الى تلمسان ورجع منها اعوام تسعين وستماية ونزل الى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعماية ولم يزل دابه هذا وكانت له ولاية مع يعقوب بن عبد الحق ومقامات في الجهاد مذكورة وبقيت رياسة في بنيه الى ان انقرض امرهم وامر مقدم ودثروا وتلاشوا والله خير الوارثين

الخبر عن رياح وبطونهم من هلال بن عامر

من هذه الطبقة الرابعة

كان هذا القبيل من اعز قبايل هلال واكثرهم جمعا عند دخولهم افريقية وهم فيما ذكره ابن الكلبي بنو رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر وكانت رياستهم حينئذ لموسى بن يحيى الصنبري من بطون مرداس بن رياح وكان من رجالاتهم لذلك العهد الفضل بن علي مذكور في حروبهم مع صنهاجة وكانت بطونهم عمرو ومرداس وعلي كلهم بنو رياح وسعيد بن رياح وخضر بن عامر بن رياح وهم الاخضر ولمرداس بطون كثيرة داود بن مرداس وصنبر بن حواز بن عقيل بن مرداس واخوتهم مسلم بن عقيل ومن اولاد عامر بن ابي يزيد ابن مرداس بطون اخرى منهم بنو موسى بن عامر بطون ثلاثة واسم سودان علي بن محمد وقد يقال ايضا ان المشاعرة وهم بنو مشهور من هلال بن عامر من غير رياح والله اعلم والريا والرياسة في رياح في هذه البطون كلها لمرداس وكانت عند دخولهم افريقية في صنبر منهم ثم صارت للدواودة ابناء داود بن مرداس بن رياح ويزعم بنو عمرو بن رياح ان اباه كفله ورباه وكان رئيسهم لعهد الموحدين مسعود بن سلطان بن زمام بن ورديغي بن داود وكان يلقب البلط لشدته وصلابته ولما نقل المنصور رياحا الى المغرب تخلف عساكر اخو مسعود في جماعات منهم لما بلاه السلطان من طاعته وانحياشه ونزل مسعود وقومه بلاد الهبط ما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير الى ازغار البسيط الفسيح هنالك الى ساحل البحر الاخضر واستقروا هنالك وفر مسعود بن زمام من بينهم في لمة من قومه سنة تسعين وخمسماية ولحق بافريقية واجتمع اليه بنو عساكر اخيه ولحقوا بطرابلس ونزلوا على زغب وذباب يتقلبون بينهم ثم نزع الى خدمة قراقش وحضر معه بنوه فتح طرابلس كما نذكره في خبر قراقش ثم رجع الى ابن غانية الميورقي ولم يزل في خلافه ذلك الى ان هلك وقام بامره من بعده ابنه محمد وكانت له رياسة وغناء في فتنة الميورقي مع الموحدين ولما غلب ابو محمد بن ابي حفص على الميورقي سنة ثماني عشرة على الحمة من بلاد الجريد وقتل من العرب من كان فيهم قتيله ذلك اليوم عبد الله بن محمد هذا وابن عمه ابو الشيخ بن حركات بن عساكر ولما الشيخ ابو محمد رجع محمد بن مسعود الى افريقية وغلب عليها واجتمع اليه مخلفا الاثبج ظواعن من الضحاك ولطيف فكاثروه

واعتزوا به على اقيالهم من دريد وكرفة الى ان عجزت ظواعن الضحاك ولطيف عن الرحلة وافترقوا في
قرى الزاب ومدنه وبقي محمد بن مسعود متغلبا في رحلته وصارت رياسة البدو
بضواحي افريقية ما بين قسنطينة والزاب والقيروان والمسيلة له ولقومه ولما هلك
يحيى بن غانية سنة احدى وثلاثين كما نذكره انقطع ملكهم واستغلظ سلطان آل ابي حفص
واستقل منهم الامير يحيى بن عبد الواحد بخطة الخلافة عندما استدركوا سببها بمراكش وانتزع
اتباع يحيى بن غانية من العرب من بني سليم ورياح فنكر آل ابي حفص هؤلاء الدواودة ومكانهم
من الوطن لما سلف من عنادهم ومشايعتهم لابن غانية عدوهم فجاء الامير ابو زكريا
بني سليم من مواطنهم لذلك العهد بقابس وطرابلس وما اليهما والمقدم فيهم يومئذ لمرداس
والكعوب كما نذكره في اخبارهم واصطنعوهم للمشايعة الدولة وضربوا بينهم وبين قبايل رياح
وانزلوهم بالقيروان وبلاد قسنطينة وكانت ابنة لمحمد بن مسعود ووفد عليه في بعض السنين
وبذ مرداس يطلبون المكيل ونزلوا عليهم فنزهوا الى نعمتهم وقاتلوهم عليها وقتلوا رزق
ابن سلطان عم محمد بن مسعود فكانت بينهم وبين رياح ايام وحروب حتى زحلوهم عن جانب
الشرق من افريقية واصاروهم الى جانبها الغربي وملكت الكعوب ومرداس من بني سليم
ضواحي الجانب الشرقي كلها من قابس الى بونة ونفطة واستاز الدواودة بملك ضواحي
قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ وواركلا وماوراها من القفار في
بلاد القبلة وهلك محمد بن مسعود فولي رياسته موسى بن محمد وكان له صيت وغناء في
قومه واعتزاز على الدولة ولما هلك يحيى بن عبد الواحد وبويع ابنه محمد المستنصر
الطاير الذكر المصنوع له في الشهرة وخرج عليه اخوه ابراهيم ولحق بالدواودة هؤلاء
فبايعوه بجهات قسنطينة واتفقوا على تقدمه ونهض اليهم المستنصر سنة ست
وستين وستماية ففروا امامه وافترق جمعهم وتحيز اليه بنو عساكر بن سلطان منهم
ورياستهم يومئذ لولد مهدي بن عساكر ونبذ والعهد الى ابراهيم بن يحيى ولحق بتلمسان
واجاز البحر الى الاندلس واقام بها في جوار الشيخ ابن الاحمر ثم هلك موسى بن محمد وولي
رياسته ابنه شبل بن موسى واستطال على الدولة وكثر عيثهم فنبذ المستنصر عهدهم
ونهض اليهم بعساكره وجموعه من الموحدين والعرب من بني سليم واولاد عساكر
اخوانهم وعلى مقدمته الشيخ ابو هلال عياد بن محمد الهنتاني وكان يومئذ امير بجاية
وحاول عليهم فاستقدم رؤساهم شبل بن موسى بن محمد بن مسعود واخاه يحيى وسباع
ابن يحيى بن دريد بن مسعود وحداد بن مولاهم بن خنفر بن مسعود وفضل بن ميمون
ابن دريد بن مسعود ومعهم دريد بن تازير شيخ اولاد نابت من كرفة فتقبض عليهم
لحين قدومهم وضرب اعناقهم في مصرع واحد بزرابة حيث بايعوا ابا اسحاق اخاه هم
والقاسم بن ابي زيد بن ابي حفص بطلب الخروج على الدولة وافترقت ظواعنهم وفروا امامه
واتبعهم الى آخر الزاب وترك شبل بن موسى سباعا ابنه طفلا صغيرا فكفله عمه مولاهم
ابن موسى ولم تزل الرياسة لهم وترك سباع بن يحيى ايضا ابنه طفلا فكفله عمه طلحة بن يحيى
ولحق قبلهم بملوك زناتة المغرب فاولاد محمد لحقوا بيعقوب بن عبد الحق بفاس واولاد
سباع بن يحيى لحقوا بيغمراسن بن زيان بتلمسان فكسوهم وحملوهم حتى ارتاشوا
وقابلوا واحتالوا ورجعوا الى مواطنهم فتغلبوا على اطراف الزاب واقتسموا بلد وار

كلان

كلان وقصور ريغ وصير وهما اسهاما بينهم وانتزعوها الموحدين فكان اخر عهدهم بملكها ثم
تقدموا الى بلاد الزاب وجمع لهم عاملها ابو سعيد عثمان بن محمد بن عثمان ويعرف بابن عتو
من رؤساء الموحدين وكان بمنزله بمقرة فزحفوا اليه بمكانهم من الزاب واوقعوا به وقتلوه
بقطاوة وغلبوا على الزاب ونواحيه لهذا العهد ثم تقدموا الى جبل اوراس فغلبوا على من به
من القبايل ثم تقدموا الى التل وجمع لهم من كان به من اولاد عساكر وعليهم موسى بن ماضي
ابن مهدي بن عساكر فجمع قومه ومن في حلفهم من عياض وغيرهم وتزاحفوا فغلبهم اولاد
مسعود وقتلوا شيخهم موسى بن ماضي وتولوا الطعن بما فيه ثم تلافت الدولة
امرهم بالاصطناع والاستمالة واقطعوهم ما غلبوا عليه من البلاد بجبل اوراس والزاب
ثم الامصار التي بالبسيط الغربي من جبال اوراس المسمى عندهم بالحضنة وهي نقاوس
ومقرة والمسيلة واختص اقطاع المسيلة بسباع بن شبل ثم صارت لعلي بن سباع بن
ابن يحيى من بعد ذلك فهي في قسم بنيه وسهمانهم واختص اقطاع مقرة باحمد بن عمر
ابن محمد وهو ابن عم شبل بن موسى ابي سباع ونقاوس باولاد عساكر ثم هلك سباع بن شبل
وقام بامرهم ابنه عثمان ويعرف بالعاكر فنازعه الرياسة بنو عمه علي بن احمد بن عمر
ابن محمد بن مسعود وسليمان بن علي بن سباع بن يحيى بن دريد بن مسعود وسليمان بن
علي بن وفرقوا جماعة بني مسعود هؤلاء بعد ان كانوا جميعا وصاروا فريقين اولاد محمد بن
مسعود واولاد سباع بن يحيى ولم يزالوا كذلك لهذا العهد ولهم التغلب على ضواحي
بجاية وقسنطينة وقرابها من سدويكش وعياض وامثالهم ورياسة اولاد محمد الان
ليعقوب بن علي بن احمد وهو كبير الدواودة بمكانه وسنه وله شهرة وذكر وعلا عند
السلطان متوارثا ورياسة اولاد سباع في اولاد علي بن سباع واولاد عثمان بن سباع
واولاد علي اشف منهم واعز بالكثرة والعقود ورياستهم في ولد يوسف بن سليمان بن
علي بن سباع ويزاحمهم اولاد يحيى بن علي بن سباع واختص اولاد محمد بنواحي قسنطينة واقطعتهم
الدولة كثيرا من اريافها واختص اولاد سباع بنواحي بجاية واقطاعهم فيها قليل لمنعة عمالها
وضواحيها من ضيم العرب وتغلبهم بالجبال المطيفة بها وتوعر مسالكها على رواحل الناجعة
واما ريغ وواركلا فقسمت بينهم منذ عهد سلفهم كما قلناه واما الزاب فالجانب الغربي
منه وقاعدته طولقة لاولاد محمد واولاد سباع بن يحيى وكانت لابي بكر بن مسعود فلما ضعفت
بنوه ودثروا اشتراها منهم علي بن احمد شيخ اولاد محمد وسليمان بن علي شيخ اولاد سباع
وانقسمت بينهم بسببها الفتنة وصارت في مجالات اولاد سباع بن يحيى فصار تغلب
سليمان وبنيه عليها اكثر والجانب الوسط وقاعدته بسكرة لاولاد محمد وفي مجالاتهم
وليعقوب بن محمد على عامله بسبب ذلك سلطان وعزة ولاية بمسك واليه اعتياض في
منعته من الدولة واستبداده وطنه وحمايته ضواحيه من عيث الاعراب وفسادهم غالب
الاوقات واما الجانب الشرقي من الزاب وقاعدته بادس وتنومة فهو لاولاد نابت رؤساء
كرفة حابوه من مجالاتهم وليس من مجالات رياح الا ان عامل الزاب ياخذ منه في الاكثر جبايته
غير مستوفاة بعسكر لقاياباديه رياح باذن من كبيرهم يعقوب واشراكه في الامر وبطون
رياح كلها تبع لهؤلاء الدواودة ومقتسمون عليهم وملتمسون لما في ايديهم وليس لهم في البلاد
ملك يستولون عليه واشدهم قوة واكثرهم جمعا بطون سعيد ومسلم والاخضر يبعدون

النجعة في القفار والرمال ويظاهرون الدواودة في فتنة بعضهم مع بعض ويختصون في الحلف من بينها دون اخر فسعيد احلافا لاولاد محمد سائر اباهم الا قليلا من الاحيان وينادونهم ثم يراجعونهم ومسلم والاخضر احلاف لاولاد سباع كذلك الا في الاحايين فاما سعيد فرياستهم لاولاد يوسف بن زيد منهم في ولد يموت بن يعقوب بن عرعر بن يعقوب بن يوسف وارادتهم اولاد عيسى بن رحاب بن يوسف وهم ينتسبون بزعمهم الى بني سليم في اولاد القوس من حكيم والصحيح من نسبهم انهم من رياح بالحلف والموطن ومع اولاد يوسف هولاء الفائق من العرب يعرفون بالمخادمة والعنوب والبحور فاما المخادمة والعنوب من ابناء مخدم من ولد مشرف بن اثبج واما البحور فمنهم من البرابر من لواتة ومن زنارة احدى بطونهم ومنهم من نفاث فاما نفاث فمن بطون جذام وسياتي ذكرهم واما نادع فمنهم من طود لواتة كما ذكرناه ومن بني جابر بناد لا كثر منهم واجاز منهم الى العدوة لعهد بني الاحمر سلطان الزناري وكانت له في الجهاد اثار وذكر ومنهم بارض مصر والصعيد كثير ومن احلاف اولاد محمد من الدواودة بطن رباب بن سواق بن عامر ابن صعصعة اندرجوا في عداد رياح ولهم منهم ظعن ونجعة ولهم مكان من حلفهم ومظاهرتهم واما احلاف اولاد سباع من مسلم والاخضر فقد قدمنا ان مسلم من ولد عقيل بن مرداس بن رياح ومرداس بن رياح اخو هوار بن رياح وبعضهم ينتسب الى الزبير بن العوام وهو غلط ويقول بعض من ينكره عليهم انما هو الى الزبير المهاية الذين هم من بطون عياض كما ذكرناه ورياستهم في اولاد جماعة بن سالم بن حماد بن مسلم ومن اولاد شكر بن حامد بن كسلان بن غيثا بن رحال بن جماعة ومن اولاد زرارة ابن موسى بن قطران بن جماعة واما الاخضر فيقولون انهم من ولد خضر بن عامر وليس عامر بن صعصعة فان اسلاف عامر بن صعصعة معروفون كلهم عند النسابين وانما هو والله اعلم عامر اخر من ابناء رياح ولعله عامر بن يزيد بن مرداس المذكور في بطونهم او لعلهم من الخضر الذين هم ولد مالك بن طريف بن مالك بن خفصة بن قيس ابن عيلان ذكرهم صاحب الاغاني وقال انما سموا الخضر لسوادهم والعرب تسمي الاسود اخضر قال وكان مالك شديد الادمة فاشبهه ولده ورياستهم في اولاد تامر بن علي بن تمام بن عمار بن خضر بن عامر بن رياح واختصت من بين اولاد تامر في ولد عامر بن صالح بن عامر بن عطية بن تامر وفيهم بطن اخر لزايدة بن تمام بن عمار وفي رياح ايضا بطن من عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار ويظعنون مع باديتهم واما من نزل من رياح ببلاد الهبط حيث انزلهم المنصور فاقاموا هنالك بعد رحلة رئيسهم مسعود بن زمام بتلك المواطن الى انقراض دولة الموحدين وكان عثمان بن نصر رئيسهم ايام المامون وقتله سنة ثلاثين وستماية ولما تغلب بنو مرين على ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح هولاء البعث مع عساكرهم فقاموا بحماية ضواحيهم وتحيز اليهم بنو عسكر بن محمد من بني مرين حين كانوا حربا لاخوانهم بني حمامة بن محمد سلف الملوك منهم لهذا العهد فكانت بين الفريقين جولة قتل فيها عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة ابو الملوك وابنه ادريس فاجد وا السيل لبني مرين على انفسهم في طلب الترة والدماء فاثخنوا فيهم واستلحموهم قتلا وسبيا مرة بعد اخرى وكان من اخر من اوقع بهم السلطان ابو ثابت حافد يوسف بن يعقوب سنة سبع وسبعمائة

بنيهم

بنيهم بالقتل الى ان لحقوا برؤوس الهضاب واسنمة الربى المتوسطة في المرج المستبحر بازغار فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبايل الغارمة ثم دثروا وتلاشوا شان كل امة والله خير الوارثين

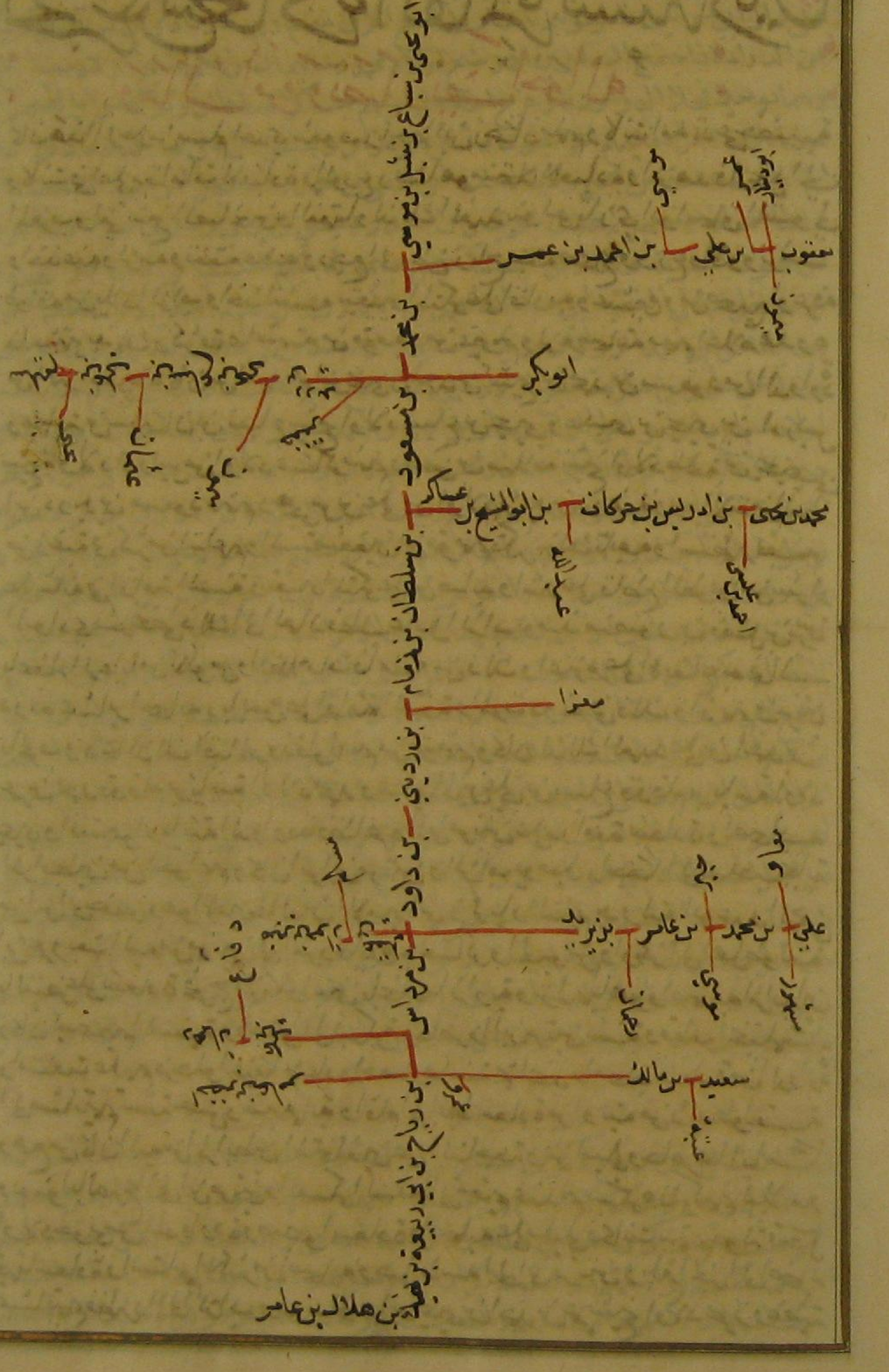
ابو يحيى بن سباع بن شبل بن يعقوب بن محمد
بن مسعود بن سلطان بن زمام بن ورديغ بن داود بن مرداس
بن رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر
يعقوب بن علي بن احمد بن عمر
موسى
عمر
ابو بكر
محمد بن يحيى بن ادريس بن حركات بن ابو الشيخ بن عساكر
عبد الله
معزا
علي بن محمد بن عامر بن يزيد
موسى
سعيد بن مالك

الخبر عن سعادة القائم بالسنة في رياح

ومآل أمره وتصاريف أحواله

كان هذا الرجل من مسلم احدى شعوب رياح ثم من رحمان منهم وكانت امه تدعى خضيبة وكانت في اعلى مقامات العبادة والورع ونشا هو منتحلا للعبادة والزهد فارتحل الى المغرب ولقي شيخ الصالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحي تازي ابو اسحاق التسولي واخذ عنه ولزمه وتفقه عليه ورجع الى وطن رياح بفقه صحيح وورع وافر ونزل طولقة من بلاد الزاب واخذ نفسه بتغيير المنكر على اقاربه وعشيرته ومن صحبه او عرفه فاشتهر بذلك وكثرت غاشيته من قومه ومن غيرهم ولزم صحابته منهم اعلام عدوه من التزام طريقته كان من اشهرهم ابو يحيى بن احمد بن شيخ بن محمد بن مسعود من الدواودة وعطية بن سليمان بن سباع شيخ اولاد سباع بن يحيى وعيسى بن يحيى بن ادريس شيخ اولاد ادريس من اولاد عساكر منهم وحسن بن سلامة شيخ اولاد طلحة بن يحيى ابن دريد بن مسعود منهم وهجرس بن علي من اولاد يزيد بن زغبة ورجالات من العطاف من زغبة في كثير من اتباعهم والمستضعفين من قومهم فكثر بذلك تابعه واستظهر بهم على شانه في اقامة السنة وتغيير المنكر على من صابه واشتد على قاطع الطريق من شرار البوادي ثم تخطى ذلك الى العمال فطلب عامل الزاب يومئذ منصور بن فضل بن مزني باعفاء الرعايا من المكوس والظلامات فامتنع من ذلك واعتزم على الايقاع به فحال دونه عشاير اصحابه وبايعوه على اقامة السنة والموت دونه في ذلك واذنهم ابن مزني بالحرب ودعا لذلك اقتالهم ونظراءهم من قومهم وكان لذلك العهد علي بن احمد بن عمر بن محمد قد قام برياسة اولاد محمد وسليمان بن علي بن سباع قد قام برياسة اولاد يحيى واقتسموا رياسة الدواودة فظاهروا ابن مزني على مدافعة سعادة واصحابه المرابطين من اخوانهم وكان امر ابن مزني والزاب يومئذ راجعا الى صاحب بجاية من ابن ابي حفص وهو الامير خالد ابن الامير ابي زكريا والقايم بدولته ابو عبد الرحمن ابن عمر فبعث اليه ابن مزني في المدد فامده بالعساكر والجيوش واوعز الى اهل طولقة بالقبض على سعادة فخرج منها وابتنى بانحائها زاوية ونزل بها هو واصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية وزحفوا الى بسكرة وحاصروا ابن مزني سنة وقطعوا نخيلها وامتنعت عليهم فرحلوا عنها ثم عاد واحصارها سنة ثم اخذ اصحاب سعادة من الدواودة الى مشاتيهم سنة خمس وسبعمائة واقام المرابط سعادة بزاويته من زاب طولقة وجمع من كان اليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة وغزا مليلي وحاصرها اياما وبعثوا بالصريخ الى ابن مزني والعسكر السلطاني مقيم عندهم ببسكرة فاركبهم ليلا مع اولاد حربي من الدواودة وصبحوا سعادة واصحابه على مليلي فكانت بينهم جولة قتل فيها سعادة واستلحم الكثير من اصحابه وحمل راسه الى ابن مزني وبلغ الخبر الى اصحابه بمشاتيهم فطاروا الى الزاب ورووساوهم ابو يحيى بن احمد بن عمر شيخ اولاد حرز وعطية

ابن سليمان

ابن سليمان شيخ اولاد سباع وعيسى بن يحيى شيخ اولاد عساكر ومحمد بن حسن شيخ اولاد عطية ورياستهم جميعا راجعة لابي يحيى بن احمد ونازلوا بسكرة وقطعوا نخيلها وتنقصوا على عمال ابن مزني فاحرقوهم بالنار واتسع الخرق بينهم وبينه ونادى ابن مزني في اوليائه من الدواودة فاجتمع اليه علي بن احمد شيخ اولاد محمد وسليمان بن علي شيخ اولاد سباع وهما يومئذ فحلا الدواودة وخرج ابنه علي بينهم بعساكر السلطان وتزاحفوا بالصحرا سنة ثلاث عشرة فغلبهم المرابطون وقتل علي بن مزني وتقبض على علي بن احمد وقاده اسيرا ثم اطلقه عيسى بن يحيى رعيا لاخيه ابي يحيى بن احمد واستفحل امر هولاء السنية ما شاء الله ان يستفحل ثم هلك ابو يحيى بن احمد وعيسى بن يحيى وخلت احياء اولاد حرز من هولاء السنية وتفاوض السنية فيمن يقيمونه بينهم للفتيا في الاحكام والعبادات فوقع نظرهم على الفقيه ابي عبد الله محمد بن الازرق من فقهاء مقرة وكان اخذ العلم ببجاية على ابي محمد الزواوي من كبار مشيختها وقصدوه في ذلك فاجابهم وارتحل معهم ونزل على حسن بن سلامة شيخ اولاد طلحة واجتمع اليه السنية واستفحل بهم جانب اولاد سباع واجلبوا على الزاب وحاربوا علي بن احمد طويلا وكان السلطان ابو تاشفين حين كان غلب على اوطان الموحدين ومحا عنهم اولياءهم من العرب يبعث الى هولاء السنية بالجوائز يستدعي بذلك ولايتهم ويبعث معهم للفقيه ابن الازرق بجائزة معلومة في كل سنة ولم يزل ابن الازرق مقيما لرسمهم الى ان غلبهم على امرهم علي بن احمد شيخ اولاد محمد وهلك حسن بن سلامة وانقرض امر السنية من رياح ونزل ابن الازرق بسكرة استدعاه يوسف بن مزني لقضائها تفريقا لامر السنية فاجابه ونزل عنده فولاه القضاء ببسكرة الى ان هلك سنة   ثم قام علي بن احمد هذه السنة بعد حين ودعا اليها وجمع لابن مزني سنة اربعين وسبعمائة ونازل بسكرة وجاء مدد اهل ريغ واقام محاصرا لها اشهرا وامتنعت عليه فاقلع عنها وراجع يوسف بن مزني وصاروا الى الولاية الى ان هلك علي بن احمد وبقي من عقبنا سعادة في زاويته بتونة وذهب يوجب لهم ابن مزني رعاية وتعرف لهم اعراب الفلاة من رياح حقا في اجارة من يجيره وحفه من اهل السابلة وبقي هولاء الدواودة ينزع بعضهم احيانا الى اقامة هذه الدعوة فياخذون لها انفسهم غير مستوفين من الدين والتعمق في الورع بما يناسبها ويقتضي حقها بل يجعلونها ذريعة لاخذ الزكوات من الرعايا ويتظاهرون بتغيير المنكر يسرون به للحسو في ارتغاء فيختل امرهم لذلك ويحمق ساعيهم ويتنازعون على ما يحصل بايديهم ويفترقون على غير شي والله متولي الامور لا اله الا هو سبحانه

الخبر عن زغبة من بطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرا

بعة

هذا القبيل اخوة رياح ذكر ابن الكلبي ان زغبة ورياحا ابنا ابي ربيعة بن نهيك ابن هلال بن عامر هكذا نسبهم وهم لهذا العهد يزعمون ان عبد الله يجمعهم بكسر عبد ولم يذكر ابن الكلبي ذلك وذكر عبد الله في ولد هلال فلعل انتسابهم اليه انما كفلهم او اشتهروا دونهم وكثيرا ما يقع مثل هذا في انساب العرب اعني انتساب الابناء لعمهم او كافلهم والله اعلم وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم

افريقية وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس وقتلوا سعيد بن خزرون من ملوك
مغراوة بطرابلس ولم يزالوا بتلك الحال الى ان غلب الموحدون على افريقية ه
وثار بها ابن غانية وتحيزت اليه افاريق هلال من رياح وجشم فنزعت زغبة
الى الموحدين وانحرفوا عن ابن غانية فرعوا لهم حق نزوعهم وصاروا يدا واحدة
مع بني بادين من زناتة في حماية المغرب الاوسط من ابن غانية واتباعه ه
واتصلت مجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القفر وملك بنو بادين من زناتة
عليهم التلول ولما ملكت زناتة بلاد المغرب الاوسط ونزلوا بامصاره دخل زغبة
هولاء الى التلول وتغلبوا فيها ووضعوا الاتاوة على الكثير من اهلها باجمعهم
وزناتة من البداوة وعصبية الحلف وخلا قفرهم من ظعونهم وحاميتهم فغلبت
عرب المعقل المجاورون لهم من جانب المغرب وغلبوا على من وجدوا من مخلف زغبة
هولاء بتلك القفار وجعلوا عليهم غفارة ياخذونها من ابلهم ويختارون
عليهم البكرات منها وانفوا لذلك وتذامروا وتعاقدوا على دفع هذه الهضيمة
وتولى كبرها من بطونهم ثوابة بن جوثة من سويد كما نذكره بعد فدفعوهم عن
اوطانهم من ذلك القفر ثم استفحلت دولة زناتة وكبحوا العرب عن وطء تلولهم
لما ينالونهم بالعيث والفساد فرجعوا الى صحرائهم وملكت الدولة عليهم التلول
والحبوب واستصعب الميرة وهزل الكراع وتلاشت احوالهم وضربت عليهم البعوث
واعطوا الاتاوة والصدقة حتى اذا فشل ريح زناتة وداخل الهرم دولتهم واستولى
الخوارج من قرابة الملك بالناحية وجدوا السبيل بالفتنة الى طروق التلول
ثم الى التغلب فيها ثم اقالوا زناتة عثرتها فغلبوهم في الكثير الاحايين واقطعتهم
الدولة الكثير من نواحي المغرب الاوسط وامصاره في سبيل الاستظهار بهم فتمشت
ظعونهم فيه وملكوه من كل جانب كما ذكرناه وبطون زغبة هولاء متعددون من
يزيد وحصين ومالك وعامر وعمرو وقد اقتسموا بلاد المغرب الاوسط كما تراه في
اخبارهم

بنو يزيد من زغبة

كان لبني يزيد هولاء محل من زغبة بالكثرة والشرف وكان للدول بهم عناية
فكانوا لذلك اول من اقطعته الدول من العرب بالتلول والضواحي اقطعهم
الموحدون في ارض حمزة من اوطان بجاية مما يلي بلاد رياح والاثابج فنزلوا
هنالك وولجوا تلك الثنايا المفضية الى تلول حمزة والدهوس وارض بني حسن
وتولوها ربيعا وصيفا وصار للدولة استظهار بهم على جباية تلك الرعايا من صنهاجة
وزواوة فلما عجزت عساكر بجاية عن جبايتهم دفعوهم لها فاحسنوا في اقتضائها
وزادت الدولة بهم تكرمة وعناية لذلك واقطعتهم الكثير من تلك الاوطان
ثم غلبت زناتة الموحدين على تلك الاوطان واقتطعوها عن اوطان بجاية
واضافوها من ممالكهم فلما فشل ريح زناتة وجاش بحر فتنتهم مع العرب
استبد بنو يزيد هولاء بملكة تلك الاوطان وغلبوا عليها من جميع جوانبها
وفرغوا لجبايتها واقتضاء مغارمها وهم على ذلك لهذا العهد وفيهم بطون

كثيرة

كثيرة فمنهم حميان بن عقبة بن يزيد وجواب وبنو كرز وبنو موسى والمرابعة والخشنة
وهم جميعا بنو يزيد بن عبس بن زغبة واخوانهم عكرمة بن عبس من ظعونهم
وكانت الرياسة في بني يزيد لاولاد لاحق ثم لاولاد معافى ثم صارت
في بيت سعد بن مالك بن عبد القوي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مهدي
ابن يزيد بن عبس بن زغبة وهم يزعمون انه مهدي بن عبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق نسب تاباه رياستهم على غير عصبيتهم وقد مر ذلك قبل وربما ينسبهم
اخرون الى سلول وهم بنو مرة بن صعصعة اخي عامر بن صعصعة وليس بصحيح لما
قلناه وقد يقال ان سلول وبني يزيد اخوة ويقال لهم جميعا اولاد فاطمة وبنو
سعد هولاء ثلاثة بطون بنو ماضي بن رزق بن سعد وبنو منصور بن سعد
وبنو زغلي بن رزق بن سعد واختصت الرياسة على الظعون والحلول ببني
زغلي وكانت لزيان بن زغلي فيما علمناه ثم من بعده لاخيه ديفل ثم لاخيهما ابي
بكر ثم لابنه ساسي بن ابي بكر ثم لاخيه معتوق بن ابي بكر ثم لموسى عمهم ابي الفضل
بن زغلي ثم لاخيه احمد بن ابي الفضل ثم لاخيهما علي بن ابي الفضل ثم لابي الليل
ابن موسى بن ابي الفضل وهو رئيسهم لهذا العهد وتوفي سنة احدى وتسعين
وخلفه في قومه ابنه وكان من احلافهم فيما تقدم بنو عامر بن زغبة يظعنون
معهم في مجالاتهم ويظاهرونهم في حروبهم وكانت بين رياح وزغبة فتنة ه
طويلة لعهد موسى بن محمد بن مسعود وابنه شبل ايام المستنصر بن ابي حفص
فكان بنو يزيد هولاء يتولون كبرها لمكان الجوار وكان بنو عامر احلافهم فيها
وظهراؤهم وكان لهم على مظاهرتهم وضيعة من الزرع تسمى الغرارة وهي الف
غرارة من الزرع وكان سببها فيما زعموا ان ابا بكر بن زغلي غلبته رياح على
الدهوس من وطن حمزة الزمان فتنته معهم فاستصرخ بني عامر فجاءه اولاد شافع
وعليهم صالح بن بالغ وبنو يعقوب وعليهم داود بن عطاف وحميد وعليهم يعقوب
ابن معرف واسترجع وطنه وفرض لهم على وطنه غرارة الزرع واستمرت لبني
عامر فلما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها ودخلت زناتة الى التلول
والارياف فاكرهوا عيث المعقل وفسادهم في وطنها فجاء يغمراسن بني عامر هولاء
من مجالاتهم بصحراء بني يزيد وانزلهم في جواره بصحراء تلمسان كيادا للمعقل ومزاحمة
لهم بامثالهم فنزلوا هنالك وتبعهم حميان من بطون بني يزيد وهم لعقبة بن
يزيد بما كانوا بطونا ناجعة ولم يكونوا احلوا لاقتعاد وافي عداد بني عامر لهذا
العهد ونزلت بنو يزيد بلاد الريف وخصبه فاوطنوا الكرايم وقل اهل الناجعة
منهم الا افاريق من عكرمة وبعض بطون عبس يظعنون مع اولاد زغلي في قفرهم
واقصروا عن الظعن في القفر الا في القليل وهم احلافهم من بطون رياح او زغبة
وهم على ذلك لهذا العهد ومن بطون بني يزيد بن عبس بن زغبة هولاء بنو خشين
وبنو موسى وبنو معافى وبنو لاحق وكانت الرياسة لهم ولبني معافى قبل بني سعد
ابن مالك وبنو جواب وبنو كرز وبنو مربع وهم المرابعة وهولاء كلهم حمزة لهذا العهد
ومن المرابعة حي يجمعون بضواحي تونس لهذا العهد وغلب عليهم نسب زغبة والله الخلاق

العليم

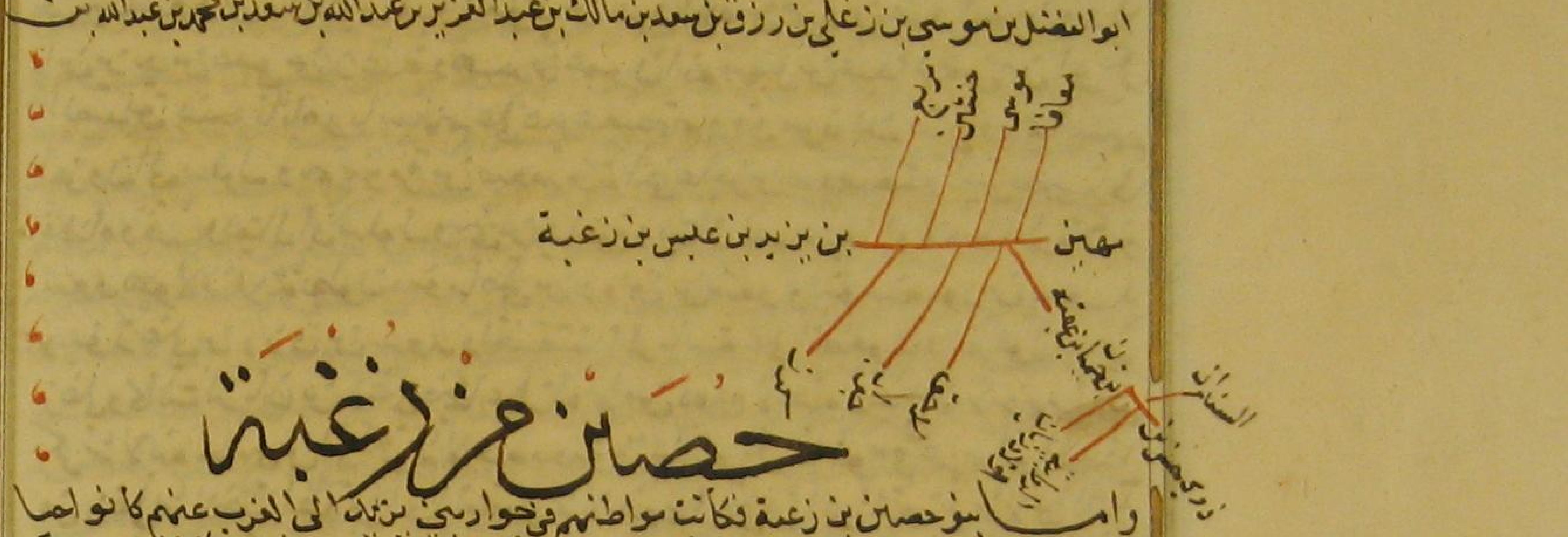
ابو الفضل بن موسى بن زغلي بن رزق بن سعد بن مالك بن عبد العزيز بن عبد الله بن سعد بن محمد بن عبد الله بن
حصين
بن يزيد بن عبس بن زغبة

حصين بن زغبة

وأما بنو حصين بن زغبة فكانت مواطنهم في جوار بني يزيد الى المغرب عنهم كانوا احيا
حلولا هنالك وكان الريف المحاذي لهم من تيطري ونواحي المدية مواطن للثعالبة من
بطون المعقل ثم لبني توجين من بطون بادين لما غلبوا عليها الثعالبة وكان حصين هولاء
ظعونا لهم يضربون عليهم البعوث ويأخذون منهم الاتاوات والصدقات حتى اذا ذهب
سلطان بني توجين من ارض المدية وغلبهم عليها بنو عبد الواد ساموا حصينا هولاء خطة
الخسف والذل والزموهم الوضايع والمغارم واستلحموهم بالقتل وتنقصوهم بالتكاليف
وصيروهم في عداد القبايل الغارمة وبأثر ذلك كان تغلب بني مرين على جميع زناتة
كما نذكره فكانوا لهم اطوع ولدولتهم اذل فلما عاد بنو عبد الواد الى ملكهم
لعهد ابي حمو موسى بن يوسف بعد مهلك السلطان ابي عنان وهبت ريح العز للعرب
وفشل ريح زناتة ولحق دولتهم ما يلحق الدول من الهرم نزل حصين هولاء بتيطري
وهو جبل اسير وملكوه وتحصنوا به وكان ابو زيان بن عم السلطان ابي حمو المالك
من قبله لحق بتونس منفلتا من حبالة بني مرين وخرج طالبا لملك ابيه ومنازعا لابن عمه
هذا ونزل في خبر طويل نذكره بعد بحصين هولاء احوج ما كانوا اليها لما راموه ٥
من خلع ما كان باعناقهم من الذل وطوق الاهتضام والعسف وتلقوه بما يجب له ونزل منهم
باكرم نزل واحسن مثوى وبايعوه وراسلوا اخوانهم وكبراءهم من دوسار زغبة بني سويد
وبني عامر واصفقوا عليه وترددت عساكر السلطان ابي حمو وبني عبد الواد اليهم
فتحصنوا في جبل تيطري واوقعوا بهم ونهض اليهم السلطان ابو حمو بعساكره فغلبوه ٥
ونالوا منه ونالت زغبة بذلك ما ارادوه من الاعتزاز على الدولة اخر الايام وتملكوا ١
٢ البلاد اقطاعات وسهمانا ورجع ابو زيان الى رياح فنزل بهم على سلم عقده مع ابن عمه
وبقي لحصين اثر الاعتزاز من جراه واقطعتهم الدولة ما دلوه من نواحي المدية وبلاد صنهاجة
ولحصين هولاء بطنان عظيمان جندل وخراش فمن جندل اولاد سعد بن خنفر بن مبارك
ابن فضيل بن سنان بن سباع بن موسى بن كمام بن علي بن جندل ورياستهم في اولاد خليفة
ابن سعد لعلي وسيد بهم واولاد خشعة بن جندل وكانت رياستهم على جندل قبل اولاد

خليفة بن سعد ورئيسهم الان علي بن صالح بن دياب بن مبارك بن يحيى بن مهلهل بن شكر
ابن عامر بن محمد بن خشعة ومن خراش اولاد مسعود بن مظفر بن محمد الكامل بن خراش
ورياستهم لهذا العهد في ولد رحاب بن عيسى بن ابي بكر بن زمام بن مسعود واولاد فرج
ابن مظفر ورياستهم في بني خليفة بن عثمان بن موسى بن فرج واولاد طريف بن معبد
ابن خراش ويعرفون بالمعابرة ورياستهم في اولاد عريف بن طريف لزيان بن بدر بن
سعود بن معرف بن عريف ولصباح بن عبد الله بن كثير بن عريف وربما انتسب اولاد
مظفر بن خراش الى بني سليم ويزعمون ان مظفر بن محمد الكامل جاء من بني سليم ونزل بهم والله اعلم

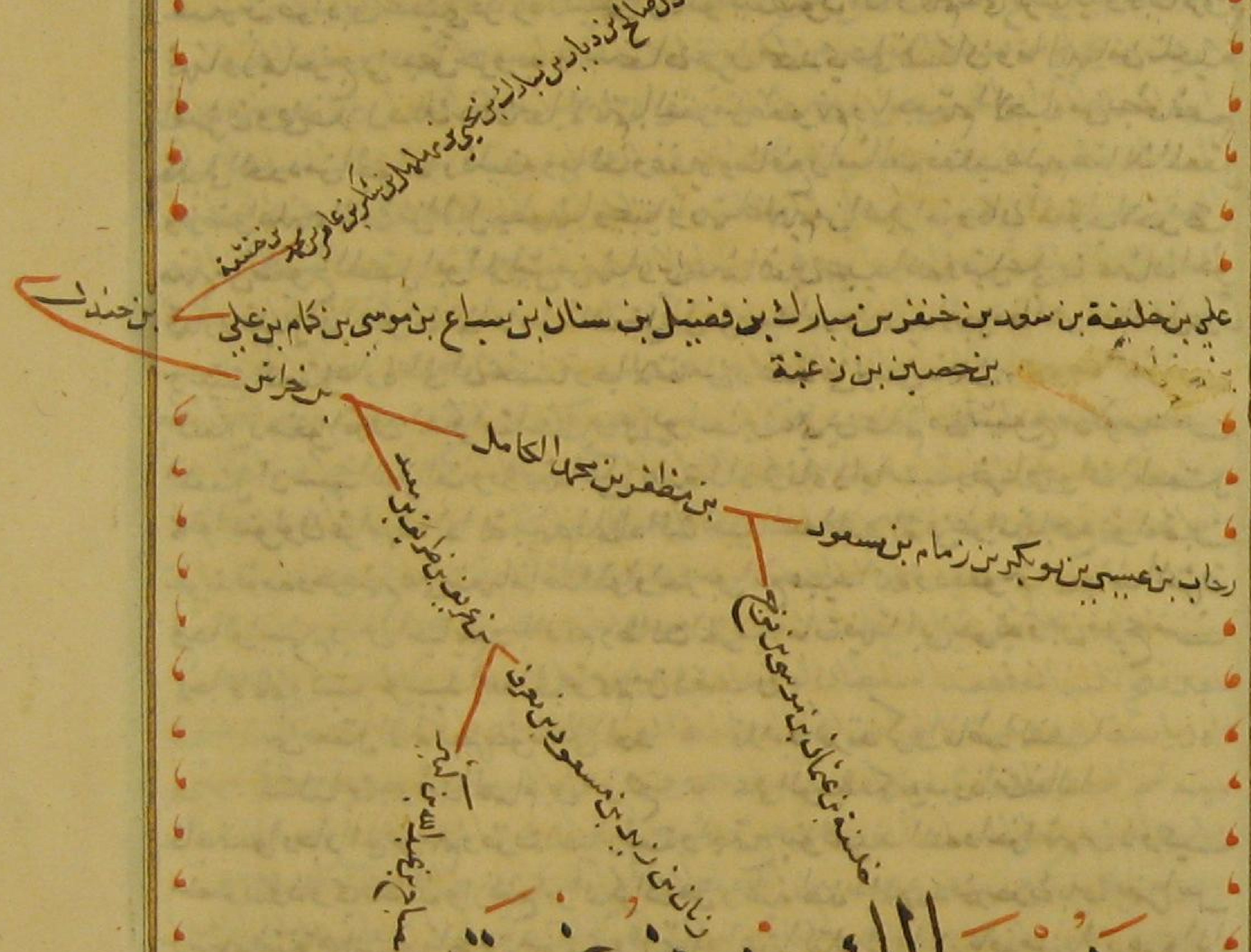
كان صالح بن دياب بن مبارك بن يحيى بن مهلهل بن شكر بن عامر بن محمد بن خشعة
بن جندل
علي بن خليفة بن سعد بن خنفر بن مبارك بن فضيل بن سنان بن سباع بن موسى بن كمام بن علي
بن حصين بن زغبة
بن خراش
بن مظفر بن محمد الكامل
بن مسعود
رحاب بن عيسى بن ابو بكر بن زمام
خليفة بن عثمان بن موسى بن فرج
بن عريف بن طريف بن معبد
زيان بن بدر بن مسعود بن معرف
الصباح بن عبد الله بن كثير

بنو مالك بن زغبة

واما بنو مالك بن زغبة فهم بطون ثلاثة سويد بن عامر بن مالك والحرث بن مالك وهم
بطنان العطاف من ولد عطاف بن رومي بن حارث والديالم من ولد ديلم بن حسن
ابن ابراهيم بن رومي فاما سويد فكانوا احلافا لبني بادين من قبل الدولة وكان لهم
اختصاص ببني عبد الواد وكانت لهم لذلك العهد اتاوة على بلد سيرات والبطحا وهوارة
ولما ملك بنو بادين تلول المغرب الاوسط وامصاره كان قسم بني توجين منه سيا ح
التلول القبلي وما بين قلعة سعيدة في المغرب الى المدية في الشرق فكان لهم قلعة بن
سلامة ومنداس ووانشريس ودنيه وما بينهما فاتصل جوارهم لبني مالك هولاء في
القفر والتل ولما ملك بنو عبد الواد تلمسان ونزلوا في ساحتها وضواحيها كان سويد

هولا اخص لحلفهم ولايتهم من ساير زغبة وكانت لسويد هولاء بطون مذكورة من فليته وشبانة ومجاهر وجوثة كلهم بنو سويد والحساسنة بطن من شبانة نسبة الى حسان بن شبانة وغفير وشافع ومالف كلهم بنو سليمة بن مجاهر وبو رحمة وبو كامل وحمدان كلهم بنو مقدر بن مجاهر ويزعم بعض نسابتهم ان مقدرا ليس جدا لهم وانما وضع ذلك اولاد بو كامل وكانت رياستهم لعهد يغمراسن وما قبله في اولاد عيسى بن عبد القوي بن حمدان وكانوا ثلاثة مهدي وعطية وطراد واختص مهدي بالرياسة عليهم ثم ابنه يوسف بن مهدي ثم اخوه عمر بن مهدي واقطع يغمراسن يوسف بن مهدي ببلاد البطحا وسيرات واقطع عنتر بن طراد بن عيسى وزارة البطحا وكانوا يتقاضون اتاوتهم على الرعايا ولا يناكرونهم فيها وربما خرج في بعض حروبه واستخلف عمر بن مهدي على تلمسان وما اليها من ناحية الشرق وفي خلال ذلك خلت مجالاتهم بالقفر من ظعونهم وناجعتهم الاحيا من بطونهم قليلي العدد من الجوثة وفليته ومالف وغفير وشافع وامثالهم فتغلب عليهم هنالك المعقل وفرضوا عليهم اتاوة من الابل يعطونها ويعتارونها عليهم من البكرات وكان المتولي لاخذها منهم من شيوخ المعقل ابو الريش بن نهار بن عثمان بن عبيد الله وقيل علي بن عثمان اخو نهار وقيل ان البكرات انما فرضها المعقل على قومه عامر بن حميد لاجل مظاهرته له على عدوه وبقيت للمعقل عادة الى ان امتنعت رجالات من زغبة في بعض ذلك وعدوا برجال المعقل ومنعوا تلك البكرات اخبرني يوسف بن علي بن غانم عن شيوخ من قومه من المعقل ان سبب البكرات وفرضها على زغبة كما ذكرناه واما سبب دفعها فهو ان المعقل كانوا يتداولون غرامتها دالة بينهم فلما دالت لعبيد الله الدولة في غرامتها جمع ثوابة بن جوثة قومه وحرضهم على منعها فاختلفوا واحزبوا مع عبيد الله ودفعوهم الى جانب الشرق وحالوا بينهم وبين احيائهم وبلادهم وطالت الحرب ومات فيها ابن جوثة وابن مربح من رجالاتهم وكتب بنو عبيد الله الى قومهم من قصيدة

بني معقل ان لم تصرخونا على العدا • فلا بد كم تذكروا ما مضى لنا •
قتلنا ابن جوثة والهمام بن مربح • على الوجه مكبوب وذا من فعالنا •

فاجتمعوا وجاووا الى قومهم وفرت احيا زغبة واجتمع بنو عبيد الله واخوانهم من ذوي منصور وذوي حسان وارتفع امر البكرات عن زغبة لهذا العهد ثم حدث بين يغمراسن وبينهم فتنة هلك فيها عمر بن مهدي وارتحلوا عن التلول والارياف من بلاد عبد الواد الى القفر المحاذي لاوطان بني توجين فنزلوا وحالفوا توجين على المهادنة والمظاهرة فصاروا لهم حلفا على بني عبد الواد ومن عجز منهم عن الظعن نزل ببسايط البطحا وسيرات من بطونهم كلها من شبانة ومجاهر وفليته وغفير وشافع ومالف وبو رحمة وبو كامل ونزل بخميس بن عمار اخو سويد بنواحي وهران فوضعت عليهم الاتاوات والمغارم وصاروا من عداد الرعايا اهل الجباية وولي عثمان بن عمر امر الظعون من سويد ثم هلك وقام بامره ابنه ميمون وغلب عليه اخوه سعيد واستبد وكان بين سويد وبين بني عامر بن زغبة فتنة اتصلت على الايام وتغلبت وطاة الدولة الزيانية عليهم وزحف يوسف ابن يعقوب الى منازلة تلمسان وطال مقامه عليها فوفد عليه سعد بن عثمان بن عمر بن مهدي شيخهم لعهده فادنى مجلسه وكرم وفادته ثم اجمع قتله ففر ولحق بقومه واجلب

على

على اطراف التلول وملك السرسو قبلة بلاد توجين ونزعت طايفة من عكرمة بني يزيد وعجزوا عن الظعن فانزلهم بجبل كريكرة قبلة ووضع عليهم الاتاوة ولم يزل كذلك الى ان هلك يوسف بن يعقوب واتصل سلطان آل يغمراسن ولما ولي ابو تاشفين بن موسى ابن عثمان بن يغمراسن استخلص عريف بن يحيى لدنه صحابة كانت له معه قبل الملك ثم اتبعه ببعض النزعات الملوكية وكان هلال مولاه المستولي عليه يغص بمكان عريف منه فنزع عريف بن يحيى الى بني مرين ملوك المغرب الاقصى ونزل على السلطان ابي سعيد منهم سنة عشرين وسبعماية واعتقل ابو تاشفين عمه سعيد بن عثمان الى ان هلك في محبسه قبيل فتح تلمسان ولحق اخوه ميمون بن عثمان وولده بملك المغرب ونزل عريف بن يحيى من سلطان بني مرين اكرم نزل وادنى مجلسه واكرم مثواه ثم اتخذه ابنه السلطان ابو الحسن من بعده بطانة لشوراه ونجيا لخلواته ولم يزل يحرضهم على آل زيان بتلمسان ونفس ميمون بن عثمان وولده على عريف رتبته عند السلطان ابي الحسن فنزعوا الى اخيه ابي علي بتافيلالت ولم يزالوا بها الى ان هلك ميمون ثم تغلب السلطان ابو الحسن على اخيه ابي علي وصار اولاد ميمون في جملته وزحف السلطان ابو الحسن الى تلمسان بجرايم المغرب واجحر آل زيان بتلمسان عامين ثم افتتحها عليهم عنوة وابتز ملكهم وقتل السلطان ابا تاشفين عند سدته وبعث كلمته في اقطار المغرب الاقصى والادنى الى تخوم الموحدين من الاندلس وجمع كلمة زناتة واستتبعهم تحت لوايه وفر بنو عامر من زغبة اولياء بني عبد الواد الى القفر كما نذكره ودفع السلطان ابو الحسن قدم عريف بن يحيى بمجلسه على كل عربي في ايالته من زغبة والمعقل وكان عقد لسمعون بن سعيد على الناجعة من سويد وهلك ايام نزول السلطان بتاسالة سنة ثنتين وثلاثين قبل فتح تلمسان وولي من بعده اخوه عطية وهلك لاشهر من ولايته بعد فتح تلمسان فعقد السلطان لونزمار بن عريف على سويد وساير بني مالك وجعل له رياسة البدو وحيث كانوا من اعماله واخذ الصدقات منهم والاتاوات فتمكنت على بيته ابهة البدو واقتدى بشوار رؤسائهم وفر ابن عمه المسعود بن سعيد ولحق ببني عامر واجلبوا على السلطان بدعي جزارشة بابنه ابي عبد الرحمن فجمع لهم ونزمار وهزمهم كما نذكره وسفر عريف بين السلطان ابي الحسن وبين الملوك لعهده من الموحدين بافريقية وبني الاحمر بالاندلس والترك بالقاهرة ولم يزل على ذلك الى ان هلك السلطان ابو الحسن ولما تغلب السلطان ابو عنان على تلمسان كما نذكره دعى لسويد ذمة الانقطاع اليه فرفع ونزمار بن عريف على ساير رؤسا البدو من زغبة واقطعه السرسو وقلعة ابن سلامة وكثيرا من بلاد توجين وهلك ابوه عريف بن يحيى فاستقدمه من البدو واجلسه بمكان ابيه من مجلسه جوار اريكته ولم يزل على ذلك وعقد على اخيه عيسى على البدو من قومه ثم ان بني عبد الواد بعد مهلك السلطان ابي عنان عادت لهم الدولة بابي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن من اعياص ملوكهم وتولى كبر ذلك صغير بن عامر وقومه لما لهم مع آل زيان من الولاية وما كان لبني مرين فيهم من النقمات فملكوا تلمسان ونواحيها وعقدوا على سويد لميمون بن سعيد ابن عثمان وناب ونزمار بن عريف راي في التوهب والخروج عن الرياسة فبنى حصنا

بوادي ملوية من تخوم بني مرين ونزل بهم واقام هنالك لهذا العهد وملوك بني مرين يرعون
له ذمة اختصاصه بسلفهم فيؤثرونه بالشورى والمداخلة في الاحوال الخاصة مع الملوك
والرؤسا من ساير النواحي فتوجهت اليه بسبب ذلك وجوه اهل الجهات من الملوك
وشيوخ العرب ورؤساء الاقطار ولحق اخواه ابو بكر ومحمد بقومهم فنكروا بالمهوذ ودسوا
عليه من قتله غيلة ببيته من ذويهم وحاشيتهم واستبد ابو بكر برياسة البدو سحر لما
نصب بنو حفص اباذيان بن عم السلطان ابي حمو للملك كما نذكره ورشحوه للمنازعة
سنة سبع وستين وسبعماية هبت من يومئذ ريح العرب وجاشت مراجلهم على زناتة ووطئوا من
تلول بلادهم بالمغرب الاوسط ما عجزوا عن حمايته ولجؤا من فروجها ما قصروا عن سده
ودابوا فيها دبيب الظلال في الفنوء فتملكت زغبة ساير البلاد بالاقطاع من السلطان
طوعا وكرها وليه رغبا الخدمة وترغيبا فيها وعدة وتسكينا لغربته حتى افرجت لهم زناتة
عن كثيرها ولجؤا الى سيف البحر وحصل كل منهم في التلول على ما يلي موطنه من بلاد القفر
فاستولى بنو يزيد على بلاد حمزة وبني حسن كما كانوا من قبل ومنعوا المغارم واستولى
بنو حصين على ضواحي المدية اقطاعا والعطاف على نواحي مليانة والديالم على ورنيد
وسويد على بلاد بني توجين كلها ما عدا جبل انشريس لتوعره بعيث فيه لمة من توجين
رياستهم لاولاد عمر بن عثمان من الحشم بني تيغرين كما نذكره وبنو عامر على تاسالة
وملاتة الى صيد وزالى حدود الجبل المشرف على وهران وتماسك السلطان بالامصار
واقطع منها كلمتونا لابي بكر بن عريف ومازونة لمحمد بن عريف ونزلوا لهم عن ساير الضواحي
فاستولوا عليها كافة واوسك بهم ان يستولوا على الامصار وكل اول فالى اخر ولكل
اجل كتاب وهم على ذلك لهذا العهد ومن بطون سويد هولاء بطن بنواحي البطحاء
يعرفون بفليح تنسبهم الناس الى مجاهر بن سويد وهم يزعمون انهم من قوم المقداد
ابن الاسود وهم بهراء من قضاعة ومنهم من يزعم انهم من تجيب احدى بطون كندة والله
اعلم ومن ظواعن سويد هولاء ناجعة يعرفون بصبيح وتنسبهم الى صبيح بن علاج بن مالك
وهم عدد وقوة وهم يظعنون بظعن سويد ويقيمون بمقامهم واما الحارث بن مالك
فهم العطاف والديالم فموطن العطاف قبلة مليانة ورياسة ظعونهم لولد يعقوب بن
موسى بن يعقوب بن نصر بن عروة بن منصور بن ابي الذيب بن حصين بن عياض بن
عطاف بن زيان بن يعقوب وابن اخيه علي بن احمد وبنيهم ومعهم طايفة من براز احرى
بطون الاثبج واقطعهم السلطان مغارم جبل دراك وما اليه الى وادي شلف وحال
بينهم وبين موطن سويد جبل وانشريس الحاجز هنالك وموطن الديالم قبلة وانشريس
والهم بلاد ونبه في قبلة الجبل ورياستهم في ولد ابراهيم بن رزق بن رعاية بن مزروع
ابن صالح بن ديلم ولسعد بن العباس بن ابراهيم منهم لهذا العهد وكانت من قبل لعمه
يحيى بن ابراهيم ونقض عليه السلطان ابو عنان باشارة عريف بن يحيى واغرابه
وهلك في محبسه وفيهم بطون كثيرة منهم بنو زياد بن ابراهيم بني زروسي والسد
هاقته اولاد دهقان بن حسن وبنو انوال بن حسن ايضا وكلهم اخوة ديلم بن حسن وبنو
عكرمة بن مزروع بن صالح ويعرفون بالعكارمة وهولاء العطاف والديالم اقل عددا من سويد
واوليايهم في فتنتهم مع بني عامر لمكان العصبية من نسب مالك ولسويد عليهم اعتزاز بالكثرة

والديالم

والديالم ابعد مجالا منهم في القفر ويحاذيهم في مواطنهم من جانب التلول بطن من بطون الحارث يعرفون
بعزيب نسبهم الى عزيب بن الحارث حتى تحلول بتلك المواطن يطلبهم السلطان في العسكر وياخذ
منهم المغارم وهم اهل شاء وبقر ورياستهم في ابنا مزروع بن خليفة بن خلوف بن يوسف
ابن بركة بن منصف بن مكتوب بن منيع بن مغيث بن محمد العزيب وهو جدهم بن حارث ويرادفهم
في رياستهم على عزيب اولاد يوسف وهم جميعا اولاد بو منيع وساير عزيب من الاحلاف وشيوخهم
اولاد كامل والله مالك الخلق والامر

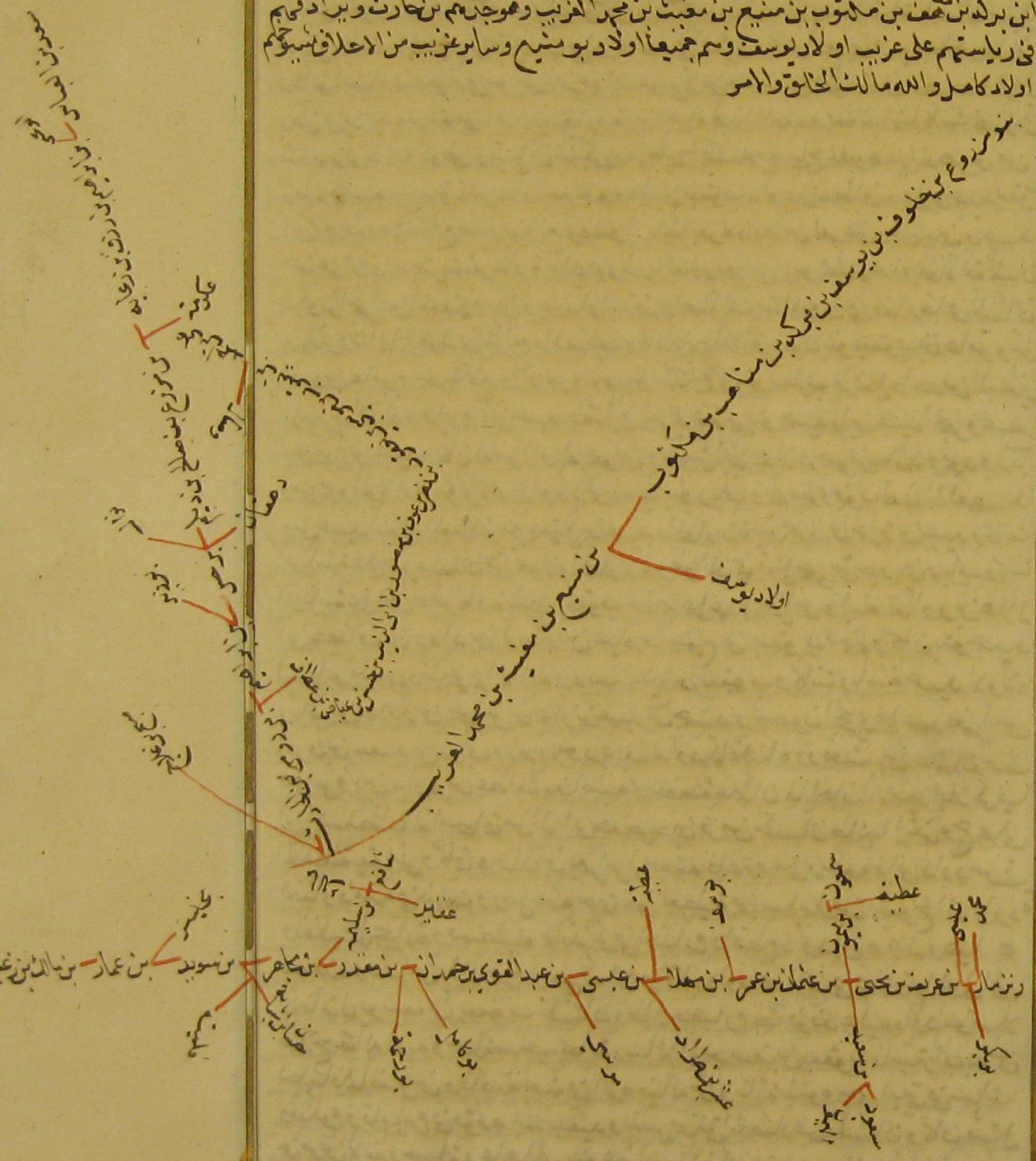
بنو مزروع بن خلوف بن يوسف بن بركة بن منصف بن مكتوب
بن منيع بن مغيث بن محمد العزيب
اولاد بو منيف
عطيف
عفير
بن عريف بن يحيى بن عثمان بن عمر بن هلال بن عيسى بن عبد القوي بن حمدان بن معقد بن مجاهر بن سويد بن عمار بن مالك

بنو عامر من زغبة

واما بنو عامر بن زغبة ومواطنهم في آخر مواطن زغبة من المغرب الاوسط بقبلة تلمسان مما يلي المعقل وكانت مواطنهم من قبل ذلك في آخرها مما يلي الشرق وكانوا مع بني يزيد حيا جميعا وكانوا يتقلبون غيرهم في مواطن حمزة والدهوس وبني حسن لميرة اقواتهم في المصيف ولهم على وطن بني يزيد ضريبة من الزرع متعارفة بين اهله لهذا العهد ويقال انها كانت لهم زمان تقلبهم في ذلك الوطن وقيل ان ابا بكر بن زغبي في فتنته مع رياح غلبوه على الدهوس من وطنه فاستصرخ ببني عامر فجاؤا لصريخه وعلى بني يعقوب داود بن عطاف وعلى بن حميد يعقوب ابن معرف وعلى شافع صالح بن بالغ وغلبوا رياحا بعزلان وفرض لهم على وطن بني يزيد الغزائر واستمرت لهم عادة عليهم ولما انقلهم يغمراسن الى مواطنهم هذه بمحاذاة تلمسان ليكونوا حجرا بين المعقل وبين وطنها واستقروا هنالك يتقلبون في قفارها في المشاتي ويظعنون الى التلول في المرابع والمصايف وكان منهم ثلاثة بطون بنو يعقوب بن عامر وبنو حميد بن عامر وبنو شافع بن عامر وهم بنو شافع وبنو مطرف ولكل واحد من البطنين المخير بن الخاد وعامر ولبني حميد فصايل اخرى فمنهم بنو حميد وابن عبيد الحجز وهم بنو حجاز بن عبيد وكان له من الولد حجوش وحجيش ابي عجاز وحجوش حامد ومحمد ورباب ومن محمد الولالدة بنو ولاد بن محمد ومن رباب بنو رباب وهم معروفون لهذا العهد ومن عبيد ايضا العقلة بنو عقيل بن عبيد والمحارزة بنو محرز بن حمزة بن عبيد وكانت الرياسة على حميد لهلال من هولاء المحارزة وهو الذي قتل حجوش جد بني رباب وكانت الرياسة على بني عامر كافة لبني يعقوب منهم على عهد يغمراسن وابنه لداود بن هلال ابن عطاف بن رداد بن كرستر بن عياد بن منيع بن يعقوب منهم وكان بنو حميد ايضا برئيسهم وشيخهم الا انه رديف لشيخ بن يعقوب وكانت رياسة حميد لاولاد رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد ويسمون الحجز وعلى عهد يغمراسن لمعرف بن سعيد بن رباب منهم وهو رديف لداود كما قلناه ووقعت بين عثمان بن يغمراسن وبين داود بن عطاف مغاضبة وسخطة عثمان لما اجاز الامير ابا زكريا ابن السلطان ابي اسحاق من ال ابي حفص حين فر من تلمسان طالبا الخروج على الخليفة بتونس وكان عثمان بن يغمراسن في بيعته فاعترض على رجعه فابى داود من اخفار ذمته في ذلك ورحل معه حتى لحق بعطية بن سليمان من شيوخ الدواودة وتغلب على بجاية وقسنطينة كما نذكره في اخباره واقطع داود بن هلال رعيا ه لنقلته وطنا من بلاد حمزة يسمى كدارة واقام داود هنالك في مجالاتهم الاولى الى ان نازل يوسف بن يعقوب تلمسان وطال حصاره لها فوفد عليه داود مؤملا صلاح حاله لديه وحمله صاحب بجاية رسالة الى يوسف بن يعقوب فاستراب به من اجلها فلما انقلب من وفادته بعث في اثره خيالة من زناتة فبيتوه ببني يبقي في سباك وقتلوه وقام بامره في قومه ابنه سعيد ونفس مخنق الحصار عن تلمسان وكان قتل بني مرين لابنه وسيلة رعاها لهم بنو عثمان بن يغمراسن فرجعوهم الى مواطنهم ومسح

قومهم

قومهم وقد اعتز اولاد معرف بن سعيد في غيبتهم تلك بساجلوهم في رياسة بني عامر وعض كل واحد بمكان صاحبه واختص بنو معرف بقبول الدولة عليهم لسلامتهم من الجرائر والخلاف ونزع سعيد بن داود لاجل هذه الغيرة الى بني مرين على السلطان ابي ثابت من ملوكهم يوميذ بالكوة فلم يصادف لها محلا ورجع الى قومه وكانوا مع ذلك حيا جميعا ولم تزل السعايات تدب بينهم حتى عدا ابراهيم بن يعقوب بن معرف على سعيد بن داود فقتله وتناول قتله ماضي بن رقان من اولاد معرف من بني عامر بها لاته وتعصب عليه اولاد رباب كافة فافترق امر بني عامر وصاروا حيين بنو يعقوب وبنو حميد وذلك لعهد ابي حمو موسى بن عثمان من ال زيان وقام بامر بني يعقوب بعد سعيد ابنه عثمان ثم هلك بعد حين ابراهيم بن يعقوب بن شيخ ابن حميد وقام مقامه من قومه ابنه عامر بن ابراهيم وكان شهما حازما وله ذكر ونزع الى المغرب قبل عريف بن يحيى ونزل على السلطان ابي سعيد واصهر اليه في ابنته فانكحه عامر اياها وزفها اليه ووصله بمال له خطر فلم يزل عثمان يحاول الثار منه بابيه بالفتنة تارة والصلح والاجتماع اخرى حتى غدره في بيته وقتله وارتكب فيه الشنعاء التي تنكرها العرب فتقاطع الحيان لذلك اخر الدهر وصار بنو يعقوب هولاء احلافا لسويد في فتنتهم مع بني حصين هولاء ثم تلاحقت ظواعن سويد بعريف ابن يحيى في مكانه عند بني مرين واستطال ولد عامر بن ابراهيم بقومهم على بني يعقوب فلحقوا بالمغرب ولم يزالوا به الى ان جاوا في عساكر السلطان ابي الحسن وهلك شيخهم عثمان قتله اولاد عريف بن سعيد بثار عامر بن ابراهيم وولي بعده ابن عمه عمر بن غانم بن هلال وكان رديفا له في حياته ثم هلك وقام بامرهم بعده عمه سليم ابن داود ولما تغلب السلطان ابو الحسن على تلمسان فر بنو عامر بن ابراهيم الى الصحرا وكان شيخهم لذلك العهد صغير ابنه واستالف السلطان على يد عريف بن يحيى سائر بطون حميد واولاد رباب فجاوا لقوا صغيرا واخوانه الى السلطان وولى شيخا من بني عمهم عريف بن سعيد وهو يعقوب بن العباس بن ميمون بن عريف ووفد بعد ذلك عمر بن ابراهيم عم صغير فولاه عليهم واستخدمهم ولحق بنو عامر بن ابراهيم بالدواودة ونزلوا على يعقوب بن علي ولم يزالوا هنالك حتى شبوا نار الفتنة بالدعي بن هيدور الملبس بنسبة ابي عبد الرحمن بن السلطان ابي الحسن واعانه على ذلك اهل الحقود على الدولة والاضطغان من الدبالم واولاد ميمون بن عثمان من سويد نقموا على الدولة مكان عريف وابنه ونزمار منها فاجتمعوا وبايعوا لهذا الداعي واوعز السلطان الى ونزمار بن عريف فنهض اليهم بالعرب كافة واوقع بهم وفضهم ومزق جموعهم وطال مغر صغير بن عامر واخوته في القفار وابعدوا في الهرب حتى قطعوا العرق الرمل الذي هو سياج على مجالات العرب ونزل تلعة والزواوطنها ووفد بين بعد ذلك على السلطان ابي الحسن منذ ممحصا به فتقبل وفادته واستوهب اخاه ابا بكر وصحب السلطان الى افريقية وحضر معه واقعة القيروان ثم رجع الى قومه وعادوا جميعا الولاية بني يغمراسن واستخدموا وقبالهم لابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن الدايل بتلمسان بعد واقعة القيروان اعوام خمسين وسبعماية فكان له ولقومه

بينهما مكان ولحق سويد وبنو يعقوب بالمغرب حتى جاؤوا في مقدمة السلطان ابي عنان
ولما هلك بنو عبد الواد وافترق جمعهم فر صغير الى الصحرا على عادته واقام بالقفر
يترقب الخوارج ولحق به اكثر قومه من بني معرف بن سعيد فاجلب بهم على كل ناحية
واحلف الا لاحسين من المعتقل على السلطان ابي عنان اعوام خمس وخمسين وما
بعدها ونازلوا سجلماسة وكان ثم وكان معهم ولا وقعت بهم عساكر بني مرين في بعض
سنين خالفهم وهم ينكبون يمتارون فاكتسحوا عامة اموالهم واعتقوا ابنيهم
قتلا واسرا ولم يزالوا كذلك شريدا في الصحراء وسويد وبنو يعقوب بمكانتهم
من المحابات وفي حظهم عند السلطان حتى هلك السلطان ابو عنان وجاء ابو حمو
موسى بن يوسف اخي السلطان ابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن لطلب ملك قومه
بتلمسان وكان مستقرا بتونس منذ غلبهم ابو عنان على امرهم فرحل صغير الى وطن
الدواودة ونزل على يعقوب بن علي ازمان خلافه على السلطان ابي عنان وداخله
في استخلاص ابي حمو هذا من ايالة الموحدين للاجلاب على وطن تلمسان وبني مرين
الذين به فارسلوه معه واعطوه الالة وبعثوا به صغير وصولة بن يعقوب
ابن علي وزيان بن عثمان بن سباع وشبل ابن اخيه ملوك بن عثمان ومن بادية رياح
دغار بن عيسى بن رحاب بقومه من سعيد وبلغوا معهم الى تخوم بلادهم فرجع عنهم
رياح الا دغار بن عيسى وشبل بن ملوك ومضوا لوجههم ولقيتهم جموع سويد
وكان الغلب لبني عامر وقتل يوميذ شيخ سويد عيسى بن عريف واسر اخوه ابو بكر
ثم من عليه علي بن عمر بن ابراهيم واطلقه ولم يتصل الخبر بفاس الا والسلطان
لناس منصرفون من جنازة السلطان ابي عنان ثم اجلب ابو حمو بالعرب على
تلمسان واخذها وغلب عساكر بني مرين عليها واستوسق ملكه بها ثم هلك صغير
لسنتين او نحوها حمله نفسه في جولة فتنة في الحي بروم تسكينها على بعض
الفرسان فاعترضه سنان برمح عن غير قصد فانفذه وهلك لوقته وولي رياستهم
من بعده اخوه خالد بن عامر برادفة عبد الله بن اخيه صغير وخلصت زغبة كلمتها
للسلطان ابي حمو ياسا من بني مرين لما كان بينهم من الفتنة فاستخدمهم جميعا
على مضاربهم وعوائدهم من سويد وبني يعقوب والديالم والعطاف حتى اذا كانت
فتنة ابي زيان بن السلطان ابي سعيد عم ابي حمو كما نذكره في خبرهم جاش مرجل
الفتنة من زغبة واختلفوا على ابي حمو ونقض على محمد بن عريف امير سويد لاتهامه
اياه بالادهان في امره فنزع اخوه ابو بكر وقومه الى صاحب المغرب عبد العزيز
ابن السلطان ابي الحسن سنة سبعين وسبعماية وجاؤوا في مقدمته واستولوا
على مواطنهم ولحق بنو عامر وابو حمو بالصحرا وطال ترددهم فيها وسعي عند ابي
حمو في خالد من عمومته واقاربه عبد الله بن عسكر بن معرف بن يعقوب ومعرف
هو اخو ابراهيم بن يعقوب وكان عبد الله هذا بطانة للسلطان وعينا فاستفسد
بذلك قلب خالد وتغير ونبذ اليه عهده ونزع عنه الى السلطان عبد العزيز
وجاء بعساكر بني مرين فاوقع بالسلطان ابي حمو ومن معه من العرب وهلك
عبد العزيز سنة اربع وسبعين فارتحل الى المغرب هو وعبد الله بن اخيه صغير

ولحقهم

ولحقهم ساسي بن سليم بن داود شيخ بني يعقوب كان قومه بنو يعقوب قتلوا ابا محمد بن
عريف فحدثت بينهم الفتنة ولحق ساسي بن سليم هذا وقومه بالمغرب وصحب خالدا
يومئذ به الكرة ويئسوا من صريخ بني مرين لما بينهم من الفتنة فرجعوا الى اوطانهم سنة
سبع وسبعين واضرموا نار الفتنة وخرجت اليهم عساكر السلطان ابي حمو مع ابنه
تاشفين وزحفت معه سويد والديالم والعطاف فاوقعوا بهم على وادي مينا قبلة
القلعة وقتل عبد الله بن صغير واخوه ملوك في قرابة لهم اخرين وصار لهم شريدا الى
الصحرا ولحقوا بالديالم والعطاف واجتمعوا جميعا الى سالم بن ابراهيم كبير الثعالبة
وصاحب وطن متيجة وكان يتوحش من ابي حمو الخليفة فاتفقوا على الخلاف وبعثوا
عن الامير ابي زيان بمكانه من وطن رياح فجاءهم وبايعوه وامكنه سالم من الجزاير ثم
هلك خالد في بعض تلك الايام فافترق امرهم وولي على بني عامر المسعود بن صغير
وزحف اليهم ابو حمو في سويد واوليائه من بني عامر واستخدم سالم بن ابراهيم وخرج
ابو زيان الى مكانه من وطن رياح ولحق المسعود بن عامر وقومه بالقفر ولحق ساسي بن
سليم بيعقوب بن علي وقومه من الدواودة ثم رجعوا جميعا لخدمة السلطان
واوفدوا عليه فامنهم وتقدموا عليه واظهروا البر والترحيب بالمسعود وساسي ووطى
لهم على الفتنة ثم داخل بطانته من بني عامر وسويد في نكبتهم فاجابوه ونكبهم وبعث
ابنه ابا تاشفين لقبض الصدقات من قومهم حتى اذا اجتمع له ما اراد من الجموع
تقبض على المسعود وعشرة من اخوانه بني عامر بن ابراهيم ونهض ابو تاشفين والعرب
جميعا الى احياء بني يعقوب وكانوا بسيرات وقد ارصد لهم سويد بوادي مينا فصبحتهم
بنو عامر بمكانهم واكتسحوهم وصار فلهم الى الصحرا فاعترضهم ابو تاشفين ببني راشد
فلم يبق لهم باقية ونجا ساسي بن سليم الى الصحرا في قليل من قومه ونزل على النضر
ابن عروة واستبد برياسة بني عامر سليمان بن ابراهيم بن يعقوب عم صغير ورديفه
عبد الله بن عسكر بن معرف بن يعقوب وهو اقرب مكانا من السلطان وخلته ثم
بعث صاحب المغرب السلطان ابو العباس احمد بن المولى ابي سالم بالشفاعة في المسعود
واخوانه بوسيلة من ونزمار بن عريف بعد ان كان مداخلا لابي حمو ولاخوانهم في
نكبتهم فاطلقهم ابو حمو بتلك الشفاعة فعادوا الى الخلاف وخرجوا الى الصحرا
واجتمع اليه الكثير من اولاد ابراهيم بن يعقوب واجتمع ايضا الى بني يعقوب من مطارد حمهم
ابي شيخهم ساسي بن سليم ونزلوا جميعا مع عروة واوفد اخوانه على السلطان ابي
العباس صاحب افريقية لهذا العهد متذمما به وصريخا على عدوه فتلقاه من البر
والاحسان بما يناسبه وافاض في وفده العطاء وصرفه بالوعد الجميل وسعر بذلك ابو حمو
فبعث من عيونه من اغتاله في بيته ووفد بعدها على السلطان ابي العباس صاحب
افريقية علي بن عمر بن ابراهيم وهو ابن عم خالد بن عمر وكبير النفر المخالفين من بني عامر
على ابي حمو ووفد معه سليمان بن شعيب بن عامر فوفدوا عليه بتونس يطلبون عدة فاجا بهم
ووعدهم واحتسب بالاحسان والميرة امالهم ورجعوا الى قومهم ثم راجع علي بن عمر خدمة
ابي حمو وقدمه على بني عامر وادالهم من سليمان بن ابراهيم بن عامر فخرج سليمان الى اهل سته من
ولد عامر بن ابراهيم الذين بالصحرا ونزلوا مع بني يعقوب باحياء ابي بكر بن عريف وهم على ذلك لهذا

العهد والله مقلب الليل والنهار

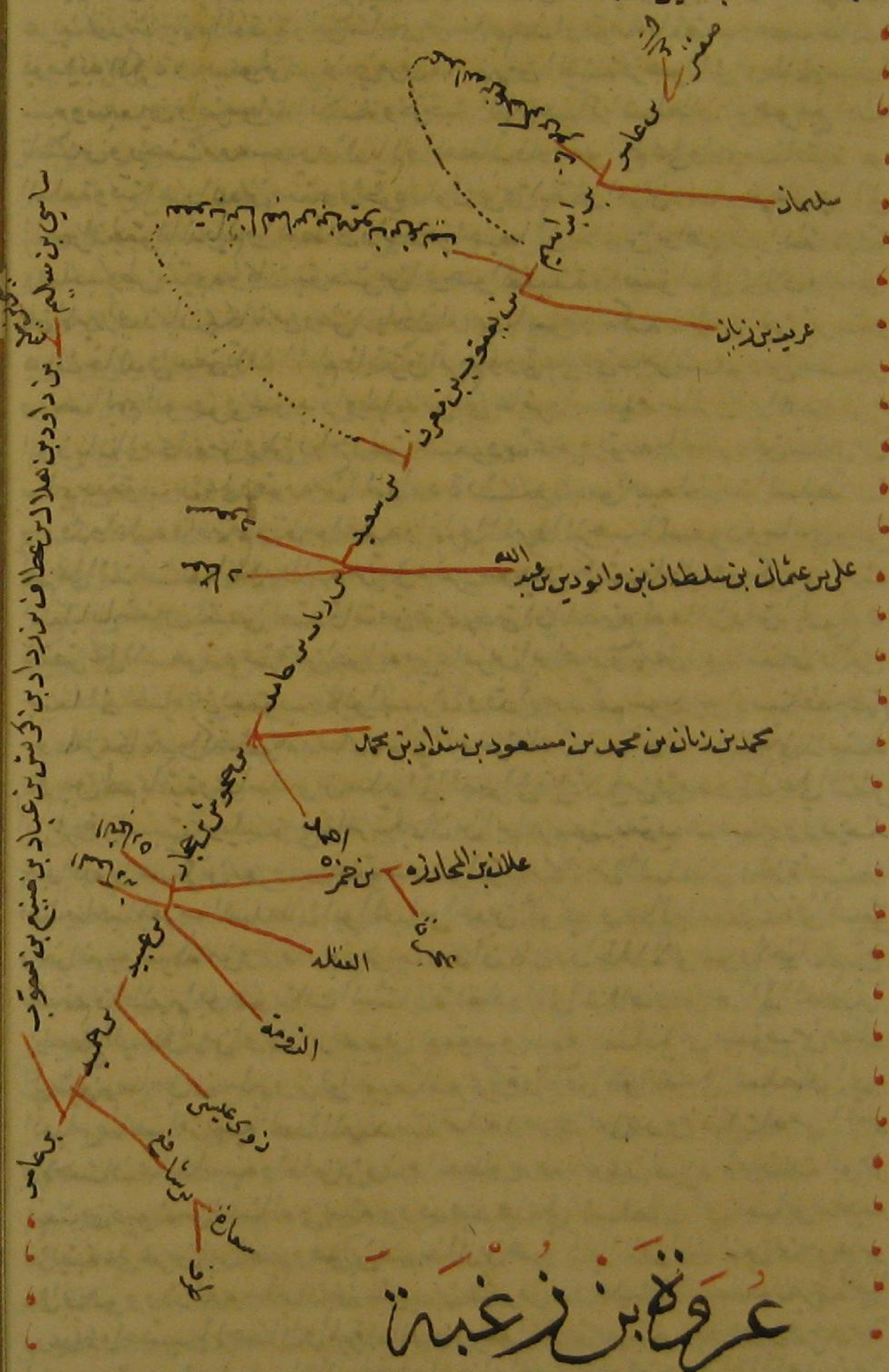
سلمان
بن عامر
صغير
بن ابراهيم
عريف بن زيان
بن يعقوب بن نعرون
بن سعيد
علي بن عثمان بن سلطان بن وانودين بن عبد الله
بن رباب بن عامر
محمد بن زيان بن محمد بن مسعود بن سناد بن محمد
بن يحيى بن تيغاد
احمد
علال بن المحارزة
بن حمزة
العباد
الزومة
ذوي عيسى
بن عبيد
بن عامر
بن نافع
سماع
سامي بن سالم بن داود بن هلال بن يقظان بن زرارة بن ... بن عياد بن صبيح بن يعقوب

عُرْوَة بن زُغْبَة

واما عروة بن زغبة فهم بطنان النضر بن عروة وخميس بن عروة وبطون خميس ثلاث

عبد

عبد الله وفرع ويقظان ومن بطون فرع بنو نابل احلاف لاولاد يحيى من العمور المواطنين بجبل راشد وبنو يقظان وعبد الله احلاف لسويد يظعنون لظعنهم ويقيمون لمقامهم ورياستهم لاولاد عابد من بطن يقظان واما النضر بن عروة فمنتبذون عن القفر ينتجعون في رماله ويصعدون الى اطراف التلول في ايالة بني عبد الواد والعطاف وحصين ونحو اوطانهم وليس لهم ملك ولا اعجزهم عن دخول التلول بتلهم وبما بين بطون زغبة الاخرين عنها الا ما تغلبوا عليه في اذناب الوطن بجبل المستغانم مما يلي وطن رياح ببسكرة لقوم من غمرة وزناتة استمر عليهم غلب العرب منذ سنين فوضع الوضائع هؤلاء عليهم الاتاوة واصاروهم خولا لزغبة وربما نزل منهم من هؤلاء البرابر من عجز عن الظعن في بيوتهم وهم بطون كثيرة مذكورة اولاد خليفة والحجاجنة والشريفة والسحاري وذوي زيان واولاد سليمان ورياستهم جميعا في اولاد خليفة ابن النضر بن عروة وهي لهذا العهد لمحمد بن زيان من عسكر بن خليفة وديعة سعون بن ابو يحيى بن خليفة بن عسكر واكثر السحاري موطنون بجبل المستغانم الذي ذكرناه ورياستهم في اولاد وناجعة هؤلاء النضر احلاف لزغبة دايما فتارة للحرب وحصين جيرانهم في المواطن وتارة لبني عامر في فتنتهم مع سويد وبينهم مع بني عامر فتنا يزعمون انها قديمة وسمعت من مشيختهم انه ليس باب لهم وانما هو اسم واد كان به حلفهم قديما وربما يظاهرون سويدا على بني عامر الا انه في الاقل والنادر وهي الى حلف بني عامر اقرب واسرع لما ذكرناه وربما ظاهروا رياحا بعض المرات في فتنتهم لجوار الوطن الا انه قليل ايضا وفي النادر ويتناولون في الاكثر مع البادية من رياح مثل مسلم وسعيد وربما وقعت بينهم حروب في القفر يتصيبون فيها بعض من دما بعض هذه بطون زغبة وما تادى الينا من اخبارها والله الخلق والامر وهو رب العالمين

اقطاع

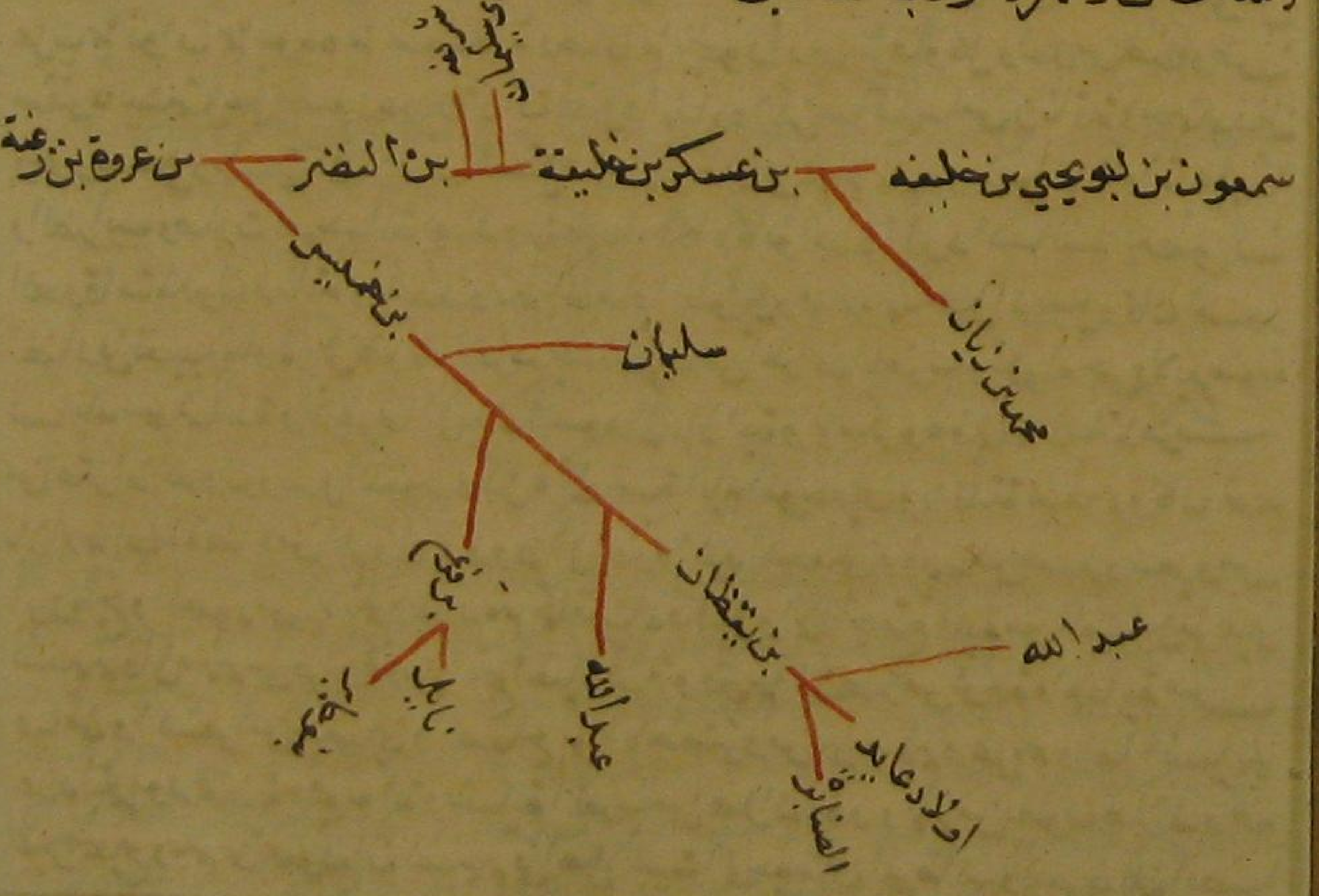
سعون بن ابو يحيى بن خليفه
بن عسكر بن خليفة
بن النضر
بن عروة بن زغبة
محمد بن زيان
بن خميس
سليمان
بن يقظان
عبد الله
اولاد عابد
عبد الله
بن فرع
بنو نابل

الخبر عن المعقل من بطون هذه الطبقة

الرابعة وانسابهم وتصاريف احوالهم

هذا القبيل لهذا العهد من اوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى مجاورون لبني عامر من زغبة في مواطنهم بقبلة تلمسان وينتهون الى البحر المحيط من جانب الغرب وهم ثلاثة بطون ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان فذوي عبيد الله منهم هم المجاورون لبني عامر ومواطنهم ما بين تلمسان وتاوريرت في التل وما يواجهها من القبلة ومواطن ذوي منصور من تاوريرت الى بلاد درعة فيستولون على ملوية كلها الى سجلماسة وعلى درعة وما يحاذيها من التل مثل تازي وغساسة ومكناسة وفاس وبلاد تادلا والمعدن ومواطن ذوي حسان من درعة الى البحر المحيط وينزل شيوخهم ببلد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الاقصى وما اليه وينتجعون كلهم في الرمال الى مواطن الملثمين من كدالة ومسوفة ولمتونة وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال انهم لم يبلغوا المائتين واعترضهم بنو سليم فاعجزوهم وتحيزوا الى الهلاليين منذ عهد قديم ونزلوا باخر مواطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زناتة في القفار الغربية فعفوا وكثروا وانتشروا في صحارى المغرب الاقصى فعمروا رماله وتغلبوا في نيافيه وكانوا هنالك احلافا لزناتة سائر ايامهم وبقي منهم بافريقية جمع قليل اندرجوا في جملة بني كعب من سليم وداخلوهم حتى كانوا وزراء لهم في الاستخدام للسلطان واستئلاف العرب فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا الى الامصار والمدن اقام هؤلاء المعقل بالقفار وتفردوا في البيداء فنموا نموا لا كفاء له وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ثم توات ثم بوده ثم تمنطيط ثم وركلان ثم تيجورارين شرقا وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخل وانهار واكثر ساكنيها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها فجاز عرب المعقل هذه الاوطان في مجالاتهم ووضعوا الاتاوات عليها والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا وكانوا منذ المدد السالفة يعطون الصدقات لملوك زناتة وياخذونهم بالدماء والطوائل ويسمونها حمل الرحيل وكان لهم الخيار في تعيينها ولم يكن هؤلاء العرب يستنجعون من اطراف المغرب وتلوله حمى ولا يعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها الى بلاد السودان باذاية ولا مكروه فلما كان بالمغرب من اعتزاز الدول وسد الثغور وكثرة الحامية ايام الموحدين وزناتة بعدهم وكان لهم بازاء ذلك اقطاع من الدول يمدون الى اخذه اليد السفلى وفيهم من مسلم وسعيد من ابي رباح والعمور من الاثبج وعددهم كما قلناه قليل وانما اجتمع اليهم من القبائل من غير نسبهم فان منهم من فزارة ومن اثبج احياء كرزع وفيهم الشظة من كرفة والمهاية من عياض والشعراء من حصين والصباح من الاخضر ومن بني سليم وغيرهم واما انسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة ونسابة العرب من هلال يعدونهم من بطون هلال وهو غير صحيح وهم يزعمون ان نسبهم في اهل البيت الى جعفر بن ابي طالب وليس ذلك ايضا

بصحيح

بصحيح فمعنا لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا اهل بادية ونجعة والصحيح والله اعلم من امرهم انهم من عرب اليمن فان فيهم بطنين يسمى كل واحد منهما بالمعقل ذكرهما ابن الكلبي وغيره فاحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير وهو معقل بن كعب بن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة والاخر من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة ابن جلد بن مذحج واسمه مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وهو معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث والاشبه ان يكونوا من اهل هذا البطن الاخير الذي من مذحج لان اسمه ربيعة وقد عد الاخباريون في بطون هلال الداخلين الى افريقية ربيعة هؤلاء مع ان مواطن بني الحارث بن كعب قريب من البحرين حيث كان هؤلاء العرب مع القرامطة قبل دخولهم الى افريقية ويونده ان ابن سعيد لما ذكر مذحج وانهم بجهات الجبال من اليمن وذكر من بطونهم عنس وزبيد ومراد ثم قال وبافريقية منهم فرقة ونوبه ترحل وتنزل مع وهؤلاء الذين ذكرنا انهم المعقل الذين بافريقية وهي فرقة من هؤلاء الذين بالمغرب الاقصى ومن املاء نسابتهم ان معقل جد عم كان له من الولد صقيل ومحمد وولد صقيل عبيد الله وثعلب فمن عبيد الله ذوي عبيد الله البطن الكبير منهم ومن ثعلب الثعالبة الذين بسبط متيجة من نواحي الجزائر وولد محمد مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان فولد مختار بن محمد حسان وشبانة فمن حسان ذوي حسان والبطن المذكور اهل السوس الاقصى ومن شبانة الشبانات جيرانهم هنالك ومن جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية لذوي حسان ينتجعون معهم وولد منصور ابن محمد حسين وابو الحسين وعمران ومنبا

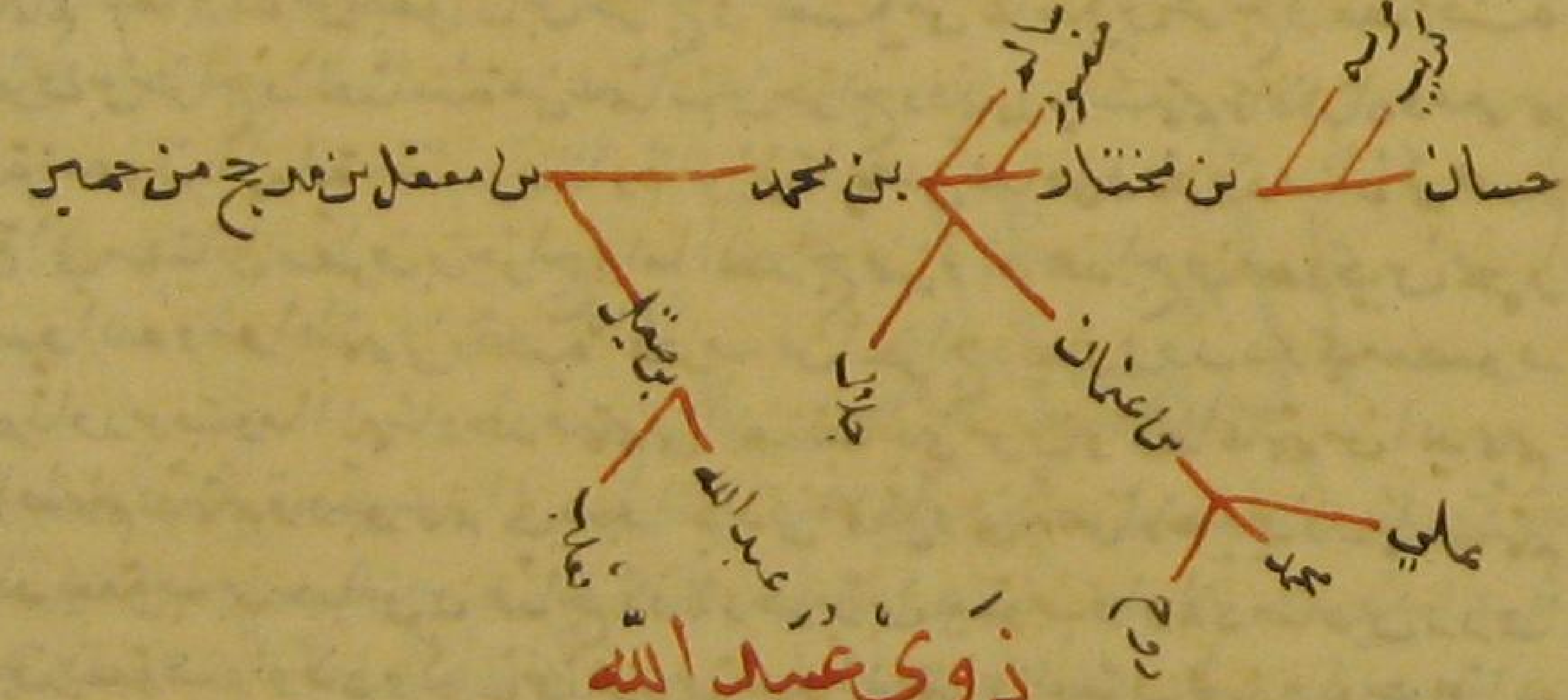

ذوي عبيد الله

فاما عبيد الله وهم المجاورون لبني عامر من زغبة سلطان بني عبد الواد من زناتة فمواطنهم ما بين تلمسان الى وجدة الى مصب وادي ملوية في البحر ومنبعث وادي صا من القبلة وتنتهي رحلتهم في القفر الى قصور توات وتمنطيت وربما عاجوا ذات الشمال الى تسابيت وتيكورارين وهذه كلها ركاب السفر الى بلاد السودان وبينهم وبين بني عامر فتن وحروب موصولة وكان لهم مع بني عبد الواد سلطانها قبل السلطان والدولة بما كانوا احلافا لبني مرين وكان المنبات من ذوي منصور احلافا لبني عبد الواد فكان يغمراسن يوقع بهم في اكثر

اوقاته ونال منهم الى ان اصحبوا بسبب الجوار واعترنت عليهم الدولة فاعطوا الصدقة والطوايل وعسكروا مع السلطان في حروبه ولم تزل كذلك الى ان لحق الدولة الهرم الذي لحق سلفها بوطوء التلول وتملكوا وجدة وندرومة وبني يزناسن ومديونة وبني سنوس اقطاعا من السلطان الى ما كان لهم عليها قبل من الاتاوات والوضايع نصار معظم جباياتها لهم وضربوا على بلد هنين بالساحل ضريبة الاجازة منها الى تلمسان فلا يسير ما بينهما مسافر ايام حلولهم بساحتها الا بالجاز تهم وعلى ضريبة يودونها اليهم وهم بطنان الهداج والخراج فالخراج من ولد خراج بن مطرف بن عبيد الله هو ورياستهم في اولاد عبد الملك بن فرج بن علي ابن بو لريش بن نفار بن عثمان بن خراج لاولاد عيسى بن عبد الله ويعقوب بن عبد الملك ويغمور بن عبد الملك وكان يعقوب ابن يغمور شيخهم لعهد السلطان ابي الحسن ولما تغلب على تلمسان استخدم له عبيد الله هولاء وكان يحيى بن العز من رجالات بني يزناسن اهل الجبل المطل على وجدة وكان لهم نزير في خدمة الدول فاتصل بالسلطان ابي الحسن وزعنه في ملك قصور هذه الصحرا لتبعه مع هولاء العرب في عسكر ودخل معهم الى الصحرا وملك تلك القصور واستولى عليها واسف عبيد الله بانتزاع املاكهم وسوء المعاملة لهم فوثبوا به وقتلوه في خبائه وانتهبوا معسكر السلطان الذي معه ونقض الطاعة ومن يعقوب ابن يغمور فلم يزل شريدا بالصحرا سائر ايامه وراجع بعد ذلك عادة دولة بني عبد الواد بصدر في ولايتها ولم يزل على ذلك الى ان هلك وخلفه ابنه طلحة وكان ايام خلاف يعقوب وانتقاضه راس على الخراج فكان له من خدمة ومجالسة قدم فتقدمه شيخا عليهم ثم رياستهم لهذا العهد منقسمة بين رباح بن منصور بن يعقوب ابن عبد الملك وبين ولد طلحة بن يعقوب المذكور انفا وكثيرا ما ينازعه ولهم بطون كثيرة منهم الجعاونة من جعوان بن خراج والعسالة من عاسل بن خراج والمطارفة من مطرف بن خراج والعثامنة من عثمان بن خراج وفيهم رياستهم كما قلناه ومعهم ناجعة يسمون بالمهاية ينتسبون تارة الى المهاية من عياض وقد قدمنا ذكرهم وتارة الى مهاية بن مطرف بن خراج واما الهداج فمن ولد هداج بن مهدي بن محمد ابن عبيد الله ومواطنهم في ناحية الغرب عن الخراج فيجاورون ذوي منصور ولهم تاوريرت وما اليها واخذ منهم في الغالب لبني مرين واقطاعاتهم من ايديهم ومواطنهم عندهم ورجوعهم الى عبد الواد في الاقل وفي بعض الاحايين ورياستهم في ولد يعقوب بن حباس بن هداج لاولاد حريز بن يعقوب واولاد مناد بن رزق الله بن يعقوب واولاد بركون بن محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب فمن ولد حريز ابو يحيى الصغير بن موسى بن يوسف بن حريز وكان شيخا عليهم ايام السلطان عبد العزيز وهلك عقب مهلكه وراس عليهم ابنه ومن ولد مناد ابو يحيى الكبير بن مناد وكان شيخا قبل ابي يحيى الصغير وبالاضافة اليه وصف بالصغير ومنهم ابو حميد محمد بن عيسى بن مناد وهو لهذا العهد رديف شيخهم من ولد ابي يحيى الصغير وهو كثيرا التقلب في العفو والغزو للمعاصية ولاهل الزمان من الملثمين والله مالك الامور لا رب غيره سبحانه وتعالى

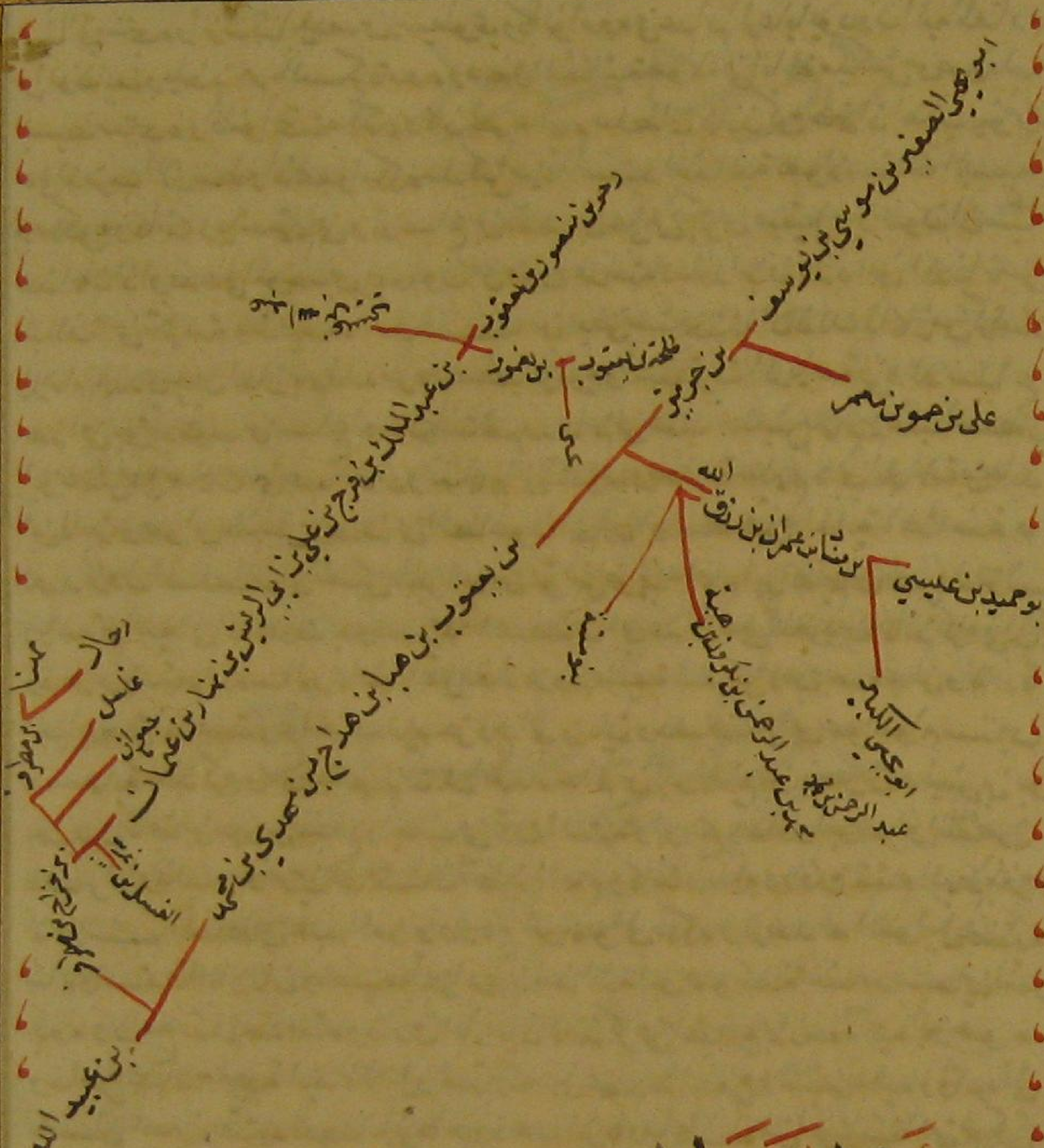

التعالبة

اخوتهم من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير اخي عبيد الله بن صغير فمواطنهم لهذا العهد بمتيجة من بسيط الجزاير وكانوا قبلها بتيطري وضحصا في لهذا العهد نزلوها منذ عصور قديمة واقاموا بها حيا حلولا ويظهر ان نزولهم بضاحيتها كان ذوي عبيد الله في مواطن بني عامر لهذا العهد وكان بنو عامر في مواطن بني سويد فكانت مواطنهم لذلك العهد متصلة بالتلول الشرقية فدخلوا من ناحية كزول وتدرجوا في المواطن الى ضواحي المدية ونزلوا جبل تيطري وهو جبل اسير الذي كانت فيه المدينة الكبيرة فلما تغلب بنو توجين على التلول وملكوا الونشريس زحف محمد بن عبد القوي الى المدينة فملكها هو وكانت بينهم وبينه حروب وسلم الى ان وفدت عليه مشيختهم فتقبض عليهم واغرامس ورائهم من بقية الثعالبة فاستلحمهم واكتسح اموالهم وغلبهم بعدها على تيطوي وازاحهم

عنها الى متيجة وانزل قبائل حصين بتيطري وكانوا معه في عداد الرعايا يؤدون اليه المغارم
والوظائف ويأخذهم بالعسكرة معه ودخل الثعالبة هولاء في ايالة مليكش من صنهاجة
ببسيط متيجة واصطفوا تحت ملكهم وكان لهم عليهم سلطان كما نذكره حتى اذا غلب بنو مرين
على المغرب الاوسط واذهبوا ملكه مليكش منها استبد الثعالبة هولاء بذلك البسيط
وملكوه وكانت رياستهم في ولد سباع بن ثعلب بن علي بن بكر بن صغيل ويزعمون ان سباعا
هذا كان اذا وفد على الموحدين يجعلون من فوق عمامته دينارا ابريزا عددا من الدنانير
مبالغة في تكرمته وترفيعه وسمعت من بعض مشيختنا ان ذلك لما كان من كرامته
للامام المهدي حين اجاز بهم فانه سربهم سلعيا مخلوع واستقرت الرياسة في ولد سباع
هذا في بني يعقوب بن سباع اولا وكانت لهم مدة ثم في عقب حنيش منهم ثم غلب السلطان
ابو الحسن على ممالك بني عبد الواد ونقلهم الى المغرب وصارت عليهم لابي الحملات بن عابد
ابن ثابت وهو ابن حنيش وهلك في الطاعون الجارف اواسط هذه المائة الثامنة ه
لعهد نزول السلطان ابي الحسن بالجزاير من تونس فولي عليهم ابراهيم بن نصر ولم تزل
رياستهم اليه الى ان هلك بعد استيلاء السلطان ابي عنان على المغربين كما نذكره في اخبارهم
وقام برياستهم ابنه سالم وكانوا اهل مغارم ووضيعة لمليكش ومن بعدهم من ولاة
الجزاير حتى اذا هبت ريح العرب ايام خروج ابي زيان وحصبه على ابي حمو اعوام ستين
وسبعماية كما نذكر وكان شيخهم لذلك العهد سالم بن ابراهيم بن نصر بن حنيش بن بو
حميد بن ثابت بن محمد بن سباع واجلب في تلك الفتنة واوضع وخالف ابو حمو وانتقض
عليه مرارا وغلب بنو مرين على تلمسان فتحيز اليهم وكانت وسيلة ووفد فتقدم اليهم بالمغرب
ثم هلك السلطان عبد العزيز ورجع ابو حمو الى ملكه وترصد له الغوائل لخشيته
سالم واستدعى ابا زيان ونصبه بالجزاير وزحف اليه ابو حمو سنة سبع وسبعين فنقض
جمعه وراجع سالم خدمته وفارق ابا زيان كما نذكر في اخبارهم ثم زحف اليه ابو حمو ه
وحاصره بجبال متيجة اياما وليالي واستنزله على عهده ثم اخفره وتقبض عليه وقاده الى
تلمسان اسيرا وقتله قعصا بالرماح وذهب اثره وما كان له من الرياسة التي لم يكن
الثعالبة لها باهل ثم تتبع اخوانه وعشيره وقبيله بالقتل والسبي والنهب الى ان
دثروا والله يخلق ما يشاء

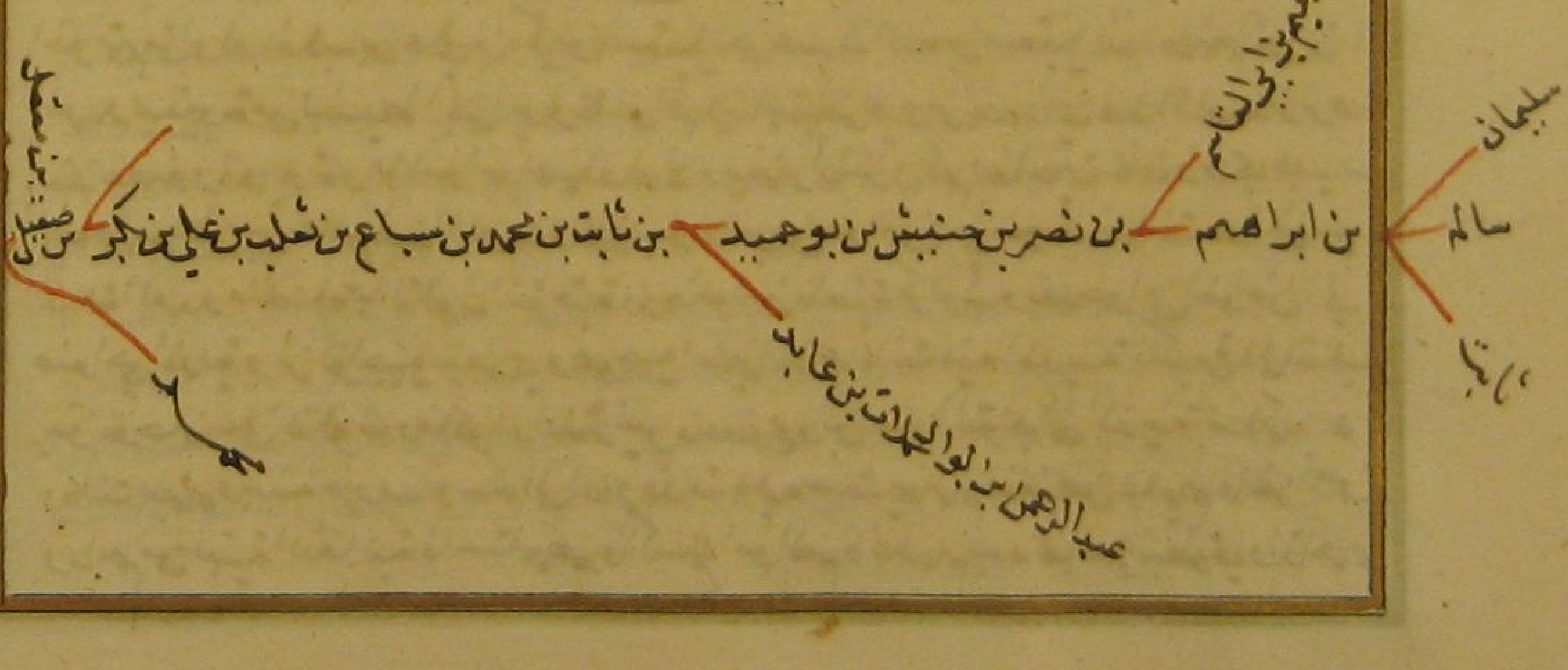
سليمان
سالم
ثابت
بن ابراهيم
بن نصر بن حنيش بن بو حميد
بن ثابت بن محمد بن سباع بن ثعلب بن علي بن بكر بن صغيل
يحيى القاسم
عبد الرحمن بن ابو الحملات بن عابد
يعقوب
محمد

ذوي

ذوي منصور

واما بنو منصور بن محمد فهم معظم هولاء المعقل وجمهورهم ومواطنهم تخوم المغرب
الاقصى من تلمسان ما بين ملوية ودرعة وبطونهم اربعة اولاد حسين واولاد ابو الحسين
ويسمان شقيقان والعمارنة اولاد عمران والمنبات اولاد منبا ويسمان شقيقان ايضا
ويقال لهذين البطنين جميعا الاحلاف فاما اولاد ابو الحسين فعجزوا عن الظعن ه
ونزلوا قصورا اتخذوها بالقفر ما بين تافيلالت وتيكورارين واما اولاد حسين فهم
جمهور ذوي منصور ولهم العزة عليهم ورياستهم ايام بني مرين في اولاد غانم بن
جرمون بن جرار بن عرفة بن فارس بن علي بن فارس بن حسين بن منصور كانت
ايام السلطان ابي الحسن لعلي بن غانم وهلك اثر كائنة طريف وصارت لاخيه يحيى ثم
ابنه عبد الواحد بن يحيى ثم لاخيه زكريا ثم لابنه احمد بن رحو بن غانم ثم لاخيه يعيش ثم
لابن عمه يوسف بن علي بن غانم لهذا العهد وكانت لبني مرين فيهم وقائع ايام يعقوب
ابن عبد الحق وابنه يوسف وستاتي في اخبار بني مرين

غزوة يوسف بن يعقوب

من مراكش اليهم وكيف اوقع بهم بصحراء درعة ولما اقام بالشرق على تلمسان محاصرا
لها اجلب هولاء العرب من المعقل على اطراف المغرب ما بين درعة وملوية الى ه
تاوريرت وكان العامل يومئذ بدرعة عبد الوهاب بن صاعد من صنائع الدولة
وكبارها ولاتها فكانت بينه وبينهم حروب قتل في بعضها ثم هلك يوسف بن يعقوب
ورجع بنو مرين الى المغرب فاخذوا منهم بالثار حتى استقاموا على الطاعة وكانوا
يعطون الصدقات اطوع ما يكون الى ان فشل ريح الدولة واعتزت العرب فصاروا
يمنعون الصدقة الا في الاقل يغلبهم السلطان على اعطائها ولما استولى السلطان
ابو عنان على تلمسان اعوام خمس وسبعماية وفر صغير بن عامر الى الصحرا نزل عليهم
واستجار بهم فاجاروه ونكر السلطان عليهم ذلك فاجمعوا نقض طاعته واقاموا مع ه
صغير بالصحرا متولين كبر ذلك الخلاف حتى اذا هلك ابو عنان وكان من سلطان ابي حمو
ما قدمنا ذكره وزحف بنو مرين الى تلمسان فنزع منها ابو حمو وصغير ونزلوا عليهم
فاوقعوا بعسكر بني مرين بنواحي تلمسان واتسع الخرق بينهم وبين بني مرين فانحازوا الى ابي
حمو وسلطانه واقطعهم بضواحيه ثم رجعوا الى اوطانهم بعد مهلك السلطان ابي سالم
اعوام ثلاث وستين على حين اضطرب المغرب بفتنة اولاد السلطان ابي علي ونزولهم
سجلماسة فكان لهم في تلك الفتنة اثار الى ان انقشعت ثم كان لاحمد بن رحو مع ابي حمو
جولة واجلب عليه بابن زيان حافد ابي تاشفين فقتل في تلك الفتنة كما نذكره ثم
اعتزوا على الدولة من بعد ذلك واكثر مغارم درعة لهذا العهد اوطاع لهم ببلاد تادلا
والمعدن بتلك الثنايا التي منها دخولهم الى المغرب للمربع والمصيف ولميرة الاقوات
وسجلماسة من مواطن احلافهم الحلاف كما نذكر وليست من مواطنهم فاما درعة

فهي من بلاد القبلة موضوعة جمعا في الواد الاعظم المنحدر من جبل درن من فوهة يخرج
منها وادي ام ربيع ويستاهل الى البسايط والتلول ووادي درعة ينحدر الى
القبلة مغربا الى ان ينصب في الرمل ببلاد السوس وعليه قصور درعة ووادا اخر كبير
ايضا ينحدر الى القبلة مشرقا ببعض الشي الى ان ينصب في الرمل دون تيكورارين
وفي قبلتها وعليه من جهة الغرب قصور توات ثم بعدها تمنطيت ثم بعد وكان
وعندها ينصب في الرمل وفي الشمال عن دكان قصور تسابيت وفي الشمال عنها الى
الشرق قصور تيكورارين والكل وراء عروق الرمل وجبال درن هي الجبال العظيمة
الجاثمة سياجا على المغرب الاقصى من اسيفي الى تازا وفي قبلتها جبل بكسية
لصنهاجة واخر جبل بن حميدي من طرف هسكورة ثم تنعطف من هنالك
جبال اخرى متوازية حتى تنتهي الى ساحل بادس من البحر الرومي وصار المغرب
لذلك كالجزيرة احاطت الجبال به من القبلة والشرق والبحر من الغرب والجوف
واعتمر هذه الجبال والبسايط التي بينها امم من البربر لا يحصيهم الا خالقهم
والمسالك من هذه الجبال الى المغرب منحصرة معدودة ويزحام القبايل المعتمرين
لها كافظه ومصب وادي درعة هذا الى الصحرا والرمل ما بين سجلماسة وبلاد السوس
ويمر الى ان يصب في البحر ما بين نول ووادان وجنابيه قصور لا تحصى شجرتها النخل
وقاعدتها بلد تادنست بلد كبير متصل البحر المسلم بي المنتج وانتظار حزوجه ه
بالصناعة ولاولاد حسين هولاء استيلاء على هذا الوطن ومن بازايه وفي سفح جبله
من قبايل البربر صناكه وغيرهم ولهم عليهم ضرايب وخفارات ووضايع ولهم مع
جبايي السلطان اقطاعات ويجاورهم الشبانات من اولاد حسان من ناحية الغرب
فلهم بسبب ذلك على درعة بعض الاتاوات واما الاحلاف من ذوي منصور وهم
العمارنة والمنبات فمواطنهم مجاورة لمواطن اولاد حسين من ناحية الشرق
وفي مجالاتهم بالقفر تبالات وصحراوها وبالتل ملوية وقصور وجاط وتازي ونصوانة
وغساسة لهم على ذلك كله الاتاوات والوضايع وفيها الاقطاعات السلطانية ه
وبينهم وبين اولاد حسين فتنة وتجمعهم العصبية في فتنة من سواهم ورياسة
العمارنة في اولاد مطغر بن ثابت بن يخلف بن عمران وكان شيخهم لعهد السلطان
ابي عنان طلحة بن مطغر وابنه الزبير ولهذا العهد محمد بن الزبير واخوه موسى ه
ويرادفهم في رياستهم اولاد عمارة بن فلان بن يخلف فكان شيخهم محمد العابد ومنهم
لهذا العهد سليمان بن ناجي بن عمارة ويجنح في القفر ويكثر الغزو الى اعتراض العير
من تجار السودان وقصور الصحرا ورياسة المنبات لهذا العهد لمحمد بن عبوس بن
يوسف بن فرج بن منبا وكانت ايام السلطان ابي عنان لاخيه علي من قبله ويرادفهم
في رياستهم ابن عمهم عبد الله بن الحاج عامر بنو ابو بركات بن منبا والمنبات والعمارنة
اليوم اذا اجتمعوا جميعا يكثرهم اولاد حسين وكان للمنبات كرة لاول دولة بني مرين
وكان حلفهم مع بني عبد الواد وكانوا اسعدوا يغمراسن بن زيان في افتتاح سجلماسة
وتملكها من ايدي الموحدين ثم تغلب بنو مرين عليها وقتلوا من كان بها من مشيختهم
مع بني عبد الواد ثم اوقعوا بالمنبات من بعد ذلك في مجالاتهم بالقفر واستلحموهم

تنتقض عددهم لذلك اخر الايام والله مالك الامور لا رب سواه

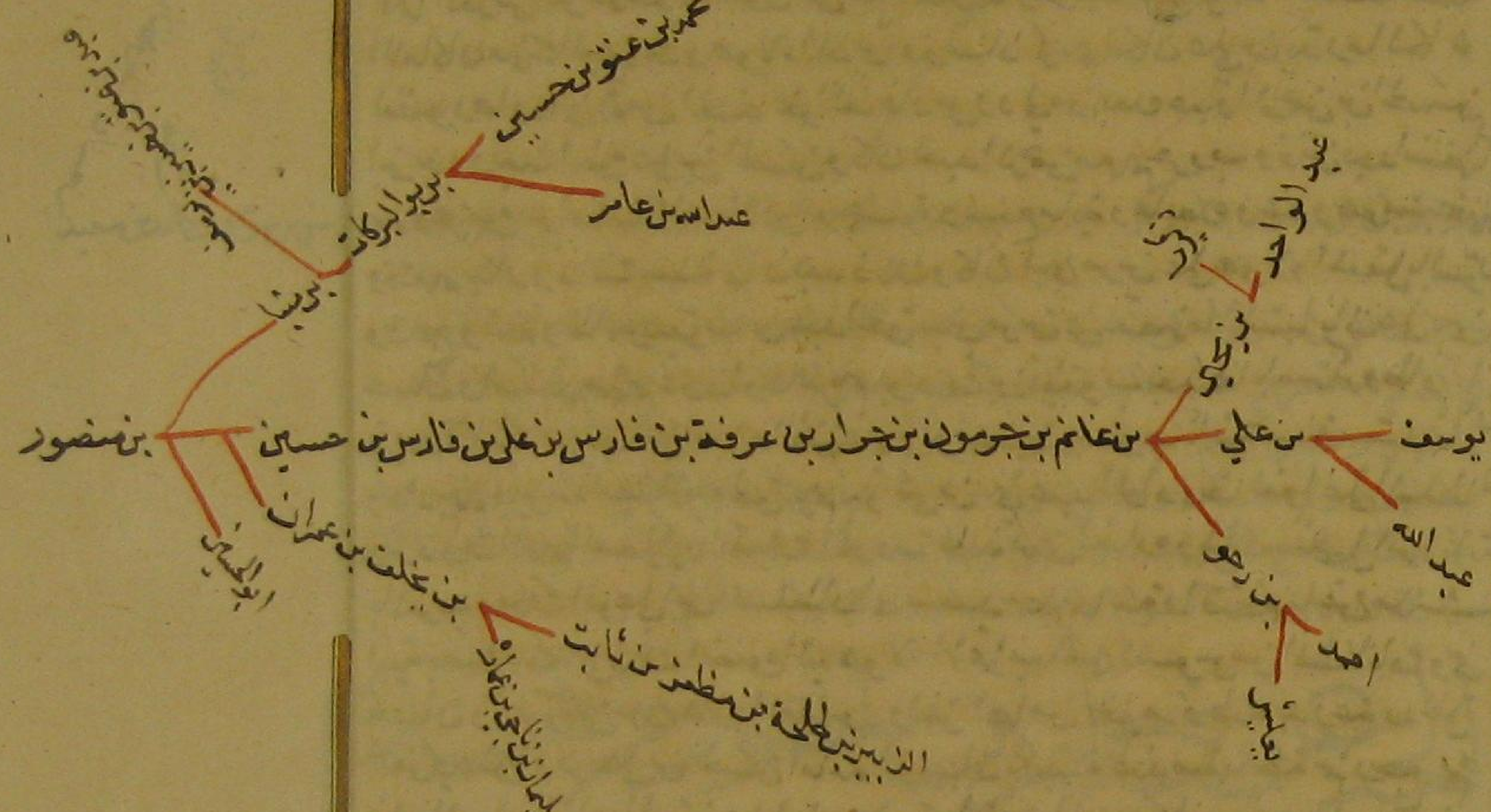

مواطن العمارنة تلي مواطن بني منصور من جانبنا الغرب ويليهم اولاد سالم وفي حيز
مواطنهم درعة ولهم عليها القفر ويليهم اولاد جلال عند منتهى عمارة درعة مما يلي
المغرب والقبلة ويليهم غربا الى البحر الشبانات وهم اولاد علي واولاد بو ثابت
واولاد حسان ورائهم من ناحية القبلة والغرب وينزلون مواطنهم بالغلب الذي لهم
عليهم

ذوي حسان عرب السوس

واما بنو مختار بن محمد فمنهم كما قدمناه ذوي حسان والشبانات والرقيطات ومنهم
ايضا الجياهنة واولاد بريه وكانت مواطنهم بنوحي ملوية الى مصبه في البحر مع ه
اخوانهم ذوي منصور وعبيد الله الى ان استصرخهم علي بن يدر الزكنداري صاحب
السوس من بعد الموحدين ونسبه بزعمه في عرب الفتح وكانت بينه وبين جزولة الظوا عن
بسايط السوس وجباله فتنة طويلة استصرخ لها بني مختار هولاء فصارخوه وارتحلوا
اليه بظعونهم وحمد واموطن السوس لعدم المزاحم من الظعان فيها فاوطنوها وصارت
مجالاتهم بقفرها وغلبوا اكثر دولة واصاروهم في جملتهم ومن ظعونهم وغلبوا القصور التي
بتلك المواطن في سوس ومول ووضعوا عليها الاتاوات مثل تارودانت من سوس وبني
على صفة وادي سوس حيث يهبط من الجبل وبين مصبه ومصب وادي ماسة حيث الربا ط
المشهور مرحلة الى القبلة ومن هنالك الى ذوايا اولاد بونعمان مرحلة اخرى فيـ

القبلة على ساحل البحر وتاكلوصت على وادي نول حيث يدفع من جبل نكيسة غربا
وبينهما وبين الغزي مرحلة والعرب لا يغلبونهما وانما يتغلبوا على البسائط في
نواحيها وكانت هذه المواطن لعهد الموحدين من جملة ممالكهم واوسع عمالاتهم
فلما انقرض امر الموحدين ضحت من ظل الدولة وخرجت عن ايالة السلطان
الاما كان منها لبني يدر هولاء الذين قدمنا ذكرهم فكان علي بن يدر مالكا
لقصورها وكان له من الجند نحو الف فارس وولي من بعده عبد الرحمن بن الحسن
ابن يدر وبعث اخوه علي بن الحسن وكان لعبد الرحمن معهم حروب وفتن نجدا استفحلها
بهم وهزموه مرات متتابعة اعوام خمسة وسبع ماية وما بعدها وغدرهو بمشيختهم
وقتلهم بتارودانت سنة ثمان بعد ذلك وكان لبني مرين على هولاء المعقل بالسوس
وقايع وايام وظاهر يعقوب بن عبد الحق بني مرين في نقضهم الشبانات على بني
حسان واستلحم منهم عددا وحاصرهم يوسف بن يعقوب بعدها بامسكروط ا
غزيهم ثمانية عشر الفا من الابل واثخن فيهم يوسف بن يعقوب ثانية سنة ست وثمانين
وحاربتهم جيوشه ايضا ايام لحق بهم بنو كمي من بني عبد الواد وخالفوا على السلطان
وترددت اليهم العساكر واتصلت الحروب كما نذكره في اخباره ولما استفحل امر زناتة
بالمغرب وملك ابو علي ابن السلطان ابي سعيد سجلماسة واقتطعها عن ملك
ابيه بصلح وقع على ذلك افضوا اليه هولاء الاعراب اهل السوس من الشبانات وبني
حسان ودعوه في ملك هذه الثغور واغزاها من تخومه وطنه بدرعة ودخل
الغزي عنوة وفر علي بن الحسن امامه الى جبال نكيسة عند صنهاجة ثم رجع ثم
غلب السلطان ابو الحسن على اخيه واستولوا على المغرب كله ورغبه العرب في
ملكهما من قصور السوس فبعث معهم عساكره وقايده حسون بن ابراهيم ابن عيسى
من بني برتيسان فملكها وجبا بلاد السوس واقطع فيه للعرب وساهمهم في الجباية
واستقامة حاله مدة ثم انقرض امر السلطان ابي الحسن في انقراض ذلك ورجع
السوس الى حاله وهو اليوم ضاح من ظل الدولة والعرب يقتسمون جبايته ه
ورعاياه من قبايل المصامدة وصنهاجة فقبايل الجباية والغلوا عن منهم يقتسمونهم
خولا للعسكرة مثل جزولة مع بني حسان وذكر ولخس من لمطة مع الشبانات
هذه حالهم لهذا العهد ورياسة ذوي حسان في اولاد ابي الخليل بن عمرو بن
عفير بن حسن بن موسى بن حامد بن سعيد بن حسان بن مختار المخلوف بن ابي بكر
ابن سليمان بن حسن بن زيان بن ابي الخليل ولاخوانه ولا ادري رياسة الشبانات
لمن هو منهم الا انهم حرب لذوي حسان احز الايام والرحامنة في غالب احوالهم
احلاف للشبانات وهم اقرب الى بلاد المصامدة وجبال درن وذوي حسان
ابعد في القفر والله يخلق ما يشا لا اله الا هو

حريز

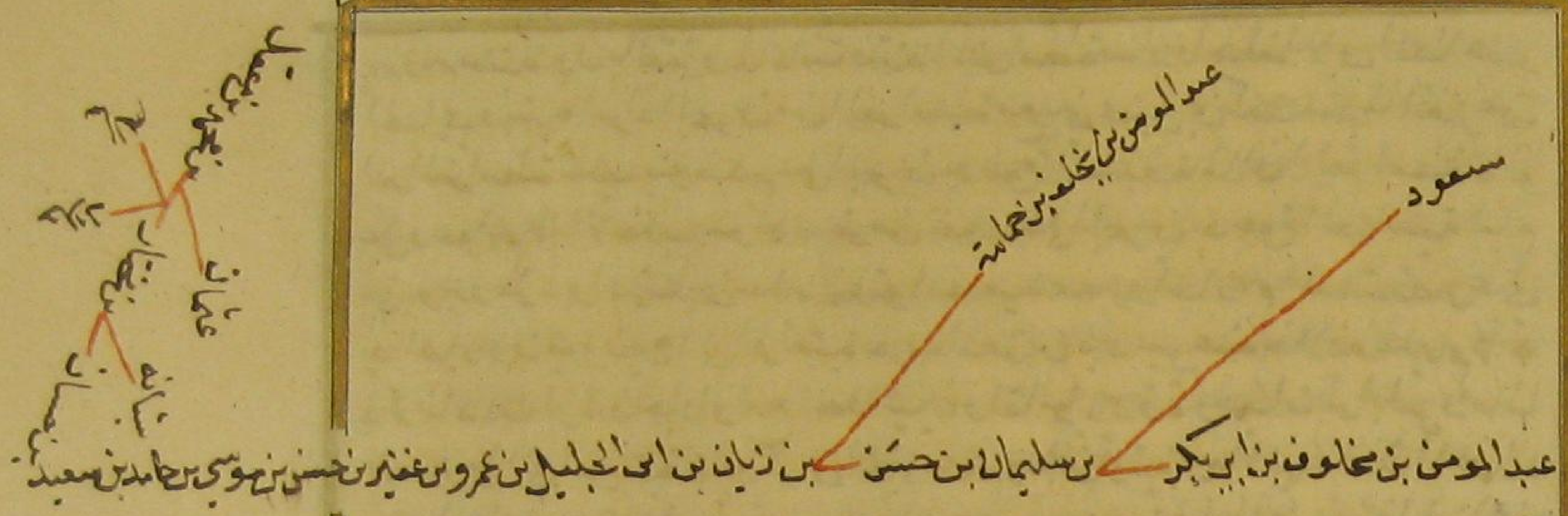
مسعود
عبد المومن بن يخلف بن حمامة
عبد المومن بن مخلوف بن ابي بكر بن سليمان بن حسن بن زيان بن ابي الخليل بن عمرو بن عفير بن حسن بن موسى بن حامد بن سعيد

حريز بن علي بن عامر بن علي بن سبانه شيخ الشبانات لعهد علي بن يدر سلطان السوس
والذي استصرخ الشبانات انما هم شيوخ جزولة للفتنة التي بينهم وبين اهل
السوس وغلبوا بهم اعداءهم فاستوطن الشبانات من يوميذ وملكوا السوس
ثم لحقهم ذوي حسان وملكوا نول وكانوا براس العين وكلب الى صيرود
ثم اقتتلوا مع علي بن يدر وقتلوه في حروب وقعت بينهم وبينه وبني ودار سكنهم
بكارت ومعنى ودار الجوار باللسان البربري والله اعلم

الخبر عن بني سليم بن منصور من هذه الطبقة الرابعة وتعديد بطونهم

وذكر انسابهم واولية امرهم وتصاريف احوالهم

ونبدا اولا بذكر بني كعب واخبارهم

واما بنو سليم هولاء فبطن متسع من اوسع بطون مضر واكثرهم جموعا وكانت
منازلهم بنجد وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس وفيهم
شعوب كثيرة ورياستهم في الجاهلية لبني الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عصية بن
خفاف بن امرء القيس بن بهثة بن سليم وعمرو بن الشريد عظيم مضر لعصره وابناه
صخر ومعاوية فصخر ابو الخنساء وزوجها العباس بن مرداس صحابي حضرت
معه القادسية ومن بطون سليم عصية ورعل وذكوان الذين دعا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتكوا باصحابه فخلا ذكرهم وكانوا بنو سليم
لعهد الخلافة العباسية شوكة بغي وفتنة حتى لقد اوصى بعض خلفائهم ابنه
الا يتزوج فيهم وكانوا يغيرون على المدينة وتخرج الكتايب اليهم من بغداد وتوقع

بهم وهم منتبذون بالقفر ولما كانت فتنة القرامطة صاروا حلفا لابي الطاهر
الجنابي وبنيه امراء البحرين من القرامطة مع بني عقيل بن كعب ثم لما انقرض
امر القرامطة غلب بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة لما ان القرامطة كانوا
على دعوتهم ثم الاغلب بنو الاصفر من تغلب على البحرين بدعوة العباسية ايام
بني بويه وطردوا عنها بني سليم فلحقوا بصعيد مصر واجازهم المستنصر على
يد اليازوري وزيره الى افريقية لحرب المعز بن باديس عند خلافه عليهم كما
ذكرنا ذلك اولا فاجازوا مع الهلاليين واقاموا ببرقة وجهات طرابلس زمانا
ثم صاروا الى افريقية كما نذكر في الخبر عنهم وبافريقية وما اليها لهذا العهد
من بطونهم اربعة بطون زغب وذباب وهيب وعوف فاما زغب فقال ابن الكلبي
في نسبه زغب بن ناصر بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم وقال
ابو محمد التجاني من مشيخة التونسيين في رحلته انه زغب بن جرو بن مالك
ابن خفاف وزعم انه ابو ذباب وزغب الاصغر الذين هم الان من احيا بني سليم
بافريقية وقال ابو الحسن بن سعيد هو زغب بن مالك بن بهثة بن سليم كانوا
بين الحرمين وهم الان مع اخوانهم ونسب ذباب بن مالك بن بهثة فالله اعلم
بالصحيح من ذلك ونسب ابن سعيد والتجاني لهولاء قريب بعضه من بعض و
لعله واحد وسقط لابن سعيد جرو واما هيب فهو ابن بهثة بن سليم ومواطنهم
من اول ارض برقة مما يلي افريقية الى العقبة الصغيرة من جهة الاسكندرية
اقاموا هنالك بعد دخول اخوانهم الى افريقية واول ما يلي العرب منهم بنو احمد
لهم اجدابية وجهاتها وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون الى سماخ وقبايل سماخ
لا العدد ولهم العز في هيب بكونها حازت خصب برقة الذي منه المرج وفي شرقيهم
الى العقبة الكبيرة من قبايل هيب بنو لبيد وهم بطون عبيدة وبني سماخ
ولبيد فتى وحروف وفي شرقيهم الى العقبة الصغيرة سمالو ومحارب والرياسة
في هاتين القبيلتين لبني عزاز وهم المعروفون بالعزة وجميع بطون هيب
هذه استولت على اقليم طويل خربوا امدنه ولم نبق فيه مملكة ولا ولاية الا
لاشياخهم ومن خدمتهم بربر ويهود يحترفون بالفلاحة والتجر ومعهم من رواحة
وفزارة امم واشتهر لهذا العهد ببرقة من شيوخ اعرابها ابو ذيب ولا ادري
لمن نسبه فيمن هو وهم يقولون من العزة وقوم يقولون من بني احمد وقوم
يجعلونه من فزارة وهو بعيد لان فزارة هنالك قليل عددهم والغلب لهيب
فكيف تكون الرياسة لغيرهم واما عوف فهو ابن بهثة بن سليم ومواطنهم من وادي
قابس الى ارض بونة ولهم جذمان عظيمان مرداس وعلاق ولعلاق بطنان بنو
يحيى وحصن ومن اشعار هولاء المتاخرين منهم مثل حمزة بن عمر شيخ الكعوب
زعم ان يحيى وعلاق اخوان ولبني يحيى ثلاثة بطون حميد ودلاج ورياح ولحميد بطنان
ترجم وكردة ومن ترجم الكعوب بنو كعب بن احمد بن ترجم ولحصن بطنان بنو علي
وحكيم ونحن ناتي على الحكاية عن جميعهم بطنا بطنا وكانوا عند اجازتهم على اثر
الهلاليين مقيمين ببرقة كما ذكرناه وهنالك نزل عليهم القاضي ابو بكر بن العربي

وابوه

وابوه حين غرقت سفينتهم ونجوا الى الساحل فوجدوا هنالك بني كعب ونزل عليهم واكر مه
شيخهم كما ذكر في رحلته ولما كانت فتنة ابن غانية وقراقش الغزي بجهات
طرابلس وقابس وضواحيهما كما نذكر في اخبارهم كانوا بنو سليم هولاء فيمن يجتمع
اليهم من حزبان العرب واوشاب القبايل واعصوصبوا عليهم وكان لهم معهم خطوب
وقتل قراقش بمانين من الكعوب وهربوا الى برقة واستصرخوا برياح من بطون
سليم ردبكل من حمير فصار دخولهم الى ان تجلت غيابة تلك الفتنة بمهلك قراقش
وابن غانية من بعده وكان رسوخ الدولة الحفصية بافريقية ولما هلك قراقش
وانقلبت فتنة ابن غانية مع ابي محمد بن ابي حفص رجع بنو سليم الى ابي محمد
صاحب افريقية وكان مع ابن غانية الدواودة من رياح وشيخهم مسعود البلط
فرس المغرب ولحق به فكان معه هو وبنوه وبنو عوف هولا من سليم مع الشيخ
ابي محمد فلما استبد ابنه الامير ابو زكريا بملك افريقية رجعوا اليه والسفوف الدواودة جميعا
فلما انقطع دابر ابن غانية صرف عزمه الى اخراج رياح من افريقية لما كانوا عليه من
العيث بها والفساد فجاجهم مرداس وعلاق وهما بنو عوف بن سليم هولاء من مواطنهم
بنواحي الساحل وقابس فاصطنعهم ورياسة مرداس يومئذ في اولاد جامع منهم
لعون بن جامع وبعده ابنه ليوسف وبعده لعنان بن جابر بن جامع ورياسة علاق
في الكعوب لاولاد شيخه بن يعقوب بن كعب وكانت رياسة علاق عند دخولهم افريقية
لعهد المعز وبنيه لرافع بن حماد وعنده راية جدهم الحي حضر بها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جد بني كعب فيما يزعمون فاستظهر بهم السلطان على شانه
وانزلهم بساح القيروان واجزل لهم الصلات والعوايد وزاحموا الدواودة من رياح
بمنكب بعدان كانت لهم استطالة على جميع بلاد افريقية وكانت اية اقطاعا لمحمد بن
مسعود بن سلطان ايام الشيخ ابي محمد بن ابي حفص فانتبل اليه مرداس في بعض
السنين عيرهم الكيل ونزلوا به فرأوا نعمة الدواودة في تلولهم تلك فشرهوا اليها
واجمعوا طلبها فغاوروهم فغلبوهم وقتلوا ارزق بن سلطان واتصلت الفتنة فلما
حرضهم الامير ابو زكريا صادف عندهم القبول لغرضه فاعصوصبوا جميعا على
فتنة الدواودة وتاهبوا لها وتكررت بينهم وبين رياح الحروب والوقايع حتى
ازاحوهم عن افريقية الى مواطنهم لهذا العهد بتلول قسنطينة وبجاية الى الزاب
وما اليهم وتمنعوا اوزار الحرب واوطن كل بحيث قسمت له قدمه وملكت بنو عوف
ساير ضواحي افريقية وتغلبوا عليها واصطنعهم السلطان واثبتهم في ديوان
العطاء ولم يقطعهم شيا من البلاد واختص بالولاية منهم اولاد جامع وقومه فكانوا
له خالصة وتم تدبيره في غلب الدواودة ورياح على ضواحي افريقية وازعاجهم
عنها الى ضواحي الزاب وبجاية وقسنطينة وطال تمرس مرداس بالدولة واختلفت
حالهم في الاستقامة معها والنفرة وضرب السلطان بينهم وبين علاق مساق الفتنة
وسخط عنان بن جابر شيخ مرداس من اولاد جامع مكانه من الدولة فذهب مغاضبا
عنها واقام بها جمعة من مرداس ومن اليهم بنواحي المغرب في بلاد رياح من زاغز الى ما يعلو
وخاطبه ابو عبد الله بن ابي الحسين خالصة السلطان ابي زكريا صاحب افريقية

يوميذ بشعر كثير يونبه على فعلته ويرغبه في مراجعة السلطان منها قوله وهي طويلة

قد المهامه بالمهرية القود • واطو الفلاة بتصويب وتصعيد

ومنها قوله

سلوا دمنة بين الغضا والسواجر • هل استن فيها واكفات المواطر

فاجاب عن هذه عثمان بقوله

خليلي عوجا بين سلع وحاجر • بعوج عناجيج نواح ضوامر

وله يتهم عذره في النزع عنهم ويسب السلطان بعض السب كما نذكره في اخبار الدولة الحفصية ثم لحق بمراكش بالخليفة السعيد من بني عبد المومن يحرضه على افريقية والابي حفص وهلك في سبيله ثلاث وتسعين وستماية ولم يزل حال مرداس بين النجعة والاصحاب الى ان هلك الامير ابو زكريا واستفحل ملك ابنه المستنصر من بعده وعلق الكعوب بذمة قوية من السلطان وكان شيخهم لعهده عبد الله بن شيخه يسعى عند السلطان في مرداس وكان ابن جامع مبلغا سعايته واعصوصبت عليه ساير علاق فحاربوا المرداسيين هولاء وغلبوهم على الاوطان واتخط من السلطان واخرجوهم عن افريقية وصاروا الى القفر وهم اليوم به من جملة بادية الاعراب اهل الفلات يشجعون الى الرمل ويسايرون من اطراف التلول تحت احكام سليم او رياح ويختصون بالتغلب على ضواحي قسطيلية ايام مرابع الكعوب ومصايفهم بالتلول فاذا انحدروا الى مشاتيهم بالقفر اجفلت احياء مرداس هذه الى القفر البعيد او خالطوهم على حلف ولهم على توزر ونفطة وبلاد قسطيلية اتاوة يودونها اليهم بمحامي مواطنهم وخلاطهم وبصرفهم ولا تنافي الكثير من اغراضهم وصار لهذا العهد الى تملك القنادس شام ناصطفوا منه كثيرا واصبح عمران قسطيلية لهم مزنا فاذا استقام امر بني كعب من علاق في رياسة عوف رسا بو بطونهم من مرداس وحصن ورياح ودلاج ومن بطون رياح حبيب وعلاسانهم عند الدولة واعتزوا على ساير بني سليم بن منصور واستقرت رياستهم في ولد يعقوب بن كعب وهم بنو شيحة وبنو طاعن وبنو علي وكان التقدم لبني شيحة ابن يعقوب لعبد الله اولا ثم لابراهيم اخيه ثم لعبد الرحمن ابنه ثانيهما على ما ياتي وكان بنو علي يرادفونهم في الرياسة وكان منهم بنو كثير بن يزيد بن علي وبنو كعب بن علي وكان كعب هذا يعرف بينهم بالحاج لما كان قضى فرضه وكانت له صحابة مع ابي سعيد العود الرطب شيخ الموحدين لعهد السلطان المستنصر افادته جاها وثروة واقطع له السلطان اربعا من القرى اصاروها لولده كان منها الناحية صفاقص وبافرنية بناحية الجريد وكان له من الولد سبعة اربعة لام وهم احمد وماضي وعلي ومحمد وثلاثة لام وهم بريك وبركات وعبد العلي فنازع احمد اولاد شيحة في رياستهم على الكعوب واتصل بالسلطان ابي اسحاق واحفظهم فلحقوا بالدعي عند ظهوره وكان من شانه ما قدمناه وهلك احمد واستقرت الرياسة في ولده وكان له من الولد جماعة خمس من غزية احدى نساء بني يزيد من الصهبا قاسم ومرا وابو الليل وابو الفضل ومن الحكمية قايد وعبيد ومنديل وعبد الكريم ومن السرية كلهيب وعساكر وعبد الملك وعبد العزيز ولما هلك احمد قام بامرهم بعده ابنه ابو الفضل ثم من بعده اخوه ابو الليل بن احمد

وغلب

وغلب رياسة بني احمد هولاء على قومهم وتابعوا ولد اخوتهم جميعا وعرفوا بين احيايهم بالاعشاش الى هذا العهد ولما كان شان الدعي ابن ابي عمارة ولبس بانه الفضل بن يحيى المخلوع واوقع بالسلطان ابي اسحاق وقتله واكثر بنيه كما نذكره في موضعه ولحق ابو حفص اخوه الاصغر بقلعة سنان من حصون افريقية وكان لابي الليل بن احمد في حمايته ثم في القيام بامره اثر ووقع منه احسن المواقع فاصطنعه بعد رسوخه في رياسته على قومه عندما اذاله الله به من الدعي فاضطلع ابو الليل هذا بامرهم وزاحم اولاد شيحة بمنكب قوي ولحق اخرهم عبد الرحمن بن شيحة ببجاية عندما اقتطعها الامير ابو زكريا بن السلطان ابي اسحاق عن ملك عمه السلطان ابي حفص فوفد عليه فسخ بسنايه ورغبا له في ملك تونس يرجو ابذلك كرم رياسة فهلك دون مرامه وقبر ببجاية وانقرضت رياسة اولاد شيحة بمهلكه واستبد ابو الليل بالرياسة في الكعوب ووقع بينه وبين السلطان ابي حفص وحشة فقدم على الكعوب مكانه محمد ابن عبد الرحمن بن شيحة وزاحمه به اياما حتى استقام على الطاعة ولما هلك قدم بامرهم ابنه احمد امد رياسته ونكبه السلطان ابو عصيدة فهلك في سجنه وولي بعده اخوه عمر بن ابي الليل وزاحمه هداج بن عبيد بن كعب الى ان هلك هداج كما نذكره ولما هلك عمر قام بامره في قومه اخوه محمد بن ابي الليل وكفل مولاهم وحمزة ابني اخيه عمر وكان عمر مضعفا عاجزا فنازعه اولاد مهلهل بن عمه قاسم وهم محمد وسكيانه ومرغم وطالب وعون في اخرين لم تحضرني اسماوهم فتوسعوا للاستبداد على قومهم ومجاذبة محمد بن عمهم ابي الليل حبل الرياسة بينهم ولم يزالوا على ذلك ساير ايامهم ولما ظهر هداج بن عبيد بن احمد بن كعب وعظم طغيانه وعتوه وافساد الاعراب من احيايه السابلة وساء اثره في ذلك واسف السلطان بالاعتزاز عليه والاشتراط في ماله وتوغلت له صدور الغوغاء والعامة نوفد على تونس عام خمسة وسبعماية ودخل المسجد يوم الجمعة لابسا خفيه ونكر الناس عليه وطيه بيت الله بخف لم ينزعه وربما قال له في ذلك بعض المصلين الى جنبه فقال اني ادخل بهما بساط السلطان فكيف الجامع فاستعظم الناس كلمته وثاروا به لحينه فقتلوه بالمسجد وارضوا الدولة بفعلهم وكان امره مذكورا وقتل السلطان بعد ذلك اخاه كسابا وابن عمه شبل بن منديل بن احمد وقام بامر الكعوب من بعد محمد بن ابي الليل وهداج بن عبيد مولاهم وحمزة ابنا عمر واستبدوا برياسة البدو من سليم بافريقية على مزاحمة من بني عمهم مهلهل بن قاسم واقتالهم وفحول شوكتهم وانتقض احمد بن ابي الليل وابن اخيه مولاهم بن عمر على السلطان سنة سبع وسبعماية واستدعيا عثمان بن ابي دبوس من مكانه بوطن دباب فجاء بهما واجلبا به على تونس ونزل كدية الزعتر بظاهرها وبرز اليهم الوزير ابو عبد الله بن يرزيكن فهزمهم واستخدم احمد بن ابي الليل ثم تقبض عليه واعتقل بتونس الى ان هلك ووفد بعد ذلك مولاهم بن عمر سنة ثمان فاعتقل معه ولحق اخوه حمزة بالامير ابي البقاء خالد بن الامير ابي زكريا صاحب الثغر الغربي من افريقية بين يدي مهلك السلطان ابي عصيدة ومعه ابو علي بن كثير ويعقوب بن العلوس من شيوخ بني سليم هولاء ورغبوا الامير ابا البقاء في ملك الحضرة وجاءوا في صحبته

واطلق اخاهم مولاهم من الاعتقال عند دخول السلطان تونس سنة عشر وسبع مائة
كما نذكره في خبره ثم لحق حمزة بالسلطان ابي يحيى زكريا بن اللحياني واتصلت يده بيده فرفعه
على ساير العرب حتى لقد نفس ذلك عليه اخوه مولاهم ونزع الى السلطان ابي يحيى
الطويل امد الخلافة ولي سنعا ببجاية وثلاثين بعد استيلايه على الحضرة وساير
بلاد افريقية فاستخلصه السلطان لدولته ونابذ حمزة فاجلب عليه بالقرابة
واحدا بعد واحد كما نذكره وداهن اخوه مولاهم في مناصحته السلطان وما لا حمزة
على شانه وربما نمي عنه الغدر فتقبض السلطان عليه وعلى ابنه منصور وعلى
ربيبه رغدان ومغزال ابني محمد بن ابي الليل وكان الساعي بهم الى السلطان ابن
عمهم عون بن عبد الله بن احمد واحمد بن عبد الواحد بن عبيد وابو هلال بن محمود
ابن قايد وناجي بن ابو علي بن كثير ومحمد بن مسكين وابو زيد بن عمر بن يعقوب ومن
هوارة فيصل بن زعازع فقتلوا لحينهم سنة ثنتين وعشرين وبعث اشلاهم الى حمزة
فاستد حنقه ولحق مرجحا بابي تاشفين صاحب تلمسان لعهده من ال يغمراسن ومعه
محمد بن السلطان اللحياني المعروف بابي ضربة قد نصبه للملك وامدهم ابو تاشفين
بعساكر زناتة وزحفوا الى افريقية فخرج اليهم السلطان وهزمهم بوغبيس ولم
يزل حمزة من بعدها جلبا على السلطان ابي يحيى بالمرشحين من اعياص البيت الحفصي
وابو تاشفين صاحب تلمسان يمدهم بعساكره وتكررت بينهم الوقايع والايام سجالا
كما نذكره في مواضعه حتى اذا استولى السلطان ابو الحسن وقومه من بني مرين على
تلمسان والمغرب الاوسط سنة سبع وثلاثين وسبع مائة واستتبعوا بني عبد الواد
وساير زناتة قصر حمزة عن فتنته وانقطع حبلها في يده ولحق بالسلطان ابي الحسن
مستشفعا به فتقبل السلطان ابو يحيى شفاعته وعفا عنه عن جرايره واحله محل
الاصطفاء والخلوص فشمر عن نصحه واجتهاده وظاهر قايد محمد بن الحكيم على تدويخ
افريقية وقهر البدو من الاعراب فاستقام امر الدولة وتوثر مهادها وهلك حمزة
سنة اربعين وسبعمائة تبد ابي عون نفر بن ابي علي عبد السلام من ولد كثير بن زيد
المتقدم الذكر في بني علي من بطون بني كعب طعنه في بعض الحروب فاشواه وكانت فيها
مهلكه وقام بامره من بعده ابنه عمر بمظاهرة شقيقه قتيبة دبكي ابا الليل فغلب
ساير الاخوة والقرابة واستبد برياسة بني كعب وساير بني يحيى وافتات له بنو مهلهل
ينافسونه ويترقبون الادالة منه وكان مساهمه في امره معز بن مطاعن من فزارة
وزيرابيه وخرجوا على السلطان بعد مهلك حمزة اليهم واتهموا ان قتل ابي عون
اباهم انما كان بممالاة الدولة فنازلوا تونس وجمعوا المحاصر لها اولاد مهلهل اقتالهم
ثم اختلفوا ورحلوا عن البلد وانخزل طالب بن مهلهل وقومه الى السلطان ونهض في اثرهم
فاوقع بهم في القيروان ووفدت مشيختهم على ابنه الامير ابي العباس بقفصه
يداخلونه في الخروج على ابيه وكان فيهم معز بن مطاعن وزيرهم فتقبض عليه وقتله
وافلت الباقون وراجعوا الطاعة واعطوا الرهن ولما هلك السلطان ابو يحيى وقام
بالامر ابنه عمر انحرفوا عنه وظاهروا اخاه ابا العباس صاحب الجريد وولي العهد وزحفوا معه
بظواعنهم الى تونس فدخلها وقتل اخوه عمر كما نذكره في موضعه وقتل معه اخاهم

ابا الهول بن حمزة فنافسهم بذلك ووفد خالد على صاحب المغرب السلطان ابي الحسن فيمن
وفد عليه من وجوه الدولة وكافة المشيخة من افريقية وجاء في جملته حتى اذا استو لي
على البلاد قبض ايديهم عما كانت تمتد اليه من افساد السابلة واخذ الاتاوة وانتزع
الامصار التي كانت مقتطعة بايديهم والحقهم بامثالهم من اعراب بلاده بالمغرب الاقصى
من المعقل وزغبة فثقلت وطاته عليهم وتنكروا له وساء ظنهم به وفشت غارات
المفسدين من بواديهم بالاطراف فنسبت ذلك اليهم ووفد عليه بتونس من رجالاتهم
خالد بن حمزة واخوه احمد وخليفة بن عبد الله بن مسكين وخليفة بن ابو زيد من شيوخ
حكيم فسعي بهم عنده انهم داخلوا بعض الاعياص من اولاد اللحياني من بني ابي حفص
تكان في جملته كما نذكره في موضعه فتقبض عليهم وبلغ خبرهم الى الحي فتاشبوا
بقسطيلية والجريد فظفروا بابن من بقية ال عبد المومن من عقب ابي العلا
ادريس الملقب بابي دبوس اخر خلفايهم بمراكش وقتيل يعقوب بن عبد الحق عند غلبه
على الموحدين بمراكش واستيلايه على المغرب وهو احمد بن عثمان بن ادريس فنصبوه
وبايعوه واجتمعوا عليه وتاشب معهم بنو عمهم مهلهل اقتالهم وكان طالب منهم
وقام مكانه فيهم ابنه محمد فصرخهم بقومه واصفقوا جميعا على حرب زناتة ونهض
اليهم السلطان ابو الحسن من تونس فاتح تسعة واربعين فاجفلوا امامه حتى نزل
القيروان ثم ناجزوه ففضوا جموعه وملؤوا احقابهم باسلابه واسلابهم وخضدوا
من شوكة السلطان والانوا من حد الملك وخفضوا من امر زناتة وغلبهم الاسم وكان
يوم له ما بعده في اعتزاز العرب على الدول اخر الايام وهلك ابو الليل بن حمزة فحجز
عمه عن مقاومة اخوته فاستبد بالرياسة عليه اخوه خالد من بعده اخوهما منصور
واعتز على السلطان ابي اسحاق بن السلطان ابي يحيى صاحب تونس لعهده اعتزازا
لاكفاء له وانبسطت ايدي العرب على الضاحية واقطعتهم الدولة على الامصار
والقاب الجباية ومختص الملك وانتقصت الارض من اطرافها ووسطها ومازالوا
بها ليون الدولة حتى غلبوا على الضاحية وقاسموهم في جبايات الامصار
بالاقطاع ريفا وصحراء وتلولا وجريدا ويعرمون من اعياص الدولة ويجلبون بهم
على الحضرة لما يوملونه طعمة من الدولة ويرهبهم السلطان باقتالهم اولاد مهلهل
ابني قاسم بن احمد بديلهم منهم حتى احتملوها وعرش بينهم لقضاء اطارها
حتى اذا اراد الله انقاذ الامة من هوة الخسف وتخليصهم من مكاره الجوع والخوف
واذالتهم من ظلمات العيش بنور الاستقامة بعث همة السلطان امير المومنين ابي العباس
احمد ابقاه الله لطلب ارثه من الخلافة بالحضرة فانبعث لها من مكان امارته بالثغر
الغربي ونزع اليه امير البدو منصور بن حمزة هذا وذلك سنة احدى وسبعين
وسبعمائة على مهلك عمه السلطان ابي اسحاق منتبذ كرسي الحضرة وصاحب عصى
الخلافة والجماعة وقام ابنه خالد بالامر من بعده فنهض الى افريقية ودخل تونس
عنوة واستولى على الحضرة سنة ثنتين بعدها وارهف حده للعرب في الاعتزاز
عليهم وقبض ايديهم عن المفاسد وذويهم فحدثت لمنصور نفرة عن الدولة ونصب
الامير ابا يحيى زكريا ابن السلطان ابي يحيى جدهم الاكبر كان في احيا العرب منذ سنين كما

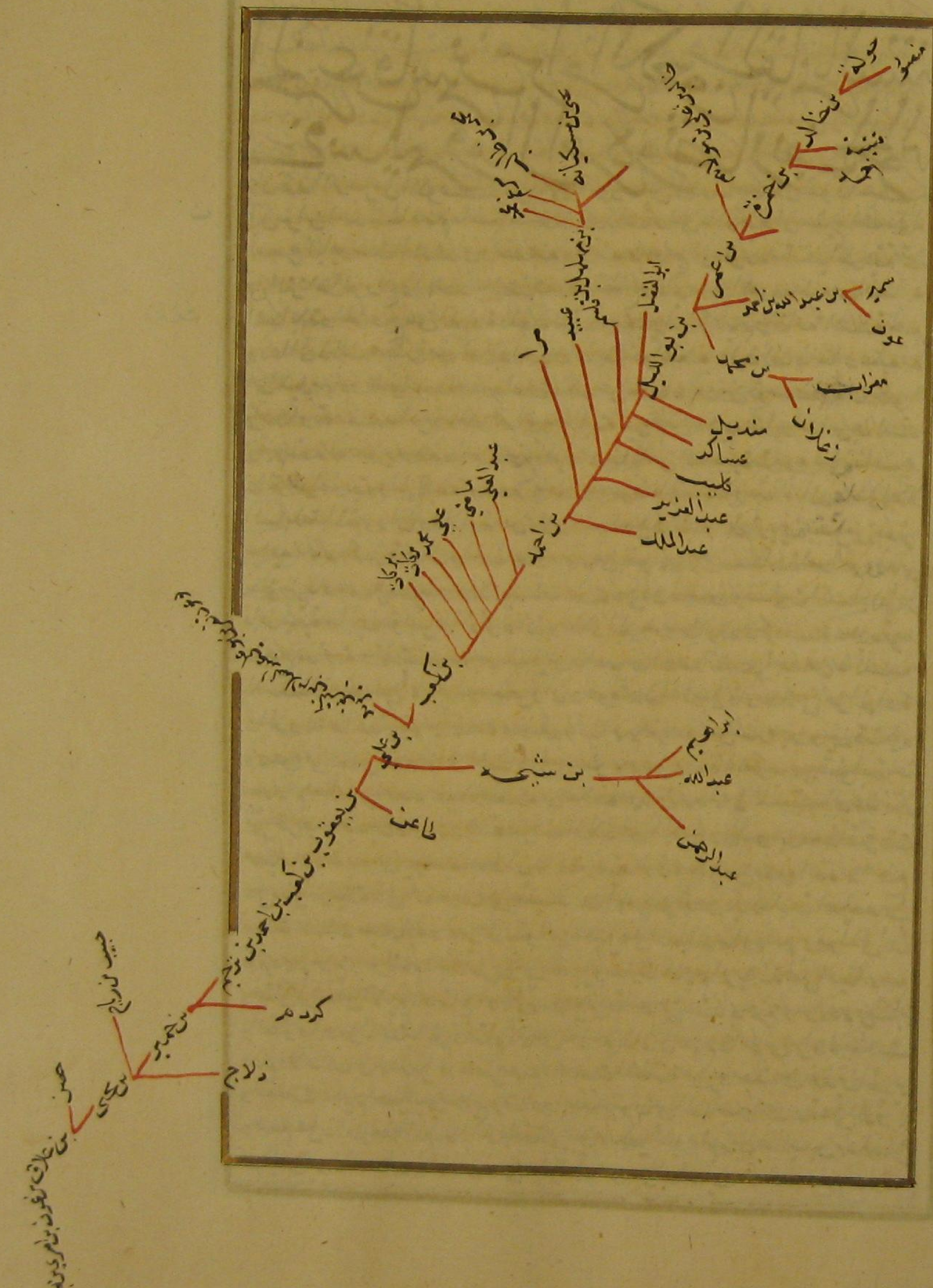

كما ذكرنا ذلك كله في اخبار الدولة واجلب به على تونس سنة ثلاث وسبعين فامتنعت عليهم ولم يظفروا بشيء ورجع منصور ورجاله عند السلطان وكشف عن وجه المناصحة وكان عشيرته قد ملوا منه حسدا او منافسة بسوء ملكته عليهم فنعدا عليه محمد ابن اخيه ابي الليل وطعنه فاشواه وهلك ليومه سنة خمس وسبعين وافترق جمعهم وقام بامرهم من بعده صولة بن اخيه خالد بن حمزة وبرادفه اولاد مولاهم بن عمه فجهد بعض الشيء في خدمة السلطان ومناصحته ثم رجع الى العصيان وكشف القناع في الخلاف واتصلت حاله على ذلك ثلاثا واداله السلطان منه ومن قومه باقتالهم اولاد مهلهل وراسهم لمحمد بن طالب ثم رجع اليهم رياسة البدو وجعل لهم المنع والاعطاء فيهم ورفع رتبتهم على العرب وتحيز اليه معهم اولاد مولاهم ابن عمر بن ابي الليل وتغلب اولاد حمزة سائر هذه الايام في الخلاف ونهض هو السلطان سنة ثمانين الى بلاد الجريد لتقويم رؤسائها عن المراوغة وحملهم على جادة الطاعة فتعرضوا لمدافعته عنها باملاء هؤلاء الرؤسا وسنادهم لهم على ذلك وبعد ان جمعوا له الجموع من ذؤبان الاعراب وذباب البدو ف تغلبهم عليها جميعا وازاحهم عن ضواحيها وظفر بعزاسة من اولئك الرؤسا واصبحوا بين معتقل ومشرد واستولى على قصورهم وذخائرهم وابعد اولاد حمزة واحلافهم من حكم المغرب وجاوز واغزوهم بلادهم من جهة المغرب واعتزت عليهم الدولة اعتزازا لا كفاء له فنامت الرعايا في ظل الامن وانطلقت منهم ايدي الاعتمار في المعاش وصلحت السابلة بعد الفساد وانفتحت ابواب الرحمة على العباد وقد كان اعتزاز هؤلاء العرب على السلطان والدولة لا ينتهي اليه اعتزاز ولهم عنه هيبة واباية وحلوق في الكبر والزهو غريبة لانهم لم يعرفوا عهد الدول ولا سيموا باعطاء الصدقات منذ العهد الاول اما في دولة بني امية فللعصبية التي كانت لذلك العهد بتحري الحق وتجانب عن الاعتزاز والغلظة فليس من اعطائها كبير غمط ولا مذلة واما ايام العبيديين فكانت الحاجة تدعو الدولة الى استمالتهم للفتنة التي كانت بينهم وبين بني العباس واما حين خرجوا بعد ذلك الى قصاء برقة وافريقية فكانوا اصلحين من ظل الملك ولما اصطنعهم بنو ابي حفص فكانوا معهم بمنجاة من الذل وسوم الخسف حتى كانت واقعتهم بالسلطان ابي الحسن وقومه من زناتة بالقيروان فنهجوا سبيل الاعتزاز لغيرهم من العرب على الدول بالمغرب بتخاذل المعقل وزغبة على ملوك زناتة واشطوا في طلابهم بعد ان كانوا مكفوفين بحكمة الغلب عن التطاول الى مثلها والله مالك الامور

حولة

الخبر

الخبر عن قاسم بن مرا من الكعوب القايم بالسنة في سليم ومآل أمره وتصاريف أحواله

كان هذا الرجل من الكعوب من أولاد أحمد بن كعب منهم وهو قاسم ابن مرا بن أحمد نشأ منهم ناسكا منتحلا للعبادة ولقي بالقيروان شيخ الصلحاء لعصره أبا يوسف الدهماني وأخذ عنه ولزمه ثم خرج إلى قومه متقفيا طريقة شيخه في التزام الورع والأخذ بالسنة ما استطاع ورأى ما هم العرب عليه من افساد السابلة والخروج عن الجادة فأخذ نفسه بتغيير المنكر فيهم وإقامة السنة لهم ودعا إلى ذلك عشيره من أولاد أحمد وأن يقاتلوا معه على ذلك فأشار عليه أولاد أبي الليل منهم وكانوا عيبة نصح له أن ينكب عن طلب ذلك من قومه مخافة أن يلحوا في عداوته فيفسد أمره ودفعوهم إلى مطالبة غيرهم من سليم وسائر الناس بذلك وأنهم شيعة له بمن يرومه خاصة فجمع إليه أوشابا من البادية يتبعون على شأنه والتزموا طريقته والمرابطة معه وكانوا يسمون بالجنادة وبدأ بالدعاء إلى إصلاح السابلة بالقيروان وما إليها من بلاد الساحل وتتبع المحاربين بقتل من يعثر عليه منهم بالطرق وغزو المشاهير منهم من بني نمير واستباحة أموالهم ودمائهم حتى شرد بهم كل مشرد وعلت بذلك كلمته على الحصين وصلحت السابلة بإفريقية ما بين تونس والقيروان وبلاد الجريد وطار له ذكر نفسه عليه قومه وأجمع عداوته واغتياله بنو مهلهل بن قاسم بن أحمد وتنصحوا ببعض ذلك للسلطان بتونس الأمير أبي حفص وأن دعوة هذا الرجل قادحة في أمر الجماعة والدولة فأغضى لهم عن ذلك وتركهم وشأنهم فخرجوا من عنده مجمعين قتله ودعوه في بعض أيامهم إلى المشاورة في شأنهم على عادة العرب ووقفوا أسلحة جيبهم ثم خلصوا معه نجيا وطعنه من خلفه محمد بن مهلهل الملقب بأبي عذبتين فخر صريعا لليدين والفم وامتعض له أولاد أبي الليل وطلبوا بدمه فافترقت أحياء بني كعب من يومئذ بعد أن كانت جميعا وقام بأمره من بعده ابنه رافع على مثل طريقته إلى أن هلك في طلب ذلك الأمر على بعض يد رجالات أهل حصن سنة ست وسبعمائة ولم يزل بنو أبي الليل على الطلب بثار قاسم بن مرا إلى أن ظهر فيهم حمزة ومولاهم ابنا عمر بن أبي الليل وصارت إليهم الرياسة على أحيائهم واتفق في بعض الأيام اجتماع أولاد مهلهل بن قاسم في مشيد بحمزة ومولاهم في مشاتيهم بالقفر فأجمعوا اغتيالهم وقتلوهم عن آخرهم بثار ابن عمهم قاسم بن مرا ولم يفلت منهم إلا طالب بن مهلهل لم يحضر معهم وعظمت الفتنة من يومئذ بين هذين الحيين وانقسمت عليهم أحياء بني سليم وصاروا يتعاقبون في الخلاف والطاعة على الدولة وهم على ذلك لهذا العهد والرياسة في بني مهلهل اليوم لمحمد بن طالب بن مهلهل وأخيه يحيى والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

بنو حصن من علاق

وأما حصن هؤلاء من بطون علاق وحصن أخو يحيى بن علاق وهم بطنان أيضا بنو علي وحكيم وقد يقال إن حكيما ليس لحصن وإنما ربي في حجره فانتسب إليه فأما حكيم فلهم بطون منهم بنو مطرف ومنهم بنو وائل بن حكيم وهم بنو طرود بن حكيم وقد يقال إن طرود ليس لسليم وهم من سنبس أحد بطون هلال بن عامر ويقال إن منهم زيد العجاج بن فاضل المذكور في رجالات هلال والصحيح في طرود أنهم من بني فهم ابن عمرو بن قيس بن عيلان مثل عدوان وفي تعدادهم وكانت طرود أحلاف الدلاج ثم قاطعوهم وحالفوا الملاعب ومن بطون حكيم الحسين ونوال ومقعد والجميعات ولا أدري كيف يتصل نسبهم ومنهم بنو نمير بن حكيم ولنمير بطنان ملاعب وأحمد ثم أحمد بنو محمد والبطين ومن ملاعب بنو هيكل بن ملاعب ومنهم أولاد زمام والغربات وأولاد مياس وأولاد قايد ومن أولاد قايد الصرح والمدا وأولاد يعقوب بن عبد الله بن سكر بن خرفوض بن قايد وإليهم رياسة حكيم وساير بطونهم ومواطن حكيم هؤلاء لهذا العهد ما بين سوسة والأجم والناحية منهم أحلاف لبني كعب تارة لأولاد أبي الليل وتارة لأقتالهم أولاد مهلهل ورياستهم في بني يعقوب بن القوس كان منهم يعقوب بن عبد السلام بن يعقوب شيخا عليهم وانتقض أيام اللحياني ووفد على السلطان أبي يحيى بالثغر الغربي من إفريقية في بجاية وقسنطينة وجاء في جملته فلما ملك تونس عقد له على قومه ورفعه على النظراء وعصرته بنو كعب فحرض عليه حمزة من الأعشاش محمد ابن حامد بن يزيد فقتله في موقف شوارهم وولي الرياسة فيهم من بعده ابن عمه محمد بن مسكين بن عامر بن يعقوب بن القوس وانتهت إليه رياستهم وكان يرادفه أو ينازعه جماعة من بني عمه فمنهم سحيم بن سليمان بن يعقوب وحضر واقعة طريف مع السلطان أبي الحسن وكان له فيها ذكر ومنهم أبو الهول وأبو القاسم ابنا يعقوب بن عبد السلام وكان لأبي الهول مناصحة للسلطان أبي الحسن حين أجلب عليه بنو سليم بالقيروان وداخله مع أولاد مهلهل في الخروج عن القيروان فخرج عليهم جميعا إلى سوسة ومنهم بو زيد بن عمر بن يعقوب وابنه خليفة ولم يزل محمد بن مسكين على رياسته أيام السلطان أبي يحيى كلها وكان عاملا له ومتمالكا في نصيحته والاغتباش إليه ولما هلك خلفه في رياسته ابن أخيه خليفة بن عبد الله بن مسكين وهو أحد الأشياخ الذين تقبض عليهم السلطان أبو الحسن بتونس بين يدي واقعة القيروان ثم أطلقه وهو محصور بالقيروان فكان له به اختصاص من بعد ذلك ولما تغلب على النواحي بعد واقعة القيروان تغلب بنو مسكين هؤلاء على سوسة فأقطعها السلطان خليفة هذا وبقيت في ملكته وهلك خليفة فقام برياستهم في حكيم ابن عمه عامر بن محمد بن مسكين ثم قتله محمد بن تبينه بن حامد من بني كعب قتله بيعقوب بن عبد السلام ثم قتله محمد هذا أعدا جهات الجريد سنة خمس وخمسين وسبعمائة ثم افترق أمرهم واستقرت رياستهم لهذا العهد بين أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين ويلقب أبو صعنونه وهو ابن أخي خليفة المذكور وعبد الله بن محمد

ث

فعة

ابن يعقوب بن عبد السلام بن يعقوب وهو ابن اخي ابي الهول المذكور ولما غلب السلطان ابو العباس على تونس وملكها انتزع سوسة من ايديهم فامتعض احمد لذلك وصار الى ولاية صولة بن خالد بن حمزة من اولاد ابي الليل وسلكوا سبيل الخلاف والفتنة وابعدوا في شاوها وهم لهذا العهد مشردون عن الضواحي والارياف متزاحون الى القفر واما عبد الله بن محمد ويلقب الرقامي فتحيز الى ابو صعنونة بخدمة السلطان وانقسمت رياسة حكيم بينهما وهم على ذلك لهذا العهد واما بنو علي اخو حكيم فلهم بطون اولاد مرعي واولاد صورة وجمعهما معا عون بن احمد بن علي بن خصرتم اولاد يمني والبدرانه واولاد ام احمد والخضرا والرجلان وهم مقعد والجميعات والحمر والمسايبة والحسين وحجري وقد يقال ان حجري ليسوا لسليم وانهم من بطون كندة صاروا معهم بالحلف فانتسبوا بنسبهم ورياسة بني علي في اولاد صورة وشيخهم لهذا العهد ابو الليل بن احمد بن سالم بن عصية بن شبل بن صورة بن مرعي بن حسن بن عون ويرادفهم المراعنة من اهل نسبهم اولاد مرعي بن حسن بن عون ومواطنهم ما بين الاجم والمبارك من نواحي قابس وناجعتهم احلاف الكعوب اما اولاد ابي الليل اولاد مهلهل وغالب احوالهم لاولاد مهلهل والله مقدر الامور لا رب غيره

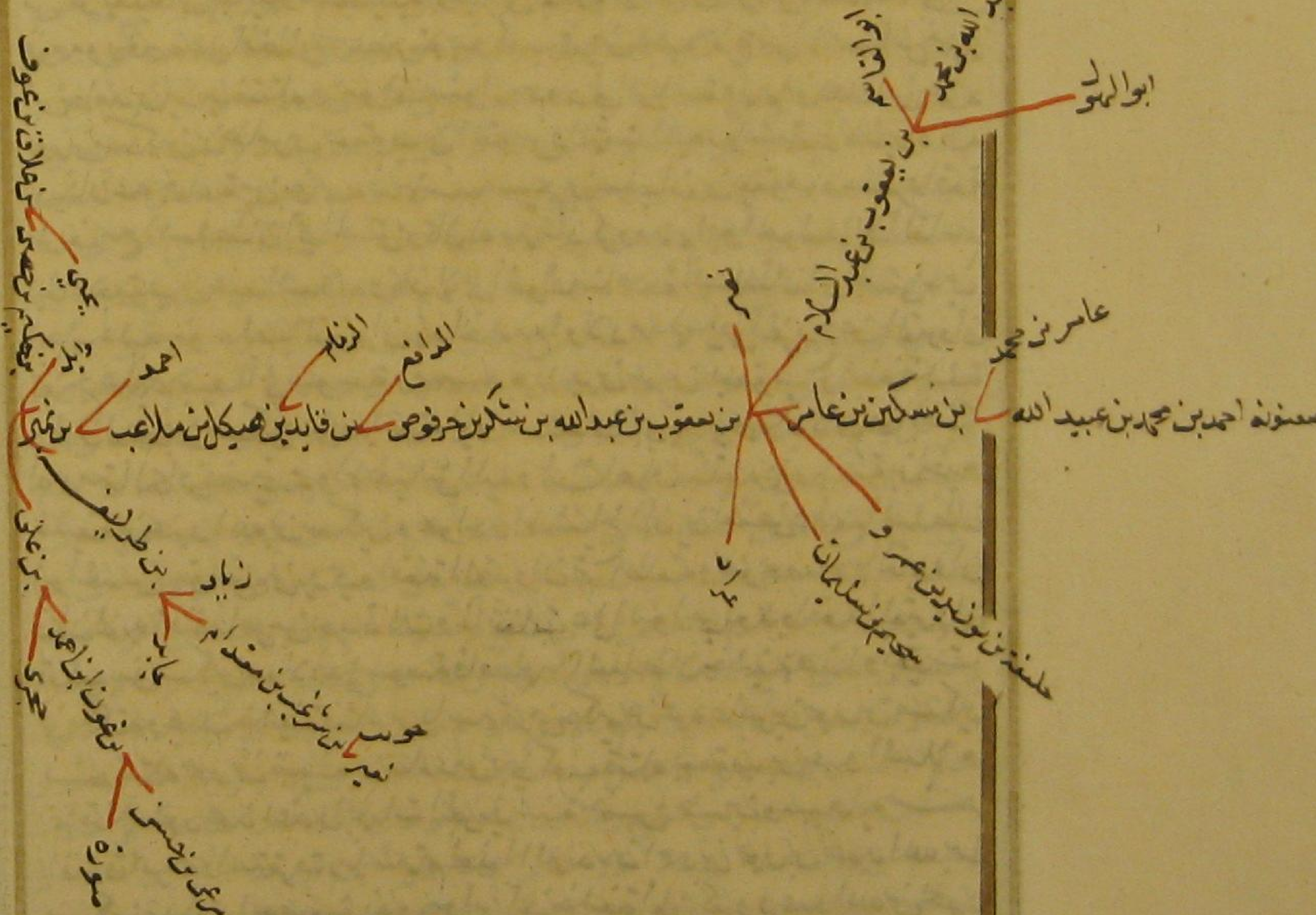

ذباب من سليم

قد ذكرنا الخلاف في نسبهم وانهم من ذباب بن ربيعة بن زغب الاكبر وان ربيعة اخو زغب الاصغر وضبطه هذه اللفظة لهذا العهد بضم الزاي وقد ضبطها الاجداني والرشاطي بكسر الزاي كذا نقل ابو محمد التجاني في رحلته ومواطنهم ما بين قابس وطرابلس الى برقة ولهم بطون فمنهم اولاد احمد بن ذباب ومواطنهم عزيي قابس وطرابلس الى برقة عيون زرجاحا ورول لحصني ومن عيون بلاد زغب ومن بطون ذباب بنو يزيد مشاركون لاولاد احمد في هذه المواطن وليس هذا بابيهم ولا هو اسم رجل وانما هو اسم حلفهم انتسبوا به الى هذا لوك الزيادة كذا قال التجاني ولهم بطون اربعة الصهبه بسكون الهاء بنو اصهب بن جابر بن فايد ابن رافع بن ذباب واخوتهم الحمارنة بنو حمران بن جابر والخرجة بسكون الراء بطن من اذ سليمان منهم اخرجهم السليمان من مواطنهم بمسلاتة فنزلوا الخواهولا ونزلوا معهم والاصابعة نسبة الى رجل ذي اصبع زايدة ولم يذكر التجاني في اي بطن من ذباب ينتسبون ومنهم النوايل بنو نايل بن عامر بن جابر واخوتهم اولاد سنان بن عامر واخوتهم اولاد وشاح بن عامر وفيهم رياسة هذا القبيل من ذباب كلهم وهم بطنان عظيمان المحاميد بنو محمود بن طوق بن بقية ابن وشاح ومواطنهم ما بين قابس ونفوسة وما الى ذلك من الضواحي والجبال ورياستهم لهذا العهد في بني رحاب بن محمود لاولاد سباع بن يعقوب بن عطية ابن رحاب والبطن الاخر الجواري بنو حميد بن جارية بن وشاح ومواطنهم طرابلس وما اليها مثل تاجورا وهراعه وزنزور وما الى ذلك ورياستهم لهذا العهد في بني مرغم بن صابر بن عسكر بن حميد لصابر بن عسكر بن علي بن مرغم ومن اولاد وشاح بطنان اخران صغيران مندرجان مع الجواري والمحاميد وهما الجوابية بنو جواب بن وشاح والعمور بنو عمرو بن وشاح هكذا زعم التجاني في العمور هولاء وفي هلال بن عامر بطن العمور كما ذكرناه وهم يزعمون ان عمور ذباب هولاء منهم وانهم انما جمعهم مع ذباب الموطن خاصة وليسوا من سليم والله اعلم بحقيقة ذلك وكان من اولاد وشاح بنو حريز بن تميم بن عمرو بن وشاح كان منهم قايد بن حريز من فرسان العرب المشاهير وله شعر متداول بينهم لهذا العهد سمر الحي وفكاهة المجالس ويقال انه من المحاميد قايد بن حريز بن حريز بن محمود بن طوق وكان بنو ذباب هولاء شيعة لقراقش الغزي وابن غانية ولهما فيهم اثار وقتل قراقش مشيخة الجواري في بعض ايامه ثم صاروا بعد مهلك ابن غانية الى خدمة الامير ابي زكريا واهل بيته من بعده وهم الذين كانوا اقاموا امر الداعي بن ابي عمارة وعليهم كان تلبيسه لان نصير مولى المخلوع كان نزل اليهم بعد مهلك مولاه وبنيه فنزل عليهم حتى اذا مر بهم ابن ابي عمارة راى فيه شبها بيننا بالفضل بن مولاه على المخلوع فجن وجزع وفزع الى البكا والصريخ فسايله بن ابي عمارة تعرفه

انهم فاتفقوا على التلبيس وزينوا ذلك لهولاء العرب فتفاوضوا وتولى كبر ذلك
مرغم بن صابر وتبعه قومه وداخلهم في الامر ابو مروان عبد الله بن مكي رايس
قابس فكان من قدر الله في تمام امره وتلوث كرسي الخلافة بجسده حسبما نذكره
في اخبار الدولة الحفصية وكان السلطان ابو حفص بعث عليهم فغلبهم في دعوة
عمارة فغلبوا عليه وسرح لحربهم قايده اباعبد الله الفازازي واستصرخوا
بالامير ابي زكريا بن اخيه وهو يوميذ صاحب بجاية والثغر الغربي من افريقية
ووفد عليه منهم عبد الملك بن رحاب بن محمود فنهض لصريخه سنة سبع
وثمانين وستماية وحاربوا اهل قابس وهزموهم واثخنوا فيهم ثم غلبهم الفازازي
ومانعهم عن وطن افريقية ورجع الامير ابو زكريا الى ثغره وكان مرغم بن صابر
ابن عسكر شيخ الجواري قد اسره اهل صقلية من سواحل طرابلس سنة ثنتين
وثمانين وباعوه لاهل برشلونة فاشتراه ملكهم وبقي اسيرا عنده الى ان نزع
اليه عثمان بن ادريس الملقب بابي دبوس بقية الخلفا من بني عبد المومن
واراد الاجازة الى افريقية لطلب حقه في الدعوة الموحدية فعقد ملك برشلونة
بينه وبين مرغم حلفا وبعثهما ونزلا بساحل طرابلس واقام مرغم الدعوة لابن ابي
دبوس وحمل عليها قومه وحاصر طرابلس سنة ثمان وثمانين اياما ثم تركوا
عسكر الحصار بها وارتحلوا لجباية الوطن فاستفرغوه وكان ذلك غاية امرهم
وبقي ابن دبوس يتقلب في اوطانهم مدة واستدعاه الكعوب لاول المائة الثامنة
واجلبوا به على تونس ايام السلطان ابي عصيدة من الحفصيين وحاصروها اياما
فلم يظفروا ورجع الى نواحي طرابلس واقام بها مدة ثم ارتحل الى مصر واقام بها الى
ان هلك كما ياتي ذكره في خبر ابنه مع السلطان ابي الحسن بالقيروان ولم
يزل هذا شان الجواري والمحاميد الى ان تقلص ظل الدولة عن اوطان قابس
وطرابلس فاستبد برياسة ضواحيها واستعبدوا ساير الرعايا المعتمرين
في جبالها وبسايطها واستبد اهل الامصار برياسة امصارهم بنو مكي بقابس
وبنو ثابت بطرابلس وضواحيها على ما نذكر في اخبارهم وانقسمت رياسة اولاد
وشاح بانقسام المصريين فتولى الجواري طرابلس وضواحيها وزنزور وغريان
ومغر وتولى المحاميد بلد قابس وبلاد نفوسة وجربه وفي ذباب هولاء
بطون اخرى ناجعة في القفر ومواطنهم منتزحة الى جانب الشرق عن مواطن
هولاء الوشاحيين فمنهم اولاد سليمان بن هيب بن رافع بن ذباب ومواطنهم
تلية ومغر وغريان ورياستهم في ولد نصر بن زايد بن سليمان وهي لهذا
العهد لعامل بن حماد بن نصير وبنيه والبطن الاخر السالم بن هيب اخي سليمان
ومواطنهم بلد مسراتة الى لبدة ومسلاتة وشعوب السالم هولاء الاحامد والعمايم
والعلاونة واولاد مرزوق ورياستهم في اولاد مرزوق وهو بن مسلي بن معد بن
فليته بن قماص بن سالم وكانت في اول هذه المائة الثامنة لغلبون بن مرزوق واستقرت
في بنيه وهي اليوم لمحمد بن سنان بن عثمان بن غلبون والعلاونة منهم مجاورون
للعزة من عرب برقة والمشاينة من هوارة المقيمين وعلى ذباب هولاء في مواطنهم

من

من جهة القبلة ناصرة وهم بطون ناصر بن خفاف بن امري القيس بن بهثة بن سليم
فان كان زغب ابو ذباب لملك بن خفاف كما زعم التجاني فهم اخوة ناصرة ويبعد
ان يسمى قوم باسم اخوانهم وان كانوا للناصر كما زعم ابن الكلبي فهم اقرب
ويكون هولاء اختصوا باسم ناصر دون ذباب وغيرهم من بنيه وهكذا اكثر
من بطون القبايل والله اعلم ومواطنهم بلاد فزان وودان هذه اخبار ذباب
هولاء واما العزة جيرانهم في الشرق الذين من مناد كرهم فهم موطنون من
ارض برقة خلاء لاستيلاء الخراب على امصارها وقراها من دولة صنهاجة
ثم ثبت بعرابها بادية العرب وتلحفهم تحيفوا اعمارها ونهبا الى ان فسدت
فيها مذاهب المعاش وانتقض العمران فخربت وصار الاكثر من هولاء العرب
المواطنين بها لهذا العهد من الفلح يثيرون له الارض بالعوامل من الجمال والحمير
وبالنساء اذا ضاق كسبهم عن العوامل وارتكبوا من ورق المعاش وينجعون
الى بلاد النخل في جهة القبلة منهم من اوجلة وتستر بنو الواحات وما وراء
ذلك من الرمال والقفر الى بلاد السودان المجاورين لهم وبهم كانم وتسمى بلدهم
برنيق وشيخ هولاء العرب ببرقة يعرف لهذا العهد بابي ذيب من بني جعفر
وركاب الحج من المغرب يحمدون مسالمتهم في مرهم وحسن نيتهم في التجافي عن
حاج بيت الله وارفادهم بجلب الاقوات لسوقهم وحسن الظن بهم ومن يحمل
متاعا لذلك خبرا امره واما نسبهم فما ادري من هو من العرب وحدثني الثقة
من ذباب عن خبر اهل بني شيخهم ابي ذيب انهم من بقايا الكعوب ببرقة وتزعم
نسابة الهلاليين انهم لربيعة بن عامر اخوة هلال بن عامر وقدمنا الكلام في ذلك
في اول ذكر بني سليم ويزعم بعض النسابة انهم والكعوب من العزة وان العزة
من هيب وان رياسة العزة لاولاد احمد وشيخهم ابو ذيب وان المشاينة جيرانهم
من هوارة وذكر ابو سلام بن التركية شيخ اولاد مقدم جيرانهم بالعقبة انهم
من بطون مسراتة من بقية هوارة ونحو الذي رايت النسابة المحققين عليه بعد
ان دخلت مصر ولقيت كبيرا من المرد دين التهامي اهل برقة وهذا اخر
الطبقة الرابعة من العرب وبانقضايه انقضى الكتاب الثاني في العرب
واجيالهم منذ مبدا الخليقة ولنرجع الى اخبار البربر في الكتاب الثالث
والله ولي الاسعاد

بسم الله الرحمن الرحيم

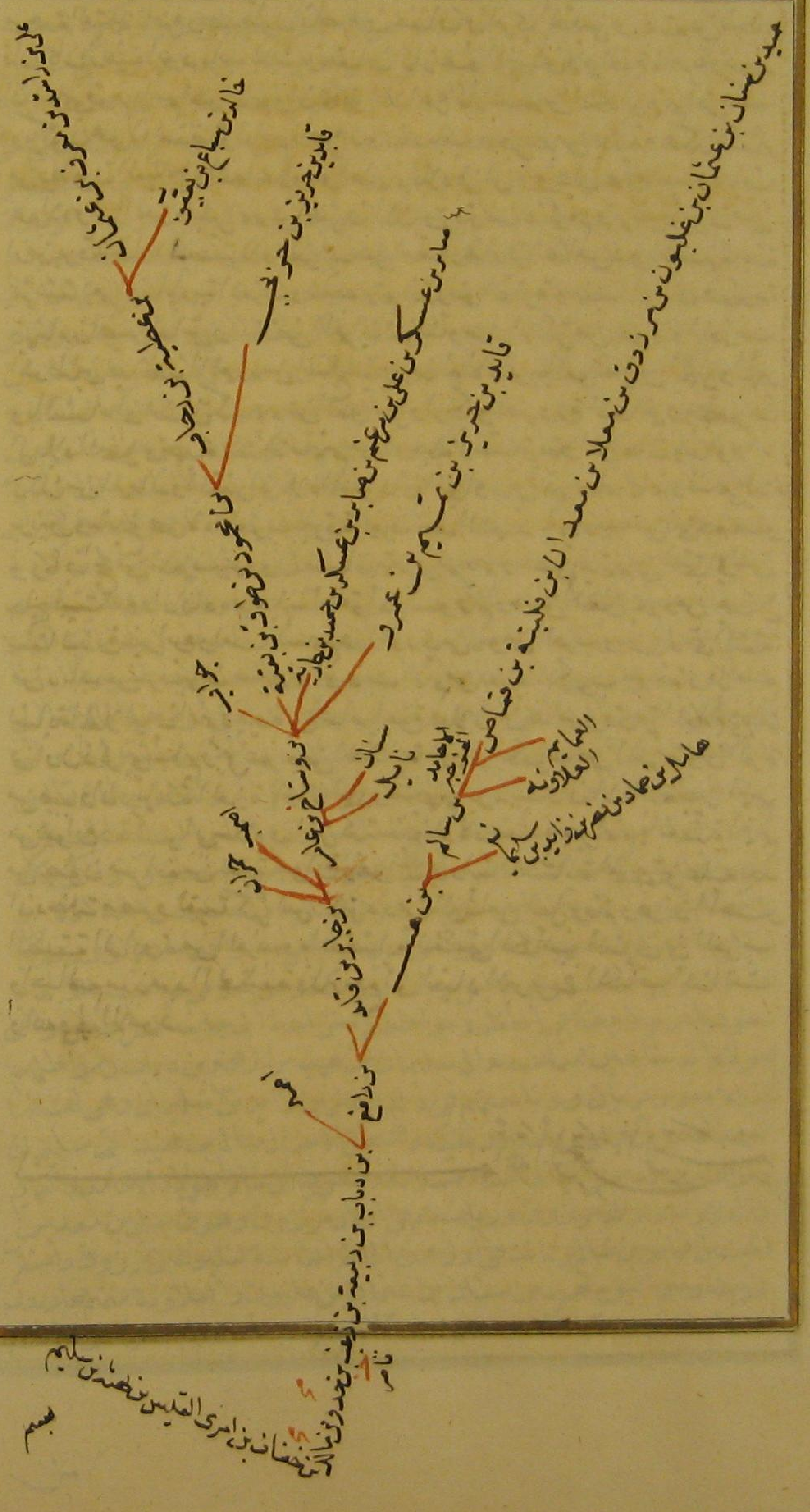

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الثالث في اخبار البربر الامة الثانية اهل المغرب وذكر اوليتهم واجيالهم ودولهم منذ مبدا الخليقة ولهذا العهد وذكر الخلاف الواقع بين الناس في انسابهم

هذا الجيل من الادميين هم سكان المغرب على القديم ملؤا البسايط والجبال من تلوله وارياقه وضواحيه وامصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الاشعار والاوبار ويظعن اهل العز منهم والغلب لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحرا والقفر الاملس ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب الركوب والنتاج وربما كانت الابل من مكاسب اهل النجعة منهم شان العرب ومعاش المستضعفين منهم في الفلح ودواجن السايمة ومعاش المعتزين اهل الانتجاع والاظعان في نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة ولباسهم واكثر اثاثهم من الصوف ويشتملون الصما بالاكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل وروسهم في الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها وهي التي اختصوا لاجلها بهذا الاسم يقال ان افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والامصار وباسمه زعموا سميت افريقية وانه لما راى هذا الجيل من الاعاجم وسمع رطانتهم ووعا اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال ما اكثر بربرتكم فسموا بالبربر والبربرة في لسان العرب هي اختلاط الاصوات غير المفهومة ومنه يقال بربر الاسد اذا زار باصوات غير المفهومة **واما** شعوب هذا الجيل وبطونهم فان علما النسب متفقون على انهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس الابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا بر وبين النسابين خلاف هل هما لاب واحد فذكر ابن حزم عن ايوب بن ابي يزيد صاحب الحمار انهما لاب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق وقال سابق بن سليمان المطماطي وهاني بن مصدور الكومي وكهلان بن ابي لوا وهم نسابة البربر ان البرانس بنو بر وهو من نسل مازيغ بن كنعان والبتر بنو بر وهو ابن قيس بن غيلان وربما نقل ذلك عن ايوب بن ابي يزيد الا ان رواية ابن حزم اصح لانه اوثق **واما** شعوب البرانس فعند النسابين انهم يجمعهم سبعة اجذام وهي ازداجة ومصمودة واوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة واوريغة وزاد سابق بن سليمان واصحابه لمطة وهسكورة وكزولة وقال ابو محمد بن حزم ويقال ان صنهاجة ولمطة انما

ابنا امراة يقال لها تصكي ولا يعرف لها اب تزوجها اوريغ فولدت له هوار فلا يعرف لهما اكثر من انهما اخوان لهوار من امه قال وزعم قوم من اوريغ انه ابن خبوز بن المثنى ابن السكاسك من كندة وذلك انه باطل وقال الكلبي ان كتامة وصنهاجة ليسا من قبايل العرب وانما هما من شعوب اليمنية تركهما افريقش بن صيفي بافريقية مع من نزل بها من الحامية هذه جماع مذاهب اهل التحقيق في شانهم فمن ازداجة مسطاسة ومن مصمودة غمارة بنو غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود ومن اوريغة هوار ه وملد ومغر وقلدن فمن هوار بن اوريغ مليلة وبنو كهلان ومن ملد بن اوريغ ه سطط وورفل واسيل ومسراته ويقال لهم جميعا لهانة بنو لهان بن ملد ويقال ان مليلة منهم ومن مغر بن اوريغ ماوس وزمور وكبا ومسراي ومن قلدن بن اوريغ قمصانه وورصطيف وبيانه وبل

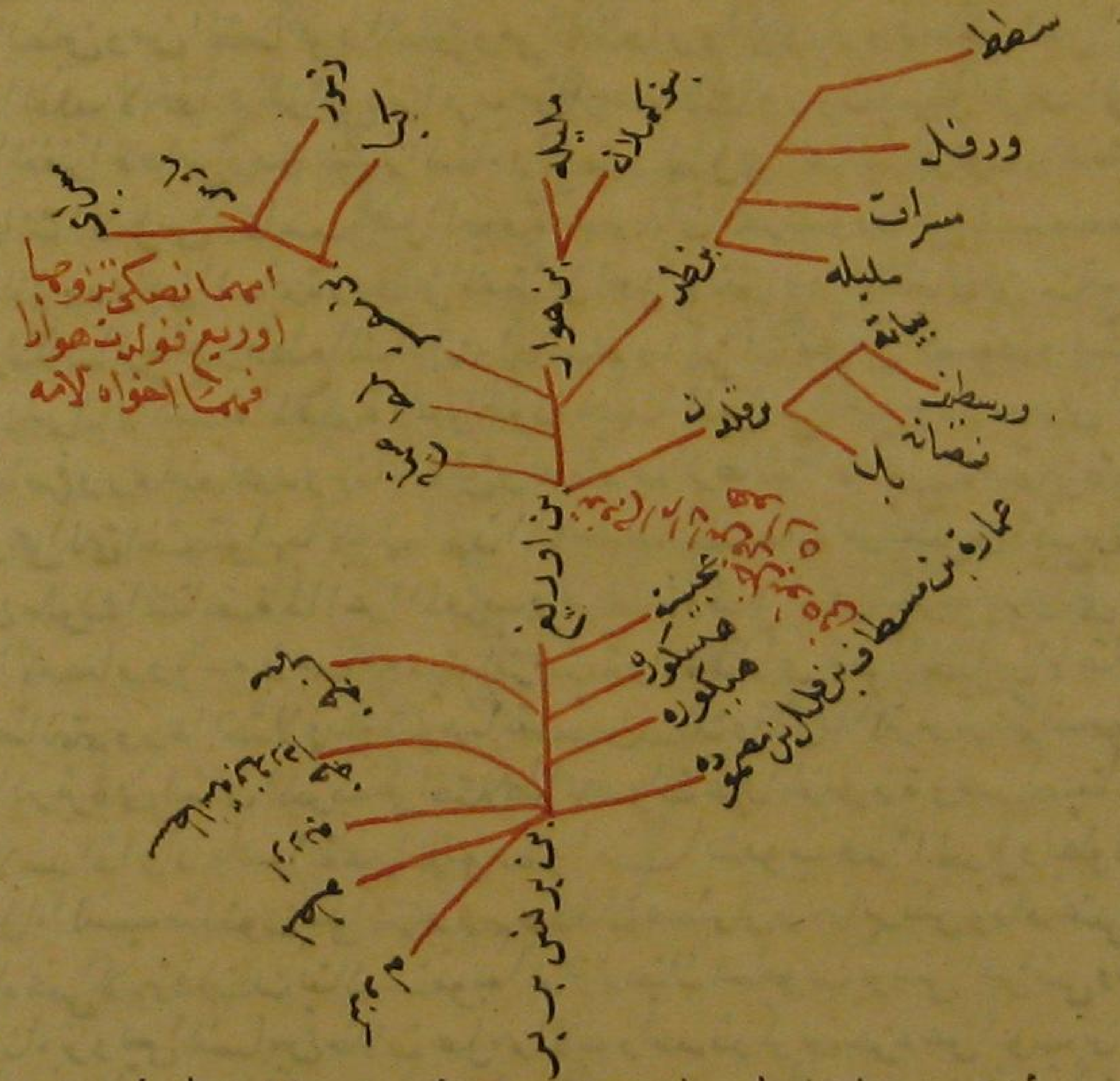

واما شعوب البتر وهم بنو مادغس الابتر فيجمعهم اربعة جذام اداسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الاكبر وكلهم بنو زحيك بن مادغس فاما اداسه بنو اداس من زحيك فبطونهم كلها في هوارة لان ام اداس تزوجها بعد زحيك اوريغ بن عمه برنس والد هوارة فكان اداس اخا لهوارة ودخل بنسب بنيه كلهم في هوارة وهم سفارة واندارة وهنزونه وصنبرة وهزاعة واوطيطة وترهنة هؤلا كلهم بنو اداس بن زحيك بن مادغس وهم اليوم في هوارة واما لوا الاكبر فمنه ه بطنان عظيمان وهما نفزاوه بالشين بين الزاي والشين بنو نفزاو ابن لوا الاكبر

ولواتة بنو لوا الاصغر بن لوا الاكبر تخافه ابوه حملا فسمي به فمن لواتة اكورة وعتروزه بنو ماصله بن لوا الاصغر ومنهم مزاتة بن زاير بن لوا الاصغر ومغاغة وجدانه بنو كطوف بن لوا الاصغر وعند ابن سابق واصحابه ان مغاغة وجدانه واكوره وعتروزة كلهم من ماصل بن لوا الاصغر ومن لواتة سدراتة بنو نيطط بن لوا الاصغر ودخل نسب سدراتة في مغراوة قال ابو محمد بن حزم لان مغراو تزوج ام سدراتة اخا بني مغراوة لامهم واختلط نسبه بهم ومن نفزاوة ايضا بطون كثيرة وهم لهاصه وغساسة وزهيلة وسوماته وورسيف ومرنيزه وزاتيمه وور ورتجيسة ووردغروس ووردين كلهم بنو يطوفت بن نفزاو وزاد ابن سابق واصحابه مجر ومكلاته وقالوا يقال ان مكلاه ليس من البربر وانه من حمير وقع الى يطوفت صغيرا فتبناه وبنو مكلا بن ريمان بن كلاع حاتم بن سعد بن حمير ولولها بن نفزاوة بطون كثيرة من نيدغاس ودحية ابني ولهاص فمن نيدغاس بطون ورنجومه وهم رحالة وطوو بورغيش وواغرز وكرطيط وما انجدل وسينتت بنو ورنجوم ابن نيدغاس بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو وقال ابن سابق واصحابه وبنو نيدغاس بن لواتة كلهم بجبل اوراس ومن دحية ودنذين وتريون وورسوتي ومكرا وتنوين بنو دحية ولهاص بن يطوفت بن نفزاو **واما** ضريسة وهم بنو ضري بن زحيك بن مادغس الابتر فيجمعهم جذمان عظيمان بنو تمصيت بن ضري وقال سابق واصحابه ان بطون تمصيت كلها من فاتن بن تمصيت وانهم اختصوا بنسب ضريسة دون بطون يحيى فمن بطون تمصيت مطماطة ومطغرة وهم كومية ولماية ومصغرة وصدينة ومغيلة ومكنوزه وكشانة ودونه ومديونه كلهم بنو فاتن ابن تمصيت بن ضري ومن بطون يحيى زناتة كلهم وسمكان وورصطف فمن ورسطف مكناسة واوكته وورتناج بنو ورسطف بن يحيى فمن مكناس ورتيفه وورتدوس وورفليت وقنصارة وبنو ياف وحرات وورفلاس ومن ملكن بولالين وترين ه وبصلتن وحريز وبوغال ومن ورتناج مكنسة ومطالسة وكرنيطة وسدرجمه وهناطة وبولال بنو ورتناج بنو ورصطف ومن سمكان زواغة وزواوة بنو سمكان بن يحيى وابن حزم يعد زواوة التي بالواو في بطون كتامة وهو اظهر ويشهد له الوطن فالغالب ان زواوة التي تعد في سمكان هي التي بالزاي وهي قبيلة معروفة ومن زواغة بنو ماجر وبنو واطيل وسمكين وسياتي الكلام فيهم مستوفى عند ذكرهم ان شا الله هذا اخر الكلام في شعوب هذا الجيل مجملا ولابد من تفصيل فيه عند تفصيل اخبارهم

كول

ص

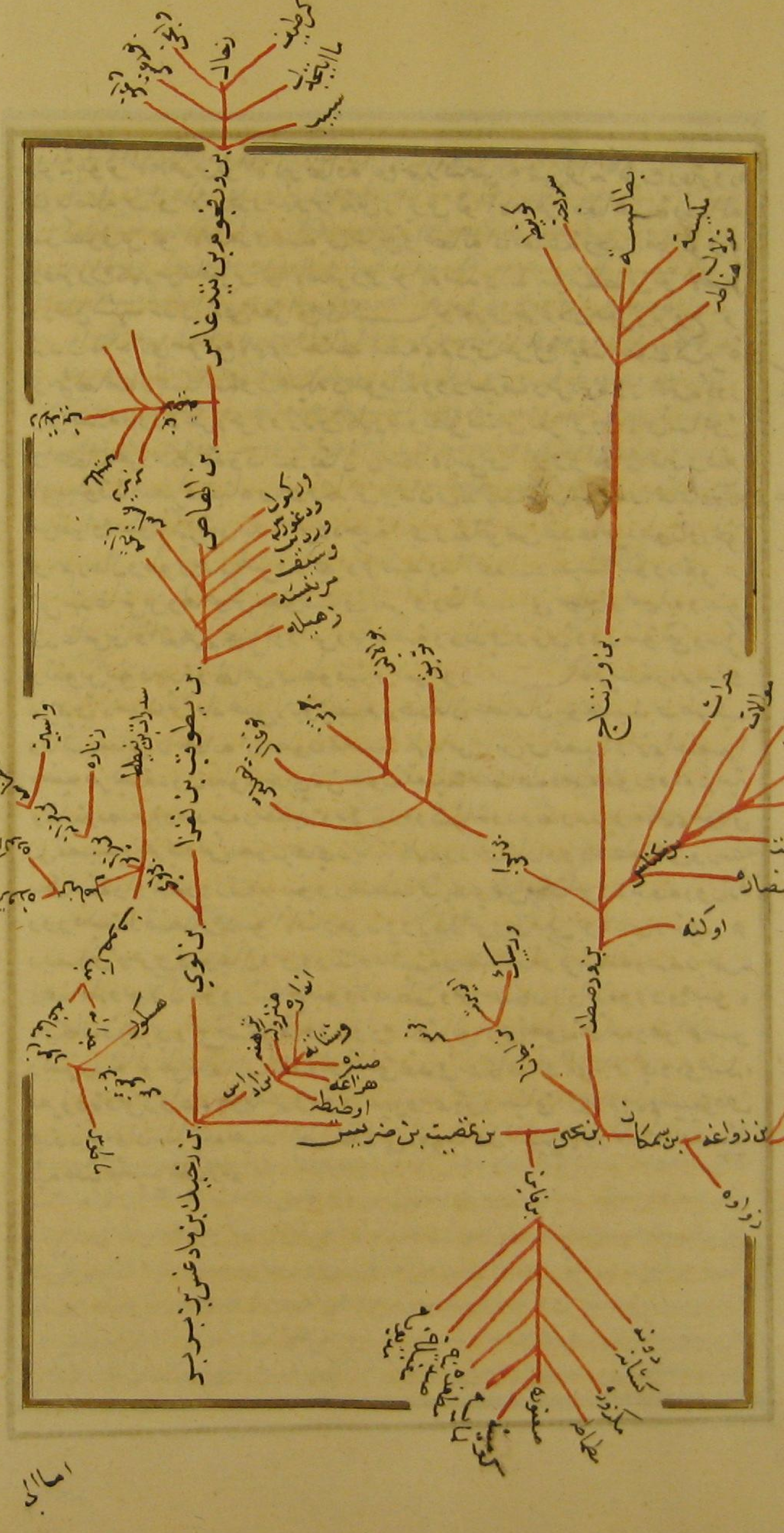

اما الى من يرجع نسبهم من الامم الماضية فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كثيرا وبحثوا فيه طويلا وقال بعضهم انهم من ولد ابراهيم عليه السلام من نقشان ابنه وقد تقدم ذكره عند ذكر ابراهيم عليه السلام وقال اخرون ان البربر يمنيون وقيل اوزاع من اليمن وقال المسعودي من غسان وغيرهم تفرقوا عندما كان من سيل العرم وقيل خلفهم ابرهة ذو المنار بالمغرب وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم فلسطين واخرجهم منها بعض ملوك فارس فلما وصلوا الى مصر منعهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد وقال ابو عمر بن عبد البر ادعت طوايف من البربر انهم من ولد النعمان بن حمير بن سبا قال ورايت في كتاب الاسفنداد الحكيم ان النعمان بن حمير بن سبا كان ملك زمانه في الفترة وانه استدعا ابناءه وقال لهم اريد ان ابعث منكم الى المغرب من يعمره فراجعوه في ذلك وعزم عليهم وانه بعث منهم لمت ابو لمتونه ومسفو ابو مسوفه ومرطا بن هسكورة واصناك ابو صنهاجة ولمط ابو لمطه وايلان ابو هيلانه فنزل بعضهم بجبل درن وبعضهم بالسوس وبعضهم بدرعة ونزل لمط عند كزوله وتزوج ابنته ونزل اجانا وهو ابو زناتة بوادي شلف ونزل بنو ورتجين ومغرا باطراف افريقية من جهة المغرب ونزل مصمود بمقربة من طنجة والحكاية طويلة وانكرها ابو عمر بن عبد البر وابو محمد بن حزم وقال اخرون انهم كلهم من قوم جالوت وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني النسابة في كتاب الانساب له لا اعلم قولا يودي الى الصحة الا قول من قال انهم من ولد جالوت ولم ينسب جالوت ممن هو وعند ابن قتيبة انه ورتنيد بن هربيل بن جديلان بن جالود بن رديلان بن حطي بن زياد بن زحيك بن مادغيس الابتر ونقل عنه ايضا انه جالوت بن هربال بن جالود بن ديال بن قحطان بن فارس قال وفارس مشهود وسفك ابو البربر كلهم قالوا والبربر قبايل كثيرة وشعوب جمة وهي هوارة وزناتة وضريسة ومغيلة وورفجومة ونفزة وكتامة ولواتة وغمارة ومصموده وصدينه ويزدران وورتجين وصنهاجة ومجكسه وواركلان وغيرهم وذكر اخرون منهم الطبري وغيره ان البربر اخلاط من كنعان والعماليق فلما قتل جالوت تفرقوا في البلاد وغزا افريقش المغرب ونقلهم من سواحل الشام واسكنهم افريقية وسماهم بربر وقيل ان البربر من ولد حام بن نوح من بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام وقال الصولي هم من ولد بربر بن كسلوجيم بن مصرايم بن حام وقيل من العمالقة من بربر بن تملا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاود بن ارم بن سام وعلى هذا القول فهم عمالقة وقال مالك بن المرحل البربر قبايل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم افريقش البربر لكثرة كلامهم وسبب خروجهم عند المسعودي والطبري والسهيلي ان افريقش استجاشهم لفتح افريقية وسماهم البربر وينشدون من شعره

بربرت كنعان لما سقتها ۞ من اراضي الضنك للعيش الخصيب

وقال ابن الكلبي اختلف الناس فيمن اخرج البربر من الشام فقيل داود بالوحي وقيل

باداود اخرج البربر من الشام فانهم جذام الارض وقيل يوشع بن نون وقيل افريقش وقيل بعض ملوك التبابعة وعند البكري ان بني اسرائيل اخرجوهم عند قتل جالوت والمسعودي والبكري انهم فروا بعد موت جالوت الى المغرب واردوا مصر فاجلتهم القبط فسكنوا برقة وافريقية والمغرب على حرب الافرنج والافارقة واجازوهم الى صقلية وسردانية وميورقة والاندلس ثم اصطلحوا على ان المدن للفرنجة وسكنوا القفار عصورا في الخيام والانتجاع الامصار من اسكندرية الى البحر والى طنجة والسوس حتى اذا جاء الاسلام وكان منهم من تهود وتنصر واخرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والاصنام ولهم ملوك ورؤسا وكان بينهم وبين المسلمين حروب مذكورة وقال الصولي والبكري ان الشيطان نزغ بين بني حام وسام فانجلى بنو حام الى المغرب ونسلوا به وقال ايضا ان حام لما اسود بدعوة ابيه فر الى المغرب حياء واتبعه بنوه وهلك عن اربعمائة سنة وكان من ولده بربر بن كسلاجيم فتشعب بنوه بالمغرب قال وانضاف الى البربر حيان من العرب يمنيان عند خروجهم من مارب كتامة وصنهاجة قال وهوارة ولمطة ولواتة بنو حمير بن سبا وقال هاني بن بكور الضريسي وسابق بن سليمان المطماطي وكهلان بن ابي لوا وايوب بن ابي يزيد وغيرهم من نسابة البربر فرقتان كما قدمناه وهم البرانس والبتر فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان والبرانس بنو بر بن سفجو بن ابزج بن جنوح بن وليل بن شراط بن تام بن دويم ابن دام بن مازيغ بن كنعان بن حام وهذا هو الذي يعتمده نسابة البربر قال الطبري خرج بر بن قيس ينشد ضالة باحياء البربر فهوى جارية وتزوجها فولدت وعند غيره من نسابة البربر انه خرج فارا من اخيه عمرو بن قيس وفي ذلك يقول تماضر ومما ينسب الى تماضر ايضا

لتبكي كل باكية اخاها   كما ابكي على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فاضحى   ودون لقائه ايضا عيس

ومما ينسب الى تماضر ايضا

وشطت بر دارة عن بلادنا   وطوح بر نفسه حيث يمما
وازرت ببر لكنة اعجمية   وما كان بر في الحجاز باعجما
كانا وبرا لم نقف بجيادنا   بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما

نقطا

وانشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلي

الا ايها الساعي لفرقة بيننا   توقف هداك الله سبل الاطايب
فاقسم انا والبرابر اخوة   نمانا وهم جد كريم المناصب
ابونا ابوهم قيس عيلان في الذرى   وفي حومة يشفي غليل المحارب
فنحن وهم ركن منيع واخوة   على رغم اعداء لئام المناقب
فانا لبر ما بقي الناس ناصروا   وبر لنا ركن منيع المناكب
نعد لمن عادى شوازب ضمرا   وبيضا تقط الهام يوم التضارب
وبر بن قيس عصبة مضرية   وفي الفرع من احسابها والذوائب

وقيس

وقيس قوام الدين في كل بلدة   وخير معد عند حفظ المناسب
وقيس لها المجد الذي يقتدى به   وقيس لها سيف حديد المضارب

ويستشهدون ايضا ابياتا من شعر يزيد بن خالد يمدح البربر

ايها السائل عن اصولنا   قيس عيلان بنو العز الاول
نحن ما غن بني بر الندى   عرف المجد وبني المجد وحل
واتى المجد تاورى زنده   وكفانا كل خطب ذي جلل
ان قيسا يعتزي بر لها   ولبر يعتزي قيس الاجل
ولنا الفخر بقيس انه   جدنا الاكبر فكاك الكبل
ان قيسا قيس عيلان هم   معدن الحق على الخير دلل
حسبك البربر قومي انهم   ملكوا الارض باطراف الاسل
وببيض تضرب الهام بها   هام من كان عن الحق نكل
ابلغوا البربر عني مدحا   حبك من جوهر شعر منتخل

وعند نسابة البربر وحكاه البكري وغيره انه كان لمضر ولدان الياس وعيلان امهما الرباب بنت حيدة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد عيلان بن مضر قيسا ودهمان اما دهمان فولده قليل وهم اهل بيت من قيس يقال لهم بنو امامة وكانت لهم بنت تسمى البهاء بنت دهمان واما قيس بن عيلان فولده اربعة بنين وهم سعد وعمرو وامهما مزنة بنت اسد بن ربيعة بن نزار وبر وتماضر امهما تمزيغ بنت مجدل بن مجدل بن عمار بن مصمود وكانت قبائل البربر يومئذ يسكنون الشام ويجاورون العرب في المساكن ويشاركونهم في المياه والمراعي والمسارح ويصهرون اليهم فتزوج بر بن قيس بنت عمه البهاء بنت دهمان وحسده اخوته في ذلك وكانت امه تمزيغ من دهاة النساء فخشيت منهم عليه ان يقتلوه وبعثت لذلك الى اخوالها سرا ورحلت معهم بولدها وزوجته الى ارض البربر وهم اذ ذاك ساكنون بفلسطين واكناف الشام فولدت البهاء لبر بن قيس ولدين علوان ومادغيس فمات علوان صغيرا وبقي مادغيس فكان يلقب الابتر وهو ابو البتر من البربر ومنه جميع زناتة ثم تزوج مادغيس بن بر وهو الابتر بامللو بنت واطاس بن مجدل بن عماد فولدت له زجيك بن مادغيس وقال ابو عمر ابن عبد البر في كتاب التمهيد في الانتساب اختلف الناس في انساب البربر اختلافا كثيرا وانسب ما قيل فيهم انهم من ولد قبط بن حام لما نزل مصر خرج ابنه يريد المغرب فسكنوا من اخر عمالة مصر وذلك ما وراء برقة الى البحر الاخضر مع بحر الاندلس الى منقطع الرمل متصلين بالسودان فمنهم لواتة بارض طرابلس ونزل قوم بقربها وهم نفزة ثم امتدت بهم الطرق الى القيروان وما وراءها الى تاهرت الى طنجة وسجلماسة الى السوس الاقصى وهم صنهاجة وكتامة ودكالة وزكلاوة وفطواكة من هسكورة ومرطاوة وذكر بعض اهل الاثر ان الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام فوقعت بينهما منازعة وكانت الدبرة فيهما لسام وبنيه وخرج حام الى المغرب وقدم مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى بلغ

السوس الاقصى وخرج بنوه فى اثره يطلبونه فكل طايفة من ولده بلغت موضعا
وانقطع عنهم خبره فاقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه ووصلت اليهم طايفة
فاقاموا معهم وتناسلوا هنالك وكان عمر حام اربعماية وثلاثا واربعين سنة فيما
ذكره البكري وقال اخرون كان عمره خمس ماية واحدى وثلاثين سنة وقال
السهيلي يمن هو يعرب بن قحطان قال وهو الذي اجلى بنى حام الى المغرب بعد ان
كانوا الجن من ولد فوط بن يافث هذا اخر الخلاف فى انساب البربر واعلم
ان هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة من الصواب فاما القول انهم من ولد
ابراهيم فبعيد لان داود الذي قتل جالوت وكان البربر معاصرين له ليس بينه وبين
اسحاق بن ابراهيم اخى نفشان الذين زعموا انه اخو البربر الا نحو عشرة اباء
ذكرناهم اول الكتاب ويبعد ان يتشعب النسل فيهم مثل هذا التشعب
واما القول بانهم من ولد جالوت او العماليق وانهم نقلوا من ديار الشام
او انتقلوا فقول ساقط يكاد يكون من احاديث خرافة اذ مثل هذه الامة المشتملة
على امم وعوالم ملات جانبا من الارض لا تكون منتقلة من جانب اخر وقطر محصور
والبربر معروفون فى بلادهم واقاليمهم متميزون بشعارهم من الامم منذ الاحقاب
المتطاولة قبل الاسلام فما الذي يحوجنا الى التعلق بهذه الترهات فى شان
اوليتهم ويحتاج الى مثله فى كل جيل وامة من العجم والعرب وافريقش الذي
يزعمون انه نقلهم قد ذكروا انه وجدهم بها وانه تعجب من كثرتهم وعجمتهم وقال
ما اكثر بربرتكم فكيف يكون هو الذي نقلهم وليس بينه وبين ابرهة ذى المنار من
يشتبهون فيه الى مثل ذلك الى ان قالوا انه الذي نقلهم واما القول ايضا
بانهم من حمير من ولد النعمان او من مضر من ولد قيس بن عيلان فمنكر من القول
وقد ابطله امام النسابين والعلما ابو محمد بن حزم وقال فى كتاب الجمهرة
ادعت طوايف من البربر انهم من اليمن ومن حمير وبعضهم ينتسب الى بر بن قيس
وهذا كله باطل لا شك فيه وما علم النسابون لقيس بن عيلان ابنا اسمه بر
اصلا ولا كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى تكاذيب مورخى اليمن واما ما ذهب
اليه ابن قتيبة انهم من ولد جالوت وان جالوت من ولد قيس بن عيلان فابعد
عن الصواب فان قيس عيلان من ولد معد وقد قدمنا ان معدا كان معاصرا
لبخت نصر وان ارميا النبي خلص به الى الشام بالوحي حذرا عليه من بخت نصر
حين سلط على العرب وبخت نصر هو الذي خرب بيت المقدس بعد بناء داود
وسليمان اياها باربعماية وخمسين سنة ونحوها فيكون معد بعد داود بمثل هذا
الامد فكيف يكون ابنه قيس ابا لجالوت المعاصر لداود هذا فى غاية البعد واظنها
غفلة من ابن قتيبة ووهما والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره فى شانهم
انهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم فى انساب الخليقة وان اسم جدهم
مازيغ واخوتهم اركيش وفلسطين اخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرايم بن حام وملكهم
جالوت سمة معروفة له وكانت بين فلسطين هولاء وبين بنى اسرايل بالشام حروب
مذكورة وكان بنو كنعان واركيش شيعا لفلسطين على بنى اسرايل ومن هنا والله اعلم

النسب

النسب على القايل بان جالوت من البربر وانما هو من اخوانهم فلسطين فلا يغفى فى وهله
عن هذا فهو الصحيح الذي لا معدل عنه ولا خلاف بين نسابة العرب ان شعوب البربر الذى قدمنا
ذكرهم كلهم من البربر الا صنهاجة وكتامة فان بين نسابة العرب فيهم خلافا والمشهور انهم
من اليمنية وان افريقش لما اغزا افريقية انزلهم بها واما نسابة البربر فيزعمون فى بعض شعو
بهم انهم من العرب مثل لواتة يزعمون انهم من حمير ومثل هوارة يزعمون انهم من كندة من السكا — نسابهم
ومثل زناتة يزعم نسابتهم انهم من العمالقة فروا امام بنى اسرايل وربما يزعمون فيهم
انهم من بقايا التبابعة ومثل غمارة ايضا وزواوة ومكلاتة يزعمون فى هولاء كلهم نسابتهم
انهم من حمير حسبما نذكره عند تفصيل شعوبهم فى كل فرقة منهم وهذه كلها مزاعم والحق
الذي تشهد به المواطن والعجمة انهم بمعزل عن العرب الا ما تزعمه نسابة العرب فى صنهاجة
وكتامة وعندي انهم من اخوانهم والله اعلم وقد انتهى بنا الكلام فى انسابهم واوليتهم فلنرجع
الى تفصيل شعوبهم وذكرهم امة بعد امة ونقتصر منهم على ذكر من كانت له منهم دولة
ملك او سالف شهرة او تشعب نسل فى العالم وعدد لهذا العهد وما قبله من صنفى البرانس
والبتر منهم ونرتبهم شعبا شعبا حسبما ادى الينا من ذلك واشتمل عليه محفوظنا والله
المستعان

الفصل الثاني فى ذكر مواطن هولاء البربر بافريقية والمغرب

اعلم ان لفظ المغرب فى اصل وضعه اسم اضافي يدل على مكان من الامكنة باضافته
الى جهة المشرق ولفظ المشرق كذلك باضافته الى جهة المغرب فكل مكان من الارض
مغرب بالاضافة الى جهة المشرق ومشرق بالاضافة الى جهة المغرب الا ان العرب
قد تخصص هذه الاسماء بجهات معينة واقطار مخصوصة وعرف اهل الجغرافيا
المعتنين بمعرفة هيئة الارض وقسمتها باقاليمها ومعمورها وخرابها وجبالها وبحا — رها
ومساكن اهلها مثل بطليموس وزجار وصاحب صقالية المنسوب له الكتاب المشهور
بين الناس لهذا العهد فى هيئة الارض والبلدان وامثالهم ان المغرب قطر واحد متميز
بين الاقطار فحده من جهة الغرب البحر المحيط وهو عنصر الما وسمى محيطا لاحاطته
بما انكشف من الارض كما قدمناه اول الكتاب ويسمى ايضا البحر الاخضر لتلونه غالبا
بالخضرة ويسمى بحر الظلمات لما انه تقل فيه الاضواء من الاشعة المنعكسة على سطح الا
من الشمس لبعده عن الارض فيكون مظلما ولفقدان الاضواء تقل الحرارة المحللة للابخرة
فلا تزال السحب والغيوم متكاثفة على سطحه منعقدة هنالك متراكمة ويسميه الاعاجم
بحر اقيانس يعنون به والله اعلم ما نعني بالعنصر ويسمونه ايضا بحر لبلاية بتفخيم اللام
الثانية وهو بحر كبير غير منحصر لا تبعد فيه السفن عن مراى العين من السواحل للجهل بمهاب
الرياح هنالك وبنهايتها اذ لا غاية من العمران وراءه والبحار المنحصرة انما جرت فيها السفن
بالرياح لمعرفة النواتية بكثرة تجاربهم فيها بمهاب الرياح من الاماكن وغاياتها فى سمتها
فكل ريح عندهم معرفة الغاية فاذا علم ان جريته بالريح المنبعثة من مكان كذا وربما خرج

من ريح الى ريح بحسب مقاصدها وجهتها وهذا مفقود في البحر الكبير لانه غير منحصر ومبعث
الريح وان كان معروفا فيه فغايته غير معروفة لفقدان العمران وراءه فتنقطع السفن
اذا جرت بها وتذهب فتهلك وايضا فاذا اوغلت فيه فربما وقع في المتكاثف من الغيوم
والابخرة كما قلناه فتهلك فلهذا كان راكبه على غرر وخطر فحد المغرب من جهة المغرب
البحر المحيط كما قلناه وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وازمور وانفى واسفى وهي كلها
من مساكن البربر وحواضرهم وينتهي في المراكب الى وراء ساحل نولي ولا تجاوزه الا على
خطر كما قلناه واما حده من جهة الشمال فالبحر الرومي المنبعث من هذا البحر المحيط
يخرج في خليج متضايق ما بين طنجة من بلاد المغرب وطريف من بلاد الاندلس ويسمى هذا
الخليج الزقاق وعرضه ثمانية اميال فيما فوقها وكانت عليه قنطرة ركبها ماء البحر ثم
يذهب هذا البحر الرومي في سمت الشرق الى ان ينتهي الى سواحل الشام وثغوره وما اليها
مثل انطاكية والعلايا وطرسوس والمصيصة وطرابلس وصور والاسكندرية ولذلك
يسمى البحر الرومي الشامي وهو اذا خرج من الخليج ينفسح في ذهابه عرضا واكثر انفساحه
الى جهة الشمال ولا يزال في انفساحه ذلك متصاعدا الى الشمال الى ان ينتهي الى غايته
وطوله فيما يقال الخمسة الاف ميل او ستة وفيه جزائر ميورقة ومنورقة ويابسة وصقلية
واقريطش وسردانية وقبرص واما عرضه من جهة الجنوب فانه يخرج على سمت واحد ثم
يختلف في ذهابه فتارة يبعد في الجنوب وتارة يرجع الى الشمال واعتبر ذلك بعروض
البلدان التي بساحله وذلك ان عرض البلد هو ارتفاع قطبه الشمالي عن افقه وهو
ايضا بعد ما بين سمت رؤوس اهله ودائرة معدل النهار والسبب في ذلك ان الارض كرية
الشكل والسماء من فوقها مثلها وافق البلد هو فوق ما يرى وما لا يرى من السماء
ومن الارض والفلك ذو قطبين اذا ارتفع احدهما على رؤوس معمور انخفض الاخر
عنهم والعمارة في الارض كلها في جانب الشمال اكثر وليس في الجنوب عمران لما تقرر
في موضعه فلهذا ارتفع القطب الشمالي على اهل العمران دون الجنوبي والمار على سطح
الكرة كلما ابعد في جهة ظهر له من سطح الكرة ومن السماء المقابل لها ما لم يكن يظهر فيزيد
بعد القطب عن الافق كلما ابعد عن الشمال وينقص كلما رجع الى الجنوب فعرض سبتة
وطنجة التي على زقاق هذا البحر وخليجه له ودقائق ثم يتقاصر الى الجنوب
فيكون عرض تلمسان لد ونصف ثم يزيد في الجنوب فيكون عرض وهران لب ابعد من
فاس بيسير لان عرض فاس لج ودقائق ولهذا كان العمران في المغرب الاقصى اعرق في
الشمال من عمران المغرب الاوسط بقدر ما بين فاس وسبتة وصار ذلك القطر كالجزيرة
بين البحار لانعطاف البحر الرومي الى الجنوب ثم يرجع البحر بعد وهران عن سمته ذلك
فيكون عرض تنس لد والجزائر له على مثل سمته الاول عند منبعثه من الزقاق ثم
يزيد في الشمال فيكون عرض بجاية وتونس لو على مثل سمت غرناطة والمرية ومالقة
ثم يرجع الى الجنوب فيكون عرض قابس وطرابلس لز على مثل السمت الاول بطنجة وسبتة
ثم يزيد في الجنوب فيكون عرض برقة لج على مثل سمت فاس وتوزر وقفصة ويزيد فيكون
عرض الاسكندرية لا على مثل مراكش واغمات ثم يذهب في الشمال عند انعطافه الى
منتهى سمته بسواحل الشام وهكذا اختلافه في مثل هذه العدوة الجنوبية ولسنا على

علم

علم من حاله في العدوة الشمالية وينتهي عرض هذا البحر في انفساحه الى سبعمائة ميل او
نحوها ما بين سواحل افريقية وجنوه من العدوة الشمالية والبلاد الساحلية من المغرب
الاقصى والاوسط وافريقية من لدن الخليج حيث منبعثه كلها عليه مثل طنجة وسبتة
وبادس وغساسة وهنين ووهران والجزائر وبجاية وبونة وتونس وسوسة والمهدية
وصفاقس وقابس وطرابلس وسواحل برقة والاسكندرية هذا وصف البحر الرومي
الذي يحد المغرب من جهة الشمال واما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال
المنهالة المائلة حاجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر ويعرف عند العرب الرحالة
البادية بالعرق وهذا العرق سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدئ من البحر المحيط
وذاهب في جهة الشرق على سمت واحد الى ان يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى مصر
فهنالك ينقطع وعرضه ثلاث مراحل وازيد ويعترضه في قبلة المغرب الاوسط ارض محجرة
تسمى عند العرب الحمادة من دون مصاب الى بلاد ريغ ووراءه في جهة الجنوب بعض بلاد
الجريدية ذات نخل وانهار ينتهي عدد كل واحد منها الى المائة فاكثر والى هذه العدوة الجنوبية
من هذا العرق ينتهي في بعض السنين مجالات اهل اللثام من صنهاجة ومتقلبهم الجائلون
هنالك والى بلاد السودان وفي العدوة الشمالية منه مجالات البادية من الاعراب الظواعن
بالمغرب وكانت قبلهم مجالات للبربر كما نذكر بعد هذا حد المغرب من جهة الجنوب ومن
دون هذا العرق سياج اخر على المغرب مما يلي التلول منه وهو الجبال التي هي تخوم
لتلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط في المغرب الى برنيق من بلاد برقة وهنالك ينقطع
هذه الجبال وتسمى مبدؤها من المغرب بجبال درن وما بين هذه الجبال المحيطة بالتلول
وبين العرق الذي وصفناه انفا بسائط وقفار اكثر نباتها الشجر وفيما يلي التلول
منها ويقاربها بلاد الجريد ذات نخل وانهار ففي ارض السوس قبلة مراكش تارودانت
وابن قرمان وغيرهما بلاد ذات نخل وانهار ومزارع متعددة عامرة وفي قبلة فاس
سجلماسة وقراها بلد معروف ودرعة ايضا وهي معروفة وفي قبلة تلمسان فيجيج
قصور متعددة ذات نخل وانهار وفي قبلة تاهرت القصور ايضا بلاد متتالية على
سطر من الشرق الى المغرب اقربها جبل راشد وهي ذات نخل وانهار ومزارع ثم
قصور مصاب تناهز المائة واكثر قبلة الجزائر ذات نخل وانهار ثم بلد واركلى قبلة
بجاية بلد واحد مستبحر العمران كثير النخل وفي سمته الى جهة التلول بلاد ريغ تناهز
الثلاثمائة منتظمة على حفافي واد ينحدر من الغرب الى الشرق ذات نخل وانهار واقرب
منها الى التلول بلاد الزاب منتظمة من الغرب الى الشرق تناهز مائة من البلاد فاكثر
قاعدتها بسكرة من كبار الامصار بالمغرب وتشتمل كلها على النخل والانهار
والقرى والمزارع ثم بلاد الجريد قبلة تونس وهي نفطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاوة
وتسمى كلها بلاد قسطيلية مستبحرة العمران مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل والانهار
ثم قابس قبلة سوسة وهي حاضرة البحر من اعظم امصار افريقية وكانت دار ملك لابن غانية
كما نذكره بعد وتشتمل على النخل والانهار والمزارع ثم فزان وودان قبلة طرابلس قصور
متعددة ذات نخل وانهار وهي اول ما افتتح المسلمون من ارض افريقية لما اغزاها عمر بن الخطاب
وعمرو بن العاص ثم الواحات قبلة برقة ذكرها المسعودي في كتابه وما وراء هذه

كلها في جهة الجنوب فقفار ورمال لا تنبت زرعا ولا مرعى الى ان ينتهي الى العرق الذي ذكرناه ومن ورائه مجالات الملثمين كما قدمناه مفاوز معطشة الى بلاد السودان وما بين بلاد النخل هذه والجبال التي هي سياج التلول بسائط متلون هواؤها تارة بمزاج التلول وتارة بمزاج الصحراء في هوائها ومياهها ومنابتها وفيها القيروان وجبل اوراس معترض وسطها وبلاد الحضنة حيث كانت طبنة ما بين الزاب والتل وفيها مقرة والمسيلة وفيها السرسو قبلة تلمسان حيث تاهرت وفيها جبل دبرو قبلة فاس معترض في تلك البسائط هذا حد المغرب من جهة الجنوب والقبلة واما حده من جهة المشرق فيختلف باختلاف الاصطلاحات فعرف اهل الجغرافيا انه بحر القلزم المنفجر من بحر اليمن هابطا على سمت الشمال وبانحراف يسير الى المغرب حتى ينتهي الى القلزم والسويس ويبقى بينه من هنالك وبين سمته من البحر الرومي مسيرة يومين وينقطع عند السويس والقلزم ويبعد عن مصر في جهة الشرق ثلاثة ايام هكذا اخر المغرب عندهم ويدخل فيه اقليم مصر وبرقة وكان المغرب عندهم جزيرة احاطت بها البحار من ثلاث جهاتها كما تراه واما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الاقاليم فلا يدخل فيه اقليم مصر ولا برقة وانما يختص بطرابلس وما وراءها الى جهة المغرب مثل افريقية والزاب والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى والسوس الادنى والسوس الاقصى هذا هو المغرب في العرف لهذا العهد وهو الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم فاما المغرب الاقصى منه وهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق الى اسفي حاضرة البحر المحيط وجبال درن من جهة الغرب فهو في الاغلب ديار المصامدة من اهل درن وبرغواطة وغمارة واخر غمارة بطوية مما يلي غساسة ومعهم عوالم من صنهاجة ومطغرة واوربة وغيرهم يحيط به البحر الكبير من غربيه والرومي من شماله والجبال المتصاعدة المتكاثفة مثل درن من جانب القبلة وجبال تازي من جهة الشرق لان الجبال اكثر ما هي واكثف قرب البحار لما اقتضاه التكوين من ممانعة البحار بها فكانت جبال المغرب لذلك اكثر سكانها من المصامدة في الاغلب وقليل من صنهاجة وبقيت البسائط من المغرب مثل ازغار وتامسنا وتادلا ودكالة اعتمرها الظواعن من البربر والعرب الطارئين عليه من جشم ورياح فغص المغرب بساكنه من امم لا يحصيهم الا خالقهم وصار كانه جزيرة وبلد واحد احاطت به الجبال والبحار وقاعدته لهذا العهد فاس وهي دار ملكه ويمر فيه النهر العظيم المعروف بوادي ام ربيع وهو نهر عظيم يمتنع عبوره ايام الامطار لاتساعه ويعظم مده من البحر فينتهي الى سبعين ميلا او ما يقاربها ومصبه في البحر الكبير عند ازمور ومنبعه من جبال درن من فوهة كبيرة ينبع منها هذا النهر ويتساهل الى بسيط المغرب وينبع منها ايضا نهر اخر وينحدر الى القبلة ويمر ببلاد درعة ذات النخل المخصوصة بنبات النيلج وصباغه استخراجه من شجره وبها قصور ذات نخل موضوعة في سفح جبل درن من اخره وبها يسمى هذا النهر ويجاوزها الى ان يغوص في الرمل قبلة بلاد السوس واما نهر ملوية اخر المغرب الاقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة من جبال قبلة تازي ويصب في البحر الرومي عند غساسة وعليه كانت ديار مكناسة المعروفة بهم في القديم ويسكنها لهذا العهد امم اخرى من زناتة

في قصور منتظمة الى اعلاه النهر يعرفون بوطاط ويجاورهم هنالك وفي سائر نواحيه امم من البربر اشهرهم فيهم بطالسة اخوة مكناسة وينبع مع هذا النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا في القبلة مشرقا بعض الشيء ويقطع العرق على سمته الى ان ينتهي الى بودة ثم بعدها الى تمنطيت ويسمى لهذا العهد كير وعليه قصورها ثم يمر الى ان يصب في القفار ويغوص في رمالها وعلى موضع مغاصه قصور ذات نخل تسمى ركان وفي شرق سودة مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء وفي شرقي تسابيت الى ما يلي الجوف قصور تيكورارين تنتهي الى ثلثمائة او اكثر في واد واحد ينحدر من المغرب الى المشرق وفيها امم من قبائل زناتة **واما المغرب** الاوسط فهو في الاغلب ديار زناتة فكان لمغراوة وبني يفرن وكان معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة ثم صار من بعدهم لبني ومانو وبني يلومي ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني بادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان وهي دار ملكه ويجاوره من جهة الشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمدية وما يليها الى بجاية وقبائلهم كلهم لهذا العهد مغلوبون للعرب من زغبة ويمر فيه وادي شلف بني واطيل النهر الاعظم منبعه من جبل راشد في بلاد الصحراء ويدخل الى التلول بلاد حصين لهذا العهد ثم يمر مغربا ويجتمع فيه سائر اودية المغرب الاوسط مثل مينا وغيره الى ان يصب في البحر الرومي ما بين كلميتو ومستغانم وينبع من فوهته نهر اخر يذهب مشرقا من جبل راشد ويمر بالزاب الى ان يصب في سبخة ما بين توزر ونفزاوة معروفة هنالك ويسمى هذا النهر وادي شدي واما بلاد بجاية وقسنطينة فهو ديار زواوة وكتامة وعجيسة وهوارة ومن لا يحصى من قبائل البربر وكانت قاعدتها القيروان وهو لهذا العهد مجالات للعرب من سليم وبني يفرن وهوارة مغلوبون تحت ايديهم قد تبدوا معهم ونسوا رطانة الاعاجم وتكلموا بلغة العرب وتحلوا بشعارهم في جميع احوالهم وقاعدتها لهذا العهد تونس وهي دار ملكها ويمر فيها النهر العظيم المعروف بوادي مجردة يجتمع فيه سائر الاودية بها ويصب في البحر الرومي على مرحلة من غربي تونس بموضع يعرف ببنزرت واما برقة فقد درست معالمها وخربت امصارها وزويلة وبرقة وقصر حسان وامثالها فعادت يبابا ومفاوز كان لم تكن

الفصل الثاني في ذكر ما كان لهذا الجيل قديما وحديثا من الفضائل الانسانية والخصائص الشريفة الراقية بهم الى مراقي العز ومعارج السلطان والملك

قد ذكرنا ما كان من امر هذا الجيل من البربر ووفور عدده وكثرة قبائلهم واجيالهم وما مارسوه من غلبة الملوك ومزاحمة الدول لعدة الاف من السنين من لدن حربهم مع بني اسرائيل بالشام وخروجهم عنه الى افريقية والمغرب وما كان منهم لاول الفتح

في محاربة الطوائف من المسلمين اولا وفي متابعتهم ومظاهرتهم على عدوهم ثانيا
من المقامات الحميدة والاثار الجميلة وما كان لدهيا الكاهنة وقومها بجبل اوراس
من الملك والعز والكثرة قبيل الاسلام وبعده حتى تغلب عليهم العرب وما كان
لمكناسة من مشايعة المسلمين اولا ثم ردتهم ثانيا وتحيزهم الى المغرب الاقصى
وفرارهم امام عقبة بن نافع ثم غلبهم بعد ذلك طوالع هشام بارض المغرب قال
ابن ابي زيد ان البربر ارتدوا بافريقية والمغرب اثنى عشر مرة وزحفوا في كلها
للمسلمين ولم يثبت اسلامهم الا في ايام موسى بن نصير وقيل بعدها وتقدم ذكر
ما كان لهم بالصحراء والقفر من البلاد وما شيدوا من الحصون والاطام والامصار
من سجلماسة وقصور توات وتيكورارين وفيكيك ثم ما كان بينهم وبين طوالع
العرب من بني هلال في المائة الخامسة بافريقية وما كان لهم مع دولة آل حماد ه
بالقلعة ومع لمتونة بتلمسان وتاهرت من الموالاة والانحراف وما استولى عليه بنو
بادين اخرا باسهام الموحدين واقطاعهم من بلاد المغرب وما كان لبني مرين في الاحلال
على بني عبد المومن من الاثار ما تشهد اخبارهم كلها بانه جيل عزيز على الايام وانهم
قوم مرهوب جانبهم شديد باسهم كثير جمعهم مضاهون لامم العالم واجياله من العرب
والفرس ويونان والروم ولكنهم لما اصابهم الفنا وتلاشت عصابتهم بما حصل لهم من
ترف الملك والدول التي تكررت فيهم قلت جموعهم وفنيت عصابتهم وعشائرهم ه
واصبحوا خولا للدول وعبيدا للجباية واستنكف كثير من الناس عن النسب فيهم لاجل
ذلك والا فقد كانت اوربة واميرهم كسيلة عند الفتح كما سمعت وزناتة ايضا حتى
اسر اميرهم وزمار بن صولات وحمل الى المدينة الى عثمان بن عفان ومن بعد ذلك هوارة
وصنهاجة وكتامة وما اقاموا من الدول التي ملكوا بها المغرب والمشرق وزاحموا
بني العباس في ديارهم وغير ذلك منهم كثيرا واما تخلقهم بالفضائل الانسانية وتنافسهم
في الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الامم
ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعي الاذمة والوسائل
والوفا بالقول والعهد والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وحسن الملكة
والاغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المساكين وبر الكبير وتوقير
اهل الدين وحمل الكل وكسب المعدوم وقرى الضيف والاعانة على النوائب
وعلو الهمة واباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملك
وبيع النفوس من الله في نصر دينه فلهم في ذلك اثار نقلها الخلف عن السلف لو
كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون اسوة لمتبعيه من الامم وحسبك ما اكتسبوه
من حميدها واتصفوا به من شريفها ان قادتهم الى مراقي العز واوفت بهم على ثنايا
الملك حتى علت على الايدي ايديهم ومضت في الخلق بالبسط والقبض احكامهم وكان
مشاهيرهم بذلك من اهل الطبقة الاولى بلكين بن زيري الصنهاجي عامل افريقية
للعبيديين ومحمد بن خزر والخير ابنه وعروبة بن يوسف الكتامي القائم بدعوة عبيد
الله الشيعي ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة بالمغرب وعبد المومن بن علي شيخ
الموحدين وصاحب الامام المهدي وكان عظماوهم من اهل الطبقة الثانية السابقون

السابقون الى الراية بين يدي دولهم والماهدون لملكهم بالمغرب الاقصى والاوسط كبير هم
يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين ويغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد ومحمد
بن عبد القوي بن وزمار كبير بني توجين وثابت بن منديل امير مغراوة اهل شلف
ووزمار بن ابراهيم زعيم بني راشد المتعاصرون في ازمانهم المتنازعون في تاثيل
عزهم والتمهيد لقومهم كل على شاكلته وقوة جمعه فكانوا من ارسخهم في تلك الخلال
قدما واطولهم فيها باعا واكرمهم لها جمعا طارت عنهم في ذلك قبل الملك وبعده اخبار
عني بنقلها الاثبات من البربر وغيرهم وبلغت في الصحة والشهرة منتهى التواتر
واما اقامتهم لمراسم الشريعة واخذهم باحكام الملة ونصرهم لدين الله فقد نقل عنهم
من اتخاذهم المعلمين كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء في فروض اعيانهم واقتفاء الائمة
للصلوات في بواديهم وتدارس القران بين احيائهم وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم
وقضاياهم وصاغيتهم الى اهل الخير والدين من اهل عصرهم التماسا للبركة في اثا رهم
وسؤالا للدعاء من صالحيهم واغشائهم في البحر لفضل المرابطة والجهاد وبيعهم النفوس
من الله في سبيله وجهاد عدوه ما يدل على رسوخ ايمانهم وصحة معتقداتهم ومتين
دياناتهم التي كانت ملاكا لعزهم ومقادا الى سلطانهم وملكهم وكان المبرز منهم في هذا
المنتحل يوسف بن تاشفين وعبد المومن بن علي وبنوهم ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم
وبنوه فقد كان لهم في الاهتمام بالعلم والجهاد وتشييد المدارس واختطاط الزوايا
والربط وسد الثغور وبذل النفوس في ذات الله وانفاق الاموال في سبل الخيرات
ثم مخالطة اهل العلم وترفيع مكانهم في مجالستهم ومفاوضتهم في الاقتداء بالشريعة
والانقياد لاشاراتهم في الوقائع والاحكام ومطالعة سير الانبياء واخبار الاولياء وقراءتها
بين يديهم في ايوانات ملكهم ومجالس احكامهم وقصور عزهم والتعرض بالمقاعد الخاصة
لسماع شكوى المتظلمين وانصاف الرعايا من العمال والضرب على ايدي اهل الجور واتخاذ
المساجد بصحن دورهم وسدة خلافتهم وملكهم يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقرا
المترتبين لتلاوة كتاب الله احزابا بالعشي والاشراق على الايام وتحصين ثغور
المسلمين بالبنيان المشيد والكتائب المجهزة وانفاق الاموال العريضة شهدت لهم
بذلك اثار تخلفوها بعدهم واما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين في النوع
الانساني من اشخاصهم فقد كان فيهم من الاولياء المحدثين اهل النفوس القدسية
والعلوم الموهوبة ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الائمة ومن الكهان
المفطورين على المطلع للاسرار المغيبة ومن الغرائب التي خرقت العادة واوضحت دلالة
القدرة ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل وكرامته لهم بما اتاهم من جماع الخير
واثرهم به من مذاهب الكمال وجمع لهم من متفرق خواص الانسان ما ينقل في ذلك اخبار
توهم عجائب فكان من مشاهير حملة العلم فيهم سعيد بن واسول جد بني مدرار ملوك سجلماسة
ادرك التابعين واخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ذكره عريب بن حميد في تاريخه ومنهم
ابو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني صاحب الحمار الخارج على الشيعة سنة ثنتين وثلاثين
الدائن بدين الخارجية اخذ العلم بتوزر عن مشيختها وراس في الفتيا وقرا مذهب
الاباضية من الخوارج وصدق فيه ولقي عمار الاعمى الصفري النكار فلقن عنه من فن هبهم

ما اشتهر من آية السعادة بانتحاله وهو مع ذلك من الشهرة في هذا الجيل عند لا يغفل ومنهم منذر بن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة من ظواعن ولهاصة ثم من سوماتة منهم مولده عام عشرة ووفاته عام ثلاثة وثمانين وثلاثماية كان من البربر من ولد ماد غنش هلك على عهد عبد الرحمن الناصر ومنهم ايضا محمد بن ابي يزيد علم الملة وهو من نفرة ايضا ومنهم علماء بالنسب والتاريخ وغير ذلك من فنون العلوم ومن مشاهير زناتة ايضا موسى بن صالح الغمري معروف عند كافتهم معرفة وضوح وشهرة وقد ذكرناه عند ذكر غمرة من شعوب زناتة وهو وان لم تنقلنا الاخبار الصحيحة على الجلي من امره في دينه فهو من محاسن هذا الجيل الشاهدة بوجوده انما الخواص الانسانية فيهم من ولاية وكهانة وعلم وسحر وكل نوع من آثار الخليقة ولقد تحدث اهل هذا الجيل فيما يتحدثون به ان اخت يعلى بن محمد اليفرني جاءت بولد من غير اب ويسمونه كلمام ويذكرون له اثارا في الشجاعة خرقت العوايد ودلت على انها موهبة من الله استاثره بها لم يشركه فيها غيره من اهل جلدته وربما ناضت حواصل الخواص منهم عن ملتقط هذه الكاينة وتجملون ما يتسع لها ولا يناسب لها من نطاق العذرة فيتقولون ان حملها كان اثر استحمامها في عين حامية هنالك غب ما صدر عنها بعض السباع كانت ترد فيها على الناس ويردون عليها ويرون انها علقت من فضل ولوغه ويسمون ذلك المولود ابن الاسد لظهور خاصة الشجاعة فيه وكثير من امثال هذه الاخبار لو انصرفت اليها عناية الناقلين لملات الدواوين ولم يزل هذا دابهم وحالهم الى ان مهدوا من الدول واثلوا من الملك ما نحن في سبيل ذكره

الفصل الرابع في ذكر اخبارهم على الجملة من قبل الفتح الاسلامي ومن بعده الى ولاية بني الاغلب

هؤلاء البربر جيل ذو شعوب وقبايل اكثر من ان تحصى حسبما هو معروف في تواريخ الفتح بافريقية والمغرب وفي اخبار ردتهم وحروبهم فيها نقل ابن الرقيق ان موسى بن نصير لما فتح سقنوما كتب الى الوليد بن عبد الملك انه صار لك من سبي سقنوما ماية الف راس فكتب اليه الوليد بن عبد الملك ويحك اني اظنها من بعض كذباتك فان كنت صادقا فهذا محشر الامة ولم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية عامرة بهذا الجيل ما بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ ازمنة لا يعرف اولها ولا ما قبلها وكان دينهم دين المجوسية شان الاعاجم كلهم بالمشرق والمغرب الا في بعض الاحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الامم فان الامم اهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم فقد غزتهم ملوك اليمن من قرارهم مرارا على ما ذكره مورخوهم فاستكانوا لغلبهم وادانوا بدينهم نقل ابن الكلبي ان حميرا ابا القبايل اليمنية ملك المغرب ماية سنة وانه الذي ابتنى مداينه مثل افريقية وصقلية واتفق المورخون

علي

على غزو افريقش بن صيفي من التبابعة الى المغرب كما ذكرناه وكذلك اغزتهم ملوك الروم من قرارهم برومة والقسطنطينية وهم الذين خربوا مدينة قرطاجنة ثم جددوا بناءها كما ذكرناه في اخبار الروم واختطوا البسيط البحر وما يليه من الارياف مدنا عظيمة الخطة وثيقة المباني شهيرة الذكر باقية المعالم والاثار لهذا العهد مثل سبيطلة وجلولا ومرناق وطاقة وزانه وغيرها من المدن التي خربها المسلمون من العرب اول الفتح عند استيلائهم عليها وقد كانوا دانوا لعهدهم ذلك بما تعبد وهم به من دين النصرانية واعطوهم المعادة وادوا اليهم الجباية طواعية وكان للبربر بالضواحي وراء ملك الامصار المرهوبة الحامية ما تشاءوه من قوة وعدة وعديد وملوك ورؤسا واقيال وامر لا يرامون بذل ولا ينالهم الروم والفرنج في ضواحيهم تلك بمسخطة ولا مساءة ولقد صبحهم الاسلام وهم في ملكة قد استولوا على رومة وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية كما كان المقوقس صاحب الاسكندرية وبرقة ومصر يؤدي الجباية له وكما كان طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الاندلس من القوط لما كان الروم اغلب على هؤلاء الامم اجمع وعنهم اخذوا كلهم دين النصرانية فكان الفرنجة هم الذين ولوا افريقية ولم تكن للروم فيها ولاية وانما كان من كان منهم بها جندا للافرنج ومن حشودهم وما يسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتوح افريقية فمن باب التغليب لان العرب لم يكونوا يومئذ يعرفون الفرنج وما قاتلوا في الشام الا الروم فظنوا انهم الغالبون على امم النصرانية وان هرقل هو ملك النصرانية كلها فغلبوا اسم الروم على جميع امم النصرانية ونقلت الاخبار عن العرب كما هي والا فجرجير المقتول عند الفتح من الفرنج وليس من الروم وكذا الامة الذين كانوا بافريقية غالبين على الامم البربر ونازلين بمدنها وحصونها انما كانوا من الفرنجة وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية اخذوه عن بني اسرايل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه يومئذ منهم كما كان جراوة اهل جبل اوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لاول الفتح وكما كان نفوسة من برابر افريقية وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازاز من برابرة المغرب الاقصى حتى محى ادريس الاكبر الناجم بالمغرب من بني حسن بن الحسن جميع ما كان في نواحيه من بقايا الاديان والملل فكان البربر بافريقية والمغرب قبل الاسلام تحت ملكة الفرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم كما ذكرناه حتى اذا كان الفتح وزحف المسلمون الى افريقية زمان عثمان رضي الله عنه سنة تسع وعشرين وغلبهم عبد الله بن سعد ابن ابي سرح من بني عامر بن لؤي جمع لهم جرجير ملك الفرنجة يومئذ بافريقية من كان بامصارها من الفرنج والروم ومن بضواحيها من جموع البربر وملوكهم وكان ملكه ما بين طرابلس وطنجة وكانت دار ملكه سبيطلة فلقوا المسلمين في زهاء ماية وعشرين الفا والمسلمون يومئذ في عشرين الفا فكان من هزيمة العرب لهم وفتحهم لسبيطلة وتخريبهم اياها وقتلهم جرجير ملكهم وما نفلهم الله من اموالهم وبناتهم التي اختصت منهن ابنته مقاتلة عبد الله بن الزبير لعهده المسلمين له بذلك بعد الهزيمة وخلوصه بخبر الفتح الى الخليفة والملا من المسلمين بالمدينة ما هو كله مذكور مشهور ثم ارتد

بلغ

الفرنجة ومن معهم من الروم بعد الهزيمة الى حصون افريقية وانساح المسلمون في البسائط
بالغارات ووقع بينهم وبين البربر اهل الضواحي زحوف وقتال ونالوا منهم بالقتل
والسبي حتى لقد حصل في اسرهم يوميذ من ملوكهم وزمار بن صقلاب جد بني خزرون وهو
يوميذ امير مغراوة وساير زناتة ورفعوه الى عثمان بن عفان فاسلم على يديه ومن عليه
واطلقه وعقد له على قومه ويقال انما وصله وافدا وخص المسلمون رجالات البربر من
المكرانة بما لم يبذلوه لاحد من الامم ولا من الفرنجة واستمر الغلب للمسلمين عليهم
ولاذ بالفرنج بالسلم وشرطوا لابن ابي سرح ثلاثمائة قنطار من الذهب على ان يرحل عنهم
بالعرب ويخرجهم من بلادهم ففعل ورجع المسلمون الى المشرق وشغلوا بما كان من
الفتن الاسلامية ثم كان الاجتماع والاتفاق على معاوية بن ابي سفيان وبعث معاوية
بن خديج السكوني من مصر لافتتاح افريقية سنة خمس واربعين وبعث ملك الروم
من القسطنطينية عساكره لمدافعتهم في البحر فلم يغن شيا وهزمهم العرب بساحل
اجم وحاصروا جلولا وفتحوها وقفل معاوية بن خديج الى مصر فولى معاوية بن ابي
سفيان على افريقية بعده عقبة بن نافع فاختط القيروان وافترق امر الفرنجة وصاروا
الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم الى ان ولي يزيد بن معاوية وولى على افريقية ابا
المهاجر مولى   وكانت رياسة البربر يوميذ في اوربة لكسيلة بن لمزم وهو راس
البرانس ومرادفه سكرديد بن رومي بن مارزت من اوربة وكان على دين النصرانية ه
فاسلما لاول الفتح ثم ارتدا عند ولاية المهاجر واجتمع اليهما البرانس وزحف اليهم ابو
المهاجر حتى نزل عيون تلمسان فهزمهم وظفر بكسيلة فاسلم واستنقذه ثم جاء عقبة بعد
ابي المهاجر فنكبه غيظا على صحابته لابي المهاجر ثم افتتح حصون الافرنجة مثل باغاية
ولميس ولقيه ملوك البربر بالزاب وتاهرت ففضهم جمعا بعد جمع ودخل المغرب الاقصى
واطاعته غمارة واميرهم يوميذ يليان ثم اجاز الى وليلي ثم الى جبال درن وقاتل المصامدة
وكانت بينهم حروب وحاصروه بجبال درن ونهضت اليهم جموع زناتة وكانت خالصة
للمسلمين منذ اسلام مغراوة فوجب لمصامدة عن عقبة واثخن فيهم حتى حملهم على طاعة
الاسلام ودوخ بلادهم ثم اجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة اهل اللثام
وهم يوميذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فاثخن فيهم وانتهى الى تارودانت
وهزم جموع البربر وقاتل مسوفة من وراء السوس وسرح العساكر الى القيروان
حتى بقي في خف من الجنود وتراسل كسيلة وقومه فارصدوا له سهودا وانتهزوا فيه
الفرصة وقتلوه ومن معه وملك كسيلة افريقية خمس سنين ونزل القيروان
واعطى الامان لمن بقي بها من مخلف العرب اهل الذراري والاثقال وعظم سلطانه
على البربر وزحف قيس بن زهير البلوي في ولاية عبد الملك للثار بدم عقبة سنة
سبع وستين وجمع له كسيلة ساير البربر ولقيه بممس من نواحي القيروان فاشتد القتال
بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم واتبعهم العرب
الى مرمجنة ثم الى ملوية وفي هذه الواقعة ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم
وخضدت شوكتهم واضمحل امر الفرنجة فلم يعد وخاف البربر من زهير ومن العرب
خوفا شديدا فلجؤوا الى القلاع والحصون ثم ترهب زهير بعدها وقفل الى المشرق فاستشهد

ببرقة كما ذكرناه واضطرمت افريقية نارا وافترق امر البربر وتعدد سلطانهم في روسايهم
وكان من اعظمهم شانا يوميذ الكاهنة دهيا بنت ماتية بن تيفان ملكة جبل اوراس
وقومها من جراوة ملوك البتر وعظماؤهم فبعث عبد الملك الى حسان بن النعمان
الغساني عامله على مصر ان يخرج الى جهاد افريقية وبعث اليه بالمدد فزحف
اليها سنة تسع وستين ودخل القيروان وغزا قرطاجنة وافتتحها عنوة وهرب من كان
بقي بها من الافرنجة الى صقلية والى الاندلس ثم سال عن اعظم ملوك البربر
فدلوه على الكاهنة وقومها جراوة فمضى اليها حتى اذا نزل وادي مسكيانة زحفت
اليه فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير واسر خالد
ابن يزيد القيسي ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسان والعرب حتى اخرجوهم
من عمل قابس ولحق حسان بعمل طرابلس ولقيه كتاب عبد الملك بالمقام فاقام ببني
العباس من بني امية واجاز عبد الرحمن بن حبيب من الاندلس الى افريقية وغلب
حنظلة عليها سنة ست وعشرين ومائة فعادت هيفا الى اديانها واستشرى داء
البربر واعضل امر الخارجية وروسها وتغلبوا من اطراف البقاع وتواثبوا على الامر
بكل مكان داعي الى بدعتهم وتولى كبر ذلك يوميذ صنهاجة وتغلب اميرهم ثابت بن
وزيدون وقومه على باجة وثار معه عبد الله بن سكرديد من امرايهم فيمن تبعه
وثار بطرابلس عبد الجبار والحارث من هوارة وكانا يدينان براي الاباضية فقتلوا
عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسي لما خرج اليهم يدعوهم الى الصلح وبقي الامر على ذلك
مدة وثار اسمعيل بن زياد فيمن معه من نفوسة وتغلب على قابس ثم زحف اليهم
عبد الرحمن بن حبيب سنة احدى وثلاثين وقتل عبد الجبار والحارث واوعب في
قتل البربر واثخن فيهم وزحف الى تلمسان سنة خمس وثلاثين فظفر بها ودوخ
المغرب واذل من كان فيه من البربر ثم كانت بعد ذلك فتنة ورفجومة وساير قبايل
نفزاوة سنة اربعين ومائة وذلك لما انحرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة ابي جعفر
وقتله اخواه الياس وعبد الوارث فولى مكانه حبيب وطالبهما بثار ابيه فقتل الياس
ولحق عبد الوارث بورفجومة فاجاره اميرهم عاصم بن جميل وتبعه على شانه يزيد
ابن سكوم امير ولهاصة واجتمعت لهم كلمة نفزاوة ودعوا لابي جعفر المنصور وزحفوا
الى القيروان ودخلوها عنوة وفر حبيب الى قابس فاتبعه عاصم في نفزاوة وقتلهم
وولى على القيروان عبد الملك بن ابي الجعد النفزي ثم انهزم حبيب الى اوراس واتبعه
عاصم فاعترضه عبد الملك بن ابي الجعد وجموع نفزاوة الذين كانوا بالقيروان وقتلوه
واستولت ورفجومة على القيروان وساير افريقية وقتلوا من كان بها من قريش
وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع واشتد البلاء على اهل القيروان وانكرت ذلك من
فعل ورفجومة ومن اليهم من نفزاوة برابرة طرابلس الاباضية من هوارة وزناتة
فخرجوا واجتمعوا الى ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري وقصدوا طرابلس
واخرجوا عمر بن عثمان القرشي واستولى ابو الخطاب عليها واجتمع اليه ساير البربر
الذين هنالك من زناتة وهوارة وزحف بهم الى القيروان فقتل عبد الملك بن ابي
الجعد وساير ورفجومة ونفزاوة واستولى على القيروان سنة احدى واربعين

ثم ولي على القيروان عبد الرحمن بن رستم وهو من ابناء رستم امير فارس بالقادسية
كان من موالي العرب ومن رؤس هذه البدعة ورجع ابو الخطاب الى طرابلس واضطرم
المغرب نارا وانتزى خوارج البربر على الجهات فملكوها واجتمعت الصفرية من مكناسة
بناحية المغرب الاقصى سنة اربعين ومائة وقدموا عليهم عيسى بن يزيد الاسود
واسسوا مدينة سجلماسة ونزلوها وقدم محمد بن الاشعث واليا على افريقية من قبل
جعفر المنصور فزحف اليه ابو الخطاب ولقيه بسرت فهزمه ابن الاشعث وقتل
البربر قتلا ذريعا وفر عبد الرحمن بن رستم من القيروان الى تاهرت بالمغرب الاوسط
واجتمعت اليه طوائف البربر الاباضية من لماية ولواتة ورجالة من نفزاوة فنزل بها
واختط مدينتها سنة اربع واربعين وضبط ابن الاشعث افريقية وخافه البربر
ثم انتقض بنو يفرن من زناتة ومغيلة من البربر بنواحي تلمسان وقدموا على
انفسهم ابا قرة من بني يفرن ويقال انه من مغيلة وهو الاصح في نسبه وبويع له بالخلافة
سنة ثمان واربعين ومائة وزحف اليه الاغلب بن سودة التميمي عامل طبنة فلما قرب
منه هرب ابو قرة فنزل الاغلب الزاب ثم اعتزم على تلمسان ثم طنجة ورجع عنه الجند
فرجع ثم انتقض البربر بعد ذلك ايام عمر بن حفص من ولد قبيصة بن ابي صفرة اخي المهلب
وكان تغلب هوازن سنة احدى وخمسين واجتمعوا بطرابلس وقدموا عليهم ابا حاتم
يعقوب بن حبيب بن مدين بن يسطوفت من امراء مغيلة ويسمى ابا قادم وزحفت اليهم
جنود عمر بن حفص فهزموها وملكوا طرابلس وزحفوا الى القيروان فحاصروها ثم
زحفت البرابرة من الجانب الاخر الى عمر بطبنة فحاصروه في اثني عشر عسكرا وكان منهم
ابو قرة في اربعين الفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم في ستة الاف من الاباضية
والمسور بن هاني في عشرة الاف كذلك وجرير بن مسعود فيمن تبعه من مديونة وعبد
الملك بن سكرديد الصنهاجي في الفين منهم من الصفرية واشتد الحصار على عمر بن
حفص واعمل الحيلة في الخلاف بين جماعتهم وكان بنو يفرن من زناتة اكثر البرابرة
يومئذ جمعا واشد منهم قوة فصالح ابا قرة زعيمهم على اربعين الفا واعطى ابنه في
اتمام ذلك اربعة الاف وافترقوا وارتحلوا عن طبنة ثم بعث بعثا الى ابن رستم فهزمه
ودخل تاهرت مغلولا ثم زحف عمر بن حفص الى ابي حاتم والبربر الاباضية الذين معه
ونهضوا اليه فخالفهم الى القيروان وشحنها بالاقوات والرجال ثم لقي ابا حاتم
والبربر وهزموه ورجع الى القيروان فحاصروه وكانوا في ثلثمائة وخمسين الفا
الخيل منها خمسة وثلاثون الفا وكانوا كلهم اباضية وطال الحصار وقتل عمر بن حفص
في بعض ايامه سنة اربع وخمسين ومائة وصالح اهل القيروان ابا حاتم على ما احب
وارتحل وقدم يزيد بن قبيصة بن المهلب سنة اربع وخمسين واليا على افريقية فزحف
اليه ابو حاتم بعد ان خالف عليه عمر بن عثمان الفهري وافترق امرهم فلقيه يزيد بن حاتم
بطرابلس وقتل ابو حاتم وانهزم البربر ولحق عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن من
اصحاب ابي حاتم بكتامة وبعث اليه المخارق بن غفار الطائي فحاصره ثمانية اشهر ثم غلب
عليه فقتله ومن كان معه من البربر وهربوا الى كل ناحية وكانت حروبهم مع الجند من لدن
قتال عمر بن حفص بطبنة الى انقضاء ثلاثمائة وخمسة وسبعين حربا ونزل يزيد بافريقية

فازال

فازال فسادها وخربت القيروان ولم تزل البلاد هادئة وانتقضت ورفجومة سنة سبع
وخمسين وولوا عليهم رجلا منهم اسمه ابو زرجونة فسرح اليهم يزيد من عشيرة ابن
مجراة المهلبي فهزموه واستاذنه ابنه المهلب وكان على الزاب وطبنة وكتامة في الزحف
الى ورفجومة فاذن له وامده بالعلاء بن سعيد بن مروان المهلبي من عشيرهم ايضا فاوقع
بهم وقتلهم ابرح قتل وانتقضت نفزاوة من بعد ذلك في سلطان ابنه داود من بعد مهلكه
سنة احدى وستين ومائة وولوا عليهم صالح بن نصير النفزي ودعوا الى رايهم
راي الاباضية فسرح اليهم ابن عمه سليمان بن الصمة في عشرة الاف فهزمهم وقتل
البربر ابرح قتل ثم تجمع الى صالح بن نصير من لم يشهد الاولى من البربر الاباضية
واجتمعوا بسقيناريه فهزمهم سليمان ثانية وانصرف الى القيروان وركدت ريح الخوارج رج
من البربر بافريقية وتداعت بدعوتهم الى الاضمحلال ورغب عبد الوهاب بن رستم
صاحب تاهرت سنة احدى وسبعين في موادعة صاحب القيروان اروح بن حاتم بن قبيصة
ابن المهلب فوادعه واعتضدت شوكة البربر واستكانوا للغلب واطاعوا الدين وضرب
الاسلام بجرانه والقت الدولة المضرية على البرابرة بكلكلها وتقلد ابراهيم بن الاغلب
التميمي امر افريقية والمغرب من قبل الرشيد هارون سنة خمس وثمانين ومائة فاضطلع
بامر هذه الولاية واحسن السيرة وقوم المنآد وراب الصدع وجمع الكلمة ورضيت الكافة
واستقل بولايتها غير منازع ولا مستبد وتوارثها بنوه خلفا عن سلف فكانت لهم بافريقية
والمغرب الدولة التي ذكرناها من قبل الى ان انقرض امر العرب بافريقية على زيادة الله
عاقبتهم الفار الى المشرق امام كتامة سنة ست وتسعين ومائتين كما نذكره وخرج كتامة
على بني الاغلب بدعوة الرافضة قام بها فيهم ابو عبد الله المحتسب الشيعي داعية عبيد
الله المهدي فكان ذلك اخر العهد للعرب بالملك والدولة بافريقية واستقل كتامة ه
بالامر يومئذ من بعدهم من برابرة المغرب وذهبت ريح العرب ودولتهم من المغرب
وافريقية فلم يكن لهم به من بعد دولة الى هذا العهد وصار الملك للبربر وقبائلهم
يتداولونه طائفة بعد اخرى وجيلا من بعد اخر تارة يدعون الى الاموية الخلفاء
بالاندلس وتارة الى الهاشميين من بني العباس وبني الحسن وبني الحسين ثم استقلوا
بالدعوة لانفسهم اخر الحسبما نذكر ذلك كله مفصلا عند ما يعرض لنا من ذكر دول زناتة
والبربر الذين نحن في سياقة اخبارهم

الخبر عن البرابرة البتر وشعوبهم ونبدا منهم اولا

بذكر نفوسة وبطونهم وتصاريف احوالهم

كان ماد غيس الابتر جد البرابرة البتر وكان ابنه زحيك ومنه تشعبت بطونهم فكان
له من الولد فيما يذكر نسابة البربر نفوس واداس وضري ولوى فاما اداس فصار في
هوارة لما يقال من ان هوار خلف اباه زحيكا على امه قبل فصاله فانتسب اليه واختلط
بولده واندرجت بطون اداس في هوارة كما ذكرناه واما ضري ولوى فسياتي بذكر بطونهم
واحدا واحدا واما نفوس فهو بطن واحد ينتسب اليه نفوسة كلهم وكانوا من اوسع

قبايل البرابرة وفيهم شعوب كثيرة مثل زمور وبني مسكور وماطوسة وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما اليها وهنالك الجبل المعروف بهم لهذا العهد وهو على ثلاث مراحل من قبلة طرابلس تسكنه اليوم بقاياهم وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في مواطنهم وتعزى اليهم وهي كانت باكورة الفتح لاول الاسلام وخربها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منها الا الاطلال ورسوم خافية وكان من رجالاتهم اسمعيل بن زياد المتغلب على قابس سنة ثمنين وثلاثين ومائة لاول الدولة العباسية ومنهم اوزاع متفرقون في الاقطار بعمالات مصر والمغرب والله وارث الارض ومن عليها واما لوى فمن ولده نفزاوة ولواتة كما نذكر

الخبر عن نفزاوة وبطونهم وتصاريف احوالهم

وهم بنو يطوفت بن نفزاو بن لوى الاكبر بن زحيك وبطونهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة وزهيلة وسومانة وزاتيمة وولهاصة ومجره وورسيف ومن بطونهم مكلاتة ويقال ان مكلا من عرب اليمن وقع الى يطوفت صغيرا فتبناه وليس من البربر ولمكلاتة بطون متعددة مثل بني ورياغل وكزناية وبني يصلتن وبني ديمار ورحون وبني سراين ويقال ان غساسة منهم هكذا عند نسابة البربر مثل سابق المطماطي وغيره ومن بطون ولهاصة ورتدين بني دحية بن ولهاصة وورفجومة من بيد غاس بن ولهاص ومن بطون ورفجومة زكولة ورجالة لذكابن ومجوم الى بطون اخرى كثيرة وكان ورفجومة هؤلاء اوسع بطون نفزاوة واشدهم باسا وقوة ولما انحرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة ابي جعفر المنصور وقتله اخواه عبد الوارث والياس وطالبهما ابنه حبيب بالثار فلحق عبد الوارث بورفجومة ونزل على اميرهم عاصم بن جميل باوراس وكان كاهنا فاجاره وقام بدعوة ابي جعفر المنصور واجتمعت اليه نفزاوة وكان من رجالاتهم عبد الملك بن ابي الجعد ويزيد بن سكوم وكانوا يدينون بدين الاباضية من الخوارج ورجعوا الى القيروان سنة اربعين ومائة وفر عنها حبيب بن عبد الرحمن ودخلها عبد الملك بن ابي الجعد وقتل حبيبا واستولت نفزاوة على القيروان وقتلوا من كان بها من قريش وساير العرب وربطوا دوابهم بالمسجد وعظمت حوادثهم ونكر ذلك عليهم الاباضية من برابرة طرابلس وتولى كبرها زناتة وهوارة فاجتمعوا الى ابي الخطاب بن السمح من رجالات العرب واستولوا على طرابلس ثم على القيروان سنة احدى واربعين وقتلوا عبد الملك بن ابي الجعد واثخنوا في قومه من نفزاوة وورفجومة ورجعوا الى طرابلس بعد ان استعمل ابو الخطاب على القيروان عبد الرحمن بن رستم واضطرب المغرب نارا وعظمت فتنته وفرقة ورفجومة هؤلاء الى ان قدم محمد بن الاشعث سنة ست واربعين من قبل المنصور فاثخن في البربر واطفا نار هذه الفتنة كما قدمناه ولما اختط عمر بن حفص مدينة طبنة سنة احدى وخمسين انزل ورفجومة هؤلاء بها لما كانوا شيعة له وعظم غناؤهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم وبنو يفرن ثم انتقضوا بعد مهلك عمر على يزيد بن حاتم عند قدومه على افريقية سنة سبع وخمسين وولوا عليهم ابا زرجونة منهم وسرح اليهم يزيد العساكر مع ابنه وقومه

فاثخنوا فيهم ثم انتقضت نفزاوة على ابنه داود ودعوا الى دين الاباضية وولوا عليهم صالح بن نصير منهم فزحفت العساكر اليهم سبع ميازده وقتلوهم ابرح قتل وعليها كان ركود ريح الخوارج بافريقية واذعان البربر وافترق بنو ورفجومة بعد ذلك وانقرض امرهم وصاروا اوزاعا في القبايل وكان رجالة منهم بطنا متسعا وكان منهم رجالات مذكورون في اول العبيديين وبني امية بالاندلس منهم بنو الرجالي الكتاب بقرطبة وبقي منهم لهذا العهد فرق بمراجنة وهنالك قرية ببسيطها تنتسب اليهم واما ساير ولهاصة من ورفجومة وغيرهم فمنهم لهذا العهد اوزاع لهذا العهد اوزاع لذلك اشهرهم قبيلة بساحل تلمسان انتجعوا في كومية وعدوا منهم بالنسب والحلف وكان منهم في اواسط هذه المائة الثامنة ابراهيم بن عبد الملك استقل برياستهم وتمسك بدعوة السلطان ابي الحسن بعد نكبته عن القيروان واستيلاء بني عبد الواد على تلمسان ونواحيها وتغلب عليه سلطانهم لذلك العهد كما نذكره عثمان بن عبد الرحمن وسجنه بالمطبق بتلمسان ثم قتله ومن اشهر قبايل ولهاصة ايضا قبيلة اخرى ببسيط بونة يركبون الخيل وياخذون بمذاهب العرب في زيهم ولغتهم وساير شعارهم كما هو شان هوارة وهم في عداد القبايل الغارمة زمه ورياستهم في بيت بني عريض منهم وهي لهذا العهد في ولد حازم بن شداد بن حزام ابن نصر بن مالك بن عريض وكانت قبلهم لعسكر بن بطان منهم هذه اخبار ولهاصة فيما علمناه واما بقايا بطون نفزاوة فمنهم زاتيمة وبقية منهم لهذا العهد بساحل برشك ومنهم غساسة وبقية منهم لهذا العهد بساحل بطوية حيث القرية التي هنالك حاضرة البحر ومرسى لاساطيل المغرب وهي مشهورة باسمهم واما زهيلة فبقيتهم لهذا العهد بنواحي بادس منذ رجون في غمارة وكان منهم لهذا العهد شيخنا ابو يعقوب البادسي اكبر الاولياء واخرهم بالمغرب واما مرنيسة فلا يعلم لهم موطن ومن اعقابهم اوزاع بين احياء العرب بافريقية واما سومانة فمنهم بقية بنواحي القيروان وكان منهم منذر بن سعيد القاضي بقرطبة والله اعلم واما بقايا بطون نفزاوة فلا يعرف لهم لهذا العهد حي ولا موطن الا القرى الظاهرة المعدنة الشهير المنسوبة اليهم ببلاد قسطيلية وبها معاهدون من الفرنجة اوطنوها على الجزية واعتقاد الذمة منذ عهد الفتح واعقابهم بها لهذا العهد وقد نزلها معهم كثير من بني سليم من الشريد وزغب واوطنوها على الجزية وتملكوا بها العقار والضياع وكانت امر هذه القرى راجعا الى عامل توزر ايام استبداد الخلافة فلما تقلص ظل الدولة عنهم وحدثت العصبية في الامصار استبدت كل قرية بامرها وصار مقدم توزر يحاول دخولهم في ايالته فمنهم من يعطيه ذلك ومنهم من ياباه حتى اظلتهم دولة مولانا السلطان ابي العباس فاندرجوا كلهم في طاعته واعتصموا بحبله والله ولي الامور لا رب غيره

الخبر عن لواتة من البرابرة البتر وتصاريف احوالهم

وهو بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون الى لوى الاكبر بن زحيك ولوى

الاصغر هو اخو نفزاو كما قلناه ولوى اسم ابيهم والبربر اذا ارادوا العموم في الجمع زادوا الالف والتاء فصار لوات فلما عربته العرب حملوه على الافراد والحقوا به هاء الجمع **وذكر** ابن حزم ان نسابة البربر يزعمون ان سدراتة ولواتة ومزاتة من القبط وليس ذلك بصحيح وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر في ذلك وفي لواتة بطون كثيرة وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراتة بن نيطط بن لوى ومثل عزوزة من ماصلت بن لوى وعد سابق واصحابه في بني ماصلت بطونا اخرى غير عزوزة وهم اكوره وجرمانه ومغاغه ومثل بني زائر بن لوى واكثر بطونهم مزاتة ونسابة البربر يعدون في مزاتة بطونا كثيرة مثل بلايان وقرنه ومجيجه ودكمه وحمره ومدونه وكان لواتة هؤلاء ظواعن في مواطنهم بنواحي برقة كما ذكره المسعودي وكان لهم في فتنة ابي يزيد آثار وكان منهم بجبل اوراس امة عظيمة ظاهروا ابا يزيد مع بني كملان على امره ولم يزالوا باوراس لهذا العهد مع من به من قبائل هوارة وكتامة ويدهم العالية عليهم تناهز خيالتهم الفا وتجاوز رجالاتهم العدة وتستكفي بهم الدولة في جباية من تحت ايديهم بجبل اوراس من القبائل الغارمة ويحسنون الغناء والكفاية وكانت البعوث مضروبة عليهم ينفرون بها في معسكر السلطان فلما تقلص ظل الدولة عنهم صار بنو سعادة منهم في اقطاع اولاد محمد من الدواودة فاستعملوهم في مثل ما كانت الدولة تستعملهم فيه فصاروا لهم خولا للجباية وعسكرا للاستنفار واصبحوا من جملة رعاياهم وقد كان بنو بادس منهم لم تشملهم الاقطاعات وهم بنو زيان وبنو بادس فاستضافهم منصور ابن مزني الى عمله فلما استبد بنو مزني على الدولة واستقلوا بالزاب صاروا يتعهدونهم بالجباية بعض السنين ويعسكرون عليهم لذلك بافاريق الاعراب وهم لهذا العهد معتصمون بجبلهم لا يعاودونه الى البسيط خوفا من غائلة الاعراب ولبني بادس منهم اتاوات على بلد تنقاوس المختطة في سفح الجبل بما تغلبوا على ضواحيها فاذا اتخذ الاعراب الى مشاتيهم امتنعوا منها اتاوتهم وحقاداتهم واذا اقفلوا الى مصايفهم رجع لواتة الى معاقلهم المنتفعة على المغرب اعراب عن وكان من لواتة هؤلاء امة عظيمة بضواحي تاهرت الى ناحية القبلة وكانوا ظواعن هنالك على وادي ميناس ما بين جبل العود من جهة الشرق الى وارصلف من جهة الغرب يقال ان بعض امراء القيروان نقلهم معه في غزوة وانزلهم هنالك وكان كبيرهم ادرع بن علي بن هشام قائد العبد الله الشيعي ولما انتقض حميد ابن يصل صاحب تاهرت على المنصور ثالث خلفاء الشيعة ظاهروه على خلافه وحاربوه في مذاهب ضلاله الى ان غلبه المنصور واجاز حميد الى الاندلس سنة ست وثلاثين وزحف المنصور يريد لواتة فهربوا امامه الى الرمال فرجع عنهم ونزل على وادي ميناس ثم انصرف الى القيروان **وذكر** ابن الرقيق ان المنصور وقف هنالك على آثار من آثار الاقدمين بالقصور التي على الجبال الثلاثة مبنية بالحجر المنحوت تبدو للناظرين على البعد كانها اسنمة قبور وانه راى كتابا في حجر منها فسر له انا سليمان السردغوس خالف اهل هذا البلد على الملك فاخرجني اليهم ففتح الله لي

عليهم

عليهم وبنيت هذا البنا لاذكر به هكذا ذكر ابن الرقيق وكان بنو وجديجن من قبائل زناتة بمواطنهم من منداس جيرانا للواتة هؤلاء والتخم بينهما وادي ميناس وتاهرت وحدثت بينهما فتنة بسبب امراة انكحها بنو وجديجن في لواتة فغيروا بها فتغير فكتب بذلك الى قومها وهم بنو ويدغان فتذامروا واستمدوا وراءهم من زناتة فامدهم يعلى بن محمد اليفرني وزحفت مطماطة من الجانب الغربي مظاهرين لهم وعليهم عزانة اميرهم وزحفوا جميعا الى لواتة فكانت بينهم وقائع وحروب هلك في بعضها عزانة وازاحوا عن الجانب الغربي السرسو والجؤوهم الى الجبل الذي في قبلة تاهرت المسمى لهذا العهد كريكره وكان به قوم من مغراوة فغدروا بهم وتظاهروا جميعا عليهم الى ان اخرجوهم عن اخر مواطنهم في جهة الشرق بجبل يعود فنزلوا من ورائه الجبل المسمى لهذا العهد دراك والشرشات عمائرهم بنكوله وما وراه الى الجبال المطلة على متيجه وهم لهذا العهد في عداد القبائل الغارمة وجبال دراك في اقطاع ولد يعقوب ابن موسى مشيخة العطاف من زغبة ومن لواتة ايضا بطون بالجبال المعروفة بهم قبلة قابس وصفاقص ومنهم بنو مكي رؤساء قابس لهذا العهد ومنهم ايضا بواحات مصر فيما ذكره المسعودي امة عظيمة كانوا ملكوها لعهده والله اعلم بما صاروا اليه ومنهم زناره شعب من شعوبهم يعمرون بضواحي اسكندرية بالبحيرة التي بينها وبين مصر وكان لما قرب من هذه العصور شيخهم هنالك بدر بن سلام وانتقض على الترك وسرحوا اليه العساكر فاستلحموا كثيرا من قومه وفر الى ناحية برقة وهو الان في جوار العرب بها ومن زنارة هؤلاء احياء بنواحي تولا قرب مراكش من المغرب الاقصى وهم هنالك كثيرة ويزعم كثير من الناس ان بني جابر من عرب جشم اختلطوا بهم وصاروا في عدادهم ومنهم ايضا اوزاع متفرقون بمصر وقرى الصعيد شاوية وفلاحين ومنهم ايضا بضواحي بجاية قبيل يعرفون بلواتة ينزلون ببسيط تاكرارت من اعمالها ويعمرون فدنا لمزارعهم ومسارح لانعامهم ومشيختهم لهذا العهد في ولد راجح بن صواب منهم وعليهم للسلطان جباية مفروضة وبعث مضروب هؤلاء هم المعروفون من بطون لواتة وهم شعوب اخرى كثيرة اندرجوا في البطون وتوزعوا بين القبائل والله وارث الارض ومن عليها

ثم

ثم

الخبر عن بني فاتن من ضريسة احد بطون البرابرة

البتر وتصاريف احوالهم

وهم بطون مطغرة ولماية وصدينه وكومية ومديونة ومغيلة ومطماطة وملزوزة وكشانة ودونه وكلهم من ولد فاتن بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الابتر وهم ظهور بين البرابر واعيان نسودها بطنا بطنا الى اخرهم **مطغره** وهم من اوفر هذه الشعوب وكانوا خصائص اهلين وكان جمهورهم بالمغرب منذ عهد الاسلام ونوبة الفتح وشئون الردة وحروبها وكان لهم فيها مقامات ولما استوسق الاسلام في البربر واجازوا الى فتح الاندلس فاجازت منهم امم

واستقروا هنالك ولما فشا دين الخارجية في البربر اخذ مطغره هولاء براي الصفرية
فيه وكان شيخهم ميسرة ويعرف بالحقير مقدما فيه ولما ولي عبيد الله بن الحبحاب على
افريقية من قبل هشام بن عبد الله وامره ان يمضي اليها من مصر فقدمها سنة اربع
عشرة واستعمل عمر بن عبد الله المرادي على طنجة والمغرب الاقصى وابنه اسماعيل
على السوس وما وراءه واتصل امد ولايتهم وساءت سيرتهم في البربر ونقموا
عليهم احوالهم وما كانوا ابطا ليو يهم به من الوظايف البربريات والافرية ه
العسلية من سعالها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد او ما قرب منه فكثر ه
عيثهم بذلك في اموال البربر وجورهم عليهم وامتعض لذلك ميسرة الحقير
زعيم مطغره وحمل البرابرة على الفتك بعمرو بن عبد الله عامل طنجة فقتلوه
سنة خمس وعشرين وولي ميسرة مكانه عبد الاعلى بن خديج الافريقي الرومي
الاصل وكان من موالي العرب واهل خارجيتهم وكان يري راي الصفرية سولا ه
ميسرة على طنجة وتقدم الى السوس فقتل عامله اسماعيل بن عبيد الله واضطرم
المغرب نارا وانتقض امره على خلفاء المشرق فلم تراجع طاعتهم بعد وزحف ابن الحبحاب
اليه من القيروان في العساكر وعلى مقدمته خالد بن ابي حبيب الفهري فلقيهم
ميسرة في جموع البرابرة فهزم المقدمة واستلحمهم وقتل خالد وتسامع البربر بالاندلس
بهذا الخبر فثاروا بعاملهم عقبة بن الحجاج السلولي وعزلوه وولوا عليهم عبد
الملك بن قطن الفهري وبلغ الخبر بذلك الى هشام بن عبد الملك فسرح كلثوم بن عياض
القشيري في اثني عشر الفا من جنود الشام وولاه على افريقية واداله من عبيد الله
ابن الحبحاب وزحف كلثوم الى البرابرة سنة ثلاث وعشرين حتى انتهت مقدمته
الى وادي سبو من اعمال طنجة فلقيه البرابرة هنالك مع ميسرة وقد فحصوا عن
اوساط رؤسهم ونادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ثم هزموه وقتلوه ه
وكان كيدهم في لقائهم اياه ان ملؤوا الشنان بالحجارة وربطوها باذناب الخيل
تنادي بها فتقعقع الحجارة في شنانها ومرت بمصاف العساكر من العرب فنفرت
خيولهم واختل مصافهم وانجرت عليهم الهزيمة وافترقوا وذهب بلج مع الطلايع
من اهل الشام الى سبتة كما ذكرناه في اخبارهم ورجع الى القيروان اهل مصر وافريقية
وظهرت الخوارج في كل جهة واقتطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى ان هلك
ميسرة وقام مطغره من بعده يحيى بن حارث منهم وكان حليفا لمحمد بن خزر ومغراوه
ثم كان من بعد ذلك ظهور ادريس بالمغرب فقام بها البرابرة وتولى كبرها اوربه
منهم كما ذكرناه وكان على مطغره يومئذ شيخهم بهلول بن عبد الواحد فانحرف
لذلك عن ادريس الى طاعة هارون الرشيد بمداخلة ابراهيم بن الاغلب عامل
القيروان فصالحه ادريس واتاه بالسلم ثم درج مطغره من بعد ذلك
وافترق جمعهم وجرت الدول عليهم ادبالها واندرجوا في عمار البربر الغارمين
لهذا العهد ببلاد المغرب وصحرائه فمنهم ما بين فاس وتلمسان امم يتصلون
بكومية ويدخلون في حلفهم واندرجوا من لدن الدعوة الموحدية فيهم ورياستهم
لولد خليفة كان شيخهم على عهد الموحدين وبنا لهم حصنا بمواطنهم على ساحل البحر

تسمى

تسمى تاونت ولما انقرضت دولة بني عبد المومن واستولى بنو مرين على المغرب
قام هارون بن موسى بن خليفة بدعوة يعقوب بن عبد الحق سلطانهم وتغلب
على ندرومه وزحف اليهم يغمراسن بن زيان فاسترجع ندرومه من يده وغلبه
على تاونت ثم زحف يعقوب بن عبد الحق اليهم واخذها من ايديهم وشحنها بالاقوات
واستعمل هارون الى المغرب فحدثت هارون نفسه بالاستبداد فدعا لنفسه ه
معتصما بذلك الحصن خمس سنين ثم حاصره يغمراسن واستنزله على صلح سنة ثنتين
وسبعين وستماية ولحق هارون بيعقوب بن عبد الحق ثم اجاز الى الجهاد باذنه
واستشهد هنالك وقام بامر مطغره من بعده اخوه تاشفين الى ان هلك سنة ثلاث
وسبع مائة وانفصلت رياستهم في عقبه لهذا العهد ومن قبايل مطغره ايضا امة بجبل
قبلة فاس معروف بهم ومنهم ايضا قبايل كثيرون بنواحي سجلماسة واكثر اهلها
منهم وربما حدثت بها عصبية من جرائهم ومن قبايل مطغره ايضا بصحراء المغرب امم
كثيرون نزلوا بقصورها واغترسوا بها النخل على طريقة العرب فمنهم بتوات قبلة
سجلماسة التي تنتطبت اخر عملها قوم كثيرون موطنون مع غيرهم من اصناف البربر
ومنهم في فيجيج قبلة تلمسان وعلى ست مراحل منها وهي قصور متقاربة بعضها من
بعض ايتلف منها مصر كبير مستبحر بالعمران البدوي معدود في احاد الامصار بالصحرا
ضاح من ظل الملك والدول البعيدة في القفر ورياسته في بيت بني سيد الملوك
منهم وفي قبلتها وعلى مراحل منها قرى اخرى متناسقة على سمتها متصاعدة قليلا
الى الجوف اخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد وهي في مجالات بني عامر من زغبة ه
واوطانهم من القفر وقد تملكوها لحظ انفاقهم ووضعوا خلجانهم شي نسبت اليهم في
السنة وفي جهة الشرق عن هذه القصور وعلى خمس مراحل منها قليعة متوغلة
في القفر تعرف بقليعة والى يغمر هادميط من مطغره هولاء وينتمي اليها ظواعن
الملثمين من اهل الصحرا بعض السنين اذ الجاهم الجدب يستبردون في تلولها
لتوغلها في ناحيتهم ومن مطغره هولاء اوزاع في اعمال المغرب الاوسط ه
وافريقية والله الخالق جميعا **لماية** وهم من بطون فاتن بن تمصيت كما ذكرناه
اخوة مطغره ولهم بطون كثيرة عد منها سابق واصحابه بنو زكوفا ومزيزه ومليزه ه
بنو مدين كلهم من وكانوا ظواعن في افريقية والمغرب وكان جمهورهم بالمغرب
الاوسط موطنين بتخومه مما يلي الصحرا ولما فشا دين الخارجية في البربر اخذوا
براي الاباضية فيه ودانوا به وانتحلوه وانتحله جيرانهم في مواطنهم مثل من لواته
وهواره وكانوا بارض السرسو قبلة منداس وزواغه وكانوا في ناحية المغرب
عنهم وكانت مطماطة ومكناسة وزناتة جميعا في ناحية الجوف والشرق فكانوا
جميعا على دين الخارجية وعلى راي الاباضية منهم وكان عبد الرحمن بن رستم
من مسلمة الفتح وهو من ولد رستم امير الفرس بالقادسية وقدم افريقية
مع طوالع الفتح فكان بها واخذ بدين الخارجية والاباضية منهم وكان شيعة لليمنية
وحليفا لهم ولما خرجت الاباضية بناحية طرابلس منكرين على ورفجومة تغلبهم على
القيروان كما مر واجتمعوا الى ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري امام الاباضية

فملكوا اطرابلس ثم ملكوا القيروان وقتلوا الهماس وربجومة عبد الملك بن ابي الجعد
واثخنوا في ربجومة وسائر نفزاوة سنة احدى واربعين ورجع ابو الخطاب والاباضية
الذين معه من زناتة وهوارة وغيرهم بعد ان استخلف على القيروان عبد الرحمن بن
رستم وبلغ الخبر بفتنته وفي ربجومة هذه واضطرب الخوارج من البربر بافريقية
والمغرب وابتزائهم على كرسي الخلافة بالقيروان الى المنصور ابي جعفر فسرح محمد بن
الاشعث الخزاعي في العساكر الى افريقية وقلده حرب الخوارج بها فتقدم لها سنة اربع
واربعين ولقيهم ابو الخطاب في جموعه قريبا من طرابلس فاوقع به ابن الاشعث وبقومه
وقتل ابو الخطاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن رستم بمكان امارته في القيروان
فاحتمل اهله وولده ولحق باباضية المغرب الاوسط من البربر الذين ذكرناهم ونزل
على لماية لقديم حلف بينه وبينهم فاجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة وائتمروا في بنيان
مدينة ينصبون بها كرسي لامارتهم فشرعوا في بناء مدينة تاهرت في سفح جبل كزول
السائح على تلول منداس واختطوها على وادي ميناس المنبعث من عيون من القبلة
ويمر بها وبالبطحا الى ان يصب في وادي شلف فاسسها عبد الرحمن بن رستم ۞
واختطها سنة اربع واربعين ومائة فتمدنت واتسعت خطتها الى ان هلك
عبد الرحمن وولي ابنه عبد الوهاب من بعده وكان راس الاباضية وزحف سنة ست
وتسعين مع هوارة الى طرابلس وبها عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب من قبل ابيه ۞
فحاصره في جموع الاباضية من البربر الى ان هلك ابراهيم بن الاغلب واستقدم ابنه
عبد الله لامارته بالقيروان فصالح عبد الوهاب على ان تكون الضاحية لهم وانصرف
الى نفوسة ولحق عبد الله بالقيروان وولي بعد عبد الوهاب ابنه ميمون وكان
راس الاباضية والصفرية والواصلية وكان يسلم عليه بالخلافة وكان اتباعه
من الواصلية وحدهم ثلاثين الفا ظواعن ساكنين في الخيام ولم يزل الملك في بني رستم
هولاء بتاهرت وجاورهم جيرانهم من مغراوة وبني يفرن على الدخول في طاعة
الادارسة لما ملكوا تلمسان واخذت بها زناتة من لدن ثلاث وسبعين ومائة
فامتنعوا عليهم سائر ايامهم الى ان كان استيلاء ابي عبد الله الشيعي على افريقية
والمغرب سنة ست وتسعين فغلبهم على مدينة تاهرت وابتز ملكهم بها
وبث دعوة عبيد الله في اقطار المغربين فانقرض امرهم بظهور هذه الدولة
وعقد عروبة بن يوسف الكتامي فاتح المغرب للشيعة على تاهرت لابي حميد
واسر بن صولات اللهيصي في غزاته الى المغرب سنة ثمان وتسعين فاثخن في
برابرتها الاباضية من لماية وازداجة ولواتة ومكناسة ومطماطة وحملهم على
دين الرافضية وتسخ بها دين الخارجية حتى استحكمت في عقايدهم ثم وليها
ايام اسمعيل المنصور بصلاصين بن حبوس ثم نزع الى دعوة الاموية وراء
البحر ولحق بالخير بن محمد بن خزر صاحب دعوتهم في زناتة واستعمل المنصور
بعده على تاهرت ميسور الخصي مولاه واحمد بن الزجالي من صنايعه فزحف اليها
حميد والخير وانهزم ميسور وافتتحوا تاهرت عنوة وتقبضوا على احمد الزجالي
وميسور الى ان اطلقوهما بعد حين ولم تزل تاهرت هذه ثغرا لاعمال الشيعة

الامارة

وصنهاجة

وصنهاجة سائر ايامهم وتغلب عليها زناتة مرارا ونازلها عساكر بني امية زاحفة في اثر
زيري بن عطية امير المغرب من مغراوة ايام اجاز المظفر بن ابي عامر من العدوة اليه
ولم يزل الشان هذا الى ان انقرض امر تلك الدول وصار امر المغرب الى لمتونة ثم
جاءت دولة الموحدين من بعدهم وملكوا المغربين وخرج عليهم ابن غانية بناحية
قابس ولم يزل يحيى منهم يجلب على ثغور الموحدين ويشن الغارات على بسائط افريقية
والمغرب الاوسط وتكرر دخوله اليها عنوة مرة بعد اخرى الى ان احتمل ساكنها
وخلا جوها وعفا رسمها لما تناهز عشرين من المائة السابعة والارض لله واما
قبائل لماية فانقرضوا وهلكوا بهلاك مصرهم الذي اختطوه وجاوروه وملكوه
سنة الله في عباده وبقيت فرق منهم اوزاعا في القبائل ومنهم جربة الذين سميت
بهم الجزيرة البحرية تجاه ساحل قابس وهم بها لهذا العهد وقد كان النصرانية
من اهل صقلية ملكوها على من بها من المسلمين من قبائل لماية وكتامة مثل جربة
وسدويكش ووضعوا عليها الجزية وشيدوا على ساحل البحر بها معقلا لامارتهم سموه
القشتيل وطال تمرس العساكر به من حضرة الدولة الحفصية بتونس حتى كان
افتتاحها اعوام ثلاث وثمانين من المائة الثامنة في دولة مولانا السلطان ابي بكر
وعلى يد مخلوف بن الكماد من صنايعه واستقرت بها الدعوة الاسلامية الى هذا العهد
الا ان القبائل الذين بها من البربر لم يزالوا يدينون بدين الخارجية ويتدارسون
مذاهبهم وبينهم مجلدات تشتمل على تواليف لائمتهم في قواعد ديانتهم واصول
عقايدهم وفروع مذاهبهم يتناقلونها ويعكفون على دراستها وقراءتها والله خلقكم
وما تعملون **مطماطة** وهم اخوة مطغرة ولماية من ولد فاتن بن تمصيت الذين
مر ذكرهم انفا وهم شعوب كثيرة وعند سابق المطماطي واصحابه من النسابة ان
اسم مطماط مصكات ومطماط لقب له وان شعوبهم كلها من لوي بن مطماط وانه كان
له ولد اخر اسمه ورتنيط ولم يذكروا له عقبا قالوا وكان للوي اربعة من الولد ورماكس
وبلاغف ووريكول ويليصن ولم يعقب يليصن واعقب الثلاثة الباقون ومنهم
افترقت شعوب مطماطة كلها فاما ورماكس فمنه مصمود ويونس وبغرين واما وريكول
فكان له من الولد كلثام ومسيرة وبيدن ولم يعقب مسيرة ولا بيدن وكان لكلثام
عصفراص وسلبابان فمن سلبابان ساكان ووريغني ووصدك ونطسابان وعمرو
ويقال لهولاء الخمسة يوميد مصطكوده سموا باسمهم وكان لعصفراص برهاص
وبصراص فمن بصراص وريغني ووريكون وجليدا وسكوم ويقال لهم بني تليكنتان
سموا بامهم وكان لبرهاص بليت وبصلاسن فمن بليت ورسفلاسن وسكن ومحمد وماكدول
ودكوال ومن بصلاسن فاو بولن وتيماس وماركس ومسافر وفلوس وعبيد ونافع وعبد
الله وعزداي واما بلاغف بن لوي بن مطماط فكان له من الولد هيا وتابنة فمن
تابنة ماخرس وربيع وعجلان ومعاو وقرة وكان لهيا وريجي وعابن فمن وريجي مغرين
ونوروو وبسكم وعمعميس ومن بجليين ماكورو واشكول وكيلان ومن ماكورو قطار
وابورة هذه شعوب مطماطة كما ذكر نسابة البربر سابق واصحابه وهم مفترقون
في المواطن فمنهم قسم في نواحي فاس من قبلتها في جبل هنالك معروف بهم ما بين فاس

وصفروا ومنهم بجهات قابس والبلد المختط على العين الحامية من جهة غربيها منسوب اليهم لهذا العهد ويقال حمة مطماطة وباقي ذكرها اى الدولة الحفصية وعمالات افريقية وبقاياهم اوزاع في القبايل وكانت مواطن جمهورهم بتلول منداس عند جبل وانشريس وجبل كزول من نواحي من نواحي تاهرت ولهم بتلك المواطن احزبات دولة صنهاجة استعمال وصولة وفي فتنة حماد بن بلكين مع باديس بن المنصور مقامات واثار وكان كبيرهم يومئذ عزانه وكانت له مع البرابرة المجاورين له من وجديجن ولواتة وغيرهم حروب وايام ولما هلك عزانة قام بامره في مطماطة ابنه زيري فمكث فيهم اياما ثم غلبه صنهاجة على امره فلحاز البحر الى العدوة ونزل على المنصور بن ابي عامر فاصطنعه ونظمه في طبقة الامراء من البربر الذين كانوا في جملته واستظهر بهم على امره فكان من اوجه رجالاتهم عنده واعظمهم قدرا لديه الى ان هلك واجراه ابنه المظفر من بعده واخوه عبد الرحمن الناصر على سنن ابيهما في ترفيع مكانه واخلاصه ولابنه وكان عند نزوة محمد بن هشام بن عبد الجبار غايبا مع ابن ابي عامر في غزاة النعمان مع من كان معه من امراء البربر وعرفايهم فلما راوا انتقاض امره وسوء تدبيره لحقوا بمحمد بن هشام المهدي فكانوا معه الى ان كانت الفتنة البربرية بالاندلس وهلك زيري هنالك لاول ذي السنين كان مهلكه واجاز الى الاندلس ايضا من رجالاتهم كهلان بن ابي لوى من نضلاض ونزل على الناصر وهو من اهل العلم بانساب البربر وكان من مشاهيرهم ايضا النسابة سابق بن سليمان بن حراث بن مولات بن دوباس وهو كبير نسابة البربر فيما علمناه وكان منهم ايضا عبد الله بن ادريس كاتب الخراج لعبيد الله المهدي في اخبار يطول ذكرها

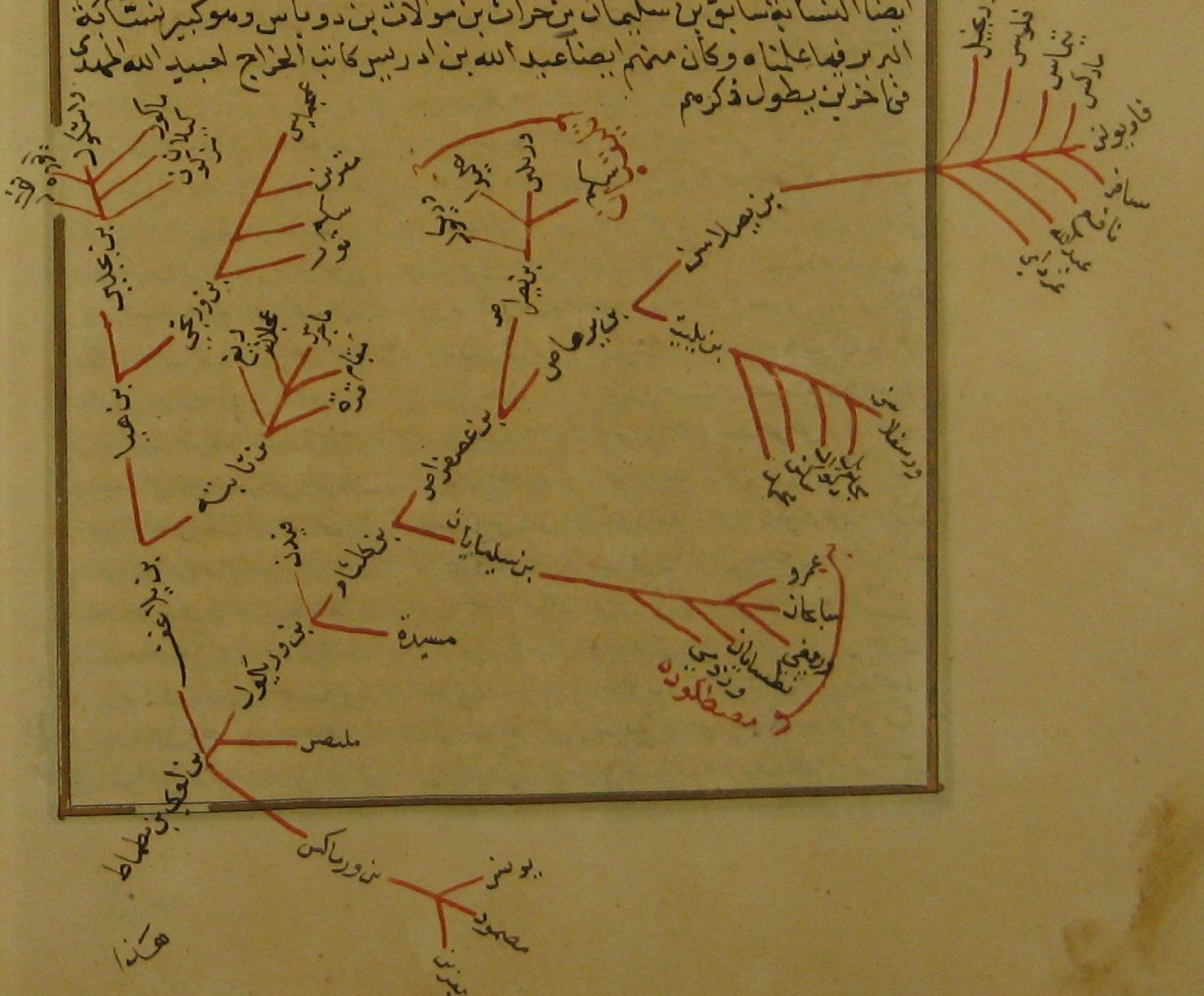

هكذا

هذا ما تلقفناه من اخبار مطماطة واما موطن منداس فزعم بعض اخباريين من البربر ووقفت على كتابه في ذلك انه سمي بمنداس بن معر بن اوريغ بن كبوري بن المثنى وهو هوارة وكانه بشير والله اعلم الى اداس بن زحيك الذي يقال انه ربيب هوار كما ياتي في ذكرهم الا انه غلط عليه الامر قال وكان لمنداس ثلاثة من الولد سراو وكلتوم وتكمات ولما استفحل امر مطماطة وكان شيخهم لذلك العهد ارهاص بن عصفراص فاخرج منداس من الوطن وغلبه على امره واعتمر بنوه موطن منداس ولم يزالوا به انتهى كلامه وبقية هولاء القوم لهذا العهد بجبل وارشنيس لحقوا به لما غلبهم بنو توجين من زناتة على منداس وصاروا في عداد قبايله الغارمة والله وارث الارض ومن عليها

مغيلة وهم اخوة مطماطة ولماية كما قلناه واخوتهم ملزوزة ومعدو ودكمتهم وكذلك دونة وكشانة ولهم افتراق في المواطن وكان منهم جمهور احياء بالمغرب الاوسط عند مصب شلف في البحر من نواحي مازونة المصر لهذا العهد ومن شاطئهم اجاز عبد الرحمن الداخل الى الاندلس ونزل بالمنكب فكان منهم ابو قرة المغيلي الداين بدين الصفرية من الخوارج ملك اربعين سنة وكانت بينه وبين امراء العرب بالقيروان لاول دولة بني العباس حروب ونازل طبنه وقد قيل ان ابا قرة هذا من بني يفرن وهو عندي اصح فلذلك اخرت ذكر اخباره الى اخبار بني يفرن من زناتة وكان منهم ايضا ابو حسان ثائر بافريقية لاول الاسلام وابو حاتم يعقوب بن لبيب بن مدين بن يطوفت بن ملزوزة الثائر مع ابي قرة سنة خمسين وماية وتغلب على القيروان فيما ذكره ابن حزم وخليفة بن خياط من علمائهم وذكروا من روسائهم ايضا موسى بن خليد ومليح بن علوان وحسان بن زروال الداخل مع عبد الرحمن ومنهم ايضا دلول بن حماد امير اغلبهم في سلطان يعلى بن محمد اليفرني وهو الذي اختط بلد ايكدى على اثنى عشر ميلا من البحر وهي لهذا العهد خراب لم يبق منها الا اطلال ماثلة ولم يبق من مغيلة بتلك الوطن جميع ولا حي وكان جمهورهم الاخر بالمغرب الاقصى ومنهم الذين تولوا امر اوربة وصدبه القيام بدعوة ادريس بن عبد الله لما لحق بالمغرب فاجاروه وحملوا قبايل البربر على طاعته والدخول في امره ولم يزالوا على ذلك الى ان اضمحلت دولة الادارسة وبقاياهم لهذا العهد بمواطنهم ما بين فاس وصفروي ومكناسة والله وارث الارض ومن عليها

مديونة وهم اخوة مغيلة ومطماطة من ولد فاتن كما قلناه وكانت مواطن جمهورهم بنواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد لهذا العهد الى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة يتقلبون بظواعنهم في ضواحيه وجهاته وكان بنو يلومي وبنو يفرن من قبلهم لا يجاورونهم من جهة الشرق ومكناسة من ناحية الغرب وكومية ولهاصة من جهة الساحل وكان من رجالاتهم المذكورين جرير بن مسعود كان اميرا عليهم وكان مع ابي حاتم وابي قرة في فتنتهم واجاز الى الاندلس في طوالع الفتح كثير منهم فكان لهم هنالك استعمال وخرج هلال بن ابزيا منهم مستنزيه على عبد الرحمن الداخل متبعا شقيا المكناسي في خروجه ثم راجع الطاعة فتقبله وكتب له على قومه فكان راس البربر بشرق الاندلس ومستنزيه ثم خلفه بها من قومه نابتة بن عامر ولما تغلب بنو توجين وبنو راشد

من زناتة على ضواحي المغرب الاوسط وكان مديونة هؤلاء قد قل عددهم وتلاحدهم
فدخلتهم زناتة على الضواحي من مواطنهم وتملكوها وصارت مديونة الى الحصون من
بلادهم من جبل تاسله وجبل وجده المعروف بهم وضربت عليهم المغارم وتمرست بهم الايام
فلم يبق منهم هنالك الا صبابة يحترفون بالفلح ومنهم ايضا اوزاع في القبائل مندرجون
فيهم وبنواحي فاس ما بينها وبين صفروي قبيلة منهم مجاورة لمغيلة والله وارث الارض
ومن عليها كومية وهم المعروفون قديما بصطفورة اخوة لماية ومطغرة وهم من
ولد فاتن كما قدمناه ولهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهي ندرومه
ومغاره وبنو يلول فمن ندرومه نفوطه وحوسه وفرده ومعايه ومرانه ومن بني
يلول مسيفه وونيوه وهبيسه وهيواره وولغه ومن مغاره مايته وبنو حبا
وكان من نفوطه منهم النسابة المشهور هاني بن مصدور بن مريس بن نفوط هذا هو
المعروف في كتبهم وكانت مواطن كومية بالمغرب الاوسط بسيف البحر من ناحية ارشكول
وتلمسان وكان لهم كثرة موفورة وشوكة مرهوبة وصاروا اخرا من اعظم قبائل الموحدين
لما ظاهروا المصامدة على امر المهدي وكلمة توحيده وبما كانوا رهط عبد المومن صاحبه
وخليفته من بعده فانه كان من بني عابد احد بيوتاتهم وهو عبد المومن بن علي بن مخلوف
ابن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الامير بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن وزدايغ
ابن صطفور هكذا نسبه مورخوا دولة الموحدين الى صطفور ثم يقولون صطفور
ابن نفور بن مطماط بن هودج بن قيس بن غيلان من مضر ويذكر بعضهم انه منقول
من خط ابي محمد عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المومن فاما انتسابهم في قيس
ابن غيلان فقد ذكرنا انه غير صحيح وفي اسماء هذا العمود من نسب عبد المومن
ما يدل على انه مصنوع اذ هذه الاسماء ليست من اسماء البرابرة وانما هي كما تراه كلها عربية
والقوم كانوا من البرانس معروفون بينهم وانتساب صطفور الى مطماط غلط ايضا
فانهما اخوان عند نسابة البربر اجمع وعبد المومن بلا شك منهم والله اعلم بما سوى
ذلك وكان عبد المومن هذا من بيوتاتهم واشرافهم وموطنهم بتاكرارت وهو حصن
في الجبل المطل على هنين من ناحية الشرق ولما نجم عبد المومن فيهم وشب ارتحل في
طلب العلم فنزل تلمسان واخذ عن مشيختها مثل ابن صاحب الصلاة وعبد السلام
التونسي وكان فقيها صالحا وهو ضجيع الشيخ ابي مدين في تربته ولما هلك عبد
السلام هذا ولم يجد تلميذه بعده في فنونه وكان شيخ عصره في الفقه والكلام
تعطش التلميذ بعده الى القراءة وبلغهم خبر الفقيه محمد بن تومرت المهدي ووصوله
الى بجاية وكان يعرف اذ ذاك بالفقيه السوسي نسبة الى السوس ولم يكن
لقب المهدي وضع عليه بعد وكان في ارتحاله من المشرق الى المغرب قد اخذ نفسه
مع تغيير المنكر الذي كان شانه وطريقته بنشر العلم وبث الفتيا وتدريس الفقه
والكلام وكان له في طريق الاشعرية امامة وقدم راسخة وهو الذي ادخلها الى المغرب
كما ذكرناه فتشوف طلبة العلم بتلمسان الى الاخذ عنه وتفاوضوا في ذلك وندب
بعضهم بعضا الى الرحلة اليه لاستجلابه وان تكون له المنة في اتحاف القطر بعلومه
فانتدب لها عبد المومن على مكانه من صغر السن بنشاطه للسعي لهداوته فارتحل

الى بجاية للقائه وترغيبه في نزوله تلمسان فلقيه بملالة وقد استحكمت بينه وبين
العزيز صاحبها النفرة وبنو ورياكل معتصبون على اجارته معه ومنعه من اذايته
والوصول اليه فالقى اليه عبد المومن ما عنده من الترغيب وادى اليه رسالة طلبة
العلم بتلمسان فوعاها وشانه غير شانهم وعكف عبد المومن على التعلم والاخذ
عنه في ظعنه ومقامه وارتحل الى المغرب في صحابته وحذق في العلم واثره الامام
بمزيد الخصوصية والقرب لما خصه الله به من الفهم والوعي للتعليم حتى كان خالصة
الامام وكبير صحابته وكان يوملة لخلافته لما ظهر عليه من الشواهد المؤذنة
بذلك ولما اجتازوا في طريقهم الى المغرب بالثعالبة من بطون العرب الذين ذكر ناسم
قبل من نواحي المدينة قربوا اليه حمارا فارها يتخذ مطية لركوبه فكان يوثر به عبد
المومن ويقال لاصحابه اركبوه الحمار يركبكم الخيول المسومة ولما بويع له بهرغد
سنة خمس عشرة وخمسمائة وانفقت على دعوته كلمة المصامدة وحاربوا لمتونة نازلوا
مراكش وكانت بينهم في بعض ايام منازلتها حرب شديد هلك فيها من الموحدين الاف
فقيل للامام ان الموحدين قد هلكوا سائر اليوم فقال لهم ما فعل عبد المومن قالوا هو
على جواده الادهم قد احسن البلاء فقال ما بقي عبد المومن فلم يهلك احد ولما احتضر الامام
سنة ثنتين وعشرين عهد بخلافته في امره لعبد المومن واستراب بالخلوص من العصبية
بين المصامدة فكتم موت المهدي وارجى امره حتى صدع الشيخ ابو حفص امير هنتاته
وكبير المصامدة بمصاهرته وامضى عهد الامام فيه فقام بالامر واستبد بشياخة
الموحدين وخلافة المسلمين ونهض سنة سبع وثلاثين الى فتح المغرب وذانت
له غمارة ثم ارتحل منها الى الريف ثم الى بطوية ثم الى بطالسه ثم الى بني يزناسن
ثم الى مديونة ثم الى كومية وجيرانهم ولهاصة وكانوا اليه هم في الكثرة فاشتد عضده بقومه
ودخلوا في امره وشايعوه على تمكين سلطانه بين الموحدين وخلافته ولما رجع الى المغرب
وافتتح امصاره واستولى على مراكش استدعى قومه للرحلة اليها والعسكرة عليه فتحد
جمهورهم الى المغرب واستوطنوا مراكش لحماية سرير الخلافة والقيام بامر الدعوة والذب
عن نفسه بهم والمدافعة فاعتضد بهم عبد المومن وبنوه سائر الدولة وكانوا لمكانهم
فاتحة الكتاب ويد لكة الجماعة وانغمسهم الملك في الفتوح والعساكر واكلتهم الاقطار
في تجهيز الكتائب وتدويخ الممالك فانقرضوا وبقي بمواطنهم الاولى بقاياهم وبيت
بني عابد منهم وهم في عداد القبائل الغارمة قد اغلقت زناتة كاهلهم بحمل المغرم
والعسف ويهنوضهم بالتكاليف ونظرهم مع جيرانهم في سوم الخسف والذل وامضا
الخراج بالنكال والعذاب والله مبدل الامر ومالك الملك سبحانه

الخبر عن زواوة وزواغة من بطون البرانس من البربر البتر والالمام ببعض احوالهم

هولاء البطون من بطون البرانس البتر من ولد سمكان بن يحيى بن ضري بن زحيك
ابن مادغيس الابتر واقرب ما اليهم من البرابر زناتة لان اباهم جانا هو اخو سمكان

ابن ابيه فلذلك كانوا ذوي قربى لهم **زواوة** فاما زواوة فهم من بطونهم
وقد يقال ان زواوة من بطون كتامة ذكر ذلك ابن حزم ونسابة البربر انما
يعدونهم من ولد سمكان كما قلناه والصحيح عندي ما ذكره ابن حزم ويشهد له الموطن
والنحلة السيح مع كتامة لعبيد الله ويعد نسابة البربر لهم بطونا كثيرة بني مجسطة
وبني مليكش وبني كوفي ومسداك وبني زروخف وبني كزيت وكوفسينه ووزلجه
وموجه وزكلاوة وبني مرانه ويقال ان بني مليكش من صنهاجة والله اعلم ومن
قبائلهم المشهورين لهذا العهد بنو يجر وبنو مانكلات وبنو يتورذ وبنو ابي وبنو
بوغردان وبنو يتورغ وبنو بويوسف وبنو عيسى وبنو بوشعيب وبنو صدقة
وبنو غبرين وبنو كشطوله ومن مواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة
وصنهاجة اوطنوا منها جبالا شاهقة متوعرة تردد عنها الابصار ويضل في
غمرها المسالك مثل بني غبرين بجبل زيري وفيه شجر الزان يشهر بها لهذا
العهد ومثل بني فراوسن وبني يتواين وجبالهم ما بين بجاية وتدلس وهم اعصم معاقلهم
وامنع حصونهم فلهم به الاعتزاز على الدول والخيار عليها في اعطاء المغرم مع ان
كلهم لهذا العهد قد استنع بشاهقه واعتز على السلطان في اثناء طاعته وقانون
خراجه وكانت لهم في دولة صنهاجة مقامات مذكورة في السلم والحرب بما كانوا
اولياء الكتامة وظهراء لهم على امرهم مذ اول الدولة وقتل باديس بن المنصور في
احدى وقايعه بهم شيخهم زيري بن اجانه لاتهامه اياه في امر حماد ثم اختط بنو حماد
بعد ذلك بجاية بساحتهم ومرسوا بهم فانقادوا واذعنوا لهم في اخر الدولة وانتقل
اذعانهم الى هذا العهد الا انه يضاف الى عزيز عصابتهم عليه الموثوق بمنعة جبالهم
وكانت رياسة بني زراين فيهم في بني عبد الصمد من بيوتاتهم وكانت عند تغلب
السلطان ابي الحسن على المغرب الاوسط شيخة عليهم من بني عبد الصمد هولاء اسمها
شمسي وكان لها عشرة من الولد فاستفحل شانها بهم وملكت عليهم امرهم ولما نقض
السلطان ابو الحسن على ابنه يعقوب المكنى بابي عبد الرحمن عند ما فر من معسكره
بمتيجة سنة ثمان او تسع وثلاثين وسرح في اثره الخيالة فرجعوه واعتقله ثم
قتله من بعد ذلك حسبما نذكره في اخبارهم لحق حينئذ ببني زراين هولاء حازدمن مطحه
فموه عليهم باسمه وشبه بمثاله ودعا الى الخروج على ابيه بزعمه فتشمرت شمسي
هذه عن ابنيها في اجازته وحملت قومها على طاعته وسرب السلطان ابو الحسن
امواله في قومها وبنيها على اسلامه فابتهم لمن البهما الخبر بكذبه وتمويهه فنبذت
اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب كما نذكر بعد في اخبارهم وقدمت على السلطان
ابي الحسن في وفد من قومها وبعض بنيها فاستبلغ السلطان في تكرمها واحسن
منقلبها واجاز الوفد ورجعت بهم الى موطنها ولم تزل الرياسة في هذا البيت

زواغة واما زواغة فلم يتاد الينا من اخبارهم وتصاريف احوالهم ما تحمل
نبيه الافهام ولهم ثلاث بطون وهي دمر بن زواغ وبنو واطيل بن زحيك بن
زواغ وبنو ماجر بن نيعون بن زواغ ومن دمر بنو سمكان وهم اوزاع في القبايل
ومنهم بنواحي طرابلس مفترقون في بواديها ولهم هنالك الجبل المعروف بدمر

وفي

وفي جهات قسنطينة ايضا رهط من زواغة وكذلك بجبال شاف بنو واطيل منهم وبنوا حي
ناس اخرون ولله الخلق والامر

الخبر عن مكناسة وسائر بطون ورصطف وهم بقية ضريسة من البرابرة البتر وما كان لمكناسة من الدول بالمغرب واولية ذلك وتصاريفه

كان لورصطف بن يحيى وهو اخو جانا بن يحيى وسمكان بن يحيى ثلاثة من البطون
وهم مكناسة وورتناجة واوكته ويقال مكنة وبنو ورتناجة اربعة بطون سدرجه
ومكسنه وبطالسة وكرنيطه وزادسابق واصحابه في بطونهم هناطه وفولاله
وكذلك عدوا في بطون مكنة بني يصلتن وبني تولالين وبني ترين وبني جرين وبني
فوغال ولمكناسة عندهم ايضا بطون كثيرة منها صولات وبنو احرات وبنو وردفلا س
وبني ورسيدوس وقصاره ووريفه ووريفلته وبطون ورصطف كلهم مندرجون
في بطون مكناسة وكانت مواطنهم على وادي ملوية من لدن اعلاه بسجلماسة
الى مصبه في البحر وما بين ذلك من نواحي تازا وتسول وكانت رياستهم جميعا في
بني ابي يزول واسمه مجدول بن تافريس بن فرادليس بن ونيف بن مكناس واجاز
منهم الى العدوة عند الفتح امم وكانت لهم بالاندلس رياسة وكثرة وخرج منهم على
عبد الرحمن الداخل شقنا بن عبد الواحد سنة احدى وخمسين واختصم بجبال شنتمريه
ودعا لنفسه منتسبا الى الحسن بن علي وتسمى عبد الرحمن بن محمد وتلقب بالفاطمي
وكانت بينه وبين عبد الرحمن حروب الى ان غلبه ومحا اثر ضلالته وكان من رجالتهم
لعهد دولة الشيعة مصالة بن حبوس بن منازل اتصل بعبيد الله الشيعي وكان
من اعظم قواده واوليائه وولاه تاهرت وافتتح له المغرب وفاس وسجلماسة ولما
هلك اقام اخاه يصلتن بن حبوس مقامه في ولاية تاهرت والمغرب ثم هلك واقام
ابنه حميد مقامه فانحرف عن الشيعة ودعا لعبد الرحمن الناصر واجتمع مع بني
خزر امراء مغراوة على ولاية المروانية ثم اجاز الى الاندلس وولي الولاة ايام الناصر
وابنه الحكم وولي في بعضها تلمسان بدعوتهم ثم هلك واقام ابنه يصل بن حميد واخوه
فياض بن يصلتن وعلي بن عمه مصالة في ظل الدولة الاموية الى ان اجاز المظفر
ابن ابي عامر الى المغرب فولى يصل بن حميد على سجلماسة كما نذكر ثم ان رياسة
مكناسة بالعدوة انقسمت في بني ابي يزول وانقسمت قبائل مكناسة بانقسامها
وصارت رياسة مكناسة في مواطن سجلماسة وما اليها لبني واسول بن مصلان
ابن ابي يزول ورياسة مكناسة بجهات تازي وتسول وملوية ومليلة لبني ابي
العافية بن ابي باسل بن ابي الضحاك بن ابي يزول ولكل واحد من هذين الفريقين
في الاسلام دولة وسلطان صاروا به في عداد الملوك على ما نذكره

الخبر عن دولة بني واسول ملوك سجلماسة
واعمالها من مكناسة

كان اهل مواطن سجلماسة من مكناسة يدينون في اول الاسلام بدين الصفرية من الخوارج لقنوه عن ايمتهم ورؤسهم من العرب لما لحقوا بالمغرب وانتزوا على الاصقاع وصاحب اقطار المغرب بنفسه ميسرة فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء اربعين من رجالاتهم نقضوا طاعة الخلفاء وولوا عليهم عيسى بن يزيد الاسود من موالي العرب ورؤس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة لاربعين ومائة من الهجرة ودخل سائر مكناسة من اهل تلك الناحية في دينهم ثم سخطوا اميرهم عيسى ونقموا عليه كثيرا من احواله فشدوه كتافا ووضعوه على قنة جبل الى ان هلك سنة خمس وخمسين واجتمعوا بعده على كبيرهم ابي القاسم سمكو بن واسول بن مصلان بن ابي نزول كان ابوه سمكو من حملة العلم ارتحل الى المدينة فادرك التابعين واخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ذكره عريب بن حميد في تاريخه وكان صاحب ماشية وهو الذي بايع لعيسى بن يزيد وحمل قومه على طاعته فبايعوه من بعده وقاموا بامره الى ان هلك فجاءة سنة سبع وستين ومائة لثنتي عشرة سنة من ولايته وكان اباضيا صفريا وخطب في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس ولما هلك ولوا عليهم ابنه الياس وكان يدعى بالوزير ثم انتقضوا عليه سنة اربع وسبعين فخلعوه وولوا مكانه اخاه اليسع بن ابي القاسم وكنيته ابو منصور فلم يزل اميرا عليهم وبنى سور سجلماسة لاربع وثلاثين سنة من ولايته وكان اباضيا صفريا وعلى عهده استفحل ملكهم بسجلماسة وهو الذي اتم بناءها وتشييدها واختط بها المصانع والقصور وانتقل اليها آخر المائة الثانية ودوخ بلاد الصحراء واخذ الخمس من معادن درعة واصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار في ابنته اروى فانكحه اياها ولما هلك سنة ثمان ومائتين ولي بعده ابنه مدرار ولقبه المنتصر وطال امد ولايته وكان له ولدان اسم كل واحد منهما ميمون احدهما لاروى بنت عبد الرحمن بن رستم وقيل ان اسمه ايضا عبد الرحمن والآخر لتقي وتنازعا في الاستبداد على ابيهما ودامت الحرب بينهما ثلاث سنين وكانت لابيهما مدرار صاغية الى ابن اروى فمال معه حتى غلب اخاه واخرجه عن سجلماسة ولم يلبث ان خلع اباه واستبد بامره ثم ساءت سيرته في قومه ومدينته فخلعوه وصار الى درعة واعادوا مدرارا الى امره ثم حدثته نفسه باعادة ابنه ميمون ابن الرستمية الى امارته لصاغيته اليه فخلعوه ورجعوا ابنه ميمون بن التقي وكان يعرف بالامير ومات مدرار اثر ذلك سنة ثلاث وخمسين لخمس واربعين من ملكه واقام ابنه ميمون في استبداده الى ان هلك سنة ثلاث وستين وولي ابنه محمد وكان اباضيا وتوفي سنة سبعين فولي اليسع بن المنتصر وقام بامره ولحق عبيد الله الشيعي وابنه ابو القاسم بسجلماسة لمهلكه واوعز المعتضد اليه في شانهما وكان على طاعته واسترابهما وحبسهما الى ان غلب الشيعي بني الاغلب وملك رقادة فزحف

اليه

اليه لاستخراج عبيد الله وابنه من محبسه وخرج اليه اليسع في قومه مكناسة فهزمه ابو عبد الله الشيعي واقتحم عليه سجلماسة وقتله سنة ست وتسعين واستخرج عبيد الله وابنه من محبسهما وبايع لهما وولى عبيد الله المهدي على سجلماسة ابراهيم ابن غالب المزاتي من رجالات كتامة وانصرف الى افريقية ثم انتقض اهل سجلماسة على واليهم ابراهيم فقتلوه ومن كان معه من كتامة سنة ثمان وتسعين وبايعوا للفتح بن ميمون الامير بن مدرار ولقبه واسول وميمون ابوه هو ابن التقي الذي تقدم ذكره وكان اباضيا وهلك قريبا من ولايته لراس المائة الثالثة فولي اخوه احمد واستقام امره الى ان زحف مصالة بن حبوس في جموع كتامة ومكناسة الى المغرب سنة تسع وثلاثمائة فدوخ المغرب واخذ بدعوة صاحبه عبيد الله المهدي وافتتح سجلماسة وقبض على صاحبها احمد بن ميمون بن مدرار وولى عليها ابن عمه المعتز بن محمد بن بسادر بن مدرار فلم يلبث ان استبد وتلقب المعتز وهلك سنة احدى وعشرين قبل مهلك المهدي وولي من بعده ابنه المنتصر سمكو شهرين وكانت جدته تدبر امره لصغره ثم ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون الامير وتغلب عليه وشغل عنه بنو عبيد الله بفتنة ابن ابي العافية وتاهرت ثم بفتنة ابي يزيد بعدهما فدعا محمد بن الفتح لنفسه مموها بالدعاء لبني العباس واخذ بمذاهب اهل السنة ورفض الخارجية وتلقب الشاكر لله واتخذ السكة باسمه ولقبه وكانت تسمى الدراهم الشاكرية كذا ذكر ابن حزم وقال فيه كان في غاية العدل حتى اذا فرغ له بنو عبيد من الفتن زحف جوهر الكاتب ايام المعز لدين الله معه في جموع كتامة وصنهاجة واوليائهم الى المغرب سنة سبع واربعين فتغلب على سجلماسة وملكها وفر محمد بن الفتح الى حصن تاسكدات على اميال من سجلماسة واقام به ثم دخل سجلماسة متنكرا فعرفه رجل من مطغرة وانذر به فتقبض عليه جوهر وقاده اسيرا الى القيروان مع احمد بن بكر صاحب فاس كما نذكره وقتل الى القيروان فلما انتقض المغرب على الشيعة وتشبث به دعوة الاموية واخذ زناتة بطاعة الحكم المستنصر ثار بسجلماسة قائم من ولد الشاكر وتلقب المنتصر بالله ثم وثب به اخوه ابو محمد سنة ثنتين وخمسين فقتله وقام بالامر مكانه وتلقب المعتز بالله واقام على ذلك ملكا وامر مكناسة يومئذ قد تداعى الى الانحلال وامر زناتة قد استفحل بالمغرب عليهم الى ان زحف خزرون بن فلفول من ملوك مغراوة الى سجلماسة سنة ست وستين وبرز اليه ابو محمد المعتز فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيرته وبعث براسه الى قرطبة مع كتاب الفتح وكان ذلك لاول حجابة المنصور بن ابي عامر فنسب اليه واحتسب له جدا ونفسه وعقد لخزرون على سجلماسة فاقام دعوة هشام بآفاقها فكانت اول دعوة اقيمت لهم بالامصار في المغرب الاقصى وانقرض امر بني مدرار ومكناسة من المغرب اجمع واديل منهم بمغراوة وبني يفرن حسبما ياتي ذكره في دولتهم والامر لله وحده وله البقاء سبحانه

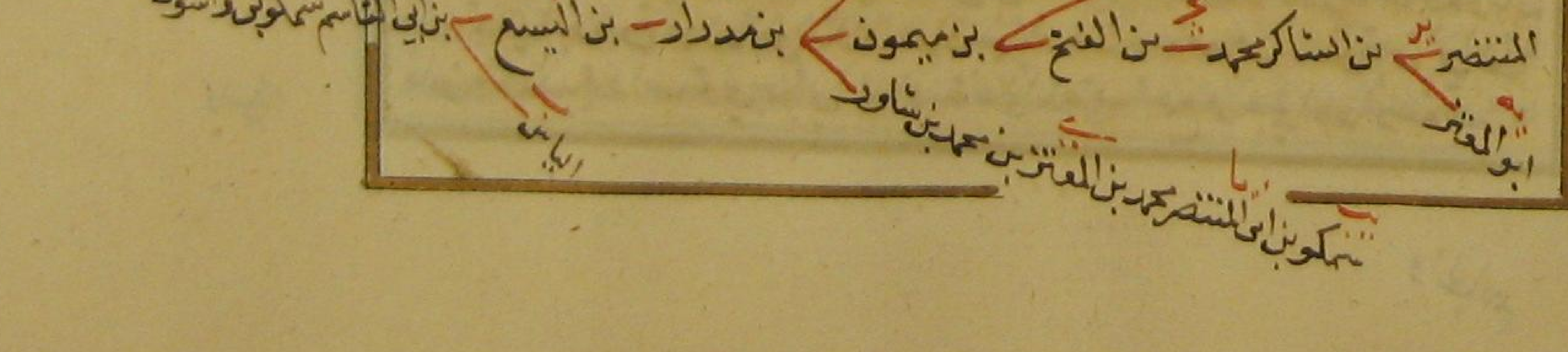

الخبر عن دولة بني ابي العافية ملوك تسول

من مكناسة واولية امرهم وتصاريف احوالهم

كان مكناسة الظواعن اهل مواطن ملوية وكرسيف ومليلة وما اليها من التلول بنواحي تازي وتسول ولكاي يرجعون في رياستهم الى بني ابي باسل بن ابي الضحاك ابن ابي نزول وهم الذين اختطوا بلد كرسيف ورباط تازي ولم يزالوا على ذلك مذ اول الفتح وكانت رياستهم في المائة الثالثة لمصالة بن حبوس وموسى بن ابي العافية بن ابي باسل واستفحل امرهم في ايامه وعظم سلطانهم وتغلبوا على قبايل البربر بانحاء تازي الى لكاي وكانت بينهم وبين الادارسة ملوك المغرب لذلك العهد فتن وحروب وكانوا يغلبونهم على كثير من ضواحيهم لما كان نزل بدولتهم من الهرم ولما استولى عبيد الله على المغرب واستفحل امره كانوا من اعظم اوليايه وشيعه وكان مصالة بن حبوس من اكبر قواده لاختصاصه اليه وولاه مدينة تاهرت والمغرب الاوسط ولما زحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة خمس وثلاثمائة واستولى على فاس ثم على سجلماسة وفرغ من شان المغرب واستنزل يحيى بن ادريس من امارته بفاس الى طاعة عبيد الله المهدي وابقاه اميرا على فاس عقد حينئذ لابن عمه موسى ابن ابي العافية امير مكناسة على ساير ضواحي المغرب وامصاره مضافة الى عمله من تسول وتازي وكرسيف وقفل مصالة الى القيروان وقام موسى بن ابي العافية بامر المغرب وناقضه يحيى بن ادريس صاحب فاس بما كان يبطن له من المظاهرة عليه فلما عاود مصالة غزو المغرب سنة تسع اغراه ابن ابي العافية بيحيى ابن ادريس صاحب فاس فتقبض عليه واستصفاه وطرده عن عمله فلحق ببني عمه والريف وولى مصالة على فاس ريحانا الكتامي وقفل الى القيروان فهلك وعظم ملك ابن ابي العافية بالمغرب ثم ثار بفاس سنة ثلاث عشرة الحسن بن محمد بن القاسم ابن ادريس وكان مقداما شجاعا ويلقب الحجام لطعنه في المحاجم دخل فاس على حين غفلة من اهلها وقتل ريحانا واليها واجتمع الناس على بيعته ثم خرج لقتاله ابن ابي العافية فتزاحفوا بفحص داد ما بين تازي وفاس ويعرف لهذا العهد بوادي المطاحن واشتدت الحرب بينهم وهلك منهال بن موسى بن ابي العافية نتزاحفوا بفحص اداد في الفين من مكناسة ثم كانت العافية لهم وانفض عسكر الحسن ورجع مفلولا الى فاس فغدر به عامله على عدوة القرويين حامد بن حمدان الهمداني واستمكن من اعتقاله واستحث ابن ابي العافية للقدوم وامكنه من البلد وزحف الى عدوة الاندلس فملكها وقتل عاملها عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود وولى مكانه اخاه محمدا وطالب حامدا بصاحبه الحسن فدس اليه حامد بالفرار تجافيا عن دماء اهل البيت وتدلى الحسن من السور فسقط وانكسرت ساقه ومات مستخفيا بعدوة الاندلس لثلاث ليال منها وفر حامد من سطوة ابن ابي العافية فلحق بالمهدية واستولى ابن ابي العافية على المغرب اجمع واجلى الادارسة عنه

فاسودهم

والجاهم

والجاهم الى حصنهم بقلعة حجر النسر مما يلي البصرة وحاصرهم بها مرارا ثم جمر عليهم العساكر وخلف فيهم قايده ابا الفتح لحصارهم ونهض الى تلمسان سنة تسع عشرة بعد ان استخلف على المغرب الاقصى ابنه مدين وانزله بعدوة القرويين واستعمل على عدوة الاندلس طوال بن ابي يزيد وعزل به محمد بن ثعلبة وزحف الى تلمسان فملكها وغلب عليها صاحبها الحسن بن ابي العيش ابن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله اخي ادريس الاكبر الداخل الى المغرب بعد تغلب موسى بن ابي العافية الحسن هذا على تلمسان وازعجه عنها الى مليلة من جزاير ملوية ورجع الى فاس وقد كان الخليفة الناصر عندما فشت دعوته في المغرب خاطبه بالمقاربة والوعد فسارع الى اجابته ونقض طاعة الشيعة وخطب للناصر على منابر عمله فسرح اليه عبيد الله المهدي قايده ابن اخي مصالة وهو حميد بن يصلتن المكناسي قايد تاهرت فزحف في العساكر الى حربه سنة احدى وعشرين ولقيه موسى بن ابي العافية بفحص مسون فتزاحفوا اياما ثم بيته حميد فهزمه ولحق ابن ابي العافية بتسول فامتنع بها وافرج قايده ابن ابي الفتح عن حصار الادارسة فاتبعوهم وهزموهم ونهبوا معسكره ثم نهض حميد الى فاس ففر عنها مدين بن موسى الى ابيه واستعمل عليها حامد بن حمدان كان في جملته وقفل حميد الى افريقية وقد دوخ المغرب ثم انتقض اهل المغرب على الشيعة بعد مهلك عبيد الله وثار احمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي على حامد بن حمدان فقتله وبعث براسه الى ابن ابي العافية فارسله الى الناصر بقرطبة واستولى على المغرب وزحف ميسور الخصي قايد ابي القاسم الشيعي الى المغرب سنة ثلاث وعشرين وخام ابن ابي العافية على لقايه واعتصم بحصن لكاي ونهض ميسور الى فاس فحاصرها واستنزل احمد بن بكر عاملها ثم تقبض عليه واشخصه الى المهدية وبذل اهل فاس بغدره فامتنعوا وقدموا على انفسهم حسن بن قاسم اللواتي وحاصرهم ميسور مدة حتى رغبوا في السلم واشترطوا على انفسهم الطاعة والاتاوة فتقبل ميسور ورضي واقر حسن بن قاسم على ولايته بفاس وارتحل الى حرب ابن ابي العافية فكانت بينهما حروب الى ان غلبه ميسور وتقبض على ابنه البوري وطرده الى المهدية واجلى موسى بن ابي العافية عن اعمال المغرب الى نواحي ملوية ووطاط وما وراها من بلاد الصحراء وقفل الى القيروان ولما مر بارسكول خرج اليه صاحبها ملاطفا له بالتحف وهو ادريس بن ابراهيم من ولد سليمان بن عبد الله اخي ادريس الاكبر فتقبض عليه واصطلم نعمته وولى مكانه ابا العيش عيسى منهم واعد السير الى القيروان سنة اربع وعشرين ورجع موسى بن ابي العافية من الصحرا الى اعماله بالمغرب فملكها وولى على الاندلس ابا يوسف بن محارب الازدي وهو الذي مدن عدوة الاندلس وكانت حصونا واحتل موسى بن ابي العافية قلعة كوماطة وخاطب الناصر فبعث اليه مددا من اسطوله وزحف الى تلمسان ففر عنها ابو العيش واعتصم بارسكول فنازله وغلبه عليها سنة خمس وعشرين ولحق ابو العيش بنكور واعتصم بالقلعة التي بناها هنالك لنفسه ثم زحف ابن ابي العافية الى مدينة نكور فحاصرها مدة ثم تغلب عليها وقتل صاحبها عبد البديع بن صالح وخرب مدينتهم ثم سرح ابنه مدين في العساكر محاصرا ابا العباس بقلعته حتى عقد له السلم عليها واستفحل امر ابن ابي العافية بالمغرب الاقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مغراوة وصاحب المغرب الاوسط

وشيد دعوة الاموية في اعمالها وبعث ابنه مدين الى منازلة فاس فحاصرها وهلك موسى
خلال ذلك سنة سبع وعشرين وقام ابنه مدين بامر قومه وعقد له الناصر على اعمال
ابيه بالمغرب واتصلت يده بيد الخير بن محمد كما كانت بين ابائهما ثم فسد ما بينهما وتزاحفا
للحرب وبعث الناصر قاضيه منذر بن سعيد لمشارفة احوالهما والاصلاح بينهما فتم ذلك
كما اراده ولحق به سنة خمس وثلثين اخوه البوري فاسر عسكر المنصور مع احمد بن بكر الجذامي
عامل فاس بعد ان لحق بابي يزيد فقصد احمد بن بكر الى فاس واقام بها متنكرا الى ان تقبض عاملها
حسن بن قاسم اللواتي وتخلى له عن العمل وصار البوري الى اخيه مدين واقتسم على اعمال
ابيه معه ومع ابيهما الاخر منقذ فكانوا ثلاث الاثافي واجاز البوري الى الناصر
سنة خمس وثلاثين فعقد له واكرم وفادته ومنقلبه وهلك سنة خمس واربعين
فعقد الناصر لابنه منصور على عمله وكانت وفاته وهو محاصر لاخيه مدين بفاس واجاز
ابناه ابو العيش ومنصور الى الناصر فاجرى لهما الكرامة على سنن ابيهما ثم هلك مدين
فعقد الناصر لاخيه ابي منقذ على عمله ثم غلب مغراوة على فاس واعمالها واستلحموا
اثرهم بالمغرب وازاحوا مكناسة عن ضواحيه واعماله وصاروا الى مواطنهم واجاز اسمعيل
ابن البوري ومحمد بن عبد الله بن مدين الى الاندلس فنزلوا بها الى ان اجازوا مع واضح ايام
المنصور ابي عامر بعد ما انتقض زيري بن عطية طاعتهم سنة ست وثمانين فملك واضح
المغرب ورجعهم الى عملهم وتغلب بلكين بن زيري على المغرب الاوسط وغلب على ملوكه
بني خزر من مغراوة فاتصلت يد مكناسة به ولم يزالوا في طاعة بني زيري ومظاهرتهم
وهلك اسماعيل بن البوري في حروب حماد مع باديس بشلف سنة خمس واربعمائة
وتوارث ملكهم في اعقاب موسى ابيهم المذكور الى ان ظهرت دولة المرابطين وغلب
يوسف بن تاشفين على اعمال المغرب فزحف اليهم القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن
ابراهيم بن موسى بن ابي العافية فاستدعى اهل فاس وصريخ زناتة بعد مهلك معنصر
المغراوي فلقى عساكر المرابطين بوادي صفير فهزمهم وزحف اليه يوسف بن تاشفين
من مكانه بحصار قلعة فازاز فهزمهم القاسم بن محمد وجموع مكناسة وزناتة ودخل
فاس عنوة كما ذكرناه في اخباره ثم زحف الى اعمال مكناسة فافتتح حصن تسول وقتل
القاسم وفي بعض تواريخ المغرب ان مهلك ابراهيم بن موسى كان سنة خمس واربعمائة
وولي ابنه عبد الله او عبد الرحمن وهلك سنة ثلاثين وولي ابنه محمد وهلك سنة
وولي ابنه القاسم وهلك بتسول عند اقتحام لمتونة عليه سنة ثلاث وستين
وانقرض ملك مكناسة من المغرب بانقراض ملك مغراوة والامر لله وحده وبقي من قبائل
مكناسة لهذا العهد بهذه المواطن افاريق في جبال تازى بعد ما ترشحت بهم الدول
واناخت بساحتهم الايام وهم موصوفون بوفور الجباية وقوة الشكيمة ولهم غناء
في مظاهرة الدولة وحقوق عند الجند والعسكر وفيهم ميول من الخيالة ومن مكناسة
غير هولاء اوزاع في القبائل لهذا العهد مفترقون في نواحي افريقية والمغرب الاوسط
ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وهذا اخر الكلام في بني
ورصطف فلنرجع الى من بقي علينا من البربر وهم زناتة والله ولي العون سبحانه

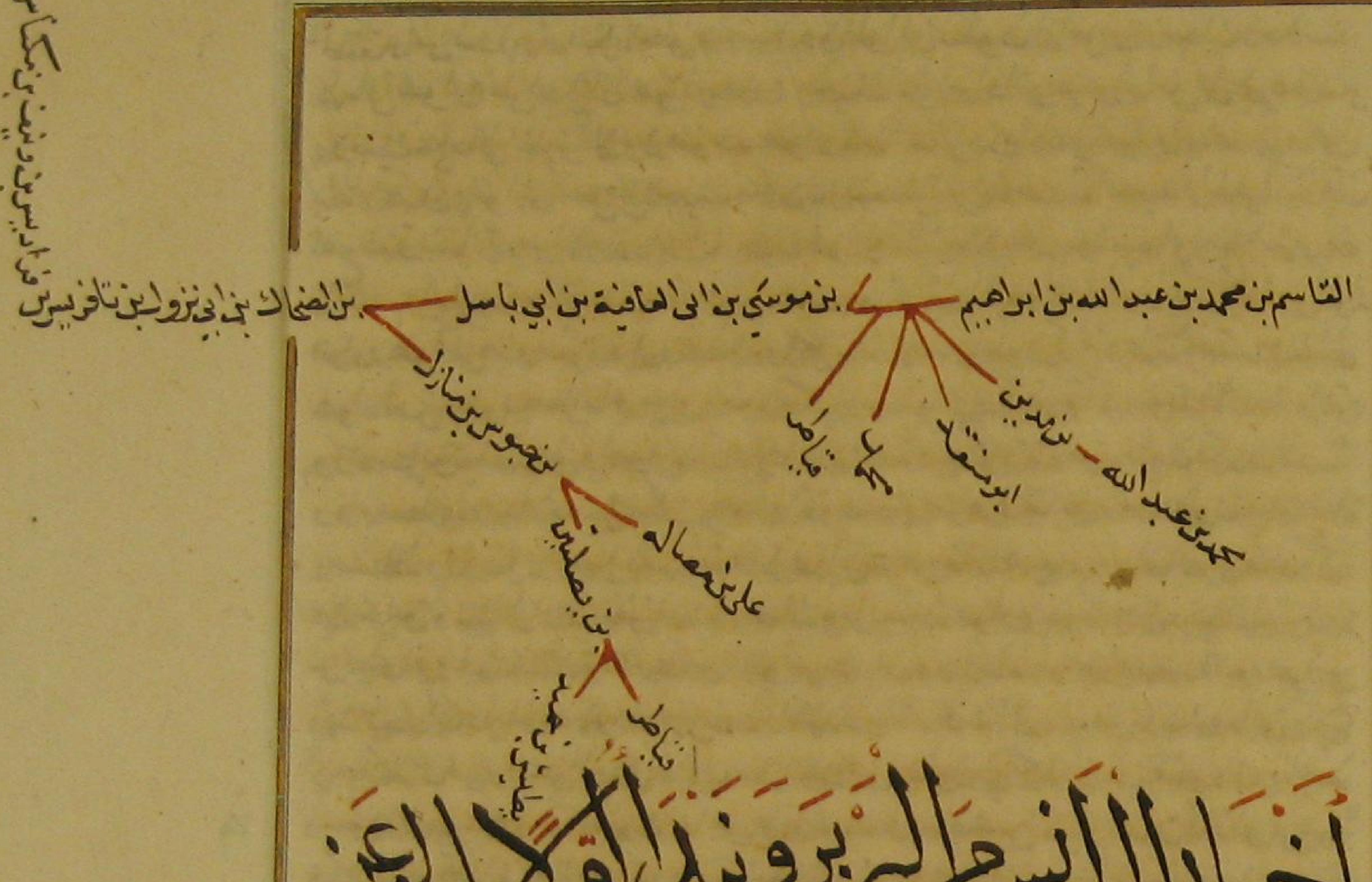
القاسم بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم
بن موسى بن ابي العافية بن ابي باسل
بن الضحاك بن ابي يزول بن تافرسين
بن فرادس بن ونيف بن مكناس
مدين
محمد بن عبد الله
ابو منقذ
محمد
قاسم
منصور بن منازل
علي بن مصالة
بن بطلين

اخبار البرانس من البربر ونبدا اولا بالخبر عن هوارة من شعوبهم وذكر بطونهم

وتصاريف احوالهم وافتراق شعوبهم في عمالات افريقية والمغرب

وهوارة هولاء من بطون البرانس باتفاق من نسابة البربر والعرب من ولد هوار بن
اوريغ بن برنس الا ابا محمد بعضهم انهم من عرب اليمن تارة يقولون من عاملة احدى بطون
قضاعة وتارة يقولون من ولد المسور بن السكاسك بن وائل بن حمير واذا اخروا الصواب
يقولون المسور بن السكاسك بن اشرس بن كندة وينسبونه هكذا هوار بن اوريغ بن
حبوز بن المثنى بن المسور وعند هولاء ان هوارة وصنهاجة ولمطة وكزولة وهسكورة
يعرف جميعهم ببني ينصكي وان المسور جدهم جميعا وانه وقع الى البربر ونزل على بني زحيك
ابن ماد غيس الابتر وكانوا اربعة اخوة لوا وضريس واداس ونفوس وانهم زوجوه
اختهم بنصكا العرجا بنت زحيك فولدت منه المثنى ابو هوارة وتزوجها بعد المسور عاتيل
ابن زعزاع بن صنهاجة ولمطة وكزولة وهسكورة كما ياتي بعد فهم اخوة المثنى لامه
وبها عرف جميعهم قالوا وولد المثنى بن المسور حبوز وولد حبوز بن المثنى اوريغ الذي
يقال لها وريغ بن برنس ومنه تفرقت قبايل هوارة قالوا وانما سميت هوارة لان
المسور لما جاز البلاد ووقع بالمغرب قال لقد تهورنا هكذا عند نسابة البربر وعندي
والله اعلم ان هذا الخبر مصنوع وان اثر الصنعة باد عليه وبعض ذلك ان

المحققين من نسابتهم مثل لاحق واصحابه قالوا ان بطون اداس بن زحيك دخلت كلها في هوارة من اجل ان هوار خلف زحيك على ام اداس فربي اداس في حجره واداس وزحيك على ما في الخبر الاول هو جد هوار لان المثنى جده الاعلى هو ابن بيصكي وهي بنت زحيك فهو الخامس من زحيك فكيف يخلفه على امراته هذا بعيد والخبر الثاني اصح عند نسابتهم من الاول واما بطون هوارة فكثيرة واكثرهم بنو ابيه اوريغ اشتهر وانتسبه لشهرته وكثر نسله من بينهم فانتسبوا جميعا اليه وكان لاوريغ اربعة من الولد هوار وهو اكبرهم ومغر وقلدن وملد ولكل واحد منهم بطون كثيرة وكلهم ينتسبون الى هوار فمن بطون مغر ماوس وزمور وكبا ومسراي ذكر هذه البطون الاربعة ابن حزم وزاد سابق المطماطي واصحابه ورجين ومنداسة وكركودة ومن بطون قلدن قمصانة وورصطيف وبيانة وبل ذكر هذه الاربعة ابن حزم وسابق ومن بطون ملد مليلة وسطط وورفل واسيل ومسراتة ذكرها ابن حزم وقال جميعهم بنو لهان بن ملد وكذا عند سابق ويقال ان ونيفن ايضا من لهانة ومن بطون هوارة بنو كملان ويقال ان مليلة من بطونهم وعند نسابة البربر من بطونهم غريان وورغة وزكاوة ومسلاتة ومجريس ويقال ان ونيفن منهم ومجريس لهذا العهد ينتسبون الى ونيفن وعند سابق واصحابه ان بني كملان من ورجين احد بطون مغر وان من بطون بني كملان بني كسي وورتاجط وسوف وهوارة واما بطون اداس بن زحيك بن مادغيس الابتر الذين دخلوا في هوارة فكثير منهم هراغة وترهونة ووشتاتة واندارة وهنزونة واوطيطة وصنبرة هولاء باتفاق من ابن حزم وسابق واصحابه

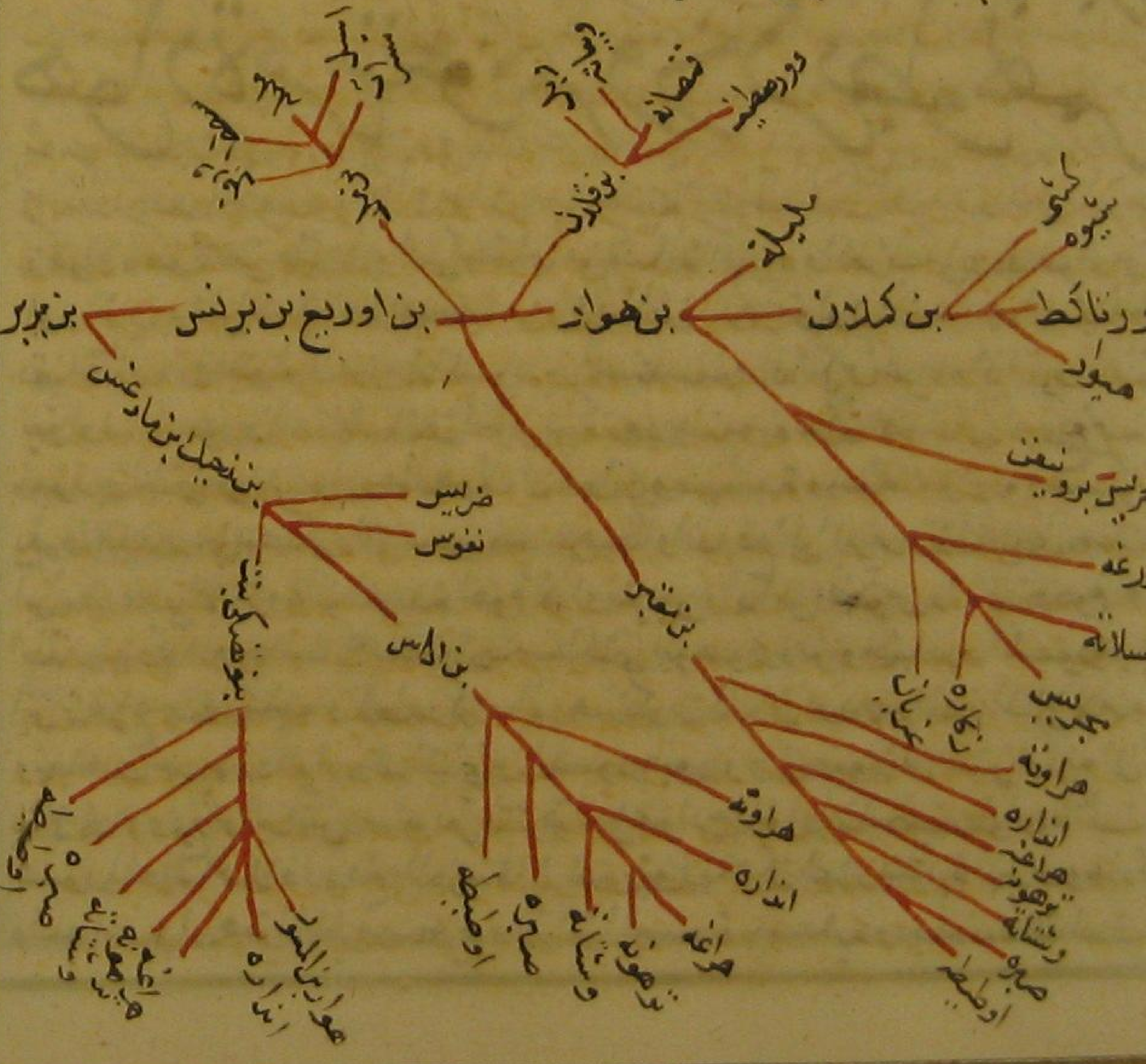

وكانت

وكانت مواطن الجمهور من هوارة هولاء ومن دخل في نسبهم من اخوانهم من البرانس والبتر لاول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة كما ذكره المسعودي والبكري وكانوا ظواعن واهلين ومنهم من قطع الرمل الى بلاد القفر وجاوروا اللمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه افريقية ويعرفون بنسبهم هكارة قلبت العجمة واوها كافا اعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف وكان لهم في الردة وحروبها اثار ومقامات ثم كان لهم في الخارجية والقيام بها ذكر وخصوصا بالاباضية منها وخرج على حنظلة منهم عبد الواحد بن يزيد مع عكاشة الفزاري فكانت بينهما وبين ابن حاتم سنة ست وخمسين ومائة يحيى بن فوناس منهم واجتمع اليه كثير من قومه وغيرهم وزحف الى قائد طرابلس عبد الله بن السمط الكندي على شاطئ البحر بسوارية من سواحلهم فانهزم وقتل عامة هوارة وكان منهم مع عبد الرحمن بن حبيب مجاهد بن مسلم من قواده ثم اجاز منهم الى الاندلس مع طارق رجالات مذكورون واستقروا هنالك وكان من خلفهم بنو عامر بن وهب امير رندة ايام لمتونة وبنو ذي النون الذين ملكوها من ايديهم واستضافوا معها طليطلة وبنو رزين اصحاب السهلة ثم ثارت هوارة من بعد ذلك على ابراهيم بن الاغلب سنة ست وتسعين ومائة وعاصروا طرابلس وافتتحوها وخربوها وتولى كبر ذلك منهم عياض بن وهب وسرح ابراهيم اليهم ابنه ابا العباس
بهم فهزمهم وقتلهم وبنى طرابلس وجاءت هوارة بعبد الوهاب بن رستم من مكان امارته بتاهرت فجاء بهم واجتمعوا اليه ومعهم قبائل نفوسة وحاصروا ابا العباس بن الاغلب بطرابلس الى ان هلك ابوه ابراهيم بالقيروان وقد عهد اليه فصالحهم على ان تكون الضاحية لهم وانصرف عبد الوهاب الى نفوسة ثم اصبحوا بعد ذلك وغزوا مع الجيوش صقلية وشهد فتحها منهم زواوة بن نعم الحلف ثم كان لهم مع ابي يزيد النكاري وفي حروبه مقامات مذكورة اجتمعوا اليه من مواطنهم جبل اوراس وقرطاجنة لما غلب عليها واخذ اهلها بدعوته فانحاشوا الى ولايته وفعلوا الافاعيل وكان من اعظمهم في تلك الفتنة بنو كملان ولما هلك ابو يزيد كما ذكرنا سطا اسماعيل المنصور بهم واثخن فيهم وانقطع ذكر بني كملان ثم جرت الدول عليهم اذيالها واناخت بكلاكلها واصبحوا في عداد القبائل الغارمة من كل ناحية فمنهم لهذا العهد بمصر اوزاع متفرقون اوطنوها الكرم وعمارة وشاوية واخرون موطنون ما بين برقة والاسكندرية يعرفون بالمثانية ويظعنون مع العزة من بطون هيب بن سليم ومنهم بارض التلول من افريقية ما بين تبسة الى مرماجنة الى باجة ظواعن صاروا في عداد الناجعة من عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الابل وممارسة الحروب وايلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم فاولهم مما يلي تبسة قبيلة ونيفن ورياستهم لهذا العهد في ولد بعرة بن حناش لاولاد سليم بن عبد الواحد بن عسكر بن محمد بن بعرة ثم لاولاد زيتون بن محمد بن بعرة ولاولاد حماد بن فلان بن بعرة وكانت الرياسة قبلهم لبيانة من بطون ونيفن ومواطنهم ما بين مرماجنة وتبسة وما اليهما ويليهم قبيلة اخرى في الجانب الشرقي منهم يعرفون بنبيصر ورياستهم في بيت بني موسى

مابين زغازغ وولد حركات ومواطنهم بمضاربه وما اليها من نواحي الاريس ويليهم
الى جانبها الشرق قبيلة اخرى منهم يعرفون ببصوص ورياستهم في بيت لومامنة لولد سليمان
ابن جامع منهم ويرادفهم في رياسة بصوص قبيلة ورغاية ومواطنهم ما بين تبسة الى
حامة الى جبل الزغار الاطار على ساحل تونس وبسايطها ويجاورهم متساحلين الى
نواحي باجة قبيلة اخرى من هوارة يعرفون ببني سليم ومعهم بطن من عرب مضر من هذيل
ابن مدركة بن الياس جاؤا من مواطنهم بالحجاز مع العرب الهلاليين عند دخولهم الى المغرب
واوطنوا بهذه الناحية من افريقية واختلطوا بهوارة وحملوا في عدادهم ومعهم ايضا
بطن اخر من بطون رياح بن هلال ينتمون الى عتبة بن مالك بن رياح صاروا في عدادهم
وجروا على مجراهم من الظعن والمغرم ومعهم ايضا بطن من مرداس بن سليم يعرفون ببني
حبيب ويقولون هو حبيب بن مالك وهم غرامة مثل ساير هوارة وضواحي افريقية
لهذا العهد معمورة بهولاء الظواعن ومعظمهم من هولاء وهم اهل بقر وشاء وركوب
للخيل والسلطان بافريقية عليهم وظايف من الجباية وضعها عليهم دهاقين العمال
بديوان الخراج قوانين معتدة وتضرب عليهم مع ذلك البعث في غزوات السلطان
بعسكر مفروض يحضر بمعسكر السلطان متى استنفر وللامراء ولروسايهم ازاء ذلك
اقطاعات ومكان في الدولة بين رجالات البدو ومن بطون هوارة بمواطنهم الاولى من
نواحي طرابلس ظواعن واهلون توزعتهم العرب من دياب فيما توزعوه من الرعايا
وغلبوهم على امرهم منذ ضحا عنهم من ظل الدولة فتملكوهم تملك العبيد للجباية
منهم والاستكثار بهم في الانتجاع والحرب مثل ترهونة وورفلة الظواعن ومجريس
الموطنين بزنزور ودمر وبنيفن وهي قرية من قرى طرابلس ومن هوارة هولاء باخر عمل
طرابلس مما يلي بلد سرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراتة لهم كثرة واعتزاز ووضايع
العرب عليهم قليلة ويعطونها عن عزة وكثيرا ما يتقلبون في سبيل التجارة ببلاد مصر
والاسكندرية وبلاد الجريد من افريقية وبارض السودان الى هذا العهد واعلم
ان في قبلة فاس وطرابلس جبالا متصلا بعضها ببعض من الغرب الى الشرق فاولها
من جانب الغرب جبل دمر يسكنه امم من لواتة ويتصلون في بسيطه الى قابس وصفاقص
من جانب الغرب وامم اخرى من نفوسة من جانب الشرق وفي طوله سبع مراحل ويتصل
به من قبلته جبل نفوسة تسكنه امة كثيرة من نفوسة ومغراوة وسدراتة وهو قبلة هو
طرابلس على ثلاث مراحل عنها وفي طوله سبع مراحل ويتصل به من جانب الشرق جبل مسلاتة
ويعمره قبايل هوارة الى بلد مسراتة وينتهي الى بلد سرت وبرقة وهو اخر جبال طرابلس
وكانت هذه الجبال من مواطن هوارة ونفوسة ولواتة وهنالك كانت مدينة صبرة بلد
نفوسة قبل الفتح وكانت برقة من مواطن هوارة هولاء ومنهم كان بنو خطاب ملوك
زويلة احدى امصار برقة كانت قاعدة ملكهم حتى عرفت بهم فكان يقال زويلة بني خطاب
ولما خربت انتقلوا منها الى فزان من بلاد الصحراء واوطنوها وكان لهم بها ملك ودولة
حتى اذ جاء قراقوش الغزي الناصري مملوك تقي الدين ابن اخي صلاح الدين من مصر
في المائة السادسة كما نذكر في مكانه عند ذكر الموحدين من مسوفة واخبارهم وافتتح
ذلك واوجله افتتح فزان بعدها وتقبض على ملكها محمد بن خطاب بن يصلاتن بن عبد الله

ابن

ابن صقل بن خطاب اخر ملوكهم وامتحنه وطالبه بالاموال وبسط عليه العذاب الى ان
هلك وانقرض امر بني خطاب هولاء الهواريين ومن قبايل هوارة هولاء بالمغرب
امم كثيرة في مواطن من اعماله تعرف بهم ظواعن شاوية تنتجع لسرحها لنواحيه وقد صاروا
عبيدا للمغارم في كل ناحية وذهب ما كان لهم من الاعتزاز والمنعة ايام الفتوحات
بسبب الكثرة وصاروا الى الافتراق والذلة بسبب القلة والله مالك الامور ومن
اشهرهم بالمغرب الاوسط اهل الجبل المطل على البطحاء وهو مشهور باسم هوارة وفيه
من مسراتة وغيرهم من بطونهم ويعرف روساوهم ببني اسحاق وكان الجبل من قبلهم فيما
زعموا لبني يلومين فلما انقرضوا صار اليه هوارة واوطنوه وكانت رياستهم
في بني عبد العزيز منهم ثم ظهر من بني عمهم رجل اسمه اسحاق واستعمله ملوك القلعة
وصارت رياستهم في عقبة بني اسحاق واختط كبيرهم محمد بن اسحاق القلعة المنسوبة
اليهم وورث رياسته فيهم ابنه حيون وصارت في عقبه واتصلوا بالسلطان ايام
ملك بني عبد الواد على المغرب الاوسط وانتظموا في صنايعهم واستعمل ابو تاشفين
من ملوكهم يعقوب بن يوسف بن حيون منهم قايدا على بني توجين عندما غلبهم على
امرهم وفرض المغارم عليهم فقام بها احسن قيام ودوخ بلادهم وذلل من عزهم
وبعد ان غلب بنو مرين بني عبد الواد على المغرب الاوسط استعمل السلطان
ابو الحسن عبد الرحمن بن يعقوب على قبيلة هولاء ثم استعمل بعده عمه عبد الرحمن
ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن بن يوسف ثم تلاشى حال هذا القبيل وخف ساكن الجبل
بما اصطلمتهم دولة بني عبد الواد واجحفت بهم في المغارم بالظلامات وانقرض
بيت بني اسحاق والامر على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها

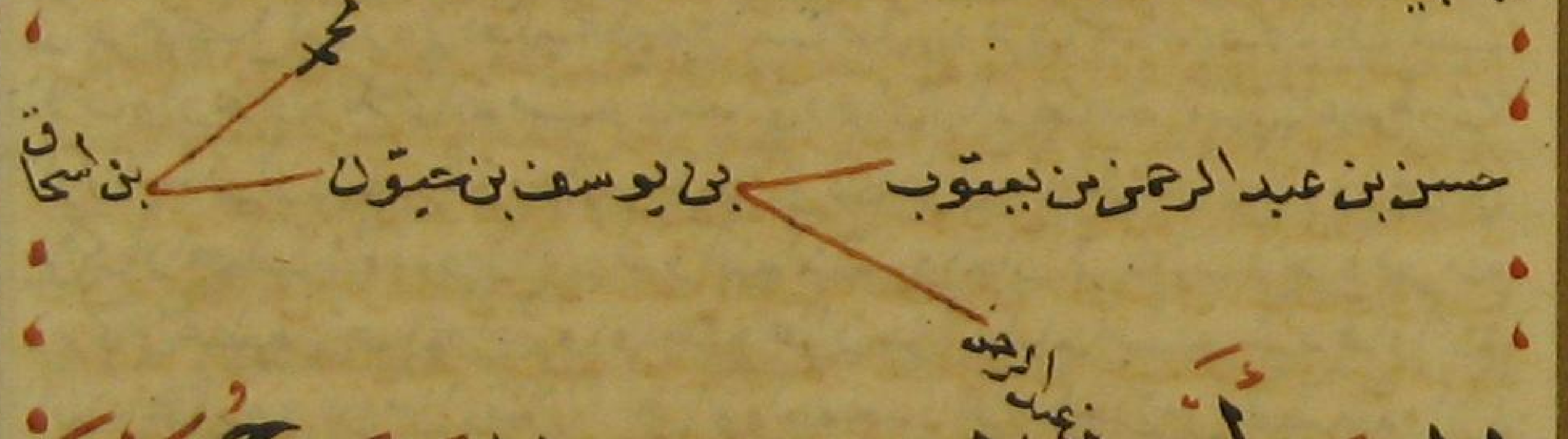

الخبر عن ازداجة ومسطاسة وعجيسة

من بطون البرانس ووصف احوالهم

اما ازداجة ويعرفون ايضا بوزداجة فمن بطون البرانس وكثير من نسابة البربر
يعدونهم في بطون زناتة وقد يقال ان ازداجة من زناتة ووزداجة من هوارة
وانهما بطنان مفترقان وكان لهم وفور وكثرة وكان موطنهم بالمغرب الاوسط
بناحية وهران وكان لهم اعتزاز واثار في الفتن والحروب ومسطاسة مندرجون
معهم فيقال انهم من عداد بطونهم ويقال انهم اخوة وان مسطاس اخو وزداج
والله اعلم وكان من رجالاتهم المذكورين شجرة بن عبد الكريم المسطاسي وابو دليم

ابن خطاب واجاز ابو ليلى الى الاندلس من ساحل تلمسان وكان لبنيه بها ذكر وفي فقهاء
قرطبة مكان وكان من بطون ازداجة بنو مسقن وكانوا يجاورون وهران ونزل
موسى وهران من رجال الدولة الاموية محمد بن ابي عون ومحمد بن عبدون فداخلوا
بني مسكن وملكوا وهران سبع سنين مقيمين فيها الدعوة الاموية فلما ظهرت
دعوة الشيعة وملك عبيد الله المهدي تاهرت وولى عليها دواس بن صولات اللهيصي
من كتامة واخذت البرابرة بدعوتهم واوعز اليهم دواس بحصار وهران فزحفوا
اليها سنة سبع وتسعين ودخلوا على بني مسكن فاجابوهم وفر محمد بن ابي عون
فلحق به دواس بن صولات واستبيحت وهران واضطرمت نارا ثم جدد بناها دواس
واعاد محمد بن عون الى ولايتها فعادت احسن ما كانت واستولى تلمسان لذلك العهد
من الادارسة بنو احمد بن محمد بن سليمان وسليمان هو اخو ادريس الاكبر كما ذكرنا
وكانوا يقيمون دعوة الاموية لذلك العهد ثم ولي على تاهرت ايام ابي القاسم
ابن عبيد الله ابا مالك يغمراسن بن ابي شحمة وانتقض عليه البربر وحاصروه عندما
زحف ابن ابي العافية الى المغرب الاوسط بدعوة المروانية وكان ممن اخذ بها محمد
ابن ابي عون صاحب وهران وسرح ابو القاسم ميسور مولاه الى المغرب واتاه محمد
ابن عون طاعته فتقبلها واقره على عمله ثم نكث محمد بن عون عند منصرف ميسور
من المغرب وراجع طاعة المروانية ثم كان شان ابي يزيد وانتقض سائر البرابرة
على العبيديين واستفحل امر زناتة واخذوا بدعوة المروانيين وكان الناصر
قد عقد ليعلى بن محمد اليفرني على المغرب فخاطبهم واوعز محمد بن عون وقبائل
ازداجة في الطاعة للعداوة بين القبيلتين بالمجاورة وزحف الى ازداجة
فحاصرهم بجبل كيدزة ثم تغلب عليهم واستاصلهم وفرق جماعتهم وذلك لسنة
ثلاث واربعين وثلاثمائة ثم زحف الى وهران ونازلها ثم افتتحها عنوة واضرمها
نارا واستلحم ازداجة ولحق رجالهم بالاندلس فكانوا بها وكان منهم خزرون بن محمد
من كبار اصحاب المنصور بن ابي عامر وابنه المظفر واجاز الى المغرب في حروبهم مع
زيري بن عطية في جملة واضح واقامت وهران خرابا اياما ثم شيدها وانتقل
اليها باهله وولده من ازداجة وبقي ازداجة بعد ذلك على حال من الهضيمة والذلة
وانضووا في عداد المغارم من القبائل واما عجيسة وهم من بطون البرانس
من ولد عجيسة بن برنس ومدلول هذا الاسم البطن فان البربر يسمون البطن
بلغتهم عدس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيما مخففة وكان
لهم بين البربر كثرة وظهور وكانوا مجاورين في مواطنهم لصنهاجة وبقاياهم
لهذا العهد في ضواحي تدلس والجبال المطلة على المسيلة وكانت امة منهم
يسكنون جبل القلعة وكان لهم في فتنة ابي يزيد اثر ولما هزمه المنصور لجا
اليهم واعتصم بقلعة كتامة من حصونهم حتى اقتحم عليه ثم اراد حماد بن بلكين من
بعد ذلك مكانا لبناء مدينة فاختطها بينهم ونزلها ووسع خطتها واستبحر
عمرانها وكانت حاضرة ملك آل حماد فاختلطت هذه المدينة من جبل عجيسة لما نشبت
بهم وحضرت من شوكتهم ورأموا كيد القلعة مرارا واجلبوا على ملوكها بالاعياص

منهم

منهم فاستلحمهم السيف ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورث مواطنهم بذلك الجبل
عياض من افاريق العرب الهلاليين وسمي الجبل بهم وفي القبائل بالمغرب كثير من عجيسة
هؤلاء مستقرون فيهم

الخبر عن اوربة من بطون البرانس وما كان لهم من الردة والثورة وما صار اليه امرهم من الدعاء لادريس الاكبر

كانت البطون التي فيها الكثرة والغلب من هؤلاء البربر كلهم لعهد الفتح اوربة وهوارة
وصنهاجة وكتامة من البرانس ونفوسة وزناتة ومطغرة ونفزاوة من البتر وكان
التقدم لعهد الفتح لاوربة هؤلاء بما كانوا اكثر عددا واشد باسا وقوة وهم من ولد
اورب بن برنس وهم بطون كثيرة فمنهم نجابة وانغاسة ونيجة وزهكوجة
ومزيانة ورغيوة وديغوسة وكان اميرهم بين يدي الفتح سكرديد بن رومي بن
بارزت ولي عليهم ثلاثا وسبعين سنة وادرك الفتح الاسلامي ومات سنة
احدى وسبعين وولي عليهم من بعده كسيلة بن لمزم الاوربي فكان اميرا على البرانس كلهم
ولما نزل ابو المهاجر تلمسان سنة خمس وخمسين كان كسيلة بن لمزم مرتدا
بالمغرب الاقصى في جموعه من اوربة وغيرهم فظفر به ابو المهاجر واراده على الاسلام
فاسلم واستبقاه واحسن اليه وصحبه وقدم عقبة في الولاية الثانية ايام
يزيد سنة ثنتين وستين فاضطغن عليه صحابته لابي المهاجر وتقدم ابو المهاجر
في اصطناعه فلم يقبل وزحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوي
فدوخه ولقيه ملوك البربر ومن انضم اليهم من الفرنجة بالزاب وتاهرت فهزمهم
واستباحهم واذعن له بليان امير غمارة ولاطفه وهاداه ودله على عورات البرابرة
ووراءه بوليلة والسوس وما وراءهما من مجالات الملثمين فغنم وسبا وانتهى الى ساحل
البحر وقفل ظافرا وكان في غزاته تلك يستهين بكسيلة ويستخف به وهو في اعتقاله
وامر يوما بسلخ شاة بين يديه فدفعها الى غلمانه واراده عقبة على ان يتولاها بنفسه
وانتهره فقام كسيلة اليها مغضبا وجعل كلما دس يده في الشاة مسح بلحيته والعرب
يقولون ما هذا يا بربري فيقول هذا جيد للشعر فقال لهم شيخ منهم ان البربري
يتوعدكم وبلغ ذلك ابا المهاجر فنهى عقبة عنه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستالف جبابرة العرب وانت تعمد الى رجل جبار في قومه بدار عزه قريب عهد بالشرك
فتفسد قلبه واشار عليه بان يستوثق منه وخوفه فتكه فتهاون عقبة بقوله
فلما قفل من غزاته وانتهى الى طبنة صرف العساكر الى القيروان افواجا ثقة بما دوخ من
البلاد واذل من البربر حتى بقي في قليل من الناس وسار الى تهودة او بادس لينزل بها
الحامية فلما انتهى اليه الفرنجة طمعوا فيه وراسلوا كسيلة بن لمزم ودلوه على الفرصة
فيه فانتهزها وراسل بني عمه ومن تبعهم من البربر واتبعوا عقبة حتى اذا غشوه
بتهودة ترجل القوم وكسروا اجفان سيوفهم ونزل الصبر واستلحم عقبة واصحابه

رضي الله عنهم ولم يفلت منهم احد وكانوا زهي ثلاثماية من كبار الصحابة والتابعين ه
استشهدوا في مصرع واحد وفيهم ابو المهاجر كان اصحبه في اعتقاله فابلى رضي الله
عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن واحد اولياء الشهداء عقبة واصحابه بمكانهم ذلك
من ارض الزاب لهذا العهد وقد جعل علي قبر عقبة اسنمة ثم جصص واتخذ عليه
مسجد عرف باسمه وهو في عداد المزارات ومظان البركة بل هو اشرف مزور من الاجداث
في بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ
ظ نصيفه
احد مد احدهم ولا يطيقه واسر من الصحابة يوميذ محمد بن اوس الانصاري ويزيد
ابن خلف العبسي ونفر معهما ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة وكان زهير بن قيس
البلوي بالقيروان وبلغه الخبر فخرج هاربا بانقل المسلمين ونزل برقة واقام بها ينتظر
المدد من الخلفا واجتمع الي كسيلة جميع اهل المغرب من البربر والفرنجة وزحف الى
القيروان فخرج العرب منها ولحقوا بزهير بن قيس وبقي بها اصحاب الذراري والاثقال
فامنهم فدخل القيروان واقام اميرا على افريقية ومن بقي بها من العرب خمس سنين
وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع المراونة بمرج راهط
وحروب ال الزبير فاضطرب امر الخلافة بعض الشي واضطرم المغرب نارا وفشت
الردة في زناتة والبرانس ثم استقل عبد الملك بن مروان من بعد ذلك بالخلافة
واذهب بالمشرق اثار الفتنة وكان زهير بن قيس مقيما منذ مهلك عقبة فبعث
اليه بالمدد وولاه حرب البرابرة والثار بدم عقبة فزحف اليها في الاف من العرب سنة
تسع وستين وجمع كسيلة البرانس وساير البربر ولقيه بممس من نواحي القيروان
واشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم
واتبعهم العرب الي مرمجنة ثم الى ملوية وذل البربر ولجوا الى القلاع والحصون وخضد
شوكة اوربة من بينهم واستقر جمهورهم بديار المغرب الاقصى فلم يكن لهم بعد ها ذكر
واستولوا على مدينة وليلي بالمغرب كانت ما بين فاس ومكناسة بجانب جبل زرهون
واقاموا على ذلك والجيوش من القيروان تدوخ المغرب مرة بعد اخرى الى ان خرج محمد بن
عبد الله بن حسن بن الحسن على ايام المنصور وقتل بالمدينة سنة خمس واربعين
ثم خرج بعده ابن عمه حسين بن علي بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط
ايام الهادي وقتل بفخ على ثلاثة اميال من مكة سنة تسع وستين وماية واستلحم
كثير من اهل بيته وفر ادريس بن عبد الله الى المغرب ونزل على اوربة سنة ثنتين ه
محمد بن ح
وسبعين واميرهم يوميذ ابو ليلى اسحاق بن عبد الحميد منهم فاجاره وجمع البرابر
على دعوته واجتمعت عليه زواغة ولواتة وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة
وغمارة وكافة برابرة المغرب فبايعوه وقاموا بامره وتم له الملك والسلطان بالمغرب
وكانت الدولة التي ورثها اعقابه الى حين انقراضها كما ذكرناه بجدول الفاطميين

الخبر عن كتامة من بطون البرانس وما كان لهم من العز والظهور على القبائل وكيف تناولوا الملك من ايدي الاغالبة بدعوة

الشيعة

الشيعة هذا القبيل من قبايل البربر بالمغرب واشدهم باسا وقوة واطولهم باعا في الملك
وهم عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس ويقال كتم ونسابة العرب يقولون انهم من حمير
ذكره الكلبي والطبري وان افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة وهو الذي
افتتح افريقية وبه سميت وقيل ملكها جرجير وسمى البربر بهذا الاسم كما ذكرناه فتاك
واقام في البربر من حمير صنهاجة وكتامة فهم الى اليوم اليمني وتشعبوا في المغرب ه
واستولوا على نواحيه الا ان جمهورهم كانوا لاول الملة بعد هيج الردة وطيحة تلال العيص
طبنه
بارياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل اوراس من ناحية القبلة وكانت تلك المواطن
بلاد مذكورة اكثرها لهم وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل ايكجان وسطيف وباغاية
ونقاوس وبلزمة وتيكست وميلة وقسنطينة والسكرة والقل وجيجل من حدود جبل
اوراس الى سيف البحر ما بين بجاية وبونة وكانت بطونهم كثيرة يجمعها كلها غرسن ويسوده
ابنا كتم بن برنس فمن يسوده فلاسة ودنهاجة ومتوسة ووريسن كلهم بنو يسوده
ابن كتم والى دنهاجة ينتسب فصر كتامة بالمغرب لهذا العهد ومن غرسن مصالة وقلان
وماوطن ومعاذ بنو غرسن بن كتم ولهيصة وجيملة ومسالتة بنو يناوه بن غرسن
ولطاية واجانة وغشمان واوفاس بنو ينطاس بن غرسن وملوسة من ابان بن غرسن
ومن ملوسة هولاء بنو زلدوي اهل الجبل المطل على قسنطينة لهذا العهد ويعد البربر
من كتامة بني يستيتن وهشتيوة ومسالتة وبني قنسيلة وعد ابن حزم منهم زواوة بجميع
بطونهم وهو الحق على ما تقدم وكان من هذه البطون بالمغرب الاقصى كثير متبذوين عن
مواطنهم وهم بها الى اليوم ولم يزل اهل هذه المواطن وعلى هذه الحالة من لدن ظهور الملة
وملك المغرب الى دولة الاغالبة ولم تكن الدولة تسومهم بهضيمة ولا تنال منهم بعسف
لاعتزازهم بكثرة جموعهم كما ذكره ابن الرقيق في تاريخه الى ان كان من قيامهم
بدعوة الشيعة ما ذكرناه في دولتهم عند ذكر دول الفاطميين اثر دولة بني العباس
فانظره هنالك وتصححه تجد تفصيله ولما صار لهم الملك بالمغرب زحفوا الى المشرق
فملكوا الاسكندرية ومصر والشام واختطوا القاهرة اعظم الامصار بمصر وارتحل المعز
رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامة على قبائلهم واستعملت الدولة هنالك وهلكوا
في ترفها وبذخها وبقي في مواطنهم الاولى بجبل اوراس وما حواليه من البسايط بقايا من
قبايلهم على اسمائهم والقابها واخرون تغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم الا من
اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبلهم واهل جبل جيجل وزواوة ايضا في جبالهم
واما البسايط فاشهر من فيها منهم قبايل سدويكش ورياستهم في اولاد سواق ولا ادري
الذين يرجعون من قبايل كتامة المسمين في هذا الكتاب معهم باتفاق من اهل الاخبار ونحن
الان ذاكرون ما عرفناه من اخبارهم المتاخرة بعد دولة كتامة والله ولي التوفيق

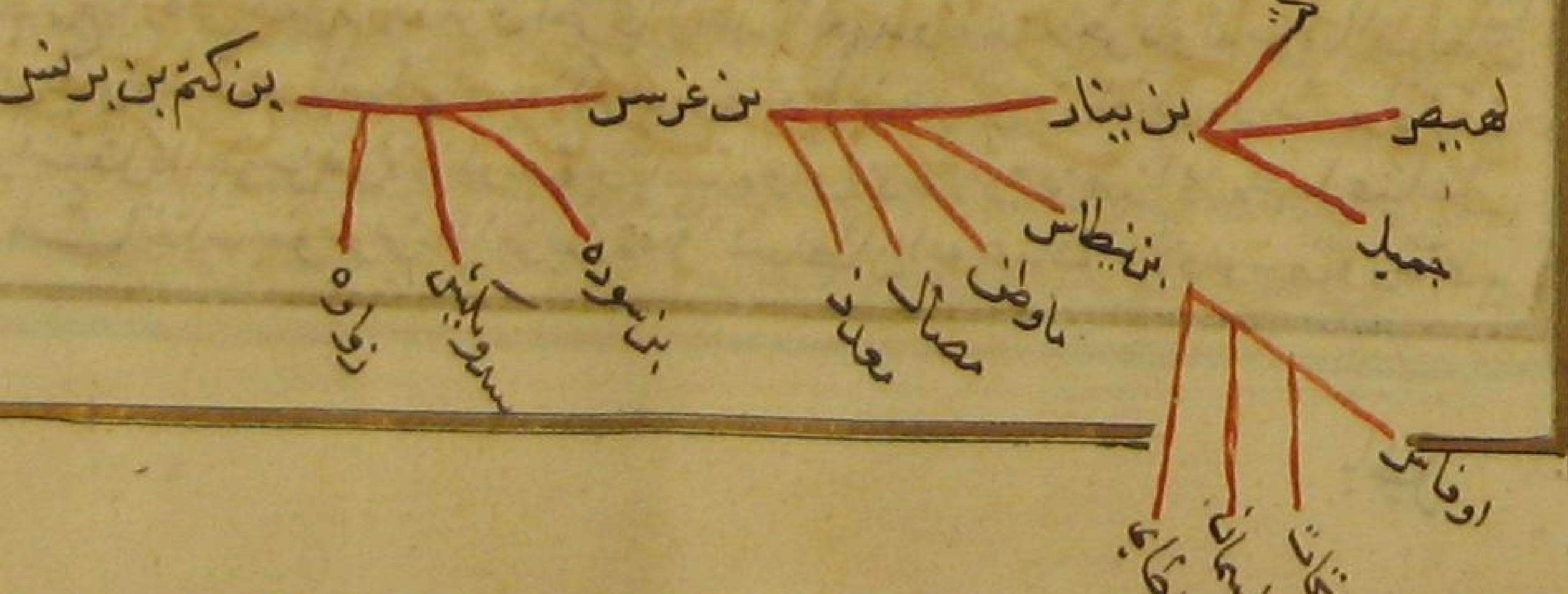

الخبر عن سدويكش ومن اليهم من بقايا كتامة

في مواطنهم

هذا الحي لهذا العهد وما قبله من العصور يعرفون بسدويكش وديارهم في مواطن كتامة
ما بين قسنطينة وبجاية في البسايط منها ولهم بطون كثيرة مثل سيلين وطرسون
وطرغيان وموليت وبني قنشة وبني لماي وكايارة وبني زغلان والبورغ وبني مرواز
ووارمكس وسكدال وبني عيار وفيهم من لماية ومكلاتة وريغة والرياسة على جميعهم
في بطن منهم يعرفون اولاد سواق لهم جمع وقوة وعديد وعدة وكان جميع هذه البطون
رعايا لهم غارمة فيمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الابل والبقر ولهم
مع الدول في ذلك الوطن استقامة ونزوع شان القبايل الاعزة من العرب لهذا العهد
وهم يستنكفون من نسب كتامة ويفرون منه لما وقع منذ اربعماية سنة من النكير
على كتامة بانتحال الرافضة وعداوة الدول بعدهم فينتفون من الانتساب اليهم
وربما انتسبوا الى سليم من قبايل مضر وليس ذلك بصحيح وانما هم من بطون كتامة
وقد ذكرهم مورخوا صنهاجة بهذا النسب وشهد لذلك الموطن الذي استوطنوه
من افريقية ويذكر نسابتهم ومورخوهم ان موطن اولاد سواق منهم كان في قلاع
بني بوخضرة من نواحي قسنطينة ومنه انتقلوا وانتشروا في ساير تلك الجهات واولاد
سواق بطنان وهم اولاد علاوة بن سواق واولاد يوسف بن حمو بن سواق فاما
اولاد علاوة فكانت الرياسة على قبايل سدويكش لهم فيما سمعناه من مشيختنا واذ
ذاك كان لعهد دولة الموحدين وكان منهم علي بن علاوة وبعده ابنه طلحة بن علي وبعده
اخوه عيسى بن علي وبعده اخوهما منديل بن علي وعزل بتازير ابن اخيه طلحة ولما
بويع السلطان ابو يحيى بقسنطينة سنة عشر من هذه الماية وقع من تازير انحراف
عن طاعته واعتلق بطاعة ابن الخلوف ببجاية فقد دعوصا منه عمه منديل ثم
استبدل منهم اجمعين باولاد يوسف وزحموا اولاد علاوة واخرجوهم من الوطن فصاروا
الى عياض من افاريق هلال وسكنوا الى جوارهم بجبلهم الذي اوطنوه المطل على المسيلة
وانتقلت الرياسة على سدويكش الى اولاد يوسف وهم لهذا العهد اربع قبايل بنو
محمد بن يوسف وبنو المهدي بن يوسف وبنو ابراهيم بن يوسف والعزيزيون وهم بنو
منديل وظافر وحربي وسيد الملوك والعباس وعيسى والستة اولاد يوسف وهم
اشقا وامهم تاعزيزت فانتسبوا اليها واولاد محمد والعزيزيون يوطنون بنواحي بجاية
واولاد المهدي وابراهيم بنواحي قسنطينة وما زالت الرياسة في هذه القبايل الاربع
تجتمع تارة في بعضهم وتفترق اخرى الى هذا العهد وكانت لاخر دولة مولانا السلطان
ابي يحيى اجتمعت رياستهم لعبد الكريم بن منديل بن عيسى بن العزيز ثم افترقت
واستقل كل بطن من هولاء الاربعة برياسته واولاد علاوة في هذا كله بجبل عياض
ولما تغلب بنو مرين على افريقية ملك السلطان ابو عنان اولاد يوسف ورماهم

بالميل الى الموحدين وصرف الرياسة على سدويكش الى مهنا بن تازير بن طلحة من اولاد
علاوة فلم يتم له ذلك وقتله اولاد يوسف ورجع اولاد علاوة الى مكانهم من جبل عياض
وكان رئيسهم لهذه العصور عدوان بن عبد العزيز بن تدروف بن علي بن علاوة وهلك
ولم تجتمع رياستهم بعده لاحد وفي بطون سدويكش هولاء بطن يرادف اولاد سواق
في الرياسة على بعض احيايهم وهم بنو سكين ومواطنهم في جوار لواتة بجبل تابود وما
اليه من نواحي بجاية ورياستهم في بني موسى بن ثابر منهم ادركنا ابنه ضيحر بن موسى
واختصه السلطان ابو يحيى بالرياسة على قومه وكان له مقامات في خدمته ثم
عرب بعده في الوفاء لابنه الامير ابو حفص فلم يزل معه الى ان اوقع به بنو مرين بناحية
قابس وجيء به مع اسرى الوقيعة فقطعه السلطان ابو الحسن من خلاف وهلك بعد
ذلك وقام برياسته ابنه عبد الله وكان له فيها وفي خدمة السلطان ببجاية شان الى
ان هلك لاعوام الثمانين وولي ابنه محمد من بعده وهو لهذا العهد والله وارث الارض
ومن عليها

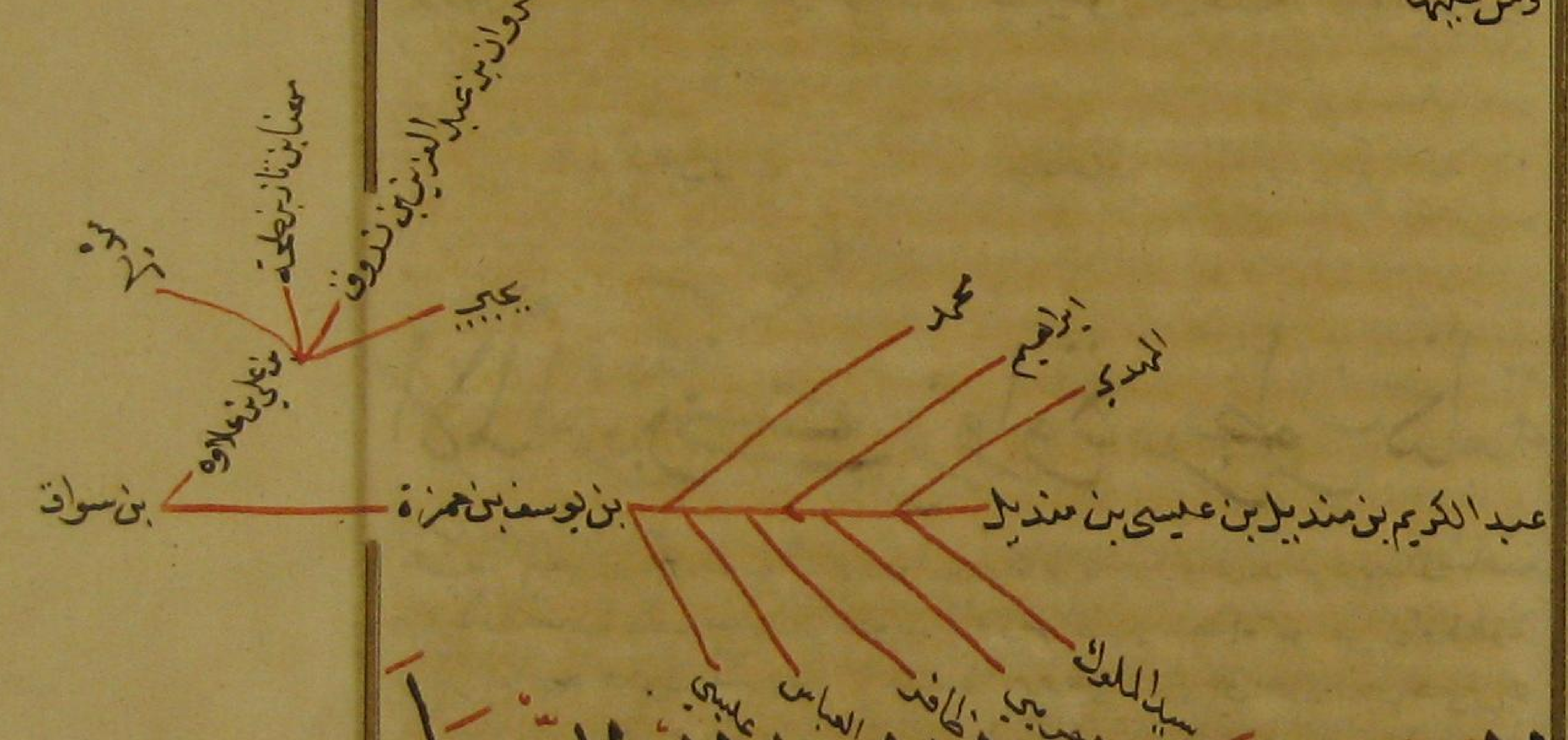

الخبر عن بني ثابت اهل الجبل المطل على

قسنطينة من بقايا كتامة

ومن بطون كتامة وقبايلهم اهل الجبل المطل على القل ما بينه وبين قسنطينة المعروف
برياسة اولاد ثابت ويقال انه ثابت بن بن ابي بكر من بني تليلان ويقال ان ابا بكر
هذا الجد هو الذي فرض المغرم على هذا الجبل لايام الموحدين ولم يكن قبل ذلك عليه مغرم فلما
انقرض ملك صنهاجة وغلب الموحدون على افريقية وفد ابو بكر هذا على الخليفة
بمراكش وخضع بالطاعة والانقياد وتقرب اليه بفرض المغرم على قبيله بالجبل وكان لثابت
هذا من الولد علي وحسن وسلطان وابراهيم كلهم راسوا بالجبل واما حسن منهم فحجب السلطان

ابا يحيى لاول دولته وفي غيبة بن عمر بجهة طرابلس اعوام احدى عشر وسبع ماية كما ذكر فلما تملك السلطان بجاية وقتل ابن خلوف ورجع بن عمر من تونس الى بجاية وجه حسن ابن ثابت معسكرا بمزجيوع لاقتضاء مغارم الوطن فبعث اليه من قتله وكان اخرهم رياسة بالجبل ادركت دولة بني مرين بافريقية استولى عليهم ومحى اثر مشيختهم ورياستهم وصيرهم من عداد جنده وحاشيته واستعملوا في الجباية عماله وهو جبل مطواع وجبايته موداة لسهولته وجواره للمعسكر بقسنطينه ومن بقايا كتامة ايضا قبايل اخرى بناحية تدلس في هضابه مكتنفة بها وهم في عداد القبايل الغارمة وبالمغرب الاقصى منهم قبيلة من بني يستيتن بجبل قبلة جبل بني برتاسن وقبيلة اخرى بناحية الهبط وهم مجاورون لقصر بن عبد الكريم وقبايل اخرى بناحية مراكش بين لوامع من صنهاجة هنالك ونسب كتامة لهذا العهد بين القبايل مثل الساير في الذلة بما نكرهم الدول من بعدهم اربع ماية سنة بانتحالهم الرافضية ومذاهبها الكفرية حتى صار كثير من اهل نسبهم يفرون منه وينتسبون فيمن سواهم من القبايل فرارا من هجنته والعزة لله وحده

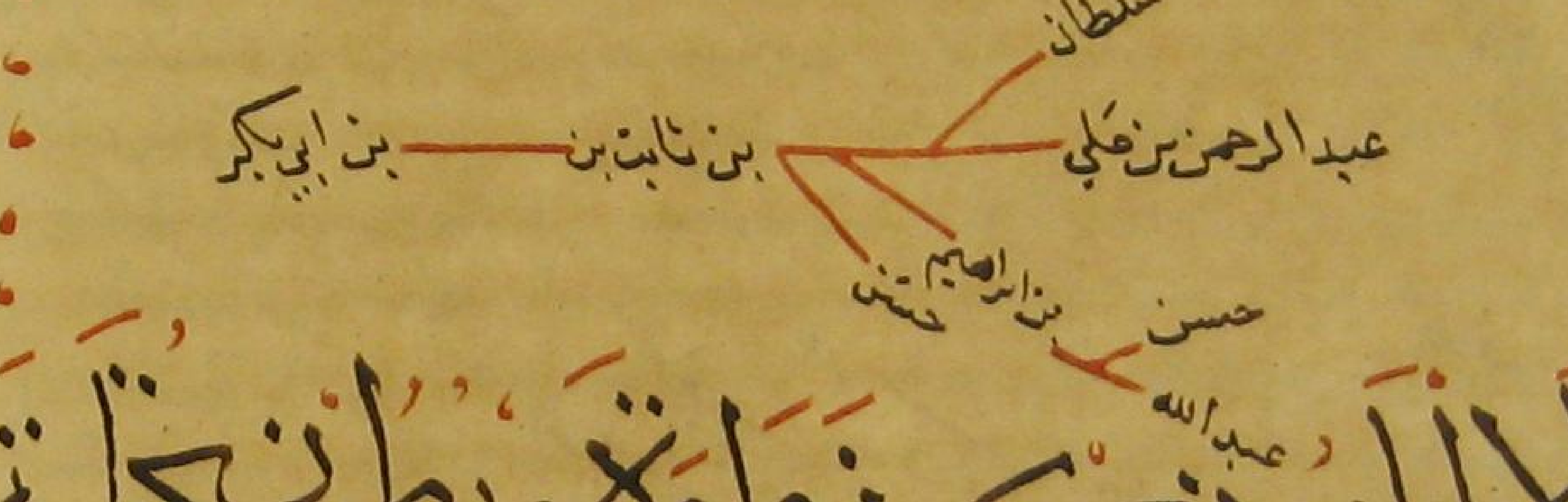

الالمام بذكر زواوة من بطون كتامة

هذا البطن من اكبر بطون البربر ومواطنهم كما تراه ببجاية الى تدلس في جبال شاهقة واوعار متشعبة ولهم بطون وشعوب كثيرة ومواطنهم متصلة بمواطن كتامة هولاء واكثر الناس جاهلون بنسبهم و نسابة البربر على انهم من بني سمكان بن يحيى بن ضريس وانهم اخوة زواغة والمحققون من النسابة مثل ابن حزم ونظرايه انما يعدونهم في بطون كتامة وهو اصوب والموطن اوضح دليل عليه والا فان مواطن زواغة وهي طرابلس وبالمغرب الاقصى من مواطن كتامة وانما حمل على الغلط في نسبهم الى كتامة هو تصحيف اسم زواوة بالزاي بعد الواو وهم اخوة زواغة بلا شك فصحف على القاري الزاي بالواو فعد زواوة اخوة زواغة ثم استمر التصحيف وجعلوا في نسب سمكان والله اعلم وقد رتبنا ذكرهم هنا الا مع ذكر زواغة وتعديد بطونهم

الخبر عن صنهاجة من بطون البرانس وما كان لهم من الظهور والدول في بلاد المغرب والاندلس

هذا

هذا القبيل من اوفر قبايل البربر وهم اكثر المغرب لهذا العهد وما قبله لا يكاد قطر من اقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل او بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس انهم الثلث من امم البربر وكان لهم في الردة ذكر وفي الخروج على الامراء بافريقية شان تقدم منه في صدر ذكر البرابر ونذكر منه هنا ما تيسر واما ذكر نسبهم فانهم من ولد صنهاج وهو صناك بالصاد المشممة بالزاي ابدلوا الكاف العربية من الجيم الا ان العرب عربته وزادت فيه الها بين النون والالف فصار صنهاج وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن بر وذكر بن الكلبي والطبري انهم وكتامة جميعا من حمير كما تقدم في كتامة وفيما نقل الطبري في تاريخه ان صنهاج بن منصر كان ميسور بن الغند بن افر ابن قيس وبعض النسابة يزعم انه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن المصباح بن يحصب ابن مالك بن عامر بن حمير الاصغر بن سبا كذا نقل ابن النحوي من مورخي دولتهم وجعله من يحصب وقد مر ذكره في انساب حمير وليس كما ذكر والله اعلم واما المحققون من نسابة البربر فيقولون انه صنهاج بن عاصيل بن زعزاع بن سمنتا بن سدد بن مولاد بن بصلي ابن بن بن مكسيلة بن دليتوس بن نحلحاد بن بنزر بن مصرايم بن حام ويزعمون ان كزول ولمط وهسكورا اخوة صنهاج وان امهم الاربعة تصكي وبها يعرفون وهي بنت زحيك بن مادغيس ويقال لها العرجا فهذه القبايل الاربعة من البربر اخوة لام والله اعلم واما بطون صنهاجة فكثيرة فمنهم بلكانة وانجفة وشرطة ولمتونة ومسوفة وكداله ومندا وبنو وارث وبنو يعتيس ومن بطون انجفة بنو يزوارث وبنو سلسد وقشتالة وملوانه نكذا نقل بعض نسابة البربر في كتبهم وذكر اخرون من مورخي البربر ان بطونهم تنتهي الى سبعين بطنا وذكر الطبري وابن الكلبي ان بلادهم في الصحرا مسيرة ستة اشهر وكان اعظم قبايل صنهاجة تلكاته وفيهم كان الملك الاول وكانت مواطنهم ما بين المغرب الاوسط وافريقية وهم اهل مدر ومواطن مسوفة ولمتونة وكداله وشرطه بالصحرا وهم اهل وبر واما انجفة فبطونهم مفترقة وهم اكثر بطون صنهاجة ولصنهاجة ولاية لعلي بن ابي طالب كما ان لمغراوة ولاية لعثمان بن عفان رضي الله عنهما الا انا لا نعرف سبب هذه الولاية ولا اصلها وكان من مشاهيرهم في الدولة الاسلامية ثابت بن وزريد ف ثار بافريقية ايام السفاح عند انقراض الاموية وعبد الله بن سكرديد لاو عباد بن صادق من قواد حماد بن ملكين وسليمان بن يطفتان بن غليان امام باديس بن بلكين وبنوه حمدون وزراء بني حماد وهو حمدون بن سليمان بن محمد بن علي بن غليم منهم ميمون بن جميل ابن اخت صاحب فتح الاندلس في اخرين يطول ذكرهم وكان الملك في صنهاجة في طبقتين الطبقة الاولى تلكاته ملوك افريقية والاندلس والثانية مسوفة ولمتونة من الملثمين ملوك المغرب المسمون بالمرابطين ويأتي ذكرهم كلهم

لد

بغتي

الطبقة الاولى من صنهاجة وما كان لهم من الملك

كان اهل هذه الطبقة بنو تلكاته بن كرت بن صنهاج وكانت مواطنهم بالمسيلة الى حمزة الجزاير ولمدية ولمليانه حيث مواطن بني يزيد وحصين والعطاف من زغبة ومواطن

الثالثة لهذا العهد وكان منهم بطون كثيرة من صنهاجة بقيت اعقابهم هنالك منهم بنو
ورانوغه وبنو عثمان وبنو مرغنه وبنو حجد والكانه وبطويه وبنو ايفاون وبنو
خليل ومن اعقاب ملكانه عمات بجاية ومنهم بنواحي تونس وكان التقدم منهم
جميعا لملكانه وكان كبيرهم لعهد الاغالبة مناد بن منقوس بن صنهاج الاصغر
وهو صنالك بن واسفاق بن جبريل بن زيد بن واسلي بن سليل بن جعفر بن الياس بن
عثمان بن سكاد بن تلكاث بن كرت بن صنهاج الاكبر هكذا انسبه ابن النحوي من مورخي
الاندلس وذكر بعض مورخي المغرب ان هناد بن منقوس كان اميرا من افريقية والمغرب
الاوسط معتبا لدعوة بني العباس وراجعا الى امرا الاغالبة وقام بامره من بعده ابنه
زيري بن مناد وكان من اعظم ملوك البربر وكانت بينه وبين مغراوة من زناتة
المجاورين له من جهة المغرب الاوسط لما نذكر حروب وفتن طويلة ولما استوسق
الملك للشيعة بافريقية تحيز اليهم للولاة التي لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم فيهم
وكان من اعظم اوليائهم واستظاهر بهم على عدوه من مغراوة فكانوا له ظهرا عليهم
وانحرفت لذلك مغراوة وسائر زناتة عن الشيعة ساير ايامهم وتحيزوا الى المروانيين
ملوك العدوة بالاندلس واقاموا دعوتهم بالمغرب الاوسط والاقصى كما نذكر بعد
ولما كانت فتنة ابي يزيد والنكار امر العبيديين بالقيروان والمهدية كان لزيري
بن مناد من منابذة الخوارج اصحاب ابي يزيد والاخذ باعقابهم وتسريب الحشود
الى مناصرة العبيديين بالقيروان غناء مشهور واختط مدينة اشير المتحصنين
بها اسفح الجبل المسمى بتيطري لهذا العهد حيث مواطن حصين وحصنها بامر المنصور
وكانت من اعظم مدن المغرب واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمرانها ورحل اليها
العلماء والتجار من القاصية وحين نازل اسماعيل المنصور ابا يزيد بقلعة كتامة
جاء زيري في قومه ومن انضم اليه من حشود البربر وعظمت نكايته في العدو وكان
الفتح وصحبه المنصور الى ان انصرف من المغرب ووصله بصلات سنية وعقد له على
قومه واذن له في اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة اشير وعقد له على
تاهرت واعمالها ثم اختط ابنه بلكين بامره وعلى عهده مدينة الجزاير المنسوبة لبني
مزغنة بساحل البحر ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف ومدينة لمدية
وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من اعظم مدن المغرب الاوسط
ولم يزل زيري على ذلك قايما بدعوة العبيديين منابذا لمغراوة واتصلت الفتنة فيهم
ولما نهض جوهر الكاتب الى المغرب الاقصى ايام معد المعز لدين الله امره ان يستصحب
زيري بن مناد فصحبه الى المغرب وظاهره على امره ولما قتل يعلى بن محمد اليفرني اتهمته
زناتة بالممالات عليه ولما نزل جوهر فاس وبها احمد بن بكر الجذامي وطال حصاره
اياها كان لزيري في حصارها معه اعظم الغنا وكان فتحها على يده بيتها ذات ليلة هو
وصعد سورها فكان الفتح ولما اشتدت الفتنة بين زيري بن مناد ومغراوة
ووصلوا ايديهم بالحكم المستنصر واقاموا دعوة المروانية بالمغرب الاوسط وشمر محمد بن الخير
ابن محمد بن خزر لذلك رماه معد لقريعه زيري وقومه من صنهاجة وعقد له على المغرب
واقطع له ما افتتح من اقطاره فنهض زيري في قومه واحتشد اهل وطنه وزحف جمع له

محمد

محمد بن الخير بن محمد وزناتة فسرح اليهم ولده بلكين في مقدمته فناهضهم قبل استكمالهم
التعبية فدارت بينهم حروب شديدة بعد العهد بمثلها يومئذ واختل مصاف مغراوة
وزناتة ولما ايقن محمد بن الخير بالهلكة وعلم انه احيط به مال الى ناحية من العسكر وتحامل تمل
على سيفه فذبح نفسه وانفض جموع زناتة واستمرت الهزيمة عليهم ساير يومهم فاستلحموا
ومكثت عظامهم ماثلة بمصارعهم عصورا وهلك فيما زعموا بضعة عشر اميرا منهم
وبعث زيري برؤوسهم الى المعز بالقيروان فعظم سروره وعظم لها الحكم المستنصر صاحب
الدعوة بما اوهنوا من امره واستطال زيري وصنهاجة على بوادي المغرب وعلت يده
عن جعفر بن علي صاحب المسيلة والزاب ومساميه في الرتب عند الخلافة ومتاخمه
في العمالة واستدعى معه جعفر بن علي من المسيلة ليوليه افريقية حين اعتزم على
الرحيل الى القاهرة فاستراب بما كانت السعاية كرات فيه وبعث عنه المعز بعض مواليه
فخافه جعفر على نفسه وهرب من المسيلة ولحق بمغراوة فاشتملوا عليه والقوا بيده زمام م
امرهم وقام فيهم بدعوة الحكم المستنصر وكانوا اقدم لها اجابة ففاوضهم زيري
الحرب قبل استفحالهم فزحف اليهم واقتتلوا قتالا شديدا وكانت على زيري الدبرة
وكبا به فرسه واجلت الهزيمة عن مصرعه ومصارع حاميته من قومه فاحتزوا
راسه وبعثوا به الى الحكم المستنصر بقرطبة في وفد اوفدوه عليه من امرائهم يؤدون
الطاعة ويؤكدون البيعة ويحطون لقومهم البصر وقام بمعذرتهم وقدمهم يحيى بن علي
ابو جعفر هذا كما ذكرناه ونذكره وهلك زيري هذا سنة ستين وثلثمائة لست
وعشرين من ولايته ولما وصل الخبر الى ابنه بلكين وهو باشير نهض الى زناتة ودارت
بهم حرب شديدة فانهزمت زناتة وثار بلكين منهم بابيه وقومه واتصل ذلك بالسلطان
بمصر اثره وعقد له على عمل ابيه باشير وتاهرت وساير اعمال المغرب وضم اليه المسيلة
والزاب وساير عمل جعفر فاستفحل امره واستفحلت ولايته واثخن في البربر اهل الخصوص
من مزاته وهوارة ونفزة وتوغل في المغرب في طلب زناتة فاثخن فيهم ثم رجع واستقدمه
السلطان لولاية افريقية فقدم سنة احدى وستين واستبلغ السلطان في تكرمته
ونفس ذلك عليه كتامة ثم نهض السلطان الى القاهرة واستخلفه كما نذكره وكان ذلك
اول دولة آل زيري بافريقية

الخبر عن دولة آل زيري بن مناد ولاة العبيديين
من هذه الطبقة بافريقية واولية امرهم
وتصاريف احوالهم

لما اخذ المعز في الرحلة الى المشرق وصرف اهتمامه الى ما يخلف وراءه من الممالك
والعمالات ونظر فيمن يوليه امر افريقية والمغرب ممن له الغنا والاضطلاع وبه الوثوق من
صدق التشيع ورسوخ القدم في ولاية الدولة فعثر اختياره على بلكين بن زيري بن مناد

وفي الدولة منذ عهد سلفه والموتور بابيه من ايدي زناتة اعداها في سبيل الذب عن الدعوة والمظاهرة للدولة **دولة بلكين** بن زيري فبعث عن بلكين بن زيري وكان متوغلا في المغرب في حروب زناتة وقلده افريقية والمغرب ما عدا صقلية كانت لابي الحسين الكلبي وطرابلس لعبد الله بن يخلف الكتامي وسماه يوسف بدلا من بلكين وكناه ابا الفتوح ولقبه سيف الدولة ووصله بالخلع الخلافية والكساء الفاخرة وحمله على مقرباته بالمراكب الثقيلة وانفذ امره في الجيش والمال واطلق يده في الاعمال واوصاه بثلاث ان لا يرفع السيف عن البربر ولا يرفع الجباية عن اهل البادية ولا يولي احدا من اهل بيته وعهد اليه ان يفتتح امره بغزو المغرب لحسم دائه وقطع علائق الاموية منه وارتحل يريد القاهرة سنة اثنتين وستين ورجع عنه بلكين من نواحي صفاقس فنزل قصر معد بالقيروان واضطلع بالولاية واجمع غزو المغرب فغزاه في جموع صنهاجة وتخلف كتامة وارتحل الى المغرب وفر امامه بن خزر صاحب المغرب الاوسط الى سجلماسة وبلغه خلاف اهل تاهرت واخراج عامله فرحل اليها وخربها ثم بلغه ان زناتة اجتمعوا على تلمسان فرحل اليهم ففروا امامه ونزل على تلمسان فحاصرها حتى نزل اهلها على حكمه ونقلهم الى اشير وبلغه كتاب معد ينهاه عن التوغل في المغرب فرجع ولما كان سنة سبع وستين رغب بلكين من الخليفة نزار بن المعز ان يضيف اليه عمل طرابلس وسرت واجدابية فاجابه الى ذلك وعقد له عليها ورحل عنها عبد الله بن يخلف الكتامي وولى بلكين عليها من قبله ثم ارتحل بلكين الى المغرب وفرت امامه زناتة فملك فاس وسجلماسة وارض الهبط وطرد منها عمال بني امية ثم غزا جموع زناتة بسجلماسة واوقع بهم وتقبض على ابن خزر اميرهم وغزاهم فقتله واحتمل ملوكهم امامه مثل بني يعلى بن محمد اليفرني وبني عطية بن عبد الله بن خزر وبني فلفول بن خزر ويحيى بن علي بن حمدون صاحب البصرة وارزوا جميعا بفساطيطهم الى سبتة وبعثوا الصريخ الى المنصور بن ابي عامر فخرج بعساكره الى الجزيرة الخضراء وامدهم بمن كان في حضرته من ملوك زناتة ورؤسائهم النازعين الى خلفاء الاموية بالاندلس بقرطبة في سبيل الطاعة واغتنام فضل الرباط بثغور المسلمين في ايالة الخلفاء اجتمعت منهم وراء البحر امم مع ما انضم اليهم من العساكر والجنود واجازهم البحر لنظر جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة وعقد له على حرب بلكين وامده بمائة حمل من المال فتقبلته ملوك زناتة واجتمعوا اليه وضربوا مصاف القتال بظاهر سبتة وهرع اليهم المدد من الجزيرة من عساكر المنصور ؞ وكادوا يخوضون البحر من مراص الزقاق الى مظاهرة اوليائهم من زناتة ووصل بلكين الى تطاوين وتسنم هضابها وقطع شعراها لنهج المسالك والطرق لعسكره حتى اطل على معسكرهم بظاهر سبتة ماهاله واستنقص امتناعهم ويقال انه لما عاين سبتة من مستشرفه ورأى اتصال المدد من العدوة الى معسكرهم بها قال هذه افعى فغرت الينا فاها وكر راجعا على عقبه وكان موقفه ذلك اقصى اثره ورجع الى البصرة فهدمها وكانت دار ملك بن الاندلس وبها عمارة عظيمة ثم انفتح له باب في جهاد برغواطة فارتحل اليهم واشتغل بجهادهم وقتل ملكهم عيسى بن ابي الانصار كما نذكر ٠

وارسل بالسبي الى القيروان واذهب دعوة بني امية من نواحي المغرب كافة ولم يزل بالمغرب وزناتة مشردون بالصحراء الى ان هلك سنة ثلاث وسبعين بواركس ما بين سجلماسة وتلمسان منصرفا من هذه الغزاة الطويلة **دولة المنصور ابن بلكين** ولما توفي بلكين بعث مولاه ابو زعبل بالخبر الى ابنه المنصور وكان واليا باشير وصاحب عهد ابيه فقام بامر صنهاجة من بعده ونزل صبرة وقلده العزيز نزار ابن معد امر افريقية والمغرب على سنن ابيه وعقد لاخيه ابي البهار على تاهرت ولاخيه يطوفت على اشير وسرحه بالعساكر الى المغرب الاقصى سنة اربع وسبعين ليسترجعه من ايدي زناتة وقد بلغه انهم ملكوا سجلماسة وفاس فلقيه زيري بن عطية المغراوي الملقب بالقرطاس امير فاس فهزمه ورجع الى اشير واقصر المنصور بعدها عن غزو المغرب وزناتة واستقل به بن عطية وبنو خزرون ويدو بن يعلى كما نذكر بعد ثم رحل بلقين الى رقاده وفتك بعبد الله بن الكاتب عامله وعامل ابيه على القيروان لهنات كانت منه وسعايات انجحت فيه فهلك سنة تسع وسبعين وولى مكانه يوسف بن ابي محمد وكثر الثوار بكتامة فقتلهم واثخن فيهم حتى اذعنوا واخرج اليهم العمال وعقد لاخيه حماد على اشير وطالت الفتنة مع زناتة ونزع اليه سعيد بن خزرون سنة تسع وسبعين فتقبله واكرمه ووصله وولاه طبنة واصهر اليه في ابنته وتتابعت اليه وفود زناتة لتقلعته مع سعيد بن خزرون ولم يزل سعيد بطبنة الى ان هلك سنة احدى وثمانين وولى ابنه فلفول بن سعيد وخالف ابو البهار بن زيري سنة تسع وسبعين فزحف اليه المنصور وفر بين يديه الى المغرب وامن المنصور اهل تاهرت ومضى في اتباع ابي البهار حتى فقد عسكره المرافق واشير اليه بالرجوع فرجع وبعث ابو البهار الى ابن ابي عامر صاحب الاندلس في المظاهرة والمدد واسترهن ابنه في ذلك وكتب الى زيري بن عطية صاحب دعوة الاموية من زناتة بفاس ان يكون معه يدا واحدة فظاهره زيري والتقى داهما مدة وحاربهما بدر ابن يعلى فهزماه وملكا فاس وما حولها ثم اختلف ذات بينهما سنة ثنتين وثمانين ورجع ابو البهار الى قومه ووفد على المنصور سنة ثنتين وثمانين بالقيروان واكرمه ووصله وانزله احسن نزل وعقد له على تاهرت ثم هلك المنصور سنة خمس وثمانين **دولة باديس بن المنصور** ولما هلك المنصور قام بامره ابنه باديس وعقد لعمه يطوفت على تاهرت وسرح عساكره لحرب زناتة مع عميه يطوفت وحماد فولوا منهزمين امام زناتة الى اشير ونهض بنفسه سنة تسع وثمانين لحرب زيري بن عطية راجعا الى المغرب فولى باديس اخاه يطوفت على تاهرت واشير وخالف عليه عمومته ماكسن وزاوي وحلال ومعسن وعرم واستباحوا عسكر يطوفت وافلت منهم ووصل ابو البهار متبريا من شأنهم وشغل السلطان باديس لحرب فلفول بن سعيد كما نذكره في اخبار بني خزرون وسرح عمه حماد لحرب بني زيري اخوته ووصل بنو زيري ايديهم بفلفول ثم رجعوا الى حماد فهزمهم وتقبض على ماكسن منهم فالطمه الكلاب وقتل اولاده محسن وباديس كذا ذكر ابن حزم ولجأ فلهم الى جبل شنوة فنازلهم حماد اياما وعقد لهم السلم على الاجازة الى الاندلس فلحقوا بابن ابي عامر سنة احدى وتسعين وثلاثمائة وهلك زيري بن عطية

المغراوي لتسعة ايام من مهلك تاكس واقفل باديس عمه حمادا الى حضرته ليستعين به في حروب فلفول فاضطرب المغرب لفلفول واظهرت زناتة الفساد وامروا بالكتابة وحاصروا المسيلة واشير فسرح اليهم باديس عمه حمادا وخرج على اثره سنة خمس وتسعين فنزل بجسنت ودوخ حماد المغرب واثخن في زناتة واختط مدينة القلعة ثم طلب منه باديس ان ينزل عن عمل تيجس وقسنطينة اختبارا للطاعة فابى واظهر الخلاف وبعث اليه اخاه ابراهيم فاقام معه وزحف اليهم باديس ثم رحل في طلبه الى شلف ونزع اليه بعض العساكر ودخل في طاعته بنو توجين وحازوا في مدده ودول اميرهم عطية بن دافلتن وبدر بن لقمان بن المعتز فوصلهما وكان حماد قتل دافلتن ثم نزل باديس نهر واصل والسرسو وكزول فنزل حماد راجعا الى القلعة واتبعه باديس ونازله بها وهلك بمعسكره عليها سنة ست واربعمائة فجاة وهو نايم بين اصحابه بمضربه فارتحلوا راجعين واحتملوا باديس على اعواده

دولة المعز بن باديس

ولما بلغ الخبر الى القيروان بمهلك باديس بويع ابنه المعز بن ثماني سنين ووصل العسكر فبايعوه البيعة العامة ودخل حماد المسيلة واشير واستعد للحرب وحاصر باغاية وبلغ الخبر بذلك فزحف المعز اليه وافرج عن باغاية ولقيه وانهزم حماد واسلم معسكره وتقبض على اخيه ابراهيم ونجا الى القلعة ورغب في الصلح فاسعف على ان يبعث ولده وانتهى المعز الى سطيف وقصر الطين وقفل الى حضرته ووصل اليه القايد بن حماد سنة ثمان واربعمائة راغبا في الصلح فعقده واستقل حماد بعمل المسيلة وطبنه والزاب واشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب وعقد للقايد ابن حماد على طبنه والمسيلة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوه وانقلب بهدية ضخمة كفاء هديته ووضعت الحرب اوزارها من يومئذ وافترقوا الخطة والتحموا بالاصهار وافترق ملك صنهاجة الى دولتين دولة الى المنصور بن بلكين اصحاب القيروان ودولة الى حماد بن بلكين اصحاب القلعة ونهض المعز الى حماد سنة ثنتين وثلاثين فحاصره بالقلعة مدة سنتين ثم اقلع عنها وانكفا راجعا ولم يعاود فتنته بعد ووصل زاوي بن زيري من الاندلس سنة   واربعمائة كما ذكرنا في خبره فتلقاه المعز اعظم لقاء وسلم عليه راجلا وفرشت القصور لنزوله ووصله باعظم الصلات وارفعها واستمر ملك المعز بافريقية والقيروان وكان اضخم ملك عرف للبربر بافريقية واترفه وابذخه نقل ابن الرقيق من احوالهم في الولايم والهدايا والجنايز والاعطيات ما يشهد بذلك مثل ما ذكر ان هدية صندل عامل باغاية مائة حمل من المال وان بعض توابيت الكبراء منهم كان من العود الهندي بمسامير الذهب وان باديس اعطى لفلفول بن سعيد الزناتي ثلاثين حملا من المال وثمانين تختا من الثياب وان احمال السلاح بناحية صفاقس كانت بمائتين الف دينار وغير ذلك من اخبارهم وكانت بينه وبين زناتة حروب ووقايع كان له الغلب في جميعها كما هو مذكور وكان المعز منحرفا عن مذاهب الرافضة منتحلا للسنة

فاعلن

فاعلن بمذهبه لاول ولايته ولعن الرافضة ثم صار الى قتل من وجد منهم وكبا به فرسه ذات يوم فنادى مستغيثا باسم ابي بكر وعمر فسمعته العامة فثاروا بالشيعة وقتلوهم ابرح قتل وقتل دعاة الرافضة يومئذ وانقبض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة وخاطبه وزيرهم ابو القاسم الجرجرائي محذرا ومخوفا ومستميلا وهو يراجعه بالتعريض بخلفائه والقدح فيهم حتى اظلم الجو بينه وبينهم الى ان قطع الدعاء لهم سنة اربعين واربعمائة على عهد معد المستنصر من خلفائهم واحرق بنوده ومحا اسمه من الطرز والسكة ودعا للقايم بن القادر من خلفاء بغداد وجاءه خطاب القايم وكتاب عهده صحبة داعيته ابي الفضل بن عبد الواحد التميمي فرماه معد المستنصر خليفة العبيديين بالعرب من هلال الذين كانوا مع القرامطة وهم رياح وزغبة والاثبج وذلك بمشاركة من وزيرهم ابي محمد الحسن بن علي اليازوري كما ذكرنا في اخبار العرب ودخولهم الى افريقية وتقدموا الى البلاد وافسدوا السابلة والقرى وسرح اليهم المعز جيوشه فهزموها فنهض اليهم ولقيهم بجبل حيدران فهزموه واعتصم بالقيروان فحاصروه وترسوا به وطال عيثهم في البلاد واضرارهم بالرعايا الى ان خربت افريقية وخرج المعز من القيروان سنة تسع واربعين مع خفيره منهم وهو مونس بن يحيى الصنبري امير رياح فلحق بالمهدية وكان قد قدم اليها ابنه تميما فنزل عليه ودخل العرب القيروان وانتهبوها واقام المعز بالمهدية وانتزى الثوار بالبلاد فتغلب حمو بن مليل البرغواطي على مدينة صفاقس وملكها سنة احدى وخمسين وخالفت سوسة وصار اهلها الى الشورى في امرهم وصارت تونس اخرا الى ولاية الناصر بن علناس بن حماد صاحب القلعة وولي عليهم عبد الحق بن خراسان فاستبد بها واستقر في ملكه وملك بنيه وتغلب موسى بن يحيى على قابس وصار عاملها المعز بن محمد الصنهاجي الى ولايتهم واخوه ابراهيم من بعده كما ياتي ذكرهم والتاث ملك ال باديس وانقسم في الثوار كما نذكر في اخبارهم بعد وهلك المعز سنة اربع وخمسين

دولة تميم بن المعز

ولما هلك المعز قام بامره ابنه تميم وغلبه العرب على افريقية فلم يكن له الا ما ضمه السور وخلا انه كان يخالف بينهم ويبسط بعضهم على بعض وزحف اليه حمو بن مليل البرغواطي صاحب صفاقس فخرج تميم للقايه وانقسمت العرب عليهما فانهزم حمو واصحابه وذلك سنة خمس وخمسين وسار منها الى سوسة فافتتحها ثم بعث عساكره الى تونس فحاصروا ابن خراسان حتى استقام على الطاعة لتميم ثم بعث عساكره ايضا الى القيروان وكان بها قايد بن ميمون من قبل المعز واقام بها ثلاثا ثم غلبته عليها هوارة وخرج الى المهدية ثم رده تميم الى ولايته بها فخالف بعد ست من ولايته وكاتب الناصر بن علناس صاحب القلعة فبعث تميم اليه العساكر فلحق بالناصر واسلم القيروان ثم رجع بعد ست الى حمو بن مليل البرغواطي بصفاقس وابتاع له القيروان من بقي بن علي امير زغبة فولاه عليها وحصنها سنة سبعين وكانت بين تميم والناصر صاحب القلعة اثناء ذلك فتنة كان يسعرها العرب يجاورون بالناصر من قلعته ويوطئون عساكره بلاد افريقية وربما ملك بعض امصارها ثم يردونه على عقبه الى داره الى ان اصطلحا سنة سبعين واصهر اليه تميم بابنته ونهض تميم سنة اربع وسبعين الى قابس وبها قاضي بن محمد الصنهاجي وليها بعد اخيه ابراهيم

في حصارها ثم افرج عنها ونازلته العرب سنة وسبعين بالمهدية ثم افرجوا عنه وهزمهم
فقصدوا القيروان ودخلوها فاخرجهم عنها وفي ايامه كان تغلب نصارى جنوة على المهدية
سنة ثمانين نزلوها في ثلاثمائة مركب وثلاثين الف مقاتل واستولوا عليها وعلى زويلة
فبذل لهم تميم في النزول عنها مائة الف دينار بعد ان انتهبوا جميع ما كان بها فاستخلصها
من ايديهم ورجع اليها ثم استولى على قابس سنة تسع وثمانين من يد اخيه عمر بن المعز
بايع له اهلها بعد موت قاضي بن ابراهيم ثم استولى بعدها على صفاقس سنة ثلاث
وتسعين وخرج منها حمو بن مليل الى قابس فاجاره مكي بن كامل الدهماني الى ان مات
بها وكانت رياح قد غلبت زغبة على افريقية من لدن تسع وستين واخرجوهم منها
وفي اخر هذه المائة الخامسة غلب الاخضر من بطون رياح على مدينة باجه وملكوها
وهلك تميم اثر ذلك سنة احدى وخمسمائة

دولة تميم بن المعز

ولما
هلك المعز قام بامره ابنه تميم وغلبه العرب على افريقية فلم يكن له الا الى دولة
يحيى بن تميم ولما هلك تميم بن المعز ولى ابنه يحيى وافتتح امره بافتتاح اقليبيه وغلب
عليه بن محفوظ الثائر بها وثار اهل صفاقس على ابنه ابي الفتوح فالطف الحيلة في تفريق
كلمتهم وراجع طاعة العبيديين ووصلته المخاطبات والهدايا وكان قد صرف همه
الى غزو النصارى في الاساطيل البحرية فاستكثر منها واستبلغ في اقتنائها وردد
الغزو الى دار الحرب منها حتى ابتغته امم النصرانية بالجزية من وراء البحر من بلاد الفرنجة
وجنوة وسردانية وكان له في ذلك اثار ظاهرة عزيزة وهلك فجاءة في قصره سنة تسع
وخمسمائة

دولة علي بن يحيى

ولما هلك يحيى بن تميم ولى علي ابنه استقدم
لها من صفاقس فقدم وفي جنازة ابي بكر بن جابر بن عسكر ونظرائه من امراء العرب
وكان معظم عساكره صنهاجة محاصرين لقصر الاجم فاجتمعوا اليه وتمت بيعته ونهض
الى حصار تونس حتى استقام احمد بن خراسان على الطاعة وفتح جبل وسلات وكان
ممتنعا على من سلف من قومه فجرد اليه عسكرا مع ميمون بن زياد الصخري المعادي
من امراء العرب فاقتحموه وقتلوا من كان به ووصل رسول الخليفة من مصر بالمخاطبات
والهدايا على العادة ثم نهض الى حصار رافع بن مكن بقابس سنة احدى عشرة
وخمسمائة ودونها قبائل قادع من بني علي احدى بطون رياح كما نذكر في اخبارهم
ثم حدثت الفتنة بينه وبين رجار صاحب صقلية بممالاة رجار لرافع بن كامل عليه
وامداده اياه باسطوله بغير على سواحل علي بن يحيى وترصد لاساطيله فاستخدم علي
ابن يحيى الاساطيل واخذ في الاهبة للحرب وهلك سنة خمس عشرة وخمسمائة

دولة الحسن بن علي

ولما هلك علي بن يحيى بن تميم ولى بعده ابنه الحسن بن
علي غلاما يفعة ابن ثنتي عشرة سنة وقام بامره مولاه صندل ثم مات صندل وقام بامره
مولاه موفق وكان ابوه اصدر المكاتبة الى رجار عند الوحشة يهدده بالمرابطين ملوك
المغرب لما كان بينه وبينهم من المكاتبة واتفق ان غزا محمد بن ميمون قائد اسطول
المرابطين صقلية وافتتح قرية منها فسباها وقتل اهلها سنة ست عشرة فلم يشك
رجار ان ذلك بممالاة الحسن فزحفت اساطيله الى المهدية وعليهم عبد الرحمن بن عبد
العزيز وجرجي بن ميخائيل الانطاكي وكان جرجي هذا نصرانيا هاجر من المشرق وتعلم

اللسان وبرع في الحساب وتهذب في الشام بانطاكية وغيرها فاصطنعه تميم واستولى
عليه وكان يحيى يستشيره فلما هلك تميم اعمل الحيلة في اللحاق برجار فلحق به وحظي
عنده واستعمله على اسطوله فلما اعتزم على حصار المهدية بعثه لذلك فزحف في
ثلاثمائة مركب وبها عدد كثير من النصرانية فيهم الف فارس وكان الحسن قد استعد لحر بهم
فافتتحوا جزيرة قوصرة وقصدوا الى المهدية ونزلوا الى الساحل وضربوا الابنية وملكوا
قصر الدهاس وجزيرة الاحاس وتكرر القتال بينهم الى ان غلبهم المسلمون واقلعوا راجعين
الى صقلية بعد ان استحر القتل فيهم ووصل باثر ذلك محمد بن ميمون قائد المرابطين باسطو له
فعاث في نواحي صقلية واعتزم رجار على اعادة الغزو الى المهدية ثم وصل اسطول
يحيى بن العزيز صاحب بجاية لحصار المهدية ووصلت عساكره في البر مع قائده مطرف بن علي بن
حمدون الفقيه فصالح الحسن صاحب صقلية ووصل يده به واستمد منه اسطوله
واستمد الحسن اسطول رجار فامده وارتحل مطرف الى بلده واقام الحسن ممتلكا بالمهدية
وانتقض عليه رجار وعاد الى الفتنة معه ولم يزل يتردد اليه الغزو الى ان استولى
على المهدية قائد اسطوله جرجي بن ميخائيل سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وصلها
باسطوله في ثلاثمائة مركب وخادعهم بانه انما جاء مددا له وكان عسكر الحسن قد توجه
صريخا لمحرز بن زياد الفادعي صاحب القلعة على ابن خراسان صاحب تونس فلم يجد صريخا
فتخلى عن المهدية ورحل واتبعه الناس ودخل العدو الى المدينة وتملكوها دون دفاع
ووجد جرجي القصر كما هو لم يرفع منه الحسن الا ما خف وترك الذخائر الملوكية فامن
الناس واعادهم تحت ايالته ورد الفارين منهم الى اماكنهم وبعث اسطولا الى صفاقس
فملكها واخر الى سوسة فملكها ايضا واخر الى طرابلس كذلك واستولى رجار صاحب صقلية
على بلاد الساحل كلها ووضع على اهلها الجزية وولى عليهم كما نذكره الى ان استنقذهم
من ملكة الكفر عبد المومن شيخ الموحدين وخليفة امامهم المهدي ولحق الحسن بن يحيى
بعد استيلاء النصارى على المهدية بالعرب من رياح وكبيرهم محرز بن زياد الفادعي
صاحب المعلقة فلم يجد لديهم مصرخا واراد الرحيل الى مصر للحافظ عبد الحميد فارصد
له جرجي فارتحل الى المغرب واجاز الى بونة وبها الحرث بن المنصور اخو العزيز ثم
توجه الى قسنطينة وبها سبع بن العزيز اخو يحيى صاحب بجاية فبعث اليه يحيى من اجازه
الى الجزائر وانزله على ابن العزيز فاحسن نزله وجواره الى ان فتح الموحدون الجزائر
سنة سبع واربعين بعد ملكهم المغرب والاندلس فخرج الى عبد المومن فلقاه تكرمة وقبولا
وصحبه الى افريقية في غزاته الاولى ثم الثانية سنة اربع وخمسين فنازل المهدية
وحاصرها اشهرا ثم افتتحها واسكن بها الحسن واقطعه رجيش فاقام هنالك ثماني
سنين ثم استدعاه يوسف بن عبد المومن فارتحل باهله يريد مراكش وهلك
بتامستا من طريقه فاباروا سنة ست وثلاثين والله وارث الارض ومن عليها
وهو خير الوارثين

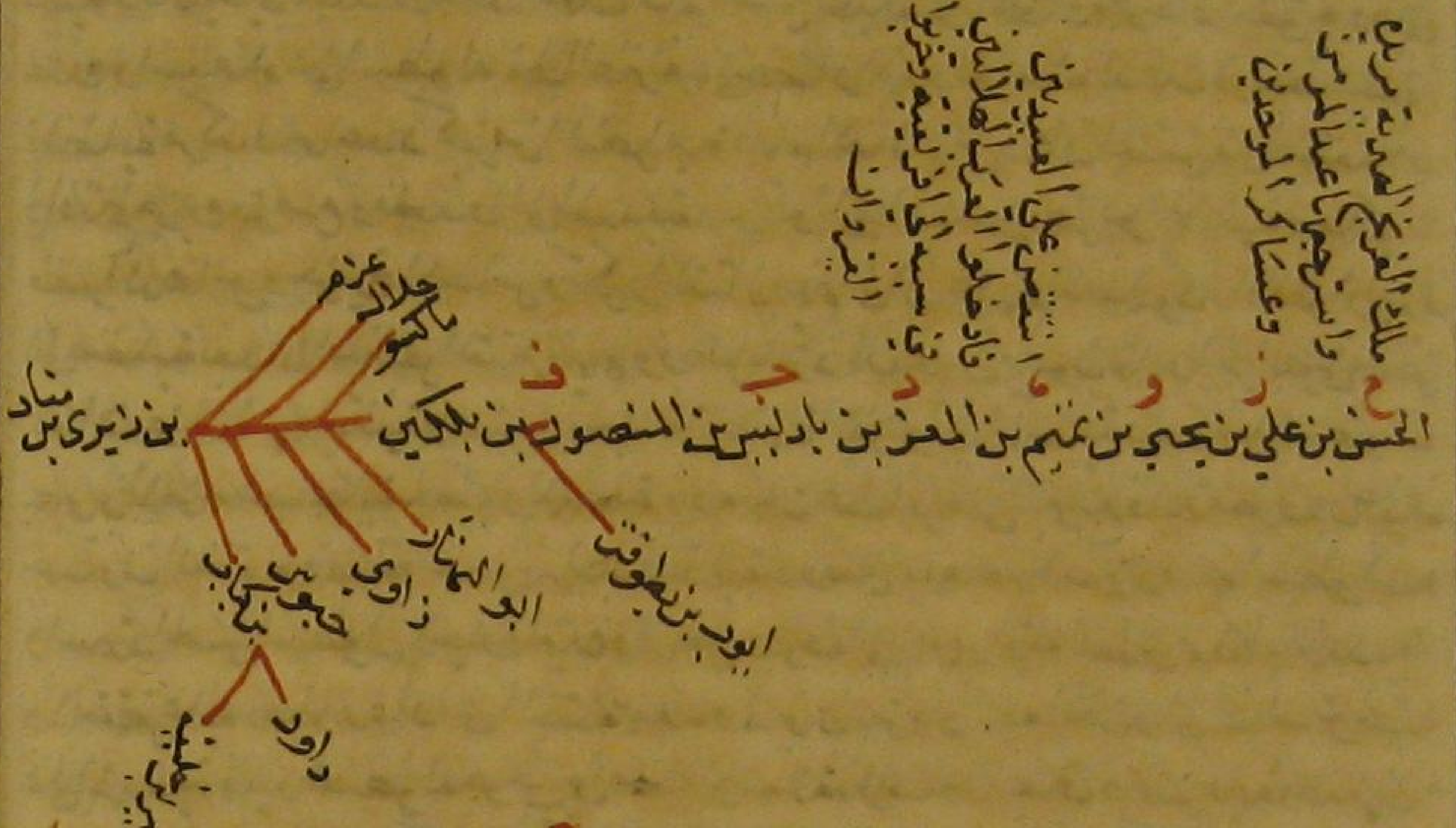
الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد
ماكسن
ابو البهار
زاوي
داود

الخبر عن بني خراسان من صنهاجة الثوار بتونس على آل باديس عند اضطراب افريقية بالعرب ومبداء امرهم ومصاير احوالهم

لما تغلب العرب على القيروان واسلمها المعز وتحول الى المهدية اضطرمت افريقية نارا واقتسمت العرب البلاد عمالات ومجالات وامتنع كثير من البلاد على باديس مثل اهل سوسة وصفاقس وقابس وصارت صاغية اهل افريقية الى بني حماد ملوك القلعة وملكوا القيروان وانقطعت تونس عن ملك المعز ووفد مشيختها على الناصر بن علناس فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان يقال انه من اهل تونس والاظهر انه من قبايل صنهاجة فقام بامرهم وشاركهم في امره وتردد اليهم واحسن السيرة فيهم وصالح العرب اهل الضاحية على اتاوة معلومة تكف عاديتهم وزحف تميم بن المعز من المهدية اليه سنة ثمان وخمسين في جموعه ومعه يحيى بن علي امير زغبة فحاصر تونس اربعة اشهر الى ان صالحه ابن خراسان واستقام على طاعته فافرج عنه ولم يزل قايما بامره الى ان هلك سنة ثمان وثمانين فولي ابنه عبد العزيز وكان مضعفا وهلك على راس هذه المماية الخامسة وقام بامره ابنه احمد بن عبد العزيز بن عبد الحق فقتل عمه اسماعيل بن عبد الحق لمكان ترشيحه وفر ابنه ابو بكر الى بنزرت فاقتطعها خوفا على نفسه ونزع احمد الى اللحاق بسير الملوك والخروج عن سير المشيخة واشتدت وطاته وكان من روسا بني خراسان هولاء فاستبد بتونس لاول المماية السادسة وضبطها

وبنا اسوارها وعامل العرب على اصلاح سابلتها فاصلحت حاله وبنى قصور بني خراسان وكان مجالسا للعلماء محبا فيهم ونازله علي بن يحيى بن تميم سنة عشر وخمسماية وضيق عليه ووافقه باسعاف غرضه فافرج عنه ثم نازلته عساكر العزيز بن المنصور صاحب بجاية فعاد الى طاعته سنة اربع عشرة ولم يزل واليا على تونس الى ان نهض سنة اثنتين وعشرين مطرف بن علي بن حمدون قايد يحيى بن عبد العزيز من بجاية في العساكر الى افريقية وملك عامة امصارها فتغلب على تونس واخرج احمد بن عبد العزيز صاحبها ونقله الى بجاية باهله وولده وولي على تونس كرامت بن المنصور عم يحيى بن العزيز فبقي واليا عليها الى ان مات وولي عليها بعده اخوه ابو الفتوح بن المنصور الى ان مات وولي مكانه ابنه محمد وساءت سيرته فعزل وولي مكانه ابن عمه معد بن المنصور الى ان استولى النصارى على المهدية وسواحلها ما بين سوسة وصفاقس وطرابلس سنة ثلاث واربعين وصارت لصاحب صقلية واخرج الحسن بن علي كما هو مذكور فاخذ اهل تونس في الاستعداد والحذر واستاسدوا لذلك على واليهم واستشرى لغاتهم وربما ثاروا ببعض الايام عليه فقتلوا عبيده بمراى منه وابتوا عليه في خاصته فبعث عنه اخوه يحيى من بجاية فركب البحر في الاسطول وترك بتونس نايبه العزيز بن دافال من وجوه صنهاجة فاقام بينهم وهم مستبدون عليه وكان بالمعلقة جوارهم محرز بن زياد امير بني علي من بطون رياح قد تغلب عليها وكانت الحرب بينه وبين اهل تونس سجالا والنصر بينهما منتصف وكان محرز يستمد عساكر صاحب المهدية على اهل تونس فياتيه الى ان غلب النصارى على المهدية وحدثت الفتنة بينهم بالبلد فكان المصاف بين اهل باب السويقة واهل باب الجزيرة وكانوا يرجعون في امورهم الى القاضي عبد المنعم ابن الامام ابي الحسن ولما تغلب عبد المومن على بجاية وقسنطينة وهزم العرب بسطيف ورجع الى مراكش انتهت شكوى الرعايا بافريقية مما نزل بهم من العرب فبعث ابنه عبد الله من بجاية الى افريقية في عساكر الموحدين فنازل تونس سنة اثنتين وخمسين وامتنعت عليه ودخل معهم محرز بن زياد وقومه من العرب واجتمع جندهم وبرزوا للموحدين فاوقعوا بهم وافرجوا عن تونس وهلك اميرها عبد الله بن خراسان خلال ذلك وولي مكانه علي بن احمد بن عبد العزيز خمسة اشهر وزحف عبد المومن الى تونس وهو اميرها فانقاد والطاعته كما نذكره في اخبار الموحدين ورحل علي بن احمد بن خراسان الى مراكش باهله وولده وهلك في طريقه سنة اربع وخمسين وافرج محرز بن زياد عن المعلقة واجتمعت اليه قومه وتداعت العرب على مدافعة الموحدين واجتمعوا بالقيروان وبلغ الخبر الى عبد المومن وهو منصرف من غزاته الى المغرب فبعث اليهم العساكر وادركو هم بالقيروان فاوقعوا بهم واستلحموهم قتلا وسبيا وتقبض على محرز بن زياد اميرهم فقتل وصلب شلوه بالقيروان والله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه

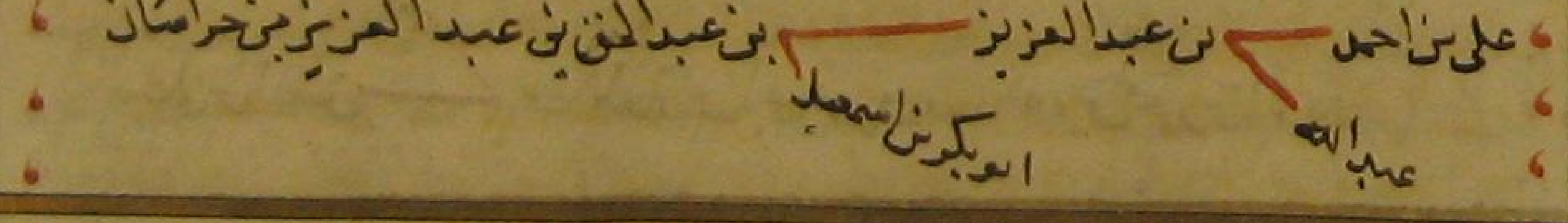

الخبر عن بني الرند ملوك قفصة الثائرين بها عند التياث ملك آل باديس بالقيروان

واضطرابه بفتنة العرب ومبدأ دولتهم ومصاير امورهم

لما تغلب العرب على افريقية واختل نظام الدولة الصنهاجية وارتحل المعز من القيروان الى المهدية وكان بقفصة عاملا لصنهاجة عبد الله بن محمد بن الرند واصله من جربة من بني صدغيان وقال ابن نخيل هو من بني مرين من مغراوة وكان مسكنهم بالجوسين من نفزاوة فضبط قفصة وقطع عنها عادية العيث وصالح العرب على الاتاوة فصلحت السابلة واستقامت الحال ثم استبد بامره وخلع الامتثال من عنقه سنة خمس واربعين واستمر على ذلك وبايعته توزر ونفطة وبنتيوس والحامة ونفزاوة وساير اعمال قسطيلية فاستفحل امره وعظم سلطانه ووفد عليه الشعراء والقصاد وكان معظما لاهل الدين الى ان هلك سنة خمس وستين وولي من بعده ابنه المعتز وكنيته ابو عمرو وانقاد اليه الناس فضبط الامور وجبى الاموال واصطنع الرجال وتغلب على قموده وجبل هوارة وساير بلاد قسطيلية وما اليها وحسنت سيرته وطالت ايامه الى ان عمي وهلك في حياته ابنه تميم فعهد لابنه يحيى بن تميم فقام بالامر واستبد على جده ولم يزل [illegible] الى ان نازلهم عبد المومن سنة اربع وخمسين فخلعهم من الامر ونقلهم الى بجاية فمات المعتز بها سنة سبع وخمسين لمائة واربع عشرة من عمره وقيل لسبعين ومات بعده بيسير حافده يحيى بن تميم وولى عبد المومن على قفصة نعمان بن عبد الحق الهنتاتي ثم عزله بعد ثلاث بميمون بن اجانا الكنفيسي ثم عزله بعمران بن موسى الصنهاجي واساء الى الرعية فبعثوا عن علي بن العز بن المعتز من بجاية وكان بها في مصنعة تعرف بالخياطة فقدم عليهم وثاروا عليه بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوه وقدموا علي بن العز فساس ملكه وحاط رعيته واغزاه يوسف بن عبد المومن سنة ثلاث وستين اخاه السيد ابا زكريا يحيى فحاصره وضيق عليه وقطع نخل البلد وافرج عنه ثم نازله ثانية يوسف بن عبد المومن بنفسه سنة ست وسبعين فتغلب عليه واخذه واشخصه الى مراكش باهله وماله واستعمله على الاشغال بمدينة سلا الى ان هلك وفنيت دولة بني الرند والبقاء لله وحده

يحيى بن تميم

علي بن العز بن المعتز بن ابي عمرو عبد الله بن محمد بن الرند

الجز

الخبر عن بني جامع الهلاليين امراء قابس لعهد الصنهاجيين وما كان لهم بها من الملك

والدولة وذلك عند فتنة العرب بافريقية

لما دخلت العرب الى افريقية وغلبوا على الضواحي ونازلوا القيروان وكان الوالي بقابس المعز بن محمد بن ولموية الصنهاجي وكان اخواه ابراهيم وقاضي بالقيروان فابدى المعز عليهما جفوة فعزلهما ولحقا مغاضبين بموسى بن يحيى الصنبري امير رياح فاكرمهما وبعثهما الى اخيهما بقابس واتفقوا على صرف الطاعة لموسى بن يحيى فكان ذلك اول تملك العرب ثم اقام ابراهيم منهم واليا بقابس ولحق المعز بن محمد بتونس فكان معه الى ان هلك ابراهيم وولي مكانه اخوه قاضي وكان سيئ السيرة فقتله اهل قابس وذلك لعهد تميم بن المعز بن باديس وبعثوا الى عمر اخي السلطان تميم وكان مخالفا عليه فامروه عليهم سنة تسع وثمانين واربعمائة وزحف اليه تميم فتغلب عليها ثم خالفوا ورجعوا الى طاعة العرب فوليها مكي بن كامل بن جامع امير المناقشة من دهمان من بني علي احدى بطون رياح فقام بامرها واستبد على صنهاجة ولحق به مثنى بن تميم بن المعز عن ابيه فاجابه ونازل معه المهدية حتى امتنعت عليه واطلع على قبايح مثنى فافرج عنها ولم يزل مكي على حاله في ولاية قابس وامارة قومه دهمان الى ان هلك وقام بامره بعده ابنه رافع واستفحل بها ملكه وهو الذي اختط قصر العروسيين من مصانع الملك بها واسمه مكتوب لهذا العهد في نجود رانها ولما ولي علي بن يحيى بن تميم فسد ما بينه وبين رافع واعان عليه رافع صاحب صقلية فغلب اسطول علي بن يحيى على اسطول النصارى ثم دول قبايل العرب والاساطيل وزحف الى قابس سنة احدى عشرة واربعماية قال ابن ابي الصلت دون الثلاثة الاحياس من قبايل العرب الذين هم سعيد ومحمد وغيره واضاف اليهم من الخمس الرابع اكابر بني مقدم فوافى من كان منهم بجهة القيروان ونزل رافع الى القيروان وامتنع عليه اهلها ثم اجتمع شيوخ دهمان واقتسموا البلاد وافتتحوا البلاد وعينوا القيروان لرافع وامكنوه منها وبعث علي بن يحيى عساكره والعرب المدونة الى منازلة رافع بالقيروان وخرج الى محاربته ثم هلك بالطريق في بعض حروبه مع اشياع رافع ثم ان ميمون بن زياد الصخري تحمل رافع بن مكي على مسالمة السلطان وسعى في صلاح ذات بينهما فانعقد بينهما الصلح وارتفعت الفتنة وقام بقابس من بعد ذلك رشيد بن كامل قال ابن نخيل وهو الذي اختط قصر العروسيين وضرب السكة الرشيدية وولي بعده ابنه محمد بن رشيد وغلب عليه مولاه يوسف ثم خرج محمد في بعض وجوهه وترك ابنه مع يوسف فطرده يوسف واستبد وانتسب الى طاعة رجار

المعزهم

ع

ثار به اهل قابس ودفعوه عنهم فخرج الى جيته ولحق اخوه عيسى برجار واخبره الخبر فحاصرهم رجار بسبب ذلك مدة من الايام وكان اخر من ملكها من بني جامع اخوه مدافع بن رشيد بن كامل ولما استولى عبد المومن على المهدية وصفاقس وطرابلس بعث ابنه عبد الله بعسكر الى قابس ففر مدافع بن رشيد من قابس واسلمها للموحدين ولحق بعرب طرابلس من عوف واجاروه سنتين ثم لحق بعبد المومن بفاس فاكرمه وصفح عنه وانقرض امر بني جامع من قابس والبقا لله وحده

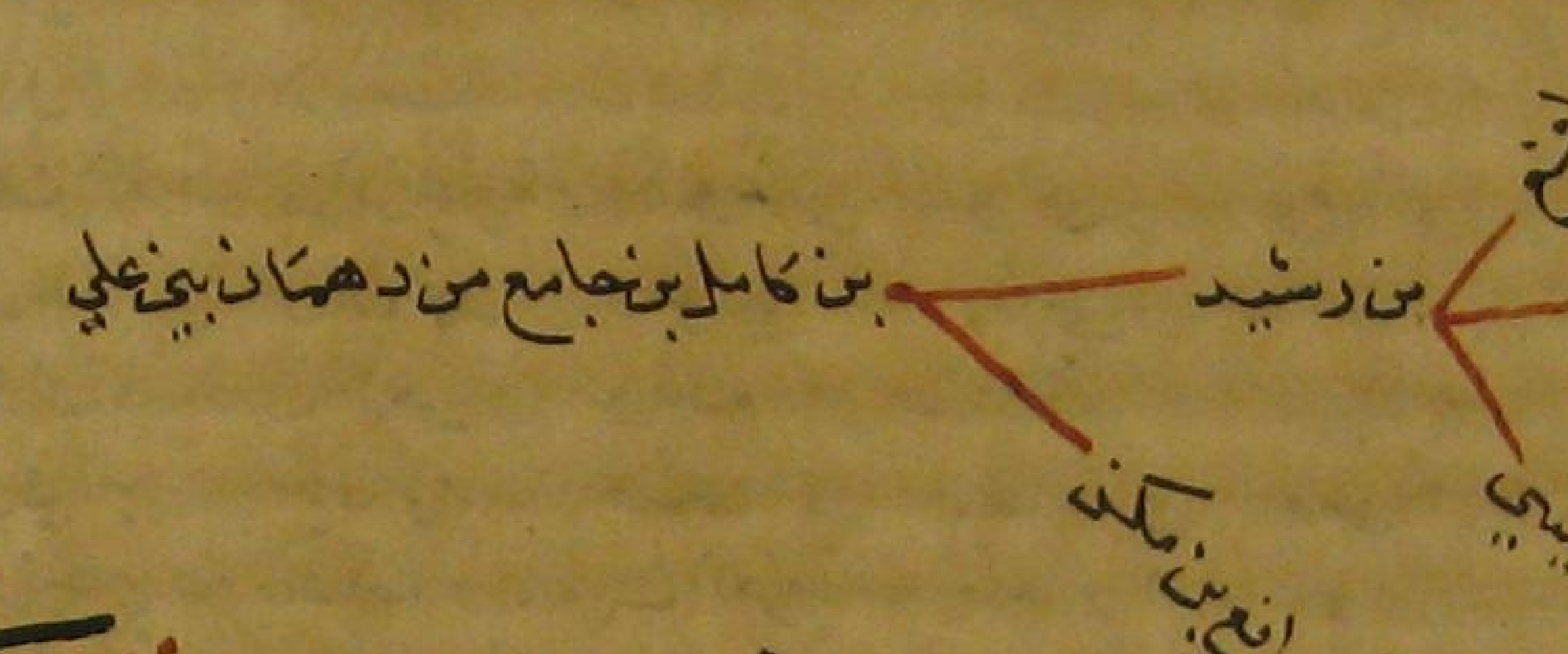

الخبر عن ثورة بن مطروح بطرابلس والفرياني بصفاقس على النصارى واخراجهم واستبدادهما بأمر بلديهما في أخر دولة بني باديس

اما طرابلس فكان رجار صاحب صقلية لعنه الله قد استولى عليها سنة اربعين وخمسماية على يد قائده جرجي بن ميخائيل الانطاكي وابقى المسلمين بها واستعمل عليهم واقاموا في ملكة النصارى اياما ثم ان ابا يحيى بن مطروح من اعيان البلد مشى في وجوه الناس واعيانهم وداخلهم في الفتكة بالنصارى فاجتمعوا لذلك وثاروا بهم وحرقوهم بالنار ولما وصل عبد المومن الى المهدية وافتتحها سنة خمس وخمسين وفد عليه ابو يحيى بن مطروح ووجوه اهل طرابلس فاوسعهم برا وتكرمة وقدم ابن مطروح المذكور عليهم وردهم الى بلدهم فلم يزل عليهم الى ان هرم وعجز لعهد يوسف بن عبد الرحمن وطلب الحج فسرحه السيد ابو زيد بن ابي حفص عمر بن عبد المومن عامل تونس فارتحل في البحر سنة ست وثمانين واستقر بالاسكندرية واما صفاقس فكانت ولايتها ايام بني باديس من صنهاجة قبيلهم الى ان ولي المعز بن باديس عليها منصور البرغواطي من صنائعه وكان فارسا مقداما فحدثته نفسه بالثورة ايام تغلب العرب على افريقية وخروج المعز الى المهدية فقتله ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي وقتله في الحمام غدرا واستنفض له حلفاوه من العرب على افريقية وخروج المعز على المهدية وحاصروا حمو حتى بذل لهم من المال ما رضوا به واستبد حمو بن مليل بامر

صفاقس حتى اذا هلك المعز حدثته نفسه بالتغلب على المهدية فزحف اليها في جموعه من العرب ولقيه تميم فانهزم حمو واصحابه سنة خمس وخمسين ثم بعث ابنه يحيى مع العرب لحصار صفاقس فحاصرها مدة واقلع عنها وزحف اليه تميم بن المعز سنة ثلاث وتسعين فغلبه عليها ولحق حمو بمكن بن كامل امير قابس فاجاره وصارت صفاقس الى ملكة تميم وولي ابناوهم ولما تغلب النصارى على المهدية وملكها جرجي بن ميخائيل قايد رجار سنة ثلاث واربعين تغلبوا بعدها على صفاقس وابقوا اهلها واستعملوا عمر بن ابي الحسن الفرياني لمكانه فيهم وحملوا اباه ابا الحسن معهم الى صقلية رهنا وكان ذلك مذهب رجار وديدنه فيما ملك من سواحل افريقية يبقيهم ويستعمل عليهم منهم ويذهب الى العدل فيهم فبقي عمر بن ابي الحسن عاملا لهم في اهل بلده وابوه عندهم ثم ان النصارى الساكنين بصفاقس امتدت ايديهم الى المسلمين ولحقوهم بالضرر وبلغ الخبر ابا الحسن وهو بمكانه من صقلية فكتب الى ابنه عمر يامره بالفرصة فيهم والاستسلام الى الله في حق المسلمين فثار بهم عمر لوقته سنة احدى وخمسين وقتلهم وقتل النصارى اباه ابا الحسين وانتقضت عليهم بسبب ذلك ساير السواحل ولما افتتح عبد المومن المهدية من يد رجار وصل اليه عمر واعطى طاعته فولاه صفاقس ولم يزل واليا عليها وابنه عبد الرحمن من بعده الى ان تغلب يحيى بن غانية ورغبه في الحج فسرحه ولم يعد

الخبر عما كان بافريقية من الثوار على صنهاجة عند اضطرابها بفتنة العرب الى ان محا اثرهم الموحدون

كان الورد اللخمي عند اضطراب نار الفتنة وتقويض المعز عن القيروان الى المهدية وتغلبهم عليها قد ضم اليه جماعة من الدعار وكان ساكنا بقلعة قرليسة من جبل شعيب فكان يضرب على النواحي بجهة بنزرت ويغير على اهل القرى الاتاوات بسبب ذلك فطال عليهم امره ويئسوا من حسم دائه وكان ببلد بنزرت فرقتان احداهما من لخم وهم قوم الورد وبقوا فوضى واختلف امرهم فبعثوا الى الورد في ان يقوم بامرهم فوصل الى بلدهم فاجتمعوا عليه وادخلوه حصن بنزرت وقدموه على انفسهم فحاطهم من العرب ودافع عن نواحيهم وكان بنو مقدم من الاثبج ودهمان من بني علي احدى بطون رياح هم المتغلبون على ضاحيتهم فهادنهم على الاتاوة وكف بها عاديتهم واستفحل امره وتسمى بالامير وشيد المصانع والمباني وكثر عمران بنزرت الى ان هلك فقام بامره ابنه طراد وكان شهما وكانت العرب تهابه وهلك فولي من بعده ابنه محمد بن طراد وقتله اخوه مقرن لشهر من ولايته في مشاجرة وقام بامر بنزرت وتسمى بالامير وحمى حوزته من العرب واصطنع الرجال وعظم سلطانه وقصده الشعراء وامتدحوه فوصلهم وهلك فولي من بعده ابنه عبد العزيز عشر سنين وجرى فيها على سنن ابيه وجده ثم ولي من بعده اخوه موسى على سننهم اربع سنين ثم ولي من

بعده اخوهما عيسى واتقى اثرهم ولما نازل عبد الله بن عبد المومن تونس وافرج عنها مر به في طريقه فاستفرغ جهده في قراه وتخلع له بالطاعة وطلب منه الحافظ على بلده فاسعفه وولي عليهم ابا الحسن الهرغي فلما قدم عبد المومن على افريقية سنة اربع وخمسين رعى له ذلك واقطعه واندرج في جملة الناس وكان بقلعة ورغة بدوكس بن بوعلي الصنهاجي من اولياء العزيز بن المنصور صاحب بجاية والقلعة قد ثار بها وحصنها وكان مبدا امره ان العزيز تغير عليه في حرب وقعت بينه وبين العرب نسب فيها الى نفسه الاقدام والى السلطان العجز فخافه على نفسه ولحق بجاية فاكرمه شيخها محمود بن نزال الريغي واولاه وترافع الى محمود اهل زرعة من عمله وكانوا فيئتين مختلفتين من زناتة احدى قبايل البربر وهما اولاد مديني واولاد لاحق فبعث عليهم بدوكس بن بوعلي لينظر في احوالهم واقام معهم بالقلعة ثم استجلب بعض الدعار كانوا بناحيتها وانزلهم بالقلعة معه واصطنعهم وصاهر اولاد مديني وظاهرهم على اولاد لاحق واخرجهم من القلعة واستبد بها وقصدته الرجال من كل جانب الى ان اجتمعت اليه نحو خمسماية فارس واثخن في نواحيه وحارب بني الورد ببنزرت وابن علال بطربة وقتل محمد بن سباع امير بني سعيد من رياح وغصت القلعة بالساكن فاتخذ لها ربضا وجهز اليه العزيز عسكره من بجاية فبادر قايد العسكر وفتك به واسمه غيلاس وهلك بعد مدة طويلة وقام بامره ابنه منيع وثار له بنو سباع وسعيد طالبين بثار اخيهم محمد وتمادى به الحصار وضاقت احواله فاقتحموا عليه القلعة واستلحم هو واهل بيته قتلا وسبيا والله مالك الامور وكان ايضا بطربة مدافع بن علال القيسي شيخ من شيوخها فلما اضطربت افريقية عند دخول العرب اليها امتنع بطربة وحصن قلعتها واستبد بها في جملة من ولده وبني عمه وجماعته الى ان ثار عليه بن يبزون اللخمي في البحر بن علي وادي مجرده بازاء الرياحين وطالت بينهما الفتنة والحروب وكان فهرون بن غنوس بمنزل دحمون قد بنى حصنه وشيده وجمع اليه حبيشا من اوباش القبايل وذلك لما اخرجه اهل تونس بعد ان ولاه العامة عليهم ثم صرفوه عنه لا يهتم لسوء سيرته فخرج من البلد ونزل دحمون وبنى حصنا لنفسه مع الحنايا وورد الغارة على تونس وعاث في جهاتها فدعوا من محرز بن زياد ان يظاهرهم عليه فنفعل وبلغ خبره ابن علال صاحب طربة فوصل ابن علال يده بصهر منه ونقله الى بعض الحصون ببلده وهي قلعة غنوس وتظاهروا على الافساد وخافهما بتونس من بعدهما الى ان وصل عبد المومن الى افريقية سنة اربع وخمسين فمحى اثار الفساد من جوانب افريقية وكان ايضا حماد بن خليفة اللخمي بمنزل رقطون من اقاليم زغوان على مثل حال ابن علال وابو غنوس وابن يبزون وخلفه ولده في مثل ذلك الى ان انقطع ذلك على يد عبد المومن وكان عباد بن نصر الله الكلاعي بقلعة شقبنارية قد صار اليه جند من اهل الدعاة واوباش القبايل فحماها من العرب واستغاث به بن فتانه شيخ الاربس من العرب وسوء ملكتهم فزحف اليهم واخرجهم من الاربس وفرض عليهم ما لا يؤدونه اليه الى ان مات وولي ابنه من بعده فجرى على سننه الى ان دخل في طاعة عبد المومن

سنة

سنة اربع وخمسين وخمس مايه والله مالك الملك

الخبر عن دولة آل حماد بالقلعة من ملوك صنهاجة الداعين لخلفاء العبيديين وما كان لهم من الملك والسلطان بافريقية والمغرب الاوسط الى حين انقراضه بالموحدين

هذه الدولة شعبة من دولة آل زيري وكان المنصور بن بلكين قد عقد لاخيه حماد على اشير والمسيلة وكان يتداولها مع اخيه يطوفت وعمه ابو البهار ثم استقل سنة سبع وثمانين ايام باديس بن اخيه المنصور ودفعه لحرب زناتة سنة خمس وتسعين بالمغرب الاوسط من مغراوة وبني يفرن وشرط له ولاية اشير والمغرب الاوسط وكل بلد يفتحه وان لا يستقدمه فعظم غناوه فيها واثخن في زناتة وكان مظفرا عليهم واختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وهو جبل عجيسة وبه لهذا العهد قبايل عياض من عرب هلال ونقل اليها اهل المسيلة واهل حمزة وخربهما ونقل جراوة من المغرب وانزلهم بها وتم بناوها وتمدنها وتمصيرها على راس المائة الرابعة وشيد من بنيانها واسوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة واتسعت في التمدن ورحل اليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وارباب الصنايع لنفاق اسواق المعارف والحرف والصنايع بها ولم يزل حماد ايام باديس هذا اميرا على الزاب والمغرب الاوسط ومتوليا حروب زناتة وكان نزله ببلد اشير والقلعة متاخما لملوك زناتة واحيايهم البادية بضواحي تلمسان وتاهرت وحاربه بنو زيري عند خروجهم على باديس سنة تسعين وثلاثمائة وهم زاوي وماكسن واخوتهما فقتل ماكسن وابناه والجا زاوي واخوته الى جبل شنوه واجازهم البحر الى الاندلس ثم ان بطانة باديس ومن اليه من الاعمام والقرابة نفسوا على حماد رتبته وسعوا في مكانه من باديس الى ان فسد ذات بينهما وطالب باديس ان يسلم عمل تيجست وقسنطينة لولده المعز لما قلده الحاكم ولاية عهد ابيه فابى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة واظهر السنة ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة وراجع دعوة آل العباس وذلك سنة خمس واربعمائة وزحف الى باجة فدخلها بالسيف ودس الى اهل تونس الثورة على المشارقة الرافضة فثاروا بهم وقتلوهم وناصبه باديس الحرب وعبا عساكره من القيروان وخرج اليه فنزع عن حماد اكثر اصحابه مثل بني ابي والبيل اصحاب مقرة من زناتة وبني حسن كبار صنهاجة وبني يطوفت من زناتة وبني عمرو ايضا منهم وفر حماد وملك باديس اشير ولحق حماد بشلف بني واطيل وباديس في اتباعه حتى نزل بواد الطين وفحص السرسو من بلاد زناتة ونزع اليه عطية بن داتليل في قومه من بني توجين لما كان حماد قتل اباه وجاء على اثره ابن عمه يدر بن لقمان بن المعتز فوصلهما باديس واستظهر بهما على حماد ثم

بلغ

اجاز اليه باديس وادي شلف وناجزه الحرب ونزع اليه عامة اهل معسكره فانهزموا واعد
السير الى القلعة وباديس في اثره حتى نزل فحص المسيلة وانحجز حماد في القلعة وحاصره
ثم هلك بمعسكره من ذلك الحصار فجاة بمضربه وهو نايم بين اصحابه اخر سنة ست
واربعماية فبايعت صنهاجة لابنه المعز صبيا ابن ثماني سنين وتلافوا امر اشير ودفعوا
كرامة بن المنصور لسدها فلم يقدر واقتحمها عليه حماد واحتملوا باديس على اعوادهم
الى ان دفنوه بالقيروان وبايعوا المعز البيعة العامة وزحف الى حماد ففضه بشاحنة
باغاية واستيقن حماد فبعث ابنه القايد لاحكام الصلح بينه وبين المعز فوصل الى القيروان
سنة ثمان واربعماية بهدية جليلة وامضى له المعز ما ساله من الصلح ورجع الى ابيه
وهلك حماد سنة تسع عشرة واربعماية فقام بامره ابنه القايد وكان جبارا فاستعمل
اخاه يوسف على المغرب وويغلان على حمزة بلد اختطه حمزة بن ادريس وزحف اليه حمامة
ابن زيري بن عطية ملك فاس من مغراوة سنة ثلاثين فخرج اليه القايد وسرب الاموال
في زناتة واحس بذلك حمامة فصالحه ودخل في طاعته ورجع الى فاس وزحف اليه المعز
من القيروان سنة اربع وثلاثين وحاصره مدة طويلة ثم صالحه القايد وانصرف الى
اشير فحاصرها ثم اقلع عنها وانكفا راجعا وراجع القايد طاعة العبيديين لما انتقض
عليهم المعز ولقبوه شرف الدولة وهلك سنة ست واربعين وولي ابنه محسن وكان
جبارا وخرج عليه عمه يوسف ولحق بالمغرب فقتل سائر ولد حماد وبعث محسن في طلب
بلكين بن عمه محمد بن حماد واصحبه من العرب خليفة بن بكير وعطية الشريف وامرهما
بقتل بلكين في طريقهما فاخبرا بلكين بذلك وتعاهدوا جميعا على قتل محسن ونذر بهم
ففر الى القلعة وادركوه فقتله بلكين لتسعة اشهر من ولايته وولي الامر سنة سبع
وثمانين وكان شهما قدما حازما سفاكا للدما وقتل وزيره محسن الذي تولى قتله وفي
ايامه قتل جعفر بن ابي رمان مقدم بسكرة لما احس بنكثه فخالف اهل بسكرة بامر ذلك
حسبما نذكره ثم مات اخوه مقاتل فاتهم به زوجته تاميرت بنت عمه علناس بن
حماد فقتلها واحفظ ذلك اخاها الناصر وطوى على النث وكان بلكين كثير الترداد
الغزو الى المغرب وبلغه استيلاء يوسف بن تاشفين والمرابطين على المصامدة فنهض
نحوهم سنة اربع وخمسين وفر المرابطون الى الصحرا وتوغل بلكين في ديار المغرب ونزل
بفاس واحتمل من اكابر اهلها واشرافهم رهنا على الطاعة وانكفا راجعا الى القلعة
فاغتنم منه الناصر بن عمه الفرصة في الثار باخته وملاه قومه من صنهاجة لما لحقهم
من تكلف المشقة بابعاد الغزو والتوغل في ارض العدو فقتله بتسالة سنة اربع و
وخمسين وقام بالامر من بعده واستوزر ابا بكر بن ابي الفتوح وعقد على المغرب لاخيه
كباب وانزله مليانة وعلى حمزة لاخيه رومان وعلى نقاوس لاخيه خزر وكان المعز
قد هدم سورها فاصلحه الناصر وعقد على قسنطينة لاخيه بلبار وعلى الجزاير ومرسى
الدجاج لابنه عبد الله وعلى اشير لابنه يوسف وكتب اليه حمو بن مليل البرغواطي من
صفاقس بالطاعة وبعث اليه بالهدية ووفد عليه اهل قسطيلية ومقدمهم يحيى بن
واطاس فاعلنوا بطاعته واجزل صلتهم وردهم الى مكانهم وعقد عليها ليوسف بن
خلوف من صنهاجة ودخل اهل القيروان ايضا في طاعته وكذلك اهل تونس وكان

اهل

اهل بسكرة لما قتل بلكين مقدمهم جعفر بن ابي رمان خلعوا طاعة الحمادية واستبدوا بامر
بلدهم وعليهم بنو جعفر فسرح الناصر اليهم خلف بن ابي حيدرة وزيره ووزير بلكين قبله
فنازلها وافتتحها عنوة وحمل بني جعفر في جماعة من روسايها الى القلعة فقتلهم
الناصر وصلبهم ثم قتل خلف بن ابي حيدرة بسعاية رجالات صنهاجة فيه انه لما بلغه
خبر بلكين اراد تولية اخيه معمر وشاورهم في ذلك فقتله الناصر وولى مكانه احمد بن جعفر
ابن افلح ثم خرج الناصر ليتفقد المغرب فوثب علي بن ركان على تافربوست دار ملكهم وكان
لما قتل بلكين هرب الى اخواله من عجيسة واهتبلوا الغرة في تافربوست لغيبة الناصر
فطرقوها ليلا وملكوها على ان رجع الناصر من المسيلة وعاجلهم فسقط في ايديهم وافتتحها
عليهم عنوة وذبح علي بن ركان نفسه بيده ثم وقعت بين العرب الهلاليين فتن وحروب
ووفد عليه رجالات الاثبج صريخا به على رياح فاجابهم ونهض الى مظاهرتهم في جموعه من
صنهاجة وزناتة حتى نزل الاربس وتواقفوا بسبيبة فغدرت بهم زناتة وجروا
عليه وعلى قومه الهزيمة بدسيسة من المعز بن زيري بن عطية واغراء تميم بن المعز
فانهزم الناصر واستباحوا خزاينه ومضاربه وقتل اخوه القاسم وكاتبه ونجا الى
قسنطينة في اتباعه ثم لحق بالقلعة في فل من عسكره لم يبلغوا ماييتين وبعث وزيره
ابن ابي الفتوح للاصلاح فعقد بينهم وبينه صلحا وبين تميم والناصر ثم وفد عليه رسول
تميم وسعى عنده بالوزير ابن ابي الفتوح وانه مايل الى تميم فنكبه وقتله وكان المنتصر بن
خزرون الزناتي خرج في ايام الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر ووصل الى طرابلس فوجد
بني عدي بها وقد اخرجهم الاثبج وزغبة من افريقية كما ذكرناه فرغبهم في بلاد المغرب
وسار بهم حتى نزل المسيلة ودخلوا اشير وخرج اليه الناصر ففر الى الصحرا ورجع ثم رجع
الى مكانه من الافساد فراسله الناصر في الصلح فاسعفه واقطعه ضواحي الزاب وريغة
واوعز الى عروس بن سندي رئيس بسكرة لعهده وولي دولته ان يمكر به فوصل المنتصر
الى بسكرة وخرج اليه عروس بن سندي واحمد نزله واشار الى حشمه عند اكباب المنتصر
وذويه على الطعام فبادروا مكبين لطعنه ومن اتباعه واحتزوا راسه وبعثوا به الى
الناصر فنصبه ببجاية وصلب شلوه بالقلعة وجعلوه عظة لغيره وقتل كثير من روسا زناتة
فمن مغراوة ابو الفتوح بن حبوس امير بني سنجاس وكانت له بلد المدية ولمدية قبيل
من بطون صنهاجة سميت البلد بهم وقتل معنصر بن حماد منهم ايضا وكان بناحية شلف
فاجلب على عامل مليانة وقتل شيوخ بني وريسفان من مغراوة فكان بهم السلطان لما
كان مستغلا عنهم بشان العرب ثم زحفوا الى معنصر وقتلوه وبعثوا براسه الى الناصر
فنصبه مع راس المنتصر وبعث اليه اهل الزاب ان عرف ومغراوة ظاهروا الاثبج من العرب
على بلدهم فبعث المنصور في العساكر ونزل ورجلان بلد المنتصر بن خزرون وهدمها وبعث
سراياها وجيوشه الى بلد واركلا وولى عليها وقفل بالغنايم والسبي وبلغه عن بني
توجين من زناتة انهم ظاهروا بني عدي من العرب على الفساد وقطع السبل واميرهم اذ
ذاك مناد بن عبد الله وحميد بن حرعل ولاحق بن جهان وتقبض ايضا على مناد بن عبد
الله امير بني توجين واخيه زيري وعمهما الاغلب وحمامة واحضرهم فوبخهم وقرعليهم
قلعته في اجادتهم من اولاد القاسم روسا بني عبد الواد وقتلهم جميعا على الخلاف

وفي سنة ستين افتتح جبل بجاية وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم الا ان الكاف فيه لغتهم ليست كافا بل هي بين الجيم والكاف وهذا القبيل من صنهاجة باقون لهذا العهد لوزاعاق البربر فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة وسماها الناصرية وتسمى عند الناس باسم وبني بجاية وبنى بها قصر اللؤلوة وكان من اعجب قصور الدنيا ونقل اليها الناس واسقط الخراج عن ساكنيها وانتقل اليها سنة احدى وستين وفي ايام الناصر هذا كان استفحال ملكهم وشفوفه على ملك بني باديس اخوانهم بالمهدية ولما اخذ منه لدمار فتنة العرب الهلاليين حتى اضطرب عليهم امرهم وكثر الثوار عليهم والمنازعون من اهل دولتهم فاعتز الحماد هولاء الناصر هذا واعظم شان ابائهم فبنى المباني العجيبة المونقة وشيد المداين العظيمة وردد الغزو الى المغرب وتوغل فيه ثم هلك سنة احدى وثمانين وقام بالامر من بعده ابنه المنصور بن الناصر ونزل بجاية سنة ثلاث وثمانين واوطنها بعسكره وخاصته بعدا عن منازل العرب وما كانوا ليسوموهم بالقلعة من خطة الخسف وسوء العذاب بوطي ساحتها والعيث في نواحيها وتخطف الناس من حولها لسهولة طرقها على رواحلهم وصعوبة المسالك عليها في الطريق الى بجاية لمكان الاوعار فاتخذ من بجاية هذه معقلا وصيرها دارا لملكه وجدد قصورها وشيد جامعها وكان المنصور هذا جماعة مولعا بالبنا وهو الذي حضر ملك بني حماد وتانق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور واجراء المياه في الرياض والبساتين فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وفي بجاية قصر اللولو وقصر اميميون وكان اخوه بلبار على قسنطينة منذ عهد الناصر ابيهما فهم بالاستبداد لاول ولاية المنصور فسرح اليه ابا يكنى بن محسن بن العابد في العساكر وعقد له على قسنطينة وبونة فتقبض على بلبار واشخصه الى القلعة واقام ابو يكنى على قسنطينة مكانه وولى اخاه ويغلان على بونة ثم بدا له في الخلاف على المنصور وثار بقسنطينة سنة سبع وثمانين وبعث اخاه من بونة الى تميم بن المعز بالمهدية ه

واستدعاه لولاية بونة فبعث معه ابنه ابا الفتوح بن تميم ونزل بونة مع ويغلان وكاتبوا المرابطين بالمغرب الاقصى وجمعوا العرب على امرهم وسرح المنصور عساكره فحاصروا بونة سبعة اشهر ثم اقتحموها عنوة وتقبضوا على ابي الفتوح بن تميم وبعثوا به الى المنصور فاعتقله بالقلعة ثم نازلت عساكره قسنطينة واضطربت احوال ابن ابي يكنى فخرج الى قلعة بجبل اوراس وتحصن بها ونزل بقسنطينة صليصل بن الاحمر من رجالات الاثبج وداخل صليصل المنصور في ان يمكنه من قسنطينة على مال يبذله ففعل واستولى المنصور عليها واقام ابا يكنى بحصنه من اوراس وردد الغارة على قسنطينة فتوجهت اليه العساكر وحاصروه بقلعته ثم اقتحموها عليه وقتلوه وكان بنو ومانو من زناتة حيا جميعا وقوما اعزة وكانت اليهم رياسة زناتة وكان رئيسهم لعهده ماخوخ وكان بينهم وبين الحماد صهر فكانت احدى بناتهم زوجة للناصر وكانت اخرى عند المنصور ولما تجددت الفتنة بينه وبين قومها اغزاهم المنصور بنفسه في جموع صنهاجة وحشوده وجمع له ماخوخ ولقيه في زناتة فانهزم المنصور ورجع الى بجاية فقتل اخت ماخوخ التي كانت تحته واستحكمت النفرة بين ماخوخ ولقيه في زناتة فانهزم ثم

ابنه

ابنه وصار الى ولاية امراء تلمسان من لمتونة وحرضهم على بلاد صنهاجة فكان ذلك مما دعا المنصور الى النهوض الى تلمسان وذلك ان يوسف بن تاشفين لما ملك المغرب واستفحل به امره سما الى ملك تلمسان فتغلب عليها اولاد يعلى سنة اربع وسبعين على ما ياتي ذكره وانزلها محمد بن تينعمر المسوفي وصيرها ثغر المملكة فاضطلع بامرها ونازل بلاد صنهاجة وثغورهم فزحف اليه المنصور واخرب ثغوره وحصون ماخوخ وضيق عليه فبعث اليه يوسف بن تاشفين وصالحه وقبض ايدي المرابطين على بلاد صنهاجة ثم عاد المرابطون الى شانهم في بلاده فبعث ابنه الامير عبد الله وسمع به المرابطون فانقبضوا عن بلاده ورجعوا الى مراكش واحلوها بالمغرب الاوسط فشن الغارة في بلاد بني ومانو وحاصر الجعبات وفتحها ثم رات كذلك وعفا عن اهلها ورجع الى ابيه ثم وقعت الفتنة بينه وبين ماخوخ وقتل اخته ولحق ابن ماخوخ بتلمسان وظاهر ابن تينعمر صاحب تلمسان على امره واجلبوا على الجزاير فنازلوها يومين ومات عقبها محمد بن تينعمر وولي يوسف بن تاشفين مكانه اخوه تاشفين بن تينعمر فنهض الى اشير ه

وافتتحها فقام المنصور في ركائبه وقعد واستنفر كافة صنهاجة ومن العرب احيا الاثبج وزغبة وربيعة وهم المعقل ومن زناتة اماكرين ونهض الى غزو تلمسان سنة ست وتسعين في نحو عشرين الفا ونزل وادي اسطفسيف وبعث العساكر في مقدمته وجاء على اثرهم وكان تاشفين قد افرج عن تلمسان وخرج الى تسالة ولقيته عساكر المنصور فهزموه ونجا الى جبل الصخرة وعاثت عساكر المنصور في تلمسان فخرجت اليه حوا زوجة تاشفين اميرهم متذممة راغبة في الابقا متوسلة بوشائج الصنهاجية فاكبر قصدها اليه واكرم موصلها وافرج عنهم صبيحة يومه وانكفا راجعا الى حضرته بالقلعة واثخن بعدها في زناتة وشردهم بنواحي الزاب والمغرب الاوسط ورجع الى بجاية فاثخن في نواحيها ودوخت عساكره قبايلها فسادوا في جبالها ه

المنيعة مثل بني عمران وبني تازروت والمنصورية والصهريج والناظور وحجر المعز وقد كان اسلافه يرومون كثيرا منها فيمتنع عليهم فاستقام امره واستفحل ملكه وقدم عليه معز الدولة بن صمادح من المرية فار امام المرابطين لما ملكوا الاندلس فنزل على المنصور واقطعه تدلس وانزله بها وهلك سنة ثمان وتسعين فولي من بعده ابنه باديس فكان شديد الباس عظيم السطو فنكب عبد الكريم بن سليمان وزير ابيه لاول ولايته وخرج من القلعة الى بجاية فنكب سهاما عامل بجاية وهلك قبل ان يستكمل سنة وولي من بعده اخوه العزيز وقد كان عزله عن الجزاير وغربه الى جيجل فبعث عنه القايد علي بن حمدون فوصل وبايعوه وصالح زناتة وصاهر الى ماخوخ ه

فانكحه ابنته وطال امد ملكه وكانت ايامه هدنة وامنا وكان العلما يتناظرون في مجلسه ونازلت اساطيله جربه ونزلوا على حكمه واخذوا بطاعته ونازل تونس وصالحه صا حبها احمد بن عبد العزيز واخذ بطاعته وكبس العرب في ايامه القلعة وهم غازون فاكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها واعظم عيثهم وقاتلهم الحامية فغلبوهم واجحروهم بالبلد ثم ارتحل العرب وبلغ الخبر الى العزيز فبعث ابنه يحيى وقائده علي بن حمدون من بجاية في عسكر وتعبية فوصل الى القلعة وسكن الاحوال وتفقد امر العرب واستقبوا ه

فاعتبوا وانكفا يحيى راجعا الى بجاية في عسكره على عهد العزيز هذا كان وصول مهدي الموحدين الى بجاية قافلا من المشرق سنة ثنتي عشرة وغير فيها المنكر فسعى به عند العزيز وائتمر به فخرج الى بني ورياجل من صنهاجة وكانوا ساكنين بوادي بجاية فاجاروه ونزل عليهم بملالة واقام فيها يدرس العلم وطلبه الوزير فمنعوه وقاتلوا دونه الى ان رحل عنهم الى المغرب وهلك العزيز سنة خمس عشرة واربعماية فولي من بعده ابنه يحيى وطالت ايامه مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد على حين انقراض الدولة وذهاب الايام بايام صنهاجة واستحدث السكة ولم يحدثها احد من قومه ادبا مع خلفايهم العبيديين **ونقش ابن حماد** اذ سكته في الدينار كانت ثلاثة سطور ودايرة في كل وجه فدايرة الوجه الواحد واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون والسطور لا اله الا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله المنصور ودايرة الوجه الاخر بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث واربعين وخمسماية وفي سطوره الامام ابو عبد الله المقتفي لامر الله امير المومنين العباسي ووصل سنة ثلاث واربعين الى القلعة لافتقادها ونقل ما بقي بها وانتقض عليه بنو زدين فرمان فجهز اليه الفقيه مطرف بن علي بن حمدون في العساكر فافتتحها عنوة وتقبض على ابن فرمان واوصله اليه فسجنه بالجزاير الى ان هلك في معتقله وقيل قتله وبعث مطرفا بابنه الى تونس فافتتحها ونازل في وجهته هذه المهدية فامتنعت عليه ورجع الى بجاية وتغلب النصارى على المهدية وقصد الحسن صاحبها فاجازه الى الجزاير وانزله بها مع اخيه القايد حتى اذا زحف الموحدون الى بجاية وفر القايد من الجزاير واسلمها قدموا الحسن على انفسهم ولقي عبد المومن فامنهم واخرج يحيى بن العزيز اخاه سبع للقاء الموحدين فانهزم وملك الموحدون بجاية وركب يحيى البحر الى صقلية يروم الاجازة منها الى بغداد ثم عدل الى بونة فنزل على اخيه الحارث ونكر عليه سوء صنيعه وفراره عن البلاد فارتحل عنه الى قسنطينة فنزل على اخيه الحسن فتخلى له عن الامر وفي خلال ذلك دخل الموحدون القلعة عنوة وقتل جوشن بن العزيز وابن الرحا من الاثبج معه وخر القلعة ثم بايع يحيى لعبد الله سنة سبع واربعين ونزل على قسنطينة واشترط لنفسه فوفى له ونقله الى مراكش فسكنها ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين فسكن قصر بني عشرة الى ان هلك في سنته واما الحارث بن العزيز صاحب بونة ففر الى صقلية واستصرخ صاحبها فصارخه على امره ورجع الى بونة فملكها ثم غلبه عليها الموحدون وقتلوه صبرا وانقرض ملك بني حماد والبقاء لله وحده ولم يبق من قبايل تلكاتة الا اوزاع بوادي بجاية ينتسبون اليهم وهم لهذا العهد في عداد الجند لهم اقطاع بنواحي البلد على العسكرة في جملة السلطان ومع قواده

والله وارث الارض ومن عليها

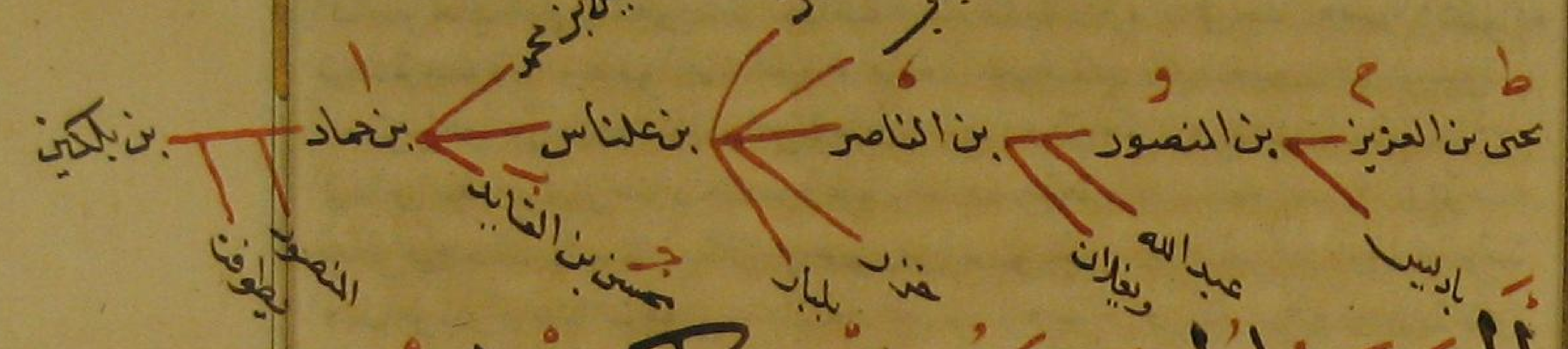

الخبر عن ملوك بني حبوس بن ماكسن بن زيري من صنهاجة بغرناطة من عدوة الاندلس واولية ذلك ومصايره

لما استبد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد بولاية افريقية سنة خمس وثمانين وولي عمومته وقرابته ثغور عمله فانزل حمادا باشير واخاه يطوفت بتاهرت وزحف زيري بن عطية صاحب فاس من مغراوة بدعوة المويد هشام خليفة قرطبة الى عمل صنهاجة في جموع زناتة ونازل تاهرت وسرح باديس عساكره لنظر محمد بن ابي العرب فالتقوا على تاهرت وانهزم صنهاجة فزحف باديس بنفسه للقايهم وخالف عليه فلفول بن سعيد بن خزرون صاحب طبنة ثم اجفل زيري بن عطية امامه الى المغرب فرجع باديس الى القيروان وترك عمومته اولاد زيري باشير مع حماد واخيه يطوفت وهم زاوي وجلا وعرم وعنين فاجمعوا على الخلاف والخروج على باديس سنة وثمانين فاسلموا حمادا برمته واستولوا على جميع ما معه واتصل الخبر بابي البهار بن زيري وهو بادليس فخشيه على نفسه ولحق بهم واجتمعوا في الخلاف وشغل باديس عنهم بحرب فلفول ابن سعيد وماكسن مولى الحاكم القادم على طرابلس من قبله وانفسح مجالهم في الفساد والعيث ووصلوا ايديهم بفلفول وصادقوه ثم رجع ابو البهار عنهم الى باديس فتقبله وصفح له ثم رجعوا الى حماد سنة احدى وتسعين ولقيهم فهزمهم وقتل ماكسن وابنه ولحق زاوي بجبل شنوف من ساحل مليانة واجاز البحر الى الاندلس في بنيه وبني اخيه وحاشيته ونزل على المنصور بن ابي عامر صاحب الدولة وكافل الخلافة الاموية فاحسن نزلهم واكرم وفادتهم واصطنعهم لنفسه واتخذهم بطانة لدولته واولياء على ما يرومه من قهر الدولة والتغلب على الخلافة ونظمهم في طبقات زناتة وساير رجالات البربر الذين ادال بهم عن جنود السلطان وعساكر الاموية وقبايل العرب فاستغلظ امر صنهاجة بالاندلس واستفحلت امارتهم وحملوا دولة المنصور بن ابي عامر وولديه المظفر والناصر من بعده على كاهلهم ولما انقرض امرهم واضمحلت دولتهم ونشات الفتنة بالاندلس بين البرابرة واهلها فكان زاوي كبش تلك الوقايع ومحش حروبها [illegible] بقرطبة [illegible] صنهاجة

وكافة زناتة والبربر حتى ابتنوا اقدم خليفتهم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان ابن
الناصر الذي ابوه واعطوه على الطاعة صفقتهم كما ذكرناه في اخباره ثم اقتحموا به
قرطبة عنوة واصطلموا نعمة اهلها وانزلوا المعرات بذوي الصون منها وبيوتات
الستر من خواصها فحدث الناس في ذلك باخبار وتوصل زاوي عند استباحة قرطبة
الى راس ابيه زيري بن مناد المنصوب بجدران قصر قرطبة فانزله واصاره الى قومه
ليدفن في جدثه ثم كان شان بني حمود من العلوية وافترق امر البرابرة واضطرمت
الاندلس نارا وامتلات جوانبها فتنة وابتزي الرؤساء من البرابرة ورجالات الدولة
على النواحي والامصار فملكوها وتحيزت صنهاجة الى جهة البيرة فكانت ضواحيها
لهم وحصونها عليها استبدادهم وزاوي يومئذ عميد البرابرة فنزل غرناطة واتخذها
دار الملكه ومعتصما لقومه ثم وقع في نفسه سوء اثار البربر بالاندلس ايام الفتنة
وحذر معه العاقبة واستفاضت الدولة فاعتزم على الرحلة واوى الى السلطان
قومه بالقيروان سنة عشر واربعمائة بعد مغيبه عشرين سنة ونزل على المعز بن
باديس عاقد اخيه بلكين الخلام كانت دولتهم بافريقية دانية واوسع ملكها واومن
عند فلقيه المعز باحسن احوال البر ودرو الخلة وانزله ارفع المنازل من الدولة
وقدمه على الاعمام والقرابة واسكنه بقصره وابرز الحرم لمتابه فيقال انه لقيه
من ذوات محارمه الف امراة لا تحل له واحلف منهن ووري راس ابيه مع سلوم بجدثه هـ
وكان استخلف على عمله ابنه وكان يظعن لاهل غرناطة فانتقضوا عليه وبعثوا
على حبوس بن عمه ماكسن بن زيري مكانه ببعض حصون عمله فبادر اليهم ونزل
بغرناطة فبايعوه واستحد بها ملكا وكان من اعظم ملوك الطوايف بالاندلس الى ان
هلك سنة تسع وعشرين وولي من بعده باديس بن حبوس ويلقب بالمظفر ولم يزل
مقيما لدعوة الحمودية من امراء مالقة بعد تخلفهم عن قرطبة ساير ايامه وزحف
اليه العامري صاحب المرية سنة تسع وعشرين فلقيه باديس بظاهر غرناطة فهزمه
وقتله وطالت ايامه ومد ملوك الطوايف ايديهم جميعا الى مدده فكان ممن استمده
محمد بن عبد الله البرزالي لما جاءه اسماعيل بن القاضي بن عباد بعساكر ابيه فامده
باديس بنفسه وقومه وصار الى صريخه مع ابن بقنه قايد ادريس بن حمود صاحب مالقة
سنة احدى وثلاثين ورجعوا من طريقهم وطمع اسماعيل فيهم فاتبعهم ولحق بباديس
في قومه فاقتتلوا وفر عسكر اسماعيل واسلموه فقتلته صنهاجة وحمل راسه الى
ابن حمود وكان القادر بن ذي النون صاحب طليطلة ايضا يستدفع به وبقومه
استطالة بن عباد وعدوانه وباديس هذا هو الذي مصر غرناطة واختط قصبتها
وشيد قصورها وحصن اسوارها واثاره في مبانيها ومصانعها باقية لهذا العهد
واستولى على مالقة عند انقراض بني حمود سنة تسع واربعين واضافها الى عمله
وهلك سنة سبع وستين وقد ظهر امر المرابطين بالمغرب واستفحل ملك يوسف
ابن تاشفين فولي من بعده حافده عبد الله بن بلكين بن باديس ويلقب المظفر وعقد
لاخيه تميم على مالقة فاستقام امرهما الى ان اجاز يوسف بن تاشفين الى العدوة
اجازته المعروفة كما يذكر في اخباره ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين فتقبض على

عبد

عبد الله بن بلكين واستصفى امواله وذخيرته والحق به اخاه تميما من مالقة واشخصهما
الى العدوة فانزل عبد الله باغمات وتميما بالسوس الاقصى واقطع لهما الى ان هلكا
في ايالته ويزعم بنو الاحمر من بيوتات طنجة لهذا العهد انهم من اعقابهم واضمحل
ملك تلكانة من صنهاجة من افريقية والاندلس اجمع والبقاء لله وحده

عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد
تميم
زاوي
فلان بن زاوي
ملوك غرناطة بعد الفتنة

الطبقة الثانية من صنهاجة وهم الملثمون وما كان لهم بالمغرب من الملك والدول

هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية
بالجنوب ابعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف اولها فاصحروا عن
الارياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا منها بالعز عن الغلبة
والقهر فنزلوا عن ريف الحبشة جوارا وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا
واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الامم وعفوا في تلك البلاد وكثروا وتعدد دت
قبايلهم من كدالة فلمتونة فمسوفة فوتريكه فناوكا فزغاوه ثم لمطة اخوة صنهاجة
كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة وللمتونة فيهم
بطون كثيرة منهم بنو ورتنطق وبنو زيال وبنو مولان وبنو ناسجة وكان موطنهم
بلاد الصحراء المعروف كاكدم وكان دينهم جميعا المجوسية شان برابرة المغرب ولم يزالوا
مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس وكانت الرياسة فيهم للمتونة
واستوسق لهم ملك ضخم منذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل توارثه ملوك منهم مذكور ون
كان منهم تلاكاكين بن ورتكوت اوركن بن ورتنطق جد ابي بكر بن عمر امير لمتونة في مبتداء
دولتهم وطالت اعمارهم فيه الى الثمانين ونحوها ودوخوا تلك البلاد الصحراوية
وجاهدوا من بها من امم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثيرهم واتقاهم
اخرون بالجزية فقبلوها منهم وملكوا عليهم بعد ذلك تلاكاكين المذكور تيلوتان
قال ابن ابي زرع اول من ملك الصحراء من لمتونة تيلوتان فدوخ بلاد
الصحراء واقتضى مغارم السودان وكان يركب في مائة الف نجيب وتوفي سنة ثنتين وما تيني
ومات بعده بلتان وقام بامرهم وتوفي سنة سبع وثمانين ومايتين وقام بامره بعده ابنه
تميم الى سنة ست وثلاثمائة وقتله صنهاجة وافترق امرهم انتهى كلام ابن ابي زرع وقال
غيره كان من اشهرهم تينزوا بن واشنيق بن بزار وقيل روبان بن واشنو بن بزار ملك
الصحراء باسرها على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر في المائة الرابعة وفي
عصر عبيد الله وابنه ابي القاسم من خلفاء الشيعة كان يركب في مائة الف نجيب وعمله

سيرة شهرين في مثلها ودان له عشرون ملكا من ملوك السودان يعطونه الجزية وملك من بعده بنوه ثم افترق امرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ورياستهم شيعا ه

قال ابن ابي زرع افترق امرهم بعد تميم بن مليان ماية وعشرين سنه الى ان قام فيهم ابو عبد الله بن تيفاوت المعروف بناشرت اللمتوني فاجتمعوا عليه واحبوه وكان من اهل الدين والصلاح وحج وهلك لثلاثة اعوام من رياسته في بعض غزواته وقام بامرهم صهره يحيى بن ابراهيم الكدالي وبعده يحيى بن عمر بن تلاكاكين انتهى كلامه وكان لهذه الطبقة ملك ضخم بالمغرب والاندلس اولا وبافريقية بعده نذكره الان على نسقه

الخبر عن دولة المرابطين من لمتونة وما كان لهم بالعدوتين من الملك واولية ذلك ومصايره

كان هولاء الملثمون في صحاريهم كما قلناه وكانوا على دين المجوسية الى ان ظهر فيهم الاسلام لعهد المائة الثالثة كما ذكرناه وجاهدوا جيرانهم من السودان عليه فدانوا لهم واستوسق لهم الملك ثم افترقوا وكان رياسة كل بطن منهم في بيت مخصوص فكانت رياسة لمتونة في بني ورتانطق بن منصور بن مصالة بن امية بن وانمالي بن تلميت وهو لمتونة ولما افضت الرياسة الى يحيى بن ابراهيم الكدالي وكان له صهر في بني ورتانطق هولاء وتظاهروا على امرهم وخرج يحيى بن ابراهيم لقضاء فرضه في رجال من قومه في سني اربعين واربعماية فلقوا في منصرفهم ه بالقيروان شيخ المذهب المالكي ابا عمران الفاسي واغتنموا ما سمعوا به من هديه وما شافههم به في فروض اعيانهم من فتاويه وساله الامير يحيى ان يصحبهم من تلميذه من يرجعون اليه في نوازلهم وقضايا دينهم فندب تلميذه الى ذلك حرصا على ايصال الخير اليهم لما راى من رغبتهم فيه فاستوعبوا مسغبة بلادهم وكتب لهم الفقيه ابو عمران الى الفقيه محمد واكاك بن زلوا اللمطي بسجلماسة من الاخذ عنه وعهد اليه ان يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه ويروض نفسه على مسغبة ارضهم في معاشه فبعث معهم عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي ورحل معهم يعلمهم القران ويقيم لهم الدين ثم هلك يحيى بن ابراهيم وافترق امرهم واطرحوا عبد الله بن ياسين واستصعبوا علمه وتركوا الاخذ عنه لما تجشموا فيه من مشاق التكليف فاعرض عنهم وترهب ونسك معه يحيى بن عمر بن تلاكاكين من روسا لمتونة واخوه ابو بكر وانتبذوا عن الناس في ربوة يحيط بها البحر ضحضاحا في المصيف وغمرا في الشتا فتعود جزرا منقطعة فدخلوا في غياضها منفردين للعبادة وتسامع بهم من في قلبه مثقال حبة من خير فتسايلوا اليهم ودخلوا في دينهم وغيابتهم ولما كمل معهم الف من رجالات لمتونة قال لهم شيخهم عبد الله بن ياسين ان الفا لن تغلب من قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعا اليه وحمل الكافة عليه فاخرجوا بنا

لذلك

لذلك فخرجوا وقاتلوا من استعصى عليهم من قبايل لمتونة وكدالة ومسوفة حتى انابوا الى الحق واستقاموا على الطريقة واذن لهم في اخذ الصدقات من اموال المسلمين وسماهم بالمرابطين وجعل امرهم في الحرب الى الامير يحيى بن عمر فتخطوا الرمال الصحراوية الى بلاد درعه وسجلماسة فاعطوهم صدقاتهم وانقلبوا ثم كتب اليهم وكاك اللمطي بما نال المسلمين فيما اليه من العسف والجور من بني وانودين امرا سجلماسة من مغراوة وحرضهم ضهم على تغيير امرهم فخرجوا من الصحرا سنة خمس واربعين واربعماية في عدد ضخم ركبانا على المهاري اكثرهم وعمدوا الى درعه لابل كانت بالحمى هنالك وكانت تناهز خمسين الفا او نحوها ونهض اليهم مسعود بن وانودين امير مغراوة وصاحب سجلماسة ودرعه لمدافعتهم عنها وعن بلاده فتواقعوا وانهزم بنو وانودين وقتل واستلحم عسكره وغنمهم الله اموالهم واسلحتهم ودوابهم وابل الحمى التي كانت بدرعة وقصدوا سجلماسة فدخلوها غلابا وقتلوا من كان بها من فل مغراوة واصلحوا من احوالها وغيروا المنكرات واسقطوا المغارم والمكوس واقتضوا الصدقات واستعملوا عليها منهم وعادوا الى صحرائهم فهلك يحيى بن عمر سنة سبع واربعين وقدم مكانه اخاه ابا بكر وندب المرابطين الى فتح المغرب فغزا بلاد السوس سنة ثمان واربعين وافتتح ماسة وتارودانت وجميع معاقلهم ثم افتتح مدينة اغمات سنة تسع واربعين وفر اميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي الى تادلا واستضاف الى بني يفرن ملوكها ثم افتتح المرابطون بلاد المصامدة بجبال درن ه وجاسوا خلالها سنة خمسين ثم غزا تادلا فاستباحوها واستلحموا بني يفرن ملوكها وقتل منهم لقوط بن يوسف المغراوي صاحب اغمات وتزوج امراته زينب بنت اسحاق النفزاوية وكانت مشهورة بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن واطاس وكان شيخا على وريكة وهزرجه وهيلانه في دولة امغارن في بلاد المصامدة وهم المشيوخ وتغلب بني يفرن على وريكة وملكوا اغمات فتزوج لقوط زينب هذه ثم تزوجها بعده ابو بكر بن عمر كما ذكرناه ثم دعا المرابطين الى جهاد برغواطة الذين كانوا بتامسنا وانفا وجهات الريف الغربي فكانت لهم فيهم وقايع وايام استشهد عبد الله بن ياسين في بعضها سنة خمسين وقدم المرابطون بعده سليمان بن عدو يرجعون اليه في قضايا دينهم واستمر ابو بكر بن عمر في امارة قومه على جهادهم حتى استاصل شافتهم ومحا اثر دعوتهم من المغرب وهلك في جهادهم سليمان بن عدو سنة احدى وخمسين لسنة من وفاة عبد الله بن ياسين ثم نازل ابو بكر مدينة لواتة وافتتحها عنوة وقتل من كان بها من زناتة سنة اثنتين وخمسين وبلغه وهو لم يستتم فتح المغرب بعد ما وقع من الخلاف بين لمتونة ومسوفة ببلاد الصحرا حيث اصل اعياصهم ومنابع اعراقهم ومنبع مددهم فخشي افتراق الكلمة وانقطاع الوصلة وتلافى امره بالرحلة وكذلك زحف بلكين بن محمد بن حماد صاحب القلعة الى المغرب سنة ثلاث وخمسين لقتالهم فارتحل ابو بكر الى الصحرا واستعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ونزل له عن زوجه زينب بنت اسحاق ولحق بقومه ورفع ما كان بينهم من خرق الفتنة وفتح بابا من جهاد السودان حتى استولى على نحو تسعين مرحلة من بلادهم واقام يوسف بن تاشفين باطراف المغرب ونزل بلكين صاحب القلعة فاس واخذ رهنا على الطاعة وانكفا راجعا فحينئذ سار

يوسف بن تاشفين في عسكره من المرابطين ودوخ اقطار المغرب ثم رجع ابو بكر الى المغرب
فوجد يوسف بن تاشفين قد استبد عليه واشارت عليه وبيستان بربه الاستبداد
في احواله وان يعد له متاع الصحرا وماعونها ففطن لذلك ابو بكر وتجافا على المنازعة وسلم
له الامر ورجع الى ارضه فهلك في مرجعه سنة ثمانين واربعمايه واختط يوسف مدينة
مراكش سنة اربع وخمسين ونزلها بالخيام وادار سورها على مسجد الصلاه وقصبة
صغيرة لاختزان امواله وسلاحه وكمل تشييدها واسوارها على ابنه من بعده سنه ست
وعشرين وخمسمايه وجعل يوسف مدينة مراكش لنزله بالعسكر وليتمرس بقبايل المصامدة
المطيفة بمواطنهم بها في جبال درن فلم يكن في قبايل المغرب اذ ذاك اشد منهم قوة
ولا اكثر جمعا ثم صرف عزمه الى مطالبة مغراوة وبني يفرن وقبايل زناتة بالمغرب
وجذب الحبل من ايديهم وكشف ما نزل بالرعايا من جورهم وعسفهم فقد كانوا اسى ذلك
على قبح حدث المورخون في اخبار مدينة فاس ودولتهم فيها بكثير منه فنازل
اولا قلعة فازاز وبها مهدي بن توالا من بني يجفش قال صاحب نظم الجواهر
وهم بطن من زناتة وكان ابوه توالا صاحب تلك القلعة ووليها هو من بعده فنازله
يوسف بن تاشفين ثم استجاش به على فاس مهدي بن يوسف الكزناي صاحب مكناسة
لما كان عدوا لمعنصر المغراوي صاحب فاس فزحف في عسكر المرابطين الى فاس وجمع اليه
معنصر ففض جموعه وارتحل يوسف الى فاس وتقرى منازلها وافتتح جميع الحصون
المحيطة بها واقام عليها اياما قلايل وظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله ثم نهض الى
صفروي فافتتحها وقتل من كان بها من اولاد واتودين المغراوي ورجع الى فاس فافتتحها
صلحا سنة خمس وخمسين ثم خرج الى غمارة ونازلهم وفتح كثيرا من بلادهم واشرف على
طنجة وبها سكوت البرغواطي الحاجب صاحب سبتة وبقية الامراء من الموالي الحمودية
واهل دعوتها ثم رجع الى منازلة قلعة فازاز وخالفه معنصر الى فاس فاستولى عليها رجع صح
وقتل عامله بها واستدعى يوسف بن تاشفين مهدي بن يوسف صاحب مكناسة ليستجيش به
على فاس فاعترضه معنصر في طريقه قبل ان تتصل ايديهما وناجزه الحرب ففض جموعه
وقتله وبعث براسه الى وليه وساهمه في سدته الحاجب سكوت البرغواطي واستصرخ
اهل مكناسة بالامير يوسف بن تاشفين فسرح عساكر لمتونة الى حصار فاس فاخذوا
بمخنقها وقطعوا المرافق عنها والحوا بالقتال عليها فمسهم الجهد وبرز معنصر الى مناجزة
عدوه لاحدى الراحتين فكانت الدبرة عليه وهلك واجتمع زناتة من بعده على القاسم بن
محمد بن عبد الرحمن من ولد موسى بن ابي العافية كانوا ملوكا بتازى وتسول فزحفوا
الى عساكر المرابطين والتقوا بوادي صفير فكان الظهور لزناتة واستلحم كثير من
المرابطين واتصل خبرهم بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة مهدي من بلاد فازاز
فارتحل سنة ست وخمسين وترك عليها عسكرا من المرابطين وسار يتنقل في بلاد المغرب
فافتتح بني مراسن ثم فندلاوة ثم بلاد ورغة سنة ثمان وخمسين ثم افتتح بلاد غمارة
سنة ستين وفي سنة اثنين وستين نازل فاس فحاصرها مدة ثم افتتحها عنوة وقتل
بها زهاء ثلاثة الاف من مغراوة وبني يفرن ومكناسة وقبايل زناتة حتى اعوزت
مواراتهم فرادى فاتخذت لهم الاخاديد وقبروا جماعات وخلص من نجا منهم من القتل الى

بلاد

بلاد تلمسان وامر بهدم الاسوار التي كانت فاصلة بين العدوتين والاندلسيين من
عدوتيهما وصيرهما مصرا واحدا وادار عليهما الاسوار وحمل اهلها على الاستكثار
من المساجد ورتب بناها وارتحل سنة ثلاث وستين الى وادي ملوية فافتتح بلادها
وحصون وطاط من نواحيها ثم نهض سنة سبع وستين الى جبال عنابة وبني مكود
من احواز تازى فافتتحها ودوخها ثم قسم المغرب عمالات على بنيه وامراء قومه
وذويه ثم استدعاه المعتمد بن عباد الى الجهاد فاعتذر له بمكان الحاجب سكوت
البرغواطي وقومه من اولياء الدولة الحمودية بسبتة فاعاد اليه ابن عباد الرسل
بالمشايعة عليهم فجهز اليهم قايده صالح بن عمران في عساكر لمتونة فلقيه سكوت الحاجب
بظاهر طنجة في قومه ومعه ابنه ضياء الدولة فانكشف وقتل الحاجب سكوت ولحق ابنه
العز بن ضياء الدولة بسبتة وكتب صالح بن عمران بالفتح الى يوسف بن تاشفين ثم
اغزى الامير يوسف بن تاشفين الى المغرب الاوسط سنة ثنتين وسبعين قايده مزدلي
ابن سليكان بن محمد بن وركوت من عشيره في عساكر لمتونة لمحاربة مغراوة ملوك تلمسان
وبها يومئذ الامير العباس بن يحيى من ولد يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر فدوخوا
المغرب الاوسط وساروا في بلاد زناتة وظفروا بيعلى بن الامير العباس فقتلوه وانكفوا
راجعين من غزاتهم ثم نهض يوسف بن تاشفين سنة ثلاث بعدها الى الريف وافتتح كرسيف
ومليلة وساير بلاد الريف وخرب مدينة نكور فلم تعمر بعد ثم نهض في عساكر المرابطين
الى بلاد المغرب الاوسط فافتتح مدينة وجدة وبلاد بني يزناسن ثم افتتح مدينة تلمسان
واستلحم من كان بها من مغراوة وقتل العباس بن يحيى امير تلمسان وانزل محمد بن تينعمر
المسوفي بها في عسكر من المرابطين فصارت ثغرا لملكه ونزلا لعساكره واختط بها مدينة
تاكرارت بمكان محلته وهو اسم المحلة بلسان البربر ثم افتتح مدينة تنس ووهران
وجبل وانشريس الى الجزاير وانكفا راجعا الى المغرب فاحتل بمراكش سنة خمس
وسبعين ولم يزل محمد بن تينعمر واليا بتلمسان الى ان هلك وولي بعده اخوه تاشفين
ثم ان الطاغية تكالب على بلاد المسلمين وراء البحر وانتهز الفرصة فيها بما كان من
الفرقة بين ملوك الطوايف فحاصر طليطلة وبها القادر بن يحيى بن ذي النون
حتى نال منهم الجهد وتسلمها منه صلحا سنة ثمان وسبعين على ان تملكه بلنسيه فبعث
معه عسكرا من النصرانية فدخل بلنسية وتملكها على حين مهلك صاحبها ابي بكر بن عبد
العزيز بين يدي حصار طليطلة وسار الطاغية في بلاد الاندلس حتى وقف بفرضة
المجاز من طريف واعيا امره اهل الاندلس واقتضى منهم الجزية واعطوها ثم
نازل سرقسطة وضيق على ابن هود بها وطال مقامه عليها وامتد امله الى ان تملكها
فخاطب المعتمد بن عباد امير المسلمين يوسف بن تاشفين مستنجزا وعده في صريخ الاسلام
بالعدوة وجهاد الطاغية وكاتبه اهل الاندلس كافة من العلماء والخاصة فاهتز الى
الجهاد وبعث ابنه المعز في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فنزلها برا واحاطت
بها اساطيل ابن عباد بحرا فافتتحوها عنوة في ربيع الاخر سنة ست وسبعين وتقبض
على ضياء الدولة وقيد الى المعز فقتله صبرا وكتب الى ابيه بالفتح ثم اجاز ابن عباد
البحر منوها به وبالمرابطين ولقيه بفاس مستنفرا للجهاد وانزل له ابنه الراضي عن

عن الجزيرة الخضرا التكون ركابا بالجهاد فاجاز البحر في عساكر المرابطين وقبايل المغرب
ونزل الجزيرة سنة تسع وسبعين واربع مائة ولقيه المعتمد بن عباد وابن الافطس
صاحب بطليوس وجمع ابن ادفونش ملك الجلالقة امم النصرانية بعثنا له ولقي
المرابطين بالزلاقة من نواحي بطليوس فكان للمسلمين عليه اليوم المشهور سنة
احدي وثمانين ثم رجع الي مراكش وخلف عسكرا باشبيلية لنظر محمد ومجود بن
سمو بن محمد بن ورركوت من عشيره ويعرف ابوه بالحاج وكان محمد من بطانته واعاظم قواده
ثم تكالب الطاغية على شرقي الاندلس ولم تغن فيه امراء الطوايف شيا فزحف اليه في
سنته بن الحاج قايد يوسف بن تاشفين في عساكر المرابطين فهزم جموع النصاري
هزيمة شنيعة وخلع ابن رشيق صاحب مرسية وتمادي الي دانية ففر علي بن مجاهد
امامه الي بجاية ونزل على الناصر بن علناس فاكرمه ووصل ابن جحاف قاضي بلنسية
الي محمد بن الحاج معزيا بالقادر بن ذي النون فانفذ معه عسكرا وملك بلنسية
وقتل ابن ذي النون وذلك سنة خمس وثمانين ثم استخلصها عساكر المرابطين وولي
عليها يوسف بن تاشفين الامير مزدلي واجاز يوسف بن تاشفين ثانية سنة ست
وثمانين وتثاقل امراء الطوايف عن لقايه بما احسوا من نكيره عليهم لما يسومون
به رعيتهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم فوجد عليهم وعهد برفع المكوس
وتحري العدلة فلما اجاز انقبضوا عنه الا ابن عباد فانه بادر الي لقايه واغراه بالكثير
منهم تنقبض على ابن رشيق وامكن ابن عباد منه للعداوة التي بينهما وبعث جيشا الي
المرية ففر عنها ابن صمادح ونزل على المنصور بن الناصر ببجاية وتوافق ملوك
الطوايف على قطع المدد عن عساكره ومحلاته فساء نظره فيهم وافتاه الفقها واهل
الشوري من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الملك من ايديهم وصارت اليه بذلك
فتاوي اهل العراق الاعلام كالغزالي والطرطوشي فعمد الي غرناطة واستنزل صاحبها
عبد الله بن بلكين بن باديس واخاه تميما من مالقة بعد ان كان منهما من اخلة الطاغية
في عداوة يوسف بن تاشفين وبعث بهما الي المغرب فخاف ابن عباد عند ذلك منه
وانقبض عن لقايه وفشت السعايات بينهما ونهض يوسف بن تاشفين الي سبتة
فاستقر بها وعقد للامير سير بن ابي بكر بن محمد بن وركوت على الاندلس واجازه فقدم
عليها وقعد ابن عباد عن تلقيه ومبرته فاحفظه ذلك وطالبه بالطاعة للامير يوسف
والنزول عن الامر ففسدت ذات بينهما وغلبه على جميع عمله واستنزل اولاده المامون
من قرطبة ويزيد الراضي من رندة وقرمونة واستولي على جميعها وقتلهم ثم صمد الي
اشبيلية فحاصر المعتمد بها وضيق عليه واستجاش الطاغية فعمد الي استنقاذه
من هوة الحصار فلم يغن عنه شيا وكان دفاع لمتونة مما فت في عضده واقتحم المرابطون
اشبيلية عليه عنوة سنة اربع وثمانين وتقبض على المعتمد وقاده اسيرا الي مراكش
فلم يزل في اعتقال يوسف بن تاشفين الي ان هلك في محبسه باغمات سنة تسع واربعماية
ثم عمد الي بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الافطس فقتله وبنيه يوم الاضحي سنة تسع
وثمانين بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وان يملكوه مدينة بطليوس ثم اجاز يوسف بن
تاشفين الجواز الثالث سنة تسعين وزحف اليه الطاغية فبعث عساكر المرابطين لنظر

محمد

محمد بن الحاج فانهزم النصارى امامه وكان الظهور للمسلمين ثم اجاز الامير علي بن
ابي بكر بن يوسف بن تاشفين منذ ثلاث وتسعين وانضم اليه محمد بن الحاج وسير ابن ابي
بكر وافتتحوا عامة حصون الاندلس من ايدي ملوك الطوايف ولم يبق منها الا سرقسطة
في يد المستعين بن هود معتصما بالنصارى وغزا الامير مزدلي صاحب بلنسية الي بلد
برشلونة فاثخن فيها وبلغ الي حيث لم يبلغ احد قبله ورجع وانتظمت بلاد الاندلس في
ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوايف منها اجمع كان لم يكن واستولي على
العدوتين واتصلت هزايم النصارى على يد المرابطين مرارا وتسمى بامير المسلمين وخاطب طب
المستظهر العباسي الخليفة لعهده ببغداد وبعث اليه عبد الله بن محمد بن العربي المعافري
الاشبيلي وولده القاضي ابو بكر فتلطفوا في القول واحسنوا في الابلاغ وطلبوا من
الخليفة ان يعقد له على المغرب والاندلس فعقد له وتضمن ذلك كتاب الخليفة
بذلك منقولا بين ايدي الناس وانقلبوا اليه بتقليد الخليفة وعهده على من نظره
من الاقطار والاقاليم وخاطبه الامام الغزالي والقاضي ابو بكر الطرطوشي يحضانه
على العدل والتمسك بالخير ويفتيانه في شان ملوك الطوايف بحكم الله ثم
اجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع الي الاندلس سنة سبع وتسعين وقد كان
ما قدمناه في اخبار بني حماد من زحف المنصور بن الناصر الي تلمسان سنة سبع وتسعين
للفتنة التي وقعت بينه وبين تاشفين بن تينعمر وافتتاحه اشير من بلادهم فصالحه
يوسف بن تاشفين واسترضاه بعزله تاشفين عن تلمسان سنة سبع وتسعين وبعث
اليهما مزدلي من بلنسية وولي بلنسية عوضا منه ابا محمد بن فاطمة وكثرت غزواته
في بلاد النصرانية وهلك يوسف على راس المائة الخامسة وقام بالامر من بعده ابنه علي
ابن يوسف فكان خير ملك ايامه صدرا منها وادعة ولدولته على الكفر واهله ظهور
وعز واجاز الي العدوة فاثخن في بلاد العدو قتلا وسبيا وولي على الاندلس تميم ابن
وجمع الطاغية للامير تميم فهزمه تميم ثم اجاز علي بن يوسف
سنة ثلاث ونازل طليطلة واثخن في بلاد النصارى ورجع وعلي اثر ذلك قصد ابن
ردمير سرقسطة وخرج ابن هود للقايه فانهزم المسلمون ومات ابن هود شهيدا
وحاصر ابن ردمير البلد حتى نزلوا على حكمه ثم كان سنة تسع شان ميورقة ه
وتغلب اهل جنوه عليها وخلا وهاشم رجوع العمران اليها على يد ابن تافرطست
من قواد المرابطين كما مر في ذكرها عند ذكر الطوايف ثم استمر على حال علي بن يوسف
في ملكه وعظم شانه وعقد لولده تاشفين على غرب الاندلس سنة ست وعشرين وانزله
قرطبة واشبيلية واجاز معه الزبير بن عمر من وجوه قومه وعقد لابي بكر بن ابرهيم
المسوفي على شرق الاندلس وانزله بلنسية وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم ابي بكر
ابن ماجه الحكيم المعروف بابن الصايغ وعقد لابن غانية المسوفي على الجزاير الشرقية
دانية وميورقة واستقامت ايامه ولاربع عشرة سنة من دولته كان ظهور الامام
المهدي صاحب دعوة الموحدين فقيها منتحلا للعلم والفتيا والمذهب امرا بالمعروف
ناهيا عن المنكر متعرضا بذلك للمكروه في نفسه بالقته ببجاية وتلمسان ومكناسة
اذايات من الفسقة والظالمين واحضره الامير علي بن يوسف للمناظرة فنلج عليه

خصوصة من الفقهاء بمجلسه ولحق بقومه هرغة من المصامدة واستدرك علي بن يوسف
رايه فيه فطلبه فتفقده وطالب هرغة باحضاره فابوا عليه فسرح اليهم البعث فاوقعوا
به وتقاسم معهم هنتاتة وتينملل على اجارته والوفاء بما عاهدوه عليه من القيام بالحق
والدعاء اليه حسبما نذكر ذلك كله بعد في دولتهم وهلك المهدي سنة اربع وعشرين
وقام بامرهم عبد المومن بن علي الكومي كبير اصحابه بعهده اليه واستقامت كلمة المصامدة
واغزوا اكثر مرارا وفشل ريح لمتونة بالعدوة الاندلسية وظهر امر الموحدين وفشت
كلمتهم في برابرة المغرب وهلك علي بن يوسف سنة سبع وثلاثين وقام بالامر من بعده
ولده تاشفين ولي عهده واخذ بطاعته وبيعته اهل العدوتين كما كانوا على حين
استغلظ امر الموحدين واستفحل سلطانهم والحوا في طلبه وغزا عبد المومن غزوته
الكبرى الى جبال المغرب ونهض تاشفين لسايرهم بالبسايط الى ان نزل تلمسان ونازله
عبد المومن والموحدون بالكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تيطري المطل عليها
ووصله هنالك مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية مع قايدهم طاهر
ابن كباب وشرهوا الى مدافعة الموحدين فقتلوهم وهلك طاهر واستلحم الصنهاجيون
وفر تاشفين الى وهران في مواعدة لب بن ميمون قايد البحر باساطيله واتبعه الموحدون
واقتحموا عليه البلد فهلك ويقال فقد سنة احدى واربعين واستولى الموحدون
على المغرب الاوسط واستلحموا لمتونة ثم بويع بمراكش ابنه ابراهيم والفوه ه
مستضعفا عاجزا فخلع وبويع عمه اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وعلى تفيئة
ذلك وصل الموحدون اليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب واستولوا عليه فخرج اليهم
في خاصته وبطانته من قومه فقتلهم الموحدون بمجلس عبد المومن ثم اجاز عبد المومن
والموحدون الى الاندلس سنة احدى وخمسين وملكوها واستلحموا امراء لمتونة
وكافتهم وفروا الى كل وجه ولحق فلهم بالجزاير الشرقية ميورقة ومنورقة الى ان جردوا
من بعد ذلك رسما للملك بناحية افريقية والله غالب على امره

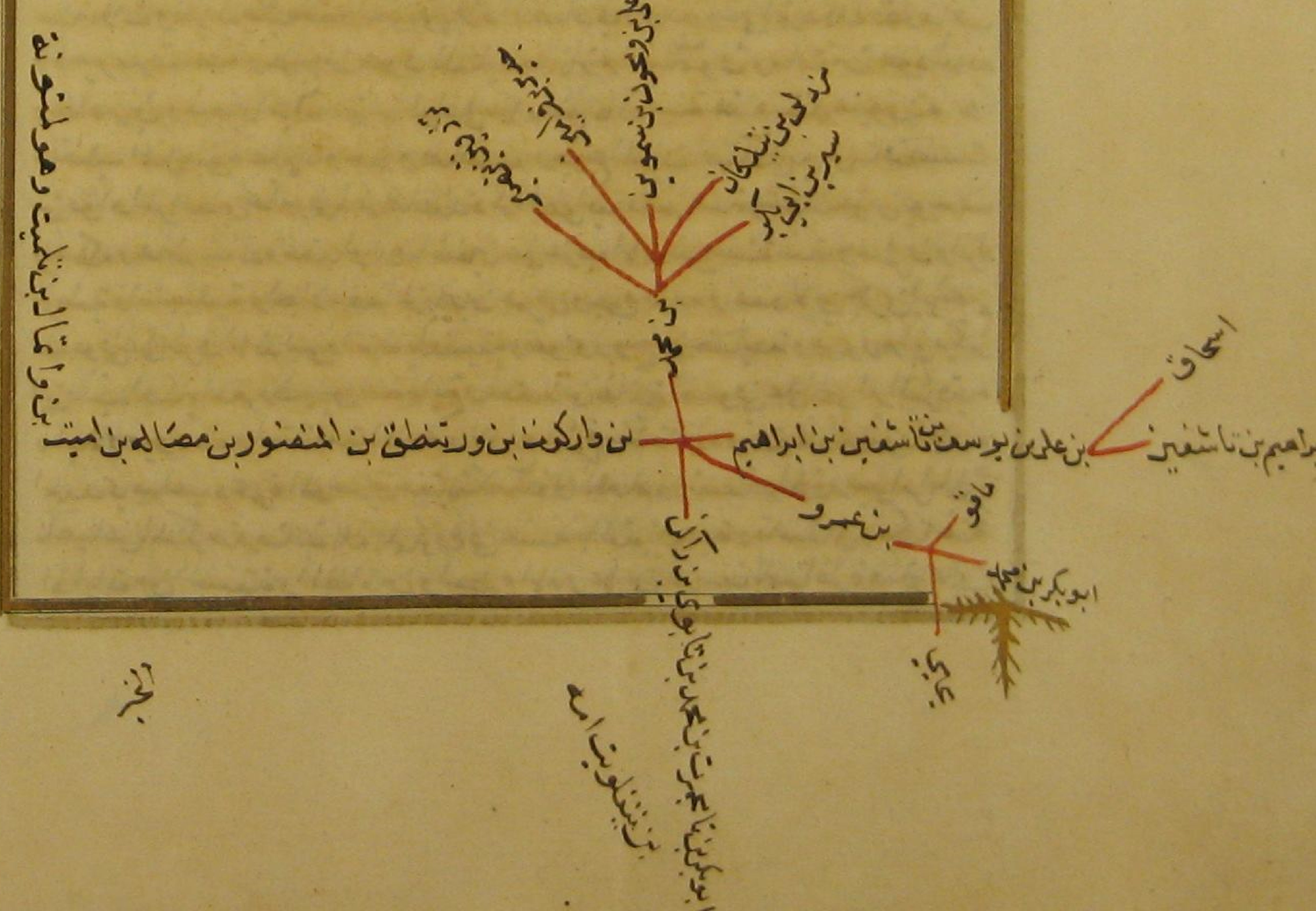
اسحاق
ابراهيم بن تاشفين
بن علي بن يوسف بن تاشفين بن ابراهيم
بن وارتكطين بن ورتنطق بن المنصور بن مصاله بن اميت
بن عمرو
ابو بكر بن عمر
يحيى

الخبر

الخبر عن دولة ابن غانية من بقية المرابطين
وما كان لهم من الملك والسلطان بناحية قابس
وطرابلس واجلابه على الموحدين ومظاهرة قراقش الغزي له
على امره واولية ذلك ومصايره

كان امر المرابطين من اوله في كداله من قبايل الملثمين حتى هلك يحيى بن ابراهيم فاختلفوا
على عبد الله بن ياسين امامهم وتحول عنهم الى لمتونة واقصر عن دعوته ونسك
وترهب كما قلناه حتى اذ اجاب دعوته يحيى بن عمر وابو بكر بن عمر من بني ورتانطق بيت
الرياسة في لمتونه واتبعهم الكثير من قومه وجاهد واياه ساير القبايل الملثمين ه
وكان مسوفة قد دخل في دعوة المرابطين كثير منهم فكان لهم بذلك في تلك الدولة
حظ من الرياسة والظهور وكان علي بن يحيى المسوفي من رجالاتهم وشجعانهم وكان مقدما
عند يوسف بن تاشفين لمكانه في قومه واتفق ان قتل بعض رجالات لمتونه في ملاحاة
وقعت بينهما فتناولا الحيات وفر هو الى الصحرا فافتقد يوسف بن تاشفين القتال
ووداه واسترجع عليا من مفره لسنين من مغيبه وانكحه امراة من اهل بيته تسمى
غانية بعهد ابيها اليه في ذلك فولدت محمدا ويحيى ونشا في ظل يوسف بن تاشفين وحجر
كفالته ورعاهما علي بن يوسف ذمام هذه الاواصر وعقد ليحيى على غرب الاندلس
وانزله قرطبة وعقد لمحمد على الجزاير الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة سنة
عشرين وخمسماية وانقرض بعد ذلك امر المرابطين وتقدم وفد الاندلس الى
عبد المومن وبعث معهم ابا اسحاق براز بن محمد المصمودي من رجالات الموحدين ه
وعقد له على حرب لمتونة كما نذكره في اخبارهم فملك اشبيلية واستقضى طاعة يحيى بن
علي بن غانية وانزله عن قرطبة الى جيان والقلعة فسار منها الى غرناطة ليستنزل
من بها من لمتونه ويحملهم على طاعة الموحدين فهلك هنالك سنة ثلاث واربعين
ودفن بقصر باديس واما محمد بن علي فلم يزل واليا الى ان هلك وقام بامره بعده ابنه
عبد الله ثم هلك وقام بالامر اخوه اسحاق بن محمد بن علي وقيل ان اسحاق ولي بعد ابيه
محمد وانه قتله غيرة من اخيه عبد الله لما كان احب اليه منه فقتلهما معا واستبد بامره
الى ان هلك سنة ثمانين وخمسماية وخلف ثمانية من الولد وهم محمد وعلي ويحيى
وعبد الله والغازي وسير ومنصور وجبارة فقام بالامر ابنه محمد ولما اجاز يوسف
ابن عبد المومن الى الاندلس سنة ثمانين حدث نفسه بطاعته واوفد بذلك خطابه فبعث
يوسف بن عبد المومن علي بن الربرتير لاختبار طاعتهم وتبين وصوله نكروا ذلك عليه اخوته
وتقبضوا عليه واعتقلوه وقام بالامر اخوهم علي بن محمد بن علي وتلوموا في رد ابن الربرتير

الى برسله وحالوا بينه وبين الاسطول حتى بلغهم ان الخليفة يوسف العسري استشهد
في الجهاد باركش من العدوة وقام بالامر ابنه يعقوب فاعتقلوا ابن الزبرتير وركبوا البحر
في ماشين وثلاثين قطعة من اساطيلهم واسطوله وركب معه اخوته يحيى وعبد الله و
الغازي وولى على ميورقة عمه ابا الزبير واقلعوا الى بجاية فطرقوها على حين
غفلة وعليها السيد ابو الربيع بن عبد الله بن عبد المومن وكان بالمبلول من خارجها
في بعض مذاهبه فلم تمانعهم اهل البلد واستولوا عليها في صفر سنة احدى وثمانين
واعتقلوا بها السيد ابا موسى بن عبد المومن كان قافلا من افريقية يوم المغرب
واكتسحوا ما كان بدار السادة والموحدين وكان والي القلعة قاصدا مراكش
فبلغه وهو بمتيجة خبر بجاية فرجع وظاهر السيد ابا الربيع وزحف اليهما علي بن غانية
فهزمهما واستولى على اموالهما واسيهما ولحقا بتلمسان فنزلا بها على السيد ابي
الحسن بن ابي حفص بن عبد المومن واخذ في تحصين تلمسان ورم اسوارها واقام
السيدان يرومان الكرة من صاحب تلمسان وعاث علي بن محمد بن غانية في الاموال وفرقها
في ذوبان العرب ومن انضاف اليهم ورحل الى الجزاير فافتتحها وولى عليها يدر بن يحيى
ابن اخي طلحة ثم افتتح مازونة وانتهى الى مليانة فافتتحها وولى عليها يدر بن عايشة
ثم مضى الى القلعة فحاصرها ثلاثا ودخلها عنوة وكانت له في العرب حظوة مشهورة
ثم قصد قسنطينة فامتنعت عليه واجتمعت اليه وفود العرب فاستخدمهم
رجاء الى حياتهم ولما اتصل الخبر بالمنصور وهو بسبتة مرجعه من الغزو سرح
العساكر في البر لنظر السيد ابي زيد بن ابي حفص بن عبد المومن وعقد له على الحرب
الاوسط وبعث الاساطيل في البحر وقايدها احمد الصقلي وعقد عليها لابي محمد بن ابراهيم
ابن جامع وزحفت العساكر من كل جهة فثار اهل الجزاير على يحيى بن اخي طلحة وامكنوا
منهم السيد ابا زيد فقتلهم على شلف وعفا عن يحيى فيما جرم عمه طلحة وكان يدر بن
غانية اسيري مليانة واتبعه الجيش فلحقوه بام العلو فقبضوا عليه بعد قتال
مع ابن ابي حسن ارادوا اجارته وقادوه الى السيد ابي زيد فقتله وسبق الاسطول
الى بجاية فثاروا بيحيى بن غانية وفر الى اخيه علي بمكانه من حصار قسنطينة بعد ان
كان اخذ بمخنقها ونزل السيد ابو زيد بعساكره بتكلات من ظاهر بجاية واطلق
السيد ابا موسى من معتقله ثم رحل في طلب العدو فافرج عن قسنطينة ومضى
شريدا في الصحرا والموحدون في اتباعه حتى انتهوا الى مقرة ونقاوس ثم قفلوا الى
بجاية واستقر السيد ابو زيد بها وقصد علي بن غانية قفصة فملكها ونازل توزر
وقسطيلية فامتنعت وارتحل الى طرابلس وبها قراقش الغزي المظفري وكان
من خبره على ما نقل ابو محمد التجاني في كتاب رحلته ان صلاح الدين صاحب مصر بعث تقي
الدين ابن اخيه شاه الى المغرب لافتتاح ما امكنه من مدنه تكون له معقلا يتحصن فيه
من مطالبة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام الذي كان صلاح الدين وعمه من
وزرايه واستقلوا بمصر فخشوا عاديته ثم رجع تقي الدين من طريقه لامر عرض له
فخرج قراقش الارمني بطايفة من جنوده وزار ابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظم
نسبة الملك المعظم شمس الدولة بن ايوب اخي صلاح الدين فاما قراقش فلحق

بسنتربه

بسنتربه وافتتحها وذلك سنة ست وثمانين وخطب فيها لصلاح الدين ولاستاذه
تقي الدين وكتب لهما بالفتح وافتتح زلة واوجلة وغلب بني خطاب الهواريين على ودان
وكان ملكها العهد محمد بن خطاب بن يصلتن بن عبد الله بن صنفل بن خطاب
وهو اخر ملوكهم وكانت قاعدة ملكه زويلة وتعرف زويلة بن خطاب فتقبض عليه
وعذبه على المال حتى هلك ولم يزل يفتح البلاد الى ان وصل طرابلس واجتمع عليه عرب
ذباب من سليم ونهض بهم الى جبل نفوسة فملكه واستخلص امواله للعرب واتصل به مسعود
ابن زمام شيخ الدواودة من رياح عند مفره من المغرب كما ذكرناه واجتمعت ايديهم
على طرابلس وافتتحها واجتمع اليه ذوبان العرب من هلال وسليم وفرض لهم العطا
واستبد بملك طرابلس وما وراءها وكان قراقش من الارمن وكان يقال له المظفري
لانه مملوك المظفر والناصري لانه كان يخطب للناصر صلاح الدين وكان يكتب في ظهايره
ولي امير المومنين بسكون الميم ويكتب علامة الظهير بخطه وثقتي بالله وحده اسفل
الكتاب واما ابراهيم بن قراتكين صاحبه فانه سار مع العرب الى قفصة فملك
جميع منازلها واسل بني الرند روسا قفصة فامكنوه من البلد لاخراجهم عن بني
عبد المومن فدخلها وخطب للعباسي ولصلاح الدين الى قتله المنصور عند فتح
قفصة كما نذكره في اخبار الموحدين ثم رجع الخبر الى ابن غانية ولما وصل علي بن
غانية الى طرابلس ولقي قراقش اتفقا على المظاهرة على الموحدين واستمال ابن غانية
كافة بني سليم من العرب وجا جابر من مجالاتهم ببرقة وخالصوه في ولايتهم واجتمع اليه من
كان منحرفا عن طاعة الموحدين من قبايل هلال مثل جشم ورياح والاثبج وجاءهم رغبة
الى الموحدين فاعتقلوا بطاعتهم ساير ايامهم ولحق بابن غانية فل قومه من لمتونة ومسوفة
من اطراف البقاع فانعقد امره وتجدد بذلك القطر سلطان قومه وجدد رسوم الملك
واتخذ الالة وافتتح كثيرا من بلاد الجريد واقام فيها الدعوة العباسية ثم بعث حلده بن
وكاتبه عبد البر بن فرسان الاندلسي الى الخليفة الناصر بن المستضي ببغداد مجددا ما
لقومه من المرابطين بالمغرب والطاعة وطالبا المدد والاعانة فعقد له كما كان لقومه وصدر
الكتاب من ديوان الخلافة من بغداد الى ملك مصر والشام النايب عن الخليفة بها صلاح
الدين يوسف بن ايوب الغزي بان يعينه فكتب له صلاح الدين الى قراقش واتصلت ايديهما
في اقامة الدعوة العباسية وظاهر ابن غانية على حصار قابس فافتتحها قراقش من يد سعيد
ابن ابي الحسن وولى عليها مولاه وجعل فيها ذخايره ثم اتصل بهما ان اهل قفصة خلعوا طاعة
ابن غانية فظاهره قراقش عليها فافتتحها عنوة ثم رحل الى توزر وقراقش في مظاهرته فافتتحها
ايضا ولما اتصل بالمنصور ما نزل بافريقية من اجلاب ابن غانية وقراقش على بلاد الجريد
نهض من مراكش سنة ثلاث وثمانين لحسم هذا الداء واستعادة ما غلبوا عليه ووصل الى
تونس فاراح بها وسرح في مقدمته السيد ابا يوسف بن ابي حفص عمر بن عبد المومن ومعه
عمر بن ابي زيد من اعيان الموحدين فلقيهم ابن غانية في جموعه بعمرة فانهزم الموحدون
وقتل ابن ابي زيد وجماعة منهم واسر علي بن الزبرتير في اخرين وامتلات ايدي العدو من
اسلابهم ومتاعهم ووصل شريدهم الى تونس وصمد المنصور اليهم فاوقع بهم بظاهر
الحامة في شعبان من سنته وافلت ابن غانية وقراقش بجريعة الذقن وبادر اهل قابس

وكانوا خالصة لقراقش دون بني غانية فاتوا طاعتهم واسلموا من كان عندهم من اصحابه
وذويه فاحتملوا الى مراكش وقصد المنصور توزر ففر من كان بها من الحشود وقتل ابرهيم
ابن قراتكين وامتن على سائر الاغزاز وخلى سبيلهم وامن اهل البلد في انفسهم وجعل
املاكهم بايديهم على حكم المساقات ثم غزا العرب واستباح عليهم واجابهم حتى
استقاموا على الطاعة فنقل المتولين كبر الخلاف والفتنة منهم الى المغرب من جشم
ورياح والعاصم كما قدمناه وقفل الى المغرب سنة اربع وثمانين ورجع ابن غانية
وقراقش الى حالهما من الاجلاب على بلاد الجريد الى ان هلك علي في بعض حروبه مع اهل
نفزاوة سنة اربع وثمانين اصابه سهم غرب كان فيه هلاكه فدفن هنالك وعفي على قبره
ويقال بل حمل شلوه الى ميورقة فدفن بها وقام بالامر اخوه يحيى بن اسحاق بن محمد
ابن غانية وجرى في مظاهرة قراقش وموالاته على سنن اخيه ثم نزع قراقش الى
الى طاعة الموحدين سنة ست وثمانين فهاجر اليهم بتونس وتقبله السيد ابو زيد
ابن ابي حفص بن عبد المومن واقام بعدها اياما ثم فر ووصل الى قابس فدخلها مخادعة
وقتل جماعة منهم واستدعى اشياخ دباب والكعوب من بني سليم فقتل سبعين منهم
بقصر العروسيين كان منهم محمود بن طوق ابو المحاميد وحميد بن جارية ابو الجواري
ونهض الى طرابلس فافتتحها ورجع الى بلاد الجريد فاستولى على اكثرها ثم فسد ما
بينه وبين يحيى بن غانية وسار اليه يحيى فانهزم قراقش ولحق بالجبال وتوغل فيها
ثم نزل الى الصحراء ونزل ودان ولم يزل بها الى ان حاصره بن غانية من بعد ذلك بمدة
وجمع عليه اهل البلاد من دباب وافتتحها عليه عنوة وقتله ابنه بالموحدين ولم يزل بالحضرة
الى ايام المستنصر ثم فر الى ودان واجلب في الفتنة فبعث اليه ملك كانم من قتله سنة
ست وخمسين وستمائة رجع الخبر واستولى بن غانية على الجريد واستنزل ياقوت
مولى قراقش من طرابلس كما اذكر التجاني في رحلته ولحق ياقوت بطرابلس ونازله
ابن غانية بها وطال امد حصاره وبالغ ياقوت في المدافعة وبعث يحيى عن اسطوله
ميورقة فامده اخوه عبد الله بقطعتين منه فاستولى على طرابلس واشخص ياقوت
الى ميورقة فاعتقل بها الى ان اخذها الموحدون وكان من خبر ميورقة ان علي بن
غانية لما نهض الى فتح بجاية ترك اخاه محمدا وعلي بن الزبير في معتقلهما فلما خلا الجو
من اولاد غانية وكثير من الحامية داخل اهلها على اطلاق محمد بن اسحاق فاطلق من
معتقله وصار الامر له ثم دخل في دعوة الموحدين ووفد مع علي بن الزبير على يعقوب
المنصور وجالهم الى ميورقة عبد الله بن اسحاق ركب البحر من افريقية الى صقلية
وامدوه باسطول ووصل الى ميورقة عند وفادة اخيه على المنصور فملكها فلم يزل
بها واليا وبعث الى اخيه علي بالمدد على طرابلس كما ذكرناه وبعثوا اليه ياقوتا فاعتقله
عنده الى ان غلب عليه الموحدون سنة تسع وتسعين فقتل ومضى ياقوت الى مراكش
وبها مات رجع الخبر ولما فرغ بن غانية من امر طرابلس ولى عليها تاشفين بن عمه
الغازي وقصد قابس فوجد بها عامل الموحدين عمر ابن تافراكين بعثه اليهم صاحب تونس
الشيخ ابو سعيد بن ابي حفص باستدعاء اهلها لما فر عنهم نايب قراقش عند اخذ
ابن غانية لطرابلس فنازل قابس وضيق عليها حتى سالوه الامان على ان يخلي سبيل

ابن تافراكين

ابن تافراكين فعقد لهم ذلك وامكنوه من البلد فملكها سنة احدى وتسعين واغرمهم ستين
الف دينار وقصد المهدية سنة سبع وتسعين فاستولى عليها وقتل الثاير بها محمد بن عبد
الكريم الركراكي وكان من خبره انه نشا بالمهدية وصار من جندها المرتزقين وهو كومي الاصل
وكانت له شجاعة معروفة فجمع لنفسه خيلا ورجالا وصار يغير على المفسدين من الاعراب بالا طراف
ذواخلهم هيبته وبعد في ذلك صيته واملاه الناس بالدعا وقدم ابو سعيد بن ابي حفص
على افريقية من قبل المنصور لاول ولايته وولى على المهدية اخاه يونس وطالب محمد بن
عبد الكريم بالسهمان في المغارم وامتنع فانزل به النكال وعاقبه بالسجن فدبر بن
عبد الكريم الثورة وداخل فيها بطانته وتقبض على ابي علي يونس سنة خمس وتسعين
واعتقله الى ان فداه اخوه ابو سعيد بخمسمائة دينار من الذهب العين واستبد
ابن عبد الكريم بالمهدية ودعا لنفسه وتلقب بالمتوكل على الله ثم وصل السيد
ابو زيد بن ابي حفص عمر بن عبد المومن واليا على افريقية فنازله بن عبد الكريم بتونس سنة
ست وتسعين واضطرب معسكره بحلق الوادي وبرزت اليه جيوش الموحدين فهزمهم
وطال احصاره لهم ثم سالوه الافراج عنهم فاجاب لذلك وارتحل عنهم الى حصار يحيى
ابن غانية بقابس فنازله مدة ثم ارتحل الى نفصة وخرج بن غانية في اتباعه فانهزم
ابن عبد الكريم امامه ولحق بالمهدية وحاصره بن غانية بها سنة سبع وتسعين وامده السيد
ابو زيد بقطعتين من الغزاة حتى سال بن عبد الكريم النزول على حكمه وخرج اليه فتقبض
عليه بن غانية وهلك في اعتقاله واستولى على المهدية واستضافها الى ما كان بيده
من طرابلس وقابس وصفاقس والجريد ثم نهض الى الجانب الغربي من افريقية فنازل
باجة ونصب عليها المجانيق وافتتحها عنوة وخربها وقتل عاملها عمر بن غالب ولحق شريدها
بالاربص وشقبنارية وتركها خاوية على عروشها وبعد مدة تراجع اليها ساكنها بامر
السيد ابي زيد فزحف اليها بن غانية ثانية ونازلها وزحف اليها السيد ابو الحسن اخو السيد
ابي زيد فلقيه بقسنطينة وانهزم الموحدون واستولى على معسكرهم ثم نهض الى بسكرة
واستولى عليها وقطع ايدي اهلها وتقبض على حافظها ابي الحسن بن ابي يعلى وملك
بعدها تبسة والقيروان وبايعه اهل بونة ورجع الى المهدية وقد استفحل ملكه فاعتزم
على حصار تونس وارتحل اليها سنة تسع وتسعين واستعمل على المهدية ابن عمه علي بن
الغازي ويعرف بالحاج بن عبد الله محمد بن علي بن غانية فنزل بالجبل الاحمر من ظاهر
تونس ونزل اخوه بحلق الوادي ثم ما يقوم بمعسكرهم وردموا خنادقها ونصبوا
المجانيق والالات وافتتحوها لاربعة اشهر من حصارها في خاتم المائة السادسة وتقبض
على السيد ابي زيد وبنيه ومن كان معه من الموحدين واخذ اهل تونس بغرم مائة
الف دينار وولى قبضها منهم كاتبه بن عصفور وابو بكر بن عبد العزيز بن السكاك فار هقوا
الناس في الطلب حتى لاذ معظمهم بالموت واستعجل القتل وفي ما نقل ابن اسماعيل بن
عبد الرفيع من بيوتاتها القى بنفسه في بير فهلك فرفع الطلب لنفسيهما عنهم وارتحل
الى نفوسة والسيد ابو زيد معتقل في معسكره ففعل بهم مثل ذلك واغرمهم الف الف من
من الدنانير وكثر عيثه واضراره بالرعية وعظم طغيانه وعتوه واتصل بالناصر بمراكش
ما دهم اهل افريقية منه ومن ابن عبد الكريم قبله فامتعض لذلك ورحل اليها سنة احدي

وستمائة وبلغ يحيى بن غانية خبر زحفه اليه فخرج من تونس الى القيروان ثم الى قفصة
واجتمع اليه العرب واعطوه الرهن على المظاهرة والدفاع ونازل ما جاورها من حصون نفزاوة
فاستباحها وانتقل الى حامة مطماطة ونزل الناصر تونس ثم قفصة ثم قابس وتقصى
منه ابن غانية في جبال دمر ثم رجع عنه الى المهدية وعسكر عليها واتخذ الالة لحصارها وسرح
الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص لقتال ابن غانية في اربعة الاف من الموحدين
سنة اثنتين وستمائة فلقيه بجبل تاجرا من نواحي قابس واوقع به وقتل اخاه جبارة
ابن اسحاق واستنقذ السيد ابا زيد من معتقله ثم افتتح الناصر المهدية ودخل
واليها علي بن الغازي في دعوته فتقبله ورفع مكانه ووصله بهدية وافق وصولها
من سبتة على يد ناصح مولاه وكان فيها ثوبان منسوجان بالجواهر فوصله بذلك كله ولم
يزل معه الى ان استشهد مجاهدا وولى الناصر على المهدية محمد بن يغمور من الموحدين
ورجع الى تونس ثم نظر فيمن توليه امر افريقية على ذلك سنة ثلاث كما نذكره في اخباره
ورجع الناصر الى المغرب واجمع ابن غانية النهوض لقتال الموحدين بتونس وجمع ذؤبان
العرب من الدواودة وغيرهم وامير الدواودة يومئذ محمد بن مسعود بن سلطان وتحيز
بنو عوف بن سليم الى الموحدين والتقوا بشبرو من نواحي تبسة فانهزمت جموع ابن
غانية ولجأ الى جهة طرابلس ثم نهض الى المغرب في جموعه من العرب والملثمين فانتهى
الى سجلماسة وامتلأت ايدي اتباعه من النهاب وحرقوا الارض بالعيث والفساد
وانكفأ الى المغرب الاوسط وداخله المفسدون من زناتة واغروا به صاحب تلمسان
السيد ابا عمران يوسف بن عبد المؤمن فلقيه بتاهرت فهزمه ابن غانية وقتله واسر موسى بن
ولده وكر راجعا الى افريقية فاعترضه الشيخ ابو محمد صاحب افريقية في جموع الموحدين
واستنقذ الغنائم من ايديهم ونجا ابن غانية الى جبال طرابلس وهاجر اخوه سير بن
اسحاق الى مراكش فتقبله الناصر واكرمه ثم اجتمع الى ابن غانية طوائف العرب من
رياح وعوف ونغاث ومن معهم من قبائل البربر واعتزم على دخول افريقية ونهض
اليهم الشيخ ابو محمد سنة ست ولقيهم بجبل نفوسة ففل عسكرهم واستلحم امراءهم
وغنم ما كان معهم من الظهر والكراع والاسلحة وقتل يومئذ محمد بن الغازي وجرار بن
ويغذن المغراوي وعبد الله بن محمد بن مسعود بن سلطان الدوادي وكان ابوه يومئذ
امير رياح وقتل معه ابن عمه حركات بن ابي الشيخ بن عساكر بن سلطان وهلك يومئذ
من العرب الهلاليين امير قرة سماه بن عنيل **وحكى** ابن نخيل ان مغانم الموحدين
يومئذ من عساكر الملثمين فكانت ثمانية عشر الفا من الظهر فكان ذلك مما اوهن من
شدته وطامن باسه وثارت قبائل نفوسة بكاتبه ابن عصفور فقتلوا ولده وكان ابن
غانية بعثه عليهم للمغرم وسار ابو محمد في نواحي افريقية واوقع بسليم واستاق شياههم
باهلهم واسكنهم بتونس حسما للفساد بهم وصلحت احوال افريقية الى ان هلك الشيخ
ابو محمد سنة ثمان عشرة وولي افريقية السيد ابو العلى ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن
وقيل بل وليها قبل مهلك الشيخ ابي محمد فاستكان بعد مهلكه سورة ابن غانية وتخم
تبلغه وعيثه ثم نهض اليه السيد ابو العلا ونزل قابس واقام بقصر العروسيين وسرح
ولده السيد ابا زيد بعسكر من الموحدين الى درج وغدامس وسرح عسكرا اخر الى

ودان

ودان لحصار ابن غانية فارجف بهم العرب وانفضوا وهم بهم السيد ابو العلى وفر ابن غانية من
ودان الى الزاب واتبعه السيد ابو زيد فنازله ببسكرة واقتحمها عليه ونجا ابن غانية وجمع
اوباشا من العرب والبربر واتبعه السيد ابو زيد في الموحدين وقبائل هوارة وتزاحفوا
بظاهر تونس سنة احدى وعشرين فانهزم ابن غانية وجموعه وقتل كثير من الملثمين وامتلأت
ايدي الموحدين من الغنائم وكان لهوارة يومئذ واميرهم حناش بن بعرة من ونيفن في هذا
الزحف اثر مذكور وبلاء حسن وبلغ السيد ابا زيد اثر هذه الوقيعة مهلك ابيه بتونس
فانكفأ راجعا واعيد بنو ابي حفص الى مكان ابيهم الشيخ ابي محمد من امارة افريقية
واستقل الامير ابو زكريا منهم بامرها واقتطعها عن ملكة آل عبد المؤمن وتناولها
من اخيه ابي محمد عبد الله وهذا الامير ابو زكريا منهم هو جد الخلفاء الحفصيين
وماهد امرهم بافريقية فاحسن دفاع ابن غانية عنها وشرده في اقطارها ورفع يده
شيئا فشيئا عن النيل من اهلها ورعاياها ولم يزل شريدا مع العرب بالقفار يبلغ سجلماسة
من اقصى المغرب والعقبة الكبرى من تخوم الديار المصرية واستولى على ابن مذكور
صاحب السويقة من تخوم برقة واوقع بمغراوة بوادي ما بين متيجة ومليانة وقتل اميرهم
منديل بن عبد الرحمن وصلب شلوه بسور الجزائر وكان يستخدم الجند فاذا اسموا الخدمة
تركهم لسبيلهم الى ان هلك لخمسين سنة من امارته سنة احدى وثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين
وستمائة ودفن وعفي اثر مدفنه يقال بوادي الرجوان قبلة الاربس ويقال لجهة مليانة
من وادي شلف ويقال بصحراء باديس وتنومة من بلاد الزاب فانقرض امر الملثمين من
مسوفة ولمتونة من بلاد افريقية والمغرب والاندلس بمهلكه وذهب ملك صنهاجة من
الارض بذهاب ملكه وانقطاع اثره وتخلف بنات بعثهن زعموا الى الامير ابي زكرياء
يعهد بذلك الى ملجئه مما يرفوضعهن في بلد وبلغه وصاة ابيهن اياه بهن وحسن ظنه في
كفالته اياهن فاحسن الامير ابو زكريا كفالتهن وبنى لهن بحضرته دارا لصونهن معروفة
لهذا العهد بقصر البنات واقمن تحت جرايته وسعة من رزقه مصونات لوصاة
ابيهن بذلك منهن وحفظهن لوصاته **ولقد** يقال ان ابن عم لهن خطب احداهن فبعث
اليه الامير ابو زكريا وقال لها هذا ابن عمك واحق بك وقالت لو كان ابن عمنا ما كفلتنا
الاجانب الى ان هلكن عوانس بعد ان متعن من العمر بحظ **اخبرني** والدي رحمه الله
انه ادرك واحدة منهن ايام صباه في سني العشر والسبعمائة تناهز التسعين من السنين
قال ولقيتها وكانت من اشراف النساء نفسا واسواهن خلقا واذكاهن خلافا والله وارث
الارض ومن عليها **وبقي** هؤلاء الملثمون وقبائلهم لهذا العهد بمجالاتهم من جوار السودان
حجزا بينهم وبين الرمال التي هي تخوم بلاد البربر من المغربين وافريقية وهم لهذا العهد
متصلون من ساحل البحر المحيط في المغرب الى ساحل النيل بالمشرق وهلك من قام بالملك
منهم بالعدوتين وهم قليل من مسوفة ولمتونة كما ذكرناه اكلتهم الدولة وابتلعتهم
الافاق والاقطار وافناهم الترف واستلحمهم اخرا الموحدون وبقي من اقام بالصحراء
منهم على حالهم الاول من افتراق الكلمة واختلاف البين وهم الان يعطون طاعة لملك
السودان يجبون اليهم خراجهم ويغزون في معسكرهم واتصل سياجهم على بلاد السودان
الى المشرق مناظرا لسياج العرب على بلاد المغربين وافريقية فكدالة منهم في مقابلة

ذوي حسان من المعقل عرب السوس الاقصى ولمتونة وتريكه في مقابلة ذوي منصور
وذوي عبيد الله من المعقل ايضا عرب المغرب الاقصى ومسوفة في مقابلة زغبة عرب
المغرب الاوسط ولمطة في مقابلة رياح عرب الزاب وبجاية وقسنطينة وتاركا في
مقابلة سليم عرب افريقية واكثر مكاسبهم الابل لمعاشهم وحمل اثقالهم وركوبهم
والخيل قليلة لديهم او معدومة ويركبون من الابل الفارة يسمونها النجب ويقتتلون
عليها اذا كانت بينهم حرب وسيرها هملجة ويكاد يلحق بالركض وربما يغزوهم اهل
القفر من العرب وخصوصا بنو سعيد من بادية رياح فهم اكثر العرب غزاة الى بلادهم
فيستبيحون من صبحوه منهم ويتكفون مغابن فاذا انفصل الصايح باحيائهم وركبوا
في اتباعهم اعترضوهم على المياه قبل وصولهم من تلك البلاد فلا يكادون يتخلصون
ويشتد الحرب بينهم فلا تخلص بغنايمهم الا بعد جهد وقد يهلك بعضهم ولله الخلق
والامر واذ عرض لنا ملوك السودان فلنذكر ملوكهم لهذا العهد المجاورين لملوك
المغرب

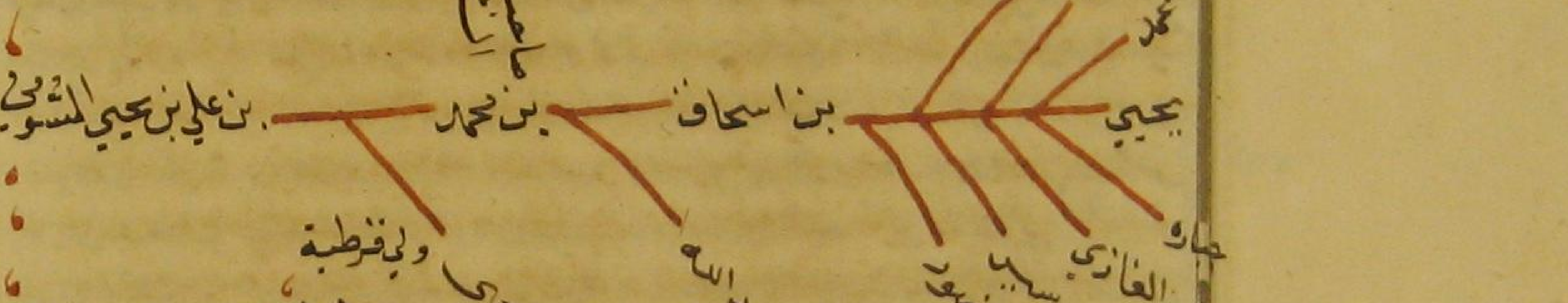

الخبر عن ملوك السودان المجاورون للمغرب من وراء الملثمين ووصف احوالهم والالمام بما اتصل بنا من دولهم

هذه الامم السودانية من الادميين هم اهل الاقليم الثاني وما وراءه الى اخر
الاول بل والى اخر المعمور متصلون ما بين المغرب والمشرق يجاورون بلاد البربر
بالمغرب وافريقية وبلاد اليمن والحجاز بالوسط والبصرة وما وراءها من بلاد الهند
بالمشرق وهم اصناف وشعوب وقبايل اشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة
واما اهل المغرب منهم فنحن ذاكروهم بعد واما نسبهم فالى حام بن نوح فالحبشة
من ولد حبش بن كوش بن حام والنوبة من ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام فيما
قاله المسعودي وقال ابن عبد البر انهم من ولد نوبا بن قوط بن بيصر بن حام

والزنج

والزنج من ولد زنجي بن كوش واما ساير الاساود فمن ولد قوط بن حام فيما قاله ابن
عبد البر وقال هو قفط بن حام وعد ابن سعيد من قبايلهم وامهم تسع عشرة امة
فمنهم بالمشرق الزنج على بحر الهند لهم مدينة منبسة وهم مجوس وهم الذين غلب
رقيقهم بالبصرة على سادتهم مع دعي الزنج في خلافة المعتمد قال ويليهم بربرا
الذين ذكرهم امرؤ القيس في شعره والاسلام لهذا العهد فاش فيهم ولهم مدينة مقدشو
على البحر الهندي يحجها تجار المسلمين ومن غربيهم وجوفيهم الدمادم وهم حفاة عراة
قال وخرجوا الى بلاد الحبشة والنوبة عند خروج الططر الى العراق فعاثوا فيها ثم
رجعوا اماك ويليهم الحبشة وهم اعظم امم السودان وهم يجاورون لليمن على ساحل
البحر الغربي ومنه عبروا لملك اليمن ايام ذي نواس وكانت دار مملكتهم كعبر وكانوا على
دين النصرانية واخذ بالاسلام واخذ منهم زمن الهجرة على ماثبت في الصحيح ثم عادوا
الى دينهم وهم ينتظرون ملك اليمن في اخر الزمان والذي اسلم منهم لعهد النبي صلى
الله عليه وسلم وهاجر اليه الصحابة قبل الهجرة الى المدينة فاواهم ومنعهم وصلى عليه
النبي صلى الله عليه وسلم عندما نعي اليه كان اسمه النجاشي وهو بلسانهم انكاش
بالكاف المشمة بالجيم عربتها العرب جيما محضة والحقتها ياء النسب شان نسبتها
في الاسماء العجمية اذا تصرفت فيها وليس هذا الاسم سمة لكل من يملك منهم كما
يزعم كثير من الناس ممن لا علم له بهذا ولو كان كذلك لكانت هذه التسمية الى اليوم
لان ملكهم لم يتحول عنهم وملكهم لهذا العهد اسمه الحطي اسم السلطان نفسه
او اسم لعشيره الذين فيهم الملك وفي غربيه مدينة داموت بها ملك من
اعاظمهم وله ملك ضخم وفي شمالها له ملك اخر منهم اسمه حق الدين بن محمد بن علي بن
ولصمع في مدينة وفات اسلم اولهم في نوادي مجهوله وكان جده ولصمع مطيعا لملك
داموت وادركت الحطي الغيرة من ذلك فغزاه واستولى على بلاده ثم اتصلت
الفتنة وضعف امر الحطي فاسترجع بنو ولصمع بلادهم من الحطي وبنيه واستولوا
على وفات وخربوها وبلغنا ان حق الدين هلك وملك بعده اخوه سعد
الدين وهم مسلمون ويعطون الطاعة للحطي احيانا وينابذونه اخرى والله مالك
الملك قال ابن سعيد ويليهم البجاوة وهم نصارى ومسلمون ولهم جزيرة سواكن
في بحر السويس ويليهم النوبة اخوة الزنج والحبشة ولهم مدينة دنقلة غربي النيل
واكثرهم نصارى ومجاورون للديار المصرية ومنهم رقيقها ويليهم زغاوة وهم مسلمون
ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم وهم خلق عظيم والاسلام غالب عليهم ولهم
حيمي ولهم التغلب على بلاد الصحراء الى فزان وكانت لهم مهاداة مع الدولة الحفصية
منذ اولها ويليهم من غربيهم كوكو وبعدهم تنادر والتكرور ولمي ويميم وجابي وكوري
وانكزار ويتصلون بالبحر المحيط الى غانة في المغرب انتهى كلام ابن سعيد ولما فتحت
افريقية المغرب دخل التجار بلاد المغرب منهم فلم يجدوا فيهم اعظم من ملك غانة كانوا
مجاورين للبحر المحيط من جانب الغرب وكانوا اعظم امة ولهم اضخم ملك وحاضرة ملكهم
غانة مدينتان على ضفتي امة اخرى تعرف كوكو وبتال باغوائهم بعدها امة اخرى
تعرف بالتكرور واخبرني الشيخ عثمان فقيه اهل غانة وكبيرهم علما ودينا وشهرة

كن

وقدم مصر سنة ست وتسعين حاجا باهله وولده لقيته بها فقال انهم يسمون
التكرور زغاي ومالي انكاريه انتهى ثم ان اهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى امرهم
واستفحل امر الملثمين المجاورين لهم من جهة الشمال مما يلي بلاد البربر كما ذكرناه
واعتزوا على السودان واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا منهم الاتاوات
والجزية وحملوا كثيرا منهم على الاسلام فدانوا به ثم اضمحل ملك اصحاب غانة
وتغلب عليهم اهل صوصو المجاورين لهم من امم السودان واستعبدوهم واصاروهم
في جملتهم ثم ان اهل مالي كثروا امم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا على
الامم فتغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بايديهم من ملكهم القديم وملك اهل غانة
الى اليوم من ناحية الغرب وكانوا مسلمين يذكرون ان اول من اسلم منهم اسمه
برمنداذ ضبطه الشيخ عثمان وحج هذا الملك واقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده
وكان ملكهم الاعظم الذي تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع الملك من
ايديهم اسمه ماري جاطه ومعنى ماري عندهم الامير الذي يكون من نسل السلطان
وجاطه الاسد واسم الحافد عندهم تكرو ولم يتصل بنا نسب هذا الملك وملك
عليهم خمسا وعشرين سنة فيما ذكروه ولما هلك ولي عليهم من بعده ابنه منسى ولي
ومعنى منسا السلطان ومعنى ولي بلسانهم علي وكان منسا ولي هذا من اعاظم
ملوكهم وحج ايام الظاهر بيبرس وولي عليهم من بعده اخوه خليفة وكان حمقا راميا
فكان يرسل السهام على الناس فيقتلهم مجانا فوثبوا عليه فقتلوه وولي من بعده
سبط من اسباط ماري جاطه يسمى بابي بكر وكان ابن بنته فملكوه على سنن الاعاجم في
تمليك الاخت وابن الاخت ولم يقع لنا نسبه ونسب ابيه ثم ولي عليهم من بعده
مولى من مواليهم تغلب على ملكهم اسمه ساكوره وقال الشيخ عثمان ضبطه اهل
غانه سبكره وحج ايام الملك الناصر وقتل عند مرجعه بتاجورا وكانت دولته
ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الامم المجاورة لهم وافتتح بلاد كوكو وصارها
في ملكة اهل مالي فاتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب الى بلاد التكرور في المشرق
واعتز سلطانهم وهابتهم امم السودان وارتحل الى بلادهم التجار من بلاد المغرب
وافريقية وقال الحاج يونس ترجمان التكرور ان الذي فتح كوكو هو سغمنجه
من قواد منسا موسى وولي من بعد ساكوره هذا قو بن السلطان ماري جاطه ثم
من بعده ابنه محمد بن قو ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان ماري جاطه الى ولد اخيه
ابي بكر فولي عليهم منسى موسى بن ابي بكر وكان رجلا صالحا وملكا عظيما له في العدل
اخبار تؤثر عنه وحج سنة اربع وعشرين وسبعماية لقيه في الموسم شاعر الاندلس
ابو اسحاق ابراهيم الساحلي المعروف بالطويجن وصحبه الى بلاده وكان له اختصاص
وعناية ورثها ولده من بعده الى الان واوطنوا ولاتن من تخوم بلادهم من ناحية
المغرب ولقيه في منصرفه صاحبنا المعمر ابو عبد الله بن خديجة الكومي من ولد عبد
المومن كان داعية بالزاب للفاطمي المنتظر واجلب عليهم بعصايب من العرب فتمكن به
صاحب واركلى واعتقله ثم خلى سبيله بعد حين فخاض القفر الى السلطان منسا
موسى بن استنجاد ملكه بالصحرا الموالية لبلد واركلى وقوة سلطانه فلقي منه مبرة

وترحيبا

وترحيبا ووعده بالمظاهرة والقيام بثاره واستصحبه الى بلده اخبرني وهو الثقة قال
كنا نواكبه انا وابو اسحاق الطويجن دون وزرايه ووجوه قومه فناخذ باطراف الاحاديث
فيمتنع وكان يتحفنا في كل منزل بطرف الماكل والحلاوات قال والذي يحمل آلته وحرثيه
من الوصايف خاصة اثنى عشر الفا لابسات اقبية الديباج والحرير اليماني قال
الحاج يونس ترجمان هذه الامة بمصر جاء هذا الملك منسا موسى من بلده بثمانين حملا من
التبر في كل حمل ثلاثة قناطير قال وانما يحملون على الوصايف والرجال في اوطانهم فقط
واما السفر البعيد كالحج فعلى المطايا قال ابن خديجة ورجعنا معه الى حضرة
ملكه فاراد ان يتخذ بيتا لمقعد سلطانه محكم البنا مجللا بالكلس لغرابته بارضهم
فاطرفه ابو اسحاق الطويجن ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صنعا
اليدين واضفى عليها الكلس ووالى عليه بالاصباغ المشبعة فجاءت من اتقن المباني ووقعت
من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صناعة البنا بارضهم ووصله باثني عشر الناس
مثاقيل التبر مثوبة عليها الى ما كان له من الاثرة والمحل البعية والصلات السنية وكان
بين هذا السلطان منسا موسى وبين ملك المغرب لعهده من بني مرين السلطان ابي الحسن
مواصلة ومهادات سفرت بينهما فيها الاعلام من رجالات الدولتين واستجاد صاحب
المغرب من متاع وطنه وتحف ممالكه ما تحدث عنه الناس زمانا على ما نذكره في موضعه
فبعث بها مع علي بن غانم امير المعقل واعيان من رجالات دولته وتوارثت تلك الوصلة
اعقابهما كما سياتي واتصلت ايام منسا موسى هذا خمسا وعشرين سنة ولما هلك ولي
امر مالي من بعده ابنه منسا مغا ومعنى مغا عندهم محمد وهلك لاربع سنين من ولايته
وولي امرهم من بعده منسا سليمان بن ابي بكر وهو اخو موسى واتصلت ايامه اربعا وعشرين
سنة ثم هلك فولي من بعده ابنه فنبا بن سليمان وهلك لتسعة اشهر من ولايته فولي
عليهم من بعده ماري جاطه بن منسا مغا بن منسا موسى واتصلت ايامه اربعة عشر عاما
وكان شر وال عليهم لما سامهم من النكال والعسف وافساد الحرم واتحف ملك المغرب
لعهده السلطان ابا سالم بن السلطان ابي الحسن بالهدية المذكورة سنة اثنتين
وستين وكان فيها الحيوان العظيم الهيكل المستغرب بارض المغرب المعروف بالزرافة
يحدث الناس بما اجتمع فيه من مفترق الحلي والشبه في جثمانه ونعوته دهرا
واخبرني القاضي الثقة ابو عبد الله محمد بن واسول من اهل سجلماسة وكان اوطن
بارض كوكو من بلادهم واستعملوه في خطة القضاء بها لقيته بمصر سنة ست وسبعين
وسبع مايه فاخبرني عن ملوكهم بالكثير مما كتبته وذكر لي عن هذا السلطان ماري جاطه
انه افسد ملكهم واتلف ذخيرتهم وكاد ان ينتقض شان سلطانهم قال ولقد انتهى الحال
به في سرفه وتبذيره ان باع حجر الذهب الذي كان في جملة الذخيرة بخزاينهم وهو حجر يزن
عشرين قنطارا منقولا من المعدن من غير علاج بالصناعة ولا تصفية بالنار وكانوا يرونه
من انفس الذخاير والغرايب لندور مثله في المعدن فعرضه جاطه هذا الملك المسرف
على تجار مصر المترددين الى بلده وابتاعوه منه بابخس ثمن الى ما استهلك من ذخاير ملكهم
سرفا وتبذيرا في سبيل الفسوق والتخلف قال واصابته علة النوم وهو مرض كثيرا
ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصا الروسا منهم يعتاده غشي النوم عادة ازمانه

حتى كاد ان لا يفيق ولا يستيقظ الا في القليل من اوقاته ويزمن بصاحبه وينفصل
سنته الى ان يهلك قال فازمنت هذه العلة بجاطه هذا امد عامين اثنين وهلك
سنة خمس وسبعين وولوا من بعده ابنه موسى فاقبل على مذاهب العدل والنظر
لهم ونكب عن طرق ابيه جملة وهو الان مرجو الهداية وتغلب على دولته وزيرهم ماري
جاطه ومعنى ماري عندهم الوزير وجاطه تقدم وهو الان قد حجر السلطان موسى
واستبد بالامر عليه ونظر في تجهيز العساكر وتجهيز الكتايب ودوخ اقطار الشرق
من بلادهم وتجاوز تخومهم كوكو وجهز الى منازلة بلد تكده ثما وراها من بلاد الملثمين
كتايب نازلتها لاول الدولة واخذت بمخنقها ثم افرجت عنها وحالهم لهذا العهد ه
وتكده هذه على سبعين مرحلة من بلد واركلي في الجانب القبلي الغربي ورييسها من ه
الملثمين يعرف بالسلطان وعليه طريق الحاج من السودان وبينه وبين امير الزاب
ووار كلي مهاداة ومراسلة قال وحاضرة الملك لاهل مالي هو بلد بني بلد متسع
الخطة معتمد على الزرع مستبحر العمارة نافق الاسواق وهو الان محط الركاب التجر من
المغرب وافريقية ومصر والبضايع مجلوبة اليها من كل قطر ثم بلغنا لهذا العهد ان
منسا موسى توفي سنة تسع وثمانين وتولى بعده اخوه منسا مغا ثم قتل لسنة او نحوها
وولي بعده صندكي زوج ام موسى ومعنى صندكي الوزير ووثب عليه بعد اشهر رجل من
بيت ماري جاطه ثم خرج من بلاد الكفرة وراءهم رجل اسمه محمود ينسب الى منسا قو بن
منسا ولي بن ماري جاطة الاكبر فتغلب على الدولة وملك امرهم سنة ثنتين وتسعين ولقبه
منسا مغا والخلق والامر لله

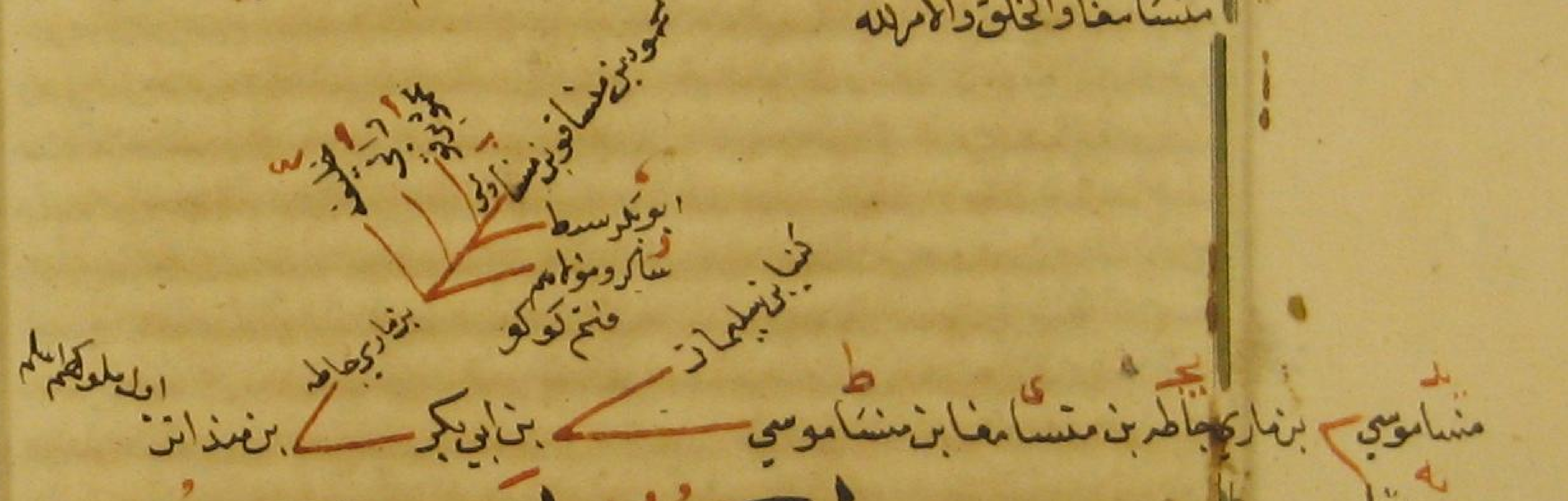

الخبر عن لمطة وكزولة وهسكورة بني تصكي وهم اخوة هوارة وصنهاجة

هؤلاء القبايل الثلاثة قد تقدم لنا انهم اخوة لصنهاجة وان امهم الخمسة تصكي
العرجا بنت زحيك بن مادغيس فاما صنهاجة فمن ولد عاميل بن زعزاع واما هوارة
فمن ولد اوريغ وهو الهابن برنس واما الاخرون فلا تحقيق في نسبهم قال ابن حزم

ان

ان صنهاجة ولمطة لا يعرف لهما اب وهذه الامم الثلاثة موطنون بالسوس وما يليه
من بلاد الصحرا وجبال درن ملؤا بسايطه وجباله فاما لمطة فاكثرهم مجاورون
الملثمين من صنهاجة ولهم شعوب كثيرة واكثرهم ظواعن اهل وبر ومنهم بالسوس
فلستازكن ولخص صاروا في عداد ذوي حسان من معقل وبقايا لمطة بالصحرا مع
الملثمين ومعظمهم في قبلة بلاد تلمسان وافريقية وكان منهم الفقيه واكاك بن زيري
صاحب ابو عمران الفاسي وكان نزل سجلماسة ومن تلميذه كان عبد الله بن ياسين صاحب
الدولة اللمتونية على ما مر واما كزولة فبطونهم كثيرة ومعظمهم بالسوس ويجاو دون
لمطة ويحاربونهم ومنهم الان ظواعن بارض السوس وكانت لهم مع المعقل حروب قبل ان
يدخلوا السوس فلما دخلوه تغلبوا عليهم وهم الان من خولهم واحلافهم ورعاياهم
واما هسكورة وهم لذلك العهد في عداد المصامدة وينتسبون الى دعوة الموحدين
وهم امم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن الى تادلا من جانب الشرق
والى درعة من جانب القبلة وكان دخول بعضهم في دعوة المهدي قبل فتح مراكش ولم
يستكملوا الدخول في الدعوة الا من بعد فلذلك لا يعدهم كثير من الناس في الموحدين
وان عدوا فليسوا من اهل السابقة فيهم لخالفتهم الامام اول الامر وما كان من خروج بهم
معه ومع اوليائه وشيعته وكانوا ايضا يدينون بخلافهم وعداوتهم ويجهرون بلعنهم
فيقول خطيبهم في جامع صلواتهم لعن الله هنتاتة وتينملل وشيخهم الضال المضل
فلما استقاموا من بعد ذلك لم تكن لهم مزية السابقة كما كانت لهنتاتة وتينملل
وهرغة وهزرجة فان استقامتهم على الدعوة كانت بعد فتح مراكش وبطون هسكورة
هؤلاء متعددون فمنهم مصطاوة وغجدامة وفطواكة وزمراوة واينتيفت
وابنو لتال وبنو سكور الى اخرين لم يحضرني اسماؤهم وكانت الرياسة عليهم اخر
دولة الموحدين لعمر بن وقاديط المسيسب وذكره في اخبار المامون والرشيد من
بني عبد المومن خلفاء الموحدين بمراكش ثم كان من بعده مسعود بن كلداسن وهو
القايم بامر ابي دبوس والمظاهر له على شانه واظنه جد بني مسعود الروسا عليهم
لهذا العهد من فطواكة المعروفين ببني خطاب لاتصال الرياسة في هذا البيت
ولما انقرض امر الموحدين استعصوا على بني مرين مدة واختلفت حالهم معهم في
الاستقامة والنفرة وكانوا ملجا للمنازعين عن الطاعة من عرب جشم وماوى للثاير
منهم ثم استقاموا واذعنوا للاداء الغراب والمغارم وجبايتها من قومهم والحفوف
الى العسكرة مع السلطان متى دعوا اليها شان غيرهم من ساير المصامدة واما
اينتيفت فرياستهم كانت في اولاد هنو وكان يوسف بن يكنون منهم اتخذ لنفسه حصن
تافنوت وامتنع به ولم يزل ولده علي ومخلوف يستبد فيه من بعده وهلك يوسف وقام
بامره ابنه مخلوف وجاهر بالنفاق سنة ثنتين وسبعمائة ثم راجع الطاعة وهو الذي
تقبض على يوسف بن ابي عياد المتري على مراكش ايام ابي ثابت سنة سبع وسبعمائة
كما نذكر في اخباره فنزل لما احيط به فتشفع عليه مخلوف وامكن منه وكانت وسيلته
من الطاعة وكان من بعده ابنه هلال بن مخلوف والرياسة فيهم متصلة لهذا العهد
واما ابنو لتال فكانت رياستهم لاولاد تروميت وكان منهم لعهد السلطان ابي سعيد

وابنه ابي الحسن كبيرهم علي بن محمد وكان له في الخلاف والامتناع ذكر واستنزله السلطان ابو الحسن من جبله لاول ولايته بعد حصاره بمكانه واصاره في جملته تحت عنايته وجرايته الى ان هلك بنو تمر بعد واقعة القيروان في الطاعون الجارف وولي بنوه من بعد ابيهم الى ان انقرضوا والرياسة لهذا العهد في اهل بيتهم ولاهل عمومتهم واما بنو فطواكه وهم اوسع بطونهم واعظمها رياسة فيهم واقربهم اختلاطا بصنائع الملك واستعمالا في خدمته وكان بنو خطاب منذ انقراض امر الموحدين قد جنحوا الى بني عبد الحق واعطوهم المقادة واختصوا اشياخهم بني خطاب بالولاية عليهم وكان شيخهم لعهد السلطان يوسف بن يعقوب محمد بن مسعود وابنه عمر من بعده وهلك عمر سنة اربع وسبعمائة بمكانه من جبله وولي بعده عمه موسى بن مسعود وسخطه السلطان لتوقع خلافه فاعتقله وكان خلاصه من الاعتقال سنة ست وسبعمايه وقام بامر هسكورة من بعده محمد بن عمر بن محمد بن مسعود ولما استفحل ملك بني مرين وذهب اثر الملك من المصامدة وبعد عنه عهدهم صار بنو مرين الى استعمال رؤسائهم في جباية مغارمهم لكونهم من جلدتهم ولم يكن فيهم اكبر رياسة من اولاد يونس في هنتاتة وبني خطاب هولاء في هسكورة فداولوا بينهم ولاية الاعمال المراكشية وولي بها محمد بن عمر هذا من بعد موسى بن علي واخيه محمد شيخ هنتاتة فلم يزل واليها الى ان هلك قبيل نكبة السلطان ابي الحسن بافريقية ولحق ابنه ابراهيم بتلمسان ذاهبا الى السلطان ابي الحسن فلما دعا ابو عنان لنفسه رجع عنه الى جبله وتمسك بما كان عليه من طاعة ابيه ورماه ابو عنان بعمه عبد الحق وقلده الاعمال المراكشية فلم يغن في مقارعته الى ان لحق السلطان ابو الحسن بمراكش فكان من اعظم دعاته والجي في مظاهرته فلما هلك السلطان ابو الحسن اعتقله ابو عنان واودعه السجن ثم قتله بين يديه بنهوضه الى تلمسان سنة ثلاث وخمسين وقام بامره من بعده اخوه منصور بن محمد الى ان هلك الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن بمراكش سنة ست وسبعين فاستنقذ منه وتنقض عليه واعتقله بداره ابن عمه يحيى بن العلام بن يسرى بن مسعود بن خطاب كان في جملته وكان هو وابوه نازعا الى بني مرين نحو ما على انفسهم من اولاد محمد بن عمر لترشحهم للامر فلما استمكن منه بدار معتقلا وتبع عليه فقتله واستلحم بنيه معه وسخطه السلطان لها فاعتقله قليلا ثم اطلقه واستقل برياسة هسكورة لهذا العهد والله قادر على ما يشاء سبحانه

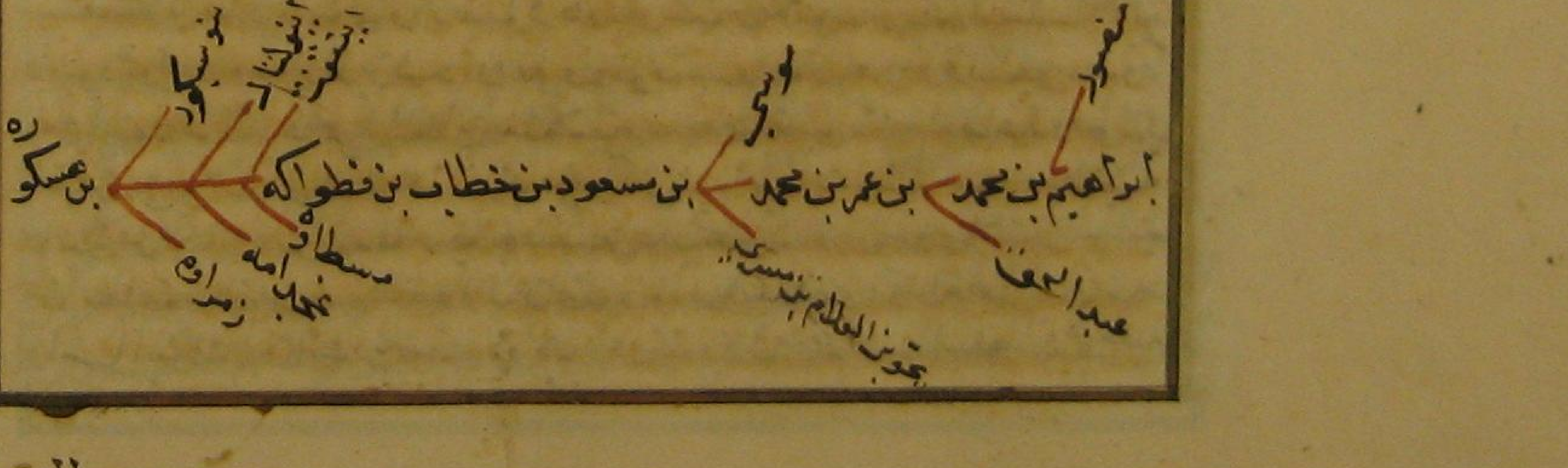

الجز

الطبقة الثالثة من صنهاجة

بلغ

وهذه الطبقة ليس فيها ملك وهم لهذا العهد اوفر قبائل المغرب فمنهم الموطنون بالجانب الشرقي من جبال درن بما بين تادلا ومعدن بني فازاز حيث الثنية المفضية الى اكرسلوين من بلاد النخل وتتصل تلك الثنية بين بلادهم وبلاد المصامدة في المغرب من جبال درن وقد اعتمروا متن تلك الجبال وشواهقها وشعطت مواطنهم من تلك الثنية الى ناحية القبلة الى ان ينتهي الى اكرسلوين ثم ترجع مغربة من اكرسلوين الى درعة الى ضواحي السوس الاقصى واستمار من تارودانت وايفري فونان وغيرهما ويعرف هولاء كلهم باسم صناكة لحذفت الهاء من اسم صنهاجة واشموا صاده زايا وابدلوا الجيم بالكاف المتوسطة المخرج عند العرب لهذا العهد بين الكاف والقاف او بين الكاف والجيم وهي معروفة النطق واصناكة هولاء بين قبائل المغرب وفور عدد وسعة باس ومنعة واعزهم جانبا اهل الجبال المطلة على تادلا ورياستهم لهذا العهد في ولد عمران الصناكي ولهم اعتزاز على الدولة ومنعة على الهضيمة والانقياد للمغرم وتتصل بهم قبائل جانانة منهم ظواعن يسكنون بيوت الشعر وينتجعون مواقع القطر في نواحي بلادهم شغا تيس من قبيلة مكناسة الى وادي ام ربيع من تامسنا في الجانب الشمالي من جانبي جبال درن ورياستهم في ولد هيري من مشاهيرهم ولهم اعتياد بالمغرم وربما على الذل وتتصل بهم قبائل دكالة في بسيط المغرب من عدوة ام ربيع الى مراكش وتتصل بهم من جهة المغرب على ساحل البحر المحيط قبلة بناحية ازمور وافترق العدد منهم رحة في عداد المصامدة وطنا وغلة وجباية وعمالة ورياستهم لهذا العهد في ولد عزيز بن يبورك ورئيسهم لاول دولة زناتة ويأتي ذكره ويعرف عقبه الآن ببني بطان ومن قبائل صنهاجة بطون اخرى بجبال تازى وما اليها مثل بطويه ومجاصة وبني وارتين الى جبل لكاي من جبال المغرب معروف ببني لكاي احد قبائلهم وبطوية المغرم عن عزة ولبطويه منهم ثلاثة بطون بقويه على تازى وبنو وراغل على بلد المزمه واولاد محلي بتافرسنت وكان لاولاد محلي ذمة صهر مع بني عبد الحق ملوك بني مرين وكانت ام يعقوب ابن عبد الحق منهم فاستوزرهم وكان منهم طلحة بن محلي واخوه عمر على ما ياتي ذكره في دولتهم ويتصل ببسيط المغرب ما بين جبال درن وجبل الريف من ساحل البحر الرومي حيث مساكن غمارة الاتي ذكرهم قبائل اخرى من صنهاجة موطنون في هضاب واودية وبسائط يسكنون بيوت الحجارة والطين مثل فشتالة وسطة وبنو ورياجل وبنو حميد وبنو مزكلدة وبنو عمران وبنو درنول ودوثورد وملوانة وبنو وامود ومواطن هولاء كلهم بورغة وامرجو يحترفون بالحياكة والحراثة ويعرفون لذلك صنهاجة البز وهم في عداد القبائل الغارمة ولغتهم في الاكثر عربية لهذا العهد وهم مجاورون لجبال غمارة ويتصل بجبال غمارة من ناحيتهم جبل سريف موطن بني وزروال من صنهاجة وبني معان لا يعترفون بمغارم ويسمون صنهاجة المعز لما اقتضته منعة جبالهم ويقولون

لصنهاجة ازمور الذين قدمنا ذكرهم من صنهاجة البرانس لما هم عليه من الذل والمغرم والله
وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وقد يقال في مراغم البربر ان بني وريند
من صنهاجة وبنو يزناسن وبطويه ويما اخوان واصل يزناسن اجناس ومعناه بلغة
العرب الجنس للارض

الخبر عن المصامدة من قبائل البربر وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب ومبادي ذلك وتصاريفه

واما المصامدة وهم ولد مصمود بن برنس بن بربر فهم اكثر قبائل البربر واوفرهم
ومن بطونهم برغواطة وغمارة واهل جبال درن ولم يزل لمواطنهم بالمغرب الاقصى
منذ الاحقاب المتطاولة وكان التقدم فيهم قبيل الاسلام وصدره لبرغواطة ثم
صار التقدم من بعد ذلك لمصامدة جبال درن الى هذا العهد وكان لبرغواطة في عصرهم
دولة ولاهل درن منهم دولة اخرى او دولتان حسبما نذكره فلنذكر هذه الشعوب
وما كان فيها من الدول بحسب ما تادى الينا من ذلك

الخبر عن برغواطة من بطون المصامدة ودولتهم ومبدا امرهم وتصاريف احوالهم

وهم الجيل الاول منهم كان لهم صدر الاسلام التقدم والكثرة وكانوا شعوبا كثيرة
متفرقين وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر
المحيط من سلا وازمور وانفا واسفي وكان كبيرهم لاول الماية الثانية من الهجرة طريف
ابو صالح وكان من قواد ميسرة الحقير المطغري القايم بدعوة الصفرية ومعهما
معزور بن طالوت ثم انقرض امر ميسرة والصفرية وبقي طريف قايما بامرهم بتامسنا
ويقال انه تنبا ايضا وشرع لهم الشرايع ثم هلك وولي مكانه ابنه صالح وقد كان حضر
مع ابيه حروب ميسرة وكان من اهل العلم والخير فيهم ثم انسلخ من آيات الله وانتحل
دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في كتب المورخين
وادعى انه نزل عليه قرآن كان يتلوا عليهم سورا منه يسمى منها سورة الديك وسورة
الحمل وسورة الفيل وسورة آدم وسورة نوح وكثير من الانبيا وسورة هاروت وماروت
وابليس وسورة غرايب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحلل وشرع وقص
وكانوا يقرون بها في صلاتهم وكان قومه يسمونه صالح المومنين كما حكاه البكري عن زمور
ابن صالح بن هاشم بن وراد الوافد منهم على الحاكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم
ابي عيسى بن ابي الانصار سنة ثنتين وخمسين وثلثماية وكان يترجم عنه الجميع داود
ابن عمر المسطاسي قال كان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع
وعشرين من الماية الثانية من الهجرة وقد قيل ان طريف كان لاول الهجرة وانه انما انتحل

ذلك

ذلك عنادا او محاكاة لما بلغه من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اصح ثم زعم انه
المهدي الاكبر الذي يخرج في اخر الزمان وان عيسى يكون صاحبه ويصلي خلفه وان
اسمه في العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الاعجمي عالم وفي العبراني روبيا وفي البربري
وريا ومعناه الذي ليس بعده نبي وخرج الى المشرق بعد ان ملك امرهم سبعا واربعين سنة
ووعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابع منهم واوصى بدينه الى ابنه الياس وعهد اليه
بموالاة صاحب الاندلس من بني امية وباظهار دينه اذا قوي امرهم وقام بامره بعده
ابنه الياس ولم يزل مظهرا للاسلام مسرا لما اوصاه به ابوه من كلمة كفرهم وكان طاهرا
عفيفا زاهدا في الدنيا وهلك لخمسين سنة من ملكه وولي امرهم من بعده ابنه يونس
فاظهر دينهم ودعا الى كفرهم وقتل من لم يدخل في امره حتى خرب مداين تامسنا وما
اليها يقال انه خرب ثلثماية وثمانين مدينة واستلحم اهلها بالسيف لمخالفتهم اياه وقتل
منهم بموضع يقال له تاملوكاف وهو حجر عال نابت وسط الطريق فقتل سبعة الاف
وسبعين قال زمور ورحل يونس الى المشرق وحج ولم يحج احد من اهل بيته قبله ولا
بعده وهلك لاربع واربعين سنة من ملكه وانتقل الامر عن بنيه وولي امرهم ابو
غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف فاستولى على ملك برغواطة واخذ بدين
ابايه واشتدت شوكته وعظم امره وكانت له في البربر وقايع مشهورة وايام مذكورة
اشار اليها سعيد بن هشام المصمودي في قوله

قفي قبل التفرق واخبرينا ٭ وقولي واخبري خبرا يقينا ٭
وهذي امة هلكوا وضلوا ٭ وخابوا لا سقوا ماء معينا ٭
يقولون النبي ابو غفير ٭ فاخزى الله ام الكاذبينا ٭
الم تسمع ولم تر يوم بهت ٭ على آثار خيلهم رنينا ٭
رنين الباكيات فبين ثكلى ٭ وعاوية ومسقطة جنينا ٭
سيعلم اهل تامسنا اذا ما ٭ اتوا يوم القيامة مقطعينا ٭
هنالك يونس وبنو ابيه ٭ يقودون البرابر حايرينا ٭
اذا وردوا وادي دمت عليهم ٭ جهنم قايد المستكبرينا ٭
فليس اليوم يومكم ولكن ٭ ليالي كنتم متبسرينا ٭

واتخذ ابو غفير من الزوجات اربعا واربعين وكان له من الولد مثلها واكثر
وهلك اخر الماية الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه وولي بعده ابنه ابو الانصار
عبد الله فاقتفى سنته وكان كثير الدعة مهابا عند ملوك عصره يهادونه ويدافعونه
بالمواصلة وكان يلبس الملحفة والسراويل ولا يلبس المخيط ولا يعتم احد في بلده الا الغربا
وكان حافظا للجار وفيا بالعهد وهلك سنة احدى واربعين من الماية الرابعة لاربع وار بعين
سنة من ملكه ودفن بامسلاخت وولي بعده ابنه ابو منصور عيسى بن اثنتين
وعشرين سنة فسار بسيرة ابايه وادعى النبوة والكهانة واشتد امره وعلا سلطانه
ودانت له قبايل المغرب قال زمور وكان فيما اوصاه به ابوه يا بني انت سابع الامراء من
اهل بيتك وارجو ان ياتيك صالح بن طريف قال زمور وكان عسكره يناهز الثلاثة
الاف من برغواطة وعشرة الاف من سواهم مثل جراوه وزواغه والبرانس ومجاصه ومطغره

ودمر ومطماطه وبنو وارركيت وكان ايضا بنو يفرن واصاده وركانه وايزمن ورصافه
وزعصوارع على دينهم ولم يتخذ ملوكهم الاله مذ كانوا انتهى كلام زمور وكان للملوك
العدوتين في غزو برغواطه هولاء وجهادهم ابناء هذا او بعده اثار عظيمة من الادارسة
والاموية والشيعة ولما اجاز جعفر بن علي بن الاندلسي الى المغرب وقلده المنصور
ابن ابي عامر عمله سنة ست وستين وثلاثمائة فنزل البصرة ثم اختلف ذات بينه وبين
اخيه يحيي واستمال عليه وجوه الجند وامراء زنات فنجا فاله جعفر عن العمل وصرف وجهه
الى جهاد برغواطه بعنده من صالح عماله وزحف اليهم في اهل المغرب وكافة الجند
الاندلسيين فالتقوا وسط بلادهم وكانت عليه الدبرة ونجا بنفسه في قليل من جنده
ولحق باخيه بالبصرة ثم اجاز بعدها الى المنصور باستدعائه وترك اخاه يحيي
على عمل المغرب ثم جاربهم ايضا صنهاجة لما غزا بلكين بن زيري المغرب سنة ثمان
وستين بعدها واجفلت زناتة امامه وارز والى حايط سبتة وامتنعوا منه باوعارها
فانصرف عنهم الى جهاد برغواطه وزحف اليهم فلقيه ابو منصور عيسى بن ابي الانصار
في قومه وكانت عليهم الهزيمة وقتل ابو منصور واثخن فيهم بلكين بالقتل وبعث
بسبيهم الى القيروان واقام بالمغرب يردد الغزو فيهم الى سنة اثنين وسبعين
وانصرف من المغرب فهلك في طريقه الى القيروان ولم اقف على من ملك امرهم بعد
ابي منصور ثم حاربهم ايضا جنود المنصور بن ابي عامر لما عقد عبد الملك لمولاه
واضح على المغرب عند مقتوله من غزاة زيري بن عطية سنة تسع وثمانين وثلاثمائة
فانتحى واضح ان يغزو برغواطه هولاء فيمن قبله من الاجناد وامراء النواحي واهل
الولاية فعظم الامر فيهم بالقتل والسبي ثم حاربهم ايضا بنو يفرن لما استقل
بنو يعلي بن محمد اليفرني من بعد ذلك بناحية سلا من بلاد المغرب واقتطعوا من عمل
ابنا زيري بن عطية المغراوي بعد ما كان بينهما من الحروب والشقاق وافضى الامر في
هولاء الى تميم بن زيري بن يعلي في اول المائة الخامسة وكان موطنها بمدينة سلا
مجاورا لبرغواطه فكان له اثر كبير في جهادهم وذلك في سني عشرين واربعمائة
تغلبهم على تامسنا وولي عليها من قبله بعد ان اثخن فيهم سبيا وقتلا ثم تراجعوا
من بعد الى ان حاربت دولة لمتونة وخرجوا من مواطنهم بالصحرا الى بلاد المغرب
وافتتحوا الكثير من معاقل السوس الاقصى وجبال المصامدة ثم بدا لهم جهاد برغواطه
بتامسنا وما اليها من الريف الغربي فزحف اليهم ابو بكر بن عمر امير لمتونة في المرابطين
من قومه وكانت له فيهم وقايع استشهد في بعضها صاحب الدعوة عبد الله بن ياسين
الكزولي سنة خمسين واربعمائة واستمر ابو بكر وقومه من بعده على جهادهم حتى استاصلوا
شافتهم ومحوا من الارض اثارهم وكان صاحب امرهم لعهد انقراض دولتهم ابو حفص عبد
الله من اعقاب ابي منصور عيسى بن ابي الانصار عبد الله بن ابي غفير محمد بن معاذ بن اليسع
ابن صالح بن طريف فهلك في حروبهم وعليه كان انقراض امرهم وقطع دابرهم على يد هولاء
المرابطين والحمد لله رب العالمين وقد يغلط بعض الناس في نسب برغواطه هولاء
فيعدهم في قبايل زناتة واخرون يقولون في صالح انه يهودي من ولد شمعون بن يعقوب
نشا ببرباط ورحل الى المشرق وقرا على عبيد الله المعتزلي واشتغل بالسحر وجمع فنونا

وقدم

وقدم المغرب ونزل تامسنا فوجد بها قبايل جهالا من البربر فاظهر لهم الزهد وسحرهم
بلسانه وموه عليهم فقصدوه واتبعوه فادعى النبوة وقيل له برباطي نسبة الى
الموضع الذي نشا به وهو برباط وادي بجهة شريش من بلاد الاندلس فعربت العرب هذا
الاسم وقالوا برغواطه ذكر ذلك كله صاحب كتاب نظم الجوهر وغيره من النسابين
للبربر وهو من الاغاليط البينة وليس القوم من زناتة ويشهد لذلك موطنهم وجوارهم
لاخوانهم المصامدة واما صالح بن طريف فمعروف منهم وليس من غيرهم ولا يتم الملك
والتغلب على النواحي والقبايل لمنقطع جذمه دخيل في نسبه سنة الله في عباده
وانما نسب الرجل في برغواطه وهم شعوب من شعوب المصامدة معروف كما ذكرناه
والله ولي التوفيق

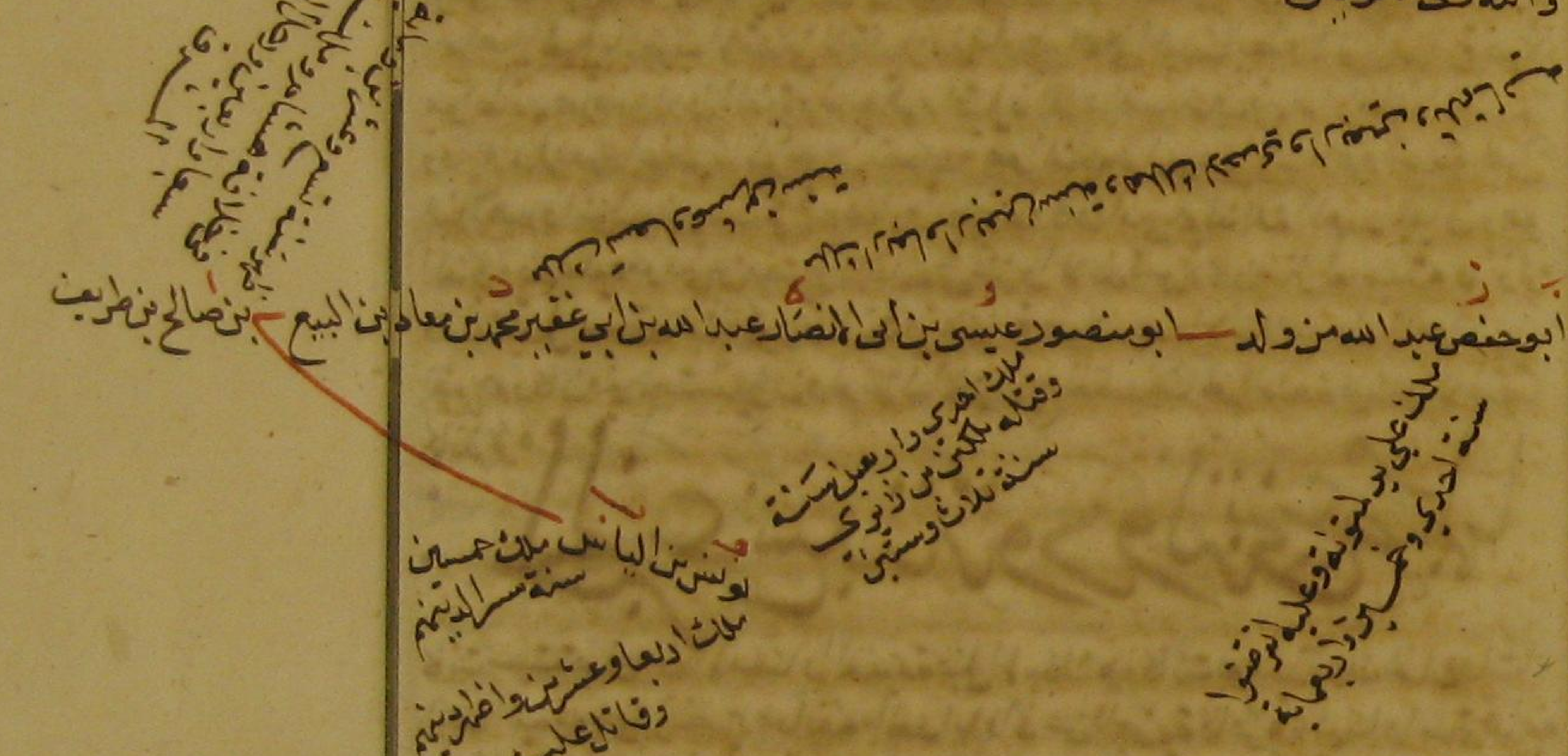
ابو حفص عبد الله من ولد
ابو منصور عيسى بن ابي الانصار عبد الله بن ابي غفير محمد بن معاذ بن اليسع
بن صالح بن طريف
يونس بن الياس ملك خمسين سنة سار فيهم
ثلاث ادعا وعشرين سنة واظهر دينهم وقاتل عليه
ملك اخرى واربعين سنة وقتله بلكين بن زيري سنة ثلاث وستين
ملك على بن لمتونة وغلبه

الخبر عن غمارة من بطون المصامدة

وما كان فيهم من الدول وتصاريف احوالهم

هذا القبيل من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود وقيل غمار بن مسطا
ابن مليل بن مصمود وقيل غمار بن اصاد بن مصمود ويقول بعض العامة انهم
عرب غمروا في تلك الجبال فسموا غمارة وهو مذهب عامي وهم شعوب وقبايل
اكثر من ان تنحصر والبطون المشهورة منهم بنو حميد ومتيوه وبنو نال واغصاوه
وبنو وزروال ومجكسه وهم اخر مواطنهم يعمرون خلال الريف بساحل البحر الرومي
من عن يمين بسايط المغرب من لدن غساسة فنكور فبادس فتيكيساس فتيطاوين دبن
فسبتة فالقصر الى طنجة خمس مراحل او ازيد واوطنوا منها جبالا شاهقة اتصل

بعضها ببعض سياجا بعد سياج خمس مراحل اخرى في العرض الى ان تنحط الى بسايط قصر
كتامة ووادي ورغة من بسايط المغرب ترتد عنها الابصار وتزل في حافاتها
الطيور ولا تبل الاوهام وتنفسح في رؤسها الفجاج سبل السفر ومراتع السايمة وفدن
الزراعة ودواح الرياض ويتبين لك انهم من المصامدة بهذا النسب المحيط بهم
فبعض شعوبهم يعرفون بمصمودة ساكنين ما بين سبتة وطنجة واليهم ينسب قصر
المجاز الذي يعبر منه الخليج البحري الى بلد طريف ولبعضهم ايضا اتصال مواطنهم بمواطن
برغواطة من شعوب المصامدة بريف البحر الغربي وهو المحيط اذ كان بنو حسان منهم
موطنين بذلك الساحل من ازغار واصلا الى انفا ومن هنالك تتصل بهم مواطن
برغواطة ودكالة الى قبايل درن من المصامدة فيما وراءها من بلاد القبلة فالمصامدة
هم اهل الجبل بالمغرب الاقصى الا قليلا منها وغيرهم في البسايط ولم تزل غمارة هولاء
بمواطنهم هذه من لدن الفتح ولم يعلم ما قبل ذلك وللمسلمين فيهم ازمان الفتح
وقايع وملاحم واعظمها لموسى بن نصير وهو الذي حملهم على الاسلام واسترهن
ابناءهم وانزل منهم عسكرا مع طارق بطنجة وكان اميرهم لذلك العهد يليان وهو
الذي وفد عليه موسى بن نصير واعانه في غزو الاندلس وكان منزله بسبتة كما نذكره
وذلك قبل استحداث نكور وكانت في غمارة هولاء بعد الاسلام دول قاموا فيها
لغيرهم وكان فيهم متنبئون ولم تزل الخوارج تقصدها للمنعة فيها والاعتصام
كما نذكره

الخبر عن سبتة ودولة بني عصام بها

كانت سبتة هذه من الامصار القديمة قبل الاسلام وكانت يومئذ متنزل يليان ملك غمارة ولما
زحف اليه موسى بن نصير صانعه بالهدايا واذعن للجزية فاقره عليها واسترهن ابنه
وابناء قومه وانزل طارق بن زياد بطنجة وضرب عليهم العسكر للنزول معه
ثم كانت اجازة طارق الى الاندلس فضرب عليهم البعوث وكان الفتح الذي لا كفاء
له كما مر في موضعه ولما هلك يليان استولى العرب على مدينة سبتة صلحا من ايدي
قومه نحو وهاتم كانت فتنة ميسرة الحقير وما دعا اليه من ضلالة الخارجية واخذ
بها الكثير من البرابر على مدينة سبتة من غمارة وغيرهم فزحف برابرة طنجة الى سبتة
واخرجوا العرب منها وخربوها فبقيت خلاء ثم نزل بها ماجكس من رجالاتهم
ووجوه قبايلهم وبه سميت مجكسة فبناها ورجع اليها الناس واسلم وسمع من اهل
العلم الى ان مات فقام بامره ابنه عصام ووليها دهرا ولما هلك قام بامره ابنه مجير
فلم يزل واليا عليها الى ان هلك ووليها اخوه الرضى ويقال انه ابنه وكانوا يعطون
لبني ادريس طاعة مضعفة كما نذكره ولما سما الناصر املا في ملك المغرب وتناول
حبله من ايدي بني ادريس المالكين بلاد الهبط وغمارة حين اجهضهم مكناسة وزناتة
عن ملكهم بفاس وقاموا بدعوة الناصر وبثوها في اعمالهم نزلوا حينئذ للناصر عن سبتة
واشاروا له الى تناولها من بني عصام فسرح اليها عساكره واساطيله مع قايد ه

نجاح

نجاح بن عفير فكان فتحها سنة تسع عشرة وثلثمائة ونزل له الرضى بن عصام عنها واتاه
طاعته وانقرض امر بني عصام وصارت سبتة الى الناصر حتى استولى عليها بعد حين
بنو حماد واستحدثوا بها دولة اخرى كما نذكره

الرضى
بن عصام بن مجكس بن غمارة

الخبر عن بني صالح بن منصور ملوك نكور

ودولتهم في غمارة وتصاريف احوالهم

لما استولى المسلمون على بلاد المغرب وعمالاته واقتسموه وامدهم الخلفاء
بالبعوث البربر وكان فيهم من كل القبايل من العرب وكان صالح بن منصور
الحميري من عرب اليمن في البعث الاول وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور
لنفسه واقطعه اياها الوليد بن عبد الملك في اعوام احدى وتسعين من الهجرة
قال صاحب المقياس حد بلد نكور ينتهي من الشرق الى زواغة وجراوة بن ابي العيش
مسافة خمسة ايام ويجاوره من هنالك مطماطة واهل كدالة ومرنيسة الى بني
مروان من غمارة وبني حميد والى مسطاسة وصنهاجة ومن ورائهم اوربة وحزب ترخون
وبني وليدور نانة وبني يرنيان وبني واسن حزب قاسم صاحب صا والبحر جوفي نكور
على خمسة اميال فاقام صالح هنالك فيما اقتطع من ارضها وكثر نسله واجتمع اليه
قبايل غمارة وصنهاجة مفتاح واسلموا على يده وقاموا بامره وملك تمسامان
وانتشر الاسلام فيهم ثم ثقلت عليهم الشرايع والتكاليف وارتدوا واخرجوا صالحا
وولوا عليهم رجلا من نفزة يعرف بالرندي ثم تابوا وراجعوا الاسلام وراجعوا
صالحا فاقام فيهم الى ان هلك بتمسامان سنة ثنتين وثلاثين ومائة وولي امره
من بعده المعتصم بن صالح وكان شهما شريف النفس كثير العبادة وكان يلي الصلاة
والخطبة لهم بنفسه ثم هلك لايام يسيرة وولي من بعده اخوه ادريس فاختط مدينة
بنكور في عدوة الوادي ولم يكملها وهلك سنة ثلاث واربعين وولي من بعده ابنه
سعيد واستفحل امره وكان ينزل مدينة تمسامان ثم اختط مدينة نكور لاول
ولايته ونزلها وهي التي تسمى لهذا العهد المزمة بين نهرين احدهما نكور ومخرجه من
بلاد كزناية ومخرجه ومخرج وادي ورغة واحد والثاني غيس ومخرجه من بلاد بني
ورياغل يجتمع النهران في الكدية ثم يفترقان الى البحر وبينها وبين نكور من عدوة الاندلس
برليانه وغزا المجوس نكور وهم في اساطيلهم سنة اربع واربعين فتغلبوا عليها واستبا حوها
ثمانيا ثم اجتمع الى سعيد البرابر واخرجوهم عنها وانتقضت غمارة بعدها على سعيد
في العدوة وولوا عليهم رجلا منهم اسمه سكن ثم راجعوا فاظفر الله عليهم وفرق جماعتهم
وقتل مقدمهم واستوسق امره الى ان هلك سنة ثمان وثمانين لتسع وثلاثين من ملكه

ثم ابنه صالح بن سعيد فتقبل مذاهب سلفه في الاستقامة والاقتداء وكانت له مع البربر
حروب ووقائع الى ان هلك سنة خمسين ومائتين لثنتين وستين سنة من ملكه وقام
من بعده ابنه سعيد بن صالح وكان اصغر ولده فخرج عليه اخوه عبيد الله وعمه الرضي
وظفر بهما بعد حروب كثيرة فغرب اخاه الى المشرق ومات بمكة وابقى على عمه الرضي
لذمة صهر بينهما وقتل ساير من ظفر به من عمومته وقرابته وامتعض لهما سعادة
الله بن هارون منهم ولحق ببني يصلتن اهل جبل ابي الحسن ودلهم على عورته وبيتوا
معسكره واستولوا عليه واخذوا الته وقتلوا الافا من مواليه وحاصروا نكور
ثم كانت له الكرة عليهم وقتل منهم خلقا ونجا سعادة الله تمسامان وتقبض على اخيه
ميمون فضرب عنقه ثم صار سعادة الله الى طلب الصلح فاسعفه وانزله معه مدينة
نكور ثم غزا سعيد قومه واهل ابالنه من غمارة بلاد بطويه ومرنيصة وقلوع جارة
وبني ورتدي واصهر باخته الى احمد بن ادريس بن محمد بن سليمان صاحب
وانزله مدينة نكور معه وتوطد الامر لسعيد في تلك النواحي الى ان خاطبه عبيد الله
المهدي يدعوه الى امره وفي اسفل كتابه

فان تستقيموا استقم لصلاحكم • وان تعدلوا عني ارى قتلكم عدلا
واعلوا بسيفي قاهرا لسيوفكم • وادخلها عفوا واملاها قتلا

فكتب اليه شاعره الاخمس الطبطلي بامر يوسف بن صالح اخي الامير سعيد

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا • ولا علم الرحمن من قوله الفضلا
وما انت الا جاهل ومنافق • تمثل للجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد • وقد جعل الرحمن همتك السفلى

فكتب عبيد الله الى مصالة بن حبوس صاحب تاهرت واوعز اليه بغزوه فغزاه سنة
اربع وثلثماية لاربع وخمسين من دولته فحاربه سعيد وقومه اياما ثم غلبهم مصالة
وقتلهم وبعث برؤوسهم الى رقادة فطيف بها وركب بنيهم البحر الى مالقة فنزلوا على
الناصر فانزلهم واجازهم واسبغ في تكريمهم واقام مصالة بمدينة نكور ستة
اشهر ثم قفل الى تاهرت وولي عليها دلول من كتامة فانفض العسكر من حوله وبلغ الخبر
الى بني سعيد بن صالح وقومهم بمالقة وهم ادريس والمعتصم وصالح فركبوا السفن اليها
وسبق صالح منهم فاجتمع اليه البربر بمرسى تمسامان وبايعوه سنة خمس وثلثماية ولقبوه
اليتيم لصغره وزحفوا الى دلول فظفروا به وبمن معه فقتلوهم وكتب صالح بالفتح
الى الناصر واقام دعوته باعماله وبعث اليه الناصر بالهدايا والتحف والالة ووصل
اليه اخوته وساير قومه والتزموا طاعته ولم يزل على هذا او ليه من الاقتداء الى ان هلك
سنة خمس عشرة وثلثماية وولي بعده ابنه عبد البديع ولقب المؤيد وزحف اليه موسى
ابن ابي العافية القايم بدعوة العبيديين بالمغرب فحاصره وتغلب عليه فقتله واستباح
المدينة وخربها سنة سبع عشرة ثم تراجع اليها فلهم وقام بامرهم ابو ايوب اسماعيل
ابن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور واعاد المدينة
التي بناها صالح بن منصور وعمرها وسكنها ثلاثا ثم اغزاه ميسور مولى ابي القاسم
ابن عبيد الله صندلا مولاه عندما اناخ على فاس فبعث عسكرا مع صندل هذا فحاصر

جراوه

جراوه ثم عطف على نكور وتحصن منه اسماعيل بن عبد الملك بقلعة اكرى وبعث اليه صندل
رسله من طريقه فقتلهم فاعد اليه السير وقاتله ثمانية ايام ثم ظفر به فقتله واستباح
القلعة وسباها واستخلف عليها من كتامة رجلا اسمه مرمازو ورحل صندل الى فاس
فتراجع اهل نكور وبايعوا موسى بن المعتصم بن محمد بن قرة بن المعتصم بن صالح بن
منصور وكان بجبل ابي الحسن عند بني يصلتين وكان يعرف بابن رومي وقال
صاحب المقباس هو موسى بن رومي بن عبد السميع بن ادريس بن صالح بن منصور فاخذ
مرمازو ومن معه وضرب اعناقهم وبعث برؤوسهم الى الناصر ثم ثار عليه من اهل
بيته عبد السميع بن جريم بن ادريس بن صالح بن منصور فخلعه واخرجه عن نكور سنة
تسع وعشرين ولحق موسى بالاندلس ومعه اهله وولده واخوه هارون بن رومي وكثير
من عمومته واهل بيته فمنهم من نزل معه المرية ومنهم من نزل مالقة ثم انتقض اهل
نكور على عبد السميع وقتلوه واستدعوا من مالقة جريم بن احمد بن زيادة الله بن
سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور فبادر اليهم وبايعوه سنة ست وثلاثين
فاستقامت له الامور وكان مذهب سلفه في الاقتداء والعمل بمذهب مالك الى ان مات
اخر سنة ستين لخمس وعشرين سنة من ملكه واتصلت الولاية في بنيه الى ان غلبهم
ازداجة المتغلبون على وهران وزحف اميرهم يعلى بن الفتوح الازداجي سنة ست
واربعماية وقيل سنة عشر فغلبهم على نكور وخربها وانقرض ملكهم بعد ثلثمائة سنة
واربع عشرة سنة من لدن ولاية صالح وبقيت في بني يعلى بن الفتوح وازداجة الى عام
ستين واربعماية والله مالك الامور لا اله الا هو

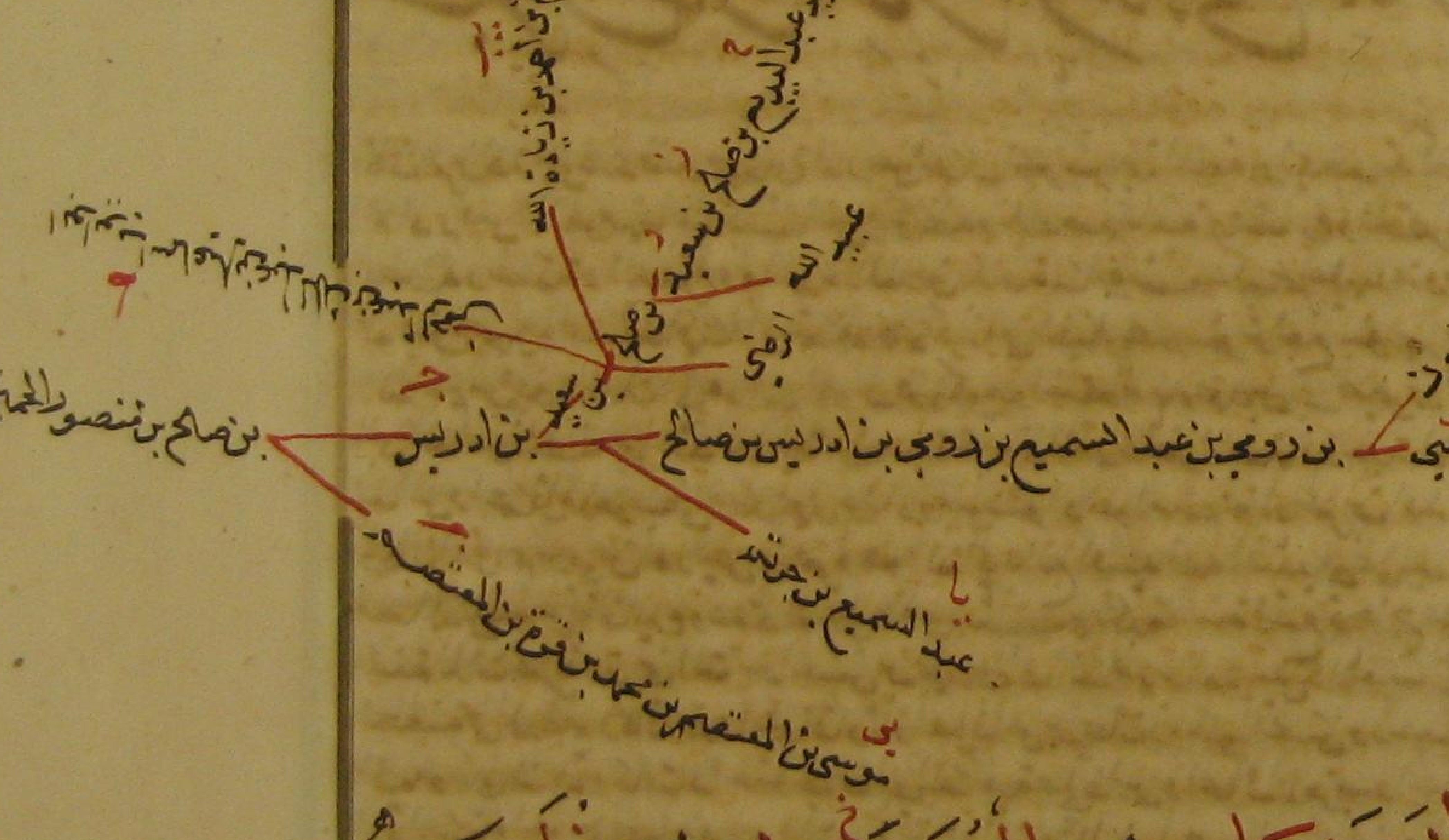

موسى
هارون
بن رومي بن عبد السميع بن رومي بن ادريس بن صالح
بن ادريس
بن صالح بن منصور الحميري
عبد السميع بن جريم
موسى بن المعتصم بن محمد بن قرة بن المعتصم
عبد الله
الرضي
صالح
سعيد بن صالح
عبد البديع بن صالح بن سعيد
جريم بن احمد بن زيادة الله

الخبر عن حاميم المتنبي من غمارة

كان غماره هولاء عريقين في الجهالة والبعد عن الشرايع بالبداوة والانفراد عن مواطن
الخير وتنبا فيهم من مجكسة حاميم بن من الله بن حرير بن عمرو بن رحفو ابن اذروال بن
مجكسه يكنى ابا محمد وابوه ابو خلف تنبا سنة ثلاث عشرة وثلثماية بجبل حاميم المشتهر به قريبا
من تطاوين واجتمع اليه كثير منهم واقروا بنبوته وشرع لهم الشرايع والديانات
من العبادات والاحكام ووضع لهم قرانا كان يتلوه عليهم بلسانهم من كلامه • يا من
يخلي البصر ينظر في الدنيا خلني من الذنوب • يا من اخرج موسى من البحر امنت بحاميم
وبابيه ابي خلف من الله وامن راسي وعقلي وما اكنه صدري وما احاط به دمي ولحمي
وامنت بتاليت عمة حاميم اخت ابي خلف من الله وكانت كاهنة ساحرة الى غير هذا
وكان يلقب المفترى وكانت اخته دبو ساحرة كاهنة وكانوا يستغيثون بها في الحروب
والقحوط وقتل في حروب مصموده باحواز طنجه سنة خمس عشرة وثلثماية وكان
لابنه عيسى من بعده قدر جليل في غمارة ووفد على الناصر ورهطهم بنو رحفو موطنين
بوادي لاو ووادي راس قرب تيطاوين وكذلك تنبا منهم بعد ذلك عاصم بن جميل
اليزدجومي وله اخبار ماثوره وما زالوا يستحلون السحر لهذا العهد واخبرني
المشيخة من اهل المغرب ان اكثر منتحلي السحر منهم النساء العواتق قال ولهن قوة
على استجلاب روحانية ما يشاونه من الكواكب فاذا استولوا عليه وتكيفوا بتلك
الروحانية تصرفوا منها في الاكوان بما شاوا والله اعلم

الخبر عن دولة الادارسة في غمارة

وتصاريف احوالهم

كان عمر بن ادريس عند قسم محمد بن ادريس اعمال المغرب بين اخوته براي جدته كنزة
ام ادريس اختص منها بتيكيساس وترغة وبلاد صنهاجة وغمارة واختص القاسم
بطنجة وسبتة والبصرة وما الى ذلك من بلاد غمارة ثم غلب عمر عليها عندما نكر
له اخوه محمد واستضافها الى عمله كما ذكرنا في اخبارهم ثم تراجع بنو محمد بن
القاسم من بعد ذلك الى عملهم الاول فملكوه واختط منهم محمد بن ابراهيم بن محمد
ابن القاسم قلعة حجر النسر الدانية من سبتة معقلا لهم وثغرا لعملهم وبقيت الامارة
بفاس واعمال المغرب في ولد محمد بن ادريس ثم ادالوا منهم بولد عمر بن ادريس
وكان اخرهم يحيى بن ادريس بن عمر وهو الذي بايع لعبيد الله الشيعي على يد
مصالة بن حبوس قايدهم وعقد له على فاس ثم نكبه سنة تسع وخرج عليه
سنة ثلاث عشرة من بني القاسم الحسن بن محمد بن ابي القاسم بن ادريس ويلقب الحجام
لطعنه في المحاجم وكان قدما شجاعا وثار اهل فاس بريحان وملكوا الحسن وزحف
اليه موسى فقتله ومات واستولى بن ابي العافية على فاس واعمال المغرب واجلى
الادارسة واجحرهم بحصنهم حجر النسر وتحيزوا الى جبال غمارة وبلاد الريف وكان
لغمارة في التمسك بدعوتهم اثار ومقامات واستجدوا بتلك الناحية ملكا توزعوه

قطعا

قطعا كان اعظمها لبني محمد هولاء ولبني عمر بتيكيساس ونكور وبلاد الريف ثم سما الناصر بن
عبد الرحمن الى ملك العدوة ومرافعة الشيعة فنزل له بنو محمد عن سبتة سنة تسع عشرة
وتناولها من يد الرضى بن عصام رئيس مجكسة كان يقيم فيها دعوة الادارسة وافرجوا له عنها
ودانوا بطاعته واخذوا من بيعه ولما غزا ابو القاسم ميسور الى المغرب لمحاربة بن ابي العافية
حين نقض طاعتهم ودعا للمراونة وجد بنو محمد السبيل الى النيل منه بمظاهرة ميسور عليه
وما لاهم على ذلك بنو عمر وصاحب نكور ولما استقل بن ابي العافية من نكبته ورجع من الصحرا
سنة خمس وعشرين منصرف ميسور من المغرب نازل بني محمد وبني عمر وهلك بعد ذلك واجاز
الناصر وزيره قاسم بن محمد بن طملس سنة ثلاث وثلاثين لحربهم وكتب الى ملوك مغراوة محمد
ابن خزر وابنه الخير بمظاهرة عساكره مع ابن ابي العافية عليهم فسارع ابو العيش بن ادريس
ابن عمر المعروف بابن منالة الى الطاعة واوفد رسله الى الناصر فعقد له الامان واوفد ابنه
محمد بن ابي العيش موكدا للطاعة فاحتفل لقدومه واكد له العقد وتقبل ساير الادارسة
من بني محمد مذهبهم وسالوا مثل سوالهم فعقد لجميع بني محمد ايضا ووفد منهم محمد بن عيسى بن
احمد بن محمد والحسن بن القاسم بن ابراهيم بن محمد وكان بنو ادريس يرجعون في رياستهم
لبني محمد هولاء منذ استبد بها اخوهم الحسن بن محمد الملقب بالحجام في ثورته على ابن ابي العافية
قدموا على انفسهم القاسم بن محمد الملقب بكنون بعد فرار موسى بن ابي العافية وملك بلاد المغرب
ما عدا فاس مقيما لدعوة الشيعة الى ان هلك بقلعة حجر النسر سنة سبع وثلاثين وقام
بامرهم من بعده ابو العيش احمد بن القاسم كنون وكان فقيها عالما بالايام والاخبار شجاعا
كريما ويعرف باحمد الفاضل وكان منه ميل للمراونة فدعا للناصر وخطب له على منابر عمله
ونقض طاعة الشيعة وبايعه اهل المغرب كافة الى سجلماسة ولما بايعه اهل فاس استعمل
عليهم محمد بن الحسن ووفد محمد بن ابي العيش بن ادريس بن عمر بن منالة على الناصر عن ابيه
سنة ثمان وثلاثين فاتصلت به وفاة ابيه وهو بالحضرة فعقد له الناصر على عمله وسرحه
وهجم عيسى بن عمه ابي العيش احمد بن القاسم كنون على عمله بتيكيساس في غيبة
محمد فملكها واحتوى على مال ابن منالة ولما اقبل محمد من الحضرة زحف برابرة غمارة الى عيسى
المذكور بن كنون فقطعوا به واثخنوه جراحة وقتلوا اصحابه ببلد غمارة واجاز الناصر
قواده الى المغرب وكان اول من اجاز الى بني محمد هولاء سنة ثمان وثلاثين احمد بن يعلى
من طبقة القواد احاده اليهم في العساكر ودعاهم الى هدم تيطاوين فامتنعوا ثم
انقادوا وتنصلوا واجابوا الى هدمها ورجع عنهم فانتقضوا فسرح اليهم حميد بن يصل
المكناسي في العساكر سنة تسع وثلاثين وزحفوا الى بوادي لاو فاوقع بهم فاذعنوا الى
بعدها وتغلب الناصر على طنجة من يد ابي العيش امير بني محمد وبني باصيلا على بيعة
الناصر ثم تخطت عساكر الناصر الى بسايط المغرب فاذعن اليه اهله واخذ بدعوته
فيه امراء زناتة من مغراوة وبني يفرن ومكناسة كما ذكرناه فضعف امر بني محمد واستاذن
اميرهم ابو العيش في الجهاد فاذن له وامر ببناء القصور له في كل مرحلة من الجزيرة الى
الثغر فكانت ثلاثين مرحلة فاجاز ابو العيش واستخلف على عمله اخاه الحسن بن كنون
وتلقاه الناصر بالمبرة واجرى له الف دينار في كل يوم وهلك شهيدا في موقف الجهاد
ولما اغزا معد قايده جوهر الكاتب الى المغرب واستنزل عماله عصى الحسن بن

كنون منه بقلعة النسر معقلهم وبعث اليه بطاعته فلم يعرض له جوهر ولما قفل عن المغرب
راجع الحسن طاعة الناصر الى ان هلك سنة خمسين فاستجد الحكم عزمه في سد ثغور المغرب
واحكام دعوتهم فيه وستجد لها عزايم اوليايهم من ملوك زناتة فكان بينهم وبين زيري
وبلكين ما ذكرناه ثم اغزا معد بلكين بن زيري المغرب سنة ثنتين وستين اذ اغزاه
ثايرا من زناتة واوغل في ديار المغرب وقام الحسن بن كنون بدعوة الشيعة ونقض طاعة
المروانية فلما انصرف بلكين اجاز الحكم عساكره الى العدوة مع وزيره محمد بن قاسم بن طملس
سنة ثنتين وستين لقتال الحسن بن كنون وبني محمد فكان الظهور والفلج للحسن على
عساكر الحكم وقتل قايدهم محمد بن طملس وخلقا كثيرا من عسكره واوليايه وتحاز فلهم الى سبتة
واستصرخوا الحكم فبعث غالبا مولاه البعيد الصيت المعروف بالشهامة وامده بكفاء ذلك
من الاموال والجنود وامره باستنزال الادارسة واجازتهم اليه وقال له سر يا غالب
مسير من لا اذن له في الرجوع الا حيا منصورا او ميتا معذورا وانفض جمع الحسن بن كنون
فافرج عن مدينة البصرة واحتمل منها امواله وحرمه وذخيرته الى حجر النسر معقلهم القريب
من سبتة ونازله غالب بعد محصوره فاتصلت الحرب بينهم اياما ثم بث غالب المال
في رؤساء البربر من غمارة ومن معه من الجنود ففروا واسلموه والتجا بقلعة جبل النسر
ونازله غالب وامده الحكم بعرب الدولة ورجال الثغور واجازهم مع وزيره صاحب الثغر
الاعلى يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي فيمن معه من اهل بيته وحشمه سنة ثلاث وستين
فاجتمع مع غالب على القلعة واشتد الحصار على الحسن وطلب من غالب الامان فعقد له
وتسلم الحصن من يده ثم عطف على من بقي من الادارسة ببلاد الريف فازعجهم وصيرهم
اسوة ابن عمهم واستنزل جميع الادارسة من معاقلهم وسار الى فاس فملكها واستعمل
عليها محمد بن علي بن قشوش في عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة الجذامي في عدوة
الاندلس وانصرف غالب الى قرطبة ومعه الحسن بن كنون وساير ملوك الادارسة وقد
مهد المغرب وفرق عماله في جهاته وقطع دعوة الشيعة وذلك سنة اربع وستين وتلقاهم
الحكم واركب الناس للقايهم وكان يوم دخولهم الى قرطبة احفل ايام الدولة وعفا عن الحسن بن
كنون ووفى له بالعهد واجزل له ولرجاله العطاء والخلع والحملان واوسع عليهم الجرايات
واسنى لهم الارزاق ورتب من جاء معهم في الديوان سبعماية من انجاد المغاربة ونقم
عليه بعد ثلاث سنين بسوال من الحسن قطعة عنبر عظيمة تادت اليه من بعض السواحل
عمله بالمغرب ايام ملكه فاتخذ منها اريكة يرتفقها ويتوسدها فسأله حملها اليه على
ان يحكمه في رضاه فابى عليه مع سعاية بني عمه فيه عند الخليفة وسوء خلق الحسن ولجاجه
فنكبه واستصفى ما لديه من قطعة العنبر وسواها واستقام امر المغرب للحكم وتظافر
امراوه على مرافعة بلكين وعقد الوزير المصحفي لجعفر بن علي على المغرب واسترجع يحيى بن محمد
ابن هاشم وغرب الحسن بن كنون والادارسة جميعا الى المشرق استثقالا لنفقاتهم وشرط
عليهم الا يعودوا واعبروا البحر من المرية سنة خمس وستين ونزلوا من جوار العزيز بن معد
بالقاهرة خير نزل وبالغ في الكرامة ووعد بالنصر والتزم ثم بعث الحسن بن كنون الى
المغرب وكتب له الى زيري بن مناد بالقيروان بالمظاهرة فلحق بالمغرب ودعا لنفسه وبعث
المنصور بن ابي عامر العساكر لمدافعته فغلبوه وتقبضوا عليه واشخصوه الى الاندلس فقتل

في طريقه سنة   كما ذكرناه في اخبارهم وانقرض ملك الادارسة من المغرب اجمع الى ان
كان رجوع الامر لبني حمود منهم ببلاد غمارة وسبتة وطنجة كما نذكره

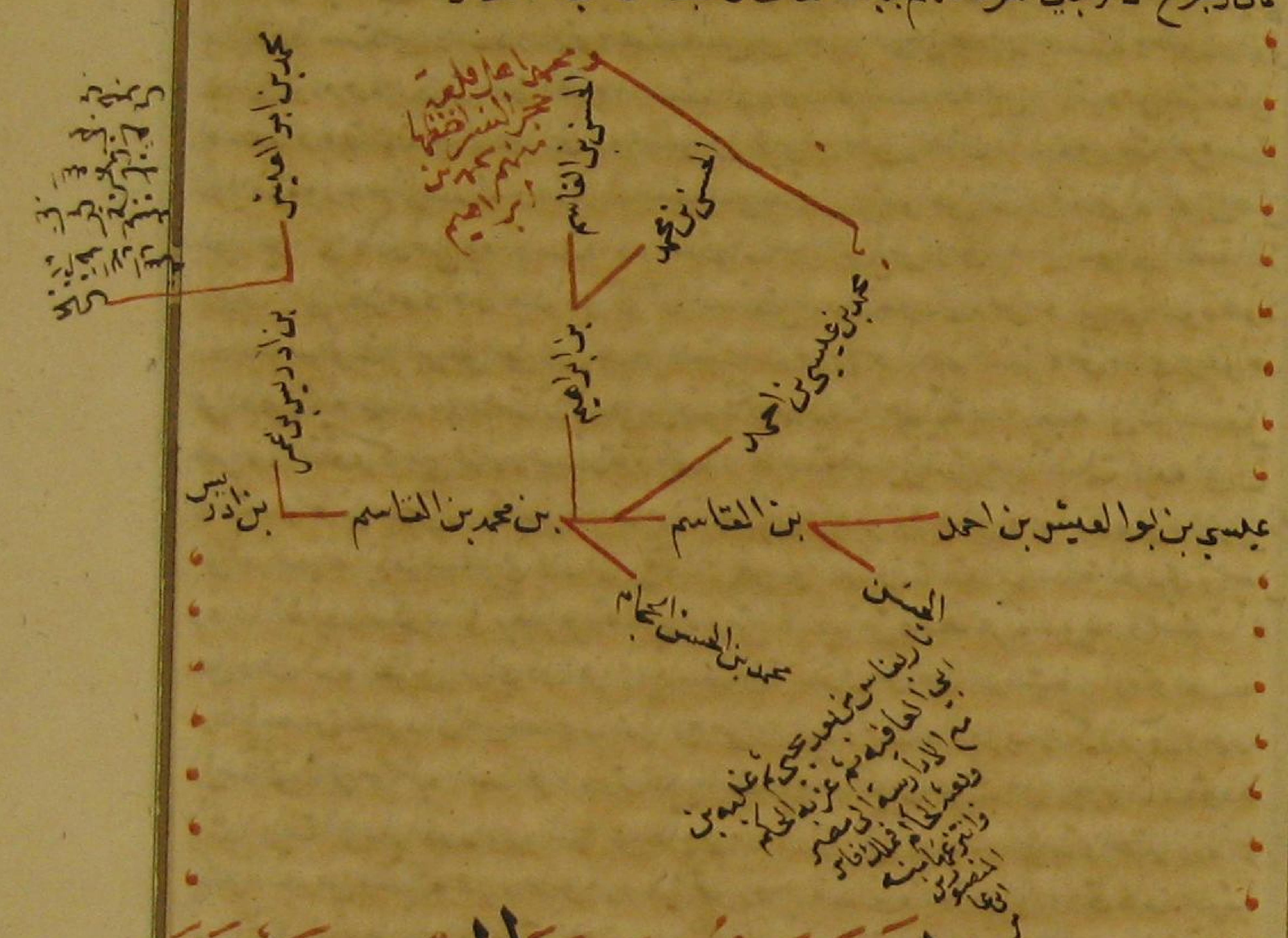

الخبر عن دولة بني حمود ومواليهم بسبتة وتصاريف احوالهم واحوال غمارة من بعدهم

كان الادارسة لما اجلاهم الحكم المستنصر عن العدوة الى المشرق ومحا اثرهم من ساير المغرب
واستقامت غمارة على طاعة المروانية واذعنوا لجند الاندلس بسبب رجع الحسن بن كنون
لطلب امرهم فهلك على يد المنصور بن ابي عامر وانقرض امرهم وافترق الادارسة في القبايل
وانتشروا في الارض ولاذوا بالاختفاء الى ان خلعوا شارة ذلك النسب واستحالت صبغتهم
منه الى البداوة ولحق بالاندلس في جملة البرابرة من ولد عمر بن ادريس رجلان منهم وهما علي
والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس فطار لهما ذكر في
الشجاعة والاقدام ولما ان كانت الفتنة البربرية بالاندلس بعد انقراض الدولة العامرية
ونصب البرابرة سليمان بن الحكم ولقبوه المستعين اختص به ابناء حمود هذان واحسنوا
الغناء في ولايته حتى اذا استولى على ملكه بقرطبة وعقد للمغاربة الولايات عقد لعلي
ابن حمود هذا على طنجة واعمال غمارة فنزلها وراجع عهده معهم فيها ثم انتقض ودعا
لنفسه واجاز الى الاندلس وولي الخلافة بقرطبة كما ذكرناه فعقد على عمله بطنجة لابنه يحيى

ثم اجاز يحيى الى الاندلس بعد مهلك ابيه على منازعة عمه القاسم واستقل اخوه ادريس من بعده بولاية طنجة وساير اعمال ابيه بالعدوة من مواطن غمارة ثم اجاز بعد مهلك اخيه يحيى بمالقة فاستدعى رجال دولتهم وعقد لحسن ابن اخيه يحيى على عملهم بسبتة وطنجة وانفذ نجا الخادم معه ليكون تحت نظره واستبداده ولما هلك ادريس واعتزم ابن بقية على الاستبداد بمالقة اجاز نجا الخادم بحسن بن يحيى من طنجة فملك مالقة ورتب امره في خلافته ورجع الى سبتة وعقد له حسن على عملهم في مواطن غمارة حتى اذا اهلك حسن اجاز نجا الى الاندلس يروم الاستبداد واستخلف على العمل من وثق به من الموالي الصقالبة فلم يزل الى نظرهم واحدا بعد اخر الى ان استقل بسبتة وطنجة من موالي بني حمود هؤلاء الحاجب سكوت البرغواطي كان عبدا للشيخ حداد من مواليهم اشتراه من سبي برغواطة في بعض ايام جهادهم ثم صار الى علي بن حمود فاخذت النجابة بضبعيه الى ان استقل بامرهم واقتعد كرسي عملهم بسبتة وطنجة واطاعته قبايل غمارة واتصلت ايامه الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب يوسف بن تاشفين على مغراوة بفاس ونجا فلهم الى بلاد الدمنة من اخر بسيط المغرب مما يلي بلاد غمارة ونازلهم يوسف بن تاشفين سنة احدى وسبعين ودعا الحاجب سكوت الى مظاهرته عليهم فهم بالاجابة ومظاهرته على عدوه ثم ثناه عن ذلك ابنه الفايل الراي فلما فرغ يوسف بن تاشفين من اهل الدمنة واوقع بهم وفتح حصن علودان من حصون غمارة من ورايه وانقاد المغرب لحكمه صرف وجهه الى سكوت فجهز اليه العساكر وعقد عليها لقايده صالح بن عمران من رجالات لمتونة فتبادرت الرعايا بمقدمهم وانثالوا عليهم وبلغ الخبر الى الحاجب سكوت فاقسم ان لا يسمع احد من رعيته هدير طبولهم ولحق بمدينة طنجة بعز عمله وقد كان عليها من قبله ابنه ضياء الدولة العز وبرز للقائهم فالتقى الجمعان بظاهر طنجة وانكشفت عساكر سكوت وطحنت رحا المرابطين وسالت نفسه على ظباتهم ودخلوا طنجة واستولوا عليها ولحق ضياء الدولة بسبتة ولما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس وبعث بن عباد صريخه الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين مستنجزا وعده في جهاد الطاغية والذب عن المسلمين وكاتبه اهل الاندلس كافة اهتز الى الجهاد وبعث ابنه المعز سنة ست وسبعين في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فنازلها برا واحاطت بها اساطيل ابن عباد بحرا واقتحموها عنوة وتقبض على ضياء الدولة وقيد الى المعز فطالبه بالمال فاساء اجابته فقتله لوقته وعفى على ذخايره ونهايتها خاتم يحيى بن علي بن حمود وكتب الى ابيه بالفتح وانقرضت دولة ال حمود وانمحا اثر سلطانهم من بلاد غمارة واقاموا في طاعة لمتونة ساير ايامهم ولما نجم المهدي بالمغرب واستفحل امر الموحدين بعد مهلكه بتنمل خليفته عبد المومن في بلادهم في غزاته الكبرى لفتح المغرب سنة سبع وثلاثين وما بعدها كما قبل استيلايه على مراكش كما نذكره في اخبارهم فوحدوا واتبعوا امره ونازلوا سبتة في عساكره وامتنعت عليهم وتولى كبر امتناعها القاضي عياض الطاير الذكر ويسمهم لذلك العهد بدينه وابوته وعلمه ومنصبه ثم اصحبت بعد فتح مراكش سنة احدى واربعين ه فكانت لغمارة هؤلاء السابقة التي رعيت لهم ساير ايام الدولة ولما فشل امر بني عبد المومن وذهبت ريحهم وكثر الثوار بالناحية ثار فيهم محمد بن محمد الكتامي سنة خمس وعشرين

كان ابوه من قصر كتامة منقبضا عن الناس وكان ينتحل السيميا ولقنها عنه ابنه محمد هذا وكان يلقب ابا الطواجين فارتحل الى سبتة ونزل على بني سعيد وادعى صناعة الكيميا فاتبعه الغوغا ثم ادعى النبوة وشرع شرايع واظهر انواعا من الشعوذة فكثر تابعه ثم اطلعوا على خبثه ونبذوا اليه عهده وزحفت عساكر سبتة اليه ففر عنها وقتله بعض البرابر غيلة ثم غلب بنو مرين على بسايط المغرب وامصاره سنة اربعين وستمايه واستولى على كرسي الامر بمراكش سنة ثمان وستين فامتنع قبايل غمارة من طاعتهم واستعصوا عليهم واقاموا سوا بمنجاة من الطاعة وعلى ثبج من الخلاف وامتنعت سبتة من ورايهم على ملوك بني مرين بسبب امتناعهم وصار امرها الى الشوري واستبد بها الفقيه ابو القاسم العزفي من مشيختها كما نذكر ذلك كله الى ان وقع بين قبايل غمارة ورؤسايهم فتن وحروب ونزعت احدى الطايفتين الى طاعة السلطان بالمغرب من بني مرين فاتوها طواعية ودخل الاخرون في الطاعة تلوهم طوعا او كرها فملك بنو مرين امرهم واستعملوا عليهم وتخطوا الى سبتة من ورايهم فملكوا من ايدي العزفيين سنة تسع وعشرين وسبعمايه على ما نذكره بعد عند ذكر دولتهم وهم الان على احسن احوالهم من الاعتزاز والكثرة يؤدون طاعتهم وجبايتهم عند استقلال الدولة ويمرضون فيهما عند اختلالها فينتشر او يشغل بخارج فيجهز البعوث اليهم من الحضرة حتى يستقيموا على الطاعة ولهم بوعورة جبالهم عز ومنعة وجوار لمن لحق بهم من اعياص الملك ومستامني الخوارج الى هذا العهد ولبني يكم من بينهم الحظ الوافر من ذلك لاشراف جبلهم وسموا يفاعه الى مجاري السحب دونها وتوعر مسالكه بهبوب الرياح فيها وهذا الجبل مطل على سبتة من غربيها ورئيسه منهم وصاحب امره يوسف بن عمر وبنوه ولهم فيه عزة وتروع قد اتخذوا به المصانع والغروس وفرض لهم السلطان بديوان سبتة العطا واقطعهم ببسيط طنجة الضياع والمدن استلافا لهم وحسما لزبون ساير غمارة من بابتنا طاعتهم ولله الخلق والامر بيده ملك السموات والارض

الخبر عن اهل جبال درن بالمغرب الاقصى من بطون المصامدة وما كان لهم من الظهور والاحوال ومبادي امورهم وتصاريفها

هذه الجبال بناحية المغرب من اعظم جبال المعمور رست في الثرى اصولها وذهبت في السماء فروعها وملأت الجو هياكلها ومثلت سياجا على ريف المغرب سطورها يبتدي من ساحل البحر المحيط عند اسفي وما اليه وتذهب في الشرق الى غير نهاية ويقال انها تنتهي الى قبلة بوتيق من ارض برقة وهي في الجانب مما يلي مراكش قد ركب بعضها بعضا متتالية على نسق من الصحرا الى التل يسير الراكب فيها معترضا من تامسنا وسواحل مراكش الى بلاد السوس ودرعة من القبلة ثماني مراحل او ازيد تفجرت فيها الانهار وجللت الارض خمر الشجر وتكاثفت بينها ظلال الادواح وزكت فيها مواد الزرع والضرع

وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد وطابت منابت الشجر ودرت افاويق الجباية يعمرها
من قبايل المصامدة امم لا يحصيهم الا خالقهم قد اتخذوا المعاقل والحصون وشيدوا المباني
والقصور واستغنوا بقطرهم منها على اقطار العالم فرحل اليهم التجر من الافاق واختلفت
اليهم اهل النواحي والامصار ولم يزالوا منذ اول الاسلام وما قبله معتمرين بتلك الجبال
قد اوطنوا منها اقطارا بل اقاليم تعددت فيها الممالك والعمالات بتعدد شعوبهم وقبايلهم
وافترقت اسماوها بافتراق احيايهم تنتهي ديارهم من هذه الجبال الى ثنية المعدن المعروفة
ببني فازاز حيث تبتدي مواطن صنهاجة ويحفون بهم كذلك من ناحية القبلة الى بلاد السوس
وقبايل هولاء المصامدة بهذه المواطن كثير فمنهم هرغة وهنتاتة وتينملل وكدميوة وكنفيسة
ووريكة وركراكة وهزميرة ودكالة وحاحة وامادن وبنو واركيت وبنو ماكر وايلانة ونفال
هيلانة بالهاء ويقال لها ايضا ايلان هو ابن براصمر المصامدة فكانوا احلفاءهم ومن بطون
اصادن مسفاوة وماغوس ومن مسفاوة دغاغة وبوطانان ويقال ان غمارة ورهون
وامتول من اصادن والله اعلم ويقال ان من بطون حاحة زكن ولخس ومن الظواعن الان
بارض السوس احلافا لذوي حسان المتغلبين عليها من عرب المعقل وكان من بطون
كنفيسة ايضا قبيلة سكسيوة الموطنون باسنع المعاقل من هذه الجبال يطل جبلهم على بسيط
السوس من القبلة وعلى ساحل البحر المحيط من المغرب ولهم بمنعة معقلهم ذلك اعتزاز
على اهل جلدتهم حسبما نذكره كله بعد وكان لهولاء المصامدة صدر الاسلام بهذه الجبال
عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لاخوانهم برغواطة في نحلة الكفر وكان من مشاهيرهم
كبير بن وسلاس بن شملال من اصادة وهو جد يحيى بن يحيى راوي الموطا عن مالك دخل
الاندلس وشهد الفتح مع طارق في اخرين من مشاهيرهم استقروا بالاندلس وكان لاعقابهم
بها ذكر في الدولة الاموية وكذلك كان منهم قبيل الاسلام ملوك وامراء ولهم مع لمتونة
ملوك المغرب حروب وفتن ساير ايامهم حتى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوته فكانت لهم
دولة عظيمة ادالت من لمتونة بالعدوتين ومن صنهاجة بافريقية حسبما هو مشهور ونأتي
الان بذكره ان شاء الله تعالى

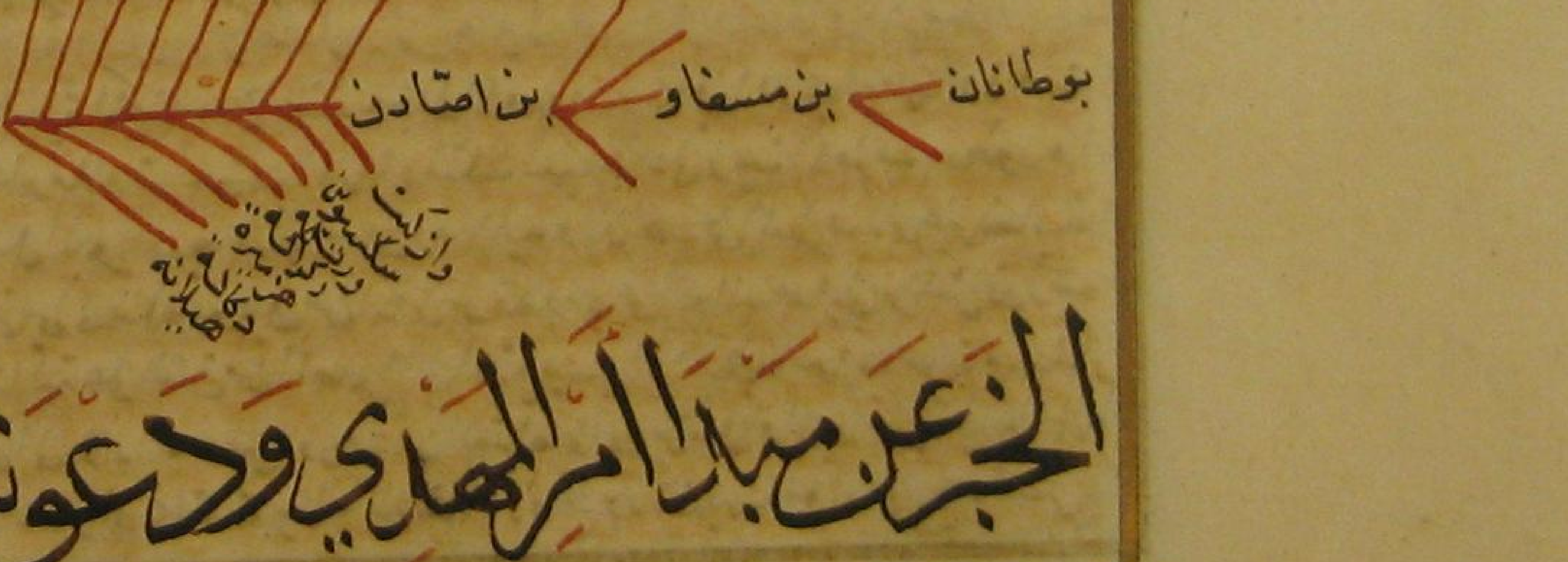

الخبر عن مبدا امر المهدي ودعوته وما كان

للموحدين القايمين بها على يدي بني عبد المومن

من السلطان والدولة بالعدوتين وافريقية وبداية ذلك وتصاريفه

لم يزل امر هولاء المصامدة بجبال درن عظيما وجماعتهم موفورة وباسهم قويا وفي اخبار
الفتح من حروبهم مع عقبة بن نافع وموسى بن نصير حتى استقاموا على الاسلام ما هو
معروف مذكور الى ان اظلتهم دولة لمتونة فكان امرهم فيها مستفحلا وشانهم على اهل السلطان
والدولة مهما حتى لقد اختطوا مدينة مراكش لنزلهم بجوار مواطنهم من درن ليتمرسوا بهم
ويذللوا صعابهم وفي عنفوان تلك الدولة على عهد علي بن يوسف منها نجم امامهم
العالم الشهير محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي اصله من هرغة من
بطون المصامدة الذين عددناهم يسمى ابو عبد الله وتومرت وكان يلقب في صغره ايضا امغار
وهو محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصال بن حمزة بن عيسى فيما ذكر ابن رشيق ومحققه
ابن القطان وذكر بعض مورخي المغرب انه محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا
ابن مسيغون بن ايكلديس بن خالد وزعم كثير من المورخين ان نسبه في اهل البيت
وانه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن جابر
ابن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي
طالب اخي ادريس الاكبر الواقع نسب الكثير من بنيه في المصامدة واهل السوس ذكر ذلك
ابن نخيل في سليمان هذا وانه لحق بالمغرب اثر اخيه ادريس ونزل تلمسان وافترق ولده
في المغرب قال فمن ولده كل طالبي بالسوس وقيل هو من قرابة ادريس اللاحقين به الى
المغرب وان رباحا الذي في عمود هذا النسب انما هو ابن يسار بن العباس بن محمد بن
الحسن وعلى الامرين فان نسبه الطالبي وقع في هرغة من قبايل المصامدة ورسخت
عروقه فيهم والتحم بعصبيتهم فلبس جلدتهم وانتسب بنسبتهم وصار في عدادهم
وكان اهل بيته اهل نسك ورباط وشب محمد هذا قاريا محبا للعلم وكان يسمى اسافو
ومعناه الضيا لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها وارتحل في طلب العلم
الى المشرق على راس المائة الخامسة ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهي اذ ذاك دار علم ثم
اجاز الى الاسكندرية وحج ودخل العراق ولقي جلة العلماء يوميذ وفحول النظار وافاد
علما واسعا وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده لما كان الكهان والحزاة يتحينون
ظهور دولة يوميذ بالمغرب ولقي زعموا ابا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره في ذلك
فاراده عليه لما كان فيه الاسلام يوميذ باقطار الارض من اختلال الدولة وتقويض اركان
السلطان الجامع للامة المقيم للملة بعد ان ساله عمن له من العصابة والقبايل التي تكون
بها الاعتزاز والمنعة وبشانها يتم امر الله في درك البغية وظهور الدولة وانطلق هذا
الامام راجعا الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين وكان قد لقي بالمشرق
ايمة الاشعرية من اهل السنة واخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقايد السلفية
والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدور اهل البدعة وذهب الى رايهم في تاويل

المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل
والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإمرار المتشابهات كما جاءت
فطعن على أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية
في كافة العقائد وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم وألف العقائد على رأيهم مثل
المرشدة والتوحيد وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة
وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله أعز ما يطلب وصار هذا المفتتح
لقبا على ذلك الكتاب وارتحل بطرابلس أول بلاد المغرب مغتبطا بمذهبه ذلك مظهرا
النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه آخذا نفسه بتدريس العلم وانهى بالمعروف
والنهي عن المنكر ما استطاع حتى لقد لقي بسبب ذلك أذايات في نفسه احتسبها من صالح
أعماله ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد
من أمراء صنهاجة وكان من المترفين فأغلظ له ولأتباعه بالنكير وتعرض يوما لتغيير
بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة فائتمروا
به فخرج منها خائفا ولحق بملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو ورياكل من قبائل
صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فآووه وأجاروه وطلبهم السلطان صاحب
بجاية بإسلامه إليه فأبوا وأسخطوه وأقام بينهم يدرس العلم أياما وكان يجلس إذا فرغ
على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهي لهذا العهد معروفة وهنالك
لقيه كبير صحابته عبد المؤمن بن علي حاجا مع عمه فأعجب بجملته وانثنى عزمه عن وجهه
ذلك واختص به وشمر للأخذ عنه وارتحل المهدي إلى المغرب وهو في جملته ولحق
بونشريس وصحبه منها البشير من جملة أصحابه ثم لحق بتلمسان وقد تسامع الناس
بخبره فأحضره القاضي بها ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذلك وخلافه لأهل
قطره وظن أن العذل ينزعه عن ذلك فصم عن قوله واستمر على طريقه إلى فاس ثم
إلى مكناسة ونهى بها عن بعض المناكر فأوقع به الشرار من الغوغاء وأوجعوه ضربا
ولحق بمراكش وأقام بها آخذا في شأنه ولقي علي بن يوسف بالمسجد الجامع في صلاة
الجمعة فوعظه وأغلظ له القول ولقي ذات يوم الصورة أخت علي بن يوسف حاسرة
قناعها على عادة قومها الملثمين في زي نسائهم فوبخها ودخلت على أخيها باكية
لما نالها من تقريعه فنادى من الفقهاء في شأنه بما وصل إليه من شهرته وكانوا ملؤوا
منه حسدا أو حفيظة لما كان ينتحل من مذهب الأشعرية في تأويل المتشابه وينكر عليهم
جمودهم على مذهب السلف في إمراره كما جاء ويرى أن الجمهور لقنوه تجسيما ويذهب
إلى تكفيرهم بذلك أحد قولي الأشعرية في التكفير بالمآل فأغروا الأمير به وأحضره
للمناظرة معهم فكان له الفلج والظهور عليهم وخرج من مجلسه ونذر بالشر منهم
فلحق من يومه بأغمات وغير المناكر على عادته وأغرى به أهلها علي بن يوسف وطردوه
إليه فخرج منها هو وتلميذه الذين كانوا في صحابته ودعا إسماعيل بن اكليك من
أصحابه ما سر من انجاد قومه وخرج به إلى منجاه من جبال المصامدة لحق أولا بمسفيوه
ثم بهنتاتة ولقيه من أشياخهم عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن علي وهو الشيخ أبو
حفص ويعرف بينه بين هنتاتة بفاصكات ويقول نسابتهم إن فاصكات هو جد وا

نودين

نودين ويقال لهنتاتة بلسانهم ينتي فلذلك كان يعرف عمر ينتي وسياق الكلام في تحقيق
نسبه عند ذكر دولتهم ثم ارتحل المهدي عنهم إلى إيكيليز من بلاد هرغة فنزل على قومه
وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة وبنى رابطة للعبادة واجتمعت إليه الطلبة
والقبائل يعلمهم المرشدة والتوحيد باللسان البربري وشاع أمره في صحبته واستدرك
الفتنة العلمية بمجلس الأمير علي بن يوسف وهو مالك بن وهيب إغراءه به وكان حزاء
ينظر في النجوم وكان الكهان يتحدثون أن ملكا كائن بالمغرب لأمة من البربر ويتغير فيه
شكل السكة لقران بين الكوكبين العلويين من السيارة يقتضي ذلك في أحكامهم وكان
الأمير يتوقعها فقال له احتفظ بالدولة من الرجل فإنه صاحب القران والدرهم المربع
في كلام سفساف يسجع سوقي يتناقل الناس نصه وهو اجعل على رجله كبلا لئلا يسمعك
طبلا وأظنه صاحب الدرهم المربع فطلبه علي بن يوسف فتفقده وسرح الخيالة في طلبه
ففاتهم وداخل عامل السوس وهو أبو بكر بن محمد اللمتوني بعض هرغة في قتله ونذر بهم
إخوانهم فنقلوا الإمام إلى معقل امتناعهم وقتلوا من داخل في أمره ثم دعا المصامدة
إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين دونه سنة خمس عشرة وخمسمائة فتقدم إليها
رجالاتهم من العشرة وغيرهم وكان فيهم من هنتاتة أبو حفص عمر بن يحيى وأبو يحيى بن يكيت
ويوسف بن وانودين وابن يغمور ومن تينملل أبو حفص عمر بن علي أصناك ومحمد بن سليمان
وعمر بن تافراكين وعبد الله بن ملويات وأوعب قبيلة هرغة في الدخول في أمره كلهم ثم
دخل معهم كدميوة وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام
وكان يسمي أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين ولما تم له خمسون من أصحابه
سماهم ايت الخمسين وزحف إليه عامل السوس أبو بكر بن محمد اللمتوني بمكانهم من هرغة
فاستجاشوا بإخوانهم من هنتاتة وتينملل فاجتمعوا إليه وأوقعوا بعسكر لمتونة فكانت
مقدمة الفتح وكان الإمام يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره وتسابقوا كافتهم إلى الدخول
في دعوته وترددت عساكر لمتونة إليهم مرة بعد أخرى ففضوهم وانتقل لثلاث سنين
من بيعته إلى جبل تينملل فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم وحوالي منبع نفيس وقاتل
من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا فقاتل أولا هزرجة وأوقع بهم مرارا
ودانوا بالطاعة ثم قاتل هسكورة ومعهم أبو درقة اللمتوني وغلبهم وقتل فأتبعه
بنو وازكيت فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا ثم غزا بلاد عجدامة وكان
قد انتحله ونزل به الشيخ أبا محمد عطية من أصحابه فغدروا به وقتلوه فغزاهم واستبا حمهم
ورجع إلى تينملل وأقام بها إلى أن كان شأن البشير وتمييز الموحد من المنافق وكانوا
يسمون لمتونة الحشم فاعتزم على غزوهم وجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف
إليهم فلقوه بكيك وهزمهم الموحدون واتبعوهم إلى أغمات فلقيهم هنالك زحوف
لمتونة مع بكو بن علي بن يوسف وإبراهيم بن تاعباست فهزمهم الموحدون وقتل إبراهيم
واتبعوهم إلى مراكش فنزلوا البحيرة في زهاء أربعين ألفا كلهم رجالة إلا أربعمائة فارس
واحتفل علي بن يوسف في الاحتشاد وبرزوا إليهم لأربعين من نزولهم عليه من باب إيلان
فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وسبيا وفقد البشير من أصحابه واستحر القتل في هيلانة وأبلى
عبد المؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء وكانت وفاة المهدي لأربعة أشهر بعدها وكان يسمي

اتباعه بالموحدين تعريضا بلمتونة في اخذهم بالعدول عن التاويل وميلهم الى التجسيم وكان حصورا لا ياتي النساء وكان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة ولم يحفظ عنه فلتة في البدعة الا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة في القول بالامام المعصوم

الخبر عن دولة عبد المومن خليفة المهدي

والخلفاء من بنيه ووصف احوالهم ومصاير امورهم

لما هلك المهدي سنة اثنتين وعشرين كما ذكرناه وقد عهد بامره من بعده لكبير صحابته عبد المومن بن علي الكومي المتقدم ذكره ونسبه عند ذكر قومه فتستر بمستخلفه لضيق داره من تينملل وخشي اصحابه من افتراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة لولاية عبد المومن لكونه من غير جلدتهم فارجوا الامر الى ان تخالط بشاشة الدعوة قلوبهم وكتموا موته زعموا ثلاث سنين يموهون بمرضه ويقيمون سنته في الصلاة والحزب الراتب ويدخل صحابته الى البيت كانه اختصهم لعيادته فيجلسون حفافي قبره ويتفاوضون في شؤونهم بمحضر اخته زينب ثم يخرجون لانفاذ ما ابرموه ويتولاه عبد المومن بتسليمهم حتى اذا استحكم امرهم وتمكنت الدعوة من نفوس كافتهم كشفوا حينئذ القناع عن حالهم وتمالا من بقي من العشرة على تقديم عبد المومن وتولى كبر ذلك الشيخ ابو حفص واراد هنتاتة وساير المصامدة عليه فاظهروا للناس موت المهدي وعهده لصاحبه وانقياد بقية اصحابه لذلك وروى عمر بن ينمود عن الامام انه يقول في اثر صلواته اللهم بارك لي في الصاحب الافضل فرضي الكافة هـ وانقادوا واجمعوا على بيعته بمسجد تينملل سنة اربع وعشرين فقام بامر الموحدين وابعد في الغزوات فصبح تادلا واصاب منهم ثم غزا درعه واستولى عليها سنة ست وعشرين ثم غزا تاشعبوت وافتتحها وقتل واليها ابا بكر بن مزدلي ومن كان معه من قومه عشاير بني وزدا وبني مزردع ثم تسابق الناس الى دعوتهم افواجا وانتقض البرابر في ساير اقطار المغرب على لمتونة وسرح علي بن يوسف ابنه تاشفين لقتالهم سنة ثلاث وستين فجاءهم من ناحية ارض السوس واحتشد معه قبايل كزولة وجعلهم في مقدمته فلقيهم الموحدون باول جبلهم وهزموهم ورجع تاشفين ولم يلو حربا ودخل كزولة من بعدها في دعوة الموحدين واجمع عبد المومن على غزو بلاد المغرب فغزا غزاته الطويلة منذ سنة اربع وثلاثين الى سنة احدى واربعين ولم يرجع فيها الى تينملل حتى انقضت بالفتح والاستيلاء على المغرب فخرج لها من تينملل وخرج تاشفين بعساكره يحاذيه في البسيط والناس يفرون منه الى عبد المومن وهو يتنقل في الجبال في سعة من الفواكه للاكل والحطب للدفء الى ان وصل الى جبال غمارة واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب واستنفت الرعايا من المغرم والح الطاغية على المسلمين بالعدوة وهلك خلال ذلك علي بن يوسف امير لمتونة وملك العدوتين سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وولي امرهم تاشفين ابنه وهو في غزاته هذه وقد حيط

به

به وحدث بعد موت ابيه علي فتنة بين لمتونة ومسوفة فنزع امراء مسوفة مثل براز بن محمد ويحيى بن تاكغت ويحيى بن اسحاق المعروف بانكمار وكان والي تلمسان ولحقوا بعبد المومن فنمي اليهم من الجملة ودخلوا في دعوته ونبذ اليهم لمتونة العهد والى ساير مسوفة واستمر عبد المومن على حاله فنازل سبتة وامتنعت عليه وتولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير الذكر كان رييسها يومئذ بدينه وابوته ومنصبه ولذلك سخطته الدولة اخر الايام حتى مات مغربا عن سبتة بتادلا مستعملا في خطة القضا بالبادية وتمادى عبد المومن في غزاته الى جبال غيانة وبطويه فافتتحها ثم نزل ملوية فافتتح حصونها ثم تخطى الى بلاد زناتة فاطاعته قبايل مديونة وكان بعث اليهم عسكرا من الموحدين لنظر يوسف ابن وانودين وابن يغمور فخرج اليهم محمد بن يحيى بن فانوا عامل تلمسان فيمن معه من عساكر لمتونة وزناتة فهزمهم الموحدون وقتل ابن فانوا وانفض عسكر زناتة ورجعوا الى بلادهم وولي بن تاشفين على تلمسان ابا بكر بن مزدلي ووصل الى عبد المومن بمكانه من الريف ابو بكر بن ماخوخ ويوسف بن يدر امرا بني ومانوا فبعث معهم ابن يغمور وابن وانودين في عسكرهم من الموحدين فاثخنوا في بلاد بني عبد الواد وبني يلومي سبيا واسرا وامدهم عساكر لمتونة ومعهم الزبرتير قايد الروم فنزلوا منداس واجتمعت عليهم زناتة في بني يلومي وعبد الواد وشيخهم حمامة بن مظهر وبني ينكاسن وبني ورسيفان وبني توجين فاوقعوا ببني ومانوا واستنقذوا غنايمهم من ايديهم وقتلوا ابا بكر بن ماخوخ في ستماية من قومه وخلص الموحدون وابن وانودين الى جبال سيرات ولحق تاشفين ابن ماخوخ بعبد المومن صريخا على لمتونة وزناتة فارتحل معه الى تلمسان ثم اجاز الى سيرات وقصد محلة لمتونة وزناتة فاوقع بهم ورجع الى فنزل ما بين الصخرتين من جبل بني ورنيد ونزل تاشفين باصطفصف ووصل مدده صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية لنظر طاهر بن كباب من قواده امد وابه تاشفين وقومه لعصبية الصنهاجية وفي يوم وصوله اشرف على معسكر الموحدين وكان نزل بافق امر وباس فود افلم لمتونة وامرهم لتعودهم عن مناجزة الموحدين وقال انما جيتكم لامكنكم من صاحبكم عبد المومن هذا وارجع الى قومي فامتعض تاشفين لكلمته واذن له في المناجزة فحمل على القوم فنكبوا وصمموا للقايه فكان اخر العهد به وبعسكره وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قايده على الروم الزبرتير في عسكر ضخم كما قلناه فاغار على بني سنوس وزناتة الذين كانوا في بسيطهم ورجع بالغنايم فاعترضته الموحدون من عسكر عبد المومن فقتلوهم وقتل الزبرتير وصلب ثم بعث بعثا اخر الى بلاد بني ومانوا فلقيهم تاشفين بن ماخوخ ومن كان معه من الموحدين واوقعوا بهم واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فنالوا منهم اعظم النيل وتوالت هذه الوقايع على تاشفين فاجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه ابراهيم ولي عهده الى مراكش في جماعة من لمتونة وبعث كاتبه معه احمد بن عطية وارتحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين واقام عليها شهرا ينتظر قايد اسطوله محمد بن ميمون الى ان وصله من المرية بعشرة اساطيل فارساها قريبا من معسكره وزحف عبد المومن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ ابا حفص عمر بن يحيى وبني ومانوا من زناتة فتقدموا الى بلاد بني يلومي وبني عبد الواد وبنو ورسيفن وبني توجين واثخنوا فيهم حتى دخلوا

في دعوتهم ووفد على عبد المومن برؤسائهم وكان منهم سيد الناس بن امير الناس شيخ بني
يلومي فتلقاهم بالقبول وسار في جموع الموحدين الى وهران فخرج لمتونة بمعسكرهم
فصدموهم ولجا تاشفين الى رابطة هنالك فاحدقوا بها واضرموا النيران حولها حتى
غشيهم الليل فخرج تاشفين من الحصن راكبا على فرسه فتردى من بعض حافات الجبل
وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسماية وبعث براسه الى
تينملل ولجا فل العسكر الى وهران فاعتصموا مع اهلها حتى جهدهم العطش ونزلوا
جميعا على حكم عبد المومن يوم الفطر من تلك السنة وبلغ خبر مقتل تاشفين الى تلمسان
مع فل لمتونة وفيهم ابو بكر بن ونغى وسير بن الحاج وعلي بن فيلو في اخرين من اعيانهم
ففر منهم من كان بها من لمتونة وقدم عبد المومن فقتل من وجد بتاكرارت بعد ان كانوا
بعثوا ستين من وجوههم فلقيهم بصلتين من مشيخة بني عبد الواد فقتلهم اجمعين
ولما وصل عبد المومن الى تلمسان استباح اهل تاكرارت لما كان اكثرهم من الحشم
وعفا عن اهل تلمسان ورحل عنها لتسعة اشهر من فتحها بعد ان ولى عليها سليمان
ابن محمد بن وانودين وقيل يوسف بن وانودين وفيما نقل بعض المورخين انه لم
يزل محاصرا لتلمسان والفتوح ترد عليه وهنالك وصلته بيعة سجلماسة ثم اعتزم
على الرحيل الى المغرب وترك ابراهيم بن جامع محاصرا لتلمسان فقصد فاس سنة اربعين
وقد تحصن بها يحيى الصحراوي لحق بها من فل تاشفين من تلمسان فنازلهم عبد المومن
وبعث عسكرا لحصار مكناسة ثم رحل في اتباعه وترك عسكرا من الموحدين على فاس
وعليهم الشيخ ابو حفص وابراهيم من صحابة المهدي العشرة فحاصروها سبعة اشهر
ثم ادخلهم ابن الجياني مشرف البلد وادخل الموحدين ليلا وفر الصحراوي الى طنجة واجاز
منها الى ابن غانية بالاندلس وبلغ خبر فاس الى عبد المومن وهو بمكانه من حصار مكناسة
فرجع اليها وولى عليها ابراهيم بن جامع وولى على حصار مكناسة يحيى بن يغمور ورحل
الى مراكش وكان ابراهيم بن جامع لما افتتح تلمسان ارتحل الى عبد المومن وهو محاصر
لفاس فاعترضه في طريقه المخضب بن عسكر امير بني مرين بكرسيف وقتلوا ابنه
ومن رفقته فكتب عبد المومن الى يوسف بن وانودين بن عامل تلمسان ان يجهز اليهم العساكر
فتبعها صحبة عبد الحق بن منغفاد شيخ بني عبد الواد فاوقعوا ببني مرين وقتل المخضب
اميرهم ولما ارتحل عبد المومن من فاس الى مراكش وصلته في طريقه بيعة اهل سبتة فولى
عليهم يوسف بن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر بسلا فافتتحها بعد مواقعة قليلة
ونزل بها دار ابن عشرة ثم تمادى الى مراكش وسرح الشيخ ابا حفص لغزو برغواطة
فاثخن فيهم ورجع ولقيه في طريقه ووصلوا جميعا الى مراكش وقد تحصنوا بها جموع
لمطة فاوقع بهم الموحدون واثخنوا فيهم قتلا واكتسحوا اموالهم وظعائنهم واقاموا
على مراكش تسعة اشهر واميرهم اسحاق بن علي بن يوسف بايعوه صبيا صغيرا عند بلوغ
خبر ابيه ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا
وتبعهم الموحدون بالقتل واقتحموا عليهم المدينة في اخريات شوال سنة احدى
واربعين وقتل عامة الملثمين ونجا اسحاق في جملته واعيان قومه الى القصبة حتى
نزلوا على حكم الموحدين واحضر اسحاق بين يدي عبد المومن فقتله الموحدون بايديهم

وتولى

وتولى كبر ذلك ابو جعفر بن واكاك منهم وانمحى اثر الملثمين واستولى الموحدون على
جميع بلاد المغرب ثم خرج عليهم بناحية السوس ثائر من سوقة سلا يعرف بمحمد بن
عبد الله بن هود ويلقب بالهادي وظهر في رباط ماسة فاقبل اليه الشرار من كل جانب
وانصرفت اليه وجوه الاغمار من اهل الافاق واخذ بدعوته اهل سجلماسة ودرعة وقبائل
دكالة وركراكة وقبائل تامسنا وهوارة وفشت ضلالته في جميع المغرب فسرح اليه
عبد المومن عسكرا من الموحدين لنظر يحيى انكمار المسوفي النازع اليه من ايالة
تاشفين بن علي ولقي هذا الثائر الماسي ورجع منهزما الى عبد المومن فسرح الشيخ ابا
حفص عمر بن يحيى واشياخ الموحدين واحتفل في الاستعداد فنهضوا الى رابطة ماسة
وبرز اليهم الثائر في نحو ستين الفا من الرجال وسبعماية من الفرسان فهزمهم
الموحدون وقتل داعيتهم في المعركة مع اكثر اتباعه وذلك في ذي الحجة سنة احدى وار بعين
وكتب الشيخ ابو حفص بالفتح الى عبد المومن من انشاء ابي جعفر بن عطية الشهير
الذكر كان ابوه ابو احمد كاتبا لعلي بن يوسف وابنه تاشفين وحصل في قبضة الموحدين
فعفا عنه عبد المومن ولما نزل على فاس اعتزم ابو احمد هذا على الفرار فتقبض
عليه في طريقه واعتذر فلم يقبل عذره وقتل وكان ابنه احمد كاتبا لاسحاق بن علي
بمراكش فشمله عفو السلطان فيمن شمله من ذلك الفل وخرج في جملة الشيخ ابي
حفص في وجهته هذه وطلبه للكتاب في ذلك فاجاد واستحسن كتابه عبد المومن
لما وقف عليه فاستكتبه اولا ثم ارتفع عنده بخلاله فاستوزره وبعد في الدولة صيته
وقاد العساكر وجمع الاموال وبذلها ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله احد
في دولتهم الى ان دبت عقارب السعاية الى مهاده الوثير فكان فيها حتفه ونكبه الخليفة
سنة ثلاث وخمسين وقتله بمحبسه حسبما هو منصوص ولما انصرف الشيخ ابو حفص
من غزاة ماسة اراح بمراكش اياما ثم خرج غازيا الى القبائل بدعوة الماسي بجبال
درن فاوقع باهل نفيس وهيلانة واثخن فيهم بالقتل والسبي حتى اذعنوا بالطاعة
ورجع ثم خرج الى هسكورة واوقع بهم وافتتح معاقلهم وحصونهم ثم نهض الى سجلماسة
فاستولى عليها ورجع الى مراكش ثم خرج ثالثة الى برغواطة فحاربوه مدة ثم هزموه
واضطرمت نار الفتنة بالمغرب وانتقض اهل سبتة واخرجوا يوسف بن مخلوف
التينملي وقتلوه ومن كان معه من الموحدين واجاز القاضي عياض البحر الى يحيى بن
علي بن غانية المسوفي الوالي بالاندلس فلقيه بالخضراء وطلب منه واليا على سبتة فبعث
معه يحيى بن ابي بكر الصحراوي الذي كان بفاس منذ منازلة عبد المومن لها وذكرنا
انه لحق بطنجة فاجاز البحر الى الاندلس ولحق بابن غانية بقرطبة وصار في جملته وبعثه
ابن غانية الى سبتة مع القاضي عياض كما ذكرناه واقام بامرها ووصل يده بالقبائل
الناكثة لطاعة الموحدين من برغواطة ودكالة على حين هزيمتهم للموحدين كما ذكرناه
واقام بامرها ووصل يده بالقبائل الناكثة لطاعة الموحدين ولحق بهم من مكناسة
بسبتة وخرج اليهم عبد المومن بن علي سنة اثنتين واربعين فدوخ بلادهم واستاصل
شافتهم حتى انقادوا للطاعة وتبرؤوا من يحيى الصحراوي ولمتونة ورجع الى مراكش لستة
اشهر من خروجه ووصلته الرغبة من مشيخة القبائل في يحيى الصحراوي فعفا عنه

وملك احوال المغرب وراجع اهل سبتة طاعتهم فعفا عنهم وكذلك اهل سلا فصفح
لهم وامر بهدم سورهم

فتح الاندلس وشئونها

ثم صرف عبد المومن نظره الى الاندلس وكان من خبرها انه اتصل بالملثمين مقتل
تاشفين بن علي ومنازلة الموحدين مدينة فاس وكان علي بن عيسى بن ميمون قائد
اسطولهم قد نزع طاعة لمتونة واشترى بجزيرة قادس فلحق بعبد المومن بمكانه من
حصار فاس ودخل في دعوته وخطب له بجامع قادس اول خطبة خطبت لهم بالاندلس
عام اربعين وخمسمائة وبعث احمد بن قسي صاحب مرتلة وشيخ الدعوة بالاندلس ابا
بكر بن حبوس رسولا الى عبد المومن فلقيه على تلمسان وادى كتاب صاحبه فانكر ما تضمنه
من البعث المهدي ولم يجاوب وكان سدراي بن وزير صاحب بطليوس وباجة وغرب
الاندلس قد تغلب على احمد بن قسي هذا او غلبه على مرتلة فاجاز احمد بن قسي البحر
الى عبد المومن بعد فتح مراكش لدخاله علي بن عيسى بن ميمون ونزل بسبتة فجهزهم
يوسف بن مخلوف ولحق بعبد المومن ورغبه في ملك الاندلس واغراه بالملثمين فبعث
معه عساكر الموحدين لنظر براز بن محمد المسوفي النازع الى عبد المومن من جملة
تاشفين وعقد له على حرب من بها من الملثمين والثوار وامده بعسكر اخر لنظر موسى
ابن سعيد وبعده بعسكر اخر لنظر عمر بن صالح الصنهاجي ولما اجازوا الى الاندلس
نازلوا ابا الغمر بن عزون من الثوار بشريش وكانت له مع رندة ثم قصدوا لبلة وبها
من الثوار يوسف بن احمد البطروجي فاعطاهم الطاعة ثم قصدوا مرتلة وهي تحت
الطاعة للموحدين صاحبها احمد بن قسي ثم قصدوا شلب فافتتحوها وامكنوا منها
ابن قسي ثم نهضوا الى باجة وبطليوس فاطاعهم صاحبها سدراي بن وزير ثم رجع
براز في عسكر الموحدين الى مرتلة ثم انصرم فصل الشتاء فخرج الى منازلة اشبيلية
فاطاعه اهل طليطلة وحصن القصر واجتمع اليه سائر الثوار وحاصروا اشبيلية برا
وبحرا الى ان افتتحوها في شعبان من سنة احدى واربعين وفر الملثمون بها الى
قرمونة وقتل من ادرك منهم واتى القتل على عبد الله بن القاضي ابي بكر بن العربي
في هيعة تلك الدخلة من غير قصد وكتبوا بالفتح الى عبد المومن بن علي وقدم عليه
وفدهم بمراكش يقدمهم القاضي ابو بكر فتقبل طاعتهم وانصرفوا بالجوائز والاقطاعات
لجميع الوفد سنة اثنتين واربعين وخمسمائة وهلك القاضي ابو بكر في طريقه
ودفن بمقبرة فاس وكان عبد العزيز وعيسى اخوا المهدي من مشيخة العسكر باشبيلية
فساء اثرهما في البلد واستطالت ايديهما على اهله فاستباحوا الدماء والاموال
ثم اعتزما على الفتك بيوسف البطروجي صاحب لبلة فلحق ببلده واخرج الموحدين
الذين بها وحول الدعوة عنهم وبعث الى طليطلة وحصن القصر ووصلها بالملثمين الذين
كانوا بالعدوة وارتد ابن قسي في مدينة شلب وعلي بن عيسى بن ميمون بجزيرة قادس
ومحمد بن علي بن الحجام بمدينة بطليوس وثبت ابو الغمر بن عزون على طاعة الموحدين بشريش
ورندة وحماتها وتغلب ابن غانية على الجزيرة الخضراء وانتقض اهل سبتة كما ذكرناه

وضاقت

وضاقت احوال الموحدين باشبيلية فخرج منها عيسى وعبد العزيز اخوا المهدي وابن
عمهما يصليتن بمن كان معهم ولحقوا بجبال سبتة وجاءهم ابو الغمر بن عزون وانطلقت
ايديهم على حصار الجزيرة حتى افتتحوها وقتلوا من كان بها من لمتونة ولحق اخو المهدي
بمراكش وبعث عبد المومن على اشبيلية يوسف بن سليمان في عسكر من الموحدين
واتبعه براز بن محمد على الجباية فخرج يوسف ودوخ اعمال البطروجي بلبلة وطلياطة
وعمل ابن قسي بشلب ثم اغار على صرع واطاعه عيسى بن ميمون صاحب شنترية وغزا
معهم وارسل محمد بن علي بن الحجام صاحب بطليوس بهداياه فتقبلت ورعيت له ورجع
يوسف الى اشبيلية وفي اثناء ذلك استغلظ الطاغية على يحيى بن علي بن غانية
بقرطبة والح على جهاته حتى نزل له عن بياسة وابدة وتغلب على الاشبونة وطر طوسه
ولاردة وافراغة وشنترية وغيرها من حصون الاندلس وطالب ابن غانية بالزيادة
في جزيته او الافراج له عن قرطبة فراسل ابن غانية براز بن محمد واجتمعا باستجة
وضمن له براز امداد الخليفة على ان يتخلى عن قرطبة وقرمونة ويبدل منهما بجيان
فرضي بذلك وتم العقد ووصل خطاب عبد المومن بامضائه فنازل ابن غانية الى
جيان ونازله الطاغية بها فغدر باصحابه واعتقلهم بقلعة ابن سعيد وافرج الطاغية
عن جيان ولحق هو بغرناطة وبها ميمون بن بدر اللمتوني في جماعة من المرابطين فقصد
ابن غانية ليحمله على مثل حاله مع الموحدين فكانت مهلكه بها في شعبان سنة ثلاث
واربعين وقبره بها معروف لهذا العهد وانتهز الطاغية فرصته في قرطبة فزحف اليها
ودفع الموحدون باشبيلية ابا الغمر بن عزون لحمايتها ووصل اليه مدد يوسف
البطروجي من لبلة وبلغ الخبر عبد المومن فبعث اليها عسكرا من الموحدين لنظر يحيى بن
يغمور ولما دخلها افرج عنها الطاغية لايام من مدخله وبادر الثوار الى يحيى بن يغمور
في طلب الامان من عبد المومن ثم لاحقوا به بمراكش فتقبلهم وصفح لهم ونهض الى مدينة
سلا سنة خمس واربعين واستدعى منها اهل الاندلس فوفدوا عليه وبايعوه جميعا
وبايعه الرؤساء من الثوار على الانخلاع من الامر مثل سدراي بن وزير صاحب باجة ويابرة
والبطروجي صاحب لبلة وابن عزون صاحب شريش ورندة وابن الحجام صاحب بطليوس
وعامل ابن حبيب صاحب شلطيش وتخلف ابن قسي واهل شلب على هذا الجمع فكان سببا
لقتله من بعد ورجع عبد المومن الى مراكش وانصرف اهل الاندلس الى بلادهم واستصحب
الثوار فلم يزالوا بحضرته

فتح افريقية وشئونها

ثم بلغ عبد المومن ما كان بافريقية عليه من اختلاف الامراء واستطالة العرب عليها
بالعيث والفساد وانهم حاصروا مدينة القيروان وان موسى بن يحيى الرياحي المرداسي
دخل مدينة باجة وملكها فاجمع الرحلة الى غزو افريقية بعد ان شاور الشيخ ابا حفص
وابا ابراهيم وغيرهما من المشيخة فوافقوه وخرج من مراكش في اواخر سنة ست واربعين
موريا بالجهاد حتى انتهى الى سبتة واستوضح احوال اهل الاندلس ثم رحل عن سبتة

موريا بمراكش واعد السير الى بجاية فدخل الجزائر على حين غفلة وخرج اليه الحسن بن علي صاحب
المهدية فصحبه واعترضته جيوش صنهاجة بام العلو فهزمهم وصبح بجاية من الغد
فدخلها وركب يحيى بن العزيز البحر في اسطولين كان اعدهما لذلك واحتمل فيهما ذخائره
وامواله ولحق بقسنطينة الى ان نزل بعد ذلك منها على امان عبد المومن واستقر
بمراكش تحت الجراية والعناية الى ان هلك رحمه الله ثم سرح عبد المومن عساكر الموحدين
وعليهم ابنه عبد الله الى القلعة وبها جوشن بن العزيز في جموع صنهاجة فافتتحها
واستباحها من كان بها منهم واضرموا النار في مساكنها وقتل جوشن ويقال ان القتلى بها كانوا
ثمانية عشر الفا وامتلأت ايدي الموحدين من الغنايم والسبي وبلغ الخبر الى العرب
باوفريقية من الاثبج وزغبة ورياح وقرة فعسكروا بظاهر باجة وتذامروا على الدفاع عن
ملكهم يحيى بن العزيز وارتحلوا الى قسنطينة وزحف اليهم عبد الله بن عبد المومن في
الموحدين الذين كانوا معه وكان عبد المومن قد قفل الى المغرب ونزل متيجة فلما بلغه
الخبر بعث المدد لابنه عبد الله والتقى الفريقان بسطيف واقتتلوا ثلاثا ثم انفضت
جموع العرب واستلحموا وسبيت نساؤهم واكتسحت اموالهم واسرت ابناؤهم ورجع
عبد المومن الى مراكش سنة سبع واربعين ووفد عليه كبراء العرب من اهل افريقية
طايعين فوصلهم ورجعهم الى قومهم وعقد على فاس لابنه السيد ابي الحسن واستوزر
له يوسف بن سليمان وعقد على تلمسان لابنه السيد ابي حفص واستوزر له
ابن وانودين وعلى سبتة للسيد ابي سعيد واستوزر له محمد بن سليمان وعلى بجاية
للسيد ابي محمد عبد الله واستوزر له يخلف بن الحسين واختص ابنه ابا عبد الله بولاية
عهده وتغلب بذلك كله ضماير عبد العزيز وعيسى اخوي المهدي فلحقا بمراكش مضمرين
للغدر وادخلوا بعض الاوغاد في شانهم فوثبوا بعمر بن تافراكين وقتلوه بمكانه من
القصبة ووصل على اثرهما الوزير ابو جعفر بن عطية وعبد المومن على اثره فطفئا
نار تلك الثورة وقتل اخوا المهدي ومن داخلهم فيها

بقية فتح الاندلس

وبلغه بمراكش سنة تسع واربعين ان يحيى بن يغمور صاحب اشبيلية قتل اهل لبلة
بما كان من غدر الوهبي لها ولم يتبين معذرتهم في ذلك فسخط يحيى بن يغمور وعزله
عن اشبيلية بابي محمد عبد الله بن ابي حفص بن علي التينملي وعن قرطبة بابي زيد بن
بكيت وبعث عبد الله بن سليمان فجاء بابن يغمور معتقلا الى الحضرة وانزله منزلة الى
ان بعثه مع ابنه السيد ابي حفص الى تلمسان واستقام امر الاندلس وخرج ميمون
ابن بدر اللمتوني عن غرناطة للموحدين فملكوها واجاز اليها السيد ابو سعيد صاحب
سبتة بعهد ابيه عبد المومن اليه بذلك ولحق اللمتونة بمراكش ونازل السيد ابو سعيد
مدينة المرية حتى نزل من كان بها من النصارى على الامان وحضر لذلك الوزير ابو جعفر
ابن عطية بعد ان امدهم بن مردنيش الثاير بشرق الاندلس والطاغية معه وعجزوا
جميعا عن المدافعة ثم وفد اشياخ اشبيلية سنة احدى وخمسين ودعوا من عبد

المومن

المومن ولاية بعض ابنايه عليهم فعقد لابنه السيد ابي يعقوب عليها وافتتح امره بمناز له
على الوهبي الثاير بطبيرة ومعه الوزير ابو جعفر بن عطية حتى استقام على الطاعة
ثم استولى على عمل ابن وزير وابن قسي واستنزل تاشفين اللمتوني من مرتلة سنة
اثنتين وخمسين وكان الذي امكن الملثمين منها ابن قسي واستتم الفتح ورجع السيد
الى اشبيلية وانصرف ابو جعفر بن عطية الى مراكش فكانت نكبته ومقتله واستوزر
عبد المومن بعده عبد السلام الكومي كان يمت اليه بذمة صهر فلم يزل على وزارته

بقية فتح افريقية

لما بلغ عبد المومن سنة ثلاث وخمسين ما كان من ايقاع الطاغية بابنه السيد
ابي يعقوب بظاهر اشبيلية ومن استشهد من اشياخ الموحدين وحفاظهم ومن
الثوار مثل ابن عزوز وابن الحجام نهض يريد الجهاد واحتل سلا فبلغه انتقاض افريقية
واهمه شان النصارى بالمهدية فلما توافت العساكر بسلا استخلف الشيخ ابا حفص
على المغرب وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس ونهض يغذ السير حتى نازل
المهدية ومن بها من نصارى صقلية فافتتحها صلحا سنة خمس وخمسين واستنقذ جميع
البلاد الساحلية مثل صفاقس وطرابلس من ايدي العدو وبعث ابنه عبد الله من مكان
حصاره للمهدية الى قابس فاستخلصها من يد بني كامل المتغلبين عليها من دهمان
بعض بطون رياح واستخلص قفصة من يد بني الورد وزرعة من يد بني برو كس وطرية
من يد بن غلال وجبل زغوان من يد بني حماد بن خلفه وسفنبارية من يد بني عياد
ومرينة الاربص من يد من ملكها من العرب حسبما ذلك مذكور في اخبار هؤلاء
الثوار في دولة صنهاجة ولما استكمل الفتح وثنى عنانه الى المغرب سنة ست
وخمسين بلغه ان الاعراب بافريقية انتقضوا عليه فرجع اليهم عسكرا من الموحدين
فنهضوا الى القيروان واوقعوا بالعرب وقتل كبيرهم محمد بن زياد البادعي من بني علي
احدى بطون رياح

اخبار ابن مردنيش الثاير بشرق الاند لس

كان بلغ عبد المومن وهو بافريقية ان محمد بن مردنيش الثاير بشرق الاندلس خرج من
مرسية ونازل جيان واطاعه واليها محمد بن علي الكومي ثم نازل بعدها قرطبة ورحل
عنها وغدر بقرمونة وملكها ثم رجع الى قرطبة وخرج بن بكيت لحربه فهزمه وقتله فكتب
الى عماله بالاندلس بفتح افريقية وانه واصل اليهم وعبر البحر الى جبل الفتح واجتمع اليه
اهل الاندلس ومن بها من الموحدين ثم رجع الى مراكش وبعث عساكره الى الجهاد ولقيهم
الطاغية فهزموه ٥ وتغلب السيد ابو يعقوب على قرمونة من يد ابن همشك صهر بن مردنيش
وكان السيدان ابو يعقوب صاحب اشبيلية وابو سعيد صاحب غرناطة ارتحلا لزيارة
الخليفة بمراكش فخالف ابن همشك الى مدينة غرناطة وغدر بها ليلا بمداخلة من بعض
اهلها واستولى عليها وانحصر الموحدون بقصبتها وخرج عبد المومن من مراكش لاستنقاذ

ذم

ثم وصل الى سلا وقدم السيد ابا سعيد فاجاز البحر ولقيه عامل اشبيلية عبد الله بن ابي حفص بن علي ونهضوا جميعا الى غرناطة فنهض اليهم ابن همشك وهزمهم ورجع السيد ابو سعيد الى مالقة وردفه عبد المومن باخيه السيد ابي يعقوب في عساكر الموحدين ونهضوا الى غرناطة وكان قد وصلها ابن مردنيش في جموع من النصارى مددا لابن همشك فلقيهم الموحدون بفحص غرناطة وهزموهم وفر ابن مردنيش الى مكانه من الشرق ولحق ابن همشك بجيان فنازله الموحدون وارتحل السيدان الى قرطبة فاقاما بها الى ان استدعى السيد ابو يعقوب لمراكش سنة ثمان وخمسين لولاية العهد والادالة به من اخيه محمد فلحق بمراكش وخرج في ركاب ابيه الخليفة عبد المومن لما نهض للجهاد وادركته المنية بسلا في جمادى الاخرة من هذه السنة وقبره بتينملل الى جانب المهدي

دولة الخليفة يوسف بن عبد المومن

لما هلك عبد المومن اخذ البيعة على الناس السيد ابو حفص لاخيه ابي يعقوب باتفاق من الموحدين كافة ورضى من الشيخ ابي حفص خاصة واستقل في رتبته ووزارته ورجعوا الى مراكش وكان السيد ابو حفص هذا وزيرا لابيه عبد المومن استوزره عند نكبة عبد السلام الكومي مرجعه من افريقية سنة خمس وخمسين وكان ابو العلى بن جامع منفردا بين يديه في رسم الوزارة الى ان هلك عبد المومن فاخذ ابو حفص البيعة لاخيه ابي يعقوب ثم هلك اثر وفاة عبد المومن ابنه السيد ابو الحسن صاحب فاس والسيد ابو محمد صاحب بجاية في خروجه الى الحضرة ثم استقدم ابو يعقوب السيد ابا سعيد من غرناطة سنة ستين فقدم ولقيه السيد ابو حفص بسبتة ثم سرح الخليفة ابو يعقوب معه اخاه السيد ابا حفص الى الاندلس في عساكر الموحدين لما بلغه من الحاح ابن مردنيش على قرطبة بعد ان احتشد معه قبائل العرب من زغبة ورياح والاثبج فاجاز البحر وقصد ابن مردنيش وقد جمع جموعه واولياءه من النصارى ولقيتهم عساكر الموحدين بفحص مرسية فانهزم ابن مردنيش واصحابه وفر الى مرسية ونازله الموحدون بها ودوخوا نواحيه وانصرف السيد ابو حفص واخوه ابو سعيد سنة احدى وستين الى مراكش وخمدت نار الفتنة من ابن مردنيش وعقد الخليفة على بجاية لاخيه السيد ابي زكريا وعلى اشبيلية للشيخ ابي عبد الله بن ابي ابراهيم ثم ادال منه باخيه السيد ابي ابراهيم واقر الشيخ ابا عبد الله على وزارته وعقد على قرطبة للسيد ابي اسحاق واقر السيد ابا سعيد على غرناطة ثم نظر الموحدون في وضع العلامة في المكتوبات بخط الخليفة فاختاروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليها بخط الامام المهدي في بعض مخاطباته فكانت علامتهم الى اخر دولتهم

فتنة غمارة

وفي سنة اثنتين وستين تحرك الامير ابو يعقوب الى جبال غمارة لما كان ظهر بها من الفتنة التي تولى كبرها سبع بن منغفاد منهم وناغاهم في الفتنة صنهاجة

جيرانهم فبعث الامير ابو يعقوب عساكر الموحدين لنظر الشيخ ابي حفص ثم تعاظمت فتن غمارة وصنهاجة فخرج اليهم بنفسه واوقع بهم واستاصلهم وقتل سبع بن منغفاد واحسم داءهم وعقد لاخيه السيد ابي الحسن على سبتة وسائر بلادهم وفي سنة ثلاث وستين اجتمع الموحدون على تجديد البيعة واللقب بامير المومنين وخاطب العرب بافريقية يستدعيهم الى الغزو ويحرضهم وكتب اليهم في ذلك قصيدة ورسالة مشهورة بين الناس وكان من اجابتهم ووفودهم عليه ما هو معروف

اخبار الاندلس

لما استوسق الامر للخليفة ابي يعقوب بالعدوة وصرف نظره الى الاندلس والجهاد واتصل به ما كان من غدر العدو دمره الله بمدينة ترجالة ثم مدينة يابرة ثم حصن شبرمة ثم حصن جلمانية ازاء بطليوس ثم مدينة بطليوس فسرح الشيخ ابا حفص في عساكر من الموحدين احتفل في اختيارهم وخرج سنة اربع وستين لاستنقاذ بطليوس من هوة الحصار فلما وصل الى اشبيلية بلغه ان الموحدين ببطليوس هزموا ابن الرنك الذي كان يحاصرهم باعانة ابن ادفونش وان ابن الرنك تخلص في تبعتهم اسيرا وفر جرانده الجليقي الى حصنه فقصد الشيخ ابو حفص مدينة قرطبة وبعث اليهم ابراهيم بن همشك من جيان بطاعته وتوحيده ومفارقته صاحبه ابن مردنيش لما حدث بينهما من الشحناء والفتنة فالح عليه ابن مردنيش بالحرب وردد اليه الغزو فبعث الى الشيخ ابي حفص بطاعته وكتب الشيخ ابو حفص بذلك الى الخليفة وبما كان من عيث النصارى بجوانب الاندلس فسرح اخاه وزيره ابا حفص في عساكر الموحدين فنهض من مراكش سنة خمس وستين وفي جملته السيد ابو سعيد اخاه فوصل اشبيلية وبعث اخاه ابا سعيد الى بطليوس فعقد الصلح مع الطاغية وانصرفوا ونهضوا جميعا الى مرسية ومعهم ابن همشك فحاصروا ابن مردنيش وثار اهل لورقة بدعوة الموحدين فملكها السيد ابو حفص ثم افتتح مدينة بسطة وطاع ابن عمه محمد بن مردنيش صاحب المرية فخضد بذلك جناحه واتصل الخبر بالخليفة بمراكش وقد توافت عنده جموع العرب من افريقية صحبة السيد ابي زكريا صاحب بجاية والسيد ابي عمران صاحب تلمسان وكان يوم تمييزهم عليه يوما مشهودا فاعترضهم وسائر عساكره ونهض الى الاندلس واستخلف على مراكش السيد ابا عمران اخاه فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين ثم ارتحل منها الى اشبيلية ولقيه السيد ابو حفص هنالك منصرفا من غزاته وكان ابن مردنيش لما طال عليه الحصار ارتاب ببطانته فتنكر لهم وبادرهم اخوه ابو الحجاج الى الطاعة وهلك هو في رجب من هذه السنة ودخل ابنه هلال في الطاعة وبادر السيد ابو حفص الى مرسية ودخلها وخرج هلال في جملته وبعث الى الخليفة باشبيلية ثم ارتحل الخليفة غازيا الى بلاد العدو فنازل وبذة اياما وارتحل عنها الى مرسية ثم رجع الى اشبيلية سنة ثمان وستين واستصحب هلال بن مردنيش واصهر اليه في ابنته وولى عمه يوسف على بلنسية وعقد لاخيه السيد ابي سعيد على غرناطة ثم بلغه خروج العدو الى ارض المسلمين مع القومس الاحدب فخرج لاتباعهم واوقع بهم بناحية قلعة رباح واثخن فيهم

ورجع الى اشبيلية وامر ببناء حصن بالقلعة لتحصين جهاتها وقد كان خربا منذ فتنة بن حجاج فيه مع كريب بن خلدون ايام المنذر بن محمد واخيه عبد الله من امراء بني امية ثم انتقض ابن ادفونش واغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح اليه السيد ابا حفص اخيه فغزاه بنغرداره واثخن فيهم السيف وهزم جموعه في كل جهة ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعا الى مراكش سنة احدى وسبعين لخمس سنين من اجازته الى الاندلس وعقد على قرطبة لاخيه الحسن وعلى اشبيلية لاخيه علي واصاب مراكش الطاعون فهلك فيه من السادة ابو عمران وابو سعيد وابو زكريا وقدم الشيخ ابو حفص من قرطبة فهلك في طريقه ودفن بسلا واستدعى الخليفة اخويه السيدين ابا علي وابا الحسن فعقد لابي علي على سجلماسة ورجع ابو الحسن الى قرطبة وعقد لابني اخيه السيد ابي حفص لابي زيد منهما على غرناطة ولابي محمد عبد الله على مالقة وفي سنة ثلاث وسبعين سطا بوزرايه بني جامع وغربهم الى ماردة وفي سنة خمس وسبعين عقد لغانم بن محمد بن مردنيش على اسطوله واغزاه مدينة الاشبونة فغنم ورجع وفيها كانت وفاة اخيه السيد الوزير ابي حفص بعد ما ابلى في الجهاد وابلغ في نكاية العدو وقدم ابناؤه من الاندلس واخبروا الخليفة بانتقاض الطاغية فعزم على الجهاد واخذ في استدعاء العرب من افريقية

الخبر عن انتقاض قفصة وارتجاعها

كان علي بن المعز ويعرف بالطويل من اعقاب بني الرند ملوك قفصة قد ثار سنة خمس وسبعين كما ذكرناه في اخبارهم وبلغ الخليفة خبره فنهض اليها من مراكش وسار الى بجاية وسعى عنده بعلي بن المنتصر الذي كان عبد المومن استنزله من قفصة انه يواصل قريبه الثاير بها ويخاطب العرب فقبض عليه ووجدت المخاطبات عنده شاهدة بتلك السعاية واستصفى ما كان بيده وارتحل الى قفصة ونازلها ووفدت عليه مشيخة العرب من رياح بالطاعة فتقبلهم ولم يزل محاصرا لقفصة الى ان نزل علي ابن المعز وانكفا راجعا الى تونس وانفذ عساكر العرب الى المغرب وعقد على افريقية والزاب للسيد ابي علي اخيه وعلى بجاية للسيد ابي موسى وقفل الى الحضرة **معاودة الجهاد** لما قفل من فتح قفصة سنة سبع وسبعين وفد عليه اخوه السيد ابو اسحاق من اشبيلية والسيد ابو عبد الرحمن يعقوب من مرسية وكافة الموحدين من اشبيلية الى ارض العدو ونازل مدينة يابرة وغنم ما حولها وافتتح بعض حصونها ورجع الى اشبيلية وان عبد الله بن اسحاق ابن جامع قايد الاسطول باشبيلية التقوا باسطول اهل اشبونة في البحر فهزموهم واخذوا عشرين من قطايعهم مع السبي والغنايم ثم بلغ الخبر بان ادفونش بن ناجه نازل قرطبة وشن الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثم نازل استجة ونزل على حصن شنتفيلة واسكن بها النصارى وانصرف فاستنفر السيد ابو اسحاق ساير الناس للغزو ونزل الحصن نحوا من اربعين يوما ثم بلغه خروج ادفونش من

طليطله

طليطلة لمدده فانكفا راجعا وخرج محمد بن يوسف بن وانودين من اشبيلية في جموع الموحدين ونازل طلبيرة وبرز اليه اهلها فاوقع بهم وانصرف بالغنايم فاعتزم الخليفة ابو يعقوب على معاودة الجهاد وولى على الاندلس ابناءه وقدمهم للاحتشاد فعقد لابنه السيد ابي اسحاق على اشبيلية كما كان وعقد لابنه السيد ابي يحيى على قرطبة ولابنه السيد ابي زيد الحرضاني على غرناطة ولابنه السيد ابي عبد الله على مرسية ونهض سنة تسع وسبعين الى سلا ووافاه بها ابو محمد بن ابي اسحاق بن جامع من افريقية بحشود العرب وسار الى فاس وبعث في مقدمته هنتاته وتينملل وحشود العرب واجاز البحر من سبتة في صفر من سنة ثمانين فاحتفل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية فوافته بها حشود الاندلس وسخط محمد بن وانودين وغربه الى حصن غافق ورحل غازيا الى شنترين فحاصرها اياما ثم اقلع عنها واسحوا الناس يوم اقلاعه وخرج النصارى من الحصن فوجدوا الخليفة في غير اهبة ولا استعداد فابلى في الجهاد هو ومن حضره وانفرقوا بعد جولة شديدة وهلك في ذلك اليوم الخليفة يقال من سهم اصابه في حومة القتال وقيل من مرض طرقه عفا الله عنه

دولة ابنه يعقوب المنصور

لما هلك الخليفة ابو يعقوب على حصن شنترين سنة ثمانين بويع ابنه يعقوب ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واستوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص واستنفر الناس للغزو مع اخيه السيد ابي يحيى فاخذ بعض الحصون واثخن في بلاد الكفار ثم اجاز البحر الى الحضرة ولقيه بقصر مصمودة السيد ابو زكريا بن السيد ابي حفص قادما من تلمسان مع مشيخة زغبة ومضى الى مراكش فقطع المناكر وبسط العدل وباشر الاحكام وكان من اول الاحداث في دولته شان بن غانية

الخبر عن شان ابن غانية

كان علي بن يوسف بن تاشفين لما تغلب العدو على جزيرة ميورقة وهلك واليها من موالي مجاهد وهو مبشر ونفى اهلها فوضى وقد كان مبشر بعث اليه بالصريخ والعدو محاصر له فلما اخذها العدو وغنم واحرق واقلع وبعث علي بن يوسف واليا عليها وانور بن ابي بكر من رجالات لمتونة وبعث معه خمسماية فارس من عسكره فارهف لهم واردهم على بناء مدينة اخرى بعيدة من البحر فامتنعوا وقتل مقدمهم وثاروا به وحبسوه وبعثوا الى علي بن يوسف فاعفاهم منه وولى عليهم محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية وكان اخوه يحيى على غرب الاندلس وكان نزله باشبيلية ثم استعمل محمدا اخاه على قرطبة وكتب اليه علي بن يوسف بامره بصرف محمد اخيه الى ولاية ميورقة فارتحل اليها من قرطبة وبنو اولاده عبد الله وعلي واسحاق والزبير وابراهيم وطلحة وكان عبد الله واسحاق في تربية عمهما يحيى وكفالته فتبناهما ولما وصل محمد بن علي بن غانية الى ميورقة قبض على وانور وبعثه مصفدا الى مراكش واقام على ذلك عشرا وهلك يحيى بن غانية وقد ولي عبد الله بن

اخيه محمد علي غرناطه واخاه اسحاق بن محمد علي قرمونه ثم هلك علي بن يوسف وضعف
امر لمتونه وظهر عليهم الموحدون فبعث محمد عن ابنيه عبد الله واسحاق فوصلا اليه في
الاسطول وانقض ملك لمتونه بخر عهد محمد الى ابنه عبد الله فنافسه اخوه اسحاق
وداخل جماعة من لمتونه في قتله فقتلوه وقتلوا اباه محمدا ثم اجمعوا الفتك به فارتا
بهم وداخل لب بن ميمون قايد البحر في امرهم فكبسهم في منازلهم وقتلهم وتمت بيعته
سنة ست واربعين وخمس مائة وبقي امير بميورقة واستقل اول امره بالبنا والغراسة
وضجر منه الناس لسوء ملكته وفرعنه لب بن ميمون الى الموحدون ثم رجع آخرا الى الغزو
وكان يبعث بالاسرى والعلوج للخليفة ابي يعقوب الى ان هلك قبيل مهلكه سنة
ثمانين وخلف من الولد محمد وعلي ويحيى وعبد الله والغازي وسير والمنصور وجباره
وتاشفين وطلحة وعمر ويوسف والحسن فولي ابنه محمد وبعث الى الخليفة ابي يعقوب
بطاعته فبعث هو علي بن الزبرتير لاختبار ذلك منه واحس بذلك اخوته فنكروه
ونقضوا عليه وقدموا عليا منهم وبلغهم مهلك الخليفة وولاية ابنه المنصور فاعتقلوا
ابن الزبرتير وركبوا البحر في اسطولهم الى بجاية وولي على ميورقة اخاه طلحة وطرق بجاية
في اسطوله على حين غفلة وعليها السيد ابو الربيع بن عبد الله بن عبد الله
ابن عبد المومن وكان خارجها في بعض مذاهبه فاستولوا عليها سنة احدى وثمانين
وقبضوا على السيد ابي الربيع والسيد ابي موسى عمران بن عبد المومن صاحب افريقية
كان بها مجتازا واستعمل اخاه يحيى على بجاية ومضى الى الجزاير فافتتحها وولى عليها يحيى
ابن اخيه طلحة ثم الى مليانة فولى عليها يدر بن عايشة ونهض الى القلعة ثم الى قسنطينة
فنازلها واتصل الخبر بالمنصور وهو بسبتة مرجعه من الغزو فسرح السيد ابا زيد
ابن عمه السيد ابا حفص وعقد له على حرب بن غانية وعقد لمحمد بن ابي اسحاق بن جامع
على الاساطيل والى نظيره ابو محمد بن عطوش واحمد الصقلي وانتهى السيد ابو زيد
الى تلمسان واخوه يومئذ السيد ابو الحسن واليها وقد انعم النظر في تحصينها ثم
ارتحل بعساكره من تلمسان ونادى بالعفو في الرعية فثار اهل مليانة على ابن عايشة
فاخرجوه وسبقت الاساطيل الى الجزاير فملكوها وقبضوا على يحيى بن طلحة وسيق يدر بن
عايشة من ام العلو فقتلوا جميعا بشلف وتقدم القايد احمد الصقلي باسطوله الى بجاية
فملكها ولحق يحيى بن غانية باخيه علي بمكانه من حصار قسنطينة فاقلع عنها ونزل السيد
ابو زيد بسكلات وخرج السيد ابو موسى من اعتقاله فلقيه هنالك ثم ارتحل في طلب
العدو فافرج عن قسنطينة وخرج الى الصحرا واتبعه الموحدون الى مقرة ونقاوس
ثم قفلوا الى بجاية واستقر السيد ابو زيد بها وقصد علي بن غانية قفصة فملكها ونازل
توزر فامتنعت عليه ولحق بطرابلس وخرج عزي الصنهاجي من جموع بن غانية في بعض
احياء العرب فتغلب على اشير وسرح اليهم السيد ابو زيد ابنه ابا حفص عمر ومعه
غانم بن مردنيش فاوقعوا بهم واستولوا على حللهم وقتل عزي وسيق راسه الى بجاية
ونصب بها والحق به عبد الله اخوه وغرب بنو حمدون من بجاية الى سلا لاتهامهم بالدخول
في امر ابن غانية واستقدم الخليفة السيد ابا زيد من مكانه ببجاية وقدم مكانه اخاه السيد
ابا عبد الله وانصرف الى الحضرة وبلغ الخبر اثناء ذلك باستيلاء علي بن الزبرتير على ميورقة

وكان من خبره ان الامير يوسف بن عبد المومن بعثه الى ميورقة لدعا بني غانية الى امره لما
كان اخوهم محمد خاطبه بذلك فلما وصل ابن الزبرتير اليهم نكروا شانه على اخيهم محمد واجمعوا
دونه ونقضوا عليه وعلى ابن الزبرتير وقدموا عليهم اخاهم عليا وركبوا الاساطيل الى
بجاية فلما خلا الجو منهم دبر ابن الزبرتير في امره وداخل مواليهم من العلوج في تخلية سبيله
من معتقله على ان يخلي سبيلهم باهليهم وولدهم الى ارضهم فتم له مراده منهم وثاروا
بالقصبة واستنقذ محمد بن اسحاق من مكان معتقله ولحقوا جميعا بالحضرة وبلغ الخبر علي
ابن غانية بمكانه من طرابلس فبعث اخاه عبد الله الى صقلية وركب منها الى ميورقة
ونزل في بعض قراها واعمل الحيلة في تملك البلد فاستولى عليه واضطرم نار الفتنة
بافريقية ونازل علي بن غانية بلاد الجريد وتغلب على الكثير منها وبلغ الخبر باستيلايه
على قفصة فخرج المنصور اليه من مراكش سنة ثنتين وثمانين ووصل فاس فاراح بها
وسار الى رباط تازي ثم سار على التعبية الى تونس وجمع بن غانية من اليه من الملثمين
والاعراب وجاء معه قراقش الغزي صاحب طرابلس فسرح اليهم المنصور عساكره لنظر السيد
ابي يوسف بن السيد ابي حفص ولقيهم بعمرة فانفضت جموع الموحدون واجلت المعركة
عن قتل علي بن الزبرتير وابي علي بن يغمور وفقد الوزير عمر بن ابي زيد ولحقهم فلهم
بقفصة فاثخنوا فيهم قتلا ونجا الباقون الى تونس وخرج المنصور متلافيا جبر الحادث
في هذا الواقع ونزل القيروان واعد السير الى الحامة فتشاور العزيبان وتراجعوا
فكانت الدبرة على ابن غانية واحزابه وافلت من المعركة بذماء نفسه ومعه قراقش
واثخن القتل على كثير منهم وصبح المنصور قابس فافتتحها ونقل من كان بها من حرم بن غانية
وذويه في البحر الى تونس وثنى العنان الى توزر فافتتحها وقتل من وجد بها ثم الى
قفصة فنازلها اياما حتى نزلوا على حكمه وامن اهل البلد والاغزاز اصحاب قراقش وقتل
ساير الملثمين ومن كان معهم من الحشود وهدم اسوارها وانكفا راجعا الى تونس
فعقد على افريقية للسيد ابي زيد وقفل الى المغرب سنة اربع وثمانين ومر بالمهدية
واصحر على طريق تاهرت والعباس بن عطية امير توجين دليله الى تلمسان فنكب بها
عمه السيد ابا اسحاق لشي بلغه عنه واحفظه ثم ارتحل الى مراكش ورفع اليه ان اخاه
السيد ابا حفص والي مرسية الملقب بالرشيد وعمه السيد ابا الربيع والي تادلا عند
ما بلغهم خبر الوقيعة بعمرة حدثوا انفسهم بالوثوب على الخلافة فلما قدم ما عليه التهنية
امر باعتقالهما برباط الفتح خلال ما استجلى امرهما ثم قتلهما وعقد للسيد ابي الحسن
ابن السيد ابي حفص على بجاية وقصد يحيى بن غانية قسنطينة فزحف اليه السيد ابو
الحسن من بجاية فهزمه ودخل قسنطينة وارتحل ابن غانية الى بسكرة فقطع نخلها
وافتتحها عنوة ثم حاصر قسنطينة فامتنعت عليه فارتحل الى بجاية وحاصرها
وكر عايدا بافريقية الى ان كان من خبره ما نذكره

اخباره في الجهاد

لما بلغه تغلب العدو على قاعدة شلب وانه اوقع بعسكر اشبيلية وترددت سراياه
على نواحيها وافتتح كثيرا من حصونها وخاطبه السيد ابو يوسف بن حفص صاحب
اشبيلية بذلك استنفر الناس للجهاد وخرج سنة ست وثمانين الى قصر مصمودة
فاراح به ثم اجتاز الى طريف واعد السير منها الى شلب ووافته بها حشود الاندلس

نزلهم لحصارها وزحف الى حصن طرش فافتتحه ورجع الى اشبيليه ثم رجع الى منازلة
شلب سنة سبع وثمانين فافتتحه وقدم عليه ابن وزير بعد ان كان افتتح في طريقه
اليه حصونا اخرى ثم قفل الى حضرته بعد استكمال غزاته وكتب بعهده لابنه الناصر
وقدم عليه سنة ثمان وثمانين السيد ابو زيد صاحب افريقية ومعه مشيخة العرب
من هلال وسليم فلقاهم مبرة وتكريما وانقلب وفدهم الى بلادهم ثم بلغه سنة تسعين
استفحال ابن غانية بافريقية وكثرة العيث والفساد بها فاعتزم على النهوض اليها
ووصل الى مكناسة فبلغه من امر الاندلس ما اهمه فصرف وجهه اليها ووصل
قرطبة سنة احدى وتسعين فاراح بها ثلاثا وامداد الحشود تتلاحق به من كل ناحية
ثم ارتحل للقاء العدو ونزل بالارك من نواحي بطليوس وزحف اليه العدو من
النصارى وامراؤهم يومئذ ثلاثة ابن ادفونش وابن الرنك البيبوج وكان اللقاء يوم
كذا سنة احدى وتسعين وابو محمد بن ابي حفص يومئذ على المطوعة واخوه ابو يحيى
على العساكر والموحدين فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى استلحم منهم ثلاثون
الفا بالسيف واعتصم فلهم بحصن الارك وكانوا خمسة الاف من زعمائهم فاستنزلهم
المنصور على حكمه وفودي بهم عددهم من المسلمين واستشهد في هذا اليوم ابو يحيى
ابن الشيخ ابي حفص بعد ان ابلى بلاء حسنا وعرف بنوه بعدها ببنو الشهيد وانكفأ
المنصور راجعا الى اشبيلية ثم خرج منها سنة اثنتين وتسعين غازيا الى بلاد
الجوف فافتتح حصونا ومدنا وخربها كان منها برجالة وطلبيرة واطل على نواحي طليطلة
فخرب بسائطها واكتسح مسارحها وقفل الى اشبيلية سنة ثلاث وتسعين فرفع اليه
في القاضي ابي الوليد بن رشد مقالات نسبت فيها الى المرض في دينه وعقله وربما القيه
بعضها بخطه فحبس ثم اطلق واشخص الى الحضرة وبها كانت وفاته ثم خرج المنصور
من اشبيليه غازيا الى بلاد ابن ادفونش حتى احتل بساحة طليطلة وبلغه ان صاحب
برشلونة امد ابن ادفونش بعساكره وانهم جميعا بحصن مجريط فنهض اليهم ولما
اطل عليهم انفضت جموع ابن ادفونش من قبل القتال وانكفأ المنصور راجعا
الى اشبيلية ثم رغب اليه الملوك النصرانية في السلم فبذله لهم وعقد للسيد ابي
زيد بن الخليفة وعلى مدينة بطليوس للسيد ابي الربيع بن السيد ابي حفص وعلى المغرب
للسيد ابي عبد الله بن السيد ابي حفص واجاز الى حضرته سنة اربع وتسعين
فطرقه المرض الذي كان منه حمامه واوصى وصيته التي تناقلها الناس وحضر
لوصيته عيسى بن الشيخ ابي حفص وهلك رحمه الله سنة خمس وتسعين في اخر
ربيعها

الخبر عن وصول ابن منقذ بالهدية من قبل

صاحب الديار المصرية

كان الفرنج قد ملكوا سواحل الشام في اخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة
وملكوا بيت المقدس فلما استولى صلاح الدين بن ايوب على ديار مصر والشام اعتزم

على

على جهادهم وكان يفتتح حصونها واحدا بعد واحد حتى اتى على جميعها وامتعضت
امم النصرانية من كل جهة واعترضوا اسطول صلاح الدين في البحر فبعث صريخه الى
المنصور سنة خمس وثمانين يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس
ورد عليه ابو الحارث عبد الرحمن بن منقذ بعثه امراء شيزر من حصون الشام
كانوا استبدوا به عند اختلال الدولة العبيدية فلما استقام الامر على يد صلاح الدين
وانتظم ملك مصر والشام واستنزل بني منقذ هولاء ورعى لهم سابقتهم وبعثه في
هذه الى المنصور بالمغرب بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ووزن مائة
درهم من دهن البلسان وعشرين رطلا من العود وستمائة مثقال من المسك والعنبر
وخمسين قوسا اعرابية باوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروج مذهبة ثقيلة
ووصل الى المغرب ووجد المنصور بالاندلس فانتظره بفاس الى حين وصوله فلقيه
وادى اليه الرسالة فاعتذر له عن الاسطول وانصرف ويقال انه جهز له بعد ذلك
مائة وثمانين اسطولا ومنع النصارى من سواحل الشام

دولة الناصر بن المنصور

لما هلك المنصور قام بامره ابنه محمد ولي عهده وتلقب الناصر لدين الله واستوزر
ابا زيد بن يوجان وهو ابن اخي الشيخ ابي حفص ثم استوزر ابا محمد بن الشيخ ابي
حفص وعقد للسيد ابي الحسن بن السيد ابي حفص على بجاية وفوض اليه في شؤونها
وبلغه سنة ست وتسعين اجلاب العدو بافريقية وفساد الاعراب في نواحيها
ورجوع السيد ابي الحسن من قسنطينة منهزما امام ابن غانية فانفذ السيد ابا زيد
ابن ابي حفص الى تونس في عسكر من الموحدين لسد ثغورها وانفذ ابا سعيد بن الشيخ
ابي حفص ردئا له وتغلب ابن غانية خلال ذلك على حصن المهدية وثار بالسوس سنة
ثمان وتسعين ثائر من كزولة يعرف بابي قصبة فسرح الناصر اليه عساكر الموحدين
فقصدوا جموعه وقتل وفي ايامه كان فتح ميورقة على ما نقلوا من خبرها

فتح ميورقة

وكان من خبرها ان محمد بن اسحاق لما فصل اخوانه علي ويحيى الى افريقية
ولوا على ميورقة اخاهم طلحة داخل محمد بعض الحاشية وخرج من الاعتقال هو وابن
الزبرتير وقام بدعوة المنصور وبعث لهما ابن الزبرتير فبعث المنصور اسطوله
مع ابي العلي بن جامع لتملك ميورقة فابى محمد من ذلك وارسل طاغية برشلونة في
المدد بجند من النصارى يستخدمهم فاجابهم وانتقض عليه اهل ميورقة لذلك وخشوا
عادية المنصور فطردوا محمد بن اسحاق وولوا عليهم اخاه تاشفين وبلغ ذلك عليا ويحيى
على قسنطينة فبعثا اخويهما عبد الله والغازي فداخلوا بعض اهل البلاد وعزلوا تاشفين
وولي عبد الله وبعث المنصور اسطوله مرارا مع ابي العلي بن جامع ثم مع يحيى بن الشيخ
ابي ابراهيم الهزرجي فامتنعوا منهم وقتلوا منهم خلقا وقوي امره وذلك سنة ثلاث وثمانين
ثم هلك المنصور وبعث الناصر اسطوله مع عمه السيد ابي العلي والشيخ ابي سعيد بن
ابي حفص فنازلوها واغزوا عنها اخوه تاشفين بالناس ودخل البلد عنوة واستفتحت

وقتال وانصرف السيد الى مراكش وولي عليها عبد الله بن طاع الله الكومي ثم ولى الناصر عليها
عمه السيد ابا زيد وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر وبعد السيد ابي زيد وليها
السيد ابو عبد الله بن ابي حفص بن عبد المومن ثم ابو يحيى بن علي بن ابي عمران التينملي
ومن يده اخذها النصارى لسنة سبع وعشرين وستماية

خبر افريقية وتغلب ابن غانية عليها وولاية ابي محمد بن الشيخ ابي حفص

لما هلك المنصور قوي امر ابن غانية بافريقية وولي الناصر السيد ابا زيد والشيخ
ابا سعيد بن ابي حفص وبلغهم ان المنصور ولاهما وكثر الهرج بافريقية وثار بالمهدية
محمد بن عبد الكريم الركراكي ودعا لنفسه ونازع ابن غانية والموحدين امره وتسمى صاحب
قبة الاديم محمد بن عبد الكريم ونازل تونس وعاث في نواحيها سنة ست وتسعين ونازل
ابن غانية بقابس فامتنع عليه وكان محمد بن مسعود البلط شيخ رياح من اشياعه
فانتقض عليه وراجع ابن غانية فاتيح له الظهور على محمد بن عبد الكريم وفضه وهو
على مقصنة فهزمه واتبعه الى المهدية فنازله بها وبعث الى صاحب تونس في المدد
باسطوله فامده فضاقت حال ابن عبد الكريم فسال الامان من ابن غانية فامنه
وخرج اليه فنقض عليه واستولى على المهدية سنة تسع وتسعين وقتله وبعث
الناصر اسطوله في البحر مع عمه ابي العلا وعساكر الموحدين مع السيد ابي الحسن
ابن ابي حفص بن عبد المومن ونازلوا ابن عبد الكريم قبل استيلاء ابن غانية عليها
فاعتذر ابن عبد الكريم بانه حافظ للحصن من العدو ولا يمكنه الا لثقة الخليفة
وانصرف السيد ابو الحسن الى بجاية موضع عمله وقسم العسكر بينه وبين اخيه
السيد ابي زيد صاحب تونس وصلحت الاحوال ثم ان ابن غانية لما تغلب على المهدية
وعلى قراقش الغزي صاحب عمل طرابلس وقد مرت اخباره في اخبار بني غانية ثم
تغلب على بلاد الجريد ثم نازل تونس سنة تسع وتسعين وافتتحها عنوة وتقبض
على السيد ابي زيد وطالب اهل تونس بالنفقة التي انفق وبسط عليهم العذاب
وتولى ذلك فيهم كاتبه ابن عصفور حتى هلك في الامتحان كثير من بيوتاتهم ثم
دخل في دعوته اهل بونة وبنزرت وشقبنارية والاربس والقيروان وتبسة
وصفاقس وقابس وطرابلس وانتظمت له اعمال افريقية وفرق العمال وخطب للعباسي
كما ذكرناه في اخباره ثم ولى على تونس اخاه الغازي ونهض الى جبال طرابلس فاغرمهم
الف الف دينار مكررة مرتين ورجع الى تونس واتصل بالناصر كثرة الهرج بافريقية
واستيلاء ابن غانية عليها وحصول السيد ابي زيد في قبضته فشاور الموحدين في امره
فاشاروا بمسالمة ابن غانية واشار ابو محمد بن الشيخ ابي حفص بالنهوض اليها والمدافعة
عنها فعمل على رايه ونهض من مراكش سنة احدى وستماية وبعث الاسطول في البحر

لنظر

لنظر ابي يحيى بن ابي زكريا الهوزجي فبعث ابن غانية ذخيرته وحرمه الى المهدية
مع علي بن الغازي بن محمد بن علي وانتقض اهل طرابلس على ابن غانية واخرجوا عاملهم
تاشفين بن الغازي بن محمد بن علي بن غانية وقصدهم ابن غانية فافتتحها وخربها
ووصل اسطول الناصر الى تونس فدخلوها وقتلوا من كان بها من اشياع ابن
غانية ونهض الناصر في اتباع ابن غانية فاعجزه ونازل المهدية وبعث ابا محمد بن
الشيخ ابي حفص للقاء ابن غانية فلقيه بتاجرا وهزمه وقتل اخاه جبارة وكاتبه
ابن اللمطي وعامله الفتح بن محمد قال ابن نخيل وكانت الغنائم من عسكره
يومئذ ثمانية عشر الفا من احمال المال والمتاع والحرثي والآلة ونجا باهله وولده
واطلق السيد ابو زيد من الاعتقال بعد ان هم حرسه بقتله عند الهزيمة ثم
تسلم الناصر المهدية من يد علي بن الغازي المعروف بالحاج الكافي على ان يلحق بابن
عمه فقبل شرطه ومضى لوجهه ثم رجع من طريقه واختار التوحيد فقبل ونال من
الكرامة والتقريب ما لا فوقه وهلك في يوم العقاب الاتي ذكره ثم فوض الناصر
عن المهدية واستعمل عليها محمد بن يغمور الهرغي وعلى طرابلس عبد الله بن ابراهيم
ابن جامع ورجع الى تونس واقام الى سنة ثلاث وستماية وسرح السيد ابا اسحاق في
عسكر من الموحدين لاتباع العدو فدوخوا ما وراء طرابلس واستاصلوا بني دمر
ومطماطة وجبال نفوسة وتجاوزها الى سويقة بني مذكور وقفل السيد ابو اسحاق بهم
الى اخيه الناصر بتونس وقد كمل الفتح ثم اعتزم على الرحيل الى المغرب واجمع رايه
على تولية ابي محمد بن الشيخ ابي حفص وكان شيخ دولته وصاحب رايه فامتنع الى ان
بعث اليه الناصر في ذلك بابنه يوسف فاكبر مجيئه واناب الى ذلك على ان يقيم بافريقية
ثلاث سنين خاصة خلال ما يستحكم صلاحها وان يحكم فيمن يقيم معه من العسكر
فقبل شرطه ورجع الناصر الى مراكش فدخلها في ربيع سنة اربع وستماية وقدم
عبد العزيز بن ابي زيد الهنتاتي على الاشغال بالعدوتين وكان على الوزارة ابو
سعيد بن جامع وكان صديقا لابن عمه العزيز وعند مرجعه من افريقية توفي السيد
ابو الربيع بن عبد الله بن عبد المومن صاحب تلمسان وسجلماسة والسيد ابو الحسن
ابن ابي حفص بن عبد المومن صاحب بجاية وقد كان ابو الربيع هذا ولي بجاية
من قبل وهو الذي جدد الرفيع والبديع منتزه بناحيتها وكان بنو حماد شيدوها من قبل
فاصابهما الخراب وجددهما السيد ابو الربيع وفي سنة خمس بعدها عقد للسيد
ابي عمران بن يوسف بن عبد المومن على تلمسان اداله به من السيد ابي الحسن فوصل
الى تلمسان في عساكر الموحدين وتطوف باقطارها وزحف اليه ابن غانية هنالك
فانفض الموحدون وقتل السيد ابو عمران وارتاع اهل تلمسان واسرع السيد ابو
زكريا من فاس اليها فسكن نفوسهم خلال ما عقد الناصر لابي زيد بن يوجان على تلمسان
وسرحه في العساكر فنزل بها وفر ابن غانية الى مكانه من قاصية افريقية ومعه محمد
ابن مسعود البلط شيخ الدواودة من رياح وغيرهم من اعراب رياح وسليم واعترضهم
ابو محمد بن ابي حفص فانكشفوا واستولى الموحدون على محلاتهم وما بايديهم ولحقوا
بجبال طرابلس ورجع عنهم سير بن اسحاق اخو ابن عم الموحدين وفي هذه السنة

عقد الناصر على جزيرة ميورقة لابي يحيى بن ابي الحسن بن ابي عمران اداليه من السيد ابي عبد الله بن ابي حفص وعقد له على بلنسية وعقد على مرسية لابي عمران ابن ياسين الهنتاتي اداليه من ابي الحسن بن واكاك وعقد للسيد ابي زيد على كورة جيان اداليه من ابي موسى بن ابي حفص وعقد للسيد ابي ابراهيم بن يوسف على اشبيلية ولابي عبد الله بن ابي يحيى بن الشيخ ابي حفص على غرناطة الى ان كان ما نذكر **الخبر عن الجهاد** لما تغلب الناصر تغلب العدو على كثير من حصون بلنسية اهمه ذلك واقلقه وكتب الى الشيخ ابي محمد بن ابي حفص يستشيره في الغزو فابى عليه فخالفه وخرج من مراكش سنة تسع ووصل اشبيلية واستقر بها واستعد للغزو ثم خرج من اشبيلية وقصد بلاد ابن ادفونش فافتتح قلعة شلبطرة والبح في طريقه ونازل الطاغية قلعة رباح وبها يوسف بن قادس واخذ بمخنقه فصالحه على النزول ووصل الى الناصر فقتله وسار الى العقبة الى الموضع المعروف بالعقاب وقد استعد له الطاغية وجاء طاغية برشلونة مددا بنفسه فكانت الدبرة على المسلمين وانكشفوا في يوم بلاء وتمحيص اواخر صفر سنة تسع وستمائة وانكفا راجعا الى مراكش فهلك في شعبان من السنة بعدها وكان ابن ادفونش قد ناظر ابن عمه البيبوج صاحب ليون في اذنه الى الناصر وبعد الهزيمة على المسلمين فنفعه ذلك ثم رجعوا الى الاندلس بعد الكائنة للاغارة على بلاد المسلمين فلقيهم السيد ابو زكريا ابن ابي حفص بن عبد المومن قريبا من اشبيلية فهزمهم وانتعش المسلمون بعض واتصلت الحال على ذلك **ثورة ابن الفرس** كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ويعرف بالمهر وحضر مجلس المنصور في بعض الايام وتكلم بما خشي عاقبته في عنقه وخرج من المجلس واختفى مدة ثم بعد مهلك المنصور ظهر في بلاد كزولة وانتحل الامامة وادعى انه القحطاني المراد في قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملاها عدلا كما ملئت جورا الى اخر الحديث وكان مما ينسب له من الشعر

قولوا لابناء عبد المومن بن علي ۞ تاهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعاملها ۞ ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوعا عصاه وهو سائقهم ۞ بالامر والنهي بحر العلم والعمل
تبادروا امره فالله ناصره ۞ والله خاذل اهل الزيغ والميل

فبعث الناصر اليه الجيوش فهزموه وقتل وسيق راسه الى مراكش فنصب بها

دولة المستنصر بن الناصر

لما هلك محمد بن الناصر بن المنصور بويع ابنه يوسف سنة احدى عشرة وهو ابن ست عشرة سنة ولقب المستنصر بالله وغلب عليه ابن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بامره وتاخرت بيعة ابي محمد بن الشيخ ابي حفص بافريقية لصغر سن المستنصر عن التدبير بما تقتضيه السياسة وعقد للسادة على عمالات ملكه فعقد للسيد ابي

ابراهيم

ثم وقعت المجاولة بين الوزير بن جامع وصاحب الاشغال عبد العزيز بن ابي زيد فوصلت بيعته واستغفل المستنصر عن التدبير بما تقتضيه الشباب وعقد للسادة على عمالات ملكه فعقد للسيد ابي ابراهيم اخي المنصور وتلقب بالظاهر على فاس وهو ابو المرتضى وعقد على اشبيلية لعمه السيد ابي اسحاق الاحول واستولى الفنش على المعاقل التي اخذها الموحدون وهزم حامية الاندلس ووفد رسوله ابن الفخار فحاول ابن جامع في السلم فعقده ثم صرف ابن جامع عن الوزارة بعد مهلك ابي زيد بن بسعانة ابي زيد بن يوجان من ولاية تلمسان بابي سعيد بن المنصور وبعثه الى مرسية فاعتقل بها واستمرت ايام المستنصر في هدنة وموادعة الى ان ظهر بنو مرين بجهات فاس سنة ثلاث عشرة فخرج اليهم واليها السيد ابو ابراهيم في جموع الموحدين فهزموه واسروه ثم عرفوه واطلقوه ثم وصل الخبر بمهلك ابي محمد بن ابي حفص صاحب افريقية فولى عليها السيد ابا العلي اخا المنصور وكان واليا باشبيلية فعزل وولي على افريقية بسعانة بن مثنى خاصة السلطان فتوجه اليها كما نذكر في اخبار بني ابي حفص وخرج بناحية فاس رجل من العبيديين انتسب للعاضد وتسمى بالمهدي فبعث السيد ابو ابراهيم اخو المنصور والي فاس الى شيعته وبذل لهم المال فتقبضوا عليه وساقوه اليه فقتل وفي سنة تسع عشرة عقد المستنصر لعمه ابي محمد المعروف بالعادل على مرسية وعزله عن غرناطة وهلك سنة عشرين وقد كانت الاسود فكان ما نذكر

الخبر عن دولة المخلوع اخي المنصور

لما هلك المستنصر في الاضحى من سنة عشرين اجتمع ابن جامع والموحدون وبايعوا السيد ابي محمد عبد الواحد اخي المنصور فقام بالامر واخر بمطالبة ابن اشرفي بالمال وكتب لاخيه ابي العلاء بتجديد الولاية على افريقية بعد ان كان المستنصر اوعز بعزله فنفذ كتبه الولاية ميتا فاستبد ابنه بها ابو زيد المشمر كما نذكر في اخبار افريقية وانفذ المخلوع امره باطلاق ابن يوجان فاطلق في صدر ابن جامع عن ذلك وانفذ اخاه ابا اسحاق في الاسطول ليجوز به الى ميورقة كما كان المستنصر انفذ قبل وفاته وكان الوالي بمرسية ابو محمد عبد الله واغراه ابن يوجان بالوثوب على الامر وشهد له انه سمع من المنصور العهد له بالخلافة من بعد الناصر وكان الناس على كره ابن جامع وولاة الاندلس كلهم بنو المنصور فاصغى اليه وكان مترددا في بيعة عمه فدعا لنفسه وتسمى بالعادل وكان اخوته ابو العلي صاحب قرطبة وابو الحسن صاحب غرناطة وابو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرا وكان ابو محمد ابن ابي عبد الله بن ابي حفص بن عبد المومن المعروف بالبياسي صاحب جيان وقد عزله المخلوع بعمه ابي الربيع بن ابي حفص فانتقض وبايع للعادل وزحف مع ابي العلا صاحب قرطبة وهو اخو العادل الى اشبيلية وبها عبد العزيز اخو المنصور والمخلوع فدخل في دعوتهم وامتنع السيد ابو زيد بن ابي عبد الله اخي البياسي عن بيعة العادل وتمسك بطاعة المخلوع وخرج العادل من مرسية الى اشبيلية فدخلها مع

محمد
بن المنصور

مع أبي زيد بن بوجان وبلغ الخبر إلى مراكش فاختلف الموحدون على المخلوع وبادروا
بعزل ابن جامع وتغريبه إلى هسكورة وقام بأمر هنتاتة أبو زكريا يحيى بن أبي يحيى
الشهيد بن أبي حفص وبأمر تينملل يوسف بن علي وبعث على أسطول البحر أبا إسحاق
ابن جامع وأنفذه لمنع الجواز من الزقاق وكان أسر أبي ابن جامع حين خرج إلى هسكورة
أن يجاز عليه من هنالك فلم يتم أمره وقتل بمكان خفي في ربيع سنة إحدى وعشرين
وبعث الموحدون ببيعتهم إلى العادل

الخبر عن دولة العادل بن المنصور

لما بعث بيعة الموحدين للعادل وكتاب ابن زكريا بن الشهيد بنقضة المخلوع
قارن ذلك تغييره للبياسي فانتقض عليه ودعا لنفسه ببياسة وتلقب بالظافر
وشغل بشأنه وبعث أخاه أبا العلى لحصاره فامتنع عليه وبعث بعده ابنه أبا سعيد
ابن الشيخ أبي حفص فامتنع عليه أيضا واختلفت الأحوال بالأندلس على العادل
وكثرت إغارة النصارى على إشبيلية ومرسية وهو مقيم بها وانهزمت جيوش
الموحدين على طلياطة وأغراه خاصته بابن بوجان فأخذ إلى سبتة وعظم أمر
البياسي بالأندلس وظاهره النصارى على شأنه فأجاز العادل إلى العدوة وولى
أخاه أبا العلا على الأندلس ولما كان بقصر المجاز دخل عليه عبو بن أبي محمد بن
الشيخ أبي حفص وقال له كيف حالك فأنشد

حالي مع علم ابن منصور بها   جاء الزمان منها باسا

فاستعبس ذلك وولاه إفريقية وكتب للسيد أبي زيد بن عمه بالعدوة ووصل
إلى سلا فأقام بها وبعث عن شيوخ جشم وكان لابن بوجان عناية واختصاص
بهلال بن حميدان بن مقدم أمير الخلط فتثاقل ابن جرمون أمير سفيان عن الوصول
واقتتل الخلط وسفيان وبادر العادل إلى مراكش فدخلها واستوزر أبا زيد
ابن أبي محمد بن الشيخ أبي حفص وبعث لابن بوجان ففسد باطنه وتغلب على الدولة
ابن الشهيد ويوسف بن علي شيخا هنتاتة وتينملل ثم خالفت هسكورة والخلط
وعاثوا في نواحي مراكش وخرج إليهم ابن بوجان فلم يغن شيئا وخربوا البلاد فكان
فأنفذ إليهم العادل عسكرا من الموحدين لنظر إبراهيم بن إسماعيل بن الشيخ
أبي حفص وهو الذي كان نازع أولاد الشيخ أبي محمد بإفريقية كما نذكره فانهزم
وقتل وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي إلى قبائلهما للحشد ومدافعة هسكورة
فاتفقا على خلع العادل والبيعة ليحيى بن الناصر وقصدوا مراكش فاقتحموا عليه
القصر ونهبوه وقتل العادل خنقا أيام الفطر من سنة أربع وعشرين

الخبر عن دولة المأمون بن المنصور

ومزاحمة يحيى ابن الناصر له

كان المأمون لما بلغه انتقاض الموحدين والعرب على أخيه وتلاشي أمره دعا لنفسه
بإشبيلية فبويع وأجابه أكثر أهل الأندلس وبايع له السيد أبو زيد بن صاحب بلنسية
وشرق الأندلس ثم كان ما قدمناه من انتقاض الموحدين على العادل وقتله بالقصر
وبيعتهم ليحيى بن أخيه الناصر فكاتب ابن بوجان سرا وعمل على إفساد الدولة فدخل
هسكورة والعرب في الغارة على مراكش وهزموا عساكر الموحدين وفطن ابن الشهيد لتدبير
ابن بوجان فقتله بداره وخرج يحيى بن الناصر إلى معتصمه كما ذكرناه فخلع الموحدون
العادل وبعثوا ببيعتهم إلى المأمون وتولى كبر ذلك الحسن أبو عبد الله الغرنغر
والسيد أبو حفص بن أبي حفص فبلغ خبرهم إلى يحيى بن الناصر وابن الشهيد فنزلوا إلى
مراكش سنة ست وعشرين وقتلوهم وبايع للمأمون صاحب فاس وصاحب تلمسان
محمد بن أبي زيد بن بوجان وصاحب سبتة أبو موسى بن المنصور وصاحب بجاية
ابن أخيه ابن الأطاس وامتنع صاحب إفريقية وكان ذلك سببا لاستبداد الأمير أبا
زكريا على ما نذكره ولم يبق على دعوة يحيى بن الناصر إلا إفريقية وسجلماسة وزحف
البياسي إلى قرطبة فملكها ثم زحف إلى إشبيلية فنازل بها المأمون والطاغية معه
بعد أن نزل له عن قيجاطة وغيرها من حصون المسلمين فهزمهم المأمون بنواحي إشبيلية
ولحق البياسي بقرطبة فثاروا به ولجأ إلى حصن المدور فغدر به وزيره بن يبورك
وجاء برأسه إلى المأمون بإشبيلية ثم ثار محمد بن يوسف بن هود وملك مرسية واستولى
على الكثير من شرق الأندلس كما ذكرناه في أخباره وزحف إليه المأمون وحاصره فامتنع عليه
فرجع إلى إشبيلية ثم خرج سنة ست وعشرين إلى مراكش لما استدعاه أهل المغرب
وبعثوا إليه ببيعاتهم وبعث إليه هلال بن حميدان أمير الخلط يستدعيه واستمد الطاغية
عسكرا من النصارى فأمده على شروط تقبلها منه المأمون وأجاز إلى العدوة وبادر
أهل إشبيلية بالبيعة لابن هود وأغذ ضد يحيى بن الناصر فهزمه المأمون واستلحم من
كان معه من الموحدين والعرب ولحق يحيى بجبل هنتاتة ثم دخل المأمون الحضرة
وأحضر مشيخة الموحدين وعدد عليهم فعلاتهم وتقبض على مائة من أعيانهم فقتلهم
وأصدر كتابه إلى البلاد أن يمحوا اسم المهدي من السكة والخطبة والنعي عليه في النداء
للصلاة باللغة البربرية وزيادة النداء لطلوع الفجر وهو أصبح ولله الحمد وغير ذلك
من السنن التي اختص بها المهدي وعبد المؤمن وجرى على سننهما أبناؤهم فأعز بالنهي
عن ذلك كله وشنع عليهم في وصفهم الإمام المهدي بالمعصوم وأعاد في ذلك وأبدى
وأذن للنصارى النازلين معه في بناء الكنيسة بمراكش على شرطهم فضربوا بها
نواقيسهم واستولى ابن هود بعده على الأندلس وأخرج منها سائر الموحدين وقتلهم العامة
في كل قطر وقتل السيد أبو الربيع ابن أخي المنصور وكان المأمون تركه واليا بقرطبة
واستبد الأمير أبو زكريا بن أبي محمد بن الشيخ أبي حفص بإفريقية وخلع طاعته سنة
سبع وعشرين فعقد للسيد أبي عمران بن عمه محمد الخرصاني على بجاية مع أبي عبد الله
اللحياني أخي الأمير أبي زكريا وزحف إليه يحيى بن الناصر فانهزم ثم ثانية كذلك واستلحم
من كان معه ونصبت رؤوسهم بأسوار الحضرة ولحق يحيى بن الناصر ببلاد درعة وسجلماسة
ثم انتقض على المأمون أخوه أبو موسى ودعا لنفسه بسبتة وتسمى بالمؤيد فخرج المأمون

من مراكش وبلغه في طريقه ان قبايل بني فازاز ومكلاتة حاصروا مكناسة وعاثوا في نواحيها
فسار اليهم وحسم عاملها واستمر الى سبتة فحاصرها ثلاثة اشهر واستمد اخوه ابو موسى
صاحبها الاندلس ابن هود فامده باساطيله وخالفه يحيى بن الناصر المامون الى الحضرة
فاقتحمها معه عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ومنهم ابو سعيد بن وانودين شيخ
هنتاتة وعاثوا فيها فاقلع المامون عن سبتة يريد الحضرة وهلك في طريقه بوادي ام
ربيع منتصف سنة ثلاثين وحين اقلاعه دخل اخوه السيد ابو موسى في طاعة ابن هود
وامكنه من سبتة فادالها منها

الخبر عن دولة الرشيد بن المامون

لما هلك المامون بويع ابنه عبد الواحد ولقب الرشيد وكتموا موت ابيه واعدوا
السير الى مراكش ولقيهم يحيى بن الناصر في طريقهم بعد ان استخلف بمراكش ابا سعيد
ابن وانودين فهزموه وقتل اكثر من معه وصبح الرشيد مراكش فامتنعوا عليه ساعة
ثم خرجوا اليه واستقاموا على بيعته وكان وصل في صحبته عمه السيد ابو محمد
فحل من الدولة بمكان وكان اليه التدبير والحل والعقد وبعد استقرار الرشيد
بالحضرة وصل اليه عمر بن وقاريط كبير الهساكرة بمن كان عنده من اولاد المامون السيد
واخوته جاءوا من اشبيلية عند ثورة اهلها بهم واستقروا بسبتة عند عمهم ابي موسى
ومنها الى الحضرة عند استيلاء ابن هود على سبتة ومروا بهسكورة وكان ابن وقاريط
حذرا من المامون ومعتقدا ان لا يعود اليه فتذمم بصحابة هولاء الولد وقدم على
الرشيد فتقبله واعتلق بوصلة من السيد ابي محمد بعد وصحابة لمسعود بن حميدان
كبير الخلط ولما هلك السيد ابو محمد لحق ابن وقاريط بقومه ومعتصمه وكشف وجه
الخلاف واخذ بدعوة يحيى بن الناصر واستنفر له قبايل الموحدين ونهض اليهم الرشيد
سنة احدى وثلاثين واستخلف على الحضرة صهره ابا العلي ادريس وصعد اليهم الجبل
فاوقع بيحيى وجموعه بمكانهم من مدوجه واستولى على معسكرهم ولحق يحيى ببلاد سجلماسة
وانكفا الرشيد راجعا الى حضرته واستامن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى
ابن الناصر فامنهم ولحقوا بحضرته وكان كبيرهم ابو عثمان سعيد بن زكرياء الجدميوي
وجاء الباقون على اثره وشفعه بعد ان شرطوا عليه ما كان ازاله المامون من
رسوم المهدي فاعيدت وقدم فيهم ابو بكر بن يعزى التينملي رسولا عن يوسف
شيخ تينملل ومحمد بن يرزيكن الهنتاتي رسولا عن ابي علي بن عزوز ورجعا الى مرسليهما
بالقبول نقدما على الحضرة وقدم معهم موسى بن الناصر اخو يحيى وكبيرهم وجاء على اثرهم
ابو محمد بن ابي زكريا واثبتوا لاعادة رسوم الدعوة المهدية وكان مسعود بن حميدان
الخلطي قد اغراه عمر بن وقاريط بالخلاف لصحابة بينهما وكان مدلا بباسه وكثرة جموعه
ويقال ان الخلط كانوا ابو ميذ يناهزون اثني عشر الف سوى الرجل والاتباع والحشود
فمرض في الطاعة وتثاقل عن الوفادة ولما علم بمقدم الموحدين اجمع اعتراضهم وقتلهم
تمكينا للفرقة والشتات في الدولة فاعمل الرشيد الحيلة في استدعايه وصرف عساكره

الى

الى جلجة لنظر وزير السيد ابي محمد حتى خلا لابن حميدان الجو وذهب عنه الريب واستعد
فاسرع اللحاق بالحضرة وقدم معه معاوية عم عمر بن وقاريط فتقبض عليه وقتل لحينه
واستدعى مسعود بن حميدان الى المجلس الخلافي للحديث فتقبض عليه وعلى اصحابه
وقتلوا ساعتيذ بعد جولة وهيعة وقضى الرشيد حاجة نفسه فيهم واستعد هو
ووزيره وعساكره من جاحة فتقدموا ولما بلغ خبر مقتلهم الى قومهم قدموا عليهم
يحيى بن هلال ابن حميدان واجلبوا على سابر النواحي واخذوا بدعوة يحيى واستقدموه
من مكانه بناصية الصحراء وداخلهم في ذلك عمر بن وقاريط وزحفوا لحصار الحضرة
وخرجت العساكر لقتالهم ومعهم عبد الصمد بن يلوسان فرتمع بن وقاريط في جموعه
من العساكر فانهزموا واحيط بجند النصارى فقتلوا وتفاقم الامر بالحضرة وعدمت
الاقوات واعتزم الرشيد على الخروج الى جبال الموحدين فخرج اليها وسار منها الى سجلماسة
فملكها واشتد الحصار على مراكش وافتتحها يحيى بن الناصر وقومه من هسكورة والخلط
وساءت اثارهم فيها وتغيرت احوال الخلافة وتغلب على السلطان ابو ابراهيم بن ابي حفص
الملقب بابي حافة وفي سنة ثلاث وثلاثين خرج الرشيد من سجلماسة يقصد مراكش
وخاطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان فلجازوا وادي ام ربيع وبرز اليه يحيى
في جموعه والتقى الفريقان فانهزمت جموع يحيى واستحر القتل فيهم ودخل الرشيد
الى الحضرة ظافرا واشار يحيى بن وقاريط على الخلط بالاستصراخ بابن هود صاحب
الاندلس والاخذ بدعوته فنكثوا بيعة يحيى وبعثوا وفدهم الى ابن هود صحبة عمر بن وقاريط
فاستقر هنالك وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط امامه وسار الى فاس وسرح ولده
السيد ابا محمد الى غمارة وفازاز لجبايتها وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بيعته
لحق بعرب المعقل فاجازوه ودعوا النصرة واشتطوا عليه في المطالب واسف بعضهم
بالمنع فاغتالوه في جهات تازى وسيق راسه الى الرشيد بفاس فبعثه الى مراكش
واوعز الى نايبه بها ابي علي بن عبد العزيز بقتل العرب الذين كانوا في اعتقاله وهم
حسن بن زيد شيخ العاصم وقايد وقايد ابنا عامر شيخ بني جابر فقتلهم وانكفا الرشيد
راجعا الى حضرته سنة اربع وثلاثين وبلغه استيلاء صاحب درعة ابي محمد بن وانودين
على سجلماسة وذلك ان الرشيد لما فصل من سجلماسة استخلف عليها يوسف بن علي
ابن يوسف التينملي فاستعمل ابن خالته من بني مردنيش وهو عبد الملك بن محمد بن
مردنيش فثار عليه ثاير من صنهاجة وقتله في خبايه وقام ابنه ارقم يطلب الثار وبلغ منه
ما اراد ثم حدثته نفسه بالانتقاض خوفا من غائلة الرشيد اياه فانتقض ونهض اليه
الرشيد سنة ثنتين وثلاثين فلم يزل ابو محمد بن وانودين يعمل الحيلة في استخلاصها
حتى تمكن منها وعفا عن ارقم وكان ابن وقاريط لما انصل الى ابن هود سنة اربع وثلاثين
ركب البحر من اسطول ابن هود وقصد سلا ورباطها السيد ابو العلي صهر الرشيد فكاد ان
يغلب عليها وفي سنة خمس وثلاثين بايع اهل اشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود
وتولى كبر ذلك ابو عمر بن الجد واستحضر بني حجاج الى سبتة ووصل وفدهم الى الحضرة
ومروا في طريقهم بسبتة فاقتدى اهلها بهم في بيعة الرشيد وخلعوا اميرهم اليانشتي
الثاير بها على ابن هود وقدموا على الحضرة وولى عليهم الرشيد ابا علي بن خلاص منهم ولايام

من سندهم وصل عمر بن وقاريط محتملا من اشبيلية اعزاهم بالقبض عليه القاضي ابو عبد الله المومناني كان توجه رسولا الى ابن هود عن الرشيد فامكنهم من ابن وقاريط وبعثه الى الرشيد مع وفد من رسله فاعتقل بازمور وقتل وصلب برباط هسكورة بعد ان طيف على جمل وانصرف وفد اشبيلية وسبتة واستقدم الرشيد روسا الخلط فتقبض عليهم وبعث عساكره فاستباحوا حللهم واحياءهم ثم امر بقتل مشيختهم وقتل معهم بن وقاريط وقطع دابرهم وفي سنة ست وثلاثين وصلت بيعة محمد بن يوسف ابن نصر بن الاحمر الثاير بالاندلس على ابن هود وفي سنة سبع وثلاثين اشتدت الفتنة بالمغرب وانتشر بنو مرين في بسايطه وقاتلهم عرب رياح بازغار وشيخهم عثمان بن نصر فهزمهم بنو مرين وقتلوهم قتلا ذريعا وكان الرشيد استقدم ابا محمد بن وانودين من سجلماسة سنة خمس وثلاثين وعقد له على فاس وسجلماسة وغمارة ونواحيها من ارض المغرب فكان هنالك ولما انتشر بنو مرين بالمغرب زحف اليهم فهزموه ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه واقام في محاربتهم سنتين ورجع الى الحضرة واستبد عدوان بني مرين بالمغرب والحوا على مكناسة ثم اعطوا الاتاوة لبني حمامة منهم فاسفوا ابني عسكر بن لك واتصل عيثهم في نواحيها وفي سنة تسع وثلاثين قتل الرشيد كاتبه ابن المومناني لمداخلة له مع بعض السادات وهو عمر بن عبد العزيز اخي المنصور ووقف على كتابه اليه بخطه وغلط الرسول بها فدفعها بدار الخليفة وفي سنة اربعين بعدها كانت وفاة الرشيد غريقا عاما في بعض صهاريج القصر ويقال انه اخرج من الماء وحم لوقته وكان فيها مهلكه

الخبر عن دولة السعيد بن المامون

لما هلك الرشيد بويع اخوه ابو الحسن السعيد بتقبيل ابي محمد بن وانودين وتلقب المعتضد بالله واستوزر السيد ابا اسحاق بن السيد ابي ابراهيم ويحيى ابن عطوش وتقبض على جملة من مشيخة الموحدين واستصفا اموالهم واستخلص لنفسه روساء العرب من جشم واستظهر بجموعهم على امره وكان شيخ سفيان كانون بن جرمون كبير مجلسه ولاول بيعته انتقض عليه ابو علي بن خلاص البلنسي صاحب سبتة وكذلك اهل اشبيلية وبايعوا جميعا للامير ابي زكريا صاحب افريقية ثم انتقض عليه بسجلماسة عبد الله بن زكريا الهزرجي لمقالة كانت منه يوم بيعة الرشيد اسرها له فبايع للامير ابي زكريا ثم وصلته في هذه السنة هدية يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان فنهض الامير ابو زكريا صاحب افريقية بسبب ذلك الى تلمسان واستولى عليها ثم عقد عليها ليغمراسن حسبما نذكر في اخباره وخرج السعيد من مراكش لتمهيد بلاد المغرب سنة ثنتين واربعين وتغير لسعيد بن زكريا الكدميوي فتقبض عليه في معسكره بتانسيفت وفر اخوه ابو زيد ومعه ابو سعيد العود الرطب ولحقوا بسجلماسة فاستصفى اموالهم بمراكش وارتحل بقصد سجلماسة واخذ واليها عبد الله الهزرجي في اسباب الامتناع فغدر به ابو زيد بن زكريا الكدميوي

وداخل

وداخل اهل سجلماسة في الثورة عليه وملك البلد واستدعى السعيد لها فوصل وقتل الهزرجي وفر ابو سعيد العود الرطب الى تونس ثم رجع السعيد الى المغرب وقتل سعيد ابن زكرياء ونزل المغزمة من احواز فاس وعقد المهادنة مع بني مرين وقفل الى مراكش فتقبض على ابي محمد بن وانودين واعتقله بازمور واعتقل معه يحيى بن مزاحم ويحيى بن عطوش لسعايتهم فيه فاعمل الحيلة في الفرار من معتقله وخلص ليلا الى كانون بن جرمون فاركبه وبعث معه من عرب سفيان من اوصله الى قومه هنتاتة وراسله السعيد على اثرها وسكنه واعتذر له واسعفه بسكنى تانيوت من حصون جبله باهله وولده ثم انتقض على السعيد كانون بن جرمون وسفيان وخالفهم اليه بنو جابر والخلط وخرج من مراكش واستوزر السيد ابا اسحاق بن السيد ابي ابراهيم اسحاق اخي المنصور واستخلف اخاه ابا زيد على مراكش واخاهما ابا حفص عمر على سلا وقصد بن مراكش سنة   وجمع له ابو يحيى بن عبد الحق جموع بني راشد وبني ولا وسفيان حتى اذا تراءى الجمعان للقاء خالف كانون بن جرمون الموحدين الى ازمور فاستولى عليها ورجع السعيد ادراجه في اتباعه ففر كانون واعترضه السعيد فاوقع به واستلحم كثيرا من سفيان قومه واستولى على ما له من مال وماشية ولحق كانون في فله ببني مرين ورجع السعيد الى الحضرة وفي سنة ثلاث واربعين ثارت العامة بمكناسة على واليهما من قبل السعيد فقتلوه وحذر مشيختها من سطوته فحولوا الدعوة للامير ابي زكريا بن ابي حفص صاحب افريقية وبعثوا اليه ببيعتهم وكانت من انشاء ابي المطرف ابن عميرة وذلك بمداخلة ابي يحيى بن عبد الحق امير بني مرين وموافقته على ذلك وسار طوا ابا يحيى بن عبد الحق بمكانه فنزع اليه على الحماية ثم راجعوا رايهم واوفدوا صلحاءهم لبيعتهم فرضي عنهم السعيد ورضوا عنه وفي هذه السنة بعث اهل اشبيلية واهل سبتة بطاعتهم للامير ابي زكريا صاحب افريقية وبعث بن خلاص بهديته مع ابنه في اسطول انشاه لذلك فغرق عند اقلاعه من المرسى وفي سنة ست واربعين كان استيلاء الطاغية على اشبيلية لسبع وعشرين من رمضان ولما بلغ السعيد بيعة اهل اشبيلية وسبتة للامير ابي زكريا الى ما كان من تغلبه على تلمسان واخذ يغمراسن بدعوته ثم ما كان من بيعة اهل مكناسة واهل سجلماسة له اعمل نظره في الحركة الى تلمسان ثم الى افريقية وخرج من مراكش في ذي الحجة من سنة خمس واربعين ووافاه كانون بن جرمون فعاود الطاعة واحتشد سفيان وجاء في جملة السعيد مع ساير القبايل من جشم ولما احتل السعيد بتازى وافاه وفد بني مرين عن اميرهم ابي يحيى بن عبد الحق فاعطوا الطاعة وبعثوا معه عسكرا من قومهم مددا له ثم سار السعيد الى تلمسان فكان مهلكه بتامزدكت على يد بني عبد الواد في صفر سنة ست واربعين حسبما نشرح في اخبارهم ويقال ان ذلك كان بمداخلة من الخلط فاستولوا على المحلة وقتلوا اعدهم كانون وانفض العسكر الى المغرب وقد اجتمعوا الى عبد الله بن السعيد واعترضهم بنو مرين بجهات تازى فقتلوا عبد الله بن السعيد ولحق الفل بمراكش فبايعوا للمرتضى كما نذكر

الخبر عن دولة المرتضى ابن أخي المنصور

لما لحق فل العسكر بعد مهلك السعيد بمراكش اجتمع الموحدون على بيعة السيد أبي حفص عمر بن السيد أبي ابراهيم اسحاق أخي المنصور واستقدموه من سلا فلقيه وافدهم بتامسنا من طريقه ومعه أشياخ العرب فبايعوه وتلقب المرتضى وعقد ليعقوب بن كانون على بني جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد أن كان قومه قدموه عليهم ودخل الحضرة فاستوزر أبا محمد بن يونس وتقبض على حاشية السعيد ثم وصل أخوه السيد أبو اسحاق من الفل آخذا على طريق سجلماسة فاستوزره واستبد عليه واستولى أبو يحيى بن عبد الحق وبنو مرين اثر مهلك السعيد على رباط تازى من يد السيد أبي علي أخي أبي دبوس وأخرجوه فلحق بمراكش ثم استولوا بعدها على مدينة فاس سنة اربع وأربعين كما نذكره في أخبارهم وفي هذه السنة ثار بسبتة أبو القاسم العزفي وأخرج ابن الشهيد الوالي على سبتة من قرابة الأمير أبي زكريا صاحب افريقية وحول الدعوة للمرتضى حسبما نذكره في أخبار الدولة الحفصية وأخبار بني العزفي وفي سنة تسع وأربعين وفد على المرتضى موسى بن زيان الونكاسني وأخوه علي من قبائل بني مرين وأغروه بقتال بني عبد الحق فخرج إليهم ولما انتهى إلى أمان ايملولين أشاع يعقوب بن جرمون قضية الصلح بينهما فأصبحوا راحلين وقد استولى الجزع على قلوبهم فانفضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال ووصل المرتضى إلى الحضرة فعزل أبا محمد بن يونس عن الوزارة لشيء بلغه عنه وأسكنه بجبله مع حاشيته وفر من جملته علي بن يدر إلى السوس سنة احدى وخمسين وجاهر بالعناد وسرح إليه السلطان عسكرا من الجند فرجعوا عنه ولم يظفروا به وتمادى أمره سنة ثنتين وخمسين وجمع أعراب الشبانات وبني حسان وجبل امول تارودانت فحاصر من كان بها وسرح المرتضى إليه عسكرا من الموحدين فأفرج عنها ثم رجع بعد قفولهم إلى حاله وعثر المرتضى على خطابه لعزيبه بن يونس وكتاب ابن يونس إليه بخطه فاعتقل هو وأولاده ثم قتل وفي هذه السنة استدعى مشيخة الخلط إلى الحضرة وقتلوا لما كان منهم في مهلك السعيد ونهض أبو الحسن بن يعلو في عسكر من الموحدين إلى تامسنا ليكشف أحوال العرب ومعه يعقوب بن جرمون وعهد إليه المرتضى بالقبض على يعقوب بن محمد بن قيطون شيخ بني جابر فتقبض عليه وعلى وزير بن مسلم وطير بهما إلى الحضرة معتقلين وفي سنة ثلاث وخمسين خرج المرتضى من مراكش لاسترجاع فاس ونواحيها من أيدي بني مرين المتغلبين عليها ثم وصل إلى بني بهلول وزحف إليه بنو مرين وأميرهم أبو يحيى فكانت الهزيمة على الموحدين بذلك الموضع ورجع المرتضى مفلولا إلى مراكش ووادع بني مرين من بعد ذلك سائر أيامه واستبد العزفي بسبتة وابن الأمين بطنجة كما نذكره في أخبارهم وفي سنة خمس وخمسين بعث المرتضى إلى السوس عسكرا من الموحدين لنظر أبي محمد بن أصناك فلقيهم علي بن يدر وهزمهم واستبد بأمره في السوس وفي هذه السنة استولى أبو يحيى بن عبد الحق على سجلماسة وتقبض على واليها عبد الحق بن أصكو بمداخلة من خديم له يعرف بمحمد القطراني كان أبوه تاجرا في القطران بنواحي سلا فقرب عبد الحق ابنه محمدا هذا في مهنه وقربه من بين أهل خدمته وحرشته نفسه بالثورة فاستمال عرب المعقل ولاطفهم المشاركة في حاله ثم عند مخدومه والاحسان إليهم حتى اشتملوا عليه ثم داخل أبا يحيى بن عبد الحق في تمكينه من البلد فجاء بجملته وقدم وفده إلى البلد رسلا في بعض الحديث فتقبض محمد القطراني على عبد الحق أصكو وأخرجه إلى أبي يحيى بن عبد الحق فقاده وسرحه إلى مراكش وكان القطراني شرط على أبي يحيى أن يكون واليا بسجلماسة فأمضى شرطه وأنزل معه بها من رجالات بني مرين حتى إذا أهلك أبو يحيى بن عبد الحق أخرجهم محمد القطراني واستبد بأمر سجلماسة وراجع دعوة المرتضى واعتذر إليه واشترط عليه الاستبداد فأمضى له شرطه إلا في الأحكام الشرعية وبعث أبا عمرو بن حجاج قاضيا من الحضرة وبعض السادات للسكنى في القصبة وقائدا من النصارى في عسكر للحماية فأعمل ابن حجاج الحيلة في قتل القطراني وتولاه قائد النصارى واستبد السيد بأمر سجلماسة بدعوة المرتضى واستعمل أمر بني مرين أثناء ذلك ونزل يعقوب بن عبد الحق ابسايط تامسنا فسرح إليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن وانودين فأجفلوا إلى وادي أم ربيع واتبعهم الموحدون فرجعوا إليهم وغدرهم ابن جابر فانهزم الموحدون بأم الرجلين ولحق شيخ الخلط علي بن أبي علي ببني مرين وارتحلوا إلى أوطانهم وكان المرتضى قدم يعقوب بن جرمون على قبائل سفيان وكان محمد بن أخيه كانون ينافسه في رياسة قومه وغص به فقتله وثار به اخوة مسعود وعلي بعد حين فقتلاه وولى المرتضى مكانه ابنه عبد الرحمن فاستوزر يوسف بن وارذك ويعقوب بن علوان واستغل بلذاته وتصدى لقطع السابلة ثم نكث الطاعة ولحق ببني مرين فولى مكانه عمه عبيد الله بن جرمون ويكنى بأبي زمام وعقد له المرتضى ثم أدال منه بأخيه مسعود لعجزه ووفد على المرتضى عواج بن هلال من أمراء الخلط نازعا إلى الطاعة ومفارقا لبني مرين فأنزل مع أصحابه بمراكش وجاء على أثره عبد الرحمن بن يعقوب بن جرمون فتقبض على عواج ودفعه إلى علي بن أبي علي وكان تقبض بعده على عبد الرحمن بن يعقوب وذويه فقتلوا جميعا واستبد برياسة سفيان مسعود بن كانون وبرياسة بني جابر اسماعيل ابن يعقوب بن قيطون وفي سنة ستين عند رجوع يحيى بن وانودين من وانعة أم الرجلين خرج عسكر من الموحدين إلى السوس لنظر محمد بن علي أزلماط ولقيه علي بن يدر فهزم جموعه وقتله وعقد المرتضى من بعده على حرب علي بن يدر للوزير أبي بكر بن يكيت وسرح معه عسكرا من الجند وكان فيهم دنلب مقدم عماد النصرانية فتمادت الحرب بين الفريقين ولم يكن للموحدين فيها ظهور على كثرتهم ووفور جيشهم وحسن بلائهم فقعد بهم عن ذلك تخاسل دنلب وخروجه عن طاعة الوزير وكتب بذلك المرتضى فاستقدمه وأمر أبا زيد بن يحيى الكدميوي باعتراضه في طريقه وقتله وفي سنة ثنتين وستين أقبل يعقوب ابن عبد الحق في جموع بني مرين فنازلوا مراكش واتصلت الحرب بينهم وبين الموحدين بظاهرها أياما هلك فيها عبد الله العجوز بن يعقوب فبعث المرتضى إلى أبيه بالتعزية ولاطفه وضرب له أتاوة يبعث بها إليه في كل عام فرضي وارتحل عنهم

ويدم

الخبر عن انتقاض ابي دبوس وتغلبه على مراكش ومهلك المرتضى وما كان في دولته من الاحداث

لما ارتحل بنو مرين عن مراكش بعد مهلك النجوى فر من الحضرة قايد حروبه السيد ابو علي الملقب بابي دبوس بن السيد ابي عبد الله محمد بن السيد ابي حفص ابن عبد المومن لسعاية تمكنت فيه عند المرتضى وصحبه ابن عمه السيد ابو موسى عمران بن عبد الله بن الخليفة فلحقا بمسعود بن كلداسن كبير هسكورة فاجاره ثم لحق بيعقوب بن عبد الحق بفاس صريخا به على شانه واشترط له المقاسمة في العمالة والذخيرة وامده بالمال يقال خمسة الاف دينار عشرية واوعز الى علي ابن ابي علي الخلطي بمظاهرته الا له ورجع الى علي بن ابي علي الخلطي فامده بقومه ثم سار الى هسكورة ونزل على صاحبه مسعود بن كلداسن فاطاعه قبايل هسكورة وهزرجه وبعث اليه عزوز بن يبورك كبير صنهاجة في ناحية ازمور وكان منحرفا عن طاعة المرتضى الى جملة يعقوب بن عبد الحق ووفد عليه جماعة من السادة والموحدين والجند والنصارى وارتاب المرتضى بمسعود بن كانون شيخ سفيان وباسماعيل بن قيطون شيخ بني جابر فتقبض عليهما واعتقلهما وصار الكثير من قومهما الى ابي دبوس وقتل اسماعيل بن قيطون في معتقله فانتقض اخوه ثائرا ولحق بهم وحذر علوش بن كانون مثلها على اخيه فاتبعهم وزحف ابو العلى الى مراكش ولما بلغ اغمات وجد بها الوزير ابا زيد بن بكيت في عسكر لحمايتها فناجزه الحرب فانهزم ابن بكيت وقتل عامة اصحابه وسار ابو دبوس الى مراكش واغار علوش بن كانون على باب الشريعة والناس في صلاة الجمعة وركز رمحه بمصراعه ودخل سنة خمس وستين والمرتضى بمراكش غافل عن شان ابي دبوس والاسوار خالية الحراس والحامية فقصد ابو دبوس باب اغمات فتسور البلد من هنالك ودخلها على حين غفلة وقصد القصبة فدخلها من باب الطبول وفر المرتضى ومعه الوزير ابو زيد بن يعلو الكومي وابو موسى بن عزوز الهنتاتي فلحقوا بهنتاتة ثم الفوهم قد بسوا انطاعتهم فرحل الى كدميوة ومر في طريقه بعلي بن زكدان الونكاسي كان نزع اليه عن قومه ولم يصر بعد فقتل به المرتضى ودخل معه علي بمن معه الى كدميوة وكان بينهم وزيره ابو زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم فاراد النزول عليه فمنعه ابن سعد الله وسار الى شفشاوة ووجد بها عدو الظهر فمنعها علي بن زكدان وكتب الى ابن واندين بعسكر من حاحة والى ابن عطوش بعسكره من زكراكة باللحاق به فاتيا الى الحضرة وخاطبا ابا دبوس علي بن زكدان برغبته في القدوم عليه فارتاب المرتضى ابن اللك ولحق بازمور فتقبض عليه واليها ابن عطوش وكذا اصهره واعتقله وطير بالخبر الى ابي دبوس فامر وزيره السيد ابا موسى ان يكاتبه في كشف ما كان الذخيرة فاجابه بانكار ان يكون ذخيرة عندهم والحلف على ذلك وسالهم بالرحم فعطف ابو دبوس عليه وجنح الى الابقا وبعث وزيره السيد ابا موسى بقتله فقتله واستقل ابو دبوس بالامر وتلقب الواثق بالله والمعتمد على الله

واستوزر

واستوزر السيد اخاه السيد ابا زيد وبذل العطا ونظر في الولايات ورفع المكوس عن الرعية وحدثت بينه وبين مسعود بن كلداسن وحشة فارتحل اليه لازالتها وقدم عبد العزيز بن عطوش سفيرا اليه في ذلك وبلغه ان يعقوب بن عبد الحق نزل تامسنا فاوفد عليه حميدي بن مخلوف الهسكوري بهدية فتقبلها واكد بينهما العهد وانكفا راجعا الى وطنه ورجع حميدي الى الواثق ووافق وصول عبد العزيز ابن عطوش بطاعة مسعود بن كلداسن فرجع ابو دبوس لمراكش بعد ان عقد لابي موسى ابن عزوز على بلاد حاحة وبلغه في طريقه عن عبد العزيز بن السعيد انه حدث نفسه بالملك وان ابن بكيت وابن كلداسن داخلوه في ذلك وسايل عن ذلك السيد ابا زيد ابن السيد ابي عمران خليفته واخبره بما سمع وامره بالقبض عليه وقتله فانفذه ثم ثم ارتحل الى السوس لتمهيده وحسم علي بن بدر فيه وقدم يحيى بن واندين لاستنفار قبايل السوس من كزولة ولمطة وكنفيسة وصناكة وغيرهم وسار يتقرى المنازل ويستنفر القبايل ومر بتارودانت فوجدها قفرا خلاء اقفلها من الدور بخارجها ونزل على حميد بن صهر علي بن بدر وقريبه بحصن تيسخت على وادي السوس فكان لصنهاجة فتغلبهم عليه ابن بدر وملكه فنازله ابو دبوس وحاصره اياما وهزم فيها جموعه وداخل حميد بن علي بن زكدان في افراج ابي دبوس على سبعين الف دينار يوديها اليه فاعجله الفتح عن ذلك ودخلها بدمايه الى بيته وطولب بالمال وبقي معتقلا عند ابن زكدان واستنع علي بن بدر بحصنه ثم اطاع ووصلت رسله بطاعته فانصرف الواثق الى حضرته ودخلها سنة خمس وستين وبلغه الخبر بانتقاض يعقوب ابن عبد الحق وانه زاحف اليه فبعث بهديته الى تلمسان صحبة ابي الحسن ابن قطرال وابن ابي عثمان رسولا يغمراسن خرج بهم من مراكش ابن ابي مدين الونكاسني دليلا وسلك بهم على الثغور الى سجلماسة وبها يحيى بن يغمراسن فبعثهم مع بعض المعقل الى ابيه والقوم بجهة مليانة فاقام ابن قطرال بتلمسان ينتظره وكان يعقوب بن عبد الحق لما بلغه ذلك نهض الى مراكش بجيوش بني مرين وعساكر المغرب ونزل بنواحي مراكش واطاعه اهل النواحي ونهض اليه ابو دبوس في عساكر الموحدين فاستجر يعقوب الى وادي اغفو ثم ناجزه الحرب فاختل مصافه وفر عسكره وانهزم يريد مراكش والقوم في اتباعه فادرك وقتل وبادر يعقوب بن عبد الحق فدخل مراكش في المحرم فاتح سنة ثمان وستين وفر بقية المشيخة من الموحدين الى معاقلهم بعد ان كانوا بايعوا عبد الواحد بن ابي دبوس وسموه المعتصم مدة من خمسة ايام وخرج في جملتهم وانقرض امر بني عبد المومن والبقاء لله وحده

الخبر عن بقايا قبايل الموحدين من المصامدة بجبال درن بعد انقراض دولتهم

بمراكش وتصاريف احوالهم لهذا العهد

لما دعى المهدي الى امره في قومه من المصامدة بجبال درن وكان اصل دعوته نفي التجسيم الذي اليه مذهب اهل المغرب باعتمادهم ترك التاويل في المتشابه من الشريعة وصرح بتكفير من ابى ذلك اخذا بمذهب التكفير بالمال فسمى لذلك دعوته بدعوة التوحيد واتباعه بالموحدين نعيا على الذين مال مذهبهم الى اعتقاد الجسمية وخص بالمزية من دخل في دعوته قبل تمكنها وجعل علامة تمكنها فتح مراكش فكان انما اختص بهذا اللقب اهل السابقة قبل ذلك الفتح وكان اهل تلك السابقة قبل فتح مراكش ثماني قبايل سبعة من المصامدة هرغة وهم قبيلة الامام المهدي وهنتاتة وتينملل وهم الذين بايعوه مع هرغة على الاجارة والحماية وكنفيسة وهزرجة وكدميوة وثامنة قبايل الموحدين كومية قبيلة عبد المومن كبير صحابته دخلوا في دعوته قبل الفتح فكانت لهم المزية بسابقة عبد المومن وسابقتهم فاختص هولاء القبايل بمزية هذه السابقة واسمها وقاموا بالامر وحملوا سريره وانفقوا في مذاهبه وممالكه في ساير الاقطار على نسبة قربهم من صاحب الامر وبعدهم وبقي من بقي منهم بجبالهم ومعاقلهم بقية حتوف وجرت عليهم ذيل زناتة من بعد الملك اذيال الغلب والقهر حتى ابتزوهم بالاتاوات وانتظموا في عداد الغارمين من الرعايا وصاروا يولون عليهم من زناتة ومن رجالاتهم اخرى وفي ذلك عبرة وذكرى والملك لله يوتيه من يشا

هرغة فاما هرغة وهم قبيل الامام المهدي فقد دثروا وتلاشوا وانقرضوا في الناحية من كل وجه لما كانوا اشد القوم بلاء في القيام بالدعوة واصلاءهم لنارها بعزائمهم من صاحبها وتعصبهم على امره ولم يبق منهم الا اخلاط واوشاب امرهم الى غيرهم من رجالات المصامدة لا يملكون عليهم منه شيا

تينملل وكذا تينملل اخوانهم في التعصب على دعوة المهدي والاشتمال عليه والقيام بامره حتى تخيرا اليهم ديدانه وسجله بينهم فكان حظهم من الفنا بمقدار حظهم من الاستبداد وابعدوا في ممالك الدولة وعمالاتها فانقرض رجالاتهم وملك غيرهم من المصامدة امرهم عليهم وقبر الامام بينهم لهذا العهد على حاله من الجلالة والتعظيم وقراءة القران عليه احزابا بالغدو والعشي وتعاهده بالزيارة وقيام الحجاب دون الزايرين من الغرباء لتسهيل الاذن واستشعار الابهة وتقديم الصدقات بين يدي زيارته على الرسم المعروف في احتفال الدولة وهم مضمون مع ذلك وكافة المصامدة ان الامر سيعود وان الدولة ستظهر على اهل المشرق والمغرب

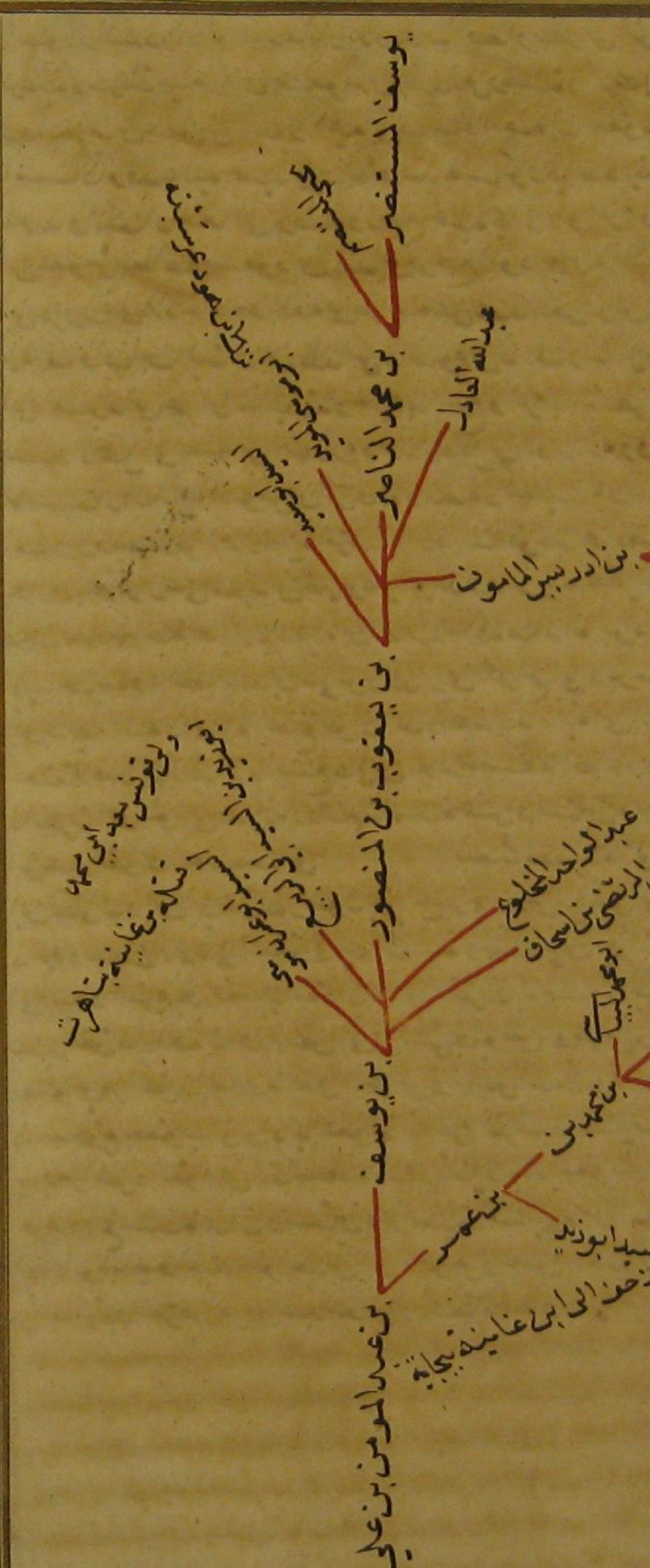
يوسف المستنصر
يحيى المعتصم
بن محمد الناصر
عبد الله العادل
السيد ابو سعيد
ابو موسى المويد
بن ادريس المامون
عبد الواحد الرشيد
علي السعيد
بن يعقوب بن المنصور
عبد الواحد المخلوع
عمر المرتضى بن اسحاق
السيد ابو عمران موسى
ابي الربيع
بن يوسف
ابو محمد البياسي
بن محمد بن
السيد ابو زيد
بن عمر
السيد ابو زيد
بن عبد المومن بن علي

ويملا الارض عدلا كما وعدهم المهدي لا يشكون في ذلك ولا يستريبون فيه

هنتاتة

واما هنتاتة فهم تلوا لتينملين في الامر وكل من بعدهم فانما جاوا على اثرهم
وتبعا لهم بما كانوا عليه من الكثرة والباس شيخهم ابا حفص عمر بن يحيى من صحابة
الامام والاعتزاز على المصامدة وكانت لهم بافريقية دولة كما نذكره فانفقت
الدولتان منهم عوا لهم في سبيل الاستظهار بهم وبقي لموطنهم المعروف بهم من جبال
درن وهو الجبل المتاخم لمراكش على توسط من الاستبداد والخضوع ولهم في قومهم
مكان بامتناع معقلهم واطلاله على مراكش ولما تغلب بنو مرين على المصامدة ه
وقطعوا عنهم اسباب الدعوة كان لرؤسائهم اولاد يونس اغياش اليهم بما كانوا
مستخوضين في دولة بني عبد المومن فاختصوهم بالاثرة والمخالصة وكان علي
ابن محمد كبيرهم لعهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق خالصة له من
بين قومه وهلك سنة سبع وسبعين على يد ابن الملياني الكاتب بكتاب لبس
فيه وانتحل عن السلطان لابنه امير مراكش بقتل رهط من مشيخة المصامدة في
اعتقاله كان منهم علي بن محمد فقام السلطان لها في ركائبه وندم على ما فرط من امره
في افلات ابن الملياني على ما نذكر من امر هذه الواقعة في اخبار السلطان يوسف بن
يعقوب ولما ولي السلطان ابو سعيد وانقطع عن المصامدة ما كان لهم من اثر الملك
والسلطان والانتقاد للدولة رجع بنو مرين الى التولية عليهم من رجالاتهم
وداولوا بينهم في ذلك واختار السلطان بعد صدر من دولته موسى بن علي بن محمد
للولاية على المصامدة وجبايتهم فعقد له وانزله مراكش فاضطلع بهذه الولاية
سنين رسخت فيها قدمه واورثها اهل بيته وصار لهم بها في الدولة مكان
انتظموا له في الولاية وترشحوا للوزارة ولما هلك موسى عقد السلطان من بعده
لاخيه محمد واجراه على سننه الى ان هلك فاستعمل السلطان بنيه في وجوه خدمته
وعقد لعامر منهم على قومه ولما ارتحل السلطان ابو الحسن الى افريقية صحبه
عامر فيمن صحبه من امراء المصامدة وكافة الوجوه حتى اذا كانت نكبة القيروان
سنة تسع واربعين وسبع ماية عقد له على الشرطة بتونس على رسم الموحدين
من تنويه الخطة وسعة الرزق واستنام اليه فيها فكافاه مهمها ولما فصل من
تونس ركب الكثير من حرمه وحظاياه السفن لنظر عامر هذا حتى اذا اغرق الاسطول
بالسلطان ابي الحسن بما اصابهم من عاصف الريح ورمى الموج بالسفينة التي كانوا
بها الى المرية من ثغور الاندلس فانزل بها كرايم السلطان لنظره وبعث عنهن ابنه
ابو عنان المستبد على ابيه بملك المغرب فامتنع من اسلامهن اليه وفاء بامانته
في خدمتهم وخلص السلطان ابو الحسن بعد النكبة البحرية الى الجزاير سنة خمسين
وزحف الى بني عبد الواد ففلهم ونهض الى المغرب وسار اليه الظفر حتى نزل
بسجلماسة فقصده ابو عنان فخرج عنها الى مراكش وقام بدعوته المصامدة وعرب
جشم فاحتشد ولقي ابنه ابو عنان بجهات ام ربيع فكانت الدبرة عليه ونجا الى جبل
هنتاتة وكان عبد العزيز بن محمد شيخا عليهم منذ مغيب عامر وكان في جملته وخلص
معه فانزله عبد العزيز بداره وتذامر هو وقومه على اجازته والموت دونه

فاعتصم

فاعتصم بمعقلهم وجاء السلطان ابو عنان في كافة بني مرين الى مراكش فخيم بطا هوها
واحتشد لحصارهم اشهرا حتى هلك السلطان ابو الحسن كما نذكره بعد فحملوه على
الاعواد ونزلوا على حكم ابي عنان فاكرمهم ورعا لهم وسيلة هذا الوفاء وعقد
لعبد العزيز على امارته واستقدم عامرا كبيرهم من مكانه بالمرية فقدم بمن لامانته
من حظايا السلطان وحرمه فلقاه السلطان مبرة وتكريما واناله من اعتنائه
حظا وتخلى له اخوه عبد العزيز عن الامر فاقره نائبا ثم عقد السلطان لعامر سنة
اربع وخمسين على ساير المصامدة واستعمله لجبايتهم وقام بها مضطلعا وكفاه
مهم الاعمال المراكشية حتى عرف غناءه فيها وشكر له كفايته وهلك السلطان
ابو عنان واستبد على ابنه السعيد وزيره الحسن بن عمر الفودودي وكان ينفس
عليه ما كان لهم من الترشيح للرتبة وسما الى ذلك سخنا فخشي بادرته وخرج من مراكش
الى معقله من جبل هنتاتة وحمل معه ابن السلطان ابي عنان الملقب بالمعتمد
وكان ابوه عقد له يافعا قبيل وفاته على مراكش لنظر عامر فخلص به الجبل حتى اذا
استوثق قدم السلطان ابي سالم في الامر واستقل بملك المغرب سنة ستين وفد
عليه عامر بن محمد مع رسله اليه واوفد ابن اخيه محمد المعتمد فتقبل السلطان
وفادته وشكر وفاءه واقام ببابه مدة ثم عقد له على قومه ثم استنفره معه
الى تلمسان ولم يزل مقيما ببابه الى قبيل وفاته فانفذه لمكان امارته ولما هلك
السلطان ابو سالم واستبد بالمغرب بعده عمر بن عبد الله بن علي ما نذكره
وكانت بينه وبين عامر بباب السلطان صداقة وملاطفة وصل بها يده واكد
العهد معه على سد ثلم الفرجة وعول عليه في ضبط البلاد المراكشية وان لا يؤتي
من قبله وكان زعيما بذلك وعقد له على الاعمال المراكشية وما اليها الى وادي
ام ربيع وفوض اليه امر تلك الناحية وانتشا سوق الابله وخلص اليه الاعياص
من ولد السلطان ابي سعيد ابو الفضل بن السلطان ابي سالم وعبد المومن
ابن السلطان ابي علي فاعتقل عبد المومن وامكن ابو الفضل من امارته على ما نذكر
بعد وساءت الحال بينه وبين عمر ونهض اليه من فاس بجموع بني مرين وكافة العساكر
واعتصم بجبله وقومه واستبد على الامير بن عنده وحل عبد المومن من معتقله ه
فجاجا به بني مرين لما كانوا يؤملون من ولايته واستبداده لما اسفهم من حجر
الوزرا لملوكهم فلما راوا استبداد عامر عليه اعرضوا عنه وانعقد السلم بينه
وبين عمر بن عبد الله على ما كان عليه من مقاسمته اياه في اعمال المغرب ورجع
واستقل عامر بناحية مراكش واعمالها حتى اذا هلك عمر بن عبد الله بيد عبد العزيز
ابن السلطان ابي الحسن كما نذكره حدثت ابا الفضل بن السلطان ابي سالم نفسه ه
بالفتك بعامر بن محمد كما فتك عمه بعمر بن عبد الله ونذر بذلك فاحتمل كرايمه
وصعد الى داره بالجبل ففتك ابو الفضل بعبد المومن بن عمه كان معتقلا بمراكش
واستحكمت لذلك النفرة بينه وبين عامر بن محمد وبعث الى السلطان عبد العزيز
فنهض من فاس في جموعه سنة تسع وستين وفر ابو الفضل فلحق بتادلا ونقض
عليه عمه السلطان عبد العزيز وقتله كما نذكر في اخباره وطلب عامر في الوفادة ه

فخشيه على نفسه واعتصم بمعقله فرجع الى حضرته واستجمع عزايمه وعقد على مراكش
واعمالها لعلي بن اجانا من صنايع دولتهم واوعز اليه بمنازلة عامر منذ افتة عامر
وقومه عن معتصمه واوقع به وتقبض على طايفة من بني مرين وصنايع السلطان في
المعركة واودعهم سجنه فحرك لها عزايم السلطان ونهض اليه في قومه من بني مرين
وعساكر المغرب واحاط به ونازله حولا كريتا ثم تغلب عليه سنة احدى وسبعين
وانفضت جموعه وتقبض عليه عند اقتحام الجبل فسيق اسيرا الى السلطان فقيده
ونقل به الى الحضرة ولما قضى نسك الفطر من سنته احضره ووبخه ثم امر به فتل
الى مصرعه وامتحن جلدا بالسياط وضرب بالمقارع حتى فاض على الله عنه وعقد
السلطان على قومه لفارس بن اخيه عبد العزيز وكان نزع اليه بين يدي مهلك
عمه وعفا عن ابنه ابي يحيى لسابقته الى الطاعة قبيل اقتحام الجبل عليهم اشار
عليه بذلك ابوه نظرا له فظفر من السلامة بحظ واختاره السلطان في جملته
ثم هلك بعد ذلك فارس ابن عبد العزيز واضطرم المغرب فتنة بعد مهلك
السلطان عبد العزيز سنة اربع وسبعين وصارت اعمال مراكش في ايالة
السلطان عبد الرحمن بن علي الملقب بابي يفلوسن بن السلطان ابي علي ونزع اليه
ابو يحيى بن عامر فعقد له على قومه ثم اتهمه باحتجان الاموال منذ عهد ابيه وسره
الى استصفايه ونذر به بن عامر فعقد له على قومه ثم اتهمه باحتجان الاموال
منذ عهد ابيه فلحق ببعض قبايل المصامدة جيرانهم باطراف السوس ونزل عليهم
وكان مهلكه فيهم اعوام ثمانين وسبع ماية والله وارث الارض ومن عليها **كدميوه**
واما كدميوه وكانوا اتباعا لهنتاته وتبعا لهم في الامر وجبلهم لصق جبل هنتاته
وكان روساوهم لعهد الموحدين بنو سعد الله ولما تغلب بنو مرين على المصامدة
ووضعوا عليهم الضرايب امتنع يحيى بن سعد الله ببعض الشي عصبن تافركا وبحث
من جبلهم وخالفه عبد الكريم بن عيسى وقومه الى طاعة بني مرين واختلف
اليهم العساكر الى ان هلك يحيى بن سعد الله سنة اربع وتسعين وستماية وعسكر
يوسف بن يعقوب بمحرم على حصاره فهزموا حصونه واذلوا من قومه واستخلص
السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الكريم بن عيسى منذ عهد ابيه فعقد له عليهم
ثم تقبض على امرا المصامدة واعتقله فيمن اعتقل منهم حتى اذ افلت بن الملياني
فعلته في استئصالهم لعداوة عمه بتلبيس الكتاب على لسان السلطان لابنه على
امير مراكش فقتل عبد الكريم فيمن قتل منهم وقتل معه بنو عيسى وعلي ومنصور وابن
اخيه عبد العزيز بن محمد وانتقض السلطان لذلك وافلت بن الملياني من معسكره
لحصار تلمسان فدخلها ثم قام بامر كدميوه عبد الحق بن من بيت سعد الله ايام
السلطان ابي الحسن وابنه ابي عنان وكانت بينه وبين عامر بن محمد فتنة جرها الصوق
لعمالة سائر المجاورين من القبايل وقديم العداوة بين السلف فلما استفحل امر
عامر بالولاية على مراكش وساير المصامدة نبذ الى عبد الحق العهد وخله الخلاف
والمداخلة للسكسيوي شيخ الفتنة المستعصي منذ اول الدولة فصمد اليه
سنة سبع وخمسين وسبع ماية في قومه ومنايح السلطان التي كانت بمراكش

لنظره

لنظره فاقتحم عليه معقله عنوة وقتله واستولى على كدميوه ولحق بنو سعد الله بهنتاته
فاقاموا بها حتى اذا اخاض السلطان ابو سالم البحر الى مملكه بعد اخيه ابي عنان ونزل
بغمارة نزع اليه يوسف بن سعد الله واعتقد منه ذمة لسابقته تلك فلما استولى
على البلد الجديد واستقل بسلطانه عقد له على قومه رعيا لوسيلته فاقام في ولايته
مدة السلطان ابي سالم وكان عامل مراكش محمد بن ابي العلى من حاشية السلطان
وبيوت الولاة بالمغرب معولا فيهما على مظاهرته ولما هلك السلطان ابو سالم
واستبد عمر بن عبد الله على الملوك بعده بادر الحي لموازرته بالعقد لعامر على اعمال
مراكش ليستظهر به وطوى اليه الكتاب بذلك فنزل لمراكش وقتل بها يوسف
ابن سعد الله ونكب بن ابي العلى ثم قتله والحقه بابيه عبد الحق وذهبت الرياسة
من كدميوه برهة من الدهر ثم رجعت اليهم في بني سعد الله والله قادر على ما يشا
وبينهم تصادفت الاموده **واما وريكه** وهم مجاورون لهنتاته وبينهم فتنة
قديمة وحروب متصلة ودماء مطلولة وفيهم بطون كثيرة اوسعهم بطن سكسيوه
واما سواهم من بطون كنفيسة فانقضتهم الدولة بما تولوا من مشايعتها
وابرام عقدتها فهلك رجالاتهم في انفاقهما سبيل الامم قبلهم في دولتهم واما
سكسيوه فكان لهم من الموحدين مكان واعتزاز بكثرتهم وغلبتهم الا انهم كانوا
اهل بدو ولم يخالطوهم في ترفهم ولا انغمسوا في نعيمهم وكان جبلهم الذي
اوطنوه من جبال درن هو القنة منها والذروة اعتصموا منه بالابلق الفرد
والبقاع الاشم والطود الشاهق قد لبس الافلاك بيده ونظم النجوم في مفرقه وتلفع
بالسحاب في مروطه واوى الرياح العواصف الى جوه والقى الى خبر السماء باذنه
واطل على البحر الاخضر بشماريخه واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره وانام
ساير جبال درن في حجره ولما انقرض امر الموحدين وتغلب بنو مرين على المصامدة
اجمع وساموهم خطة الخسف في وضع الضرايب والمغارم عليهم فاستكانوا لعزهم
واعطوهم يد الطواعية واعتصم سكسيوه هولاء بمعقلهم واعتزوا فيه بمنعتهم
فلم يعطوا الى خذ منهم يدا ولا اعطوهم مقادا ولا رفعوا بدعوتهم راية انما هي منابذة
لامرهم وامتناع عليهم ساير الايام فاذا زحفت الجنود وترست بهم العساكر
دافعوهم بطاعة معروفة واتاوة غير ملتزمة ورييسهم مع ذلك مستخلص جبايتهم
لنفسه ويدفعهم في المضايق لحمايته وربما تخطاهم الى بعض قبايل الجبل ومن
قاربه من اهل بسيط السوس بعسكر لذلك بالرجل من قومه سكسيوه وكنفيسة
وبالحشد من الاعراب الموطنين بارض السوس من سفيان وهم بطون الحارث ومن المعقل
وهم بطون الشبانات وكان رييسهم في ذكرنا بعد انقراض عبد المومن حدو بن يوسف
وحدو بلسان الاعجميين هو عبد الواحد وكان له في الاستبداد والصرامة ذكر
وهلك سنة ثمانين وستماية ايام يعقوب بن عبد الحق وجا ابنه عمر على اثره
وكان يلقب اجليد ومعناه بلسانهم السلطان فغالب ملوك بني مرين دون غيله وامتنع
عليهم بمعقله ونازلته عساكر يوسف بن يعقوب واخيه ابي سعيد من بعده فامتنع
وكان منتحلا للعلم واعية له جماعة لكتبه ودواوينه حافظا للفروع النقه بمالك

ان المدونة كانت من محفوظاته مجيدا في الفلسفة مطالعا لكتبها حريصا على نتايجها
من علم الكيميا والسيميا والسحر والشعوذة مطلعا على الشرايع القديمة والكتب
المنزلة يكتب التوراة ويجالس احبار اليهود حتى لقد اتهم في عقيدته ورمي بالرغبة
عن دينه ثم ولي من بعده ابنه عبد الله وكان مقتفيا سنن ابيه في ذلك وخصوصا
في انتحال الشعر والاستشراف الى صنعة الكيميا ولما فرغ السلطان ابو الحسن
من شان اخيه عمر وسكن فتنة المغرب ودوخ اقطاره رماه في معتصمه بالعساكر
واوطا ساحاته الكتايب وحال دون من يمده من اعراب السوس من ورايه بما كان
من تغلبه على بلادهم وانقيادهم لطاعته وانزل عماله بالعساكر بينهم فلاذ منه
عبد الله السكسيوي بطاعة معروفة رهن فيها ابنه واشترط السلطان الهدية
والمناجعة فتقبل منه ومنحه جانب الرضى ولما كانت نكبة السلطان بالقيروان
واضطرب المغرب فتنة وخلا جو البلاد المراكشية من المشايخ اجتمع راي الملا
من المصامدة على النزول الى مراكش واحكموا عقد الوفاق بينهم واجمعوا تخريبها
بما كانت دار الامارة ولمقاومة الكتايب المتجمرة وزعم عبد الله السكسيوي
هذا انفاذ ذلك فيها ومضى هو لتخريب المساجد لتخاذيهم فيها فكانت مذكورة
على الايام ثم انحل عزمهم وافترقت جماعتهم وكلمتهم بما كان من استقامة
الدولة بفاس واجتماع بني مرين على السلطان ابي عنان كما نذكر بعد فانحجز
كل منهم بحجاره ولما فرغ ابو عنان من شان ابيه واستولى على المغرب الاوسط
وغلب عليه بني عبد الواد ولحق اخوه ابو الفضل من معتقل اعتزابه في الاندلس
بالطاغية يروم الاجازة الى المغرب لطلب حقه فاركبه السفين الى سواحل
السوس فنزل به ولحق بعبد الله السكسيوي فاواه وظاهره على امره فجرد ابو
عنان العزايم لهم وعقد لوزيره فارس بن ميمون بن ودرار على حربهم واستجر
جيوش المغرب اليه واناخ بساحته سنة اربع وخمسين واختط بسفح الجبل
مدينة لحصاره سماها القاهرة واخذت بمخنقه وزاحمت بمناكبها اركان
معقله حتى لاذ بالسلم واشترط ان ينبذ العهد الى ابي الفضل المنتزي عنده
يذهب حيث شاء فتقبل منه وعقد له سلما على عادته وافرج عنه وخرج على عبد
الله السكسيوي لايام السلطان ابي سالم ابنه محمد المعروف بابزوم ومعناه
الاسد وتغلبه على امره ولحق عبد الله بعامر بن محمد الهنتاتي كبير المصامدة لعهده
وعامل السلطان عليهم فاستجاش به ووعده عامر بالنصرة وامهله عاما ونصف
حتى وفد على السلطان واستوهب في ذلك ثم اجمع على نصره من عدوه وجمع له
الناس وخاطب اهل ولايته ان يكونوا معه يدا وزحف عبد الله حتى نزل بالقاهرة
واخذ بمخنق ابنه واشياعه ثم داخله بعض بطانته ودلوه على بعض العورات
فاقتحم منها الجبل وثاروا بابنه ابزوم فصبحه عبد الله وقومه وفرجها امامهم
فادركه بتلاسغ من نواحي الجبل ونزل واسترجع عبد الله ملكه واستقلت
قدمه الى ان هلك به ابن عمه يحيي بن سليمان بن حدو ايام استبداد الوزير عمر بن عبد
الله على سلطان المغرب واستبداد عامر بن محمد بولاية مراكش وثار منه يحيي هذا بابيه

سليمان

سليمان وهو عم عبد الله كان قتله ايام امارته الاولى واقام ممتلكا على سكسيوة الى سنة
خمس وسبعين فثار عليه ابو بكر بن عمر بن حدو فقتله باخيه عبد الله واستقل بامر
سكسيوة ومن اليهم ثم خرج عليه لاعوام من استقلاله ابن عم له من اهل بيته لم يستقل
لي من تعريفه الا ان اسمه عبد الرحمن لان ثورته كانت بعد رحلتي الثانية من المغرب
سنة ست وسبعين فلحق بي الخبر بانه ظفر بابي بكر بن عمر وقتله واستبد
بامر الجبل الى هذا العهد فيما زعم وهو سنة تسع وسبعين ثم بلغني سنة ثمان
وثمانين ان عبد الرحمن هذا ويعرف بابي زيد بن مخلوف بن عمر اجليد قتله يحيي
ابن عبد الله بن عمر واستبد بامر هذا الجبل وهو الان مالكه وهو اخو ابزوم بن
عبد الله والله وارث الارض ومن عليها **واما** بقية قبايل المصامدة من
سوى هولاء السبع مثل هيلانة وحاحة ودكالة وغيرهم ممن اوطن هضاب الجبل
او ساحاته فمنهم امم لا تنحصر ودكالة منهم في ساحة الجبل من جانب الجوف بما يلي مراكش
الى البحر من جانب الغرب وهنالك رباط اسفي المعروف ببني ماكر من بطونهم وبين
الناس خلاف في انتسابهم في المصامدة او صنهاجة ويجاورهم من جهة الغرب في
بسيط ينعطف ما بين ساحل البحر وجبل درن في بسايط هنالك يفضي الى السوس
بعرض من حاحة هولاء خلق اكثرهم في خمر الشعرا من الشجر المعروف بارقان يختصون
بملكها ادواحها ويعتصرون الزيت لادامهم من ثمارها وهو زيت شريف طيب اللون
والرايحة والطعم يبعث منه العمال الى دار الملك في هداياهم يتطرفون به وباخر
مواطنهم مما يلي ارض السوس وفي القبلة عن جبل درن بلد تادنست وبها معظم
هذه الشعرا ينزلها روساوهم ورياستهم في بطن منهم يعرفون بمزاره وكان شيخهم
لعهد السلطان ابي عنان ابراهيم بن حسين بن حماد بن حسين وبعده ابنه محمد بن ابراهيم
ابن حسين وبعده ابن عمهم خالد بن عيسى بن حماد واستمرت رياسته عليهم الى عام
ست وسبعين وسبعماية ايام استيلا السلطان عبد الرحمن بو يفلوسن على مراكش
فقتله شيخ بني مرين علي بن عمر الورتاجني من بني ويغلان منهم وما ادري لمن صارت
رياسته من بعده وهم ودكالة جميعا اهل مغرم واسع وجباية موفورة فيما علمناه
والله الخلق والامر وهو خير الوارثين

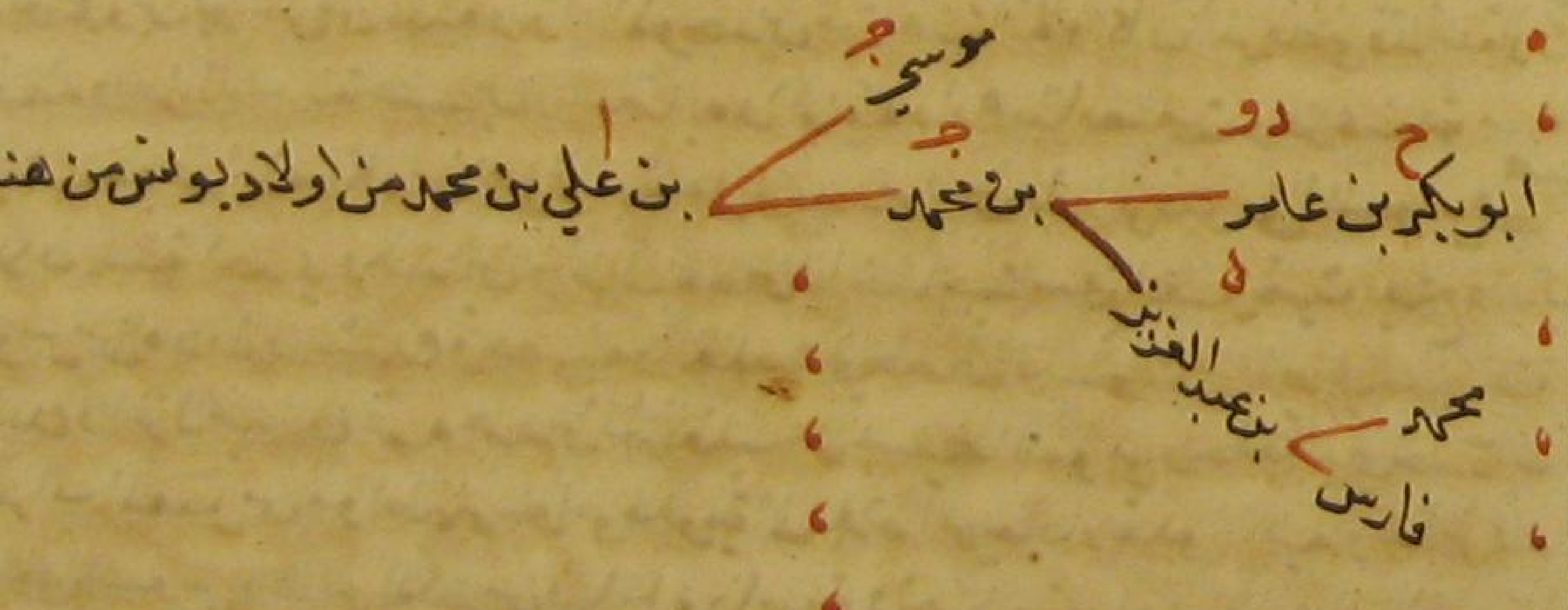

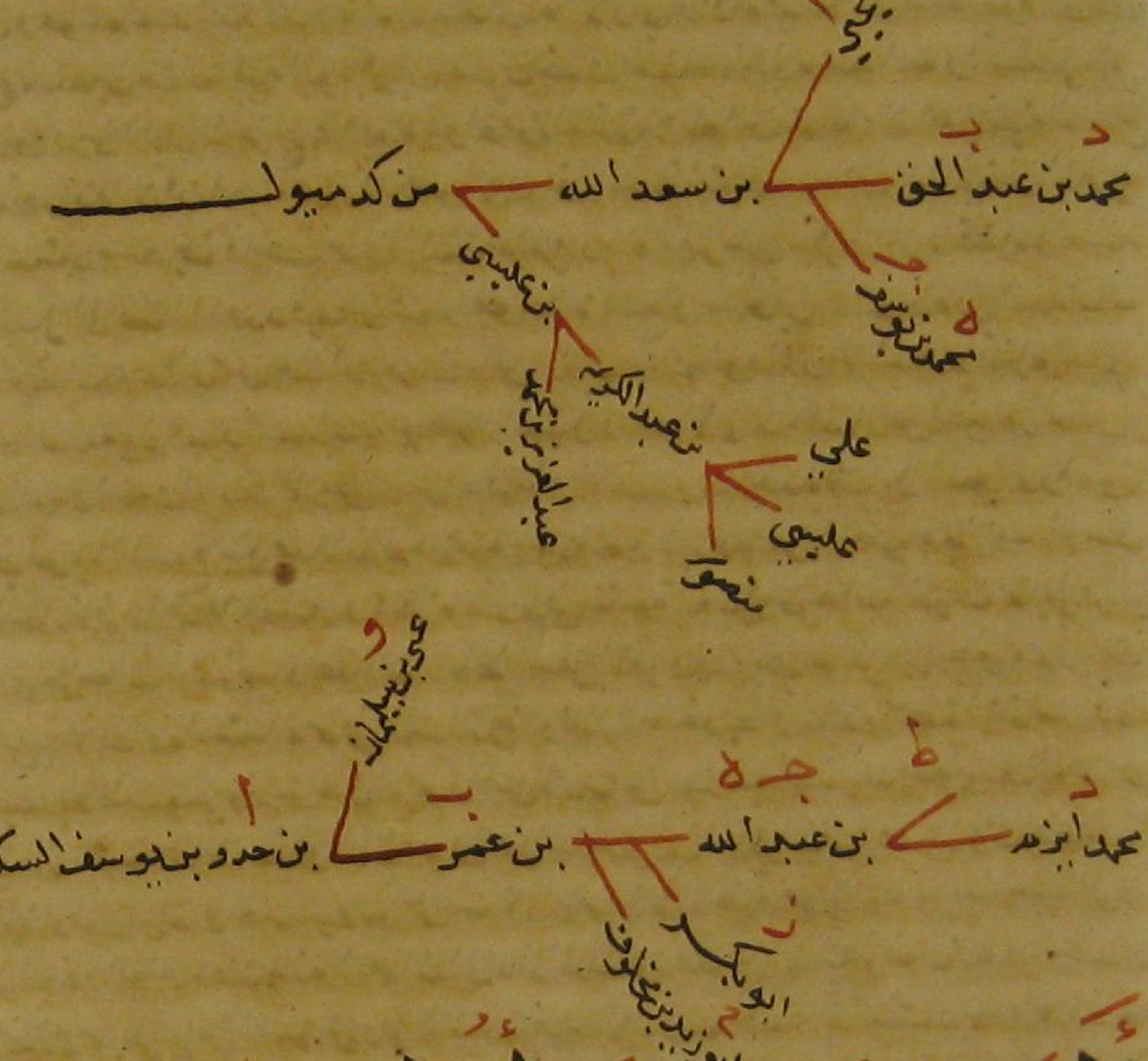

الخبر عن بني يدر امراء السوس من الموحدين بعد انقراض بني عبد المؤمن وتصاريف احوالهم

كان ابو محمد بن يونس من علية وزراء الموحدين من هنتاتة وكان المرتضى قد استوزره ثم سخطه وعزله سنة خمسين وستمائة والزمه داره بتامصلحت ونزع عنه نعمه وحل سبيله وقرابته وكان من اهل قرابته علي بن يدر من بني باداس فنزع الى السوس وجاهر بالخلاف سنة احدى وخمسين ونزل بحصن تانصاحت من سفح الجبل حيث يدفع وادي السوس من درن وشيده وحصنه وتغلب على حصن تيسخت من ايدي صنهاجة وشيده وانزل فيه ابن عمه حمدين ثم تغلب على بسيط السوس وجلب بني حسان من اعراب المعقل من مواطنهم بنواحي ملوية الى بلاد الريف فارتحلوا اليه وعاثوا في نواحي السوس وطاع له كثير من قبايله فاستولى على جبايتهم واجلب على عامل الموحدين بتارودانت وضيق عليه المسالك وتفاقم امره واتهم الوزير ابو محمد بن يونس بمداخلته

وعز

وعثر على كتابه الى علي بن يدر فامر المرتضى باعتقاله وقتله سنة ثنتين وخمسين واغزا ابا محمد بن اصناك الى بلاد السوس في عسكر الموحدين والجند وعقد له عليهما فنزل تارودانت وتحصن علي بن يدر بتيونيوين وزحف اليه ابن اصناك في عسكره فهزمه ابن يدر وقتل كثيرا منهم ورجع الى مراكش مغلولا واقام علي بن يدر على حاله من الخلاف واغزاه المرتضى محمد بن علي ازماط في عسكر من الموحدين سنة ستين فهزمه وقتل ابن ازماط فعقد المرتضى من بعده على السوس لوزيره ابي زيد بن بكيت فزحف اليه ودارت الحرب بينهما مليا وانقلب من غير ظفر واستفحل امر ابن يدر ببلاد السوس واستخدم الاعراب من الشبانات وذوي حسان واطاعه القبايل من كزوله ولمطه وزكن ولخس من شعوب لمطه وصناكه وجبى الاموال واستخدم الرجال يقال كان يجتمع له الف فارس وكان بينه وبين كزوله فتن وحروب يستظهر في اكثرها بذوي حسان ولما استولى ابو دبوس على مراكش سنة خمس وستين وفرغ من تمهيد ملكه بها اعتزم على الحركة الى السوس ورحل من مراكش وقدم بين يديه ابن وانودين لاحتشاد القبايل ومن بالجبل ثم اسهل من تامسكروط الى بسيط السوس ونزل على بني باداس قبيلة ابن يدر على فرسخين من تيونيوين هو وقصد تيزخت وقد بتارودنت وعاين اثار الخراب الذي بها من عيث ابن يدر ولما بلغ حصن تيزخت خيم بساحته وحشر اليها من القبايل بالحصارة وكان به حمدين ابن عم علي بن يدر فحاصره اياما ولما اشتد عليه الحصار داخل علي بن زكدار من مشيخة بني مرين في جملة ابي دبوس فداخله في الطاعة وتقبل السلطان طاعته على النزول عن حصنه ثم اعجلته الحرب واقتحم عليه الجبل ونجبوا الى الحصن وفر حمدين الى بيت علي بن زكدار فامر السلطان باعتقاله واستولى السلطان على الحصن وانزل به بعض السادة لولايته وارتحل ابو دبوس الى محاصرة علي بن يدر فحاصره اياما ونصب عليه المجانيق ولما اشتد عليه الحصار رغب في الاقالة ومعاودة الطاعة فتقبل واقلع السلطان عن حصاره وقفل الى حضرته ولما استولى بنو مرين على مراكش سنة ثمان وستين استبد علي بن يدر بملك سوس واستولى على تارودانت وايفري وساير امصاره وقواعده ومعاقله وارهف حده للاعراب فزحفوا اليه وكا عليه الدبرة وقتل سنة ثمان وستين وقام بامره علي بن اخيه عبد الرحمن بن الحسن مدة ثم هلك وقام بامرهم اخوه علي بن الحسن بن يدر ولما صار ابو علي بن السلطان ابي سعيد الى ملك سجلماسة بصلح عقده مع ابيه كما نذكر في اخبارهم فنزلها وشد ملكه بها واستخدم كافة عرب المعقل فزعموا في ملك السوس واطمعوه في اموال ابن يدر فغزاه من سجلماسة وفر ابن يدر امامه الى جبال نكيسة واستولى السلطان ابو علي على حصنه تانصاحت وساير امصار السوس واستصفى ذخيرته واموالهم ورجع الى سجلماسة ثم استولى السلطان ابو الحسن بعد ذلك عليه وانقرض ملك بني يدر ولحق به عبد الرحمن ابن علي بن الحسن وصار في جملته وانزل السلطان بارض السوس مسعود بن ابراهيم ابن عيسى اليرنياني من طبقة وزرايه وعقد له على تلك العمالة الى ان هلك وعقد لاخيه حسون من بعده الى ان كانت نكبة القيروان وهلك حسون وانفض العسكر من هنالك

وتغلب عليه العرب من بني حسان والشبانات ووضعوا على قبايله الاتاوات والضرايب ولما استبد ابو عنان بملك المغرب من بعد ابيه اغزا عساكره السوس لنظر وزيره فارس بن ودرار سنة ست وخمسين فملكه واستخدم القبايل والعرب من اهله ورتب المسالح بامصاره وقفل الى مكانه ووزارته فانتقضت المسالح ولحقت به وبقي عمل السوس ضاحيا من ظل الملك لهذا العهد وهو وطن كبير على مثل عرض البلاد الجريدية وهو اليها المتصلة من لدن البحر المحيط الى نيل مصر الهابط من وراء خط الاستواء في القبلة الى الاسكندرية وهذا الوطن قبلة جبال درن ذو عماير وقرى ومزارع ومدن وامصار وجبال وحصون ويخترقه وادي السوس ينصب من ناحية الجبل الى ما بين كلاوة وسكسيوة ويدفع الى بسيطه ثم يمر مغربا الى ان ينصب في البحر المحيط والعماير متصلة حفافي هذا الوادي ذات القرى والمزارع واهلها يتخذون فيها قصب السكر وعند مصب هذا الوادي من الجبل في البسيط مدينة تارودنت وبين مصب هذا الوادي في البحر ومصب وادي ماسة مرحلتان الى ناحية الجنوب على ساحل البحر وهنالك رباط ماسة الشهير المعروف يتردد اليه الاولياء وعباد يختم وتزعم العامة ان خروج الفاطمي منه ومنه ايضا الى زوايا اولاد بونعمان مرحلتان في الجنوب كذلك على ساحل البحر وبعدها على مراحل مصب الساقية الحمرا وهي منتهى مجالات المعقل في مشاتيهم وفي راس وادي السوس جبل زكندر وقبلة جبل الكلاوي وفي قبلة جبال درن جبال نكيسة تنتهي الى جبال درعة ويعرف الاخر منها في الشرق بابن حميدي ويصب من جبال نكيسة وادي نول ويمر مغربا الى ان يصب في البحر وعلى هذا الوادي بلد تاكاوصت يختطها الرفاق والبضايع بالقبلة وبها سوق في يوم واحد من السنة يقصده التجر من الافاق وهو من اشهرها لهذا العهد بمكان وبلد ايفري بسفح جبل نكيسة بينها وبين تاكاوصت مرحلتان وارض السوس مجالات لكزولة ولمطة فلمطة منهم مما يلي درن وكزولة مما يلي الرمل والقفر ولما تغلب المعقل على بسايطه اقتسموها مواطن فكان الشبانات اقرب الى جبال درن وصارت قبايل لمطة احلافهم وصارت كزولة من احلاف ذوي حسان والامر على ذلك لهذا العهد وبيد الله تصاريف الامور

عبد الرحمن
عمر
عبد الرحمن بن علي بن الحسن بن يدر من بني باداس

الخبر عن دولة بني ابي حفص ملوك افريقية من الموحدين ومبدا امرهم وتصاريف احوالهم

قد قدمنا ان قبايل المصامدة بجبال درن وما حوله كثير مثل هنتاتة وتينملل وهرغة وكنفيسة وسكسيوة وكدميوة وهزرجة ووريكة وهزميرة ودكالة وحاحة وبني ماغوس وكلاوة وغيرهم ممن لا يحصى وكان منهم قبل الاسلام وبعده روسا وملوك وهنتاتة هولاء من اعظم قبايلهم واكثرها جمعا واشدها قوة وهم السابقون للقيام بدعوة الامام المهدي والممهدون لامره وامر عبد المومن من بعده كما ذكرناه في اخباره واسم هنتاتة عندهم بلسان المصامدة ينتمي وكان كبيرهم لعهد الامام المهدي الشيخ ابو حفص عمر بن يحيى وينقل البيذق ان اسمه بلسانهم فاصكات وهنتاتة لهذا العهد يقولون انه اسم جده وكان عظيما فيهم متبوعا غير مدافع وهو اول من بايع للامام المهدي من قومه فجاء يوسف ابن وانودين وابو يحيى بن بكيت وابن يجو وغيرهم منهم على اثره واختص بصحابة المهدي فانتظم في العشرة السابقين الى دعوته وكان تلو عبد المومن فيهم ولم تكن مزية عبد المومن عليه الا من حيث صحابته المهدي واما في المصامدة فكان كبيرهم غير مدافع وكان يسمى بين الموحدين بالشيخ كما كان المهدي يسمى بالامام وعبد المومن بالخليفة سمات لهولاء الثلاثة من بين اهل الدعوة تدل على اشتراكهم في الجلالة واما نسبه فهو عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن علي بن احمد بن والال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن نجية بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب هكذا انسبه ابن نخيل وغيره من الموحدين ويظهر منه ان هذا النسب القرشي وقع في المصامدة والتحم بهم واشتملت عليه عصبيتهم شان الانساب التي تقع من قوم الى قوم ويلتحم بهم كما قلناه اول الكتاب ولما هلك الامام وعهد بامره الى عبد المومن وكان بعيدا عن عصبية المصامدة الا ما كان له من اثرة المهدي واختصاصه فكتم موت المهدي وعهده عبد المومن ابتلاء لطاعة المصامدة وتوقف عبد المومن عن ذلك ثلاث سنين ثم قال له ابو حفص تقدم كما كان الامام يقدمك نعلم ان امره ستنعقد ثم اعلن بيعته وامضى لعهد الامام بتقديمه وحمل المصامدة على طاعته فلم يختلف عليه اثنان وكان الحل والعقد في المهمات اليه ساير ايام عبد المومن وابنه يوسف واستكفوا به نوايب الدعوة فكفاهم مهمتها وكان عبد المومن يقدمه في المواقف فيحلي فيها وبعثه على مقدمته حين زحف الى المغرب الاوسط قبل فتح مراكش سنة سبع وثلاثين وزناتة كلهم مجتمعون بمنداس لحرب الموحدين مثل بني ومانو وبني عبد الواد وبني ورسيفان وبني توجين وغيرهم فحمل زناتة على الدعوة بعد ان اثخن فيهم ولاول دخول عبد المومن لمراكش خرج لمراكش خرج عليه الثاير بماسة وانصرفت اليه وجوه الغوغا وانتشرت ضلالته في النواحي وتفاقم امره فدفع لحربه الشيخ ابا حفص فحسم داءه ومحا اثر غوايته ولما اعتزم عبد المومن على الرحلة الى افريقية حركته الاولى لم يقدم شيا على استشارة الشيخ ابي حفص ولما رجع منها وعهد الى ابنه محمد خالفه الموحدون [illegible] ولاية ابنه فاستدعا ابا حفص من مكانه بالاندلس وحمل الموحدين على البيعة له واستبد بقتل يصلاتن الهرغي راس المخالفين في شانه فقتله وتم امر العهد لابنه محمد ولما اعتزم عبد المومن على الرحلة الى افريقية سنة اربع وخمسين حركته الثانية لفتح المهدية استخلف الشيخ ابا حفص على المغرب وينقل من وصاة عبد المومن لبنيه انه لم يبق من اصحاب الامام الا عمر

ابن يحيى ويوسف بن سليمان فاما عمر فانه من اوليائكم واما يوسف فجهزه بعسكره الى الاندلس تستريح منه وكذلك فافعل بكل من تكرهه من المصامدة واما ابن مردنيش فاتركه ما تركك وتربص به ريب المنون واخل افريقية من العرب واجلهم الى بلاد المغرب واذخرهم لحرب ابن مردنيش ان احتجت الى ذلك ولما ولي يوسف بن عبد المومن تخلف الشيخ ابو حفص عن بيعته ووجم الموحدون لتخلفه حتى استنبل عرضه في حكم امضاه بمعقد سلطانه واعجب بفصله فاعطاه صفقة يمينه واعلن بالرضى بخلافته فكانت عند يوسف وقومه من اعظم البشائر وتسمى لها بامير المومنين سنة ثلاث وستين ولما ولي يوسف بن عبد المومن وتحركت الفتنة بجبال غمارة وصنهاجة التي تولى كبرها سبع بن منغفاد سنة ثنتين وستين عقد للشيخ ابي حفص على حربهم فخلى في ذلك ثم خرج بنفسه فاثخن فيهم وكمل الفتح كما ذكرناه ولما بلغه سنة اربع وستين تكالب الطاغية على الاندلس وعدوه بمدينة بطليوس واعتزم على الجواز لحمايتها اقدم عساكر الموحدين اليها لنظر الشيخ ابي حفص ونزل قرطبة ومن كان بالاندلس من السادة ان يرجعوا الى رايه فاستنقذ بطليوس من هوة الحصار وكانت له في الجهاد هنالك مقامات مذكورة ولما انصرف من قرطبة الى الحضرة سنة احدى وسبعين هلك عفا الله عنه في طريقه بسلا ودفن بها وكان ابناؤه من بعده ه يتداولون الامارة بالاندلس والمغرب وافريقية مع السادات من بني عبد المومن تولى المنصور ابنه ابا سعيد على افريقية لاول ولايته وكان من خروج عبد الكريم المنزي بالمهدية ما ذكرناه في اخبارهم واستوزر ابا يحيى بن ابي محمد بن عبد الواحد وكان في مقدمته يوم الارك سنة احدى وتسعين فخلى عن المسلمين وكان له في ذلك الموقف من الصبر والثبات ما طار له به ذكر واستشهد في ذلك الموقف وعرف اعقابه ببني الشهيد اخر الدهر وهم لهذا العهد بتونس ولما نهض الناصر الى افريقية سنة احدى وستمائة لما بلغه تغلب ابن غانية على تونس فاسترجعها ثم نازل المهدية فتعاودت عليه ذباب الاعراب وجمعهم ابن غانية ونزل قابس فسرح الناصر اليهم ابا محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص في عسكر من الموحدين فاوقع بابن غانية بتاجرا من نواحي قابس سنة ثنتين وستمائة وقتل جبارة اخو ابن غانية واثخن فيهم قتلا وسبيا واستنقذ منهم السيد ابا زيد بن يوسف بن عبد المومن الذي كان بتونس واسره ابن غانية ورجع الى الناصر بمكانه من حصار المهدية فكانت سبب في فتحها وكان ذلك مما حمل الناصر على ولاية الشيخ ابي محمد بافريقية حسبما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن امارة ابي محمد بن الشيخ ابي حفص

بافريقية وهي اولية امرهم بها

لما تكالب ابن غانية واتباعه على افريقية واستولى على امصارها وحاصر تونس وملكها واسر السيد ابا زيد اميرها ونهض الناصر من المغرب سنة احدى وستمائة كما ذكرناه

فاسترجعها

فاسترجعها من ايديهم وبث دعوته في نواحيها وخيم على المهدية يحاصرها وقد انزل ابن غانية ذخيرته وولده بها واجلب في جموعه خلال ذلك على قابس فسرح الناصر اليه الشيخ ابا محمد هذا في عساكر الموحدين وزحف اليه بتاجرا من جهات قابس فهزمهم واستولى على معسكرهم وما كان بايديهم واثخن فيهم بالقتل والسبي واستنقذ السيد ابا زيد من اسرهم ورجع الى الناصر بمعسكره من حصار المهدية ظافرا ظاهرا وعاين اهل المهدية يومئذ مقدمه بالغنائم والاسرى فسقط في ايديهم وسالوا النزول على الامان وكمل فتح المهدية ورجع الناصر الى تونس فاقام بها حولا الى منتصف سنة ثلاث وستمائة وسرح اثناء ذلك اخاه السيد ابا اسحاق لتتبع المفسدين ومحو اثر عيثهم فدوخ ما وراء طرابلس واثخن في بني دمر ومطماطة ونفوسة وشارف اهل سرت وبرقة وانتهى الى سويقة ابن مذكور وفر ابن غانية الى صحراء برقة وانقطع خبره وانكفا السيد راجعا الى تونس واعتزم الناصر على الرحلة الى المغرب وقد افاء على افريقية ظل الامن وضرب عليهم سرادق الحماية وبدا له ان ابن غانية سيخالفه اليها وان امرها بعيد عن الحضرة وانه لابد من رجل يسد فيها مسد الخلافة ويقيم فيها سوق الملك فوقف اختياره على ابي محمد بن الشيخ ابي حفص ولم يكن ليعدوه لما كان عليه هو واخوه في الدولة ولهم من الخلافة وان امر بني عبد المومن انما تم بوفاق الشيخ ابي حفص ومظاهرته وان اباه المنصور كان قد اوصاه بالشيخ ابي محمد وباخوته وكان يوليه صلاة الصبح اذا حضر يتغير وامثال ذلك وسرى الخبر بذلك الى ابي محمد فامتنع وشافهه الناصر به فاعتذر فبعث اليه ابنه يوسف فاكرم موصله واجاب على شريطة اللحاق بالمغرب بعد قضاء مهمات افريقية في ثلاث سنين وان يختار عليهم من رجالات الموحدين وان لا يتعقب عليه في توليته ولا عزل فتقبل شرطه ونودي في الناس بولايته ورفعت بين الموحدين رايته وارتحل الناصر الى المغرب ورجع عنه الشيخ ابو محمد من باجة فقعد مقعد الامارة بقصبة تونس في السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة وانفذ اوامره واستكتب ابا عبد الله بن نخيل ورجع ابن غانية الى نواحي طرابلس فجمع احزابه واتباعه من العرب من سليم وهلال وكان فيهم محمد بن مسعود البلط في قومه من الدواودة رعاوة واعيتهم وخرج اليهم ابو محمد سنة اربع وستمائة في عساكر الموحدين وتحيز اليه بنو عوف من سليم وهم مرداس وعلاق فلقيهم بشبرو فتواقفوا واحتربوا عامة يومهم ونزل الصبر ثم انفض عسكر ابن غانية اخر النهار واتبعهم الموحدون والعرب واكتسحوا اموالهم وافلت ابن غانية جريحا الى اقصى مفره ورجع ابو محمد الى تونس بالظفر والغنيمة وخاطب الناصر بالفتح واستجاز وعول في التحول عن الولاية فخاطبه بالشكر والعذر بمهمات المغرب عن اداله وانه يستانف النظر في ذلك وبعث اليه بالمال والخيل والكسى للانفاق والعطا كان ما بينا الف دينار ثنتان والثمانماية سيف ومائة فرس غير ما كان انفذ اليه من سبتة وبجاية ووعده بالزيادة وكان تاريخ الكتاب سنة خمس فاستمر ابو محمد على شانه وترادفت الوقايع بينه وبين يحيى الميورقي كما نذكره

وقيعة تاهرت وما كان من ابي محمد في تلافيها واستنقاذ غنايمها

كان يحيى بن غانية لما افلت من وقيعة شبرو بدا له ليقصد بلاد زناتة بنواحي تلمسان
وقارن ذلك وصول السيد ابي عمران موسى بن يوسف بن عبد المومن واليا عليها من مراكش
وخروجه الى بلاد زناتة لتمهيد انحائهم وجباية مغارمهم وكتب اليه الشيخ ابو محمد
تذبر اسبذته وان لا يعرض له وانه في اتباعه فابى من ذلك وارتحل الى تاهرت وصبحه
بها ابن غانية فانفض معسكره وفر زناتة الى حصونها وقتل السيد ابو عمران
واستبيحت تاهرت فكان اخر العهد بعمرانها وامتلات ايديهم من السبي والغنائم
وانقلبوا الى افريقية فاعترضهم الشيخ ابو محمد بموضع فاوقع بهم واستنقذ
الاسرى من ايديهم واكتسح سائر مغانمهم وقتل فيها كثير من الملثمين ولحق فلهم بناحية
طرابلس الى ان كان من امرهم ما نذكره

واقعة نفوسة ومهلك العرب والملثمين بها

كان ابن غانية بعد واقعة شبرو واستنقاذ ابي محمد تاهرت من يده خلص الى جهات
طرابلس وتلاحق به فل الملثمين واوليائه من العرب وكان المخلى معه في موافقته
الدواودة من رياح وكبيرهم محمد بن مسعود فتذامروا واعتزموا على معاودة الحرب
وتعاقدوا على الثبات والنصر وانطلقوا ابتغا لفوف الاعراب من كل ناحية
حتى اجتمع اليهم من ذلك امم كان فيهم من رياح وزغب والشريد وعوف وذباب
ونفاث وتكلفوا الى الاحتشاد واجمعوا دخول افريقية فبادرهم ابو محمد قبل
فصولهم اليها وخرج من تونس سنة ست واغذ السير اليهم وتزاحفوا عند جبل
نفوسة واشتدت الحرب ولما حمي الوطيس ضرب ابو محمد ابنيته وفساطيطه وتحيز
اليه بعض الفرق من بني عوف وسليم واختل مصاف ابن غانية واتبعه الموحدون
الى ان دخل في غيابات الليل وامتلات ايديهم بالاسرى والغنائم وسقطت
ظعاين العرب وقد كانوا قدموها بين ايديهم للحفيظة والبياذ في الكر والفر
فاصبحت مغنما للموحدين وربات خدورها سبيا وهلك في المعركة خلق من
الملثمين وزناتة والعرب كان فيهم عبد الله بن محمد بن مسعود البلط بن
سلطان شيخ الدواودة وابن عمه حركات بن ابي الشيخ بن عساكر بن سلطان
و شيخ بني قرة ومعزن كبير مغراوة ومحمد بن الغازي بن غانية في اخرين من
امثالهم وانصرف ابن غانية مهيض الجناح مفلول الحد محفوفا بالياس من جميع
جهاته وانقلب ابو محمد والموحدون اعزة ظاهرين واستفحل امر ابي محمد بافريقية
وحسم علل الفساد منها واستوفا جبايتها وطالت مواقف حروبه ولم تهزم له
فيها راية وهلك الناصر وولي ابنه يوسف المستنصر واستبد عليه المشيخة
لمكان صغره وشغلوا بفتنة بني مرين وظهورهم بالمغرب فاستكفى بالشيخ ابي محمد
في افريقية وعول على غنائه فيها وضبطه لاحوالها وقيامه بملكها فابقاه على
عملها وسرب اليه لنفقاتها واعطياتها ولم يزل بها الى ان هلك سنة ثمان عشرة

الخبر عن مهلك الشيخ ابي محمد بن الشيخ ابي

حفص

ابي حفص وولاية ابنه عبد الرحمن

كانت وفاة الشيخ ابي محمد تاريخ سنة ثمان عشرة ولما هلك ارتاع الناس لمهلكه
وافترق الموحدون في الشورى فريقين بين عبد الرحمن بن الشيخ ابي محمد وابراهيم
ابن عمه اسماعيل بن الشيخ ابي حفص فترددوا مليا ثم اتفقوا على الامير ابي زيد
عبد الرحمن ابنه واعطوه صفقة ايمانهم واقعدوه بمجلس ابيه في الامارة فتمكن
الناس وشمر للقيام بالامر عن ثمه وافاض العطا واجاز الشعراء واستكتب ابا عبد
الله بن ابي الحسين وخاطب المستنصر بالشان وخرج في عساكره لتمهيد النواحي وحماية
الجوانب الى ان وصل كتاب المستنصر بعزله لثلاثة اشهر من ولايته حسبما نذكره
فارتحل الى المغرب ومعه اخوانه وكاتبه ابن ابي الحسين ولحق بالحضرة

الخبر عن ولاية السيد ابي العلا على افريقية
وابنه ابي زيد من بعدهم واخبارهم
فيها واعتراضها في الدولة الحفصية

لما بلغ الخبر الى مراكش بمهلك ابي محمد بن ابي حفص وقارن ذلك عزلة السيد
ابي العلى من اشبيلية ووصوله الى الحضرة مسخوطا وهو ابو العلى ادريس بن
يوسف بن عبد المومن اخو يعقوب المنصور وعبد الواحد المخلوع المبايع له
بعد ذلك وعول على الوزير ابن المثنى في جبر حاله فسعى له عند الخليفة وعقد
له على افريقية ووصل الخطاب بولايته ونيابة ابراهيم بن اسماعيل بن الشيخ ابي
حفص عنه خلال ما يصل واستقدام ابناء الشيخ ابي محمد الى الحضرة ووصل الكتاب
شهر ربيع الاول من سنة ثمان عشرة فقام الشيخ ابو اسحاق بالنيابة في امره واستعمل
احمد بن المشطب في وزارته وغلب عليه بطانته واساء في الموالاة لقرابته واختص ابن
الشيخ ابي محمد بنصيحته ووطن امتداد الدولة له ووصل السيد ابو العلى شهر ذي القعدة
من السنة فنزل بالقصبة وانزل ابنه السيد ابا زيد بقصر ابن فاخر من البلد ورتب
الامور ونهج السنن واسهم من وصوله بتقبض على محمد بن نخيل كاتب الشيخ ابي محمد وعلى
اخويه ابي بكر ويحيى واستصفى اموالهم واحتفز عقاربهم وضياعهم وكان للمستنصر عهد
اليه بذلك لما كانت اسفته بعلقات من القول والكتاب تنمى اليه ايام رياسته في خدمة ابي محمد
فاعتقلهم السيد ابو العلى ثم قتله واخاه يحيى لشهر من اعتقالهما بعد ان فر من سجنه
وتقبض عليه فقتل ونقل الى المطبق بالمهدية فاودع به وخرج السيد ابو العلى من
تونس سنة تسع عشرة في عساكر الموحدين الى نواحي قابس لقطع اسباب ابن غانية
منها فنزل قصر العروسيين وسرح ولده السيد ابا زيد في عسكر من الموحدين الى درج

ابو بكر

وغدامس من بلاد الصحراء للتمهيد بها وجبايتها وقدم بين يديه عسكرا اخر لمنازلة ابن غانية بودان وواعدهم هنالك منصرفه من غدامس فارجف بهم العرب في طريقهم بمداخلة ابن غانية وما بذل له في ذلك فانفض العسكر ورجعوا الى قابس وانتقل السيد ابو زيد في غدامس اليهم فلقيه خبر مفرهم فلحق بابيه واخبره الجلي في امرهم فسخط قايد العسكر وهم بقتله وطرق السيد ابا العلى المرض فرجع الى تونس وبلغه ان ابن غانية نهض من ودان الى الزاب وان اهل بسكرة اطاعوه فسرح السيد ابا زيد في عساكر الموحدين اليه ودخل ابن غانية الرمل فاعجزهم ورجع السيد ابو زيد الى بسكرة فانزل بهم عقابه من النهب والتخريب ورجع الى تونس ثم بلغه ان ابن غانية قد رجع الى جوانب افريقية واجتمع اليه اخلاط من العرب والبربر فسرح السيد ابا زيد اليه في العساكر ونزل بالقيروان وخالفه ابن غانية الى تونس فقصده السيد ابو زيد ومعه العرب وهوارة بظعائنهم ومواشيهم وتزاحفوا بمجدول فاتح احدى وعشرين واشتد القتال وعضت الموحدون الحرب وابلى هوارة وشيخهم بعرة بن حناش بلاء جميلا وضرب ابنيته وتناعوا في الثبات والصبر فانهزم الملثمون واخلت المعركة عن حصيد من القتلى من اصحاب ابن غانية واستولى الموحدون على معسكرهم وكان بلغ السيد ابا زيد مهلك ابيه السيد ابي العلا بتونس في شعبان فلما فرغ من موافقة ابن غانية رجع الى تونس واقصر عن متابعته وخاطب المستنصر بمهلك ابيه وواقعة الملثمين وكان المستنصر قد عزله واستبد زمنه بابي يحيى بن ابي عمران التينملي صاحب ميورقة ولم يصل اليه الخبر بعزله بعد وهلك المستنصر اثر ذلك سنة عشرين وولي عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المومن فنقض تلك العقدة وكتب الى السيد ابي زيد بالابقاء على عمله ونقض ما احدثه المستنصر من عزله فارسل عنانه في ولايته وبسط يده في الناس بمكروهه وتنكرت له الوجوه وانحرفت عنه الناس لما كانوا عليه من الصاغية لابي محمد ابن ابي حفص ولم يزل الى ان عزل واستبد لهم كما نذكره وركب البحر بين خايف واهله تلحق بالحضرة

الخبر عن ولاية ابي محمد عبد الله بن ابي محمد بن الشيخ ابي حفص وما كان فيها من الاحداث

لما هلك المخلوع وولي العادل وولي على افريقية ابا محمد عبد الله بن ابي محمد عبد الواحد وولي على بجاية يحيى بن الاطاس التينملي وعزل عنها ابن يغمور وكتب الى السيد ابي زيد بالقدوم وكتب ابو محمد عبد الله الى ابن عمه موسى بن ابراهيم ابن الشيخ ابي حفص بالنيابة عنه خلال ما يصل فخرج السيد ابو زيد في ربيع الاخر سنة ثلاث وعشرين واستقل ابو عمران موسى بامر افريقية واستمرت نيابته عليها زهاء ثمانية اشهر وخرج ابو محمد عبد الله من مراكش الى افريقية ولما انتهى الى بجاية قدم بين يديه اخاه الامير ابا زكريا ليعترضه بطبقات الناس للقاية فوصل الى تونس في شعبان من هذه السنة فبعد ان اوقع في طريقه ببو لهاصة وكان اولاد شداد وساوم

فتر

قد جمعوا للاعتراض بناحية بونه فسرح اخاه الامير ابا زكريا لحسم ادوائهم وخرج في الطبقات من اهل الحضرة للقاية فكان لذلك دخرج في رمضان من سنته وخرج معه الناس على طبقاتهم فلقوه ببسيطه ووصل الى الحضرة في ذي القعدة من اخر السنة ثم خرج ابو عمران عن النيابة ثم لحقه من المغرب اخوه ابو ابراهيم في صفر من سنة اربع وعشرين فعقد له على بلاد قسطيلية وعقد لاخيه الامير ابي زكريا على قابس وما اليها وذلك في جمادى من هذه السنة وبعد استقراره بتونس بلغه ان ابن غانية دخل بجاية عنوة ثم تخطاها لذلك الى تدلس وانه عاث في تلك الجهات فرحل من تونس وعقد لاخويه كما ذكرناه واعد السير الى قصر ابه فصبح به هوارة وقد كان بلغه عنهم السعي في الفساد فاطلق فيهم ايدي عسكره واعتقل مشايخهم وانفذهم الى المهدية ثم مر في اتباع ابن غانية فانتهى الى بجاية وسلك احواز الفائد الى متيجة ومليانة فادركه الخبر ان ابن غانية قصد سجلماسة فانكفا راجعا الى تونس ودخلها في رمضان سنة اربع وعشرين ولم يزل مستبدا بامارته الى ان ثار عليه اخوه الامير ابو زكريا وغلبه على الامر كما نذكر

الخبر عن ولاية الامير ابي زكريا ممهد الدولة لال ابي حفص بافريقية ورافع الراية لهم بالملك واول ذلك وبدايته

لما قتل العادل بمراكش سنة اربع وعشرين وبويع المامون بالاندلس بعث الى ابي محمد عبد الله بتونس ليأخذ له البيعة على من بها من الموحدين وكان المامون قد نعى امره بالخلاف ودعا لنفسه قبل موت اخيه العادل بايام فامتنع ابو محمد ورد رسله اليه فكتب بذلك لاخيه الامير ابي زكريا وهو بمكانه من ولاية قابس وعقد له على افريقية فاخذ له البيعة على من اليه وداخله في شانها ابن مكي كبير المشيخة بقابس واتصل ذلك بابي محمد فخرج من تونس اليهم ولما انتهى الى القيروان تنكر عليه الموحدون لنهوضه الى حرب اخيه وانتقضوا عليه وعزلوه وطيروا بالخبر الى اخيه في وفد منهم فالفوه معتمدا على اللحاق برحاب بن محمود واعراب طرابلس فتابعوه ووصلوا به الى معسكرهم وانزل اخاه ابا محمد بمقربة فاخذ ونقبض على كاتبه ابي عمرو وطرد من الاندلس واستكتبه ابو محمد فتغلب على هواه وكان يغريه باخيه فبسط الامير ابو زكريا عليه العذاب الى ان هلك ثم بعث اخاه ابا محمد في البحر الى المغرب واستبد بملكه واستوزر ميمون بن موسى الهنتاتي واستقامت اموره

الخبر عن استبداد الامير ابي زكريا بالامر لبني عبد المؤمن

لما اتصل به ما اتاه المامون من قتل الموحدين بمراكش وخصوصا هنتاتة وتينملل وكان منهم اخواه ابو محمد عبد الله المخلوع وابراهيم وانه اشاع النكير على المهدي في العصمة وفي وضع العقايد والنداء بالصلوات باللسان البربري واحداث النداء للصبح وتربيع شكل الدرهم وغير ذلك من سننه وانه غير رسوم الدعوة وبدل اصول الدولة واسقط اسم الامام من الخطبة والسكة واعلن بلعنه ووافق بلوغ الخبر بذلك وصول بعض العمال الى تونس بتولية المامون فصرفهم واعلن بخلعه سنة ست وعشرين وحول الدعوة الى يحيى بن اخيه الناصر المنتزي عليه بجبال الهساكرة ثم انصرف به بعد ذلك عجز يحيى وعدم استقلاله فاعمله واقتصر على ذكر الامام المهدي وتلقب بالامير ورسم علامته بخطه في صدر مكتوباته ثم جدد البيعة لنفسه سنة اربع وثلاثين واثبت ذكره في الخطبة بعد ذكر الامام مقتصرا على لفظ الامير لم يجاوزه الى امير المومنين وخاض اولياء دولته في ذلك حتى رفع اليه بعض شعرائه في مفتتح كلمة مدحه بها

الا صل بالامير المومنينا • فانت بها احق العالمينا

فزجرهم عن ذلك واباه عنه ولم يزل على ذلك الى اخر دولته

الخبر عن فتح بجاية وقسنطينة

لما استقل الامير ابو زكريا بالامر بتونس وخلع بني عبد المومن نهض الى قسنطينة سنة ست وعشرين فنزل بساحتها وحاصرها اياما ثم داخله بن علناس في شانها وامكنه من غرتها فدخلها وتقبض على واليها السيد بن السيد ابي عبد الله الحرضاني بن يوسف العشري وولى عليها ابن النعمان ورحل الى بجاية فافتتحها وتقبض على واليها السيد ابي عمران ابن السيد ابي عبد الله الحرضاني وصيرهما معتقلين في البحر الى المهدية واجرت عليهما هنالك الارزاق وبعث باهلهما وولدهما مع ابن اومان بر الى الاندلس فنزلوا باشبيلية وبعث معهما الى المهدية في الاعتقال محمد بن جامع وابنه وابن اخيه جابر بن عون بن جامع من شيوخ مرداس عوف وابن ابي الشيخ بن عساكر من شيوخ الدواودة فاعتقلوا بمطبق المهدية وكان اخوه ابو عبد الله اللحياني صاحب اشغال بجاية فصار في جملته وولاه بعدها الاعمال الجليلة وكان يستخلفه بتونس في مغيبه وفي هذه السنة تقبض على وزيره ميمون بن موسى واستصفى امواله واشخصه الى قابس فاعتقل بها مدة ثم غربه الى الاسكندرية واستوزر مكانه ابا يحيى بن ابي العلا بن جامع الى ان هلك فاستوزر بعده ادريس بن اخيه علي وكان يدعى بكنية عمه لاغتباط السلطان بها الى ان هلك فاستوزر بعده ابا زيد بن اخيه الاخر عمها الى ان هلك

الخبر عن مهلك ابن غانية وحركة السلطان

الى بجاية وولاية ابنه الامير ابي يحيى زكرياء عليها

لما

لما استقل ابو زكريا بافريقية وخلع طاعة بني عبد المومن صرف عزمه اولا الى مدافعة يحيى بن غانية عن نواحي اعماله فكانت له في ذلك مقامات مذكورة وشرده عن جهات طرابلس والزاب وواركلا واختط بواركلا المسجد لما نزلها في اتباعه وانزل بالاطراف عساكره وعماله لسد ثغورها ونقدو ولم يزل ابن غانية واتباعه من العرب من افاريق سليم وهلال وغيرهم على حالهم من التشريد والجلاء الى ان هلك سنة احدى وثلاثين وستماية وانقطع عقبه فانقطع ذكره ومحى الله اثار فتنته من الارض واستقام امر الدولة ونبضت منها عروق الاستيلاء واتساع نطاق الملك ونهضت عزايمه الى تدويخ ارض المغرب فخرج من تونس سنة اثنتين وثلاثين يوم بلاد زناتة بالمغرب الاوسط واغذ السير الى بجاية فتلوم بها ثم ارتحل الى الجزاير فافتتحها وولى عليها ثم نهض منها الى بلاد مغراوة فاطاعه بنو منديل بن عبد الرحمن وجاهر بنو توجين بخلافه فنزل البطحاء واوقع بهم وتقبض على رئيسهم عبد القوي بن العباس فاعتقله وبعث به الى تونس ودوخ نواحي المغرب الاوسط وقفل راجعا الى حضرته وعقد مرجعه من المغرب لابنه الامير ابي يحيى زكرياء على بجاية وانزله بها واستوزر له يحيى بن صالح بن ابراهيم الهنتاني وجعل شوراه لعبد الله بن ابي مهدي وجبايته لعبد الحق بن ياسين وكلهم من هنتاتة وكتب اليه بوصية مشتملة على جوامع الخلال في الدين والملك والسياسة يجب اثباتها لشرف مغزاها وغرابة معناها ونصها

الخبر عن سطوة السلطان بهوارة

كان لهوارة هولاء بافريقية ظهور وعدد منذ عهد الفتح وكانت دولة العبيديين وصنهاجة قد جرت عليهم بكلكلها لما كان منهم في فتنة ابي يزيد كما نذكر في اخبارهم وبقي منهم فل بجبل اوراس وما بعده من بلاد افريقية وبسايطها الى باجة وفرجينة وسبيبة وتبرسق ولما انقرض ملك صنهاجة بالموحدين وتغلب الاعراب من هلال وسليم على ساير النواحي بافريقية وكثروا ساكنيها وتغلبوا عليهم اخذ هذا الفل بمذاهب العرب وشعارهم وشاراتهم في اللبوس والزي والظعون وساير العوايد وهجروا لغتهم العجمية الى لغتهم ثم نسوها كان لم تكن لهم شان المغلوب في الاقتداء بغالبه ثم كان لهم اعتياص اول الدولة الى الطاعة لعهد عبد المومن وقومه فلما استبد الامير ابو زكريا وانقلبت الدولة الى ابن ابي حفص ظهر منهم التيات في الطاعة وامتناع عن المغرم واضرار بالسابلة فاعمل السلطان في امرهم وخرج من تونس سنة ست وثلاثين موريا بالغزو الى اهل اوراس وبعث في احتشادهم فتوافوا الى معسكره ثم صبحهم في عسكره من الموحدين والعرب فثخن بهم قتلا وسبيا واكتسح اموالهم وقتل كبيرهم ابو الطيب بعرة بن حناش وافلت من افلت منهم ناجيا بنفسه على رياش كسبه والانت هذه البطشة من حدهم وخضدت من شوكتهم واستقاموا على الطاعة بعد

الخبر عن ثورة الهرغي بطرابلس وما كان اثره

كان هذا الرجل من مشيخة الموحدين وهو يعقوب بن يوسف بن محمد الهرغي ويكنى بابي عبد الرحمن وكان الامير ابو زكريا قد عقد له على طرابلس ونواحيها وسرح معه عسكرا من الموحدين لحمايتها من اعراب دباب من بني سليم فقام بامرها واضطلع بجباية رعاياها واستخدم البربر والعرب الذين بضاحيتها وكان بينه وبين الجواهري مصدوقة ود فلما قتل الجواهري سنة تسع وثلاثين كما قدمناه استوحش لها يعقوب الهرغي واستقدمه السلطان فتلكا وبعث عنه اخاه بن ابي يعقوب فازداد نفاره وحدثته نفسه بالاستبداد لما كان انس من الجباية وسعر لها اهل البلد فانطلقوا وهم يتخافتون ان يناجلوه قبل مداخلته العرب في امره فتقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى اتباعهما ليلة اجمعوا الثورة في مضاجعهما وطيروا بالخبر الى الحضرة فنفذ الامر بقتلهم فقتلوا وبعث رؤوسهم الى باب السلطان ونصبت اشلاؤهم باسوار طرابلس واصبحوا عبرة للمعتبرين وانشد الشعرا في التهنية بهم وقامت البشاير سوق لكاينتهم وكان ممن قتل معه محمد بن قاضي القضاة بمراكش ابي عمران بن عمران وصل علما الى تونس وقصد طرابلس فاتصل بهذا الهرغي ونما عنه انه انشأ خطبة ليوم البيعة فكانت سابقة حتفه وكان بالمهدية رجل من الدعاة يعرف بابي حمر اشتهر بالغنا في غزو البحر وقدم على الاسطول فردد الغزو حتى هابه الفرنج من امم الكفر وامنت سواحل المسلمين من طروقهم وطار له فيها ذكر ونمي عنه انه كان مداخلا للجواهري والهرغي وان القاضي بالمهدية ابا زكريا البرقي اطلع على دسيستهم في ذلك فنفذ الامر السلطاني للوالي بها ابي علي بن ابي موسى بن ابي حفص بقتل بن ابي الاحمر واشخاص القاضي الى الحضرة معتقلا فامضى عهده ونجا ووصل البرقي الى تونس فخص السلطان عن شانه فبرى من مداخلتهم فسرحه واعاده الى بلده وقتل بالحضرة رجل اخر من الجند اتهم بمداخلتهم وسعايته في قيامهم وكان له تعلق برحاب بن محمود امير دباب فاوعز السلطان الى بعض الرقاد من زناتة فقتله غيلة ثم اهدر دمه وتتبع اهل هذه الجناية بالقتل حتى حسم الداء ومحى شوايب الفتنة

الخبر عن بيعة بلنسية ومرسية
واهل شرق الاندلس ووفدهم

لما استقل ابو جميل زيان بن ابي الحملات مدافع بن ابي الحجاج بن سعد بن مردنيش بملك بلنسية وغلب عليها السيد ابو زيد بن السيد ابي حفص وذلك عند خروج ريح بني عبد المومن بالاندلس وخروج بن هود على المامون ثم فتنته هو مع ابن هود وثورة بن الاحمر بارجونه واضطراب الاندلس بالفتنة واسف الطاغية الى ثغور الاندلس من كل جانب وزحف ملك ارغون الى بلنسية فحاصرها وكانت للعدو سنة ثلاث وثلاثين سبع محلات لحصار المسلمين اثنان منها على

بلنسيه

بلنسيه وجزيرة شقر وشاطبه ومحلة بجيان ومحلة بطبيره ومحلة بمرسية ومحلة بلبله واهل جفون من ورا ذلك على سبته ثم تملك طاغية قشتالة مدينة قرطبة وظفر طاغية ارغون بالكثير من حصون بلنسيه والجزيره وبنى حصن انيشه لحصار بلنسيه وانزل بها عسكره وانصرف فاغتنم زيان بن مردنيش على غرة ومن بقي بها من عسكره هو واستنفر اهل شاطبة وشقر وزحف اليهم فانكشف المسلمون واصيب الكرايم واستشهد ابو الربيع بن سالم شيخ المحدثين بالاندلس وكان يوما عظيما وعنوانا على اخذ بلنسية ظاهرا ثم ترددت عليه اسرايا العدو ثم زحف اليه طاغية ارغون في رمضان سنة خمس وثلاثين فحاصرها واستبلغ في نكايتها وكان بنو عبد المومن بمراكش قد فشل ريحهم وظهر امر بني ابي حفص بافريقية فامل بن مردنيش واهل شرق الاندلس الامير ابا زكريا للكرة وبعثوا اليه ببيعتهم واوفد عليه بن مردنيش كاتبه الفقيه ابا عبد الله بن الابار صريخا فوفد وادى بيعتهم في يوم مشهود بالحضرة وانشد في ذلك المحفل قصيدته على روي السين يستصرخه فيها للمسلمين وهي هذه

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا   ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست   فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها   فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة اضحى اهلها جزرا   للنايبات وامسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بايقة   يعود ماتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجحاف نايبة   تثني الامان حذارا والسرور اسا
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم   الا عقايلها المحجوبة الانسا
وفي بلنسية منها وقرطبة   ما يذهب النفس او ما ينزف النفسا
مداين حلها الاشراك مبتسما   جذلان وارتحل الايمان منتئسا
وصيرتها العوادي العابثات بها   يستوحش الطرف منها ضعف ما انسا
ما للمساجد عادت للعدا بيعا   وللنداء يرى اثناءها جرسا
لهفا عليها الى استرجاع فايتها   مدارسا للمثاني اصبحت درسا
واربعا نمنمت ايدي الربيع بها   ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت حدايق للاحداق مونقة   فصوح النضر من ادواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب   يستوقف الركب او يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا   عيث الدبا في مغانيها التي كسا
وابتز بزتها مما تحيفها   تحيف الاسد الضاري لما افترسا
فاين عيش جنيناه بها خضرا   واين غصن جنيناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ اتيح لها   ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج ارجاءها لما احاط بها   فغادر الشم من اعلامها خنسا
خلا له الجو فامتدت يداه الى   ادراك ما لم تنل رجلاه مختلسا
واكثر الزعم بالتثليث منفردا   ولو راى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها ايها المولى الرحيم فما   ابقى المراس لها حبلا ولا مرسا

واحي ما طمست منها العداة كما * احييت من دعوة المهدي ما طمسا
ايام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدي مقتبسا
وقمت فيها لامر الله منتصرا * كالصارم اهتز او كالعارض انبجسا
تمحو الذي كتب التجسيم من ظلم * والصبح ماحية انواره الغلسا
هاذي رسايلها تدعوك من كثب * وانت افضل مرجو لمن ييسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الامير الرضي والسيد الندسا
خاضت خضارة تعلوها وتخفضها * عبابه فتعاني اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت باقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن ابي * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضى لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مويد لو رمى نجما لاثبته * ولو دعا افقا لبى وما احتبسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدي النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
كانه البدر والعلياء هالته * تحف من حوله شهب القنا حرسا
له الثرى والثريا خطتان فلا * اعز من خطتيه ما سما ورسا
يا ايها الملك المنصور انت لها * عليا توسع اعدا الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء انك من * يحيى بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس * ولا طهارة ما لم تغسل النجسا
واوطي الفيلق الجرار ارضهم * حتى يطاطي راسا كل من راسا
وانصر عبيدا باقصى شرقها شرقت * عيونهم ادمعا تهمي زكا وخسا
هم شيعة الامر وهي الدار قد نهكت * داء متى لم تباشر حسمه انتكسا
املا هنيئا لك التمكين ساحتها * جردا سلاهب او خطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه * لعل يوم الاعادي قد اتى وعسا

فاجاب الامير ابو زكريا داعيهم وبعث اليهم اسطولا مشحونا بمدد الطعام والاسلحة والمال مع ابي يحيى بن يحيى بن الشهيد ابي اسحاق بن ابي حفص وكانت قيمة ذلك مائة الف دينار وجاءهم الاسطول بالمدد وهم في هوة الحصار فنزل بمرسى دانية واستفرغ المدد بها ورجع بالناس اذ لم يخلص اليه من قبل ابن مردنيش من تسلمه واشتد الحصار على اهل بلنسية وعدمت الاقوات وكثر الهلاك من الجوع فوقعت المراوضة على اسلام البلد فتسلمها جاقمة ملك ارغون في صفر سنة ست وثلاثين وخرج عنها ابن مردنيش الى جزيرة شقر فاخذ البيعة على اهلها للامير ابي زكريا ورجع ابن الابار الى تونس فنزل على السلطان وصار في جملته والح العدو على حصار ابن مردنيش بجزيرة شقر وازعجه عنها الى دانية فدخلها في رجب من سنته واخذ عليهم البيعة للامير ابي زكريا ثم داخل اهل مرسية وقد كان بويع بها ابو بكر عزيز ابن عبد العزيز بن خطاب في مفتتح السنة فاتمها عليه في رمضان من سنته وقتله وبعث ببيعتهم الى

الامير ابي زكريا ورجع ابن الابار الى تونس فنزل على السلطان وصار في جملته والح العدو على حصار ابن مردنيش بجزيرة شقر وازعجه عنها الى دانية فدخلها في رجب من سنته واخذ عليهم البيعة للامير ابي زكريا ثم داخل اهل مرسية وقد كان بويع بها ابو بكر ابي وانتظمت البلاد الشرقية في طاعته والتغلب ووفد بن مردنيش اليه من تونس بولاية على عمله سنة سبع وثلاثين ولم يزل بها الى ان غلبه ابن هود على مرسية وخرج عنها الى لقنت الحصون سنة ثمان وثلاثين الى ان اخذها طاغية برشلونة من يده سنة اربع واربعين واجاز الى تونس والبقاء لله وحده

الخبر عن الجوهري وولايته ومال امره

اسم هذا الرجل محمد بن محمد الجوهري وكان مشتهرا بخدمة بني المكارز بن الهنتاتي والي سبتة وغمارة من اعمال المغرب وكان حسن الضبط مترامياً الى الرياسة ولما ورد على تونس وتعلق باعمال السلطان نظر فيما يرفعه ويرفع من شانه فوجب جباية اهل الخيام بافريقية من البرابر الموطنين من الاعراب غير منضبطة ولا محصلة في ديوان فنبه على انهما اكلة للعمال ونهبة للولاة فدفع اليه النظر في جبايتهما وفرد ديوانهما وصارت عملا منفردا يسمى عمل العمود وطاوله بذلك بين العمال ذكر حتى ترفع له السلطان ابو زكريا بصنيعه وعول على نصيحته ووافق ذلك موت ابي الربيع الكفيفي المعروف بابن الغريغر صاحب الاشغال بالحضرة فاستعمل مكانه وكان لابي علي تلك الخطة الاكبر من مشيخة الموحدين فرشحه السلطان لها لكفايته وعنايته فظفر منها بحاجة نفسه واعنق هاذرته الى امنيته فاتخذ شارة ارباب السيوف وارتبط الخيل واتخذ الالة فخر وبه مع اهل البادية اذا احتاج اليهما ونافس اثناء ذلك ابا علي بن النعمان وابا عبيد الله بن ابي الحسين بعدم الخضوع لهما فنصبا له واغريا به السلطان وحذرا غايلة عصيانه وكان فيه اقدام اوجد بهما السبيل على نفسه ويحكى ان السلطان استشاره ذات يوم في تمويل بعض اهل الخلاف والعصيان فقال له عندي بباب الالف من الجنود رمى بهما من نشا من امثالهم فاعرض عنه السلطان واعتدها عليه وجعلها مصداقا لما رمي عنه ولما قدم عنه عبد الحق بن يوسف بن ياسين على الاشغال ببجاية مع زكريا ابن السلطان اظهر له الجوهري ان ذلك لسعايته وعهد اليه بالوقوف عند امره والعمال بكتابه فالقى عبد الحق ذلك الى الامير زكريا فقام لها وقعد وانف من استبداد الجوهري عليه ولم تزل هذه وامثالها تعد عليه حتى حق له القول فسطا به الامير ابو زكريا وقبض عليه سنة تسع وثلاثين ووكل امتحانه الى اعدايه ابن برغان والتدرومي فتجللوا عليه العذاب واصبح في بعض ايامه ميتا بمحبسه ويقال خنق نفسه والقي شلوه بقارعة الطريق فتفنن اهل الشمات في العبث به والى الله المصير

الخبر عن فتح تلمسان ودخول بني عبد الواد في الدعوة الحفصية

كان الامير ابو زكريا منذ استقل بامر افريقية واقتطعها عن بني عبد المومن كما ذكرناه

متطاولا الى ملك الحضرة بمراكش والاستيلا على كرسي الدعوة وكان يرى ان يظاهره زناتة
له على شانه يتم له ما يسموا اليه من ذلك فكان يداخل امراء زناتة فيه ويرغبهم ويراسلهم
بذلك على الاحيان من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين ومغراوة وكان يغمراسن منذ
تقلد طاعة آل عبد المومن اقام دعوتهم بعمله متحيزا اليهم سلما لوليهم وحربا على عدوهم
وكان الرشيد منهم قد ضاعف له البر والخلوص وخطب منه مزيد الولاية والمصافات
وعاوده الاتحاف بانواع الالطاف والهدايا تضمنا لمسرته وميلا اليه عن جانب اقتاله
بني مرين المجلبين على المغرب والدولة فاستكبر السلطان ابو زكريا اتخاذ الرشيد
هذا ليغمراسن واكد ومم من خوارج بالمحل القريب وبينما هو على ذلك اذ وفد اليه
عبد القوي امير بني توجين وبعض ولد منديل بن عبد الرحمن امراء مغراوة صريخا على
يغمراسن فجملوا له الامر وسولوا له الاستيلاء على تلمسان وجمع كلمة زناتة واعتداد
ذلك ركابا لما يرومه من امتطاء ملك الموحدين بمراكش وانتظامه في امره وسلما للارتقاء
ما سموا اليه من ملكه ودبا بالولوج المغرب على اهله فحركه املاؤهم وهزه الى النعرة
صريخهم واهاب بالموحدين وساير الاولياء والعساكر الى الحركة على تلمسان واستنفر
لذلك ساير البدو من الاعراب الذين في طاعته من بني سليم ورياح بظعنهم فاهطعوا
الداعية ونهض سنة تسع في عساكر ضخمة وجيوش وافرة وسرح امام حركته عبد القوي
ابن العباس واولاد منديل بن محمد لحشد من باوطانهم من احياء زناتة ودوبان قبايلهم
واحياء زغبة احلافهم من العرب وضرب معهم موعدا لموافاتهم في تخوم بلادهم
ولما نزل صحراء زاغر قبلة تيطري منتهى محلات رياح وبني سليم بالمغرب تثاقل العرب
عن الرحلة بظعنهم في ركاب السلطان وتلوثوا بالمعاذير فالطف الامير ابو زكريا
الحيلة زعموا في استنهاضهم وتلبية عزايمهم فارتحلوا معه حتى نازل تلمسان بجميع
عساكر الموحدين وحشود زناتة وظعن العرب بعد ان كان قدم الى يغمراسن الرسل من مليانة
بالاعذار والدعاء الى الطاعة فرجعهم بالخيبة ولما حلت عساكر الموحدين بساحة
البلد برز يغمراسن وجموعه للقاء فنضحتهم ناشبة السلطان بالنبل فانكشفوا
ولاذوا بالجدرات وعجزوا عن حماية الاسوار فاستمكنت المقاتلة من الصعود ورأى
يغمراسن ان قد احيط بالبلد فقصد باب العقبة من ابواب تلمسان ملتفا في ذويه وخاصته
واعترضته عساكر الموحدين فصمم نحوهم وجدل بعض ابطالهم فافرجوا له ولحق بالصحرا
وتسلك الجيوش الى البلد من كل حدب فانتهبوه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان
واكتساح الاموال ولما تجلى غشي تلك الهيعة وخبت نار الصدمة وخمد قتار
الحرب راجع الموحدون بصايرهم واهم الامير ابو زكريا نظره فيمن يقلده امر تلمسان والمغرب
الاوسط ويثر له بثغرها لاقامة دعوته الدايلة من دعوة بني عبد المومن والمدافعة عنها
واستكبر ذلك اشرافهم وتدافعوه وتبرا امراء زناتة ضعفا عن مقاومة يغمراسن وعلما انه
الفحل الذي لا يجدع انفه ولا يطرق غيله ولا يصد عن فريسته وسرح يغمراسن الغارات
في نواحي المعسكر فاختطفوا الناس من حوله واطلعوا في المراقب عليه ثم بعث وفده
متطارحين على السلطان في الملاطفة والاتفاق واتصل اليه على صاحب من اكثر طالب
الوتر في تلمسان وافريقية وان يفرده بالدعوة الموحدية فاجابه الى ذلك ووفدت امه

سوط

سوط النسا للاشتراط والقبول فاكرم موصلها واسنى جايزتها واحسن وفادتها و
منقلبها وسوغ ليغمراسن في شرطه بعض الاعمال بافريقية واطلق ايدي عماله على
جبايته وارتحل الى حضرته لسبع عشرة ليلة من نزوله وفي اثناء طريقه وسوس اليه
الموحدون باستبداد يغمراسن عليه واشاروا باقامة منافسيه من زناتة وامراء المغرب
الاوسط شجا في صدره ومعترضا عن مرامه والباسهم ما لبس من شارة السلطان وزيه
فاجابهم وقلد كلا من عبد القوي بن عطية التوجيني والعباس بن منديل المغراوي ومنصور
المليكشي امر قومه ووطنه وعهد اليهم بذلك واذن لهم في اتخاذ الالة والمراسم السلطانية
على سنن يغمراسن قريعهم فاتخذوها بحضرته وبمشهد من ملاء الموحدين واقاموا مراسمها
ببابه واغذ السير الى تونس قرير العين بامتداد ملكه وبلوغ وطره والاشراف على اذعان
المغرب لطاعته وانقياده لحكمه واداله دعوة بني عبد المومن فيه بدعوته فدخل
الحضرة واقتعد اريكته وانشد الشعرا في الفتح واسنى جوايزهم وتطاولت اليه
اعناق الافاق كما نذكره

الخبر عن دخول اهل الاندلس في الدعوة
الحفصية ووصول بيعة اشبيلية وكثير من امصارها

كان باشبيلية ابو مروان احمد الباجي من اعقاب ابي الوليد وابو عمرو بن الجد من اعقاب
الحافظ ابي بكر الطاير الذكر ودونوا النحلة عن جدهم واخرهم الخلفا على سننهم وكانا سميتين
وقوربي متبوعين من اهل بلدهما ومطاعين في افقهما وكان السادة من بني عبد المومن
يعولون على شوارها في مصرهما كان بعد فتنة الاندلس الثنيات في الملك منذ وفاة
المستنصر وابتزي بها السادة وافترقوا وثار بشرق الاندلس ابن هود الموحدين
واخرجهم عنها وملك ابن هود اشبيلية سنة ست وعشرين واعتقل من كان بها من
الموحدين ثم انتقضوا عليه سنة تسع بعدها واخرجوا اخاه ابا النجاة سالما وبايعوا
الباجي وتسمى بالمعتضد واستوزر ابا بكر بن صاحب الرد ودخلت في بيعته قرمونة
وحاصرهم ابن هود فتوصل الباجي بمحمد بن احمر الثاير بارجونة وجيان بعد ان ملك قرطبة
وزحف ابن هود اليه فلقوه وهزموه ورجعوا ظاهرين فدخل الباجي الى اشبيلية وعسكر
بخارجها ثم انتهز فرصته في اشبيلية وبعث قريبه بن اشقيلولة مع اهل ارجونة
والمضادي الى فسطاط الباجي فتقبضوا عليه وعلى وزيره وقتلوهما سنة احدى
وثلاثين ودخل ابن الاحمر اشبيلية ولشهر من دخوله اليها ثار عليه اهلها ورجعوا الى
طاعة ابن هود وولى عليهم اخاه ابا النجاة سالما ولما هلك محمد بن هود سنة خمس
وثلاثين صرف اهل اشبيلية طاعتهم الى الرشيد بمراكش وولوا على انفسهم محمد بن السيد
ابي عمران الذي قدمنا انه كان واليا بقسنطينة وان الامير ابا زكريا غلبه عليها واعتقله
وبعث ولده الى الاندلس فربي محمد هذا في كفالة امه باشبيلية ولما بايع اهل اشبيلية
للرشيد قدموه على انفسهم وتولى كبر ذلك ابو عمرو بن الجد وبعثوا وفدهم الى الحضرة فاقر
السيد ابا عبد الله على ولايتهم واستمرت في دعوة الرشيد الى ان هلك سنة اربعين

وقد ملك الامير ابوزكريا تلمسان واشرف على اعمال المغرب فاتته وابن نفذ الى
بيعته من اهل شرق الاندلس ببلنسية ومرسية وبايعوا للامير ابي زكريا بن ابي محمد بن
ابي حفص واقتدى بهم اهل شريش وطريف وبعثوا اليه وفدهم ببيعتهم سنة احدى
واربعين وسالوا امنه ولاية بعض اهل افريقية فولى عليهم ابا فارس بن عمه يونس بن
الشيخ ابي حفص نفذ واشبيلية وقام بامرها وسلم له ابن الجد في نقضها وابرامها ثم
انتقض عليه سنة ثلاث واربعين وطرده من البلد الى سبتة واستبد بامر اشبيلية
ووصل يده بالطاغية وعقد له السلم وضرب على ايدي اهل المغاوزة من الجند واسقطهم
من ديوانه فتسلوه بالملاء فابديهم شناف واستقل بامر اشبيلية ورجع ابا فارس بن ابي
حفص وولاه بن عوم الامير ابي زكريا فسخطهم الطاغية لذلك وانتقض عليهم وملك
قرمونة ومرشانة ثم زحف الى حصارهم وسالوه الصلح فامتنع وصار امر البلد
شورى بين القايد شناف وابن شعيب ويحيى بن خلدون ومسعود بن جبار وابي بكر
ابن شريح ويرجعون في امرهم اخرا الى الشيخ ابي فارس بن ابي حفص واقاموا في هذا الحصار
سنتين ونازلهم ابن الاحمر في جملة الطاغية وبعث اليهم الامير ابو زكريا بالمدد
وجهز له الاسطول لنظر ابي الربيع ابن الغز بعز الى تلمساني واوعز له الى سبتة بتجهيز
اسطولهم معه فوصل الى الوادي اشبيلية وغلبهم اسطول الطاغية على المرسى فرجع
واستولى العدو عليها صلحا سنة ست واربعين بعد ان اعانهم بن الاحمر بمدده
وميرته وقدوم الطاغية على اهل الجبن بها عبد الحق بن ابي محمد البياسي من آل عبد المؤمن
والامر لله

الخبر عن بيعة اهل سبتة وطنجة وقصر ابن
عبد الكريم وتصاريف احوالهم ومآل امورهم

كان اهل سبتة بعد اقلاع المامون عنهم ونزول اخيه موسى عنها لابن هود قد
انتقضوا واخرجوا عنهم الغشتيني والي ابن هود وقدموا عليهم اليانشتي وسمي
بالموفق ثم رجعوا الى طاعة الرشيد عندما بايعه اهل اشبيلية سنة خمس وثلاثين
وانتقضوا على اليانشتي وابنه وادخلوا السيد ابا العباس بن السيد ابي سعيد
كان نزواليا بعمارة فولوه عليهم ثم عقد الرشيد على ديوان سبتة لابي علي بن خلاص
كان من اهل بلنسية واتصل بخدمة الرشيد فحلي فيها ودفعه الى الاعمال فضبطها نزلاه
سبتة فاستقل بها وولي على طنجة يوسف بن الامير قايد على الرجل الاندلسي وضبطها لنفسه
تولاه سبتة فاستقل بها حتى اذا هلك الرشيد سنة اربعين وقد استفحل امر الامير ابي
زكريا بافريقية واستولى على تلمسان وبايعه الكثير من امصار الاندلس نظر ابن خلاص
وجهه اليه وكان قد اقتنى الاموال واصطنع الرجال فدخل في دعوته وبعث الوفد ببيعته
واقتدى به في ذلك نصر بن عبد الكريم فبعثوا ببيعتهم للامير ابي زكريا وعقد لابن خلاص
على سبتة وما اليها فبعث بالهدية اليه في اسطول انشاه لذلك سماه الميمون واركب ابنه ابا
القاسم فيه وافدا على السلطان ومعه الاديب ابراهيم بن سهل فغرق عند اقلاعه ولما رجع

الاسطول من اشبيلية كما قدمناه على بقية هذا العطب وحزن ابي علي بن خلاص على ابنه
رغب من قايد ابي الربيع بن الغز بعز ان يحمله بجملته الى الحضرة فانتقل باهله واحتمل ذخيرته
ولما مر الاسطول بمرسى وهران نزل بساحلها فارتاح واحضر له تين فاكله فاصابه
مغص في معاه هلك منه فجاة سنة ست واربعين وعقد السلطان على سبتة لابي يحيى
ابن ابي زكريا بن عمه ابي يحيى الشهيد بن الشيخ ابي حفص وبعث معه على الجباية ابا عمر بن
ابي خالد الاشبيلي كان صديقا لشناف وعدوا لابن الجد ولما قتل شناف لحق بالحضرة
فولاه الامير ابو زكريا اشغال سبتة واستمرت الحال الى ان كان من استبداد العزفي
بسبتة على ما نذكره

الخبر عن بيعة المرية

لما هلك محمد بن هود بالمرية سنة خمس وثلاثين كما ذكرناه واستبد وزيره ابو عبد
الله محمد بن الرميمي بها وضبطها لنفسه وضايقه ابن الاحمر فبعث ببيعته سنة اربعين
الى الامير ابي زكريا حين اخذ اهل شرق الاندلس بطاعته ولم يزل ابن الاحمر يحاصره الى ان
تغلب عليه سنة   كما ذكرناه في اخباره وخرج منها الى سبتة باهله وذخيرته
واحله ابو علي بن خلاص محل البر والتكرمة وانزله بخارج المدينة في بساتين بنيونش
واجمع الثورة بابن خلاص فنكر به ونفيره له فلما رجع الاسطول من اشبيلية ركبه بن
الرميمي ولحق بتونس فنزل على الامير ابي زكريا وحل من حضرته محل التكرمة واستوطن
تونس وتملك بها الضياع والقرى وشيد القصور الى ان هلك سنة
والبقاء لله وحده

الخبر عن بيعة ابن الاحمر

كان محمد بن الاحمر قد ابتزى على ابن هود ببلده ارجونه وتملك جيان وقرطبة واشبيلية
وعرب الاندلس وطالت فتنته مع ابن هود وراجع طاعته ثم انتقض عليه وبايع للرشيد
سنة ست وثلاثين عندما بايعه اهل اشبيلية وسبتة فلم يزل على ذلك الى ان هلك
الرشيد على حين استفحال ملك الامير ابي زكريا بافريقية وتاميله للنصرة والكرة فحول
ابن الاحمر اليه الدعوة واوفد بها ابا بكر بن عياش من مشيخة مالقة فرجعهم الامير
ابو زكريا بالاموال المنفقات الجهادية ولم يزل يواصله بهم من بعد ذلك الى ان هلك
لسنة سبع واربعين فاطلق ابن الاحمر نفسه من عقال الطاعة واستبد بسلطانه

الخبر عن بيعة سجلماسة وانتقاضها

كان عبد الله بن زكريا الهزرجي من مشيخة الموحدين واليا بسجلماسة لبني عبد المؤمن
ولما هلك الرشيد وبويع اخوه السعيد سنة اربعين وبمت اليه عن الهزرجي عظيمة من
القول خشي بها صدره وبعث اليه مستعتبا فلم يعتبه ومزق كتابه فخشيه الهزرجي
على نفسه واتصل به ما كان من استيلاء الامير ابي زكريا على تلمسان ونواحيها فخاطبه
بطاعته واوخذ عليه ببيعته فعقد له الامير ابو زكريا على سجلماسة واعمالها وفوض اليه

في امرها ووعده بالمدد من المال والعسكر لحمايتها وخطب له عبد الله بسجلماسة
وفر اليه من مراكش ابو زيد الكدميوي بن واكاك وابو سعيد العود الرطب فلحقا بتونس
واقام ابو زيد معه بسجلماسة وزحف اليه السعيد سنة احدى واربعين وقيل سنة
اربعين ومن معسكره كان مغراو لبيك المشيخة وخاطب السعيد اهل سجلماسة وداخلهم
ابو زيد الكدميوي فغدروا بالهزرجي وثاروا به فخرج من سجلماسة واسلموها وقام
بامرها ابو زيد الكدميوي وطير بالخبر الى السعيد فشكر له فعلته وغفر له سالفته
وتقبض على عبد الله الهزرجي بعض الاعراب وامكن منه السعيد فقتله وبعث براسه الى
سجلماسة فنصب بها ورجع من طريقه الى مراكش واقامت سجلماسة على دعوة بني
عبد المومن الى ان كان من خبرها ما نذكره في موضعه

الخبر عن بيعة مكناسة وما تقدمها من
طاعة بني مرين

كان بين بني عبد الواد وبين بني مرين منذ اوليتهم وتقلبهم في القفار فتن وحروب
ولكل منهما احلاف في المناصرة واشياع فلما املت دولة بني عبد المومن غلب كل
منهما على موطنه وكانت السابقة في ذلك لبني عبد الواد لبعدهم عن حضرة مراكش
حيث محشر العساكر ويعسوب القبايل ولما استبد الامير ابو زكريا بافريقية ودوخ
المغرب الاوسط وافتتح تلمسان واطاعه بنو عبد الواد خشي بنو مرين غايلته
وخافوا ان يظاهرهم الامير ابو زكريا عليهم فالانوا له في القول والطفوه على البعد
بالطاعة وخاطبوه بالتمويل واوعبوا له حق الخلافة ووعدوه ان يكونوا انصارا
لدعوته واعوانا في امره ومقدمة في عسكره الى مراكش وزحفه وحملوا من تحت ايديهم
من قبايل المغرب وامصاره على طاعته والاعتصام ببيعته ولم تزل المخاطبات
بينهم وبين الامير ابي زكريا في ذلك من اميرهم عثمان بن عبد الحق واخيه محمد من بعده
ودسليهم فنفذ اليه بن الشرع بخط اخوي الى ان هلك الرشيد وقد استولى الامير
ابو زكريا على تلمسان ودخل في دعوته قبايل زناتة بالمغرب الاوسط واستشرف اهل
الامصار من العدوتين الى ايالته وكان اهل مكناسة قد اعتصموا ابو صولة الامير
ابي يحيى بن عبد الحق وحاميتهم والمرمى مراكش واساء فيهم السيرة فوثبوا به وقتلوه
وقتلوه وبعثوا الى الامير ابي يحيى بن عبد الحق فحملهم على بيعة الامير ابي زكريا
فانفذوها من انشاء قاضيهم ابي المطرف بن عميرة سنة ثلاث واربعين وضمن ابو
يحيى بن عبد الحق حمايتهم خلالا لما يأتيهم امر السلطان من تونس ومدده وبلغ الخبر
الى السعيد فارهف حده واعتزم على النهوض اليهم فخالطهم الرعب وراجعوا الطاعة
واوفدوا صلحاءهم وعلماءهم في الاقالة واغتنام الجزية فتقبل ذلك الى ان كان من
حركته بعد ذلك ومهلكه ما هو معروف

الخبر عن مهلك الامير ابي يحيى زكريا ولي العهد بمكان امارته من بجاية

وتصيير

وتصيير العهد الى اخيه محمد

كان الامير ابو زكريا عقد لابنه ابي يحيى زكريا على ثغر بجاية قاعدة ملك بني حماد
وجعل اليه النظر في سائر اعمالها من الجزاير وقسنطينة وبونة والزاب سنة ثلاث
وثلاثين كما ذكرناه فاستقل بذلك وكان بمكان من الترشيح للخلافة بنفسه وجلاله
وانتظامه في سلك اهل العلم والدين وايناس العدل فولاه ابو زكريا عهده سنة
ثمان وثلاثين واحضر الملا لذلك واشهدهم في كتابه واوعز بذكره في الخطبة على
المنابر مع ذكره وكتب اليه بالوصية التي تداولها الناس من كلامه وفصها
اعلم سددك الله وارشدك وهداك لما يرضيه واسعدك وجعلك محمود السيرة
مامون السريرة ان اول ما يجب على من استرعاه الله في خلقه وجعله مسولا عن رعيته
في جل امرهم ودقه ان يقدم رضى الله عز وجل وعلا في كل امر يحاوله وان يكل امره
وحوله وقوته لله ويكون عمله وسعيه وذبه عن المسلمين وحربه وجهاده للمومنين
بعد التوكل عليه والبراة من الحول والقوة اليه ومتى فجاك امر معضل او ورد عليك
نبا امر مهم فريض لبثك وسكن جاشك وارع عواقب امر تاتيه وحاول له قبل ان ترد عليه
ونقسيه ولا تقدم اقدام الجاهل ولا تحجم احجام الاخرق المتكاسل واعلم ان الامر اذا ضاق
مجاله وقصر عن مقاومته رجاله فمفتاحه الصبر والحزامة والاخذ مع عقلاء الجيش
ورؤسايهم وذوي التجارب منهم بآرايهم ثم الاقدام عليه والتوكل على الله فيما لديه
والاحسان للكبير حسبك وصغيرهم كبير على قدره والصغير على قدره ولا تلحق الحقير
بالكبير فيجرئ الحقير على نفسك وتغلطه في نفسه وتفسد نية الكبير ويؤوم عليك
فيكون احسانك اليه مفسدا في كلا الوجهين وتضييع احسانك وتشتت نفوس
من معك واتخذ كبيرهم ابا وصغيرهم ابنا واخفض لهم جناح الذل من الرحمة وشاورهم
في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين واتخذ لنفسك صنيعة م
وذا انك حميمة وحزامة ورأي ولا تسمع اقوال الغالطين والمغالطين فانك اعظم
الناس قدرا واكرمهم بذلا واحسنهم سيرة واجملهم صبرا فذلك غرور وبهتان وزور
واعلم ان من تواضع لله رفعه الله وعليك بتفقد رعيتك والبحث عن عمالهم
والسوال عن سير قضاتهم فيهم ولا تنم عن مصالحهم ولا تسامح احدا فيهم ومهما دعيت
الى كشف ملمة فاكشفها عنهم ولا تراع فيهم كبيرا ولا صغيرا اذا عدل عن الحق ولا تراع في
فاجر ولا متصرف الا ولا ذمة ولا تقتصر على شخص واحد في جميع مسايل الرعية ولا
تقف عند مراده في احوالهم واتخذ لنفسك ثقاة صادقين مصدقين لهم في جانب الله
اوفر نصيب وفي رفع مسايل الخلق اليك اسرع مجيب وليكن سوالك لهم افرادا فانك
متى اقتصرت على شخص واحد في نقله ونصيحته حمله الهوى على الميل ودعته الحمية
الى تجنب الحق وترك قول الصدق واذا رفع اليك احد مظلمة وانت على طريق فادعه
اليك وسله حتى يوضح قصته لك وجاوبه جواب مشفق مصغ الى قوله مستمع الى
نازلته ونقله فمتى اصاخ لك الكبير تانيس وللسياسة والرياسة في نفوس الخاصة
والعامة والجمهور اعظم تاسيس واعلم ان دماء المسلمين واموالهم حرام على كل مومن

بالله واليوم الاخر الا بحق اوجبه الكتاب والسنة وعضدته الاقاويل الشرعية
والحجة او في معتقد عائث في طرقات المسلمين واموالهم جار على غيه في فساد صلاحهم
واحوالهم فليس الا السيف فان غبار وقعه لهذه الادمغة الفاسدة دواء ولا تغتر عن حسو
على النعم عاجز عن السعي فان اقالته تحمله على القول والقول يحمله على الفعل ووبال
عمله عائد عليك فاحسم داءه قبل انتشاره وتدارك امره قبل اظهاره واجعل الموت
نصب عينيك ولا تغتر بالدنيا وان كانت في يديك فانك لا تنقلب الى ربك الا بما قدمته
من عمل صالح ومتجر في مرضاته رابح واعلم ان الايثار اربح المكاسب وانجح المطالب
والقناعة مال لا ينفد وقد قال لبعض المفسرين في قوله عز من قائل وتركنا عليه
انه الثناء الحسن في الدنيا على ما خلد فيها من الاعمال المشكورة والفعلات الصالحة
المذكورة فيكفيك من دنياك ثوب تلبسه وفرس تذب به عن عبادك وارجو انك
متى جعلت وصيتي هذه نصب عينيك لم تعدم من ربك فتحا يسيرا على يديك ونا
ملازما لا يبرح عنك الا اليك بمن الله وحوله وطوله والله يجعلك ممن سمع فوعى
والى داعي الرشد اذ دعى انه على كل شي قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل تمت الوصية المباركة
فعظم ترشيح الامير ابي زكرياء لذلك وعلا في الدعوة كعبه وقوي عند الكافة
تاميله وهو بحاله من النظر في العلم والجنوح الى الدين الى ان هلك سنة ست
واربعين فاسى له السلطان واحتفل الشعراء في رثايه وتابينه فكانوا يثيرون
بذلك شجو السلطان ويبعثون حزنه وعقد العهد من بعده لاخيه ابي عبد الله
محمد بحضور الملاء واشراف الخاصة كتابهم بذلك في السجل الى ان كان من خلافته
ما نذكر بعد

الخبر عن مهلك السلطان ابي زكريا وما كان عقبه من الاحداث

كان السلطان ابو زكرياء قد خرج من تونس الى جهة قسنطينة للاشراف على احوالها
ووصل الى باغاية فعرض العساكر بها ووافته هنالك الدواودة وشيخهم موسى بن
محمد وكان منه اضطراب في الطاعة فاستقام واصاب السلطان هنالك المرض فرجع
الى قسنطينة ثم ابل من مرضه ورحل منها الى بونة فراجعه المرض ولما نزل بظاهر بونة
اشتد به مرضه وهلك لسبع بقين من جمادي الاخرة سنة سبع واربعين لثنتين
وعشرين سنة من ولايته ودفن بجامع بونة ثم نقل شلوه بعد ذلك الى قسنطينة
سنة ست وستين بين يدي حصار النصارى تونس وبويع اثر مهلكه ابنه وولي
عهده ابو عبد الله محمد كما نذكره وطار خبر مهلكه في الافاق فانتقض كثير من اهل
الناحية ونبذوا الدعوة الحفصية وعطل ابن الاحمر منابره من الدعوة الحفصية
وتمسك بها يغمراسن بن زيان صاحب المغرب الاوسط فلم يزل واليها حينا من الدهر
الى ان انقطعت في حصار تلمسان كما نذكره ولما بلغ الخبر بمهلكه الى سبتة وكان
بها ابو يحيى بن الشهيد من قبل الامير ابي زكرياء كما نذكره وابو عمرو بن ابي خالد

والقايد شقاف فثارت العامة وقتل ابن ابي خالد وشقاف وطردوا ابن الشهيد فلحق بتونس
وتولى كبر هذه الثورة حجبون الرنداحي بمداخلة ابي القاسم العزفي واتفق الملا على
ولاية العزفي وحولوا الدعوة للمرتضى وذلك سنة سبع واربعين وتبعهم اهل طنجة في
الدعوة واستبد بها ابن الامين وهو يوسف بن محمد بن عبد الله بن احمد الهمداني وكان
واليا عليها من قبل علي بن خلاص فلما صار الامر للعزفي والقايد حجبون الرنداحي خالفهم
الى الدعوة الحفصية واستبد عليهم وخطب للعباسي واشترط لنفسه منعة في
الدعا الى ان قتله بنو مرين غدرا كما نذكره وانتقل بنوه الى تونس ومعهم صهرهم القاضي
ابو الغنم عبد الرحمن بن يعقوب من جالية شاطبة انتقل هو وقومه الى طنجة ايام
الجلاء فنزلوا بها واصهر اليهم بنو الامين وارتحلوا معهم الى تونس وعرف دين القاضي
ابي القاسم وفضله ومعرفته بالاحكام والوثايق واستعمل في خطة القضاء بالحضرة
ايام السلطان وكان له فيها ذكر ولما بلغ الخبر بمهلك الامير ابي زكريا الى صقلية
ايضا وكان المسلمون بها في مدينة بلرم قد عقد لهم السلطان مع صاحب الجزيرة
على الاشتراك في البلد والضاحية فتماسكوا حتى اذا بلغهم مهلك السلطان بادر
النصارى الى العيث فيهم فلجؤا الى الحصون والاوعار ونصبوا عليهم ثايرا من بني عبس
وحاصرهم طاغية صقلية بمعقلهم من الجبل واحاط بهم حتى استنزلهم فاجازهم
البحر الى عدوته وانزلهم لوجارة من عمايرها ثم تعدى الى جزيرة مالطة فاخرج المسلمين
الذين كانوا بها والحقهم باخوانهم واستولى الطاغية على صقلية وجزايرها ومحا منها
كلمة الاسلام بكلمة كفره والله غالب على امره

الخبر عن بيعة السلطان ابي عبد الله المستنصر وما كان في ايامه من الحوادث

لما هلك الامير ابو زكريا بظاهر بونة سنة سبع واربعين كما قدمناه اجتمع الناس
على ابنه الامير ابي عبد الله واخذ له البيعة عمه محمد اللحياني على الخاصة وساير اهل
المعسكر وارتحل الى تونس فدخل الحضرة ثالث رجب من سنته فجدد بيعته يوم وصوله
وتلقب المستنصر بالله ثم جدد البيعة بعد حين واختار لوضع علامته الحمد لله والشكر
لله وقام باعباء ملكه وتقبض على خاصة ابيه الخصي كافور وكان قهرمان داره فاشخصه
الى المهدية واوعز الى الجهات باخذ البيعة على اهل العمالات فتواردت من كل جانب
واستوزر ابا عبد الله بن ابي مهدي واستعمل على القضاء ابا زيد التوزري وكان يعلم
ولد عمه محمد اللحياني الثاير عليه كما نذكره

الخبر عن ثورة ابن عمه محمد اللحياني ومقتله ومقتل ابيه

كان للامير ابي زكريا من الاخوة اثنان محمد وكان اسن منه ويعرف باللحياني لطول لحيته
والاخر ابو ابراهيم وكان بينهم من المخالصة والمصافاة ما لا يعبر عنه ولما هلك

الامير ابو زكريا وقام بالامر ابنه ابو عبد الله المستنصر واستوزر محمد بن ابي مهدي الهنتاتي وكان عظيما في قومه فامل ان يستبد عليه لمكان صغره اذ كان في سن العشرين ونحوها واستصعب عليه حجر السلطان بما كان له من الموالي المعلوجي والصنائع من بيوت الاندلس فقد كان ابوه اصطنع منهم رجالا ورتب جندا كثروا الموحدين وزاحموهم في مراكزهم من الدولة فداخل ابن مهدي واخوي السلطان وبعث عندهما الاسف على ما فاتهما من الامر فلم يجد عندهما املا من ذلك فرجع الى ابن محمد اللحياني فاجابه الى ذلك وبايعه ابن ابي مهدي سرا وعرف المظاهرة ونمى الخبر بذلك الى السلطان من عمه محمد اللحياني حذرا من غائلة ابنه وابلغه ذلك ايضا القاضي ابو زيد التوزري منتصحا وباكر ابن ابي مهدي مقعده للوزارة بباب السلطان لعشرين من جمادى سنة ثمان واربعين ونقبض على الوزير ابي زيد بن جامع وخرج ومشيخة الموحدين معه فبايعوا لابن محمد اللحياني بداره واستركب السلطان اولياءه وعقد للقايد ظافر على حربهم فخرج في الجند والاوليا ولقي الموحدين خارج البلد ففض جمعهم وقتل ابن ابي مهدي وابن وازكلدن وسار ظافر على جوهم فخرج في الجند والاولياء مولى السلطان الى دار اللحياني عم السلطان فقتله وابنه صاحب البيعة وحمل روسهما الى السلطان وقتل في طريقه اخاه ابا ابراهيم وابنه وانتهبت منازل الموحدين وحربت ثم سكنت الهيعة وهدات الثايرة وعطف السلطان على الجند والاولياء واهل الاصطناع فادر ارزاقهم ووصل تفقدهم واعاد عبد الله بن ابي الحسين الى مكانه بعد ان كان هم اول الدولة بزحزح لابن ابي مهدي عن رتبته هو وتقبضه لاستطالته فرجع الى حاله واستقامت الامور على ذلك ثم سعى عند السلطان بمولاه ظافر ونحوا عنده ما اتاه من الافتيات في قتل عمه من غير جرم ونذر به فخشي البادرة ولحق بالدواودة وكان المتولي لكبر هذه السعاية هلال مولاه فعقد له مكانه واستقر ظافر في جوار العرب طريدا الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن الاثار التي اظهرها السلطان في ايا

فمنها شروعه في اختطاط المصانع الملوكية واولها المصيد بناحية بنزرت اتخذه للصيد سنة خمس فادار سياجا على بسيط من الارض قد خرج نطاقه عن التحديد بحيث لا يرتاع فيه سرب الوحش فاذا ركب للصيد تخطى ذلك السياج الى قوره في ثلة من مواليه المتخصصين واصحاب بيزرته بما معهم من الجوارح بزاة وصقورا وكلابا سلوقية وفهودا فيرسلونها على الوحش في تلك القوراء وقد ولعوا باعتراص اصلا لبنائها من امامه فيقتنص وطرا من ذلك القنص سائر يومه فكان ذلك من افخم ما عمل في مثلها ثم وصل ما بين قصوره ورياض راس الطابية بحائطين ممتدين يجوز ان عرض العشرة اذرع او نحوها طريقا سالكا ما بينهما وعلى ارتفاع عشرة اذرع يحتجب به الحرم في خروجهن الى تلك البساتين عن ان تقع العيون عليهن فكان ذلك مصنعا فخما واثرا على ايام الدولة خالدا ثم بنى بعد ذلك الصرح العالي بفناء داره ويعرف بالقبة اساراك واساراك باللسان المصمودي هو القوراء الفسيحة وهذا الصرح هو ايوان مرتفع السمك متباعد الاقطار

متسع الارجا يشرع الى الغرب وجانبيه ثلاثة ابواب لكل باب منها مصراعان من الخشب مولف الصنعة ينوء كل مصراع منها في فتحه وغلقه بالعصبة اولي القوة ويفضي بابها الاعظم المقابل لسمت المغرب الى معارج قد نصبت للظهور عليها عريضة ما بين الجوف الى القبلة بعرض الايوان يناهز عددها الخمسين او نحوها ويفضي البابان على جانبيه الى طريقين ينتهيان الى حائط القوراء ثم ينعطفان الى ساحة القوراء يجلس السلطان فيها على اريكته مقابل الداخل ايام العرض والوفود ومشاهد الاعياد مفاخرة من افخم الاواوين واحفل المصانع التي تشهد باهبة الملك وجلالة الدولة واتخذ ايضا خارج حضرته البستان الطاير الذكر المعروف بابي فهر يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات اغترس فيها من شجر كل فاكهة من اصناف التين والزيتون والرمان والنخل والاعناب وساير الفواكه واصناف الشجر ونضد كل صنف منها في دوحه حتى لقد اغترس من السدر والطلح والشجر البري وسمى دوح هذه بالشعراء واتخذ وسطها البساتين والرياضات بالمصانع والحدايق وشجر النور والزهر من الليم والنارنج والسرو والريحان وشجر الياسمين والخيري والنيلوفر وامثاله وجعل وسط هذه الرياض روضا فسيح الساحة وصنع فيه للماء حايرا من عداد البحور جلب اليه الماء في القناة القديمة كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجنة تسلك بطن الارض في الاماكن وتركب البناء العادي ذا الهياكل الماثلة والقسي القايمة على الارجل الضخمة في اخرى فعطف هذه القناة من اقرب السموت الى هذا البستان واسطها لحايطا وصل ما بينهما حتى ينبعث من فوهة عظيمة الى جب عميق المهوي رصيف البنا متباعد الاقطار مرتفع الفنا مجلل بالكلس الى ان يجمعه الماء فيرسله في قناة اخرى قريبة الغاية فينبعث في الصهريج الى ان يغمر حوضه وتضطرب امواجه وترفه الخطايا عن السعي بشاطيه لبعد مداه فيركبن في الجواري المنشات بلجة فيتنادين بهن تباري الفتح ومثلت بطرفي هذا الصهريج قبتان متقابلتان كبرى وصغرى على اعمدة المرمر مشيدة جوانبها بالرخام المنجد وكرمت سقفها من الخشب المقدر بالصنايع المحكمة والاشكال المنمقة الى ما اشتملت عليه هذه الرياض من المقاصير والاواوين والحواير والقصور غرفا من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وتانق في مبانيه هذه واستبلغ وعدل من مصانع سلفه وربا عنهم الى منتزهاته من هذه فبلغ فيها الغاية في الاحتفال وطار لها ذكر في الافاق

الخبر عن فرار اخيه ابي اسحاق وبيعة رياح له

وما قارن ذلك من الاحداث

كان الامير ابو اسحاق في ايالة اخيه المستنصر وكان يعاني من خلقه وملكته عليه شدة وكان السلطان يخافه على امره وخرج سنة احدى وخمسين لبعض الوجوه السلطانية ففر الامير ابو اسحاق من معسكره ولحق بالدواودة من رياح فبايعوه بروايا من نواحي نقاوس واجتمعوا على امره وبايع له ظافر مولى ابيه النازع اليهم

واعتقد منها القلعة والدتية وقصدوا بسكرة وحاصروها ونادي بشعار طاعتهم فضل
ابن علي بن الحسن بن مزني من مشيختها وانتمى به الملا ليقتلوه ففر الى المقصورة في جملته
ثم بايع له اهل بسكرة ودخلوا في طاعته ثم ارتحلوا الى قابس فنازلوها واجتمعت
عليه الاعراب من كل اوب واهم السلطان شانه وتقبض على ولده فحبسهم بالقصبة جميعا
وكان بهم من يحوطهم والطف ابن ابي الحسين في اشخاص سير الامير ابا اسحاق ومولاه
ظافر بتحذير الفتاه الى اخيه بالحضرة تنصحا فبعث به الى اخيهما فتنكر لظافر وفارقه ولحق
الى المغرب ثم لحق بالاندلس وافترق جموع الامير ابي اسحاق فلحق بتلمسان واجاز
منها الى الاندلس ونزل على السلطان بن الاحمر فرعا له عهد ابيه واسنى له الجراية
وشهد هنالك الوقائع وابلى في الجهاد ولم يزل السلطان المستنصر يتحف ابن الاحمر
ويهاديه ويوفر عليه مشيخة الموحدين مصانعة في شان اخيه واستخلاصه الحاله الى
ان هلك وكان من ولاية اخيه ابي اسحاق ما نذكره ولحين مهلكه اجاز ظافر من الاندلس
الى بجاية واوفد ولده على الواثق مستعتبا وراغبا في السبيل الى الحج وتلقى المستولي
على الدولة بمكانه وراسل شيخ الموحدين ابا هلال عياد بن محمد الهنتاتي صاحب بجاية
في اعتياله على فضله فذهب دمه هدرا وبقي ولده عند بني توجين حتى جاوا في جملة
السلطان ابي اسحاق وبيد الله تصاريف الامور

الخبر عن بني النعمان ونكبتهم والخروج

اثرها الى الزاب

كان بنو النعمان هولاء من مشيخة هنتاتة ورؤسائهم وكان لهم في دولة الامير
ابي زكريا ظهور ومكان وخلصت ولاية قسنطينة لهم يستعملون عليها من
قرابتهم واتصل لهم ذلك اول دولة المستنصر وكان كبيرهم ابو علي وتلوه ميمون
وعبد الواحد وكان لهم في مداخلة اللحياني اثر فلما استوسق للسلطان امره وتمهدت
دولته نكبهم وتقبض عليهم سنة احدى وخمسين فاشخص ابا علي الى الاسكندرية
وقتل ميمون وانقرض امرهم وظهر اثر ذلك بالزاب خارج تسمى بابي حمارة فخرج
السلطان من تونس وقصده بالزاب فاوقع به وبجموعه وتقبض عليه وسيق الى
السلطان فقتله وبعث براسه الى تونس فنصب بها وقفل السلطان الى مقره
نزل بها وسخط وجوها من سليم بن مرداس ودباب كان فيهم رحاب بن محمود
وابنه فاعتقلهم واشخصهم الى المهدية واودعهم بمطبقها ورجع الى تونس ظافرا غانما

الخبر عن دعوة مكة ودخول اهلها

في الدعوة الحفصية

كان صاحب مكة ومتولي امرها من سادة الخلق وشرفائهم ولد فاطمة ثم من ولد ابنها

الحسن

الحسن صلوات الله عليهم اجمعين ابو نمي واخوه ادريس وكانا قائمين بالدعوة العباسية
منذ تحولها اليهم بمصر والشام والحجاز صلاح الدين يوسف ابن ايوب الكردي وامر
الموسم وولايته راجعة اليهم والى بنيه ومواليه من بعده الى هذا العهد وجرت
بينهم وبين الشريف صاحب مكة مغاضبة واتفق استيلاء الططر على بغداد ومحوهم
رسم الخلافة بها وظهور الدعوة الحفصية بافريقية وتاميل اهل الافاق فيها وامتداد
الايدي اليها بالطاعة وكان ابو محمد بن سبعين الصوفي نزيلا بمكة لعهدئذ دخل من بلده
مرسية الى تونس وكان حافظا للعلوم الشرعية والعقلية وسالكا مرتاضا بزعمه
على طريقة الصوفية ويتكلم بمذاهب غريبة منها ويقول براي الوحدة كما ذكرناه
في ذكر المتصوفة الغلاة ويزعم بالتصرف في الاكوان على الجملة فاستهدف في عصره ورمي
بالكفر والفسوق في كلماته واعلن بالنكير عليه والمطالبة له شيخ المتكلمين باشبيلية
ثم بتونس ابو بكر بن خليل السكوني فتشمر له المشيخة من اهل الفتيا وحملة العلم
وسخطوا احاله وخشي ان تاسره التبعات فلحق بالمشرق ونزل مكة وتذمم بجوار
الحرم الامين ووصل يده بالشريف صاحبها فلما اجمع الشريف امره على البيعة
للمستنصر صاحب افريقية داخله في ذلك عبد الحق بن سبعين وحرضه عليه
وابلي رسالة ببيعتهم وكتبها بخطه تنويها بذكره عند السلطان والخلق وتاميلا
للكرة ونصها بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على الاسوة المختار سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا
عزيزا هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله
جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما هذا النوع من الفتح اعني الحسي
هو من كل الجهات داخل الذهن وخارجه وهو الذي خصت به مكة وهو اعظم فتح
في رقي ايام الدهر والزمان المفرد منه خير من ايام الشهر وبه تتم النعمة ويستقيم
صراط الهداية ويحفظ النهاية ويفرد نوب البداية ويحصل النصر العزيز ونور
السكينة ويتمكن قواعد مكة والمدينة وكلمة الله عاملة في الموجودات بحسب قسمة
الزمان ثم لا ابتدال انها متوقفة على شي ولا في مكان دون مكان وهذا الفتح
قد كان بالقصد الاول والقدر الاكمل المتبوع الذي افاد الكمال الثاني كالسبع المثاني
فانه من الاسوة صلى الله عليه وسلم وكل نعمة تظهر على سعيد ترجع اليه مثل التي ظهرت
على خليفته وعلى يديه وان كانت نصبه مولاه صلى الله عليه وسلم ورسالته تقتضي
ختم الانبيا بهذا القران الذي غني فيه واما منافيه هو ختم الاوليا فمن فتح عليه
بفتح مكة تمت له النعمة ورفعت له الدرجة ووضعت عليه الرحمة ومن وصل سلطانه اليها
فقد هدي الى الرشد والى صراطه ورجح ميزان ترجيحه على اقرانه وارهاطه ومن حرم
هذا فقد حرم ذلك والامر هكذا وسنة الله كذلك وصلى الله على رسوله الذي
اطلع المجد من مدينته بعد ما اطلعه من بلده ورضي الله عن خليفته المنتخب من عنصر
الخليفة عمر صاحب بيته ثم من عمر صاحبه ووليه والحمد لله على نعمه بسم الله
الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة

مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من
ربك انه هو السميع العليم قد صح ان هذه الليلة فيها تنزل الايات وتزينت
البينات وفيها تخصيص القضايا الممكنة واحكام الاكوان ويفرق الامر ونفس الملك
الموكل بقبض الارواح بجمل الاجال في الازمان وفيها تقرر خطة الامامة والملك
وتقتضى الامانة بالهلك وهي في القول الاظهر في افضل الشهور وفي السابع والعشرين
منه كما ورد في الحديث المشهور ثم هي في ام القرى وفي حرمها تقدر بعشر زوايد ويعم
فضلها الا الحايد عن العابد وانما قلت هذا ورسمته ليعلم من يقف على ه
الخطبة التي اقتضيتها والليلة التي فيها قراتها انها من افضل المطالب المقصدة
وان القراين التي اجتمعت فيها ولهذا ادت على الفضايل التي لاجلها صدرت وايضا
تاخرتها عن امام عن امام وتقدم بعد امامه وراء امام هو وراء الامام ورحمت فيها
نفس خليفة عبرت وتلفت وعظمت فيها ذات خليفة حي التي سلفت فهذه
نخبة مبركة ينبغي ان يعز رحدها ويتحقق نجدها ولا يعتد رفق رهانها ليلة قدر
ليلة قدرها والحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على واحد الله في
عناية سيدنا محمد طسم تلك ايات الكتاب المبين الى قوله منهم ما كانوا يحذرون
الحق الشاهد لنفسه المتحقق من جميع جهاته وفي سنة الله التي لا تحول ولا تبدل
والمتعارف من عادته التي ربطها بحكمته التي تعدل ولا تعدل ان لكل هداية نبوية
ضلالة فرعونية وكذا الخالقي اولويا ومع كل مصيبة فرح ولا يسلس الامر في الشتا
ولكل ظالم متجبر مترقا متكبر وعند ظهور ظفر المبطل يظهر قصد الحق المفضل
وفي عقب كل فترة اوفيها كلمة قايم حق يغلب ولا يغلب وفي كل دور او قرن امامة
تطلب بشخصها ولا تطلب وكواكب الكفر اذا طلعت على افق الايمان فيه تكبر افلها
وكلمة الله اذا عورضت تكن معارضها نافله وانما ذكرت ذلك بعد الذكر المحفوظ
ليتذكر بالايات الظاهرة الى الايات القاهرة وليعلم كل مومن ان كلمة الله مستقبله
الاستصحاب والسبب وعاملة في الاشياء مع الازمان والحقب وان رجال الملة ه
الحنيفية اعلى المنازل والرتب ولذلك نقول في نوع فرعون الاذل ونوع موسى الاجل
اشخاصها متعددة والوانها مختلفة والله غالب على امره وقد قيل ان الملة الحنيفية
المغربية تنصرها الشريعة العربية المحمدية المستنصرية ولعل الذي اقام الدين واظهره
من المشرق واتلعه منه بجيرة من المغرب ولا ينقله عنه فينبغي لمن امن بالله ه
وملايكته وكتبه ورسله وبما يجب كما يجب ان لا يتغير فصله ولا يتوقف عند سماع
المهلكات حرى نفد وتندت اقدام قوم بنزلة الشرك وحملهم الضجر الى الهلاك بطاعة
الترك وكم كيد المكبود هلك كنعاله وكل بصر بصيرته ولبس لهم ثوب الذل بالعرض
وجعل مصيبة الدين تقنيته مع جحود لسلطان السنة والفرض واما ماهان المرتدين
نقدمهم بالمومنين وعلا فرعون الشر في الارض والله على المستضعفين في الارض
بنصر من عنده ويهلك المفسدين بجند من رفده وينبغي او يجب ان يحزب عن ذكر
كاينة مدينة الاسلام فانها تزلزل الطبع وتحمل الروح الى ساحة الشام او تفزع
في صلاة كسوف شمس سرورها الى التسليم بالاستسلام ويكبر اربع تكبيرات على

الاندلس

الاندلس ويودع بعد رعد وسلام وينتظر فناه بقيام امر محيي الدين والاسلام ه
والحمد لله على كل حال بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من اعجزت حصا له
العد والحد مسلم والطبقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في اخر امتي
خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عدا وقال صلى الله عليه وسلم يكون في اخر الزمان
خليفة يقسم المال ولا يعده زاد ابو العباس الهمداني واشار بيده الى الغرب وذكر
بهاء الدين التبريزي في ملحمته التي زعم انه لا يثبت فيها من الاخبار الا ما صحت روايته
ولا يذكر من الاحكام المنسوبة الى الصنايع العلمية الا ما ابرزته درايته ولا يحيد من
الاعلام الدينية الا ما ادركته هدايته قال في الترجمة الاولى اذا اخرجت نار الحجاز
يقتل خليفة الحجاز بغداد ويستقيم امر ملك المغرب وينبسط كلمته في الاقطار ويخطب
له على منابر خلفاء بني العباس ويكثر الدر بالمعبر من بلاد الهند ذكرت هذه ليعلم لمن
ابره الله انه هو المشار اليه وانه الذي يعول في اصلاح ما فسد عول الله عليه
ومن تامل قوله صلى الله عليه وسلم يكون في اخر الزمان الحديث تبين له ما اردناه وذلك
يظهر من وجوه فيها ان الخليفة المذكور لم يسمح به فيما تقدم ولا ذكر في الدول
الماضية ولو ذكر لرددنا القول به واهملناه لاجل تعيينه باخر الزمان والثاني
ان اخر الزمان الذي يراد به ظهور الشروط المتوسطة واكثر العلامات المنذرة
بالساعة هو هذا بعينه والثالث ان الخليفة لاهل الملة في وقتنا هذا غير الذي
قصدناه وهذه اقطار الملة منحصرة ومعلومة لنا من كل الجهات والذي يشاركه
في الاسم ويقاسمه في اطلاقه فقط لا يصدق عليه اذ هو اضعف من ذكر ه
ومن نملة في رملة وانفس من نقد طالب السراب ويدعي مع هذا السر من التراب فصح
بالسبر والتقسيم وبتصفح الموجودات والازمان والدول والمراتب والنعوت
انه لا شريك له فيها والصحيح كذلك كله والذي يصدق وينطبق عليه ملول
الحديث كرمه الذي يعجز عنه الحد ولا يوقف فيه الحد وهذه الخليفة الملة كذلك
وهذه دلايله في اوضح من نار على علم وهذه حصا له شاهدة له بفضايل
السيف والقلم وهذه خزاينه تغلب الطالب وتعجز عن المدافع وهذه سعوده
في صعود وهذه متاجر تقويله على الله رابحة وهذه احواله بالكلية صالحة
وهذه سعايته ناجحة ثم هذه موازين ترجيحه راجحة والحمد لله كما يجب وما
النصر الا من عنده وصلى الله على عبده محمد بن عبد الله انه من بكة وانه للحق وانه
بسم الله الرحمن الرحيم وانه الى حصر لا يحصى الحصر ويعد دفنها الندر ويحافظ
على سنة الروف الرحيم صلى الله عليه وسلم اما بعد فيهدد اسم افتتحه الحمد
لله الذي احسن بتمام الاحسان وتمم النعمة وبين لمن تبين علم البيان واحكم
لمن احكم الحكمة وسبقت في صفات افعاله صفة الرحمة وذكر الهداية في كتابه بعد
ذكر النعمة هو الروف بالبرية وهو الرحيم والحفي بالحقيقة وهو القايم الماضي
المشية الذي يبتغي ويبسط ويمضي المشيئة سهد له بالكمال الممكن الذي ابرزه
وخصصه وعرفه بالجلال من يسر لذلك وخلصه هو الذي استعمل عليهما امر اختاره
لاقامة النافلة والفرض واعمى من اهلها من توسل اليه بنية الفرض واعتق

العقاب وسرا العقاب واهمل العقاب بطاعة من استغمر به الربع المعمود والنعم
علي المستضعفين في الارض بايام بحر المجد في بحر حضنا له بعد بعض البعض سنته
محمدية وسيرته بكرية وسريرته علوية وسلالته عمرية فيفدن ذرية وانواع
مجد بعضها من بعض بل هذه حظوظ توصل الطرف فيها مثل العوض عرف بالرياسة
العالية ووصف بالنفاسة اساليه وشهد له بذلك الخاص والعام ونزه من ه
النقايص المنزيه للنفس ومن ترهه في سلطانه علمه العام وصلى الله على الاسوة
الروف بالمومنين سيدنا محمد الذي انزل عليه التنزيل وكتب اسمه في صحيح
القصص والنصوص ونبي الله به وبايمة امته الذين شبههم بالبنيان المرصوص
وعلى اله وصحبه الكرام البررة الذين اصطفاهم وطهرهم ثم ايدهم فطهروا الارض
من الكفرة الفجرة واخرج من ظهورهم ذريتهم بالدين اظهرهم وليسر لهم السبيل
ثم السبيل يسرهم ومنهم الخليفة المستنجد بالله المفضل على الناس ولكن
الكرام ورضي الله عنهم وعنه وضاعف للمحب الثواب الداد ر منهم منه وبعد
حزمه يتقدم فيها بعد الحمد والتصلية الدعا للدعوة الدالة على قبول الدعوة ه
اصلية محبية بعضها ملكية وكلها ملكوتية وروضة وجهها حضرة القدس ونشرها
يدرك فيه صحبة النفث روح القدس وتكبر عن ان تشبه بالعنبر والمندل الورد
وازهار الربا والرياض لان المفارق للمادة مفارق لغير المفارق فلها مفارقة
السواد للبياض ثم هي مع هذا او لجبة العضد عذبة الورد بذكرها الذكي
يعرفها الذكي لهذا كانت جنة الخلد والنعيم وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون
وتدرك النفس النفيسة لذة النعيم لانها ناظرة طيبة وكريمة صبيبة وواقفة
على حضرة الملك والسلطان ومدار فلك النسك ومستقر الامامة والجلالة
ومعقل الهداية والدلالة واصل الاصالة ودار المفاخر وبيت العدالة
وحرب البينة والشاهنا الاعظم محلي الموحدين على الملحدين وقاسم الدين
وقسيمه ومقر الاسلام ومعقده القايم بدعوة العامة لعبد ابيه امام المجد
والعزم ثم الامة الذي اذا عزم اوهم بتقسيص مهمل الخد في خلد ما هو
بالفعل مع ماهو بالقوة وان يعرض له في طريق اعراضه الممكن العسير يسره
سعده وساعده ساعد القوة وان سمع بالجهد في جملة حديه بخاصة خصاله
بعد مجد الابوة وفخر البنوة لا يذكر معه ولا عنده صعبا الامور الا بالضد فانه
مظهر العناية الالاهية ومراة الجد والجد هو علم العلم ثم هو محل الحلم اسمه
متوحد في مدلوله كالاسم العلم وعمدة لا تتوقف على اللسان ولا على رسوم
القلم كتب في السماء وسمع به في الكرسي وكذلك العرش وما هنا انما هو مما هنالك
فهو الاعلى وان كان في الفرش هو شامخ القدر ظاهر الفضل شديد البطش ثم
هو مما ظهر عليه علم ان الشجاعة لم ينتقل من الانسان الى الاسد ولا ينتقل هذا
بحر العالم فينتقل من الطبيعة الى بحر الخالق لان ذلك كله فيه بوجه اكمل وبه وعليه
ومن يديه بنوع افضل بلغ ذروة النهاية المخصوصة بالمطالب العالية وحصل في
الزمان العزيز ما حصله العزيز في الايام الخالية وبالغ في تبليغ حده بصفاته وما

بلغ

بلغ الاسد عمره ونال غاية الانسان ويتعجب منه في القيامة عمره ويسرع امره
طلعت سعوده على مولده ومطالعه كلمة محده لاحكام الفلك وطالعه ادخر د
المولد فيه وفهم شانه قبل سموه فوق الاطلس والكوكب وان قيس سعده ه
بالكمالات الثلاثة كان كالمستطاع المركب اين غاية نطلب بعد طاعته واين
تجارة نطمع بضاعته له الحمد وبيده الملك والامانة بل له الكل بفضل الله
وفيه المقصد والسلامة لا بل له المنح المبين وتتميم النعمة والهداية ونور
السكينة وفيه الاشارة والعلامة منزلة بازاء بيت نكه خطب بخطبته والذي
ذهب بالمدينة نطلب فلعله لسمعه في خطبته امر السر نظر اذا سمعت بذكره
والمهندات البتر نلبس لباس شاعله ويقول طباع اربابها بشكره دولة التوحيد
توحدت له اذ هو واحدها الاوحد وسياسة الشريعة تحكمت له فهو مديرها
ومدبرها الارشد ومع هذا كتابته اهملت صيت الصادين وكورت شمس الفتح
ثم الفتح والصادين وكذلك الثلاثة الذين من قبلهم لا يذكر معه الاديب
حبيب في رد الاعجاز على الصدور فانه الذي يعتبر في ذلك والذي يصدر عنه
هو وانعم في الصدور وانغل في طباع المهرة وفي نفوس الصدور يتاخر عن
شعره شعر الرجلي وبعده بذكر الطبقة ثم شعر الحد والجنب والحبلي والولد
بعده والهدلي والموكد هو تقدمه في المغرب من ذلك والهذلي علوم الادب
الخمسة تممها وسادسها وسابعها زاده من عند نفسه وخليل النحو لو حضر
عنده كان خليله في تحصيل نوعه وجنسه والفارسي تلميذه ثم الاخر بعده ه
والاخفش الكبير ثم الصغير ما ضرب لهم من قبل في مثله بنصيب وامام ايمة
النحو نحو نحوه نحو بنحوه نحو نحوه ثم لا يكون كالمصيب وكل كوفي بل كل بصري
عجب الظهور اذا سمع به اختفى والمنصف منهم هو الذي ينحو الكفي اقتسمه
الايمة الثلاثة هذبها وحصلها واصوله كما يجب علمها وفصلها والمسايل
الطبولية تكلم على معضلها ومجملها وسهل الصعب من مخصصها ومهملها
وان فسر كتاب الله المعجز عجز ارباب البلاغة باعجاز بعد اعجازه وان تعرض
لعوارض الفاظه اظهر العجب في اختصاره واعجازه وان شرع في شرح قصصه
وجدله وفي تفسير ترغيبه وترهيبه ومثله يبصر الناظر فيه والمستمع
لما لم يسمع وما لم يبصر فانه سلك تقدم كماله وتكميله على فطرة بعد لم تعبر
وبقطر الزعم به وبتحصيله الى تجديد فطرة اخرى وبعد هذا ينتقل في بيانه
اليه في الاولى والى الله في الاخرى وان تكلم على متشابهه ومحكمه علم الاصطلا ح
ثم بيان النوع المخبر به ومحكمه وكذلك القول على الناسخ والمنسوخ والوعد
والوعيد وان تناطو في مطولاتهم واختصر من مختصراتهم فيبدع الزيادة ه
وضد المزيد واما تحريره ونمنمه واسرار ورد فاتحه وفواتح سوره ولطايفه
وحقايقه والذي يقال انه لامس حبس الذي يكتسب والذي هو اعظم من الذي
يرد واليه الاحوال تنتسب فهو الشارح لها والمخبر بها وان تكلم وينوع في
ذلك ويزيد على الاول وان تكرر واما علوم الحديث وانواعها السبعة فهو

يعلمها وصناعة بجملتها للعلما معلما والوراقة والضبط والخط وقعت عليه همته عنايتها وحمله الامر علوم الشريعة كلها عرفها ووعاها ورعاها حق رعايتها وكل العلوم العقلية والنقلية ورحالها على ذهنه الطاهر من دنس النسيان والمقامات السنية والمستنزلات العلوية ادركها بعد البيان فمن اراد ان يمدحه ويعدل عن اطلاق القول فقد اقترف اعظم الذنب ومن ذكره ولم يتلذذ بذلك فقد جاء بما ينضج حمله الجنب نعوت جمالها يمنع عن ادراكها نور المقبل وحضرة خلاله محفوظة بحدها وحدها وقاطعها المنفصل ذلك فضل الله يوتيه من يشاء قل اللهم مالك الملك الله اعلم حيث يجعل رسالاته هذه كلها اياته والرائعة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فانها هبات ان حدث المحدث بكرمه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في اخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده ونصر الله اذا جاء لا يرده وفتحه من ذا الذي عن السعيد يطرده والمورخ يتذكر بتذكره الكلمات الهذلي في حسب المطالب اذ قال وقد سيل عن الامام علي بن ابي طالب هو الامام وفيه اربعة وهو واحدها حتى في رفع التشبيه وقطع السبب العلم والحلم والشجاعة وفضل الحسب يسر بحكمته ويغتبط بها متى تتبع جملته الباحث الحكيم ولا يشعر بشعره اذا انطفى لغوته الشاعر العليم ويخشى طبعه في الحين والوقت والجزه ويخرج الحروف من مخارج الهمزه

سهدت لقد اوتيت جامع فضله ۞ وانت على علمي بذاك شهيد
ولو طلبت في الغيب منك سجية ۞ لعذر موجود وعز وجود

ادام الله له المجد الذي يسلك به التجدين وحفظ عليه مقامه الذي لا يحتقر فيه الا جوهرا النقدين وبسط له في العلم والقدرة وبارك له في نصيب النصرة وحجبه به العسرة ورد به على الشرك والفتن الكره وعرفه في كل ما يعتز منه صنعا جميعا ولطفا خفيا جليلا وكفاه الشر المحض وخير الشر من كما كشف له عن الخير المحض وعلم السر وايده بروح منه في السر والسريرة وحفظه في حركاته وسكناته من الصغيرة والكبيرة وجعل كلمته عالية غالبة للصمد والجند وبلغ صيته الجزاير والبربر ثم الى السند والهند وخلد ملكه وسلم ملكه ورفعه على اوج المجد بجده الطويل العريض واهبط عدوه من الشرف الاعلى الى الحضيض وفتح الله به باب الفتح في المشرق والمغرب بعد فتح الثغور وشرح بنصره وفتحه اوساط الصدور وما استنبطته الضمائر من نفثات الصدور وجبر به كسر الظفر ووصل به ما انقطع من الاسباب وعصم جذع من ضد الدنف الانف وردهم الى ردم الابواب وقدس كلمته بعد الحرمين في البيت المقدس وسلك به مسالك السبل في المقيل والمعرس وبعد هذا فهذه ادعيتنا بل هذه اوديتنا وهذه مسايلنا بل هذه وسايلنا وهذه تحية حياها ذو الفطرة السليمة وهذه خدمة ينفجر بها طبيعة لتمنى العليمه انشئت فيها الكتابه واستنشئت فيها الجواب والموجب لاصدادها

محبة

محبة امدها ثابت وفرعها في العلى وحفر عليها حافزان شوق قديم ورعاية الاخرى والاولى بل الامر الذي هو في خير الامور من اوسطها واذا انتظم في عقد الاسباب الموجبة لهذه المخاطبة يكون في وسطها فانه يحكي احكام الشان والقصة ويعلم المقام ابرم الله الذي حصل له في حرم الله وحرم نبيه من النصيب والحصة وفيه ينبغي ان تذهب الالفاظ وتلحظ عيون الاغراض وينفع المقاصد ويحمل على جواهر الحالات كالاعراض فمن ذلك ذكر الملة التي كملت وكبرت والاخرى التي كانت ثم غرت وصغرت والمنبر الذي صعد خطب خطبته على الخشب وعرج الى سماء السمو وسمو على درجه والاخرى الذي درج عنه خطيبه وضاق صدره الا مرحرجه وقرنت سور الامام يعرف المستنجد المستنصر لا يعرف المستعصم المستنصر وبسط القول واطلق ترجمة عبد الله بعد ما قبضته الذي امات واحيا وقبض على مقامه ودفع للامام محمد بن يحيى وكان ذلك في يوم وصول الخبر بمصيبة الاخبار ثم في ليلة الايات والاعتبار ومن ذلك ايضا نغمة الحمد والدعاء انتظاهر القول والمقول في الحرم الشريف والانقياد الذي ظهر على طاية الحق والسيد والشريف ومن ذلك صعود علم الاعلام على جبل معظم الحج ومعروف وقوف الحاج ووقف به المتكلم في مقام من كانت له سقاية الحاج وذكر كما يجب في موقف الامام مالك وعرف هنالك انه الامام والمالك لكل ما لك وتعرفت نكره دعوة التوحيد بتخصيص خصوصية المخصوص بعرفه وتعارف بها من تعارف معه هنالك ونعم التعارف والمعرفة ثم ذكر عند المشعر الحرام وفي جهات حدود المسجد الحرام وعظم اسمه بعد ذكر الله وذكر الوالدين وطلع الذكر بالتركيب الى الجدين الساكنين في الخلد والخالدين فاوصل الحجيج الى عقبات الجمرات ذكره مع السبع الاولى سبع مرات وكذلك عند الركوع في مسجد الخيف وكل كلمات بتحميد بالكم والكيف وعند التوجه من هنالك ويوم النفر فزدت اياته المذكورة في كتاب الجفر ثم جدد الذكر حول البيت العتيق بالجهر والشكر فلما وصل العلم بانتقال بيت الملك والسلطان من بغداد في شهر رمضان اظهر الخفي المكنون فكان ذلك مع التسبيح والقران وكان الخادم في الزمان الاول وفي الذاهب ينتظر الخطبة من نحو عراق العرب والان وجد نفسها من نحو اليمن اقليم الاعراب والعرب والذي حمل على هذا كله طاعة كاملة وغبطة عاملة والله تعالى بفضله يعصمه من كيد المعاند فانه في اظهار دعوة التوحيد كالمجاهد والمكابر ومعاد التحية على المقام الارفع والمقر الانفع وعلى خدام حضرته العليه وارباب دعوته الجليه وانواع رحمة تعالى وبركاته والحمد لله كما يجب وصلى الله على نبيه محمد واله وسلم كتب تجاه الكعبة المعظمة في الجانب الغربي من الحرم الشريف والحمد لله رب العالمين ولما وصلت هذه البيعة استحضر لها السلطان الملا والكافة وقرئت بمجمعهم وقام خطيبهم القاضي ابن البراء في ذلك المحفل فاستحضر في تعظيمها والاشادة بحسن موقعها واظهار رفعة السلطان ودولته بطاعة اهل البيت والحرم ودخولهم في دعوته ثم جاز بالدعاء للسلطان وانفض الجمع فكان من الايام المشهودة في الدولة والحمد لله رب العالمين

الخبر عن الوفود من بني مرين والسودان وغيرهم

كان بنو مرين كما قدمناه قد تمسكوا بطاعة الامير ابي زكريا ودخلوا في الدعوة الحفصية وحملوا عليها من تحت ايديهم من الرعايا من اهل مكناسة وتازي والقصر وخاطبوا السلطان بالتمويل والخضوع ولما هلك السلطان وولي ابنه المستنصر وقارن ذلك ولاية المرتضى بمراكش ثم كان بينهم وبين المرتضى من الفتنة والحرب ما ذكرناه ونذكره فانفصل ذلك بينهم وبعث الامير ابو يحيى بن عبد الحق ببيعة اهل فاس واوفد بها مشيخة بني مرين على السلطان وذلك سنة ثنتين وخمسين فكان لها موقع من السلطان والدولة وقابلهم من الكرامة كل على قدره وانصرفوا محبوين الى مرسلهم ولما هلك ابو يحيى بن عبد الحق واستقل اخوه يعقوب بالامر اوفد اليه ثانية رسله وهديته وطلب الاعانة من السلطان على المرتضى وامر مراكش على ان يقيموا بها الدعوة له عند فتحها ولم يزل دابهم هذا الى ان كان الفتح وفي سنة خمس وخمسين وصلت هدية ملك كانم من ملوك السودان وهو صاحب برنو مواطنه قبلة طرابلس وكان فيها الزرافة وهي الحيوان الغريب الخلق المتنافر الحلى والشيات فكان لها بتونس مشهد عظيم برز اليها الجفلى من اهل البلد حتى غص بهم الفضاء وطال اعجابهم بشكل هذا الحيوان وتباين نعوته واخذها من كل حيوان بشبه وفي سنة ثمان وخمسين وصل دون الرنك اخو ملك قشتالة مغاضبا لاخيه ووفد على السلطان بتونس فتلقاه من المبرة والحباء بما تلقى به كرائم القوم وعظماء الملوك ونزل من دولته باعز مكان تتابع هذه الوافدات بما اشاد بذكر الدولة ورفع من قدرها

الخبر عن مقتل ابن الابار وسياقة اوليته

كان هذا الحافظ ابو عبد الله بن الابار من مشيخة اهل بلنسية وكان علامة في الحديث ولسان العرب وبليغا في الترسيل والشعر وكتب عن السيد ابي عبد الله بن ابي حفص بن عبد المومن ببلنسية ثم عن ابنه السيد ابي زيد ثم دخل معه دار الحرب حين نزع الى دين النصرانية ورجع عنه قبل ان ياخذ به ثم كتب عن ابن مردنيش ولما دلف الطاغية الى بلنسية ونازلها بعث زيان بوفد بلنسية وبيعتهم الى الامير ابي زكريا وكان فيهم ابن الابار هذا الحافظ فحضر مجلس السلطان وانشد قصيدته على روي السين يستصرخه فبادر السلطان باغاثتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدوهم في هوة الحصار الى ان تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار باهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته في صدور رسائله ومكتوباته فكتبها مدة ثم ان السلطان

اراد

اراد صرفها لابي العباس الغساني لما كان يحسن كتابتها بالخط المشرقي وكان اثر عنده من الخط المغربي فسخط ابن الابار انفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان في وضعها في كتاب امر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه وان يبقى مكان العلامة منه لواضعها فجاهر بالرد ووضعها استبدادا وانفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وانشد متمثلا

اطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود

فنمي ذلك الى السلطان فامر بلزومه بيته ثم استعتب السلطان بتاليف رفعه اليه عد فيه من عوتب من الكتاب واعتب وسماه اعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر له السلطان واقال عثرته واعاده الى الكتابة ولما هلك الامير ابو زكريا رفعه المستنصر الى حضور مجلسه مع الطبقة الذين كانوا يحضرونه من اهل الاندلس واهل تونس وكان في ابن الابار انفة وبأو وضيق خلق فكان يزري على المستنصر في مباحثه ويستقصر في مداركه فحنق له صدره مع ما كان يسخط به السلطان من تفضيل الاندلس وولايتها عليه وكانت لابن ابي الحسين فيه سعاية لحقد قديم سببه ان ابن الابار لما قدم في الاسطول من بلنسية نزل ببنزرت وخاطب ابن ابي الحسين يعرض رسالته ووصف اباه في عنوان مكتوبه بالمرحوم ونبه على ذلك فاستضحك وقال ان ابا لا يعرف حياته من موته لاب خامل ونمت الى ابن ابي الحسين فاسرها في نفسه ونصب له الى ان حمل السلطان على اشخاصه الى بجاية ثم رضي عنه واستقدمه ورجعه الى مكانه من المجلس وعاد هو الى مساءة السلطان بنزغاته الى ان جرى في بعض الايام ذكر مولد الواثق وسال عنه السلطان فاستبهم فعدا عليه ابن الابار بتاريخ الولادة وطالعها فاتهموه بتوقع المكروه للدولة والتربص بها كما كان اعداؤه يشنعون عليه لما كان ينظر في النجوم فتقبض عليه وبعث السلطان الى داره فرفعت اليه كتبه اجمع والفي اثناءها فيما زعموا رقعة بابيات اولها

طغى بتونس خلف سموه ظلما خليفه

فاستشاط لها السلطان وامر بامتحانه ثم بقتله فقتل قعصا بالرماح وسط محرم من سنة ثمان وخمسين ثم احرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه واوراق سماعه ودواوينه واحرقت معه

الخبر عن مقتل اللياني واوليته وتصاريفه

اصل هذا الرجل من لليانة قرية من قرى المهدية مضمومة اللام الاولى مكسورة الثانية وكان ابوه عاملا بالمهدية وبها نشا ابنه ابو العباس وكان ينتحل القراءة والكتاب حتى حذق في علوم اللسان وتفقه على ابي زكريا البرقي ثم طالع مذاهب الفلاسفة ثم صار الى طلب المعاش من الامارة فولي اعمال الجباية ثم صودر في ولايته على مال اعطاه وتخلص من نكبته فنهض في الولايات حتى شارك كل عامل في عمله بما اظهر من كفايته وتنميته للاموال حتى قصر بهم وادال منهم وكان الكثير منهم متعلقا بابي الحسين رئيس الدولة لقديم خدمه فاسفه بذلك واغرى به بطانة السلطان ومواليه حتى سعوا

به عند السلطان وانه يروم الثورة بالمهدية حتى حبس له باطن السلطان فدخل عليه ذات يوم ابو العباس الغسانى فاستجاز السلطان فى قوله   اليوم يوم المطر   فقال الغسانى   ويوم رفع الضرر   فتنبه السلطان واستزاده فانشد   والعام عام تسعة   كمثل عام الجوهري   فكانت اغراء بالمليانى فامر ان يتقبض عليه وعلى عدوه ابن العطار وكان عاملا وامر ابا زيد بن يحمود بامتحانهما فعذبهما حتى استصفى اموالهما الميل فى ذلك عن المليانى وكان فى ايام امتحانه ياكرم مع عمله ثم نمى عليه انه يروم الفرار الى صقلية وبوحث بعض من داخله فى ذلك فاقر عليه بدفع الى هلال كبير الموالى من المعلوجين فضربه الى ان قتله ورمى شلوه الى نبعثوا به وقطعوا راسه ثم تتبع اقاربه وذووه والنكال الى ان استنفذو

الخبر عن انتقاض ابى على المليانى بمليانة على

يد الامير ابى حفص

كان المغرب الاوسط من تلمسان واعمالها الى بجاية فى طاعة السلطان منذ تغلب ابوه الامير ابو زكريا عليه وفتح تلمسان واطاعه يغمراسن وكان بين زنانة فى تلك الجهات فتن وحروب شأن البداوة والبعاث وكانت مليانة من قسمة مغراوة بنى وزديسفان وكانوا اهل بادية وتتقلص ظل الدولة عن تلك الجهات بعض الشئ وكان ابو العباس المليانى من مشيخة مليانة صاحب فقه ورواية وسمت ودين رحل اليه الاعلام واخذ عنه العلماء وانتهت اليه رياسة الشورى ببلده ونشأ ابنه ابو على خلوا من الخلال منها التى الى الرياسة متبعا غواية الشبيبة فلما راى تقلص ظل الدولة وفتن مغراوة مع يغمراسن ومزاحمته لهم حدثته نفسه بالاستبداد فخلع طاعة آل ابى حفص ونبذ دعوتهم وانتزى بها داعيا لنفسه وبلغ الخبر الى السلطان فسرح اليها اخاه الامير ابا حفص ومعه الوزير ابو زيد بن جامع ودون الرند اخوال القبائل وطبقات الجند فخرج من تونس سنة تسع وخمسين واغذ السير الى مليانة فنازلها مدة وشد حصارها حتى افتتحها غلابا وفر ابو على المليانى ولحق ببنى يعقوب من آل العطاف احد شعوب زغبة فاجاروه واجازوه الى المغرب الاقصى الى ان كان من خبره ما نذكره بعد ودخل الامير ابو حفص مليانة ومهد نواحيها وعقد عليها   ابن منديل امير مغراوة فملكها اقيم فيها الدعوة السلطانية شأن غيرها من عمالات مغراوة وقفل الامير ابو حفص الى تونس ولقيه بطريقه كتاب السلطان بالعقد له على بجاية واما رتبها فكره ذلك غبطة بجوار السلطان وتردد فى ذلك رغبته فادال منها بالشيخ ابى هلال عياد بن سعيد الهنتاتى وعقد له على بجاية ولحق الامير ابو حفص بالحضرة الى ان كان من خلافته ما نذكره وهلك شقيقه ابو بكر بن الامير ابى زكرياء ثانية مقدمه الى تونس سنة احدى وستين فتفجع له الخليفة والقرابة والناس وشهد السلطان جنازته والبقاء لله وحده

الخبر

الخبر عن فرار ابى القاسم بن ابى زيد بن الشيخ ابى

محمد وخروجه فى رياح

كان ابو القاسم بن ابى زيد هذا فى جملة ابن عمه الخليفة وتحت جرايته وابوه ابو زيد هو القائم بالامر بعد ابيه الشيخ ابى محمد ولحق بالمغرب وجاء ابو القاسم فى جملة الامير ابى زكريا واوصى بها ابنه الى ان حدثته نفسه بالتوثب والخروج وخامره الرعب من اشاعة تناقلها الدهماء سببها ان السلطان استحدث سكة من النحاس مقدرة على قيمته من الفضة حاكى بها سكة الفلوس بالمشرق تسهيلا على الناس فى المعاملات باسواقهم وتيسيرا لاقتضاء حاجاتهم ولما كان لحق سكة الفضة من غش اليهود المتناولين لصرفها وصوغها وسمى سكته التى استحدثها بالحندوس ورسمه افسدها الناس بالتدليس وضربها اهل الريب ناقصة عن الوزن وفشا فيها الفساد واشتد السلطان فى العقوبة عليها فقطع وقتل وصادرت ديبة لمن تناولها واعلن الناس بالنكير فى شأنها ونادوا بالسلطان فى قطعها واكثر الخوض فى ذلك وتوقعت الفتنة واشيع من طريق الحدثان الذى تكلف به العامة ان الخارج الذى يثير الفتنة هو قاسم بن ابى زيد فازال السلطان تلك السكة وعفا عليها واتهم شأن ابى القاسم ابن عمه وبلغه الخبر فخامره الرعب الى ما كان يحدث نفسه من الخروج ففر من الحضرة سنة احدى وستين ولحق برياح ونزل على اميرهم شبل بن موسى بن محمد رئيس الدواودة فبايع له وقام بامره ثم بلغه اعتزام السلطان على النهوض اليه فخشى بادرته واضطرب امر العرب من قبله ولما احس القاسم باضطرابهم وخشى ان يسلموه اذا ارادهم السلطان عليها تحول عنهم ولحق بتلمسان واجاز البحر منها الى الاندلس وصحب الامير ابا اسحاق ابن عمه فى مثوى اغترابهما بالاندلس ثم ساءت افعاله وعظم استهتاره وفشا النكير عليه من الدولة فلحق بالمغرب واقام بينهم مدة ثم رجع الى تلمسان وبها مات وقام الامير ابو اسحاق بمكانه من جوار ابن الاحمر الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن خروج السلطان الى المسيلة

لما اتصل بالسلطان شأن قاسم بن عمه ابى زيد وفصاله عن رياح الى المغرب بعد عقدهم بيعته واجلابهم على البلاد معه خرج من تونس سنة اربع وستين فى عساكر الموحدين وطبقات الجند لتمهيد الوطن ومحو آثار الفساد منه وتقويم العرب على الطاعة وتنقل فى الجهات الى ان وصل بلاد رياح فدوخها ومهد ارجاء ها وفر شبل بن موسى وقومه الدواودة الى القفر واحتل السلطان بالمسيلة اخر وطن رياح ووافاه هنالك محمد بن عبد القوى امير بنى توجين من زناتة مجددا الطاعة

ومتبركا بزيارته فتلقاه من البرور بتلقى امثاله وانقلب الى اهله بالحبا والجوائز وجنب له
الجياد المقربات بالمراكب المثقلة بالذهب واللجم المحلاة وضرب له الفساطيط الفسيحة
الارجا من ثياب الكتان وجدل وجدلا لقطن الى ما يتبع ذلك من الماعون والظهر
والكراع والاسلحة واقطع له مدينة مقرة وبلد اوماش من عمل الزاب وانقلب عنه
الى وطنه ورجع السلطان الى تونس وفي نفسه رياح ضغن الى ان صرف اليهم وجه
تدبيره كما نذكره ولثانية احتلاله بالحضرة سنة خمس وستين كان مهلك مولاه هلال
ويعرف بالقائد وكانت له في الدولة مكانة بمكانه تلاد السلطان وكان شجاعا جوادا
خيرا محببا سهلا مقبلا على اهل العلم وذوي الحاجات وله في سبيل الخير اثار منقولة
طوله بها بادر نغص السلطان لمهلكه

الخبر عن مقتل مشيخة الدواودة

كان شبل بن موسى وقومه من الدواودة قد فعلوا الافاعيل في اضطراب الطاعة
ونصب من لحق بهم من اهل هذا البيت للملك فبايعوا للامير ابي اسحاق كما ذكرناه
ثم بعده لابي القاسم بن عمه ابي زيد وخرج اليهم السلطان سنة اربع وستين
ودوخ اوطانهم ولحقوا بالصحراء واتقوه على البعد بطاعة عرضه فتقبلها وطوى
لهم على البث ورجع الى تونس فاوعز الى ابي هلال عباد عامل بجاية من مشيخة
الموحدين باصطناعهم واستيلافهم لتكون وفادتهم عليه من غير عهد وجمع
السلطان احلافه من كعوب بني سليم ودباب وافاريق بني هلال وخرج من
تونس سنة ست وستين في عساكر الموحدين وطبقات الجند ووافاه بنو عساكر
ابن سلطان اخوة بني مسعود بن سلطان من الدواودة فعقد لمهدي بن عساكر
على امارة قومه وغزيهم من رياح ودفر بنو مسعود بن سلطان مصحرين والسلطان
في اثرهم حتى نزل نقاوس وعسكروا بثنايا الزاب ورسلهم تختلف الى ابي هلال
ايناسا للمراجعة على يد للدخلة السابقة فاشار عليهم بالوفادة على السلطان
وفاء بقصده من ذلك فتقبلوا اشارته ووفد اميرهم شبل بن موسى بن محمد بن مسعود
واخوه يحيى وبنو عمهما اولاد زيد بن مسعود بساع بن يحيى بن دريد وابنه وطلحة
ابن ميمون بن دريد وحداد بن مولاهم بن خنفر بن مسعود واخوه فتقبض عليهم
لحينهم وعلى دريد بن تازير من شيوخ كرفة وانتهبت اسلابهم وضربت اعناقهم
ونصبت اشلاؤهم برايا من جهات نقاوس حيث كانت بيعتهم لابي القاسم بن ابي زيد
وبعث برؤسهم الى بسكرة فنصبت بها واغذ السير غازيا الى احيائهم وحللهم بمكانها
من ثنايا الزاب وصبحوهم هنالك فاجفلوا وتركوا الظعن والكراع والابنية فامتلات
ايدي العساكر وسيد وبكس منها ونجوا بالعيال والولد على الاقتاب والعساكر في
اتباعهم الى ان اجازوا وادي شدي قبلة الزاب وهو الوادي الذي يخرج اصله من جبل
راشد قبلة المغرب الاوسط ويمر الى ناحية الشرق مجتازا بالزاب الى ان يصب في سبخة
نفزاوة من بلاد الجريد فلما اجاز قلبهم الوادي اصحروا الى المفازة المعطشة والارض

الحرة

الحرة السوداء المستحجرة المسماة بالحمادة فرجعت العساكر عنهم وانقلب السلطان من
غزاته ظافرا ظاهرا وانشده الشعراء في التهنئة ولحق فل الدواودة بملوك
زناتة فنزل بنو يحيى بن دريد على يغمراسن بن زيان وبنو محمد بن مسعود على يعقوب
ابن عبد الحق فلجاروهم واسعوهم حباء وملؤا ايديهم بالصلات ومرابطهم بالخيل
واحياءهم بالابل ورجعوا الى مواطنهم فتغلبوا على وارقلا وقصور ريغه واقتطعوها
من ايالة السلطان ثم رجعوا الى الزاب فجمع لهم عامله ابن عتو وكان
موطنا بمقره ولقيهم على جد ود ارض الزاب فهزموه واتبعوه الى قطاوه فقتلوه
عندها واستطالوا على الزاب وجبل اوراس وبلاد الحضنة الى ان اقطعتهم الدول
اياها من بعد ذلك فصارت ملكا لهم

الخبر عن طاغية الافرنجة ومنازلته تونس في اهل نصرانيته

هذه الامة المعروفة بالافرنجة وتسميتها العامة بالافرانسيس نسبة الى بلد من
امهات اعمالهم تسمى افرانسة ونسبهم الى يافث ابن نوح وهم بالعدوة الشمالية
من عدوتي هذا البحر الرومي الغربي ما بين جزيرة الاندلس وخليج القسطنطينية
مجاورون الروم من جهة الشرق والجلالقة من جانب الغرب وكانوا قد اخذوا بدين
النصرانية مع الروم ومنهم لقنوا دينها واستفحل ملكهم عند تراجع ملك الروم وجا زوا
البحر الى افريقية مع الروم فملكوها ونزلوا امصارها العظيمة مثل سبيطلة وجلولا
ومرطاجنة ومرناق وباغاية ولمبس وغيرها من الامصار وغلبوا على من كان بها من البربر
حتى اتبعوهم في دينهم واعطوهم طاعة الانقياد ثم جاء الاسلام وكان الفتح فانتزع
العرب من ايديهم ساير امصار افريقية والعدوة الشرقية والجزر البحرية مثل اقريطش
ومالطه وصقلية وميورقة وردوهم الى عدوتهم ثم اجازوا خليج طنجة وغلبوا
القوط والجلالقة والبشكنس وملكوا جزيرة الاندلس وخرجوا من ثناياها ودروبها
الى بسايط هولاء الافرنجة فدوخوها وعاثوا فيها ولم تزل الطوائف تتردد اليها
صدرا من دولة بني امية بالاندلس وكان ولاة افريقية من الاغالبة ومن قبلهم ايضا
يردون عساكر المسلمين واساطيلهم من العدوة حتى غلبوهم على الجزر البحرية ونازلوهم
في بسايط عدوتهم فلم يزل في نفوسهم من ذلك ضغاين وترامت بحاجتها الطمع في
ارتجاع ما غلبوا عليه منها وكان الروم اقرب الى سواحل الشام والطمع فيها فلما وهن
امر الروم بالقسطنطينية ورمه واستفحل ملك الافرنجة هولاء وكان ذلك على تفية
سقوط الخلافة بالمشرق فسموا حينئذ الى التغلب على معاقل الشام وثغوره وزحفوا
اليها وملكوا الكثير منها واستولوا على المسجد الاقصى وبنوا فيه الكنيسة العظمى بدل
المسجد ونازلوا مصر والقاهرة مرارا حتى اتاح الله للاسلام من صلاح الدين بن ايوب
الكردي صاحب مصر والشام في اواسط المائة السادسة جنة واقية وعذابا على اهل
الكفر منصوبا فابلى في جهادهم وارتجع ما ملكوه وطهر المسجد الاقصى من افكهم وكفرهم

وهلك على حين مهلك من الغزو ثم عاودوا الكرة ونازلوا مصر في المائة السابعة فضربوا ابنيتهم بدمياط وافتتحوها وتغلغلوا في قرى مصر وهلك الملك الصالح خلال ذلك وولي ابنه المعظم وامكنت المسلمين في الغزو فرصة ايام مفيض النيل ففتحوا الفراض وارسلوا سد الماء فاحاط بمعسكرهم وهلك منهم عالم وجيء بسلطانهم اسيرا من المعركة الى السلطان فاعتقله بالاسكندرية حتى من عليه بعد حين من الدهر واطلقه على ان يمكنوا المسلمين من دمياط ففدوا به ثم على شرط المسالمة فيما بعد فنقضه لمدة قريبة واعتزم على الحركة الى تونس متجنيا عليهم فيما زعموا بمال ادعى تجار ارضهم انهم اقرضوه للحياني فلما نكبه السلطان طالبوه بذلك المال وهو نحو ثلاثمائة الف دينار بغير موجب يستندون اليه فتقاضوه لذلك وشكوا الى طاغيتهم فامتعض لهم ورغبوه في غزو تونس لما كان فيها من المجاعة والموتان فارسل الفرنسيس طاغية الافرنج واسمه لويس بن لويس ويلقب بلغة الفرنج ريد افرنس ومعناه ملك افرنس فارسل الى ملوك النصارى يستنفرهم الى غزوها وارسل الى البابا خليفة المسيح بزعمهم فاوعز الى ملوك النصرانية بمظاهرته واطلق يده في اموال الكنائس مددا له وشاع خبر استعداد النصارى للغزو في ساير بلادهم وكان الذين اجابوه لغزو بلاد المسلمين من ملوك النصرانية ملك الانكتار وملك اسكوسنا وملك تورك وملك برسلونه واسمه ريدراكون وجماعة اخرون من ملوك الفرنج هكذا ذكر ابن الاثير واهم المسلمين بكل ثغر شانهم وامر السلطان في ساير عمله بالاستكثار من العدة وارسل في الثغور بذلك وباصلاح الاسوار واختزان الحبوب وانقبض تجار النصارى عن تعهد بلاد المسلمين واوفد السلطان رسله على الفرنسيس لاختبار حاله ومشارطته على ما يكف عزمه وحملوا ثمانين الفا من الذهب لاستتمام شرطهم فيما زعموا فاخذ المال من ايديهم واخبرهم ان غزوه الى ارضهم فلما طلبوا المال لوى عليهم بانه لم يباشر قبضه ووافق شانهم معه وصول رسول عن صاحب مصر فاحضر عند الفرنسيس واستجلس فابى وانشد قايما من قول ابن مطروح شاعر السلطان بمصر

قل للفرنسيس اذا جيته … مقال صدق من قؤول فصيح
اجرك الله على ما جرى … من قتل عباد نصارى المسيح
اتيت مصرا تبتغي ملكها … تحسب ان الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى ادهم … ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم … بسوء تدبيرك بطن الضريح
سبعون الفا لا ترى منهم … الا قتيلا او اسيرا جريح
الهمك الله الى مثلها … لعل عيسى منكم يستريح
ان يكن البابا بذا راضيا … فرب غش قد اتى من نصيح
فاتخذوه كاهنا انه … انصح من شق لكم او سطيح
وقل لهم ان ازمعوا عودة … لاخذ ثار او لفعل قبيح
دار ابن لقمان على حالها … والقيد باق والطواشي صبيح

يعني

يعني بدار لقمان موضع اعتقاله بالاسكندرية وبالطواشي صبيح الرجل الموكل كان به والطواشي في عرف اهل مصر هو الخصي فلما استكمل انشاده لم يزد ذلك الطاغية الا عتوا واستكبارا واعتذر عن نقض العهد في غزو تونس بما يسمعه عنهم من المخالفات عذرا داخلهم به وصرف ساير الرسل من سائر الافاق ليومه فوفد رسل السلطان منذرين بشانهم وجمع الطاغية حشده وركب اساطيله الى تونس اخر ذي القعدة سنة ثمان وستين فاجتمعوا بسردانية وقيل بصقلية ثم واعدهم بمرسى تونس واقلعوا ونادى السلطان في الناس بالنذير بالعدو والاستعداد له والنفير الى اثغر المراقي وبعث الشواني لاستطلاع الخبر واستبهم اياما ثم عميه فراغ ثم توافت الاساطيل بمرسى قرطاجنة وتفاوض السلطان مع اهل الشورى من الاندلس والموحدين في تخليتهم وشانهم من النزول بالساحل او صدهم عنه فاشار بعضهم بصدهم حتى تنفد ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطروا الى الاقلاع وقال اخرون اذا اقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية والعدد صبحوا بعض الثغور سواها فملكوه واستصعبت معالجتهم عليه فوافق السلطان على هذا وخلوا وشانهم من النزول فنزلوا بساحل قرطاجنة بعد ان ملئت سواحل رادس بالمرابطة من جند الاندلس والمطوعة زهاء اربعة الاف فارس لنظر محمد بن ابي الحسين رئيس الدولة ولما نزل النصارى بالساحل وكانوا زهاء ستة الاف فارس وثلاثين الفا من الراجل فيما حدثني ابي عن ابيه رحمهما الله قال وكانت اساطيلهم ثلاثمائة بين كبار وصغار وكانوا سبعة يعاسيب كان منهم الفرنسيس واخوه جرون صاحب صقلية وصاحب الجزر والعلجة زوج الطاغية وتسمى الرينة وصاحب البر الكبير ولنسميهم العامة من اهل الاخبار ملوكا ويعنون انهم متباينون اذ ظاهروا على غزو تونس وليس كذلك وانما كان ملكا واحدا وهو طاغية الفرنجة واخوته وبطارقته عد كل واحد منهم ملكا لفضل قوته وشدة باسه فانزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنة وكانت ماثلة الجدران واصطنعوا العسكر بداخلها ووصلوا ما فصله الخراب من اسوارها بالواح الخشب ونضدوا اشرافها وادارو على السور خندقا بعيد المهوى وتحصنوا وندم السلطان على اضاعة الحزم في تخريبها او دفاعهم عن نزلها واقام ملك الفرنجة وقومه متمرسين بتونس ستة اشهر والمدد ياتيه في اساطيله من البحر من صقلية والعدوة بالرجال والاسلحة والاقوات وسلك بعض المسلمين طريقا في البحيرة واستهم العرب فاصابوا غرة في العدو فظفروا وغنموا وشعروا بمكانهم فكلفوا بحراسة البحيرة وبعثوا فيها الشواني بالرماة ومنعوا الطريق اليهم وبعث السلطان في ممالكه حاشرا فوافته الامداد من كل ناحية ووصل ابو هلال صاحب بجاية وجاء جموع العرب وسدويكش ولهاصة وهوارة حتى امده صاحب المغرب من زناتة وسرح اليه محمد بن عبد القوي عسكر بني توجين لنظر ابنه زيان واخرج السلطان ابنيته وعقد لسبعة من الموحدين على سائر الجند من المرتزقة والمطوعة وهم اسماعيل ابن ابي كلداسن وعيسى بن داود ويحيى بن ابي بكر ويحيى بن صالح وابو هلال عياد صاحـ

تم

بجاية ومحمد بن ابي الحسين ومحمد بن عبو وامرهم كله راجع ليحيى بن صالح ويحيى بن ابي بكر منهم واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى وخرج الفقهاء والصلحاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بانفسهم والتزم السلطان القعود بايوانه مع بطانته واهل اختصاصه وهم الشيخ ابو سعيد المعروف بالعود الرطب ومحمد بن ابي الحسين وقاضيه ابو القاسم ابن البرا واخوا العنش واتصلت الحرب والمقاتلة منتصف محرم سنة تسع ثم المنصب تزاحف يومئذ يحيى بن صالح وجرت فمات من الفريقين خلق وهجموا على العسكر بعض العشايا وتدامر المسلمون عنده ثم تغلبوا عليه بعد ان قتل من النصارى زهاء خمسماية فاصبحت ابنيته مضروبة كما كانت وامر بالخندق على العسكر فتعاورته الايدي واحتفروه وفيه الشيخ ابو سعيد بنفسه وابتلى المسلمون بتونس وظنوا الظنون وهم السلطان بالتحول عن تونس الى القيروان ثم ان الله اهلك عدوهم واصبح ملك الفرنجة ميتا حتف انفه ويقال اصابه سهم غرب في بعض المواقف فاثبته ويقال اصابه مرض الوباء ويقال وهو بعيد ان السلطان بعث اليه مع سليمان ابن خوام الدلاجي بسيف مسموم كان فيه مهلكه ولما هلك اجتمع النصارى على ابنه دمياط سمي بذلك لميلاده بها فبايعوه واعتزموا على الاقلاع وكان امرهم تبعا الى العلجه فراسلوا المستنصر ان يبذل لهم ما خسروه في مؤنة حركتهم ويرجع بتونهما فاسعفهما السلطان لما كان العرب اعتزموا على الانصراف الى مشاتيهم وبعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح في ربيع الاول سنة تسع وستين فتولى عقده وكتابته القاضي ابن زيتون لخمسة عشر عاما وحضر ابو الحسن علي بن ابي عمرو واحمد بن الغماز وزيان بن محمد بن عبد القوي امير بني توجين واختص جرون صاحب صقلية بسلم عقده على جزيرته واقلع النصارى باساطيلهم واصابهم عاصف من الريح اشرفوا منه على العطب وهلك الكثير منهم واغرم السلطان الرعايا ما اعطى للعدو من المال فاعطوه طواعية يقال انه عشرة احمال من المال وترك النصارى بقرطاجنة تسعين منجنيقا وخاطب السلطان صاحب المغرب وملوك النواحي بالخبر ودفاعه عن المسلمين وما عقده من الصلح واوعز بتخريب قرطاجنة وان يؤتى بنيانها من القواعد فصيرها ثنايا طامسة ورجع الفرنج الى عدوتهم فكان آخر عهدهم بالظهور والاستفحال ولم يزل امرهم في تناقص وضعف الى ان افترق ملكهم عمالات واستبد صاحب صقلية لنفسه وكذا صاحب نابل وجنوه وسردانية وبقي بيت ملكهم الاقدم لهذا العهد على غاية من الفشل والوهن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الخبر عن مهلك رئيس الدولة ابي عبد الله

ابن ابي الحسين وابي سعيد العود الرطب :

اصل هذا الرجل من بني سعيد رؤساء القلعة المجاورة لغرناطة وكان كثير منهم قد استعملوا ايام الموحدين بالعدوتين وكان جده ابو الحسين سعيد صاحب الاشغال بافريقية ونشا حافده محمد هذا في كفالته ولما عزل ونقل الى المغرب هلك ببونة سنة اربع وستماية ورجع حافده محمد الى تونس والشيخ ابو محمد بن ابي حفص صاحب افريقية لذلك العهد فاعتلق بخدمة ابنه ابي زيد ولما ولي الامر بعد وفاة ابيه غلب محمد هذا على هواه ثم جاء السيد ابو علي من مراكش على افريقية وارتحل ابو زيد الى مراكش ومحمد ابن ابي الحسين في جملته الى ان هلك في حصار رهسكورة بمراكش كما قدمناه ورجع ابن الحسين الى تونس واتصل بالامير ابي زكريا الاول استبداده فغلب على هواه وكان مبخوتا في صحابة الملوك ولما استولى المستنصر اجراه على سننه برهة ثم تنكر له اثر كاينة اللحياني وعظمت سعاية اعدايه من البطانة واشاعوا امداده الخلافة لابي القاسم بن مخدومه ابي زيد بن الشيخ ابي محمد فنكبه السلطان واعتقله بداره لتسعة اشهر ثم سرحه واعاده الى مكانه وثار من اعدايه واستولى على امور السلطان الى ان هلك سنة احدى وسبعين وكان ابن عمه سعيد بن يوسف بن ابي الحسين صاحب اشغال الحضرة وكان قد اقتنى مالا جسيما ونال من الحضرة منالا وكان الرئيس ابو عبد الله متفننا في العلوم مجيدا في اللغة يقرض الشعر فيحسن ويرسل فيجيد وله من التواليف كتاب ترتيب المحكم لابن سيده على نسق الصحاح للجوهري واختاره وسماه الخاصة وكان في رياسته صليب الراي قوي الشكيمة على الهمة شديد المراقبة والحزم في الخدمة وله شعر نقل منه التجاني وغيره ومن اشهر ما نقل له من شعره يخاطب عماد ابن جابر عن الامير ابي زكريا لما خالف واتبع ابن غانية وهو على روي الراء وكان قبلها اخرى على روي الدال وكان له ولد اسمه سعيد وترقى في حياة ابيه في المراتب السلطانية ثم اعتبط دون غايته وفي ثالثة مهلكه كان مهلك الشيخ ابي سعيد عثمان بن محمد الهنتاتي المعروف بصاحب الاشغال كان قدم من المغرب ايام السعيد بجفوة نالته ولحق بسجلماسة سنة احدى واربعين وكان قد ابتزى بها عبد الله الهزرجي وبايع للامير ابي زكريا فاجازه عبد الله الى تونس ونزل على الامير ابي زكريا ونظمه في طبقات مشيخة الموحدين واهل مجلسه ثم حظي عند ابنه المستنصر بعد نكبة بني النعمان حظوة لا كفاء لها واستولى على الراي والتدبير الى ان هلك سنة ثلاث وسبعين فشيع طيب الذكر ملتحفا بالرضوان من الخاصة والكافة والله مالك الامور

الخبر عن انتقاض اهل الجزاير وفتحها

كان اهل الجزاير لما راوا انتقاض ظل الدولة عن زناتة واهل المغرب الاوسط حدثوا انفسهم بالاستبداد والقيام على امرهم وخلع ربقة الطاعة من اعناقهم فجاهروا بالخلعان وسرح السلطان اليهم العساكر سنة تسع وستين واوعز الى صاحب ثغر بجاية يومئذ ابو هلال عياد بن سعيد الهنتاتي فزحف اليها في عساكر الموحدين سنة احدى وسبعين ونازلها مدة حول وامتنعت عليه فاقلع عنها ورجع الى بجاية وهلك

بمعسكره ببني وراسنة ثلاث وسبعين ثم ان السلطان صرف عزمه الى منازلتهم سنة اربع وسبعين وسرح اليهم العساكر في البر وانفذ الاساطيل في البحر وعقد على عسكر تونس لابي الحسن بن ياسين واوعز الى عامل بجاية بانفاذ عسكر اخر فانفذه لنظر ابي العباس ابن ابي الاعلام ونهضت هذه العساكر برا وبحرا الى ان نازلتها واحاطت بها من كل جانب واشتد حصارها ثم افتتحت عنوة واستحر فيهم القتل وانتهبت المنازل وافتضت الكرائم في ابكارهن وتقبض على مشيخة اهلها فنقلوا الى تونس مصفدين واعتقلوا بالقصبة الى ان سرحهم الواثق لعهد مهلك السلطان

الخبر عن مهلك السلطان المستنصر ووصف شيء من احواله

كان السلطان بعد فتح الجزائر قد خرج من تونس للصيد وتفقد العمالات فاصابه في سفره مرض ورجع الى داره واشتدت علته وكثر الارجاف بموته وخرج يوم الاضحى سنة خمس وسبعين يتهادى بين رجلين ورجلاه لا يخطان الارض وجلس للناس في منبر مصلاه ثم دخل بيته وهلك ليلته تلك رضوان الله عليه وكان شان هذا المستنصر في ملوك ال ابي حفص عظيما وشهرته طائرة الذكر بما انفسح امد سلطانه ومدت اليه الثغور القاصية من العدو يد الاعتصام به وما اجتمع بحضرته من اعلام الناس الوافدين على ابيه وخصوصا الاندلس من شاعر مفلق وكاتب بليغ وعالم نحرير وملك اروع وشجاع اهيس متفيئين ظل ملكه ساعين في الاعتداد به لقصور معالم الخلافة شرقا وغربا على عهده وخفوت صوت الملك الا في ابوابه فقد كان الطاغية التهم قواعد الملك بشرق الاندلس وغربها فاخذت قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وبلنسية سنة ست بعدها واشبيلية سنة ست واربعين واستولى الططر على بغداد دار خلافة العرب بالمشرق وحاضرة الاسلام سنة ست وخمسين ثم انتزع بنو مرين ملك بني عبد المومن واستولوا على حضرة مراكش دار خلافة الموحدين سنة ثمان وستين فكان ذلك على عهده وعهد ابيه وهم اشد ما كانت قوة واعظم رفاهية وجباية واوفر قبيلا وعصابة واكثر عساكر وجندا فامله اهل العالم للكرة واحتلوا الى الامساك بعقوته وكانت له في الايمة والخلال امجاد وفي الحروب والفتوح اثار مشهورة وفي ايامه عظمت حضارة تونس وكثر ترف ساكنها وتانق الناس في الملابس والمراكب والمباني والماعون والابنية فاستجادوها وتناغوا في اتخاذها واتقانها الى ان بلغت غايتها ثم رجعت من بعده ادراجها والله مالك الامور

الخبر عن بيعة الواثق يحيى بن المستنصر وهو المشهور بالمخلوع وذكر احواله

لما

لما هلك السلطان المستنصر سنة خمس وسبعين كما قدمناه اجتمع الموحدون ومشا الناس على طبقاتهم الى ابنه يحيى فبايعوه ليلة مهلك ابيه وفي غدها وتلقب الواثق وافتتح امره برفع المظالم وتسريح اهل السجون وافاضة العطاء في الجند واهل الديوان واصلاح المساجد وازالة كثير من الوظائف عن الناس واسترخص السعر فاسنى جوائزهم واطلق عيسى بن داود من اعتقاله ورده الى حاله وكان المتولي لاخذ البيعة على الناس والقيام بامره سعيد بن يوسف بن ابي الحسين لمكانه من الدولة ورسوخه في الشهرة فقام بالامر ولم يزل على ذلك الى ان نكبه واداله منه بالحبير

الخبر عن نكبة ابن ابي الحسين واستبداد ابن الحبير على الدولة

هذا الرجل اسمه يحيى بن عبد الملك الغافقي وكنيته ابو الحسن اندلسي من اعمال مرسية وقدم مع الجالية من شرق الاندلس ايام استيلاء العدو وكان يحسن الكتاب ولم تكن له من الخلال سواها فتصرف في الاعمال ثم ارتقى الى خدمة ابن ابي الحسين فاستكتبه ثم رقاه الى ولاية الديوان فعظمت حاله وكانت له اثناء ذلك مداخلة للواثق بن السلطان اعتدها له سابقة فلما استوسق الامر للواثق رفع منزلته واختصه بالشورى وقلده كتاب علامته وكان سعيد ابن ابي الحسين من اجماله منافسا لما كان اسف منه تقديمه فاغرى به السلطان ورغبه في ماله فتقبض على سعيد بن ابي الحسين لستة اشهر من الدولة سنة ست وسبعين واعتقل بالقصبة وتقبض على نقله ابن ياسين وابن صياد الرجالة وغيرهم وقدم على الاستغال مدافع من الموالي المعلوجي ووكل ابو زيد بن ابي الاعلام من الموحدين على الجلاد وامتحانه ولم يزل يستخرج منه حتى ادعى الاملاق واستحلف فحلف ثم ضرب فادعى مؤتمنا من ماله عند قوم استكشفوا عنه فادوه ثم دل بعض مواليه على ذخيرة بداره دفينة فاستخرج منها زهاء ستماية الف من الدنانير فلم يقبل بعدها مقاله وبسط عليه العذاب الى ان هلك في ذي الحجة من سنته ودفن بسلوم بحيث لا يعرف مدفنه واستبد ابو الحسن الحبير على الدولة والسلطان وبعث اخاه ابو العلى واليا على بجاية واسف المشيخة والبطانة بعتوه واستبداده وما يحتشمونه من مباكرة بابه الى ان عاد وبال ذلك على الدولة كما نذكره

الخبر عن اجازة السلطان ابي اسحاق من الاندلس ودخول اهل بجاية في طاعته

كان السلطان المستنصر قد عقد على بجاية سنة ستين لابي هلال عياد بن سعيد الهنتاتي واداله به من اخيه الامير ابي حفص فاقام واليا عليها الى ان هلك ببني ورا سنة ثلاث وسبعين كما ذكرناه وعقد عليها من بعده لابنه محمد فكان له غناء في ولايته

واضطلاع بامره الى ان هلك المستنصر وولي ابنه الواثق فبادر الى اتباع طاعته وبعث وفد بجاية ببيعتهم ثم قلد ابو الحسن بن الحبير القائم بالدولة اخاه ادريس ولاية الاشغال بجاية فقام بها واقتنى الاموال وتحكم في المشيخة وانف محمد بن ابي هلال من استبداده عليه فهم ادريس بنكبته فخشي محمد بن ابي هلال بادرته وداخل بعض بطانته في قتله وفاوض الملاقية فعدوا عليه لاول ذي القعدة سنة سبع وسبعين بمنقلبه من باب السلطان فقتلوه ورموا براسه الى الغوغاء والزعانف فعبثوا به ووافق ذلك حلول السلطان ابي اسحاق بتلمسان وكان عند بلوغ الخبر اليه بمهلك اخيه المستنصر اجمع امره على الاجازة لطلب حقه بعد ما تردد برهة ثم اعتزم واجاز الى تلمسان ونزل على يغمراسن بن زيان فقام لمورده واحتفل في مبرته وفعل اهل بجاية وابن ابي هلال فعلتهم وخشوا بوادر السلطان بالحضرة فخاطبوا السلطان ابا اسحاق واتوه ببيعتهم وبعثوا وفدهم يستحثونه للملك فلحق بهم ودخل اليها آخر ذي القعدة من سنته فبايعه الموحدون والملا من اهل بجاية وقام بامره محمد بن ابي هلال ثم زحف في عساكره الى قسنطينة فنازلها وبها عبد العزيز بن عيسى بن داود فامتنعت عليه فاقلع عنها الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن رجوع الامير ابي حفص بالعساكر للقاء السلطان ابي اسحاق ثم دخوله في طاعته وخلع الواثق

لما بلغ الخبر الى الواثق ووزيره المستبد عليه ابن الحبير بدخول السلطان ابي اسحاق بجاية سرح العساكر الى حربه وعقد عليها لعمه ابي حفص واستوزر ابا زيد بن جامع فخرج من تونس واضطرب معسكره بباجة وعقد الواثق على قسنطينة لعبد العزيز بن عيسى بن داود لذمم وصهر كانت له مع ابن الحبير فتقدم الى قسنطينة ومانع عنها الامير ابا اسحاق كما ذكرناه ثم اضطرب راي ابن الحبير في خروج الامير ابي حفص واراد تنقصا من عسكره فكتب الواثق الى ابن ابي حفص ووزيره ابن جامع يغري كل واحد منهما بصاحبه فتفاوضا واتفقا على الدعاء للامير ابي اسحاق وبعثوا اليه بذلك واتصل الخبر بالواثق وهو بتونس منتبذا عن الحامية والبطانة فاستيقن ذهاب ملكه واشهد الملا واختلع عن الامر لعمه السلطان ابي اسحاق غرة ربيع الاول من سنة ثمان وسبعين وتحول عن قصور الملك بالقصبة الى دار الاقوري وانقرض دولته وامره والبقاء لله وحده

الخبر عن استيلاء السلطان ابي اسحاق على الحضرة

لما بلغ السلطان ابا اسحاق كتاب اخاه الامير ابي حفص وابن جامع من باجة بادر مغذا اليهم ثم وافاه خبر اختلاع الواثق ابن اخيه بتونس فارتحلوا جميعا وتسايل اهل الحضرة على طبقاتهم الى لقائه واتوه طاعتهم ودخل الحضرة منتصف ربيع الاخر سنة ثمان وسبعين ومحمد بن ابي هلال شيخ دولته وعقد على حجابته لابي القاسم بن الشيخ كاتب ابنه ابي الحسين وعلى خطة الاشغال لابن ابي بكر بن الحسن بن خلدون كان وفد مع ابيه الحسن على الامير ابي زكريا من اشبيلية لذمة رعاها لهم بما كانت ام ولده ام الخلائف من هدايا بني المحتسب ابو زكريا عليهم ورحل الحسن الى المشرق ومات هنالك وبقي ابنه ابو بكر بالحضرة فاستعمله الامير ابو اسحاق لاول دخوله في خطة الاشغال ولم يك يليها الا الموحدون كما قلناه وعقد لفضل بن علي بن مزني على الزاب ولم يك ايضا يليه الا الموحدون لاكن رعا لفضل بن مزني ذمة اغترابه معه الى الاندلس فعقد له على الزاب ولاخيه عبد الواحد على بلاد قسطيلية ثم تقبض على ابي الحسين وامر باعتقاله ودفعه الى موسى بن محمد بن ياسين للمصادرة والامتحان ووجد بمكان التمائم عليه طوابع وطلسمات مختلفة الاشكال والصور ليسحرهم بها فيما زعموا مخدومه فحاق به وبالها وكان شانه في الامتحان والاستخلاف والهلاك بالعذاب شان سعيد بن ابي الحسين منكوبه ايام صولته الى ان هلك شهر جمادى الاولى من سنته والله لا يظلم مثقال ذرة ولما افتقد السلطان ابو اسحاق كرسي ملكه واستوسقت عرى خلافته تقبض على محمد بن ابي هلال وقتله لحين نكبته سنة ست وسبعين لما كان يتوقع منه من المكروه في الدولة وما عرف به من المساعي في الفتنة

الخبر عن مقتل الواثق وولده

لما اختلع الواثق عن الامر وتحول الى دار الاقوري فاقام بها اياما وكان له ثلاثة من الولد اصاغر الفضل والطاهر والطيب فكانوا معه ثم نما عنه للسلطان ابي اسحاق انه يروم الثورة وانه داخل في ذلك بعض رؤساء النصارى والجند فاقلق السلطان مكان ترشيحه واعتقله بمكان اعتقال بنيه هو من القصبة ايام اخيه المستنصر ثم بعث اليهم الليلة فذبحوا جميعا شهر صفر سنة تسع وسبعين واستوسق له الامر واطلق من عنان الامارة لولده الى ان كان من شانهم ما نذكر

الخبر عن ولاية الامير ابي فارس بن السلطان ابي اسحاق على بجاية بعهد ابيه والسبب في ذلك

كان للسلطان ابي اسحاق من الابناء خمسة ابو فارس عبد العزيز وكان اكبرهم وابو محمد عبد الواحد وابو زكريا يحيى وخالد وعمر وكان السلطان المستنصر قد حبسهم عند فرار ابيهم الى رياح في ايامه ببعض حجر القصر واجرى عليهم رزقا فنشؤوا في ظل كفالته

وجميهم دذفه الي ان استولى ابوهم السلطان ابو اسحاق على الملك فطلعوا بافاقه وطالت
فروعهم في دوحه واشتملوا على العز واصطنعوا اهل السوابق من الرجال وارخى السلطان
لهم طلقهم في ذلك وكان المجلي فيها كبيرهم ابو فارس بما كان مرشحا لولاية العهد وكان
ممن اصطنعه والقى عليه رداء محبته في الناس وعنايته احمد بن ابي بكر بن سيد الناس
اليعمري واخوه ابو الحسين لسابقة رعاها لهما وذلك ان اباهما ابا بكر بن سيد الناس
كان من بيوتات اشبيلية حافظا بالحديث راوية له ظاهريا في فقهه على مذهب داود
واصحابه وكانت لاهل اشبيلية خصوصا من بين الاندلس وصلة بالامير ابي زكريا
ابن عبد الواحد بن ابي حفص وبنيه منذ ولايته عدوة الاندلس فلما تكالب الطاغية
على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها واسف الى قواعدها وامصارها
اجاز الاعلام واهل البيوت الى ارض المغربين وافريقية وكان قصدهم الى تونس
اكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها فلما راى الحافظ ابو بكر اختلال احوال
الاندلس وفتح مصايرها وخفة ساكنها اجمع الرحلة عنها الى ما كان بتونس من
سابقته عند هولاء الخلفاء فاجاز البحر ونزل بتونس فلقاه السلطان تكرمة
وجعل اليه تدريس العلم بالمدرسة عند حمام الهوا التي اسستها امه ام الخلايف
ونشا بنوه احمد وابو الحسين في جو الدولة وحجر كفالتها للاختصاص الذي
كان لابيهم بها وعدلوا عن طلب العلم الى طلب الدنيا وتشوفوا الى مراتب السلطان
واتصلوا بابناء السلطان ابي اسحاق بمكانهم من حجر النصر حيث اتخذهم عمهم بعد
مذهب ابيهم فخالطوهم واستخدموا لهم ولما استولى السلطان على الامر
ورشح ابنه ابا فارس للعهد واجراه على سنن الوزارة فاصطنع احمد بن سيد
الناس ونوه باسمه وخلع عليه لبوس كرامته واختصه بلقب حجابته واخوه ابو
الحسين بباهضه من ذلك عنده ونفس ذلك عليهما البطانة واغروا السلطان
ابا اسحاق بابنه وخوفوه شانه وان احمد بن سيد الناس داخله في التوثب
بالدولة وتولى كبر هذه السعاية عبد الوهاب بن قايد الكلاعي من علية الكتاب
ووجوههم كان يكتب العلامة يومئذ فسطا السلطان بابن سيد الناس سنة
تسع وستين اخذ بهم استدعي الى باب القصر فتعاوروه السيوف هبرا وودي
شلوه ببعض الجفر وبلغ الخبر الى الامير ابي فارس فركب الى ابيه في لبوس الحزن
فعداه ابوه عن ذلك بانه ظهر لابن سيد الناس على المكر والخديعة بالدولة
وامساط سواده بيده ونجا ابو الحسين من هذه المهلكة واعتقل في لمة من رجال
الامير ابي فارس وبطانته بعد ان توارى اياما الى ان اطلق من محبسه وكان
من امره ما نذكره بعد واستبلغ السلطان في تانيس ابنه ومسح الظغينة عن
صدره فعقد له على بجاية واعمالها وانفذه اليها اميرا مستقلا وانفذ معه في رسم
الحجابة جدي محمد ابن صاحب اشغاله ابي بكر بن الحسن بن خلدون فخرج اليها
سنة تسع وستين وقام بامرها ولم يزل اميرا بها الى اخر دولته كما نذكره

الخبر عن ثورة ابن الوزير بقسنطينة ومقتله

اسم هذا الرجل ابو بكر بن موسى بن عيسى ونسبته في كومية من بيوتات الموحدين كان
مستخدما لابن كلداسن الوالي بقسنطينة بعد ابن النعمان من مشيخة الموحدين
ايام المستنصر ووفد ابن كلداسن على الحضرة واقام ابن وزير نايبا عنه بقسنطينة
فكان له غنا وصرامة وولاه السلطان حافظا على قسنطينة واتصلت ولايته وهلك
المستنصر واضطربت الاحوال ثم ولاه الواثق ثم السلطان ابو اسحاق وكان ابن
وزير هذا طموحا جموح الامل وعلم ان قسنطينة معقل ذلك القطر وحصنه فحدثته
نفسه بالامتناع بها والاستبداد على الدولة وساء اثره في اهلها فرفعوا امرهم
الى السلطان ابي اسحاق واستعدوه فلم يعدهم لما راى من مخايل انحرافه عن الطاعة
وكتب هو بالاعتذار والنكير لما جاوا به فتقبل واغضى له عن مساته ولما سرح
الامير ابو فارس الى محل امارته من بجاية سنة تسع وسبعين قعد عن لقايه واوفد
عليه جمعا من الصلحاء بالمعاذير والاستعطاف فمنحه من ذلك كفاء مرضاته حتى
اذا ابعد الامير ابو فارس الى بجاية اعتزم على الانتزاء وكاتب ملك ارغون
في جيش من النصارى يكونون معه في ثغره يرددهم الغزو على ان يكونوا فيما زعموا
داعية له فاجابه ووعد ببعث الاسطول اليه فجاهر بالخلعان والتوى بثغر
قسنطينة داعيا لنفسه اخر سنة ثمانين وزحف اليه الامير ابو فارس من بجاية
في عساكره واحتشد الاعراب وفرسان القبايل الى ان احتل بميلة ووفد عليه
مشيخة من اهل قسنطينة بما يكون من الرغبة والتوسل بعثهم بها ابن وزير فاعرض
عنهم وصبح قسنطينة في اول ربيع سنة احدى وثمانين فنازلها وجمع الايدي
على حصارها ونصب المجانيق ورتب مقاعد الرماة وقاتلها يوما او بعض يوم وتسور
عليهم المعقل من بعض جهاته وكان المتولي لتسوره حاجبه محمد بن ابي بكر بن خلدون
واتلى ابن وزير عند الصدمة حتى احيط به وقتل هو واخوه واشياعهم ونصبت
رؤوسهم بسور البلد وتمشى الامير في سكك البلد مسكنا ومونسا وامر برم ما ثلم
من الاسوار وباصلاح القناطر ودخل الى القصر وبعث بالفتح الى ابيه بالحضرة وجاء
اسطول النصارى الى مرسى القل الى مواعدة ابن وزير فاخفق مسعاهم وارتحل
الامير ابو فارس ثالثة الفتح الى بجاية فدخلها اخر ربيع من سنته

الخبر عن قيادة ابنا السلطان العساكر الى الجهات

كان السلطان يوثر ابناه بمراتب ملكه ويوليهم خطط سلطانه شغفا بهم وترشيحا
لهم فعقد في رجب سنة احدى وثمانين لابنه الامير ابي زكريا على عسكر من الموحدين
والجند وبعثه الى قفصة للاشراف على جهاتها وضم جباياتها فخرج اليها وقضى شانه
من حركته وانصرف الى تونس في رمضان من سنته ثم عقد لابنه الاخر ابي محمد عبد
الواحد على عسكر وانفذه الى وطن هوارة لاقتضاء مغارمهم وجباية ضرائبهم
ووزائفهم وبعث معه عبد الوهاب ابن قايد الكلاعي مباشرا لذلك وواسطة بينه
وبين الناس فانتهى الى القيروان وبلغه شان الدعي وظهوره في دباب بنواحي طرابلس

فطير بالخبر الى السلطان واقبل على شانه ثم انتشر امر الدعي وانكفا راجعا الى تونس

الخبر عن صهر السلطان مع عثمان بن يغمراسن

كان السلطان لما اجاز البحر من الاندلس لطلب ملكه ونزل على يغمراسن بن زيان بتلمسان فاحتفل لقدومه واركب الناس للقائه واتاه ببيعته على عادته مع سلفه لما علم انه احق بالامر ووعده النصرة من عدوه والموازرة على امره واصهر اليه في احدى بنات المنصور رات في ختام الخلافة بابنه عثمان لشرفها خطبها منه فاولاه الاسعاف به ولما استولى السلطان على حضرته واستبد باحوال ملكه بعث يغمراسن ابنه المكنى بابي عامر في وفد من قومه لاتمام ذلك العقد واعتمد السلطان واسعف طلبتهم واقاموا بالحضرة اياما وظهر من اقدامهم في فتن الدعي مقامات وانصرفوا بظعينتهم سنة احدى وثمانين محبوبين وابتنى بها عثمان لحين وصولها فكانت من عقايل قصورهم ومفاخر دولتهم وذكرا لهم ولقومهم اخر الايام

الخبر عن الدعي بن ابي عمارة وما وقع
من الغريب في امره

هو احمد بن مرزوق بن ابي عمارة من بيوتات بجاية الطارئين عليها من المسيلة نشا ببجاية وسيما محترفا بصناعة الخياطة غرا غمرا كان يحدث نفسه بالملك لما كان العرافون زعموا يخبرونه بذلك وكان مع غلط نزيه خطه ذلك ثم اغترب عن بلده ولحق بصحراء سجلماسة واختلط بعرب المعقل وانتمى الى اهل البيت وادعى انه الفاطمي المنتظر عند الاغمار وانه يحيل المعادن الى الذهب بالصناعة فاشتملوا عليه وعقدوا البشائر ايامها اخبرني طلحة بن مظفر من شيوخ احدى بطون المعقل انه رآه ايام ظهوره في المعقل متلبسا بتلك الدعوى حتى فضحه العجز ثم زهد وافيه لعجز مدعاه ذهب يتقلب في الارض حتى وصل الى جهات طرابلس ونزل على دباب وصحب بينهم الفتى نصيرا مولى الواثق بن المستنصر وبلغت ممولي ولما راه تبين فيه شبها من الفضل ابن مولاه فطفق يبكي ويتبل قدميه فقال له ابن ابي عمارة ما شانك فقص عليه الخبر فقال له صدقني في هذه الدعوى وانا اثارك من قاتلهم واقبل نصير على امراء العرب مناديا بالسرور بابن مولاه حتى احتمل عليهم ثم لبس بما دس الى ابن ابي عمارة من محاورات وقعت بين العرب وبين الواثق فقصها عليهم ابن ابي عمارة تصفيا للريب بامره فصدقوا واطمانوا واتوا بيعتهم واقام بامره مرغم بن صابر بن عسكر امير دباب وجمع له العرب ونازلوا طرابلس وبها ابو عبد الله محمد بن عيسى الهنتاتي ويشهر بعنق الفضة فامتنعت عليهم ورحلوا الى نجريين الموطنين بزنزور وجهاتها من

هوارة

هوارة فاوقعوا بهم ثم سار في تلك النواحي واستوفى جبايتها لماية وزوارة وزواغة واغزر نفوسه وعزيان ومغر من بطون هوارة وصنايع الزمهم اياها واستوفاها ثم زحف الى قابس فبايع له عبد الملك بن مكي في رجب سنة احدى وثمانين واعطا صفقته طواعية وفاء عن ابايه فيما طوقوه وذريعة الى الاستقلال الذي كان يومله واعلن بخلافته ونادى في قومه واستخدم له بني كعب من سليم ورياستهم اذ ذاك في بني شيحة لعبد الرحمن بن بن شيحة فاجابوا داعيه وانثالوا الى حتى تواتت اليه بيعة اهل جربة والحامة وقرى نفزاوة ثم زحف الى توزر وبلاد قسطيلية فاطاعوه ثم رجع الى نفطة فبايع له اهلها وعظم امره وعلا صيته فجهز اليه السلطان ابو اسحاق العساكر من تونس كما نذكره

الخبر عن انتقاض عساكر السلطان
وتقويضه عن تونس

لما تفاقم امر الدعي بنواحي طرابلس ودخل الكثير من اهل الامصار في طاعته جهز السلطان عساكره وعقد لابنه الامير ابي زكريا على حربه فخرج من تونس ونزل القيروان واقتضى منها غرامات ووضائع استاثر منها باموال ثم ارتحل الى لقاء الدعي وانتهى الى قمودة وبلغه هنالك ما كان من استيلاء الدعي على نفطة فارجف به العسكر وانفضوا من حوله ورجع الى تونس فدخلها اخر يوم من رمضان من سنته وارتحل الدعي على اثره من نفطة واحتل بالقيروان فبايع له اهلها واقتدى بهم اهل المهدية وصفاقس وسوسة فبايعوا له وكثر الارجاف بتونس فاضطرب السلطان معسكره بظاهر البلد وسط شوال وضرب البعوث على الناس واستكثر من العدد وخرج الى معسكره بالمحمدية وتلوم بها لازاحة العلل وارتحل الدعي من القيروان زاحفا اليه فتسربت اليه طبقات الجنود ومشيخة الموحدين رضى بمكانه وصاغية الى بني المستنصر خليفتهم لطول امد الولاية عليهم ورحمة لما نال الواثق وابناءه من عمهم ثم انفض عن السلطان كبير الدولة موسى بن ياسين في معظم من الموحدين ولحق الدعي ببطانته فاختل السلطان وانتقضت عرى ملكه وفر الى بجاية كما نذكره

الخبر عن لحاق السلطان ابي اسحاق ببجاية ودخول
الدعي بن ابي عمارة الى تونس وما كان من امره

لما انفض معسكر السلطان ابي اسحاق اخر شوال من سنة احدى وثمانين ركب في خاصته وبعض جنده ذاهبا الى بجاية ومر بتونس فوقف عندها حتى احتمل اهله وولده وسار في كلب البرد فكان يعاني من قلة الاقوات وتعاور المطر والثلج سنة وكان يصانع القبائل في طريقه ببذل ما له ثم مر بقسنطينة فمنعه عاملها

عبد الله بن تومنان الهرغي بن دخولها وقرب اليه بعض القرى من الاقوات وارتحل
الى بجاية فكان من امره ما نذكره ودخل الدعي بن ابي عمارة الى الحضرة وقتل موسى
ابن ياسين وزارته وابا القاسم احمد بن الشيخ حجابته وتقبض على صاحب الاشغال
ابي بكر بن الحسن بن خلدون فاستصفاه وصادره على مال امتحنه عليه ثم قتله خنقا
وصرف خطة الجباية الى عبد الملك بن مكي رئيس قابس واستكمل القاب الملك
وتسمى الخطط بين رجال الدولة وصرف همه الى غزو بجاية

الخبر عن استبداد الامير ابي فارس بالامر

عند وصول ابيه اليه

لما وصل السلطان ابو اسحاق الى بجاية شهر ذي القعدة من سنته طريدا عن
ملكه عاطلا من حلي سلطانه انقبض عليه ابنه الامير ابو فارس ومنعه من الدخول
الى قصره فنزل بروض الرفيع واراده على الخلع فانخلع واشهد الملا من الموحدين
ومشيخة بجاية بذلك وانزله بقصر الكوكب ودعا الناس الى بيعته اخر ذي قعدة
فبايعوه وتلقب المعتمد على الله ونادى في اوليائه من رياح وسدويكش وخرج
من بجاية زاحفا الى الدعي واستخلف عليها اخاه الامير ابا زكريا وخرج معه
عمه الامير ابا حفص واخويه فكان من امرهم ما نذكره

الخبر عن زحف الامير ابي فارس للقاء الدعي ثم انهزامه امامه واستلحامه واخوته في مرماجنة

وما كان اثر ذلك من مهلك ابيهم السلطان ابي اسحاق وفرار اخيهم الامير ابي زكريا الى تلمسان

لما بلغ الخبر الى الدعي باستبداد الامير ابي فارس على ابيه واستعداده للقائه
تقبض على اهل البيت الحفصي فاعتقلهم بعد ان هم بقتلهم وخرج من تونس
في عساكره من الموحدين وطبقات الجند في صفر سنة ثنتين وثمانين فانتهى
الى مرماجنة وتراءى الجمعان ثالث ربيع الاول فاقتتلوا عامة يومهم ثم اختل مصاف
الامير ابي فارس وتخاذل انصاره فقتل في المعركة وانتهب معسكره وقتل اخوته
جميعا صبرا عبد الواحد قتله الدعي بيده وعمر وخالد ومحمد بن عبد الواحد وبعث
برؤوسهم الى تونس فطيف بها على الرماح ونصبت باسوار البلد وتخلص عمه
الامير ابو حفص من الواقعة الى ان كان من امره ما نذكره وبلغ خبر الواقعة الى بجاية
فاضطرب اهلها وماجوا بعضهم في بعض وحجبهم قاضيهم ابو محمد عبد المنعم بن

عتيق

عتيق الجزائري للحديث في السفن فتكالبوا وزجرهم ابنه فقتلوه ثم اشخصوا القاضي الى
بلده في البحر وخرج السلطان ابو اسحاق وابنه الامير ابو زكريا الى تلمسان فقدم اهل
بجاية عليهم محمد بن اسوغين فاتحفوهم بطاعة الدعي وخرج في اتباع السلطان فادركه
بجبل بني غبرين من زواوة فتقبض عليه ونجا الامير ابو زكريا الى تلمسان وبقي السلطان
ابو اسحاق ببجاية معتقلا ريثما بلغ الخبر الى تونس وارسل الدعي محمد بن عيسى بن داود
فقتله اخر ربيع الاول سنة ثنتين وثمانين وانقضى امره ولله عاقبة الامور

الخبر عن ظهور الامير ابي حفص وما كان على

اثر ذلك من الاحداث

قد ذكرنا ان الامير ابا حفص حضر واقعة بني اخيه مع الدعي بمرماجنة فخلص
من المعركة راجلا ونجا الى قلعة سنان معقل هوارة القريب من مكان الملحمة ولاذ
به في ذهابه الى منجاته ثلاثة من صنائعهم ابو الحسين ابن ابي بكر بن سيد الناس ومحمد
ابن الفازازي ومحمد بن ابي بكر بن خلدون وهو جد المولف الاقرب وربما
كانوا ينقلونه على ظهورهم اذا اصابه الكلال ولما نجا الى قلعة سنان تحدث به
الناس وشاع خبر منجاته اليها وكان الدعي قد اسف العرب وثقلت وطاته عليهم
بما كان سبي المملكة فيهم فليوم دخوله شكى اليه الناس عيثهم فتقبض على ثلاثة
منهم وقتلهم وصلبهم ثم سرح شيخ الموحدين عبد الحق بن تافراكين لحسم علتهم
واوعز اليه بالاثخان فيهم فاستلحم من لقي منهم ثم تقبض على مشايخ بني علاق
واودع سجونه منهم نيفا على الثمانين فساء اثره فيهم وتطلبوا اغياص البيت وسا معوا
بخبر الامير ابي حفص بمكانه من قلعة سنان فرحلوا اليه واتوه بيعتهم في ربيع سنة
ثلاث وثمانين وجمعوا له شيئا من الآلة والاخبية وقام بامره ابو الليل بن احمد
اميرهم وبلغ الخبر الى الدعي فداخلته الظنة في اهل دولته وتقبض على ابي عمران
ابن ياسين شيخ دولته وعلى ابي الحسين بن ياسين وابن الوزير وعلى الحسين
ابن عبد الرحمن بيعسوب زناتة فامتحنهم واستصفى اموالهم ثم قتلهم اخرا وتوجع
لهم الناس واضطرب امر الدعي الى ان كان ما نذكره

الخبر عن خروج الدعي ورجوعه واستيلاء

السلطان ابي حفص على ملكه وغلبه ومهلكه

لما ظهر السلطان ابو حفص وبايعه العرب تسامع به اهل الحضرة واجتمع اليه
الناس واوقع الدعي باهل الدولة فمقتوه وخرج من تونس يريد قتاله فارجف به
اهل معسكره ورجع منهزما ودخلت البلاد في طاعة السلطان ابي حفص ونهض الى

تونس فنزل بسيوم قريبا منها وعسكر الدعي بظاهر البلد يجاهده وطالت بينهما الحرب
اياما والناس في كل يوم يستوضحون نحب الدعي ومكره الى ان نبذوا امنه واسلموه
ودخل من مكان معسكره ولاذ بالاختفاء ودخل السلطان البلد في ربيع الاخر سنة
ثلاث وثمانين واستولى على سرير ملكه وطهر من دنس فاضحه ودعيه واختفى الدعي
بتونس وغاص في لجة ساكنها واحاط به البحث فعثر عليه لليال من مدخل السلطان
بدور بعض السوقة يعرف بابي القاسم الترمادي فتقدمت لحبسها وبل الى السلطان
فاحضره الملاء ووبخه وسايله فاعترف بادعايه في بيتهم فامر بامتحانه وقتله
وذهب في غير سبيل مرحمة وطيف شلوه ونصب راسه وكان عبد الله بن يحمود
لباشر لقتله وكان خبره من المثلات واستبد السلطان بملكه وتلقب المستنصر
بالله وبدر الناس الى الدخول في طاعته وبعث اهل القاصية ببيعتهم من طرابلس
وتلمسان وما بينهما وعقد للشيخ ابي عبد الله الفازازي على عساكره على
الحروب والضاحية واقطع البلاد والمغارم للعرب رعيا لذمة قيامهم بامره
ولم تكن لهم قبلها اقطاع وكان الخلفاء قبله يتحامون عن ذلك ولا يفتحون فيه
على انفسهم بابا واقام متمليا ملكه وادعا في حضرته الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن استيلاء العدو على جزيرة جربة
وميورقة ومنازلة المهدية
واجلابه على السواحل

كان من اعظم الحوادث في ايام هذا السلطان تغلب العدو على الجزر البحرية •
فاستولت اساطيلهم على جزيرة جربة في رجب من سنة ثلاث وثمانين ورياستها
من محمد بن سمون شيخ الوهبية ويخلف بن امغار شيخ النكارة وهما فرقتا
الخوارج وزحف اليها المراكيه صاحب صقلية نائبا عن الفدريك بن الريدراكون
ملك برشلونة باساطيله البحرية وكانوا فيما ينيف سبعون اسطولا من غربان
وشواني وصانعهم مرارا ثم تغلبوا عليها فانتهبوا اموالها واحتملوا اهلها
اسرا وسبايا يقال انهم بلغوا ثمانية الاف بعد ان رموا بالرضع في الجبوب فكانت
هذه الواقعة من اشجى الوقايع للمسلمين ثم بنوا بساحلها حصنا واعتمروه
وشحنوه حامية وسلاحا وفرض عليهم المعترم مائة الف دينار في كل سنة واقاموا
على ذلك وهلك المراكيا على راس المائة وبقيت الجزيرة في ملكة النصارى الى ان
اعادها الله في اواخر الاربعين والسبعمائة كما نذكره وفي سنة خمس وثمانين ظفر
العدو بجزيرة ميورقة ركب اليها طاغية برشلونة في اساطيله في عشرين الفا
من الرجل المقاتلة ومروا بميورقة كانهم سفر من التجار وطلبوا من ابن ابي عمر بن
الحكم رئيسها النزول للاستقاء فاذن لهم فلما نزلوا بساحلها اذنوا اهلها بالحرب

ثم زحفوا

ثم زحفوا ثلاثا يثخن فيهم المسلمون في كلها قتلا وجراحة بما يليها هولا الاكاف والطاغية
في بطارقته قاعد عن الزحف فلما كان في اليوم الثالث واستولت الهزيمة على قومه
زحف الطاغية في العسكر فانهزم المسلمون ولجوا الى قلعتهم فانحصروا بها وعقدوا
لابن حكم ذمة في اهله وحاشيته فخرجوا الى سبتة ونزل الباقون على حكم العدو
فاجازهم الى جادهم ميورقة واستولى على ما بينهما من الذخيرة والعدد والامر بيد
الله وفي سنة ست وثمانين بعدها غدر النصارى بمرسى الخزر فانتهبوها بعد
ان ثلموا اسوارها واكتسحوا امتعتها واحتملوا اهلها اسرى واضرموا بيوتها نارا
ثم مروا بمرسى تونس وانصرفوا الى بلادهم رفيها او في سنة تسع بعدها نازل زل
اسطول العدو مدينة المهدية وكان فيهم الفرسان لقتالها فزحفوا اليها ثلاثا
ظفر بهم المسلمون في كلها ثم جاء مدد اهل الاجم فانهزم العدو حتى اقتحموا
عليهم الاسطول وانقلبوا خائبين وتمت النعمة

الخبر عن استيلاء الامير ابي زكريا على الثغر
بجاية والجزاير وقسنطينة واولية ذلك ومصايره

كان للامير ابي زكرياء بن السلطان ابي اسحاق من الترشيح للامر بعد ابيه وشرف همته
وحسن ملكته ومخالطته اهل العلم ما شهد له بمغبة حاله وهو الذي اختط المدرسة
للعلم بازاء دار الافوري حيث كان سكناه بتونس ولما لحق بتلمسان بعد منجاته
من مهلك ابيه ببجاية نزل على صهره عثمان بن يغمراسن بتلمسان وجاء في اثره ابو الحسين
ابن ابي بكر بن سيد الناس صنيعة ابيه واخيه بعد ان تخلص مع السلطان ابي حفص من
الواقعة الى مرماجنة فلما بايع له العرب وبدت مخايل الملك راى ابو الحسين ابنا در
السلطان الفازازي عليهم فنكب عنه ولحق بالامير ابي زكريا بتلمسان واستحثه
لطلب ملكه واستقرض من تجار بجاية هنالك مالا انفقه في اقامة ابهة الملك له
وجمع الرجال واصطنع الاولياء وفشا الخبر بما يرومه من ذلك فصدع عثمان بن
يغمراسن عنه لما كان نقل من طاعة السلطان ابي حفص على سننهم مع الخلفاء بالحضرة
قبله فاعتزم الامير ابو زكرياء على شانه وخرج من تلمسان موريا بالصيد الذي
كان ينتحله ايام مقامه بينهم ولحق بداود بن هلال بن عطاف امير بني يعقوب وكافة
بني عامر من زغبة واوعز عثمان بن يغمراسن الى داود برده اليه فابى من اخفار ذمته
وارتحل معه بقومه الى اخر بلاد زغبة ونزلوا على عطية بن سليمان بن سباع من ذوي
الدواودة فتلقاه بالطاعة وارتحلوا جميعا الى نواحي قسنطينة فدخل العرب وسدويكش
في طاعته ونازل البلد سنة ثلاث وثمانين وعاملها يومئذ ابن يونيان من مشيخة
الموحدين وكان صاحب الجباية بها ابو الحسن بن طفيل كان له من العمال صهر فداخل الامير
ابا زكريا في شان البلد وشرط لنفسه ولصهره فامضى السلطان شرطهم وامكنوه من البلد
واقاموا بها دعوته وارتحل الى بجاية وكانت قد حدث فيها اضطراب بين اهلها ادى

الى الخلاف والتباين واستحثوا الامير ابا زكرياء فاغذ السير اليهم ودخلها سنة اربع وثمانين ويقال ان ملكه لبجاية كان سابقا على ملكه لقسنطينة وهو الاصح فيما سمعناه من شيوخنا وبعث اليهم اهل الجزاير وتدلس بطاعتهم فاستولى على هذه الثغور الغربية وتلقب المنتخب لاحياء دين الله واغفل ذكر امير المومنين ادبا مع عمه الخليفة بالحضرة حيث ملا الموحدين اهل الحل والعقد من الجماعة ونصب للحجابة ابا الحسين بن سيد الناس فقام بها ورشح ملكه وملك بنيه بهذه الناحية الغربية وانقسمت به الدولة الى ان خلص الامر للملوك من عقبه واستولوا على الحضرة كما نذكر

الخبر عن حركة الامير ابي زكريا الى ناحية طرابلس

ومنازلة عثمان بن يغمراسن بجاية في مغيبه

لما استولى الامير ابو زكريا على الناحية الغربية واقتطعها من اعمال الحضرة اعتمل في الحركة على تونس فنهض اليها في عساكره سنة خمس وثمانين ووفد عليه عبد الله بن رحاب بن محمود من مشيخة دباب ومانعه الناز ازى عن احواز تونس فنازل قابس وحاصرها وكان له في قتالها اثر واسوت الهزيمة على مقاتلتها ذات يوم فاثخن فيهم قتلا واسرا وهدم ربضها واحرق المنازل في غابتها والنخل وارتحل الى مسراتة وانتهى الى الابيض واطاعه الجواري والمحاميد والسالم وعرب برقة وبلغه بمكانه بمسراتة ان عثمان بن يغمراسن اسف الى منازلة بجاية وكان من خبره ان الامير ابا زكريا لما انفصل من تلمسان لطلب ملكه على كره منه واستمع جار داود ابن عطاف من رده امتلا له عداوة واخرا فاوجد ذا البيعة لصاحب تونس واوفد بها علي بن محمد الخراساني من صنايعه وكان له اثناء ذلك ظهور على بني توجين ومغراوة بالمغرب الاوسط وضاق ذرع اهل الحضرة بمكان الامير ابي زكريا من مطالبتهم وتدويخه لنواحيهم نداخلوا عثمان بن يغمراسن في منازلته معقله ثغر بجاية ليرده الى عقبه عنهم فزحف الى بجاية سنة ست وثمانين ونازلها اياما وامتنع عليه سايرضواحيها فلم يظفر باكثر من الاطلال عليها وانكفا الامير ابو زكريا راجعا الى بجاية سنة ست وثمانين الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن فاتحة استبداد اهل الجريد

كان في بعض الايام بين سداده وكومه من عمل تقيوس فتنة قتل فيها ابن شيخ سداوة واتهم ليبارن فيه شيخ كومه لنفسه وكان عامل توزر محمد بن يحيى ابن ابي بكر التينملي من مشيخة الموحدين فقدم شيخ كومة به وبذل له ما لا على نصره من عدوه فكاتب الحضرة واغلى بخلاف اهل سداوة واحتشد لهم اهل نفطة وتقيوس وخرج في حشد اهل توزر وغزاهم في بلدهم ولاذ باعطاء الرهن وبذل المال

فادهم

اهل نفزاوة وزحفوا اليه فانهزمت جموعه واثخنوا فيهم قتلا واسرا الى توزر وذلك سنة ست وثمانين ثم عاود غزوهم عقب ذلك فلجووا اليه ثم عقد لهم سلما على الوفاء بمغارمهم واشترطوا ان لا حكم عليهم في سواها وان روسا نفزاوة منهم فامضى وكانت اول استبداد اهل الجريد كما نذكر

الخبر عن خروج عثمان بن السلطان ابي دبوس

داعيا لنفسه بجهات طرابلس

كان ابو دبوس اخر خلفاء بني عبد المومن بمراكش لما قتل سنة ثمان وستين وستمائة وافترق بنوه وتقلبوا في الارض لحق منهم عثمان بشرق الاندلس ونزل على طاغية برشلونة فاحسن تكرمته ووجد هنالك اعقاب عمه السيد ابي زيد المستنصر اخي ابي دبوس في سوابهم من ايالة العدو وكان لهم هنالك مكان وجاه لنزوع ابيهم السيد ابي زيد عن دينه الى دينهم فاستبلغوا في مساهمة قريبهم هذا الوافد وحظوا لديه الطاغية حظا وافق ذلك حصول مرغم ابن صابر بن عسكر شيخ الجواري من بني ذباب في قبضته اسرا وكان قد اسره المعركي من اهل صقلية بنواحي طرابلس سنة ثنتين وثمانين وباعوه من اهل برشلونة فاشتراه الطاغية واقام عنده اسيرا الى ان نزع اليه عثمان ابن ابي دبوس هذا كما ذكرناه وسمر لطلب حقه في الدعوة الموحدية حيث كانت واهل الظفر في الناحية لبعدها عن الحامية فعبر البحر الى طرابلس وكان من حظوظ كرامته عند الطا غية ان اطلق له مرغم بن صابر وعقد له حلفا معه على مظاهرته وجهز لهما الاساطيل وشحنها بالمدد من المقاتلة والاقوات على مال اشترطوه له فنزلوا على طرابلس سنة ثمان وثمانين واحتشد مرغم قومه وحملهم على طاعة ابن ابي دبوس ونازلوا البلد معه ومع جنده من النصرانية تحاصر وها ثلاثا وساء اثرهم فيها ثم دخل النصارى باسطولهم وارسوا باقرب السواحل الى البلد ونقل ابن ابي دبوس ومرغم في نواحي طرابلس بعد ان انزلوا عليها عسكرا للحصار فاستوفوا من جباية المغارم والوضايع مالا دفعوه للنصارى في شرطهم وانقلبوا باسطولهم واقام ابن ابي دبوس يتقلب مع العرب واستدعاه ابن مكي من بعد ذلك لان تشبه به في استبداده فلم يتم امره الى ان هلك بجربه سنة والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن مهلك ابي الحسن بن سيد الناس صاحب

بجاية وولاية ابن ابي يحيى مكانه

قد قدمنا سلف هذا الرجل واوليته وانه لحق بالامير ابي زكريا بتلمسان وابلى في خدمته فلما استولى الامير ابو زكريا على الثغر الغربي عن اعمال الحضرة ونزل بجاية وضاهى بها تونس عقد لابي الحسين بن سيد الناس على حجابته وفوض اليه

فيما دار بابه واجراه على رياسته على سنن ابن ابي الحسين الرئيس قبله في دولة المستنصر الذي كانوا يتقلبون طرفه وينزعون الى مراميه بل كانت رياسة هذا في حجابته ابلغ من رياسة ابن ابي الحسين لاجل الدولة ببجاية من مشيخة الموحدين الذين يزاحمونه كما كان ابن ابي الحسين يزاحمهم فاستولى ابو الحسين بن سيد الناس على الدولة ببجاية وقام بامر مخدومه احسن قيام وصار الى الحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وتمكن في يده الزمام الى ان هلك سنة تسعين اعظم ما كان رياسة واقرب من صاحبه مكانا وسرا فاقام الامير ابو زكرياء مكانه كاتبه ابا القاسم ابن ابي حي لا ادري من اوليته اكثر من انه من جالية الاندلس وورد على الدولة وتصرف في اعمالها واتصل بابي الحسين بن سيد الناس فاستكتبه ثم رقاه وخلطه بنفسه واجراه رسمه وتناول زمام الدولة من يد ابن سيد الناس فقادها في يد مطهر خدمته حتى عنت اليه الوجوه وامله الخاصة واصطنع السلطان على اصطناعه وكفايته في امور مخدومه وهلك ابو الحسين بن سيد الناس بن شيخه السلطان بحضرته فقام بها ساير ايامه وصدرا من ايام ابنه الامير ابا البقاء حتى كان من امره ما نذكر بعد

الخبر عن خروج الزاب عن طاعة الامير ابي حفص الى طاعة الامير ابي زكرياء صاحب بجاية وانتظام بسكرة في عمله

كان السلطان ابو اسحاق قد عقد على الزاب لفضل بن علي بن ابن مزني من مشيخة بسكرة كما قدمناه فقام بامره ولما هلك السلطان عدا عليه بعض افاريق العرب الموطنين في الزاب بمداخلة قوم من اعدائه فقتلوه سنة ثلاث وثمانين كما نذكره واملوا الاستبداد بالبلد فدفعهم المشيخة من بني رمان واستقلوا بامر بلدهم وبايعوا للامير ابي حفص صاحب الحضرة ودانوا بطاعته على السنن وتوقعوا عادية منصور بن فضل بن مزني وكان لحق بالحضرة عند هلك ابيه فخاصموا فيه السلطان ودموه بالدواهي فامر باعتقاله واودع السجن سبع سنين الى ان فر منه ولحق بكرفه من احياء هلال بن عامر وهم العرب النزلون امر جبل اوراس ونزل على السنه من افاديهم فاركبوه وكسبوه ولحق ببجاية سنة ثنتين وتسعين فنزل بباب السلطان ورغبه في ملك الزاب وصانع الحاجب ابن ابي حي بانواع التحف وضمن له تحويل الدعوة بالزاب لسلطانه الامير ابي زكريا وترتيب جبايته اليه فاستتم له بذلك وعقد له على الزاب وامده بالعسكر ونازل بسكرة فامتنعت عليه وراى مشيختها بنو رمان بعدهم عن تصريخ تونس والحاح عدوهم منصور بن فضل عليهم فاعلنوا بطاعة الامير ابي زكريا وبعثوا اليه ببيعتهم ووفدهم ودفع عادية بن مزني عنهم فرجعهم بما املوه من التعبوة وان تكون احكامهم الى قائد عسكره ونظر بن مزني مصروفا الى الجباية فقط ولما وصل الوفد الى بسكرة خرجوا الى لقائه ومنصور بن مزني

فادخلوهما

فادخلوهما البلد ودانوا بالطاعة وتصرفت الامور على ذلك الى ان كان من امر منصور ابن مزني ما نذكره في اخباره ولم يزل الزاب في دعوة الامير ابي زكريا وبنيه الى ان استولوا على الحضرة وبعد لهذا العهد كما تراه في الاخبار بعد ان شاء الله تعالى

الخبر عن مهلك ابي عبد الله الفازازي شيخ الموحدين والحاجب ابي القاسم بن الشيخ رؤساء الدولة بها

الحضرة

كان ابو عبد الله الفازازي من مشيخة الموحدين وكان من خالصة السلطان ابي حفص وعقد له على العساكر كما قدمناه ودفعه الى الحروب وتمهيد النواحي فقام في ذلك المقام المحمود ودوخ الجهات واستنزل الثوار ودفعهم وجبا الخراج وكان له في ذلك اثار مذكورة وفي بلاد الجريد ومشيختها مقاصد يعدد الحوالة وهو الذي استنزل احمد بن بهلول بسعاية المشيخة من اهل توزر ودفع عنانه عن مراميه الى الريا سة عليهم وهلك اخر حركاته الى بلاد الجريد على مرحلتين من تونس سنة ثلاث وتسعين ولسنة منها كان مهلك الحاجب ابي القاسم بن الشيخ وكان من خبر اوليته انه قدم من بلده دانية الى بجاية سنة ست وعشرين فاتصل بعاملها محمد بن ياسين فاستكتبه وغلب عليه واستدعي بن ياسين الى الحضرة وابن الشيخ في جملته والتمس السلطان من يرشحه لكتابته فعرف عليه فاطنب ابن ياسين في وصف كاتبه ابي القاسم بن الشيخ وحلاه واثنى السلطان فلم يرضه وصرفه ثم راجع رايه فيه واستحسنه ورسمه في خدمته وامر ابن ابي الحسين بتلقينه الاداب وتصريفه في وجوه الخدمة ومذاهبها فكان له في ذلك غنا وخفة على مخدومه الى ان هلك ابن ابي الحسين وكان الخرج بدار السلطان موقوفا على نظره من جملة ما اليه وكان قلمه عاملا فيه فافرد ابن الشيخ بذلك بعد مهلكه الى ايام السلطان المستنصر ولما ولي الواثق استبد ابن الحبير عليه كما قدمناه فابقاه على خطته واختصه لنفسه ودرجه في جملته ثم جاءت دولة السلطان ابي اسحاق فاقامه في رسمه وزاحمه بابي بكر بن خلدون صاحب اشغاله وكانت الرياسة الكبرى على عهده لبني ابي فارس ثم ابي زكريا وابي محمد عبد الواحد من بعده ثم كانت مصيلة الدعي واستولى على ملكهم فاستخلص ابا القاسم بن الشيخ واستضاف له الى خطته التنفيذ كتاب العلامة في فواتح السجلات فلما ارتجع السلطان ابو حفص ملكه وقتل الدعي خافه ابن الشيخ لما كان من رتبته عند الدعي فلاذ بالصلحاء لاثاره من الخير والعبادة وصلة بينهم وبينه فشفعوا له وتقبلها واظهر لهم ذات نفسه في الحاجة الى استعماله وقلده حجابته مجموعة الى تنفيذ الخرج وصرف العلامة الى غيره من طبقة الدولة فلم يزل على ذلك الى ان هلك سنة اربع وتسعين وبقي اسم الحجابة من بعده في هذه الخطط الثلاث وامر التدبير والحرب ورياستهما راجع الى مشيخة الموحدين الى ان تصرفت الاحوال وادبل بعضها من بعض كما ياتيك اثناء الاخبار وقلد السلطان من بعد ابن الشيخ حجابته لابي عبد الله البحى من

طبقة الجند تنام بهما الى اخر الدولة والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن مهلك السلطان ابي حفص وعهده بالامر من بعده

لم يزل السلطان ابو حفص على اكمل حالات الظهور والدعة الى ان استوفى مدته واصابه وجعه اول ذي الحجة من سنة اربع وتسعين ثم اشتد به الوجع واهمه امر المسلمين وما قلدوه من عهده ثم فعهد لابنه عبد الله بالخلافة ثاني ايام التشريق ونكره الموحدون لتخلفه عن الراتب بصعق وانه لم يبلغ الحلم ونحل لتواني ذلك وانهى الخبر الى السلطان فاسخطه وعدل عنهم الى الشورى مع الولي ابي محمد المرجاني وكان رأيه فيه جميلا وظنه به صالحا وكان الواثق بن المستنصر لما قتل هو وبنوه بمحابسهم فرت احدى جواريه وقد اشتملت على حمل منه الى رباط هذا الولي فوضعته في بيته فسماه الشيخ محمدا وعلق عليه واطعم الفقراء يوم عصيدة الحنطة فلقب بابي عصيدة اخر الدهر ثم صار بعد الاختفاء رد واعيه الى قصورهم ونشأ في ظل الخلفاء من قومه حتى شب وبقيت له مع الولي ابي محمد ذمة يتبادر كل منهما على الوفاء بها فلما فاوضه السلطان ابو حفص في شأن العهد وقص عليه نكير الموحدين لولده اشار عليه الشيخ بصرف العهد الى محمد بن الواثق فتقبل اشارته وعلم ترشيحه وانفذ له عهده بمحضر الملاء ومشيخة الموحدين وهلك اخر من ذي الحجة من سنة اربع وتسعين والى الله المصير

الخبر عن بيعة السلطان ابي عصيدة وما كان على اثرها من الاحوال

لما هلك السلطان ابو حفص اجتمع الملاء من الموحدين والاولياء والجند والكافة الى القصبة فبايعوا بيعة عامة لولي عهده السلطان ابي عبد الله محمد ولقب كما ذكرناه بابي عصيدة بن السلطان الواثق في الرابع والعشرين لذي الحجة سنة اربع وتسعين فانشرحت لبيعته الصدور ورضيته الكافة وتلقب بالمستنصر بالله وافتتح امره بقتل عبد الله بن السلطان ابي حفص لمكان ترشيحه وقلد وزارته محمد بن من مشيخة الموحدين وابي محمد السنخسني على خطة الحجابة وصرف التدبير والعساكر ورياسة الموحدين الى ابي يحيى زكريا بن احمد ابن محمد اللحياني فتقبل السلطان المستنصر عند تعرض ابنه للبيعة واستنامة الخلافة فقام بما دفع اليه من ذلك وصانعه فيه عبد الحق بن سليمان رئيس الموحدين قبله حتى اذا نكب وهلك استبد هو على الدولة واستقل السنخسني بحجابته وكان محمد بن ابراهيم بن الدباغ رديفا له فيها وكان من خبر ابن الدباغ هذا ان ابراهيم اباه وفد على تونس في جالية اشبيلية سنة ست واربعين فولد هو

بتونس

بتونس ونشأ بها واخذ صناعة الديوان وحسبانه من المتبرزين كانا فيه ابي الحسن وابي الحكم ابني مجاهد واصهر اليهما في ابنة ابي الحسن فانكحاه ورشحاه للامانة على ديوان الاعمال ولما استقل ابو عبد الله الفازازي بالرياسة هو استكتبه وكان طياشا مستصعبا على الخليفة فكان كاتبه محمد بن الدباغ يروضه لاغراض الخليفة اذا دسها اليه الحاجب ابن الشيخ فيتمم ذلك من الخليفة احسن المواقع ولما ولي السلطان ابو عصيدة وكانت له عنده سابقة رعاها وكان حاجبه السنخسني بتهمة عقلا من ادوات الكتاب فاستكتب السلطان ابن الدباغ ثم رقاه الى كتاب علامته سنة خمس وتسعين وكان يتصرف فيه فاصبح رديفا للسنخسني في حجابته وجرت امور الدولة على ذلك الى ان هلك السنخسني سنة سبع وتسعين فقلد السلطان حجابته فاستقل بها على ما قدمناه من ان التدبير والحرب مصروف الى مشيخة الموحدين

الخبر عن نكبة عبد الحق بن سليمان وخبر بنيه

كان ابو محمد بن عبد الحق بن سليمان رئيس الموحدين لعهد السلطان ابي حفص واصله من تينملل الموطنين بتبرسق مدا ولا لدولة كانت له ولسلفه الرياسة عليهم وصارت اليه رياسة الموحدين كافة بالحضرة ايام هذا السلطان وكان له خالصة وشيعة وكان حريصا على ولاية ابنه عبد الله للعهد وكان يدافع نكير الموحدين في ذلك فاسرها له السلطان ابو عصيدة ولما استوسق له الامر وقتل عبد الله بمحبسه على راس المائة السابعة وفر عند نكبته ابناه محمد وعبد الله فلحق بالامير ابي زكريا وصار في جملته الى ان دخل تونس مع ابنه السلطان ابي البقا خالد فانعقد المعز ولحق بالمغرب الاقصى ونزل على يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين بمعسكره من حصار تلمسان فاستبلغ في تكريمه واقام عنده مدة ثم عاود وطنه ونزع عن طريقه الى النسك ولبس الصوف وصحب الصالحين وقضى فرض الحج وامتد عمره وحسنت فيه ظنون الكافة واعتقدوا فيه وفي دعائه وكثرت غاشيته لالتماس البركة منه واوجب له الخلفاء اذاء ذلك تجلة اخرى ووفد على ملوك زناتة بعمره يتقدم في مذاهب الود ومقصود الخير وحضر في بعض الجهاد بجبل الفتح عندما نازلته عساكر السلطان ابي الحسن ولم يزل هذا دابه الى ان هلك في الطاعون الجارف في منتصف المائة الثامنة

الخبر عن مراسلة يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين ومهاداته

كان السلطان ابو عصيدة لما استفحل امره واستوسق ملكه حدث نفسه بغزو الناحية الغربية وارتجاع ثغورها من يد الامير ابي زكريا وكان الامير ابو زكريا قد انتقض عليه اهل الجزائر بعد مهلك عامله عليها من الموحدين من بني الكماد وابتزي بها ابن علان محمد بن علان من مشيختها واستفحل امر عثمان بن يغمراسن وبني

عبد الواد من ورائه وتغلبوا على توجين ومغراوة ومليكش وكانت شنعة لصاحب الحضرة بما كان متمسكا بدعوتهم ومتقبلا مذهب ابيه في بيعتهم فقويت عزايم السلطان ابي عصيدة لذلك ونهض من الحضرة سنة خمس وتسعين وتجاوز تخوم عمله الى اعمال قسنطينه واجفلت امامه الرعايا والقبايل وانتهى الى ميله ومنها كان منقلبه الى حضرته في رمضان من سنته ولما اصاب عمل بجاية بغزوه اهمل الامير ابو زكريا نظره في تسكين الناحية الغربية ليفرغ عنها الى مدافعة السلطان صاحب الحضرة فوصل يده بعثمان بن يغمراسن واكد معه تذمم الصهر بعادات الود والمواصلة وفي خلال ذلك زحف يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين الى تلمسان والقى عليها بكلكله واستجاش عثمان بن يغمراسن بالامير ابي زكرياء فامده بعسكر من الموحدين لقيتهم عساكر من بني مرين بناحية تدلس فهزموهم واثخنوا فيهم قتلا ورجع فلهم الى بجاية وسرح يوسف بن يعقوب عساكر بني مرين بناحية تدلس الى بجاية وعقد عليها لاخيه ابي يحيى بعد ان كان عثمان بن سباع وفد عليها نازعا عن صاحب بجاية اليه ومرغبا له في ملكها فاوسع له في الحبا والكرامة ما شاء وبعث معه هذا العسكر فانتهوا الى بجاية وصابحوها ثم جاوزوها الى تاكرارت وبلاد سدويكش وعاثوا في تلك الجهات ودوخوها وانقلبوا راجعين الى السلطان يوسف بن يعقوب بمعسكره من تلمسان وكان السلطان ابو عصيدة صاحب الحضرة لما علم بامداد الامير ابي زكرياء لعثمان بن يغمراسن بعث الى يوسف بن يعقوب عدوهم وحرضه على بجاية ونواحيها وسفر بينهما في ذلك رئيس الموحدين ابو عبد الله بن اكماز من اولي سفاراتهم ثم سفر ثانية سنة ثلاث وسبعماية بهدية ضخمة اعجب فيها بسرج وسيف ومهماز من الذهب مرصعة الحلي بالفاخر من حصباء الياقوت والجوهر ورافقه في هذه السفارة الثانية وزير الدولة ابو عبد الله بن يرزيكن ورجعا بهدية ضخمة من يوسف ابن يعقوب كان من جملتها ثلاثماية من البغال واتصلت المخاطبات والسفارات والهدايا والملاطفات وكان يوسف بن يعقوب يكاتب السلطان في تلك السنوات تعريضا ويكاتب رئيس الموحدين ابا يحيى بن اللحياني تصريحا وترددت عساكر بني مرين الى نواحي بجاية الى ان هلك يوسف بن يعقوب كما ياتي في اخباره

الخبر عن مقتل هداج وفتنة الكعوب
وبيعتهم لابن ابي دبوس وما كان بعد ذلك
من نكبتهم

كان هولاء الكعوب قد اثرتهم الدولة واصطنعتهم منذ قيامهم بامر الامير ابي حفص واعتزوا ونموا وبطروا النعمة وكثر عيثهم وفسادهم وطال اضرارهم بالسابلة وخطمهم للجنات وانتهابهم للزرع فامتعض لهم العامة وحقدوا عليهم

سوء اثارهم ودخل شيخهم هداج بن عبيد سنة خمس وسبعماية الى البلد فحزرته العيون وهمت به العامة وحضر المسجد لصلاة الجمعة فتحينوا عليه بابه ووطئ المسجد بخفه وقال لمن نكر عليه اني ادخل به مجلس السلطان فثاروا به عقب الصلاة وجروا شلوه في سكك المدينة فزاد عيثهم واجلابهم على السلطان واستقدم احمد بن ابي الليل شيخ الكعوب لذلك العهد عثمان بن ابي دبوس من مكانه بنواحي طرابلس ونصبه للامر واجلب به على الحضرة ونازلها وخرج اليهم الوزير ابو عبد الله بن يرزيكن في العساكر فهزمهم وسار بالعسكر لتمهيد الجهات وتسكين ثائرة العرب فوفد عليه احمد بن ابي الليل ومعه سليمان بن جامع من رجالات هوارة بعد ان راجع الطاعة وصرف ابن ابي دبوس الى مكانه فتقبض عليهما وبعث بهما الى الحضرة فلم يزالا معتقلين الى ان هلك احمد بمحبسه سنة ثمان وقام بامر الكعوب محمد بن ابي الليل ومعه حمزة ومولاهم ابنا اخيه عمر رديفين له ثم خرج الوزير بالعساكر ثانية سنة سبع واستوفد مولاهم بن عمر وتقبض عليه وبعث به الى الحضرة فاعتقل مع ابن عمه احمد وجاهر اخوه حمزة بالنفاق واتبعه عليه قومه فكثر عيثهم واضروا بالرعايا وكثرت الشكاية من العامة ولغطوا بها في الاسواق وتصايحوا ثم تعدوا الى باب الغضبة يريدون الثورة فسد الباب دونهم فرموه بالحجارة وهم في ذلك ينادون بما نزل بهم من الحاجب ابن الدباغ ويطلبون شفاء صدورهم بقتله ودفع امرهم الى واستلحامهم جميعا فابى من ذلك السلطان وامر بملاطفتهم الى ان سكنت هيعتهم ثم تتبع الغوغاء من تولى كبر ذلك منهم واحتسم الداء وكان ذلك في رمضان من سنة ثمان واستمرت العرب في غلوائهم الى ان هلك السلطان فكان ما ياتي ذكره

الخبر عن انتقاض اهل الجزاير واستبداد
ابن علان بها

قد قدمنا ما كان من انتقاض اهل الجزاير ايام المستنصر ودخول عساكر الموحدين عنوة واعتقال مشيختهم بتونس حتى اطلقوا بعد مهلكه ولما استقل الامير ابو زكريا الاوسط بملك الثغور الغربية من بجاية وقسنطينه وكان الوالي على الجزاير ابن اكماز من مشيخة الموحدين تبادروا الى طاعته باتفاق من مشيخة الجزاير مختصا به ومتصرفا في اوامره ونواهيه ومقصدا لاماراته حصلت له بذلك الرياسة على اهل الجزاير سائر ايامه ويقال كان له صهر فلما هلك ابن اكماز حدثته نفسه بالاستبداد والانفراد بالجزاير وبعث على اهل الشوكة من نظرائه ليلة هلاك اميره وضرب اعناقهم واصبح مناديا بالاستبداد وشغل الامير ابو زكرياء عنه بما كان من منازلة بني مرين ببجاية الى ان هلك وبقيت في انتقاضها على الموحدين اخر الدهر الى ان تملكها بنو عبد الواد كما نذكر

الخبر عن مهلك الامير ابي زكرياء صاحب بجاية وبيعة ابنه الامير ابي البقاء خالد

كان الامير ابو زكرياء

ثم استولى على الثغور الغربية كما قلناه واقتطعها من اعمال الحضرة وقسم الدعوة الحفصية بدولتين وكان على غاية من الحزم والتيقظ والصرامة لم يبلغها سواه وكان كثير الاشراف على وطنه والمباشرة لاعماله بنفسه وسد خلله ولم يزل على ذلك الى ان هلك على راس المائة السابعة وكان قد عهد بالامر لابنه الامير ابي البقا خالد سنة ثمان وتسعين قبلها وعقد له على قسنطينة وانزله بها فلما هلك الامير ابو زكريا جمع الحاجب ابو القاسم بن ابي جبي مشيخة الموحدين وطبقات الجند واخذ بيعتهم للامير ابي البقا وطير له بالخبر واستقدمه فقدم وبويع البيعة العامة وابقى ابن ابي جبي على حجابته واستوزر عيسى بن ابي الاعلام وقدم على صنهاجة ابا عبد الرحمن يعقوب بن خلوف منهم ونسيمي اجرار وقلد رياسة الموحدين ابا زكريا يحيى بن ابي زكرياء من اهل البيت الحفصي واستمر الامر على ذلك الى ان كان ما نذكره

الخبر عن سفارة القاضي الغبريني ومقتله

قد قدمنا ما كان من زحف بني مرين الى بجاية بمداخلة صاحب تونس ولما ولي السلطان ابو البقا اعتزم على المواصلة مع صاحب تونس قطعا للزبون عنه وعين للسفارة في ذلك شيخ الغزاة مائة ابا زكريا يحيى بن زكرياء الحفصي ليحكم شان المواصلة بينه وبينه وبعث معه القاضي ابا العباس الغبريني كبير بجاية وصاحب شوارها فادوا رسالتهم وانقلبوا الى بجاية ووجد بطانة السلطان السبيل في الغبريني فاغروه به واشاعوا انه داخل صاحب الحضرة في التوثب بالسلطان وتولى كبر ذلك ظافر الكبير وذكره بجرائره وما كان منه في شان السلطان ابي اسحاق وانه الذي اغرى بني غبرين به فاستوحش منه السلطان وتقبض عليه سنة اربع وسبعمائة ثم اغروه بقتله فقتل بمحبسه في سنته تلك وتولى قتله منصور التركي والله غالب على امره

الخبر عن سفارة الحاجب ابن ابي جبي الى تونس

ونكبة السلطان له بعدها وعزله

لما ولي السلطان ابو البقا كانت عساكر بني مرين مترددة الى اعمال بجاية بمداخلة صاحب تونس كما ذكرناه وقد وحفوا نواحيها وكان ابن ابي جبي مستبدا على الدولة في حجابته فضاق ذرعه بشانهم واهمه حال الدولة معهم وراى ان اتصال اليد بصاحب الحضرة مما يكف من عزمهم فعزم على مباشرة ذلك بنفسه لوثوقه من سلطانه فخرج من بجاية سنة خمس وسبعمائة وقدم على الحضرة رسولا عن سلطانه فاهتزت له الدولة وتلقى بما يجب له ولمرسله من البر وانزل له شيخ الموحدين ومدبر الدولة ابو يحيى زكرياء ابن اللحياني بداره استبلاغا في تكريمه وقضى من امر تلك الرسالة حاجة صدره وكان بطانة الامير ابي البقا خالد لما خلا لهم وجه سلطانهم منه تهافتوا

على

على التنصح اليه والسعاية بابن ابي جبي عنده وتولى كبر ذلك يعقوب بن عمر وحلافيه وبايعه عليه عبد الله الرخامي كاتب ابن جبي وصديقه مما كان ابن طفيل قريبه سخط عليه الناس ويوغر له صدورهم بنباوه وعتوه بهم فالح له العداوة في كل جانحة واسخطه على عبد الله الرخامي وكان صديقه ومداخله فتولى من السعاية به مع يعقوب بن عمر كبرها والقوا الى السلطان ان ابن ابي جبي داخل صاحب الحضرة في تمكينه من ثغر قسنطينة وبجاية مما كان علي ابن الامير العامل بقسنطينة صهرا لابن ابي جبي وهو الذي ولاه عليها فاسترابه السلطان به وتنكر له بعد عوده من تونس وخشي كل منهما بادرة صاحبه ثم رغب ابن ابي جبي في قضاء فرضه وتخليته سبيله اليه فاسعف وخرج من بجاية ذاهبا الى الحج ولحق بالقبايل من ضواحي قسنطينة وبجاية فنزل عليهم واقام بينهم مدة ثم لحق بتونس واقام بها الى حين مهلك السلطان ابي عصيدة وبيعة ابي بكر الشهيد وحضر دخول الامير ابي البقا عليه بتونس وخلص من تيار تلك الصدمة فلحق بالمشرق وقضى فرضه ثم عاد الى المغرب ونزل بافريقية ولحق بتلمسان واغرى ابو حمو بالحركة على بجاية فكان ما نذكره

الخبر عن حجابة ابي عبد الرحمن بن عمر ومصاير اموره

هو يعقوب ابن ابي بكر بن محمد بن عمر وكنيته ابو عبد الرحمن كان جده محمد فيما حدثني اهل بيتهم قاضيا بشاطبة وخرج مع الجالية من العدو الى تونس ونزل بالربض الجوفي ايام السلطان ابي عصيدة وانتقل ابناوه ابو بكر ومحمد الى قسنطينة ونزلا على ابن اوفيان العامل عليها ايام مشيخة الموحدين لعهد الامير ابي زكرياء الاوسط فاوسعهما عناية وتكريما وولى ابو بكر على الديوان بالعمل واستخلصه لنفسه وكان يتردد الى الحضرة ببجاية في شؤونه فاتصل بمرجان الخصي من موالي الامير ابي زكريا وخواص داره واستخدم على بنت الامير خالد وامه من كرايم السلطان فحظي عندهم وتزوج ابنه يعقوب من ربات القصور وحوله ونشا في حجور تلك العناية واعلقوا بصحبة الحاج فضل قهرمان دار السلطان وخاصته فاستخدم له سائر ايامه الى ان هلك وكان الحاج فضل كثيرا ما يتردد الى الاندلس لاستجلاب الثياب الحريرية من هنالك وانتقاء اصنافها وكذلك الى تونس لاستجادة الثياب منها وبعثه السلطان اخر امره الى الاندلس فاستصحب ابن عمر وهلك الحاج فضل هنالك فعدل السلطان عن خطاب ابنه محمد الى خطاب ابن عمر بامره باتمام ذلك العمل والقدوم به فقدم هو وابن الحاج فضل هنالك فعدل لسلطانه وسايلهما السلطان عن عملهما فكان ابن عمر اوعى من صاحبه فخلا بعينه وخف عليه واعلق بوهمه من خدمته لحظانه عند السلطان ورقته فاستعمل في الجباية ثم تقلد اعمال الاشغال وزاحم بن ابي جبي وعبد الله الرخامي وغصوا به فاوعز السلطان بنكبته واستخلصه الى الاندلس فاقام هنالك واستعطف السلطان ابا البقا بعد مهلك ابيه وتشفع بوسائل خدمته فاستقدمه وقدم مع علي وحسين ابني الرنداحي ركب معهما البحر الى بجاية في مغيب بن ابي جبي

عن الحضرة فصادف من السلطان قبولا وسمر في السعاية بابن ابي جبي مع مرجان الى
ان تم له ما اراد من ذلك وصرف ابن ابي جبي كما ذكرناه فقلد السلطان حجابته ليعقوب
ابن عمر وقدم على الاشغال عبد الله الرخامي وكان ناهضا في امور الجباية
لمباشرتها من عهده ومعه فاصبح رديفا لابن عمر وغص بمكانه فاغرى به السلطان
ودله على مكامن ثورته وعداوته فنكب وصودر وامتحن وغرب الى ميورقة
حتى افتداه يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين من اسره واستقدمه ليقلده استعمال
عنده تنكره لعبد الله بن ابي مدين كما نذكره في اخبارهم فهلك يوسف بن يعقوب دون
ما امل من ذلك واقام الرخامي بتلمسان وبها كان مهلكه واستقل يعقوب بن عمر
باعباء خطته واضطلع بها وفوض اليه السلطان في الابرام والنقض فحوط المراتب
بنظره واجرى الامور على غرضه وكان اول ما اتاه صرعته لمرجان مصطنعه فلا مرد
السلطان عليه وحذر مغبته فتقبض عليه والقي في البحر فالتقمه الحوت فخلا
وجه السلطان لابن عمر وتفرد بالعقد والحل الى ان استولى السلطان ابو
البقا على الحضرة وكان من امره ما نذكر

الخبر عن ثورة ابن الامير بقسنطينة وبيعة السلطان ابي عصيدة ثم فتح السلطان ابي البقا لها وقتله

كان يوسف بن الامير الهمداني بعد ان قتله بطنجة ابناء ابي يحيى بن عبد الحق من
بني مرين كما ياتي في اخبارهم انتقل بنوه الى تونس ايام المستنصر ودعاهم
السلطان وسيلة قيامهم بالدعوة الحفصية ايام ابي علي بن خلاص بسبتة وبعدها
الى ان غلبهم عليها العزفي كما نذكر في اخباره فلقاهم مبرة وتكريما ونزلوا من
الحضرة خير نزل تحت جراية ونعمة وعناية وكان كبيرهم مستمتعا متعاظما فربما
لقي من الدولة لذلك عسفا الا ان الابقاء عليهم كان مانعا من اضطهادهم
ونشا بنوهم في ظل ذلك النعيم ثم هلك السلطان واضطربت الامور وضرب الدهر
ضرباته ولحق علي منهم بالثغر الغربي وتاكدت له مع ابن ابي جبي لحمة نسب وذمة صهر
ونشبت بينهما عروقها فلما استقل ابن ابي جبي بحجابة الامير ابي زكريا لم يال جهدا
في مشاركة علي بن الامير وترقيه المنازل الى ان ولاه ثغر قسنطينة مستقلا
بها وحاجبا للسلطان ابي بكر ابن الامير ابي زكريا وانزله معه فقام بحجابته واظهر
فيه غناءه وحزمه حتى اذا اسخط السلطان ابن ابي جبي وصرفه عن حجابته تنكر ابو
الحسن بن الامير وخشي بوادر السلطان فحول الدعوة الى صاحب الحضرة وطير اليه
بالبيعة واستدعى المدد والنائب فوصله رئيس الموحدين والدولة ابو يحيى زكريا بن
احمد بن محمد اللحياني وعقد البيعة لسلطانه سنة اربع وسبعماية وبلغ الخبر الى السلطان
ابي البقا ببجاية فنهض اليه بالعساكر اخر سنة اربع وسبعماية ونازل البلد اياما فامتنع عليه
وهم بالافراج عنه ثم داخل رجل من بطانة ابن الامير يعرف بابن موزه ابا الحسن بن عثمان

من

من مشيخة الموحدين وكان معسكره بباب الوادي فناجزهم الحرب من هنالك حتى انتهى الى
السور فتسلمه المقاتلة باغضاء ابن موزه لهم عنه وركب السلطان في العساكر عند
الصدمة ووقف على باب البلد واقتحم البلد عنوة ومضى ابو محمد الرخامي في رجال السلطان
الى دار ابن الامير فغشيه بها وقد انفض عنه الناس واستخفى بغرفة من غرف
داره واستمات فلاطفه الرخامي واستنزله ثم حمله على برذون مستدبرا واحضره
بين يدي السلطان فقتل ونصب شلوه واصبح اية للمعتبرين

الخبر عن حركة السلطان ابي البقا الى الجزاير

قد قدمنا ما كان من خبر انتقاض الجزاير على الامير ابي زكريا واستبداد ابن علان
بها فلما استولى السلطان ابو البقا على الامر وتمهدت له الاحوال وافرج بنو مرين
بعد مهلك يوسف بن يعقوب عن تلمسان اعمل السلطان نظره في الحركة اليها فخرج
اليها سنة سبع او ست وانتهى الى متيجة ودخل في طاعته منصور بن محمد شيخ
ملكيش وجميع قومه ولجا اليه راشد بن محمد بن ثابت بن منديل امير مغراوة هاربا
امام بني عبد الواد فاواه الى ظله والقى عليه جناح حمايته واحتشد جميع من في تلك
النواحي من القبائل وزحف الى الجزاير واقام عليها اياما فامتنعت عليه وانكفا راجعا
الى حضرته ببجاية واقام ملكيش على طاعته وسطا ولاة الجزاير بالقتال الى ان كان من
امرها وتغلب بني عبد الواد عليها على ما نذكر في اخبارهم وجاء معه راشد بن
محمد الى بجاية منذ مما بخدمته الى ان قتله عبد الرحمن بن خلوف كما نذكر في موضعه

الخبر عن السلم وشروطه بين صاحب تونس وصاحب بجاية

لما افتتح السلطان ابو البقا قسنطينة وقتل ابن الامير وفرغ من ذلك
الشان ادرك اهل الحضرة الندم على ما استدبروا من مهادنة صاحب الثغر وقارن
ذلك مهلك يوسف بن يعقوب الذي كانوا يرجونه شاغلا له فجنحوا الى السلم
وبعثوا وفدهم في ذلك اليه فاسعدوا والحموا وشرط عليهم السلطان ابو البقا
ان من هلك منهما قبل صاحبه فالامر من بعده للاخر والبيعة له فتقبلوا الشرط
وحضر الملا والمشيخة من الموحدين ببجاية ثم بتونس فاشهدوا وامضوا على انفسهم
وربط ذلك العقد واحكمت اواخيه الى ان نقضه اهل الحضرة عند مهلك السلطان
ابي عصيدة كما نذكره

الخبر عن سفر شيخ الدولة بتونس ابي يحيى اللحياني لحصار جربة ومضيه منها الى الحج

لما انعقد امر هذا الصلح واستتم راجع رئيس الدولة ابو يحيى زكريا بن اللحياني نظره لنفسه واعمل فكره في الخلاص من اسطوله وكان يومل رجوع الوفد المغربين بالمهدية من امراء الديار المصرية الى يوسف بن يعقوب فيصحبهم لقضاء فرضه وابطا عليه شانهم فاعتزم على قصده وورى بحركته الى جربه لاسترجاعها من ايدي النصارى والرجوع عنها من بعد ذلك الى الجريد لتمهيد احواله وتناول الراي في التظاهر مع السلطان فاذن له وسرح معه العساكر فخرج من تونس في جمادى سنة ست غازيا الى جربه ولم يزل يبعد السير حتى انتهى الى مجازها ثم عبر عنه الى الجزيرة وكان النصارى لما تغلبوا عليها سنة ثمان وثمانين شيدوا بها حصنا لاعتصام الحامية سموه بالقشتيل ونزلت العساكر عليه وانفذ الشيخ ابو يحيى عماله للجباية واقام في منازلته شهرين ثم انقطعت الاقوات واستعصى الحصن الا بالمطاولة فرجع الى قابس ثم ارتحل الى بلاد الجريد وانتهى الى توزر ونزلها واعتى في خدمته احمد بن محمد بن يملول من مشيختها فاستوفى جبا الجريد وعاد الى قابس وانزله عبد الملك بن عثمان بن مكي بداره وصرح بما ورى عنه من حجه وصرف العساكر الى الحضرة وولى بعده رياسة الموحدين وتدبير الدولة ابو يعقوب بن بزدوتن وتحول عن قابس الى بعض جبالها تجافيا عن هوايها الوخم واقام في انتظار الركب الحجازي وكان مريضا الى ان ابل فتحول عنه الى طرابلس واقام بها عامين او ان وصل وفد الترك من المغرب الاقصى اخر سنة ثمان فخرج معهم حاجا حتى قضى فرضه وعاد فكان من شانه واستيلايه على منصب الخلافة ما ياتي ذكره ووصل مدد النصرانية الى قشتيل جربه سنة ثمان بعد منصرف العساكر عنهم وفيهم فذريك بن الطاغية صاحب صقلية فقاتلهم اهل الجزيرة من النكارة لنظر ابي عبد الله بن الحسين من مشيخة الموحدين ومعه ابن امغار في قومه من اهل جربه فاظفرهم الله بهم ولم يزل شان هذه الجزيرة مع العدو كذلك منذ التاث دولة صنهاجة وربما وقعت الفتنة بين اهلها من النكاره فيتصل احدى الطايفتين بهابا النصارى الحال كان ارتجاعها من هذه النوبة سنة واربعين لعهد مولانا السلطان ابي يحيى كما نذكره في اخباره

الخبر عن مهلك السلطان ابي عصيدة
وبيعة ابي بكر الشهيد

كان السلطان ابو عصيدة فقد تملى سلطانه وتمهيد ملكه طرقه مرض الاستسقا فازمن ثم مات على فراشه في ربيع الاخر سنة تسع ولم يخلف ابنا وكان بقصرهم سبط من اعقاب الامير ابي زكريا جدهم ثم من ولد ابي بكر ابنه الذي ذكرنا وفاته في خبر شقيقه ابي حفص في فتح مليانه ايام السلطان المستنصر فلم يزل بنوه تقصوهم وفي ظل ملكهم ونشا منهم ابو بكر بن عبد الرحمن بن ابي بكر في ايالة السلطان ابي

عصيدة

ن

عصيدة وربي في حجر نعمته فلما هلك السلطان ابو عصيدة ولم يعقب وكان السلطا ابو البقا خالد قد انتزع اليه حمزة بن عمر عند ياسه من خروج اخيه من محبسه لا فزعه في ملك الحضرة واستحثه عليها ثم وصل ابو علي بن كثير فلقي السلطان ابو عصيدة واستنهض السلطان ابا البقا لملك تونس فنهض كما نذكره واسترابا الموحدون بتونس بشان حركته وخافوه على انفسهم فبايعوا لهذا الامير ابي بكر الذي عرف بالشهيد بما كان من قتله لسبع عشرة ليلة من بيعته وابقى ابا عبد الله بن يرزيكن على وزارته وزحزح محمد بن الدباغ عن رتبة الحجابة وتوعده لما كان يحقد عليه من التقصير به ايام سلطانه فكان عونا عليه الى ان هلك عند استيلاء السلطان ابي البقا كما نذكره

الخبر عن استيلاء السلطان ابي البقا على
الحضرة وانفراده بالدعوة الحفصية

لما بلغ السلطان ابو البقا بمكانه من بجاية واعمالها الخبر بموت السلطان ابي عصيدة مع ما كان من العقد بينهما بان من مات قبل صاحبه جمع الامر بعده للاخر داخلته الظنة ان ينتقض اهل الحضرة في هذا الشرط فاعتزم على النهوض لمشارفة الحضرة ووصل اليه حمزة بن عمر نازعا عنهم فرغبه واستحثه وخرج من بجاية في عساكره وورى بالحركة الى الجزائر لما كان من انتقاضهم على ابيه واستبداد ابن علان بها ثم ارتحل الى قفر جابر وعند بلوغه اليه ورد الخبر بمهلك السلطان ابي عصيدة وبيعة الموحدين بعده لابي بكر بن عبد الرحمن بن ابي بكر ابن الامير ابي زكريا فامضى عزمه على الموحدين واغذ السير واجاش اليه كافة اولاد ابي الليل واجتمع اقتالهم اولاد مهلهل الى صاحب تونس وخرج معهم شيخ الدولة ابو يعقوب بن يزدوتن والوزير ابو عبد الله بن يرزيكن في العساكر للقاء ودفعوا سلطانهم بانفسهم فلما زحف اليهم السلطان ابو البقا اختل مصافهم وانهزموا وانتهب المعسكر وقتل الوزير بن يرزيكن واجفلت احياء العرب الى القفر ودخل العسكر الى البلد واضطرب الامر وخرج الامير ابو بكر بن عبد الرحمن فوقف بساحة البلد قليلا ثم تفرق عنه العسكر وتسايلوا الى السلطان ابي البقا وفر ابو بكر ثم ادرك ببعض الجنات فتل الى السلطان واعتقله في بعض الفازات وغدا الى السلطان اهل الحضرة من مشيخة الموحدين والفقها والكافة فعقدوا بيعته وقتل الامير ابو بكر فسمي الشهيد اخر الدهر وبامره قتله ابن عمه ابو زكريا يحيى بن زكريا شيخ الموحدين ودخل السلطان من الغد الى الحضرة واستقل بالخلافة وتلقب الناصر لدين الله المنصور ثم استضاف الى لقبه المتوكل وابقا ابا يعقوب بن يزدوتن في رياسته على الموحدين مشاركا لابي زكريا يحيى بن ابي الاعلام الذي كانا رديفا عنده قبلها واستمر على خطة الحجابة ابو عبد الرحمن

يعقوب بن عمر وولي على الاشغال بالحضرة منصور بن فضل بن مزني وجرت الحال على ذلك الى ان كان ما نذكره

الخبر عن بيعة ابن مزني ليحيى بن خالد ومصاير اموره

كان يحيى بن خالد بن السلطان ابي اسحاق في جملة السلطان ابي البقاء خالد وسكر له الدولة لبعض النزعات تخشى البادرة ففر ولحق بمنصور بن مزني وكان منصور قد استوحش من ابن عمر فدعاه الى القيام بامره فاجاب وعقد له على حجابته وجمع له العرب واجلب على قسنطينة اياما وبها ابو محمد بن طفيل وكانت قد اجتمعت ليحيى بن خالد زعنفة من الاوغاد استملوا عليه واستحكم عليهم واغروه بابن مزني وعدوهم الى حين ظفره واطلع ابن مزني على سوء دخلته ودخلتهم فنفض يده من طاعته وانصرف عنه الى بلده وانفضت جموعه وراجع ابن مزني طاعة السلطان ابي البقاء ومخالصة بطانته وحاجبه فتقبلوه ولحق يحيى بن خالد بتلمسان مستجيشا ونزل على اميرها ابي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن فهلك لايام من مقدمه وولي بعده اخوه ابو حمو بن عثمان فابعده وزحف الى محاربة قسنطينة فامتنعت عليه ثم استدعاه ابن مزني الى بسكرة فاقام عنده واسنى له الجراية ورتب عليه الحرس وكان السلطان ابن اللحياني يبعث اليه من تونس بالجايزة مصانعة له في شانه حتى لقد اقطع له بتونس من مرتبي المشيخة ولم يزل في اسهامه واسهام بنيه من بعده الى ان هلك يحيى بن خالد بمكانه عنده سنة احدى وعشرين

الخبر عن بيعة السلطان ابي بكر بقسنطينة

على يد الحاجب ابن عمر واولية ذلك

لما نهض السلطان ابو البقاء الى الحضرة عقد على بجاية لعبد الرحمن بن يعقوب ابن الخلوف مضافا الى رياسته على قومه مما كانوا يستخلفون اباه عليها عند سفرهم عنها وكان يلقب المزوار وجعله حاجبا لاخيه الامير ابي بكر على قسنطينة فانتقل اليها وعكف السلطان ابو البقاء بتونس على لذاته وارهف حده وعظم بطشه فقتل عدوان بن المهدي من رجالات سدويكش ودغار بن جرير من رجالات الاثابج فتفاوض رجال الدولة في شانه وخشوا بادرته واعمل الحاجب ابن عمر وصاحبه منصور بن فضل عامل الزاب الحيلة في التخلص من ايالته واستعمل راشد بن محمد امير مغراوة كان نزع اليهم عند استيلاء بني عبد الواد على وطنه فتلقوه من الكرامة بما يناسبه واستقر في جملتهم وعليه وعلى قومه كانت تدور رحا حروبهم واستصحبه ابو البقاء خالد الى الحضرة اميرا على زناتة فرفع بعض حشمه الى الحاجب من يستعدي حكمه وقد استعدى عليه بعض الخدم فامر بقتله لحينه ولحفظ

ذلك

ذلك للامير راشد بن محمد فركب لها عزايمه وقوض خيامه لحينه مغاضبا فوجد الحاجب بذلك سبيلا الى قصده وتمت حيلته وحيلة صاحبه واهم السلطان شان بجاية ونواحيها وخشي عليها من راشد بما كان صديقا ملاطفا لعبد الرحمن بن الخلوف وفاوضهما فيمن يرفعه اليها فاشار عليه الحاجب بمنصور بن مزني واشار منصور بالحاجب وتدافعاها اباية حتى دفعهما جميعا اليها وطلب ابن عمر من السلطان العقد لاخيه ابي بكر على قسنطينة فعقد له وولي عليها ابن عمه على الحجابة بتونس نايبا عنه وفصل من الحضرة ولحق بقسنطينة وصرف منصور بن فضل الى عمله بالزاب فكان من خلافه ما نذكره وقام ابن عمر بخدمة السلطان ابي بكر فتصرف في حجابته ثم داخله في الانتقاض على اخيه وبدت مخايل ذلك عليهم فارتاب لهم السلطان ابو البقاء واخر علي بن عمر بارتيابه فلحق بقسنطينة وجهز السلطان ابو البقاء عسكرا وعقد عليه لظافر المعروف بالكبير وسرحه الى قسنطينة فانتهى الى باجة واراح بها الى ان كان من امره ما نذكره وبادر ابن عمر الى المجاهرة با ودعا مولانا السلطان ابا بكر اليه فاجابه واخذ له البيعة على الناس سنة احدى عشرة وسبعمائة وتلقب بالمتوكل وعسكر بظاهر قسنطينة الى ان بلغته مجاهرة ابن الخلوف بخلافهم فكان ما نذكره

الخبر عن استيلاء السلطان على بجاية ومقتل

ابن خلوف وما كان من الادارة في ذلك

كان يعقوب بن الخلوف ويكنى ابا عبد الرحمن كبير صنهاجة جند السلطان الموطنين بنواحي بجاية وكان له في الدولة مكان وعناء في حروبهم ودفاع عدوهم ولما نزلت عساكر بني مرين على بجاية مع ابي علي بن يعقوب بن عبد الحق سنة ثلاث وسبعمائة كان له في حروبهم مقامات مذكورة وآثار معروفة وكان الامير ابو زكريا وابنه يستخلفونه ببجاية ازمان سفرهم عنها وكان يلقب المزوار ولما هلك خلفه في سبيله تلك ابنه عبد الرحمن واستخلفه السلطان ابو البقاء على بجاية عندما نهض الى تونس سنة تسع وانزله بها وكان طموحا لجوجا مدلا برياسته وقومه ومكانه من الدولة فلما دعا السلطان ابو بكر لنفسه وخلع طاعة اخيه واخذ له ابو عبد الرحمن بن عمر البيعة على الناس وخاطبوه باخذ البيعة له على من يليه ببجاية واعمالها فابى منها وتمسك بدعوة صاحبه ونفس على ابن عمر ما حصل له بذلك من الحظ فجاهر بخلافهم وجمع واحتشد وتقبض على صاحب الاشغال عبد الواحد بن القاضي ابي العباس الغماري وعلى صاحب الديوان محمد بن يحيى القالون مصطنع الحاجب ابن عمر من اهل المرية كان اسدى اليه عند اجتيازه به معروفا ورحل اليه عندما استولى على الرتبة ببجاية فكافاه عن معروفه واصطنعه والقى عليه محبته ورقاه الى الرتب وصرفه في اعمال الجباية وقلده ديوان بجاية فتقبض عبد الرحمن بن الخلوف عليه وعلى صاحبه وجمع الناس واعلن

بالدعوة للسلطان ابي البقاء خالد وارتحل السلطان ابو بكر من معسكره بظاهر
قسنطينة واغذ السير الى بجاية ونزل محاصرا عليها واقتتل الناس عامة يومهم
وشرط ابن الخلوف على السلطان عزله ابن عمر وترددت الرسل بينهم في ذلك
وكان الوزير ابو بكر ابن ابي الاعلام من الساعين في هذا الاصلاح بما كان له
مع ابن الخلوف وحين رجع اليه بامتناع السلطان عن شرطه منعه من الرجوع من العهد صح
اليهم وحبسه عنده وارجف اهل العسكر بالسلطان وخاموا عن لقاء صنهاجة
ومن معهم من مغراوة اهل الشوكة والعصبية والعديد والقوة وانجفل عن
السلطان من معسكره فانتهبت واحرقت ابنيته وسلب من كان في المعسكر من
اخلاط الناس ودخل السلطان الى قسنطينة في فل من معسكره وبعث
ابن خلوف عسكرا في اتباعه فوصلوا الى ميلة فدخلوها عنوة ثم وصلوا الى
قسنطينة فقاتلوها اياما ورجعوا الى بجاية واقام السلطان واضطرب
امره وتوقع زحف ظافر اليه من باجة واتصل به ان ابا يحيى زكرياء بن احمد
اللحياني قفل من المشرق وانه لما انتهى الى طرابلس دعا لنفسه لما وجد بافريقية
من الاضطراب فبويع وتوافت اليه العرب من كل جهة فراى السلطان من اهل
الحزم ان يبعث اليه بالحاجب ابن عبد الرحمن بن عمر ليستبد من سلطانه ويشغل
اهل الحضرة عنه فورّى بالفرار عن السلطان وتواطا معه على المكر بابن
خلوف في ذلك ولحق ابن عمر باللحياني واستحثه لملك تونس وهون عليه
الامر وغدا السلطان عند فقدان ابن عمر على منازله فكبسها وسطا بحاشيته
وولى حجابته حسن ابن ابراهيم بن ابي بكر بن ثابت رئيس اهل الجبل المطل
على قسنطينة والمنزل من كتامة ويعرف قومه ببني تليلان وكان قد اصطنعه
من قبل وارتحل بالعساكر الى بجاية سنة ثنتي عشرة واستخلف على قسنطينة
عبد الله بن ثابت اخا الحاجب واشيع بالجهات ان السلطان تنكر لابن عمر
وسخطه وانه ذهب الى ابن اللحياني واستجاشه على الحضرة وبلغ ذلك
ابن خلوف واستيقن اضطراب حال السلطان خالد بتونس فطمع في حجابة
السلطان ابي بكر وتوثق لنفسه منه بالعهد بمداخلة عثمان بن سبل ه
وعثمان بن سباع بن يحيى من رجالات الدواودة والولي يعقوب الملاري
من نواحي قسنطينة واغذ السير من بجاية ولقي السلطان بعرجيوم من
بلاد سدويكش فلقاه برا وترحيبا ثم استدعاه من جوف الليل الى رواقه
من موالي المعلوجي فعاقره الخمر الى ان ثمل واستغضبوه ببعض النزغات
فغضب واقذع فتناولوه طعنا بالخناجر الى ان قتلوه وجروا شلوه وطرحوه
بين الفساطيط وتقبض على ساير قومه وحاشيته وفر كاتبه عبد الله
ابن هلال فلحق بالمغرب وارتحل السلطان مغذا الى بجاية فدخلها على
حين غفلة واستولى على ملك ابيه بالناحية الغربية واستوسق له امرها
واقام في انتظار حاجبه ابن عمر الى ان كان من الامر ما نذكر

الخبر

الخبر عن مهلك السلطان ابي البقاء خالد واستيلاء السلطان ابي يحيى بن اللحياني على الحضرة

كان السلطان ابو البقاء خالد بعد بيعة السلطان ابي بكر بقسنطينة قد اضطربت احواله
وجهز اليه العساكر لمنازلة قسنطينة وعقد عليها لمولاه ظافر المعروف بالكبير فعسكر
بباجة واراح ينتظر امر السلطان وكان ابو يحيى زكرياء بن احمد بن محمد اللحياني بن ابي محمد
عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص قد بويع بطرابلس لما قفل من المشرق وراى اضطراب احوال
خالد ووفد عليه هنالك الحاجب ابو عبد الرحمن بن عمر بهدية من السلطان ابي بكر وانه يمده
ومظاهره على شانه فاحكم ذلك من عقدته وشد من ازره وتوافت اليه رجالات الكعوب
اولاد ابي الليل وغيرهم فبايعوه واستحثوه للحضرة فارتحل اليها وبعث في مقدمته
اولاد ابي الليل ومعهم شيخ دولته ابو عبد الله محمد بن محمد المزدوري فاغذوا السير
الى الحضرة وبعث السلطان الى مولاه ظافر بمكانه من باجة مستجيشا به فاعترضوه
قبل وصوله واوقعوا به واعتقلوا ظافرا وصبحوا تونس تاسع جمادى سنة احدى عشرة
ووقفوا بساحتها فكانت هيعة بالبلد قتل فيها شيخ الدولة ابو زكرياء الحفصي وعمد
القاضي ابو اسحاق بن عبد الرفيع على السلطان وكان منبوءا صارما قوي الشكيمة
فاغراه بمدافعة العدو فخام عن لقائه واعتذر بالمرض واشهد بالانخلاع عن الامر وحل
البيعة ودخل ابو عبد الله المزدوري القصر فاستمكن من اعتقاله ثم جاء السلطان
ابو يحيى زكرياء ابن اللحياني على اثره ثاني رجب فبويع البيعة العامة بظاهرها ودخل
الى البلد واستولى عليها وولى على حجابته كاتبه ابا زكرياء يحيى بن علي بن يعقوب وعلى
الاشغال بالحضرة ابن عمه محمد بن يعقوب وبنو يعقوب هؤلاء اهل بيت بشاطبة من
بيوت العلم والقضاء قدموا الى الحضرة مع الجالية وكان منهم ابو القاسم عبد الرحمن بن
يعقوب وفد مع ابن الامين صاحب طنجة كما قدمناه وتصرف في القضاء بافريقية وولاه
السلطان المستنصر قضاء الحضرة وسفر عنه الى ملوك مصر وكان بنو علي هؤلاء عبد
الواحد ويحيى ومحمد من اقاربه وكان لهم ظهور في دولة السلطان ابي حفص وبعدها وكان
عبد الواحد منهم صاحب جباية الجريد وهلك بتوزر سنة ثنتين وسبعماية وكان
السلطان ابو يحيى بن اللحياني قد استكتب اخاه ابا زكرياء يحيى ايام رياسته على الموحدين
فحظي عنده واختصه ولازمه وحج معه فلما ولي الخلافة احظاه وولاه حجابته ولما استقر
بتونس واستوسق له الامر اعاد الحاجب ابا عبد الرحمن بن عمر الى مرسله السلطان ابي
يحيى بعد ان وثق العقد معه على المهادنة وضمن له ابن عمر من ذلك ما رضيه وتمسك بابن
عمه علي فاقام عنده مكرما متسع الجراية والاسهام الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن قدوم ابن عمر على السلطان ببجاية ونكبة ابن ثابت وظافر الكبير

لما قدم ابن عمر على بجاية استبد بحجابته وكفالته كما كان وليوم وصوله فر عبد الله بن هلال كاتب ابن خلوف ولحق بتلمسان وشمر ابن عمر عن ابنه للاضطلاع بامره ودفع حسن بن ابراهيم نائب عن المرتبة فلم يتزحزح له وخرج لجباية الوطن ثم اغري به السلطان وحذره من استبداده بقسنطينة لمكان معقله المجاور لها وسعايات تنصح بها حتى صادفت القبول لمكانه والوثوق بنصحايه وخرج السلطان في العساكر من بجاية الى قسنطينة سنة ثلاث عشرة للنظر في احوالها فلما انتهى الى فرجيوة لقيه عبد الله بن ثابت فتقبض عليه وعلى اخيه حسن بن الحاجب سنة ثلاث عشرة وقتلهما بعد ان استصفى اموالهما ويقال انه بعد خروج حسن بن ثابت الى عمال قسنطينة بعث في اثره بعض مواليه واوعز معهم الى عبد الكريم بن منديل ورجالات سدويكش فقتلوه بوادي القطن وان السلطان يباشر نكبته وكان ظافر الكبير بعد انهزامه وحصوله في اسر العرب كما قدمناه امتنعوا عليه واطلقوه ولحق السلطان ابا بكر فاثره واستخلصه كما كان لاخيه وولاه على قسنطينة عند نكبة ابن ثابت واستكتب له ابا القاسم بن عبد العزيز ابن خلوف من الادوات فاقام ظافر واليا بقسنطينة ثم استقدمه السلطان الى بجاية وقد غص ابن عمر بمكانه فاغرى به السلطان فتقبض عليه واشخصه في السفين الى الاندلس

الخبر عن منازلة عساكر بني عبد الواد بجاية وما كان في ذلك من الاحداث

كان السلطان ابو يحيى لعد انهزامه عن بجاية سنة عشر وبعث سعيد بن يخلف من مواليه الى ابو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وكان قد اتيح له زناتة المغرب الاوسط ظفر واعتزاز وتملك امصاره من ايدي بني مرين بعد مهلك يوسف بن يعقوب على تلمسان ودوخ جبالة واستولى على اعمال مغراوة وتوجين وملك الجزائر واستنزل منها ابن علان الثائر بها وملك تدلس من يد ابن خلوف فبعث اليه السلطان في المواصلة والمظاهرة وان تكون يدهما على ابن خلوف واحدة فطمع لذلك موسى بن عثمان في ملك بجاية ثم بلغه مهلك ابن خلوف واستيلاء السلطان على ثغره فاستمر على المطالبة وادعى ان بجاية له في شرطه وقارن ذلك لحاق صنهاجة اليه عند مهلك صاحبهم فرغبوه في ملك بجاية وضمنوا له امرها ثم قدم عثمان بن سباع بن يحيى مغاضبا للسلطان لما كان من افتياته عليه في ابن خلوف واخفار ذمته وعمله فيه واستقر عند ابن ابي حمو منذ منصرفه عن الحجابة ورجوعه من الحج فرغبوه في ذلك واستحثوه لطلب بجاية فسرح العساكر اليها لنظر محمد بن عمه يوسف بن يغمراسن ومسعود بن عمه ابي عامر ابراهيم ومولاه مسامح وبعث معهما ابا القاسم بن ابي يحيى الحاجب فتقبلوا عنه من دار منامته بتلمف فاغذوا السير وهلك ابن ابي يحيى في طريقه بجبل الزاب ونازلوا البلد ثم جاوزوها الى الجهات الشرقية فاثخنوا فيها ودخلوا جبل ابن ثابت واستولوا

عليه

عليه واستباحوه سنة ثلاث عشرة ونالت منهم الحامية في المدافعة بالقتل والجراحة اعظم النيل وقفلوا راجعين فشيدوا واحصنا باصفون وشحنوه بالاقوات ولما وصل محمد بن يوسف ومسامح وبحنهما وطوقهما سنة اربع عشرة لهدم حصن بني عبد الواد باصفون تحزب وانتهبت اقواته وعدده وسرح ابو حمو عسكرا آخر لحصار بجاية عقد عليه لمسعود بن عمه ابي عامر ابراهيم بن يغمراسن فنازلوها سنة خمس عشرة واتصل بهم خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن وبني توجين معه على ابي حمو وانهم اوقعوا به وهزموه واستولوا على معسكره فاحتمل مسعود بن ابي عامر عسكره وافرجوا عن بجاية ووصل على اثرها خطاب محمد بن يوسف بالطاعة والانحياش فبعث السلطان اليه صنيعته محمد بن الحاج فضل بالهدية والالة ووعده بالمظاهرة وتسويغ الاسهام التي كانت ليغمراسن بافريقية وشغل بنو عبد الواد عن بجاية وخرج السلطان في عساكره للاشراف على وطنه الى ان كان ما نذكره

الخبر عن استبداد ابن عمر ببجاية

لم يزل ابن عمر مستبدا على السلطان في حجابته يرى ان زمامه بيده وامره متوقف على انفاذه وصار يغريه ببطانته فيقتلهم ويغربهم وربما كان يانف من استبداده عليه وداخله بعض اهل قسنطينة سنة ثلاث عشرة في اغتياله ابن عمر فهموا بذلك ولم يتم وفطن لها ابن عمر فاوقع بهم وقسمهم بين النكال والعذاب فرقا ثم رجع السلطان الى بجاية سنة ثلاث عشرة لما اهمهم من حصارها واتصلت حاله معه على ذلك النحو من الاستبداد الى ان بلغ السلطان اشده وارهف حده وسطا بمحمد بن فضل فقتله في خلوة معاقرته من غير مؤامرة الحاجب ونكر ابن عمر مقعده بباب السلطان فوجد شلوه ملقى في الطريق مضرجا في ثيابه واحس ان السلطان سطا به فداخله الريب من استبداد السلطان وارهبه فاحذره وخشي بوادره وتوقع سعاية البطانة ولحى الخلوة وتخيل في بعده عنه واستبداده بالثغر دونه فاغراه بطلب افريقية من يد ابن اللحياني وجهزه بما يصلحه من الالة والفساطيط والعساكر والخدام ورتب له المراتب وارتحل السلطان الى قسنطينة سنة خمس عشرة ثم غاديا الى هوارة واجفل عنها ظافر ثم تعاطى تايدها من مواليهم فاستوفى جباية هوارة وقفل الى قسنطينة سنة ست عشرة واستبد ابن عمر ببجاية ومدافعة العدو من زناتة عنها واستخلف على حجابته السلطان محمد بن القالون فقرت عينه بما كان يومل من استبداده الى ان كان من امرهما ما نذكر

الخبر عن سفر السلطان ابي يحيى اللحياني الى قابس وتجافيه عن الخلافة

كان هذا السلطان ابو يحيى ابن اللحياني قد طعن في السن وكان بصيرا في السياسة

عجزا للامور يرى من نفسه العجز عن حمل الخلافة واستخفافها مع ابناء الامير ابي زكرياء
الاكبر ذلك استنفا لصاحب الثغور الغربية الامير ابي بكر واستغلظ امره
بمن انتظم في ديوان جنده من اعياص زناتة وفحول مونهم من توجين ومغراوة
وبني عبد الواد وبني مرين كانوا ينزعون اليه مع الايام عن ملوكهم خشية على انفسهم
لما قاسموهم في النسب وساهموهم في يعسوبية القبيل وفحولية الشول ومنهم من
على مواطنهم وملكوها عليهم مثل مغراوة وبني توجين ومليكش فاستكفى بذلك
جند السلطان وكثرت جموعه وهابه الملوك ونهض سنة ست عشرة الى افريقية
وجال في بلاد هوارة واخذ جبايتها كما ذكرناه فتوقع السلطان ابن اللحياني زحفه
الى تونس وكانت افريقية مضطربة عليه وكان يعول في الحماية والمدافعة على
اوليائه من العرب تولى منهم حمزة بن عمر بن علي بن ابي الليل فحكمه في امره واشركه
في سلطانه وافرده برياسة العرب واجره الرسن وسرب اليه الاموال وكثر بذلك
زبون العرب واختلافهم عليه فاعتزم على التقويض عن افريقية ونفض ليده من
الخلافة فجمع الاموال والذخيرة وباع ماكان بمودعاتهم من الانية والفرش والخرثي
والماعون والمتاع حتى الكتب التي كانت عند الامير ابي زكرياء الاكبر جمعها واستجاد
اصولها ودواوينها اخرجت للوراقين فبيعت بدكاكينهم فجمع من ذلك زعموا قناطير
من الذهب تجاوز العشرين وجوالقين من حصا الدر والياقوت وخرج من تونس الى
قابس موريا بمشارفة عملها فاتح سبع عشرة بعد ان دبت الحامية بالحضرة وباجة
والحمامات واستخلف بالحضرة ابا الحسن بن وانودين وانتهى الى قابس فاقام بها وصرف
العمال في جبايتها الى ان كان من بيعة ولده بتونس ما نذكر بعد

الخبر عن نهوض السلطان ابي بكر ورجوعه
الى قسنطينة

لما رجع السلطان من هوارة الى قسنطينة سنة ست عشرة كما قدمناه استبلغ في
جمام حركة اخرى الى تونس فاحتشد وقسم العطاء وازاح العلل واعترض الجنود على
طبقاتهم من زناتة والعرب وسدويكش واستخلف على قسنطينة الحاجب محمد بن القالون
وبعث الى حاجبه الاعظم ابي عبد الرحمن بن عمر بمكانه من امارة بجاية في مدد المال
للنفقات والاعطيات فبعث اليه منصور بن فضل بن مزني عامل الزاب وكان ابن
عمر لما راى من كفايته وانه جماعة للمال استخلصه له عمال جبل اوراس والحضنة
وسدويكش وعياض وساير اعمال الضاحية فكانت اعمال الجباية كلها لنظره وامرها
في حسبان دخله وخرجه فبعثه ابن عمر ليتمم انفاق السلطان واستخلفه على خطة
حجابته وارتحل السلطان من قسنطينة في جمادى سنة سبع عشرة يطوي المراحل
ولقيه في طريقه وفود العرب وانتهى الى باجة حاميتها الى تونس وكان
السلطان ابو يحيى اللحياني قد خرج عنها الى قابس كما قدمناه واستخلف عليها ابا

الحسن

الحسن بن وانودين وبعث اليه بنهوض السلطان ابي بكر الى تونس وانه محتاج الى المدافعة
فاعتد لهم اللحياني مما قبله من الاموال واطلق ايديهم في الجيش والمال فاركبوا ه
واستلحقوا الديوان واخرجوا ابنه محمدا ويكنى ابا ضربة فاطلقوه من اعتقاله
وبعثهم الخبر باشراف السلطان ابي بكر على باجة فخرجوا جميعا من تونس وخالفهم
الى السلطان مولاهم بن عمر بن ابي الليل كان مضطغنا على الدولة متربصا بها لمكان
اللحياني تولى عليه اخاه حمزة فلقي السلطان دون باجة فاعطاه صفقته واستحثه
ووصل الى تونس فنزل روض السناجرة من رياض السلطان في شعبان من سنة سبع
عشرة وخرج اليه الملا ودد وافى البيعة بعض المشيخة انتظارا لشان ابي ضربة واصحابه
وكان من خبرهم ان السلطان لما اغذ السير من باجة بادر حمزة بن عمر الى بطانة اللحياني
واوليائه بتونس فلقيهم وقد خرجوا عنها فاشار عليهم ببيعة ابي ضربة بن السلطان
اللحياني ومراجعة القوم به ففعلوا ورجعوا الى لقاء السلطان ودس حمزة الى اخيه
مولاهم ان يرجف بالمعسكر فاجفل السلطان من مقامته بروض السناجرة لسبعة ايام من
احتلاله قبل ان يستكمل البيعة وارتحل الى قسنطينة ورجع عنه مولاهم من نحوه وطنه
وسرح منصور بن مزني الى ابن عمر ببجاية ودخل ابو ضربة بن اللحياني والموحدون
الى تونس منتصف شعبان من سنته وبويع بالحضرة البيعة العامة وتلقب
المستنصر واراد اهل تونس على ادارة سور بالارباض يكون سياجا عليها فاجابوه الى
ذلك وشرع فيه وارهقه العرب في مطالبهم واشترطوا عليه في شروطهم الى ان عاود
مولانا السلطان حركته كما نذكر

الخبر عن استيلاء السلطان ابي بكر على الحضرة
وايقاعه بابي ضربة وفرار ابيه من طرابلس الى المشرق

لما قفل السلطان من تونس الى قسنطينة بعث قائده محمد بن سيد الناس من
يديه الى بجاية فارتاب ابن عمر بوصوله وتنكر له وشعر بذلك السلطان فاغضى له
عنها وطلبه في المدد فاحتفل في الحشد والالة والابنية وبعث اليه سبعة من رجال
الدولة بسبعة عساكر وهم محمد بن سيد الناس ومحمد بن الحكيم وظافر السنان والخصي
من موالي الامير ابي زكرياء الاوسط ومحمد المديوني ومحمد الحرسي ومحمد البطوي وبعث لهم
فحول زناتة وعظمائهم عبد الحق بن عثمان من اعياص بني مرين كان ارتحل اليه من الاندلس
كما نذكر في خبره وابا رشيد بن محمد بن يوسف من اعياص بني عبد الواد وفيمن كان معهم من قومهم
وحاشيتهم واحسن في ارتيادهم فخرج في صفر من سنة ثمان عشرة واستعمل على حجابته ابا
عبد الله بن القالون ومرادفه ابو الحسن بن عمر ووافاه بالاربس وفد هوارة وكبيرهم سليمان
ابن جامع واخبروه بان ابا ضربة ابن اللحياني اجفل من باجة بعد ان نزلها معترضا على اللقاء
فارتحل مولانا السلطان نحوا ولقيه مولاهم ابن عمر مراجعا الطاعة واستحثوا في اتباع
ابي ضربة وجموعه حتى شارفوا البر وان يخرج اليه عاملها وشيختها فالقوا اليه بالبلد

واعطوا الطاعة وارتحل السلطان راجعا عن اتباع عدوه الى الحضرة وقد ترك بها ابو
ضربة ابن اللحياني من بطانته محمد بن الفلاق بمانع دونها فاخرج الرماة الى ساحتها
وقاتل العساكر ساعة من النهار ثم اقتحموها عليه واستبيح عامة ارباضها وقتل
ابن الفلاق ودخل السلطان الى الحضرة في ربيع من سنته فاقام خلالا لما انعقدت
العامة وقدم على الشرطة ميمون بن ابي زيد واستخلفه على البلد وارتحل في اتباع
ابي ضربة بن اللحياني وجموعه فاوقع بهم بمصرح من جهات بلاد هوارة وقتل من
مشيخة الموحدين ابو عبد الله بن الشهيد من اهل البيت الحفصي وابو عبد الله بن
ياسين ومن طبقات الكتاب ابو الفضل التيجاني وتقبض على شيخ الدولة ابو محمد عبد
الله بن يغمور وقيد الى السلطان فعفى عنه ونوهه لقومه ثم اعاده الى حظته بعد ذلك
ورجع السلطان الى تونس في رجب من سنته وكان السلطان ابو يحيى ابن اللحياني
لما بلغه الخبر بنهوض السلطان الى تونس حركته الثانية سنة سبع عشرة وما كان
من بيعة الموحدين والعرب لابنه ابي ضربة ارتحل من مقامته بقابس الى نواحي طرابلس
ثم بلغه رجوع السلطان الى قسنطينة فاوطن طرابلس وبنى مقعد المملكة بسور
البلد مما يلي البحر سماه الطارمة وبعث العمال في الجهات لجباية الاموال وبعث
على جبال طرابلس اباعبد الله بن يعقوب قريب حاجبه ومعه محمد بن مرغم كبير
الجواري من دباب فدوخ البلاد وفتح المعاقل وجبى الاموال وانتهى الى برقة واستخدم
ال سالم وال سليمان من عرب دباب ورجع الى سلطانه بطرابلس ووفاه الخبر
بانهزام ابي ضربة ابنه فبعث صاحبه ابا زكريا بن يعقوب ووزيره اباعبد الله بن
ياسين بالاموال لاحتشاد العرب ففرقوها في علاق ودباب وزحف ابو ضربة
الى القيروان وبلغ الخبر الى السلطان ابي بكر فخرج من تونس اخر شعبان من سنة
ثمان عشرة فاجفلوا عن القيروان ثم تدابروا وعقلوا رواحلهم مستميتين
بزعمهم حتى اطلت عليهم العساكر بمكان فج النعام فانفضت جموعهم وشردت
رواحلهم ورحلوا منهزمين واعتكر النهب باخذ منهم ماخذه ونجا ابو ضربة
في فله الى المهدية وكانوا اقتعطوها على دعوة ابيه فامتنع بها الى ان كان من شانه
ما نذكره وبلغ الخبر الى ابيه بمكانه من طرابلس فاضطرب معسكره وبعث الى النصارى
في اسطول يحمله الى الاسكندرية فوافوه بستة اساطيل فاحتمل اهله وولده وركب
البحر ومعه حاجبه ابو زكريا بن يعقوب الى الاسكندرية واستخلف على طرابلس
اباعبد الله بن ابي عمران من ذوي قرابته وصهره فلم يزل بها الى ان استدعاه الكعوب
ونصبوه للامر واجلبوا به على السلطان مرارا كما نذكر بعد وركب السلطان ابو يحيى
ابن اللحياني البحر الى الاسكندرية فنزل بها على السلطان محمد بن قلاوون من ملوك
الترك بمصر والشام فعظم من مقدمه واهتز للقائه ونوه من مجلسه واسنى من جرايته
واقطاعه الى ان هلك سنة ثمان وعشرين ورجع السلطان ابو بكر الى تونس بعد
الواقعة على ابي ضربة وقومه بفج النعام فدخلها في شوال من سنته واستقامت
افريقية على طاعته وانتظمت امصارها وثغورها في دعوته الا المهدية وطرابلس كما
ذكرناه الى ان كان ما ياتي ذكره

الخبر

الخبر عن مهلك الحاجب ابن غمر ببجاية وولاية الحاجب محمد بن القالون عليها ثم

الاذالة منه بابن سيد الناس

كان الحاجب بن غمر لما استبد ببجاية سنة خمس عشرة وانتقل السلطان الى قسنطينة
ولم يراجعها بعد ثم لما رجع من تونس ثانية حركاته سنة سبع عشرة صرف اليه
منصور بن فضل وبعث في اثره نائبه اباعبد الله محمد بن صاحب ابيه ابي الحسين بن
سيد الناس يحيى منصورا للتحول اليها فرده ابن غمر وتنكر وطالبه السلطان في
المدد فبادر به فاقطعه جانب الرضى وعقد له على بجاية وقسنطينة كما ذكرنا ذلك
كله قبل فاستبد ابن غمر بالثغر وما اليه من الاعمال مقتصرا على ذكر السلطان في
الخطبة واسمه في السكة واقام على ذلك الى ان ملك السلطان تونس واستولى
على جميعها وبعث اليه بابن عمه علي بن محمد بن غمر فعقد له ابو عبد الرحمن الحاجب
على قسنطينة فمضى اليها وهو في خلال ذلك كله يدافع عساكر زناتة عن بجاية
وقد كان ابو حمو صاحب تلمسان بعد ظهوره على محمد بن يوسف واسترجاعه بلاد
مغراوة وتوجين من يده كما قدمناه يسرب العساكر لحصارها وابتنى بالوادي ك
على مرحلتين منها قلعة تكرلت لتجمير الكتائب لحصارها ثم هلك ابو حمو وولي ابنه
ابو تاشفين من بعده سنة ثمان عشرة فتنفس مختنق الحصار عن بجاية ريثما كانت
حركة السلطان الى تونس وفتحها ثم خرج ابو تاشفين من تلمسان لتمهيد اعماله
وقتل محمد بن يوسف بمعقله من جبل وانشريس كما نذكره في اخبارهم فارتحل من هنالك
غازيا الى بجاية فاطل عليها في سنة تسع عشرة وبدا له من حصانتها وكثرة مقاتلتها
وامتناعها مالم يحتسب فانكفا راجعا الى تلمسان واصاب ابن غمر المرض فبعث عن
علي بن عمه من مكان عمله بقسنطينة وعهد اليه بامره والقيام بولاية بجاية الى ان
يصل امر السلطان وهلك لايام على فراشه في شوال من سنة تسع عشرة وقام علي
ابن غمر بامر بجاية واتصل الخبر بالسلطان فاهمه شان الثغر وطير ابن سيد الناس
اليه مع محمد بن ماية دارية لتحصيل تراثه والبحث عن ذخيرته فاستوفى من ذلك فوق
الكثير من الصامت والذخيرة وقام به على السلطان واستقدم معه علي بن غمر فاولاه
السلطان من رضاه ما احسب امله واقام بالحضرة الى ان كان منه خلاف مع ابن ابي
عمران ثم راجع الطاعة وقد احفظ السلطان بولاية عدوه فلما عاد الى تونس
اوعز الى مولاه نجاح وهلال بقتله فاغتالوه خارجا من بستانه فاشووه
وهلك من جراحته

الخبر عن امارة الامير ابي عبد الله على قسنطينة واخيه الامير ابي زكريا

على بجاية وتولية القالون على حجابته

لما هلك ابن عمر اهم السلطان شان بجاية لما كانت عليه من اختلال الحصار ومطالبة بني عبد الواد لها فراى ان يكثف الحامية بالثغور الغربية ويبرز لابنائه للمدافعة والحماية فعقد على قسنطينة لابنه الامير ابي عبد الله وعقد على بجاية لابنه الاخر الامير ابي زكريا وجعل حجابتهما لابي عبد الله بن القالون مستبدا عليهما لمكان صغرهما واكثف لهما الجند وامر بالمقام ببجاية لمنعتها من العدو والملح على حصارها وارتحلوا من تونس فاتح سنة عشرين في احتفال من العسكر والصحاب والابهة وابقى خطة الحجابة خلوا ممن يقوم بها انفا على ابن القالون وبقي للتصرف في الامور من رجالات السلطان ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز الكردي الملقب بالمزوار وكان مقدما على بطانة السلطان المعروفين بالدخلة وعلى الاشغال الكاتب القاسم بن عبد العزيز وسنذكر اوليتهما بعد وانصرف الى بجاية دافلا في حلل العز والتنويه الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن استقدام ابن القالون والادالة

منه بابن سيد الناس في بجاية وبظافر الكبير في قسنطينة

لما انصرف ابو عبد الله بن يحيى بن القالون الى بجاية وخلا وجه السلطان فيه لبطانته عنه وولاية بجاية بثوا فيه السعايات ونصبوا له الغوائل وتولى كبر ذلك المزوار بن عبد العزيز بمداخلة ابي القاسم بن عبد العزيز صاحب الاشغال وعظمت السعاية فيه عند السلطان حتى داخلته فيه الظنة وعقد لمحمد بن سيد الناس على بجاية نقله اليها من عمله ببجاية وكتب له عهده بخطه واستقدم صاحبه محمد بن القالون فقدم وقد تغير السلطان له ودخل ابن سيد الناس بجاية وقام بامر حصارها وحجابة اميرها الى ان استقدم للحجابة وكان من امره ما نذكره ومر ابن القالون بقسنطينة في طريقه الى الحضرة فحدثته نفسه بالامتناع بها وداخل مشيختها في ذلك فابوا عليه فاستخفهم الى الحضرة بحالاتهم ونمى الخبر بذلك الى السلطان فاسرها لابن القالون وعزم على استضافة الحجابة بقسنطينة لابن سيد الناس فاستعفى مشيختها من ذلك واروه ان ابن الامين قريبه

وابن اخيه وذكروا ثورة ابيه فاقصر عن ذلك وصرف اعتزامه الى مولاه ظافر الكبير وذلك عند قدومه من المغرب وكان من خبره انه كان من موالي الامير ابي زكرياء وكان له في دولة ابنه السلطان ابي البقاء ظهور وهو الذي زحف بالعسكر عندما استراب السلطان ابو البقاء باخيه السلطان ابي بكر فاقام بباجة وجاء المزدوري والعرب الى تونس في مقدمة ابن اللحياني فزحف اليهم فغضوه وتنصوا عليه كما نذكر ذلك كله ثم لحق بعدها بمولانا السلطان ابي يحيى واعاده الى مكانه من الدولة وولاه قسنطينة عند مهلك ابن ثابت سنة ثلاث عشرة ثم غص به ابن عمر واغرى به السلطان فاشخصه في السفين الى الاندلس واجاز الى المغرب ونزل على السلطان ابي سعيد الى ان بلغه الخبر بمهلك ابن عمر فكر راجعا الى تونس ولقاه السلطان مبرة وتكريما ووافق ذلك وصول الحاجب ابن القالون من بجاية فعقد السلطان لظافر هذا على حجابة ابنه بقسنطينة الامير ابي عبد الله فقدمها وقام بامرها واستعمل ذويه وحاشيته في وجوه خدمتها وصرف من كان هنالك من خدام اهل الحضرة الى بلادهم وكان بها ابو العباس بن ياسين منفردا بين يدي الامير ابي عبد الله والكاتب ابو زكرياء بن الدباغ على اشغال الجباية وكانا قدما من الحضرة في ركاب الامير ابي عبد الله فصرفهما الحاجب ظافر لحين وصوله واستقل بامره الى ان كان ما نذكر

الخبر عن ظهور ابن ابي عمران وفرار ابن القالون اليه

كان محمد بن ابي عمران هذا من عقب ابي عمران موسى بن ابراهيم بن الشيخ ابي حفص وهو الذي ولي افريقية نائبا عن ابي محمد عبد الله بن عمه الشيخ ابي محمد عبد الواحد كتب له بها من مراكش لاول ولايته فاقام واليا عليها ثمانية اشهر الى ان قدم اخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة وقام ابو عمران هذا في جملتهم الى ان هلك ونشا بنوه في ظل دولتهم الى ان كان عقبه ابو بكر والد محمد هذا فكان له صيت وذكر وكان السلطان ابو يحيى زكرياء ابن اللحياني قد رعى له ذمة قرابته ووصله صهره عقد لابنه محمد على ابنته واستخلفه على تونس عند خروجه عنها ثم استخلفه على طرابلس عند ركوبه السفين الى الاسكندرية وكان ابو ضربة بعد انهزامه وافتراق جموعه اعتصم بالمهدية ونازله بها السلطان ابو بكر فامتنعت عليه واقلع عنها على سلم عقده لابي ضربة واقام حمزة بن عمر في سبيل خلافه على السلطان يتقلب في نواحي افريقية حتى عظم ربوه على السلطان ونزع اليه الكثير من الاعراب وكثرت جموعه فاستقدم محمد بن ابي عمران من مكان ولايته بطرابلس وزحف الى تونس معارضا للسلطان قبل اجتماع عساكره وكمال تعبيته فخرج السلطان ابو بكر عن تونس في رمضان سنة احدى وعشرين ولحق بقسنطينة وصعد اليها مولاهم بن عمر وكان الحاجب محمد بن يحيى بن القالون قد اغصته البطانة والحاشية بالسعاية فيه عنده

السلطان ونبين له انحرافه عنه وكان معزبن مطاعن العزاركه وزير حمزة بن عمر وصاحب
شوراه صديقا للقالون ومخالصا فداخله في الاجلاب بابن ابي عمران فلما خرج
السلطان امام زحفهم تخلف القالون بتونس وركب من الغد في البلد مناديا بدعوة
ابن ابي عمران ودخل محمد بن ابي عمران ثانية خروج السلطان واستولى على الحضرة واقام
بها بقية سنته وصدرا من الاخرى ولحق السلطان بقسنطينة يجمع عساكره واحتشد
جموعه وازاح العلل واستكمل التعبئة وزحف منها في صفر سنة ثنتين وعشرين وخرج
ابن ابي عمران للقائه مع حمزة بن عمر في جموع العرب فلقيهم السلطان اولي وثانية
بالرحلة واوقع بهم وقتل شيخ الموحدين اباعبد الله بن ابي بكر وكان على مقدمتهم ومحمد بن
منصور بن مزني وغيرهم واثخنت العساكر فيهم قتلا واسرا وكان للسلطان فيها ظهور
لاكفاء له ثم تقبض على مولاهم ابن عمر فكان من خبره ما نذكره

الخبر عن مقتل مولاهم بن عمر واصحابه

من الكعوب

لما اتيح للسلطان من الظهور على ابن ابي عمران واتباعه والظفر بهم ما اتيح وصنع
له فيهم رغم انف مولاهم بن عمر وظهرت من اصحابه كلمات اتهمت بنا دخلتهم ثم
نمي للسلطان ان مولاهم بن عمر داخل في الفتك به ابنه منصور وربيبه زعدان
ومعزان ابني عبد الله بن احمد بن كعب وسليمان بن جامع من شيوخ هوارة وشيخ
بني الث عنان ابن عمهم عون بن عبد الله بن احمد بعد اذ داخلوه فيها فتنصح بها
للسلطان فلما غدوا على السلطان تقبض عليهم وبعثهم الى تونس فاعتقلوا بها
ورجع هو الى الحضرة فدخلها في جمادى من سنته وجدد البيعة على الناس وزحفت
العرب في اتباعه حتى نزلوا بظاهر البلد وشرطوا عليه اطلاق مولاهم واصحابه
فانفذ السلطان قتلهم فقتلوا بمحبسهم وبعث باشلائهم الى حمزة فعظم عنده موقع
هذا الحزن وصرخ في قومه وتذامروا وانتشروا بمصاحبهم واعدوا المسير الى
الحضرة وابن ابي عمران معهم على حين افتراق العساكر وراحة السلطان وظنوا انهم
ينتهزون الفرصة فخرج السلطان عن تونس لاربعين يوما من دخوله ولحق بقسنطينة
ودخل ابن ابي عمران الى تونس فاقام بها ستة اشهر خلالها احتشد السلطان جموعه
واستكمل تعبيته ونهض من قسنطينة وزحف اليه ابن ابي عمران وحمزة ابن عمر
في جموعهم فاوقع السلطان بهم واثخن فيهم وشردهم في النواحي وعاد الى تونس فدخلها
في صفر سنة ثلاث وعشرين ومضى حمزة لوجهه الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن واقعة رغيس مع ابن اللحياني

وزناتة وواقعة الشقة مع ابن ابي عمران

لما انهزم حمزة بن عمر وابن ابي عمران من تونس مرة بعد اخرى ورأى حمزة ان ابن ابي عمران
غير مغن عنه فصرفه الى مكان عمله بطرابلس وبعث الى ابي ضربة بن السلطان اللحياني
بمكانه من المهدية فداخله في الصريخ بزناتة والوفود على سلطان بني عبد الواد
فرحل معه ابو ضربة ووفدوا على ابي تاشفين صاحب تلمسان ودعوه في الظفر ببجاية
وان يشغل صاحب تونس عن مددها بترديد البعوث وتجهيز العساكر اليه فسرح
معهم السلطان الآلاف من العساكر عقد عليها لموسى بن علي الكردي صاحب الثغر يومئذ وكبير
الحاشية والرجالات وارتحلوا من تلمسان يغذون السير وبلغ السلطان خبر
فصولهم عن تلمسان فبرز للقائهم من تونس في عساكره حتى انتهى الى رغيس بين بونه
وقسنطينة ولما اطلت عساكر زناتة والعرب اختل مصاف السلطان وانهزمت
المجنبات وثبت في القلب وصدق العزيمة والقتال فاختل مصافهم وانهزموا في شعبان
سنة ثلاث وعشرين وامتلأت ايدي العساكر من اسلابهم والسبايا من نساء زناتة
ومن عليهن السلطان واطلقهن ورجع ابو ضربة وموسى بن علي الكردي بفلهم الى تلمسان
وعاد السلطان الى حضرته لايام من هزيمتهم ولقيه الخبر في طريقه باجتماع العرب
وابن ابي عمران بنواحي القيروان فنهض من الحضرة اليهم ولقيهم بالشقة واوقع بهم ورجع الى
تونس في شوال من سنة اربع وعشرين فاتبعه حمزة ومن معه الى تونس عند ما افترقت
العساكر ومعه ابراهيم ابن الشهيد من البيت الحفصي وسبق اليهم محمد بن عامر ابن
بوعلي بن كثير وسحيم بن فخرج للقائهم من بونة في خف من الجنود بعد ان
بعث عن عسكر باجة وقائدها عبد الله العاقل مولاه فصبحه العرب بنواحي شاذلة
فقاتلوه صدرها وحمي الوطيس ووصل عبد الله العاقل والناس متوافقون واستمدت
الحرب ثم كانت الهزيمة على العرب واستبيحت حرماتهم وافترقت جموعهم ورجع السلطان
الى البلد واستقر بالحضرة

الخبر عن اجلاب حمزة بابراهيم بن الشهيد

وتغلبه على الحضرة

لما انهزم ابو ضربة ابن اللحياني وحمزة بن عمر وعساكر بني عبد الواد لحق ابو ضربة
بتلمسان فهلك بها ولحق حمزة بعد من الحروب مع السلطان ما لقي وبيش الكعوب
من غلابه وتذامروا الفتنة والاجلاب عليه توفد حمزة بن عمر على ابي تاشفين صريخا
ومعه طالب بن مهلهل قريعه في قومه ومحمد بن مسكين شيخ بني حكيم من اولاد القوس
وكلهم من سليم ومعهم الحاجب ابن القالون فاستحثوا عساكره لصريخهم فكتب لهم السلطان
كتيبة عقد عليها لموسى بن علي الكردي واعاده معهم ونصب لهم لملك تونس من اعياص بني
حفص ابراهيم بن الشهيد منهم وابوه الشهيد هو ابو بكر بن ابي الخطاب عبد الرحمن الذي
نصب للامر عند مهلك السلطان ابي عصيدة وقتله السلطان ابو البقاء خالد كما ذكرناه
وكان ابراهيم هذا قد لحق بالعرب ونصبوه للامر واجلبوا به على تونس اثر واقعة
رغيس وبرزت اليهم العساكر فانهزموا كما ذكرناه ولحق بتلمسان وجاء هذا الوفد على

انه فنصبه السلطان ابو تاشفين لهم واستعمل على حجابته محمد بن يحيى بن القالون وجمع معهم العساكر لنظر موسى بن علي الكردي وزحفوا الى افريقية وخرج السلطان ابو بكر من تونس لمدافعتهم ذا القعدة من سنة اربع وعشرين وانتهى الى قسنطينة وعاجلوه قبل استكمال التعبية فنزلوا بساحتها واقام موسى بن علي على منازلتها بعساكر بني عبد الواد وتقدم ابراهيم بن الشهيد وحمزة ابن عمر الى تونس فدخلها في رجب سنة خمس وعشرين واستمكن منها وعقد على الحجابة لمحمد بن داود من مشيخة الموحدين وثار عليه في بعض ليالي رمضان بعض بطانة السلطان كانوا بالبلد في غيابات الاختفاء وكان منهم يوسف بن عامر بن عثمان وهو ابن اخي عبد الحق بن عثمان من اعياص بني مرين وفيهم القائد بلاط من وجوه الترك المرتزقة بالحضرة وابن حسار نقيب الزرفا فانفروا ه واجتمعوا من جوف الليل وهتفوا بدعوة السلطان واطافوا بالقصبة فامتنعت عليهم فعمدوا الى دار كشلي من الترك المرتزقة وكان بطانة لابن القالون فقاتلوها وامتنعت عليهم ثم اعجلهم الصباح عن مرامهم وتتبعوا بالقتل وفرغ من شانهم وكان موسى بن علي ومن معه من العساكر لما تخلفوا عن ابن الشهيد لحصار قسنطينة واقام عليها اياما ثم اقلع عنها لخمس عشرة ليلة من منازلته ورجع الى صاحبه بتلمسان وخرج السلطان من قسنطينة فاستكمل الحشد والتعبية ونهض الى تونس فاجفل عنها ابن الشهيد وابن القالون ودخلها السلطان في شوال سنة خمس وعشرين واستولى على دار ملكه واقام بها الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن حصار بجاية وبناء تيمزيزدكت

وانهزام عساكر السلطان عليها

كان ابو تاشفين منذ خلا له الجو وتمكنت في الامر منه القدم يلح على بجاية بترديد البعوث ومطاولة الحصار والسلطان ابو بكر يدفع لحمايتها والممانعة دونها من رجالات دولته وعظماء وزرائه الاول فالاول من اهل الكفاية والاضطلاع بما يدفع اليه من ذلك ويسرب اليهم المدد من الاموال والاسلحة والجنود ويعهد اليهم بالصبر والثبات في المواطن وينظره من وراء ذلك وكان ابو تاشفين كلما احس من السلطان ابي بكر بنهوض الى المدافعة عنها او عزم على غزو كتائبه المجمرة عليها رماه بشاغل يوهن من عزمه ويمسك عنان بطشه وكانت فتنة حمزة بن عمر من ادهى الشواغل في ذلك بما كان يجنب العرب عن الطاعة ويجمع الاحزاب للاجلاب على الحضرة وينصب الاعياص ويطمعهم فيما ليس لهم من نيل الخلافة وكان ذلك ديدنا متصلا ازمان تلك المدة ولما سرح ابو تاشفين العساكر سنة خمس وعشرين مع ابراهيم بن الشهيد وحمزة بن عمر واوليائهم من اهل افريقية وعقد عليها لموسى بن علي من رجالاتها فنازل قسنطينة ثم اقلع عنها وعاود حصارها سنة ثمان وعشرين وشن الغارة في نواحيها واكتسح الاموال ورجع الى وادي بجاية فاختط مدينة بتيكلات على مرحلة منها

وعلي

وعلى قارعة الطريق الشارع من المغرب الى المشرق بمكان بجاية زايغة عنه الى البحر فاختطوا تلك المدينة وشيدوها وجمعوا الايدي عليها وتمموها اسنافات على جيوشهم فاستتمت لاربعين يوما وسموها تيمزيزدكت باسم حصنهم الاقدم بالجبل قبالة وجدة حيث امتنع يغمراسن على السعيد ونازله وهلك عليه كما ذكرناه في اخبارهم وشحنوا هذه المدينة بالاقوات والعدد وعمروها بالمقاتلة من الرجال والفرسان والقبايل واخذت بمخنق البلد وقلق بمكانها فاوعز الى قواد عساكره واصحاب عمالاته من مواليه وصنايعهم ان ينفروا بعساكرهم الى صاحب الثغر محمد بن سيد الناس ويزحفوا معه الى هذا البلد المجزوب ويستميتون دون تخريبه فنهض ظافر الكبير من قسنطينة وعبد الله العا من هوارة وظافر السنان من بونة ووافوا بجاية سنة سبع وعشرين وبلغ موسى بن علي خبرهم فاستنفر من ورايه من عساكر بني عبد الواد وخرجت العساكر جميعا من بجاية تحت لواء ابن سيد الناس وزحف الى العدو ومخيمهم من تيكلات فكانت الدبرة عليه وعلى اصحابه وقتل ظافر الكبير ورجع فلهم الى بجاية وداخلت ابن سيد الناس فيهم الظنة بما كان يداخل موسى بن علي في الزبون كل واحد منهما لصاحبه على سلطانه فمنعهم من دخول البلد ليلتيذ واسروا قافلين الى اعمالهم وعقد السلطان على قسنطينة لابي القاسم بن عبد العزيز اياما ثم استقدمه الى الحضرة ليستغني به محمد بن عبد العزيز المزوار في خطة حجابته بما كان عنده من الادوات التي تحتاج اليها الحجابة وعقد على حجابة ابنه الامير ابي عبد الله بقسنطينة لمولاه ظافر السنان الى ان كان من تحويل شانه ما نذكر

مل

الخبر عن مهلك الحاجب المزوار وولاية

ابن سيد الناس مكانه ومقتل ابن القالون

هذا الرجل محمد بن القالون المعروف بالمزوار لا ادري من اوليته اكثر من انه كردي من الاكراد الذين وفدوا بسايمهم على ملوك المغرب ايام اجلاهم الططر عن اوطانهم ه بشهرزور وعندما تغلبهم على بغداد سنة ست وخمسين وستماية فمنهم من اقام بتونس ومنهم من تقدم الى المغرب فنزلوا على المرتضى بمراكش فاحسن جوارهم وصار قوم منهم الى بني مرين واخرون الى بني عبد الواد حسبما نذكر في اخبارهم ومن المقيمين بالحضرة كان سلف ابن عبد العزيز هذا الى ان نشا هو في دولة الامير ابي زكرياء الاوسط صاحب الثغور الغربية وتحت كنف من اصطناعه واختلطه بابنايه وتقدم في جملة ابنه السلطان ابي بكر الى تونس معدودا في بطانته ورتبتا على الحاشية المسمين بالدخلة وكان يعرف لذلك بالمزوار وكان شهما وقورا متدينا وله في الدولة حظ من الظهور وهو الذي تولى كبر السعاية في الحاجب ابن القالون حتى ارتاب بمكانه ونزل الى ابن ابي عمران سنة احدى وعشرين كما قدمناه وولاه السلطان الحجابة مكانه فقام بها مستغنيا بالكاتب ابي القاسم بن عبد العزيز لخلوه من الادوات وبما كان شجاعا

بهمته ولم يزل على ذلك الى ان هلك في شعبان سنة سبع وعشرين واراد السلطان على الحجابة محمد بن خلدون جدنا الاقرب فابى ورغب في الاقالة فاجيب جنوحا لما كان بسبيله منذ سنين من الصاغية الى الدين والرغبة في السكون والعزوف عن الرتب واشار على السلطان بصاحب الثغر محمد بن ابي الحسين بن سيد الناس لتقديمه سلفه مع سلف السلطان وكثرة تابعه وحاشيته ووفور شكيمته في الاضطلاع بما يدفع اليه اخبرني بهذا الخبر ابي رحمه الله وصاحبنا محمد بن منصور بن مزني قال لي حضرت لاستدعاء جدكم الى معسكر السلطان بباجة يوم مهلك المزوار وادخله السلطان الى رواقه وغاب مليا ثم خرج وقد استفاض بين البطانة والحاشية انه دعي الى الخطة فاستنكف واقام السلطان يومئذ في خطة الحجابة الكاتب ابا القاسم بن عبد العزيز بتقييم الرسم واستقدم خالصته محمد بن حاجب ابيه ابي الحسين بن سيد الناس فقدم في محرم فاتح ثمان وعشرين وولاه حجابته فاضطلع بها وجدد له العقد على بجاية وحجابة ابنه بها فدفع اليها المستنابة عنه في الحجابة صنيعته محمد بن فرحون وصعد كاتبه ابو القاسم بن المريد وجرى الحال على ذلك ببجاية وعساكر زناتة تجوس خلالها ومعاقلهم تاخذ بمخنقها وقدم القالون دون مقدم ابن سيد الناس باستعاذة من نزله على ابن احمد سيد الدواودة وطمع في عوده الى الخطة وكان من خبره انه لما تخلف عن السلطان بتونس في خدمة ابن ابي عمران اراد ركوب السفين الى الاندلس فاعلمهم السلطان عن ذلك وخرج مع ابن ابي عمران فاجلب معه على الحضرة مرارا ولحق بتلمسان ثم جاء مع ابن الشهيد وفعل الافاعيل ثم اختل امر ابن الشهيد ولحق هو بالدواودة من رياح ونزل على علي بن احمد رئيسهم لذلك العهد فاجاره وانزله بطولقة من بلاد الزاب وخاطب السلطان في شانه واقتضى له الامان حتى اسعف ووفد على الحضرة مع اخيه موسى بن احمد وفي نفس ابن القالون طمع في الخطة وسبقه ابن سيد الناس الى السلطان فاستقل بها وجاء القالون من بعد فاوصله السلطان الى نفسه واعتذر اليه ووعده وعقد له على منفصة فسار اليها وصحب موالي السلطان من المعلوجي بشير وفارح واوعز ابن سيد الناس الى مشيخة منفصة ان يقتصوا على خاصته ليتمكن الموالي منه فلما نزل بساحة البلد دخل كسلي من جند الترك المرتزقة كان في جملته منذ ايام حجابته وكان يستظهر بمكانه فلما دخل الى البلد قتل في سكتها فكانت لمقتله هيعة تسامع الناس لغطها من خارج البلد وبرز القالون من فسطاطه وقد حبس للرعب فتقدم اليه الموالي الذين جاءوا معه وتناولوه طعنا بالخناجر الى ان هلك والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن ولاية الفضل على بونة

كان السلطان قد عقد على بونة منذ اول دولته لمولاه سرور من المعلوجي فقام بامرها واضطلع بولايتها وكان من الغلظة ومراس الحروب بمكان وكان لذلك عشوما جبارا وخرج الى لهاصة سنة فاصطدمهم وذهبوا الى مدافعته عن اموالهم فحاربهم وبلغ خبر مهلكه الى السلطان فعقد على بونة لابنه ابي العباس الفضل وبعثه اليها

ودي على حجابتها وقيادة عسكره ظافر السنان من موالي المعلوجي فقام بما دفع اليه من ذلك احسن قيام الى ان كان من امرهم ما نذكر

الخبر عن واقعة الرياس وما كان قبلها من مقتل الامير ابي فارس اخي السلطان

كان السلطان ابو بكر لما قدم الى تونس قدم معه اخوته الثلاثة محمد وعبد العزيز وعبد الرحمن وهلك عبد الرحمن منهم وبقي الاخران وكانا في ظل ظليل من النعمة وحظ كبير من المساهمة في الجاه وكان في نفس الامير ابي فارس تشوق الى نيل الرتبة وتربص بالدولة وكان عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من فحول بني مرين واعياص ملكهم قدم على الحضرة نازعا اليها من الاندلس فنزل على ابن عمر ببجاية قبل مهلكه سنة ثمان عشرة ثم لحق بالسلطان فلقاه مبرة ورحبا وفرض له وحظ حاشيته من الجرايات والاقطاع وجعل له ان يستركب ويستلحق وكان يستظهر به في نوائب خروجه ويتجمل في المشاهد بمكانه من سريره بما كان سيدا في قومه وكان قد انعقدت له على اهل وطنه وكانت فيه غلظة وانفة واباء وعدا في بعض ايامه على الحاجب ابن سيد الناس فتلقاه الاذن بالعذر فذهب مغاضبا وغريدا الى الامير ابي فارس فحمله على ذات صدره من الخروج والثورة وخرجا من يومهما في ربيع سنة تسع وعشرين ولحقوا ببعض احياء العرب فاعترضهما امير الحي فعرض عليهما التزود فاما عبد الحق فابى وذهب لوجهه الى ان لحق بتلمسان واما الامير ابو فارس فاجاب ونزل وطيروا الخبر الى السلطان فسرح لوقته محمد بن الحكم من صنايعه وقواد دولته في طايفة من العسكر والنصارى صبحوه في الحي واحاطوا ببيته نزله فامتنع من الالقاء باليد ودافع عن نفسه مستميتا فقتلوه معضا بالرماح وجاءوا بشلوه الى الحضرة فدفن بها ونزل عبد الحق ابن عثمان على ابي تاشفين خير نزل ورغبه فيما كان بسبيله من مطالبة الدولة الحفصية وقد وتج مما لكها ووفد على اثره حمزة بن عمر ورجالات سليم صريخا على عادتهم فاجاب ابو تاشفين صريخهم ونصب لهم محمد ابن ابي عمران وكان من خبره انه تركه السلطان اللحياني عاملا على طرابلس فلما انهزم ابو ضربة واختل امره استقدمه العرب واجلبوا به على الحضرة سنة احدى وعشرين فملكها ستة اشهر ثم احتل منها عند رجوع السلطان اليها ولحق بطرابلس الى ان انتقض عليه اهلها سنة اربع وعشرين ونادوا به واخرجوه فلحق بالعرب واجلبوا به على السلطان مرارا يهزمون عنه في كلها ثم لحق بتلمسان واستقر بها عند ابي تاشفين في خير جوار كرامة وجراية الى ان وصل هذا الوفد اليه سنة تسع وعشرين فنصبه للامر بافريقية وامدهم بالعساكر من زناتة عقد عليهم ليحيى بن موسى من بطانته وصنايع ابيه ورجع معهم عبد الحق بن عثمان بمن في جملته من بنيه وعشيرته ومواليه وحاشيته وكانوا احلاس حروب وفتيان كريهة فنهضوا جميعا الى تونس فزحف السلطان للقائهم وتراءى الجمعان بالرياس من نواحي بلاد هوارة اخر سنة سبع وعشرين فدارت الحرب واختل

مصاف السلطان وفلت جموعه واحيط به فافلت بعد عصب لربق واصابته في حومة
الحرب جراحة وهن لها وقتل كثير من بطانته وحاشيته كان من اشهرهم محمد بن المديوني
وانتهب المعسكر وتقبض على احمد وعمر ابني السلطان فاحتملا الى تلمسان حتى اطلقهما
ابو تاشفين بعد ذلك في مراسلة وقعت بينه وبين السلطان فاجنح فيها ابو تاشفين
وجنح الى السلم واطلق الابنين ولم يتم شان الصلح من بعد ذلك وتقدم ابن ابي
عمران بعد الواقعة الى تونس فدخلها في صفر سنة ثلاثين واستبد عليه يحيى بن موسى
قايد بني عبد الواد وحجر عليه التصرف في شي من امره ثم عاد يحيى بن موسى
الى سلطانه ونهض السلطان ابو بكر من قسنطينه الى تونس بعد ان استكمل
الحشد والتعبيه فاجفل ابن ابي عمران عنها ودخل اليها السلطان في رجب من سنته
الى ان كان ما نذكره

الخبر عن مراسلة ملك المغرب في الاستنجاد
على بني عبد الواد وما يتبع ذلك
من المصاهرة

كان السلطان ابو بكر لما خلص من واقعة الرياس نجا الى بونه وركب منها البحر الى
بجاية وقد ضاق ذرعه بالحاح بني عبد الواد عليها بالكيد وتجهيز الكتايب على ثغره
وترديد البعوث الى وطنه فاعمل نظره في الوفادة على ملك المغرب السلطان ابي
سعيد ليذكره ما بين سلفه وسلفهم من المشايعة وما لهم عند بني عبد الواد من الاوتار
والاحن ليبعث بذلك دواعيهم على مطالبة بني عبد الواد فياخذ بحجزتهم عنه ثم
ثم عين للوفادة عليه ابنه الامير ابا زكريا وبعث معه ابا محمد عبد الله بن تافراكين
من مشيخة الموحدين ظهيرا له وعينا لسنوانه وركبوا البحر من بجاية فنزلوا بمرسى
غساسة واهتز صاحب المغرب لقدومهم واكرم وفادتهم واستبلغ في القرى والاجازة
واجاب دعاءهم الى محاربة عدوهم وعدوه على شريطة اجتماع اليد عليها
وموافاة السلطان ابي سعيد والسلطان ابي يحيى بعساكرهما تلمسان لموعد
مرقوم لذلك وكان السلطان ابو سعيد بعث سنة احدى وعشرين يحيى الزنداجي
قايد الاسطول بسبتة الى مولانا السلطان ابي بكر في الاصهار على احدى كرايمه
وشغل عن ذلك ما وقع من شان ابن ابي عمران فلما وفد عليه ابن السلطان واوليائه
اعاد الحديث في ذلك وعين للنيابة عنه في الخطبة من السلطان ابراهيم ابن ابي حاتم
العزفي وصرفه مع الوفد فوافوا السلطان بتونس اخر سنة ثلاثين وقد طرد عدوه
وشفا نفسه باستيلائه من حركة صاحب المغرب على تلمسان وخطب منه ابراهيم للامير
ابي الحسن بن السلطان ابي سعيد فعقد له على ابنته فاطمة شقيقة الامير ابي زكرياء
السفير اليهم وزفها اليه في اساطيله سنة احدى وثلاثين وتقدم لزفافها ناس

مشيخة الموحد

الموحدين ابو القاسم بن عتو ومحمد بن سليمان الناسك وقد مر ذكره فنزلت على محل وثير
من الغبطة والعز وكان الشان في مهرها وزفافها ومشاهد اعراسها وولايمها
وجهازها كله من المفاخر للدولتين ولم يزل مذكورا على ممر الايام

الخبر عن حركة السلطان الى المغرب
وفرار بني عبد الواد وتخريب تامزدكت

كان ممهلك السلطان ابي سعيد على تفيئة ما قدمناه من الاخبار اخر سنة احدى وثلاثين
وولي السلطان ابو الحسن من بعده فبعث الى ابن تاشفين يخاطبه في القصر من عنانه
عن بلاد الموحدين وطغيانه عليها فالح واستكبر واساء الرد فنبذ اليه في سبيل
الصريح لهم سنة ثنتين وثلاثين وطوى البلاد طيا الى تلمسان وافرجت عساكرهم
عن بجاية الى سلطانهم وتقدم السلطان ابو الحسن عن تلمسان لمشارفة احوال
بجاية والاخذ بحجزة العدو والمحامر لها وبعث عسكرا من قومه مددا لها عقد عليهم لمحمد
البطوي واركبهم اساطيله من سواحل وهران فدخلوها وقد بلوا بما ناسبهم من الكرامة
والجراية واستنهض السلطان ابو الحسن ابا بكر لحصار تلمسان معه كما كان الشرط بين
ابيه وبين ابنه الامير ابي زكرياء فشرع السلطان في حركته وازاحة علله واقام
السلطان ابو الحسن بتاسالة في انتظاره شهرا حتى انصرم فصل الشتا وبلغه بمعسكره
عامله بما بعد ان كان ذا امله وعقد له بعد ابيه على المهادنة والتجافي عنه بمكانه
من سجلماسة فلما بلغه هذا الخبر كر راجعا الى المغرب لاصلاح شانه وكان السلطان
ابو بكر قد خرج من تونس واحتفل في الحشد والتعبية فانتهى الى بجاية وبعث مقدمته
الى ثغور بني عبد الواد المختطة ببجاية فهزموا كتايبها ثم زحف بمحلته الى تيمزردكت
ودون عنها الكتايب بالجموع بها فاناخ عليها حتى خربها وانتهب اموالها واستلحم
ونسف اثارها وقفل عنها الى بلد المسيلة اختها في الغي وموطن اولاد سباع بن يحيى
من الدواودة كانت مشيختهم سليمان ويحيى ابنا علي بن سباع وعثمان بن سباع عمهم
وابنه سعيد قد تمسكوا بطاعة ابي تاشفين وحملوا عليها قومهم ونهجوا لعساكره
السبيل الى وطي بلاد الموحدين والعيث فيها ومحاذية جبلها واقطعهم ابو تاشفين بلد
المسيلة وجبل ستان وونوغه وجبل عياض فاصاروها من اعماله فلما شرد السلطان
عساكرهم عن بجاية وهدم ثغرهم عليها واسترجع اعمال بجاية اليها صار في جموعه
الى هذا الموطن ليسترجع اعماله ويجدد به دعوته وزاد في اغرائه به علي بن احمد
كبير اولاد محمد اقتال اولاد سباع هولاء ونظرائهم واهل وتارهم ودخولهم فاركب اغارتا
الى المسيلة حتى نزلها واصطلم نعمها وخرب اسوارها وبلغه بمكانه منها شان عبد الواحد
ابن السلطان اللحياني واجلابه على تونس وكان من خبره انه قدم من المشرق بعد مهلك
ابيه السلطان ابي يحيى زكريا سنة تسع وعشرين فنزل على دباب وبايع له عبد الملك
ابن مكي رئيس المشيخة بقابس وتسامع به الناس وافريقية شاغرة من الحامية والعسا

لنهوضهم مع السلطان فاغتنم حمزة بن عمر الفرصة واستقدمه فبايع له ورحل به الى
الحضرة فنزل بساحتها ودخل عبد الواحد بن اللحياني وصاحبه بن مكي الى البلد
فاقاموا بها اربعا بينما بلغ الخبر الى السلطان فنفل الى الحضرة وبعث في مقدمته محمد البطوي
من بطانته في عسكر اختارهم لذلك فاجفل ابن اللحياني وجموعه عن تونس لخمس عشرة
ليلة من نزولهم ودخل البطوي اليها وجاء السلطان على اثره ايام عيد الفطر سنة
ثنتين وثلاثين

الخبر عن نكبة الحاجب محمد بن سيد الناس

وولاية ابن عبد العزيز وابن الحكيم من بعده

قد قدمنا اولية هذا الرجل وان اباه ابا الحسين كان حاجبا للامير ابي زكريا ببجاية
ولما هلك سنة تسعين وستماية خلف ابنه محمدا هذا في كفالة السلطان ومرعى
نعمته فاستكمل تقربهم عليه واواه الى حجره واوصفه مع الكثير من بنيه ونشا في
كنفه وكان الحجاب للدولة من لدن ابيه مثل ابن ابي حيي والرخامي صنايع لابيه
فكانوا يعرفون نعمته ويوثرونه في النجلة على انفسهم ولم يزل يترشح للرجولية
والسعي في المجد الا ايام ابن عمر اخرهم فكان له منه مكان حتى اذا رحل السلطان
ابو يحيى الى قسنطينة لطلب تونس وجهز له ابن عمر الالات والعساكر واقام له الحجاب
والوزراء والقواد وكان فيمن سرح معه محمد بن سيد الناس قايدا على عسكر من عساكره
وكان ظهيرا للسلطان فكانت له عنده اثرة واختصاص وعقد له من بعد مهلك ابن
عمر على بجاية لما نزل عنها القالون كما قدمناه فاستبد بها على السلطان وحماها
دون عساكر زناتة ودفع في صدورهم عنها وكان له في ذلك كله مقامات مذكورة
وكانت بينه وبين قايد زناتة موسى بن علي مداخلة في زبون كل واحد منهما
بمكان صاحبه على سلطانه وفطن لامرهما فاما ابو تاشفين فنكب موسى بن علي
كما ذكرناه في اخباره واما السلطان ابو بكر فاغضى لابن سيد الناس عنها ثم
استدعاه وقفل من بجاية سنة سبع وعشرين كما قدمناه واستخلف على مكانه
ببجاية صنيعته محمد بن احمد المزيدي القيام بما كان يتولاه من مدافعة العدو وكفالة
الامير ابي زكريا ابن السلطان وقدم هو على السلطان واسكنه بمقصورة ملكه
وفوض اليه امور سلطانه تفويض الاستقلال فجرى في طلق الاستبداد عليه وارخى
له السلطان طيل الامهال واعتد عليه فلتات الادالة مع ما كانت الظنون ترجح
فيه بالمداهنة في شان العدو والمرابون على مولاه باستغلاظهم واسهله السلطان
لمكانه من حماية الثغر بجاية والاستقلال به دونه حتى اذا عجلت عنايتهم واطل
ابو الحسن عليهم من مرقبه ونهض السلطان ابو بكر الى بجاية وحزب تيمزردكت فاغراه
البطانة حينئذ بالحاجب محمد بن سيد الناس ونبهه له السلطان فاحفظه استبداده
وتقبض عليه مرجعه من هذه الحركة في ربيع سنة ثلاث وثلاثين واعتقله ثم امتحنه

بانواع

بانواع العذاب لاستخراج المال منه فلم يسمح بقطرة وما زال يستغيث ويتوسل
بسوابقه من الرضاع والمربى وسوابق ابيه عند سلفه حتى لذعه العذاب فافحش
ونال من السلطان واقذع فقتل شدخا بالعصي وجر شلوه فاحرق خارج الحضرة
وعفا رسمه كان لم يكن والله عاقبة الامور ولما تقبض السلطان على ابن سيد
الناس ومحى اثر استبداده قلد حجابته الكاتب ابا القاسم بن عبد العزيز وقد كان قدم
من الحمة عند مبايعة بن مكي لعبد الواحد بن اللحياني فلحق بالسلطان في طريقه
الى تيمزردكت فلم يزل معه الى ان دخل حضرته وتقبض على ابن سيد الناس فولاه
الحجابة وكان مضعفا لا يقوم بالحروب فعقد السلطان على الحرب والتدبير لصنيعته
وكبير بطانته يومئذ محمد بن الحكيم وفوض له فيما وراء الحضرة وهو محمد بن علي بن محمد
ابن حزو بن ابراهيم بن احمد اللخمي ونسبه في بني العزفي الروسا بسبتة وجد
احمد هو ابو العباس المذكور بالعلم والدين والد ابي القاسم المستقل برياسة سبتة
من لدن الموحدين وكان من خبر اوليته فيما حدثني به محمد بن يحيى بن ابي طالب العزفي
اخر روسا العزفيين بسبتة والمنقضي امرهم بها بانقضاء رياسته وحدثني
بها ايضا حسين بن عمه عبد الرحمن بن ابي طالب وحدثني بها ايضا الثقة عن
ابراهيم بن عمهما ابي حاتم قالوا جميعا ان ابا القاسم العزفي كان له اخ يسمى ابراهيم
وكان مسرفا على نفسه واصاب دما بسبتة وحلف اخوه ابو القاسم ليقيدن منه
ففر ولحق ببلاد المشرق هذا اخر خبرهم وان محمدا هذا من بنيه وبقية الخبر
عن اهل هذا البيت من سواهم ان ابراهيم اعقب محمدا واعقب محمد حزو ثم اعقب
حزو عليا فكلف بالقراءة واستظهر علم الطب واستقر في ايالة السلطان ابي زكريا
بالثغور الغربية واصاب السلطان وجع في بعض ازمانه واعياه واعوز نجحه
له الاطبا وكان فيهم علي هذا احدس عن المرض واحسن المداوات فوقع من السلطان ل
احسن المواقع واستخلصه لنفسه وخلطه بخاصته واهل خلوته وصار له من الدولة
مكان لا يجاريه احد فيه وكان يدعا في الدولة بالحكيم وبه عرف ابنه من بعده واصهر
الى احد بيوت قسنطينة في زجره وخلط اهله بحرم السلطان وولد له محمد ابنه
لبعضه ورجع مع الامير ابي بكر ونشا في حجر الدولة وكفالتهما وعلى احسن الوجوه من
تربيتها ولما بلغ اشده طرق اليه رئيس الدولة يعقوب بن عمر وجه امتنانه واقتصا
فكان له منه مكان ترشيحا للرياسة فيما بعد من بين خواص السلطان
وخلصايه ولما نهض السلطان ابو يحيى الى افريقية قلده قيادة بعض العساكر
ثم عقد له بعد مهلك ابن عمر على عمل باجة حين رقي ابن سيد الناس عنها الى
بجاية وكان عمل باجة من اعظم الولايات في الدولة فاضطلع به ثم لما وامر السلطان
بطانته في نكبة ابن سيد الناس نجد لذلك فولي القبض عليه وكمن له في عصبة
من البطانة في بعض الحجر بن رياض راس الطاغية واستدعى بن سيد الناس
الى وبر بمكانهم فلما انتهى اليهم تواثبوا به وشدوه كتافا وتلوه الى محبسه بالبرج
المعد لثقاف امثاله بالقصبة وتولى ابن الحكيم من امتحانه وعذابه ما ذكرناه الى
ان هلك وعقد له السلطان مكانه على الحرب والتدبير من خططه وفوض اليه فيما

وراء الحضرة كما قلناه وجعل تنفيذ الاموال والكتاب على اوامر ابن عبد العزيز فكان عدله في جمل الدولة الا ان ابن الحكيم كان اشف فيه لما كان اليه من التدبير والحرب الرييسين على الكتابة لرياسة السيف على القلم فاضطلع برياسته واحسن الغنا والولاية الى ان كان من خبره وخبر الدولة ما نذكره

الخبر عن فتح قفصة وولاية الامير أبي العباس عليها

كان اهل الجريد منذ تقلص عنهم ظل الدولة عند انقسام الملك بين الثغور الغربية والحضرة وما اليها صار امرهم الى الشورى بين المشيخة الا في الاحايين يملون الاستبداد كما كانوا عليه من قبل الموحدين فقد جاء عبد المومن الى افريقية وبنو الرند على قفصة وتسطيلية وابن واطاس على توزر وابن مطروح على طرابلس فاملوا امثالها وشغل مولانا السلطان ابا بكر عنهم بعد استقلاله بالامر وانفراده بالدعوة الحفصية شان الفتنة مع ال يغمراسن بن زيان واجلاب عساكرهم مع حمزة بن عمر على اوطانه حتى اذا اخذ السلطان ابو الحسن بحجزتهم واطل عليهم ابن مراقبه فعادوا الى اوكارهم بعد ان اسفوا دنتشر عنق الثغور الغربية من حصارهم وزال عن كاهل الدولة اصرمعاناتهم وسكن اضطراب الخوارج على الدولة وخفيت اصوات المرجفين في ممالكها صرف السلطان نظره الى اعطاف ملكه ومحو الشقاق من سائر اعماله وسمت همته الى تدويخ الناحية من بلاد الجريد واستنقاذ اهلها من ايدي الذباب العاوية والكلاب العادية وعمارة امصارها واعراب فلاتها فنهض الى قفصة سنة خمس وثلاثين وقد كان استبد بشوراها عمر بن محمد بن علي بن عبد الجليل من بني العابد المتداولين من بيوتاتها فنازلها اياما والعساكر تلح عليها بانواع القتال ونصب عليها المجانيق فامتنعوا ثم جهم الايدي حتى قطع غيلهم واقتلاع سجرا ايهم فنادوا بالامان فامنهم وخرج اليه ابن عبد الجليل في ربيع الاخر من سنته فاشخصه الى الحضرة فانزلهم بها ورجالات من قومهم بني العابد ونزر سايرهم الى قابس فنزلوا على جوار ابن مكي ودخل اهل البلد في حكمه وتفيوا بعد ان كانوا ضاحين من الملك ظله فاحسن التجاوز عنهم وبسط المعدلة فيهم واحسن امال ذوي الحاجات منهم بالاسهام والاقطاع وتجديد ما بايديهم من المكتوبات السلطانية ثم انزلهم بسكنى ولده المخصوص بعد اذ بعهده الامير ابي العباس وانزله بين ظهرانيهم واوصاه بهم وعقد له على قسنطينة وما اليها وجعل معه على حجابته ابا القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وقفل الى الحضرة فدخلها في رمضان من سنته

الخبر عن ولاية الامير أبي فارس عزوز وأبي البقاء على سوسة ثم اضافة المهدية اليهما

لما نكب السلطان حاجبه ابن سيد الناس وولى محمد بن فرحون على حجابة ابنه الامير ابي زكرياء وقارن ذلك ما نزل بال يغمراسن من عدوهم تفرغ السلطان للنظر في ملكه وتمهيد احواله وان يرسي قواعد اعماله بنجبا ابنائه فعقد على سوسة والبلاد الساحلية لولديه الاميرين عزوز وخالد شريكين في الامر وانزلهما بسوسة وانزل معهما محمد بن طاهر من صنائع الدولة ومن بيوت اهل الاندلس القادمين في الجالية ورياسة سلفهم بمرسية معروف في اخبار الطوائف وكان اخوه ابو القاسم صاحب الاشغال بالحضرة فاقاما كذلك ثم هلك محمد بن طاهر فاستقدم السلطان محمد بن فرحون من بجاية ثقة باستبداد ابنه وان يولي من شاء على حجابته وانزل ابن فرحون مع هذين الاميرين لصغرهما سنة خمس وثلاثين ثم استدعاه الامير ابو زكريا فرجع اليه واقام هذان الاميران بسوسة حتى اذ احكم السلطان قائده محمد بن الحكيم واستنزل قريبه محمد ابن الركراك من المهدية كان انزله بها ابن الحكيم لما افتتحها من يد المتغلب عليها من اهل رجيس ويعرف بابن عبد الغفار سنة واتخذها حصنا لنفسه وانزل بها قريبه هذا وسجنها بالعدد والاقوات فلم تغن عنه ولما هلك استنزل ابن الركراك وبعث السلطان عليها ابنه الامير ابا البقا وافرد الامير ابا فارس بولاية سوسة فاقاما كذلك الى ان كان من خبرهما وهلكهما ما نذكره

الخبر عن وفاة الامير أبي عبد الله صاحب قسنطينة من الابناء وولاية بنيه من بعده

كان الامير ابو عبد الله مخصوصا من ابيه من بين ولده بالاثرة والعناية قد صرف اليه اقباله والقى عليه محبته لما كان يتوسم في شواهده من الترشيح وما تحلى به من خلال الملك وكان الناس يعرفون له حق ذلك وذلك ان ابن عمر كان مستبدا بالثغور الغربية بجاية وقسنطينة ومدافعا عنها العدو ومن زناتة المطالبين لها فلما هلك ابن عمر سنة تسع عشرة كما قدمناه صرف السلطان نظره الى ثغوره فعقد على بجاية لابنه الامير ابي زكرياء وعقد على قسنطينة للامير ابي عبد الله ومعه احمد بن ياسين وخرجوا جميعا من تونس سنة عشرين ونزل كل بعمله وقام ظافر الكبير من العلوج مولاه السلطان بحجابة ابنه بقسنطينة واثل لها الى ان هلك سنة سبع وعشرين على تيمرزدكت كما ذكرناه فجاء بحجابته من تونس ابو القاسم بن عبد العزيز الكاتب فاقام اربعين يوما ثم رجع الى الحضرة واضاف السلطان حجابة قسنطينة لابن سيد الناس الى حجابة بجاية وبعث اليها نايبا عنه مولاه هلال النازع اليه عن موسى بن علي قايد بني عبد الواد فاقام بخدمة الامير ابي عبد الله الى ان كانت نكبة ابن سيد الناس عندما بلغ الامير ابو عبد الله اشده وحرك في طلق استبداده ففوض له في عمله السلطان واطلق من عنانه وكان يوامره في شانه ويناجيه في خلوته وانزل معه بقسنطينة مولاه نبيلا من العلوجي يقيم له رسم الحجابة

ثم استبد عمر بطائفة السنان من تونس سنة اربع وثلاثين لقيادة الاعنة والحرب فقلد
لذلك واقام سنة ونصفها ثم رجع وقام بشيخ بجاية كما كان ودفع يعيش بن
من صنايع الدولة لقيادة العساكر وحماية الاوطان فقاسمه لذلك اسم الحزمة
ورتب الدولة واستمرت حال الامير ابي عبد الله على ذلك والايام تزيد ظهورا ومشايعة
الملوكية تكسبه خلالا وترشيحا الى ان اعتبط دون غايته واعياقه الاجل عن مداه
فهلك رضوان الله عليه آخر سبع وثلاثين واقام بالامر من بعده كبير بنيه الامير ابو
زيد عبد الرحمن فعقد له السلطان ابو بكر على عمل ابيه لنظر شيخ موالاتهم لمكان صغره
واستمرت حالهم على ذلك الى اخر الدولة وكان من امرهم ما نذكره بعد

الخبر عن شان العرب ومهلك حمزة ثم اجلاب بنيه على الحضرة وانهزامهم ومقتل معزوز بن همر وما قارن ذلك من الاحداث

لما ملك السلطان ابو الحسن تلمسان واعمالها وقطع دابر آل زيان واجتث اصلهم
وجمع كلمة زناتة على طاعته واستتبعهم عصائب تحت لوايه ودانت القبايل بالانقياد
له وعنت القلوب لرهبته ووفد عليه حمزة بن عمر بن غنمة في ممالك افريقية وتستحثه
لها ديونه مع ابي تاشفين من قبله فكف بالناس من علوانه وزجرهم عن خلافه
على السلطان وشقاقه ونهج له بالشفاعة سبيلا الى معاودة طاعته والعمل بمرضاته
فرجع حمزة الى السلطان عايذا بحلمه متوسلا بشفاعة صاحبه زعيما باذعانه وقطع
مواد الخلاف من العرب باستقامته فتلقاه السلطان بالقبول واسعافه الرغبة
على المناصحة والمخالصة ولم يزل حمزة بن عمر من لدن رضي مولانا السلطان
عنه و عليه صحيح الطاعة خالص الطوية مناد بمظاهرة محمد بن
الحكيم قايد دولته على تدويخ افريقية وتمهيد اعمالها وحسم ادواء
الفساد منها واخذ من جميع ظواعن البدو والناجعة في اقطارها وجمع
الطوايف المتقاصين بالتقود على القاء اليد للطاعة والكف عن اموال الجباية
فكانت لهذا القايد آثار في ذلك مهدت من الدولة وارغمت انوف المتقاطين للاستبداد
في الناصية حتى استقام الامر وانحسم الشقاق فاستولى على المهدية سنة تسع
وثلاثين وغلب عليها
ابن عبد الغفار المتبري بها من اهل رجيس واستولى على
وقبض على صاحبها محمد بن عبو ودفن من سبخيتها واودعه سجن المهدية الى
ان اطلق بعد نكبته ونازل توزر من بعد ذلك حتى استقام ابن يملول على طاعته المصنفة
واسترهن ولده ونازل بسكرة عنوة مدة يدافعه يوسف بن منصور بن مزني بن برتمة يدعها
من السلطان ابي بكر وشلته ويعطيه الجباية عن يد مع ما كان له من الاعتلاق بخدمة السلطان
ابي الحسن فتجافى عنه ابن الحكيم لذلك بعد استيفاء مغارمه وزحف الى بلاد ريغه

فافتتح

فافتتح قاعدتها تقرت واستولى على اموالها وذخيرتها فسار الى جبل اوراس فافتتح
الكثير من معاقله وعصفت ريح الدولة باهل الخلاف
عساكر السلطان خلال كل ارض وفي اثناء ذلك هلك حمزة بن عمر سنة ثنتين وار بعين
على يد ابي عون بن ابي علي من بني كثير احد بطون بني كعب بطعنة طعنه بها غيلة
فاشواه وقام بامره من بعده بنوه وكبيرهم يومئذ عمر وداخلتهم الظنة ان قتله
باملاء الدولة فاعصوصبوا وتذامروا واستجاشوا باقتالهم اولاد مهلهل فجاشوا
معهم وزحفوا اليهم ابن الحكيم في عساكر السلطان من زناتة والجند فقتلوهم واستلحموا
كثيرا من وجوههم ورجع الى الحضرة فتحصن بها واتبعوه فنزلوا بساحتها سنة ثلاثين
وقاتلوا العساكر سبع ليال ثم اختلفوا ونزع طالب بن مهلهل في قومه الى طاعة
السلطان فاجفلوا وخرج السلطان على تعبيته ذلك في جمادي من سنته في
عساكره واحزابه من العرب وهوارة وناوشهم بنو قادة من نواحي القيروان ورجع الى
حضرته آخر رمضان من سنته وذهبوا مفلولين الى القيروان ومروا في طريقهم بالامير
ابي العباس بقفصة فزعموه في الخلاف على ابيه وان يجلبوا به على الحضرة فاملى لهم
في ذلك حتى ظفر بمعزوز بن مطاعن وزير حمزة وكان راس النفاق والغواية فتقبض
عليه وقتله وبعث براسه الى الحضرة فنصب بها ووقع ذلك من مولانا السلطان احسن
المواقع ووفد بعدها على الحضرة فبايع له بالعهد في آخر سنته في محفل استشهد الملا
من الخاصة والكافة بايوان ملكه وكان يوما مشهودا قرئ فيه سجل العهد على الكافة
وانفضوا منه داعين للسلطان وراجع بنو حمزة الطاعة من بعدها واستقاموا عليها
الى ان كان من امرهم ما نذكره

الخبر عن مهلك الحاجب ابن عبد العزيز وولاية ابي محمد بن تافراكين من بعده وما كان على تفيئة ذلك من نكبة ابن الحكيم

هذا الرجل اسمه احمد بن اسماعيل بن عبد العزيز الغساني وكنيته ابو القاسم واصل
سلفه من الاندلس انتقلوا الى مراكش واستخدموا بها للموحدين واستقر ابوه اسماعيل
بتونس ونشأ ابو القاسم بها واستكتبه الحاجب ابن الدباغ ولما دخل السلطان ابو
البقاء خالد الى تونس ونكب ابن الدباغ لجأ ابن عبد العزيز الى الحاجب ابن عمر وخرج معه من
تونس الى قسنطينة واستوطن الكثير هنالك فاستخدمه الى ان غرب الى الاندلس
كما قدمناه ثم استعمله ابن عمر على الاشغال بقسنطينة سنة ثلاث عشرة فقام بها
وتعلق بخدمة القالون بعد استبداد ابن عمر ببجاية فلما وصل السلطان ابو بكر
الى تونس سنة ثمان عشرة استقدمه القالون واستعمله على اشغال تونس ثم كانت
سعايته في القالون مع الدولة ابن عبد العزيز الى ان القالون سنة احدى وعشرين

دولي الحجابة المزوار بن عبد العزيز وكان ابو القاسم بن عبد العزيز هذا رديفا هو
لضعف ادواته ولما هلك ابن عبد العزيز المزوار بقي ابو القاسم ابن عبد العزيز
يقيم الرسم الى ان قدم ابن سيد الناس من بجاية وتقلد الحجابة كما قدمناه فغص بمكان
ابن عبد العزيز هذا واستخصه عن الحضرة وولاه اعمال الحامة ثم استقدم منها عند
ماظهر عبد الواحد بن اللحياني في جهات قابس فلحق بالسلطان في حركته الى تميز ذكره
وقام في جملة السلطان الى ان نكب ابن سيد الناس وولي الحجابة بالحضرة كما ذكرنا
ذلك كله من قبل الى ان هلك ناح سنة اربع واربعين فعقد السلطان على حجابته
لشيخ الموحدين ابي عبد الله بن تافراكين وكان بنو تافراكين هولاء من بيوت الموحدين
في تينملل ومن اية الخمسين وولي عبد المومن كبيرهم عمر بن تافراكين على فاس اول
ماملكها الموحدون سنة اربعين وخمس ماية الى ان فتحوا مراكش فكان عبد المومن
يستخلفه عليها ايام مغيبه عنها على الامامة والصلاة ولما ثار بمراكش عبد العزيز
وعيسى ابنا اومغار اخي الامام المهدي سنة احدى وخمسين كان اول ثورتهم
ان اعترضوا عمر بن تافراكين عند ندايه بالصلاة فقتلوه ونقضهم الصلح فاستلحمهم
العامة ثم كان ابنه عبد الله بن عمر من بعده من رجالات الموحدين ومشيختهم
ولما عقد الخليفة يوسف بن عبد المومن على قرطبة لاخيه السيد ابي اسحاق انزل
معه عبد الله بن عمر بن تافراكين للمشورة مع جماعة من الموحدين كان منهم يوسف
ابن وانودين وكان عبد الله المتقدم فيهم وجاء ابنه عمر من بعده متقبلا مذهبه مرموقا
تجلته ولما ولي السيد ابو سعيد بن عمر بن عبد المومن على افريقية ولاه قابس
واعمالها الى ان استنزله عنها يحيى بن غانية سنة ثنتين وتسعين وخمس ماية ثم
كان منهم بعد ذلك عظماء في الدولة وكبراء من المشيخة اخرهم عبد العزيز بن
تافراكين خالف الموحدين بمراكش لما نقضوا بيعة المامون فاغتالوه في طريقه
الى المسجد عند الاذان بالصبح بما كان محافظا على شهود الجماعات ورعاها له
المامون في اخيه عبد الحق وبنيه احمد ومحمد وعمر فلما استلحم الموحدون وعمهم
الجزع ارتحل عبد الحق موريا بالحج ونزل على السلطان المستنصر فانزله بمكانه
من الحضرة وسرحه بعض الاحايين الى الحامة لحسم الداء فيها وقد كان توقع الخلاف
من مشيختها فحسن غناوه فيها وقتل اهل الخلاف وحسم العلل وولاه السلطان
ابو اسحاق على بجاية بعد مقتل ابن ابي هلال فاضطلع بها ولما ولي الدعي ابن ابي
عمارة سرحه في عسكر من الموحدين لعتمر العرب وكف عدوانهم فاثخن فيهم ماشاء
ولم يزل معروفا بالرياسة مرموقا بالتجلة الى ان هلك وكان بنو اخيه عبد العزيز
وهم احمد ومحمد وعمر جاوا على اثره من المغرب فنزلوا بالحضرة خير منزل وغذوا
بلبان النعمة والجاه بها وكان احمد كبيرهم وولاه السلطان ابو حفص على قفصة
ثم على المهدية ثم استعفى من الولاية فعوفي وكان السلطان ابو عصيدة يستخلفه
على الحضرة اذا خرج منها على ماكان لاوليه الى ان هلك لاول الماية الثامنة سنة
ثلاث ونشا ابناه ابو محمد عبد الله وابو العباس احمد في حجر الدولة وجو عنايتها
واصهر عبد الله منهما الى ابي يعقوب بن يزدوتن شيخ الدولة في ابنته فعقد

له عليها

له عليها واصهر من بعده اخوه احمد الى ابي محمد بن يعمور في ابنته فعقد له ايضا عليها
فاستخلص ابو ضربة بن اللحياني كبيرهما ابا محمد عبد الله واثره بصحابته فلم يزل
معه الى ان كانت الوقيعة عليه بمصرح وتقبض على كثير من الموحدين فكان في جملتهم
ومن عليه السلطان ابو بكر ورقاه في رتب عنايته الى ان ولاه الوزارة بعد الشيخ
ابي محمد بن القاسم ثم قدمه شيخا على الموحدين بعد مهلك شيخهم ابي عمر بن عثمان
سنة ثنتين واربعين وبعثه الى ملك المغرب مع ابنه الامير ابي زكرياء صاحب بجاية
صريخا على بني عبد الواد فحلي في خدمة السلطان وعرض سفارته وتوجه الانباذ
بعدها اليه واختص بالسفارة الى ملك المغرب ساير ايامه وغص الحاجب ابن سيد
الناس بمكانه وهم بمكروهه فكبح السلطان عنانه عنه ويقال انه افضى اليه
بذات صدره من نكبته ولما انقسمت خطط الدولة من الحرب والتدبير وبخا لصة
السلطان وتنفيذ اوامره بين ابن عبد العزيز الحاجب وابن الحكيم القايد كان له
هو القدح المعلى في المشورة والتدبير وكانوا يرجعون اليه ويعولون على رايه
وكان ثالث اثافيهم ومصقلة ارايهم ولما هلك الحاجب ابن عبد العزيز وكان السلطان
قد اضمر نكبة ابن الحكيم لما كان يتعاطاه من الاستبداد واحتجنه من اموال السلطان
واسر الحاجب ابن عبد العزيز الى السلطان زعموا بين يدي مهلكه بالتحذير من ابن
الحكيم وسوء دخلته وانه فاوضه ايام نزول العرب عليه بساحة تونس سنة
ثنتين واربعين كما قدمناه في الادالة من السلطان ببعض الاعياص من بني ابي
دبوس كانوا معتقلين بالحضرة التاها المتدرع على لسانه ضجرا من قعود السلطان
عن الخروج بنفسه الى العرب وسامه مما موهه من الحصار فاعتقدها عليه ابن
عبد العزيز حتى القاها الى السلطان عند موته وبري منها اليه فاوجمها اذنا
واعية وكان نحف ابن الحكيم فيها فلما هلك وولي شيخ الموحدين ابي محمد بن تافراكين
فاوضه في نكبة ابن الحكيم وكان يتربص به لما كان بينهما من المنافسة وكان ابن الحكيم
غايبا عن الحضرة في تدويخ الناحية وقد دنا لجبل اوراس واقتضى مغارمه وتوغل
في ارض الزاب واستوفى جبايته من عامله يوسف بن منصور وتقدم الى ريغ ونازل
تغزرت وامتنعها واستلات ايدي عساكره من مكاسبهم وحليهم واتصل به خبر مهلك
ابن عبد العزيز وولاية ابي محمد بن تافراكين الحجابة فتنكر ذلك لما كان يظن ان السلطان
لايعدل بها عنه وكان يرشح لها كاتبه ابا القاسم بن واران ويرى ان ابن عبد العزيز قبله
لم يتهيا بها ايثارا عليه فبدا له ما لم يحتسبه وفض الظنون وتقدم اصحب واعد المسير
الى الحضرة وقلدا من السلطان ابا محمد بن تافراكين في نكبته واعد البطانة للقبض عليه
وقدم على الحضرة منتصف ربيع من سنة اربع واربعين وجلس له السلطان جلوسا فخما
تعرض عليه هديته من المقربات والرقيق والانعام حتى اذا انفض المجلس وشيع السلطان
وزراءه وانتهى الى بابه اشار الى البطانة فاحتملوه وتلوه الى محبسه وبسط عليه العذاب
لاستخراج الاموال فاخرجها من مكامن احتجانها وحصل منها في مودع السلطان اربعماية
الف من الذهب العين ومثلها او مايقاربها قيمة من الجوهر وال الي اث
استصفي ولما امتد عطبه ونفد ماله خنق بمحبسه في رجب من سنته وذهب مثلا في

الايام وغرب ولده مع امه الى المشرق وطوح بهم الاغتراب الى ان هلك منهم من هلك
وراجع الحضرة علي وعبد منهم في اخرين من اصاغرهم بعد ايام واحوال والله يحكم لا معقب
لحكمه

الخبر عن شان الجريد واستكمال فتحه وولاية
ابنه ابي العباس عليه وولاية صاحب قابس احمد بن مكي على جزيرة جربة

كان امر الجريد قد صار الى الشورى منذ شغلت الدولة بمطالبة زناتة بني عبد الواد
ومالها لذلك من الاضطراب واستبد مشيخة كل بلد بامره ثم انفرد واحد منهم
بالرياسة وكان محمد بن يملول من مشيخة توزر هو القائم فيها والمستبد بامرها كما
سنذكره ولما فرغت الدولة الى الاستبداد وارهف السلطان حده للثوار وعفى
على اثار المشيخة بقفصة وعقد لابنه الامير ابي العباس على بلاد قسطيلية وانزله
بقفصة فاقام بها ممهدا لامارته مرددا بعوثه الى البلاد اختبارا لما يظهرون
من طاعته وزحف حاجبه ابو القاسم بن عتو سنة بالعساكر الى
نفطة امتلا الطاعة رؤساؤها بنو مدافع المعروفين ببني الخلف وكانوا اخوة اربعة
استبدوا برياستها في شغل الدولة عنهم فسامهم سوء العذاب ولاذوا بجدران
الحصون التي ظنوا انها مانعتهم وتبرات منهم الرعايا فادركهم الدهش وسالوا النزول
على حكم السلطان فجنبوا الى مصارعهم وصلبوا على جذوعهم اية للمعتبرين وافلت
السيف عليا صغيرهم لنزوعه الى العسكر قبل الحادثة فكانت له ذمة واقية من الهلكة
وانتظم الامير ابو العباس بلد نفطة في ملكته وجدد له العقد عليها ابوه وتملك
الكثير من نفزاوة ولما استبيحت نفطة ونفزاوة سمت همته الى ملك توزر جرثومة
الشقاق وعش الخلاف والنفاق وخشي مقدمها محمد بن يملول مغبة حاله وذهب
الى مصانعة قايد الدولة محمد بن الحكيم بن ان صدره فتجافا عنه الى ان هلك كما
في سنة واحدة واضطرب امر توزر وتواثب بنوه واخوه وقتل بعضهم بعضا وكان
اخوه ابو بكر معتقلا بالحضرة فاطلقه السلطان من محبسه بعد ان اخذ عليه
المواثيق بالطاعة والحماية ومضى الى توزر فملكها وطالبه الامير ابو العباس صاحب
قفصة وبلاد قسطيلية بالانقياد الذي عاهد عليه فنازعه ما كان في نفسه من
الاستبداد وصارت توزر لذلك شجا معترضا في صدر امارته فخاطب امارته
فخاطب اباه السلطان ابا بكر واغراه به فنهض اليه سنة خمس واربعين وانتهى الى
قفصة وطار الخبر الى ابي بكر بن يملول رئيسها يومئذ فادركه الدهش وانفض من
حوله الاولياء وجاهر بطاعة السلطان ولقائه فنفر عنه كاتبه وكانت ابنته المستولي
على امره علي بن محمد التموديي المعروف الشهرة ولحق ببسكرة في جوار يوسف بن مزني
واغذ السلطان السير الى توزر فخرج اليها ابو بكر بن يملول والقى اليه بيده
وخالط نفسه بجملته ثم ندم على ما فرط من امره واحس بالنكراء من الدولة وتنذر
بالهلكة فلحق بالزاب ونزل على يوسف بن منصور ببسكرة فتلقاه من الترحيب والبر

بما تحدث به الناس ولما استولى السلطان على توزر وانتظمها في اعماله عقد عليها
لابنه الامير ابي العباس وانزله بها وامكنه من زمامها ورجع السلطان الى الحضرة
ظاهرا عزيزا وتملا الايام ملكه الى ان هلك على فراشه كما نذكر واتصلت ممالك الامير
ابي العباس في بلاد الجريد وسار ابو بكر بن يملول توزر مرارا يغلب في كلها الهلكة
الى ان مات ببسكرة سنة سبع واربعين قبل مهلك السلطان كما نذكر واقام الامير ابو
العباس على امارته ولم يزل يمهد الاحوال ويستنزل الثوار وكان ابن مكي قد امتنع عليه
بقابس وكان من خبره انه لما رجع عبد الملك من تونس مع عبد الواحد بن اللحياني الذي
كان حاجبا له وذهب ابن اللحياني الى المغرب واقام هو بقابس ثم استراب بما ال امره مع
السلطان حين ذهب مهلكه الى زيان فاوفد اخاه احمد بن مكي على السلطان ابي الحسن
متنصلا من ذنوبه متذمما باستشفاعه منه الى السلطان ابي بكر فشفع له واعاده
السلطان الى مكان رياسته واستقام هو على الطاعة ونكب عن سنن العصيان والفتنة
وكان لاحمد حظ من الجلال والادوات ونفس مشغوفة بالرياسة والسمو وكان يقرض
الشعر فيجيد ويرسل فيحسن وكان يخط كتابه ابياتا يتجوبه منحى الخط الشرقي شان اهل
الجريد فيمتع ما شاء فكانت لذلك كلمة في نفس الامير ابي العباس صاغية اليه وكان هو
مستريبا بالمخالطة لما شاء من اثارة السالفة ولم يزل الامير ابو العباس يعتمل له
في الذروة والغارب الى ان جمعهما مجلس السيدة امه الواحدة اخت مولانا السلطان
قابلة من حجها فمسح ما كان في صدره ولحكم له عقد مخالصته واصطنعه لنفسه فجاز من امارته
بمكان غبطة واعتزاز وعقد له السلطان على جزيرة جربة واستضافها الى عمله وانزل
عنها مخلوف بن الكماد من صنايعه كان افتتحها سنة ثمان وثمانين وعقد له السلطان
عليها فنزلها احمد بن مكي واستقل عبد الملك اخوه برياسة قابس واقاما على ذلك
وجردا عزيمهما في ولاية ابي العباس صاحب اعمال الجريد فلم يزالوا كذلك الى ان كان
من امر الجميع ما نذكر

الخبر عن مهلك الوزير ابي العباس ابن تافراكين

كان السلطان ابو بكر عند نكبته لقايد ابن الحكيم استعمل على حجابته شيخ الموحدين
ابا محمد بن تافراكين كما ذكرناه وفوض اليه فيما وراء بابه وعقد على الوزارة لاخيه ابي
العباس احمد وكان ابو محمد حلس الباب لمكان الحجابة ودفع الى الحرب ووفود العساكر واماد
الضاحية اخاه ابا العباس فقام بما دفع اليه من ذلك وكان بنو سليم بعد مهلك
حمزة بن عمر نقموا ما كان عليه من الاذعان وسموا الى الخلاف والعناد فكان من ابناء
حمزة في ذلك من الاجلاب على الحضرة ما ذكرناه وكان سحيم بن من اولاد القوس
سن حكيم فيهم غوار ومارد خلاف وعناد وكان السلطان قد ولى على حجابة ابنه الامير
ابي العباس في اعمال الجريد ابا القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وكان بينه وبين بني
تافراكين بزعمه في الشرف وتنفس عليهم ما اتاهم الله من الرتبة والحظ فلما ولي ابو
محمد الحجابة ملئ منه حسدا وحفيظة وداخل فيما زعموا سحيما هذا الغوي في النيل من
ابي العباس بن تافراكين فاتح سنة سبع في العساكر لجباية هوارة فوفد عليه سحيم هذا

وقومه وضايقوه في الطلب ثم انتهزوا الفرصة ببعض الايام واجلبوا عليه فانفض معسكره وكبا به فرسه فقتل وحمل شلوه الى الحضرة فدفن بها وجاهر سحيم بالخلاف وخرج الى الرمال فلم يزل كذلك الى حين مهلك السلطان كما نذكر

الخبر عن مهلك الأمير ابي زكريا صاحب بجاية

من الأنباء وما كان بعد ذلك من ثورة اهل بجاية باخيه الأمير ابي حفص وولاية ابنه الأمير ابي عبد الله

كان السلطان ابو بكر لما هلك الحاجب ابن عمر عقد على بجاية لابنه الامير ابي زكرياء كبير ولده وانفذهما اليها مع حاجبه محمد بن القالون كما ذكرناه وجعل امورهما تحت نظره ثم رجع القالون الى تونس فانزل معه ابن سيد الناس كذلك فلما استبد بحجابة الحضرة جعل على حجابته اباعبد الله بن فرحون ثم لما تقبض على ابن سيد الناس وعلى ابن فرحون وقد استبد الامير ابو زكرياء بامره واقام على نفسه فوض السلطان اليه الامر في بجاية وبعث اليه ظافر السنان مولى ابيه الامير ابي زكرياء الاوسط قايدا على عسكره والكاتب ابا اسحاق ابن علان منصرفا في حجابته فاقاما ببابه مدة ثم صرفهما الى الحضرة وقدم لحجابته ابا العباس احمد بن ابي زكرياء الزندي كان ابوه من اهل العلم وكان ينتحل مذهب الصوفية الغلاة ويطالع كتب عبد الحق بن سبعين ونشا احمد هذا ببجاية واتصل بخدمة السلطان وتوقى في الرتب الى ان استعمله الامير ابو زكريا كما قدمناه ثم هلك وقد انف السلطان ابو بكر من ابتداء هؤلاء السوق على حجابة ابنه فانفذ لهما من حضرته كبير الموحدين يومئذ وصاحب السفارة ابا محمد بن تافراكين سنة اربعين وسبعماية فاقام احوال ملكه وعظم ابهة سلطانه وجهز العساكر لسفره واخرجها الى اعمالها فطاف عليها وتفقدها وانتهى الى تخومها من المسيلة ومقرة ولم يستكمل الحول حتى سخطه المشيخة من اهل بجاية لما انكروا من الابهة والحجاب حتى استغلظ عليهم باب السلطان وتولى كبر ذلك القاضي ابن ابي يوسف تعنتا وملالا واستعفى هو من ذلك فاعفي وعاد الى مكانه بالحضرة ثم استقدم الامير ابو زكريا حاجبه الاول لعهد ابن سيد الناس وهو ابو عبد الله بن فرحون وقد كان السلطان بعثه في غرض الرسالة الى ملك المغرب في الاسطول الذي بعثه مدد المسلمين عند اجازة السلطان ابي الحسن الى طريف وكان اخوه زيد بن فرحون قايد ذلك الاسطول بما كان قايد البحر ببجاية فلما رجع ابو عبد الله ابن فرحون من سفارته تلك اذن له في المقام عند الامير ابي زكريا واستعمله على حجابته الى ان هلك فولى من بعده في تلك الخطة ابن القشاش من صنايع دولته ثم عزله وولى عليها ابو القاسم بن علناس من طبقة الكتاب اتصل بدار هذا الامير وتوفي في ديوانه الى ان ولاه خطة الحجابة ثم عزله بعلي بن محمد بن سنت الحضرمي كان ابوه وعمه قدما

مع

جالية الاندلس وكانا ينتحلان القراءات واخذ اهل بجاية عن عمه ابي الحسن على القراءات وكان خطيبا بجامع السلطان ونشا علي ابن اخيه واستعمل في الديوان وكان طموحا للرياسة واتصل بحظية كانت للمولى ابي زكرياء تسمى ام الحكم قد غلبت على هواه فرشحت علي ابن سنت هذا لخطة الحجابة واستعمله فيها فقام بها واصلح مؤونات السلطان واخوه مقامته في سفره وجهز له العساكر وجال في نواحي عمالته وهلك هذا الامير في احدى سفراته وهو على حجابته بناكرارت من اعمال بجاية من مرض كان ازمن به في ربيع الاول سنة سبع واربعين وكان ابنه الامير ابو عبد الله في حجر مولاه فارح من معلوجي ابن سيد الناس وكانوا اصطنعوه فالفوه قايد الترشيح فاقام مع ابن مولاه ينتظر امر الخليفة وبادر حاجبه الاول ابو القاسم بن علناس الى الحضرة وانهى الخبر الى الخليفة فعقد على بجاية لابنه الامير ابي حفص كان معه بالحضرة وهو من اصاغر ولده وانفذه اليها مع رجاله واولي اختصاصه وخرج معه ابو القاسم ابن علناس فوصل الى بجاية ودخلها على حين غفلة وحملة الاوغاد من البطانة الى ارهاف الحد واظهار السطو فخشي الناس البوادر وايتمروا ثم كانت في بعض ايام هيعة تمالا فيها الكافة على التوثب بالامير القادم فطافوا بالقصبة في سلاحهم ونادوا بامارة ابن مولاهم لسود جد ذلك واقتحموا داره وملكوا عليه امره واخرجوه برمته بعد ان انتهبوا جميع موجوده وتسايلوا الى دار الامير ابي عبد الله محمد بن اميرهم ومولاهم بعد ان كان معتزما على التفويض عنهم واللحاق بالخليفة جده واذن له في ذلك عمه الامير القادم فبايعوه بدار من البلد ثم نقلوه من الغد الى قصره بالقصبة وملكوه امرهم وقام بامره مولاه فارح ولقبه باسم الحجابة واستمر حالهم على ذلك ولحق الامير ابو حفص بالحضرة اخر جمادي الاولى من سنته لشهر من يوم ولايته الى ان كان من شانه بعد مهلك مولانا السلطان ما نذكره وتدارك السلطان امر بجاية وبعث اليهم ابا عبد الله بن سليمان من كبار الصالحين ومشيخة الموحدين يسكنهم ويؤنسهم وبعث معه كتاب العقد عليها لحافده الامير ابي عبد الله بن الامير ابي زكرياء اذعانا بامر رضاهم فسكنت نفوسهم وانسوا بولاية ابن مولاهم وجرت الامور الى مصايرها كما نذكر

الخبر عن مهلك مولانا السلطان ابي بكر

وولاية ابنه الامير ابي حفص

بينما الناس في غفلة من الدهر وظل ظليل من العيش وامن من الخطوب وتحت سرادق من العز وذمة وافية من العدل اذ ربع السرب وتكدر الشرب وتقلصت ظلال العز والامن وتعطل فناء الملك ونعي السلطان ابو بكر بتونس فجاة من جوف الليل يلين
ليلة الاربعاء ثاني رجب من سنة سبع واربعين واربعماية فهب الناس من مضاجعهم متسايلين الى القصر يستمعون نباة النعي واطافوا به ساير ليلتهم تراهم سكارى وما هم بسكارى وبادر الامير ابو حفص عمر بن السلطان من داره الى القصر فملكه وضبط ابوابه واستدعا الحاجب

ابا محمد بن تافراكين من داره ودعوا المشيخة من الموحدين والموالي وطبقات الجند واخذ الحاجب عليهم البيعة للامير ابي حفص ثم جلس من الغداة جلوسا فخما على الترتيب المعروف في الدولة احكمه الحاجب ابو محمد لمعرفته بعوائدها وتوالي ترتيبها لمحنه عن استيلاخه اهل الدولة من الموحدين وعن اعاليهم الكافة على طبقاتهم فبايعوا له واعطوه صفقة ايمانهم وانفض المجلس وقد انعقدت بيعته واحكمت خلافته وكان الامير خالد بن مولانا السلطان مقيما بالحضرة قدمها زائرا منذ اشهر واقام متمليا من الزيارة فلما سمع النعي فر من ليلته وتقبض عليه اولاد منديل من الكعوب ورد الى الحضرة فاعتقل بها وقام ابو محمد بن تافراكين بخطة الحجابة كما كان وزيادة تفويض واستبداد الا ان بطانة السلطان كانوا يكثرون السعاية فيه ويوغرون صدره عليه بذكر منافسات ومناقشة سابقة بين الحاجب والامير ايام ابيه ٥ واتصل ذلك منهم غصا بمكانه وتذرب لذلك الحاجب منهم ناعمل الحيلة في الخلاص من صحابتهم كما نذكر ذلك بعد

الخبر عن زحف الامير ابي العباس ولي العهد من مكان امارته بالجريد على الحضرة وما كان

من مقتله ومقتل اخويه الاميرين
ابي فارس عزوز وابي البقا خالد

كان السلطان ابو بكر قد عهد الى ابنه الامير ابي العباس صاحب اعمال الجريد كما ذكرناه سنة ثلاث واربعين فلما بلغه خبر مهلك ابيه وما كان من بيعة اخيه على اهل الحضرة ساءه ذلك من نقض عهده ودعا العرب الى مظاهرته على امره فاجابوه ونزعوا جميعا الى طاعته عن طاعة اخيه بما كان مرهف الحد في الاستبداد والضرب على ايدي اهل الدولة من العرب وسواهم وزحف الى الحضرة ولقيه اخوه ابو فارس صاحب عمل سوسة لقيه بالقيروان فاتاه طاعته وصار في جملته ه وجمع السلطان ابو حفص عمر جموعه واستركب واستلحق وازاح العلل وخرج غرة شعبان وارتحل عن تونس وحاجبه ابو محمد بن تافراكين قد توجس منه بالهلكة واعمل في اسباب النجاة حتى اذا تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس في بعض السفل وركب السفين ناجيا الى المغرب وبلغ خبر مفره الى السلطان فاختل واختل مصافه وتحيز الى باجة فتلوم بها وتخلف عنه اهل المعسكر فلحقوا بالامير ابي العباس وملك الحضرة ثامن رمضان ونزل برياض راس الطابية واطلق اخاه ابا البقا من معتقله ثم دخل الى قصره لسبع ليال من مهلكه وصبحه الامير ابو حفص في ثامنها فاقتحم عليه البلد لصاغية كانت له في قلوب الغوغا من غشيانه اسمارهم وطروقه منازلهم ايام جنون شبابه

وقضا

وقضاء لذاته في مرباه وفتك بالحية ابي العباس ولسرعان ما نصب راسه على القناة ودا ست شلوه منابك العسكر واصبح اية للمعتبرين وثارت العامة بمن كان بالبلد من وجوه العرب ورجالاتهم فقتلوا في تلك الهيعة من كتب عليه القتل وبلوا بالاسر منهم الى السلطان فاعتقلهم وقتل ابا الهول بن حمزه بن عمر من بينهم وتقبض على اخويه خالد وعزوز فامر بقطعهم من خلاف فقطعوا وكان فيه مهلكهم واستوسق ملكه بالحضرة واستعمل على حجابته ابا العباس احمد بن علي بن رزين من طبقة الكتاب كان كاتبا للسنخشي الحاجب فغاضبه السلطان فيه ونكبه ثم اطلق من محبسه ومضى الى المغرب ونزل على السلطان ابي سعيد فاحمد نزله ثم رجع الى الحضرة ولم يزل مستنوءا ايام السلطان كلها واستكتبه الامير ابو حفص ولي عهده وكانت به وصلة فلما استوسق له الملك بعد مفر ابي محمد بن تافراكين كما ذكرناه ولى اباه ابا العباس هذا على حجابته وعقد على حربه وعساكره لظافر مولى ابيه وجدع المعروف بالسنان واستخلص لنجواه ٥ وسر مكتبه ابو عبد الله محمد بن الفضل بن نزار من طبقة الفقهاء والقضاة ومن اهل البيوتات النابهة بتونس كما كان لهم بها سلف مذكور واتصل بدار السلطان وارتسم بها مكتبا لولده وقرا عليه هذا الامير ابو حفص فيمن قرا عليه منهم فكانت له من اجل ذلك خصوصية ومزيد عناية عنده ولما استبد بامره كان هو مستبدا بشوراه وجرت الحال على ذلك الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن استيلاء السلطان ابي الحسن على افريقية ومهلك الامير ابي حفص وانتقال

الابناء من بجاية وقسنطينة الى المغرب وما تخلل ذلك من الا حداث

كان السلطان ابو الحسن يحدث نفسه منذ ملك تلمسان وقبلها بملك افريقية ويتربص بالسلطان ابي بكر ويسر له حسوا في ارتغا فلما لحق به حاجبه ابو محمد بن تافراكين بعد مهلكه رغبه في سلطانها واستحثه للقدوم عليها وحرك له الجوار فتنبهت لذلك عزائمه ثم وصل الخبر بمهلك ولي العهد واخويه وخبر الواقعة فاحفظ ذلك بما كان من رضاه بعهده وخطه الوفاق على ذلك بيده في سجله وذلك ان حاجب الامير ابي العباس وهو ابو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين كان سفر عن السلطان لاخر ايامه الى السلطان ابي الحسن بهدية وحمل سجل العهد فوقع عليه السلطان ابو الحسن وسال منه امضاه لمولاه وكتاب ذلك خطه في سجله بخطه بيمينه واحكم له عقده فلما بلغه مهلك ولي العهد تكلل بان النقض ابى على ما احكمه فاجمع غزو افريقية ونهض بها فعسكر بظاهر تلمسان وفرق الاعطيات وازاح العلل ثم رحل في صفر من سنة ثمان واربعين يجر الدنيا بما حملت واوفد عليه ابنا حمزه بن عمر امراء البلد وبافريقية ورجالات الكعوب اخاهم خالدا يستصرخه لثار اخيهم ابي الهول الهالك يوم الواقعة

فاتاهم ونزع اليهم ايضا اهل القاصية من افريقية بطاعتهم فجا وافى وفد واحد ابن مكي صاحب قابس وابن يملول صاحب توزر وابن العابد صاحب قفصة ومولاهم ابن ابي عنان صاحب الحامة وابن الخلف صاحب نفطة فلقوه بوهران واتوا بيعتهم رغبة ورهبة وادوا بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس ولم يتخلف عنهم الا لبعد داره ثم جاء بعدهم وعلى اثرهم صاحب الزاب يوسف بن منصور ابن مزني ومعه مشيخة الموحدين الدواودة وكبيرهم يعقوب بن علي فلقوه بمتيجة من اعمال بجاية فاوسع الكل حباء او تكرمة واسنى الصلات والجوائز وعقد لكل منهم على بلده وعمله وبعث مع اهل الجزائر الولاة للجباية لنظر مسعود بن ابراهيم اليرنياني من طبقة وزرائه واغذوا السير الى بجاية فلما اطلت عساكره عليها تؤامر اهلها في الامتناع ثم انابوا وخرج اميرها ابو عبد الله محمد بن الامير ابي زكرياء فاتاه طاعته وصرفه الى المغرب مع اخوانه وانزله ببلد ندرومة واقطع له الكفاية من جباياتها وبعث على بجاية عماله وحلفاءه وسار قسنطينة فخرج اليه ابناء الامير ابي عبد الله يقدمهم كبيرهم الامير ابو زيد فاتوه طاعتهم واقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وانزلهم بوجدة واقطعهم جباياتها وانزل بقسنطينة حلفاءه وعماله واطلق القرابة من مكان اعتقالهم بها وفيهم ابو عبد الله محمد اخو السلطان ابي بكر وبنوه ومحمد بن الامير خالد واخوانه وبنوهم واصارهم في جملته حتى صرفهم الى المغرب من الحضرة من بعد ذلك ووفد عليه هنالك بنو حمزة بن عمر ومشايخ قومهم الكعوب باخبروه بلحاق المولى ابي حفص من تونس مع ظواعن اولاد مهلهل واستحثوه باعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر وسرح معهم العساكر في طلبه لنظر حمو العشري من مواليه وسرح عسكرا اخر الى تونس لنظر يحيى ابن سليمان من بني عسكر ومعه ابو العباس بن مكي وسارت العساكر لطلب الامير ابي حفص فادركوه بارض الحامة من جهات قابس وصبحوهم فدافعوا عن انفسهم بعض الشي ثم انفضوا وكبا بالامير ابي حفص جواده في بعض نافقاء الجرابيع وانجلت الغيابة عنه وعن مولاه ظافر فاحيط بهما فقبض عليهما واوثقهما قائد الكتائب في قيده حتى اذا جن الليل وتوقع ان يفلتهما العرب من اساره قبل ان يصل بهما الى مولاه فذبحهما وبعث برؤوسهما الى السلطان ابي الحسن فوصلا اليه بباجة وخلص الفل من الواقعة الى قابس فتقبض عبد الملك بن مكي على رجالات من اهل الدولة كان فيهم ابو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر بن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من اعيان الدولة فبعث بهم ابن مكي الى السلطان فامتحن ابن عتو وصخر بن موسى وعلي بن منصور فقطعهم من خلاف واعتقل الباقين وسبقت العساكر الى تونس ثم جاء السلطان على اثرهم ودخل الحضرة في الزي والاحتفال في جمادى الاخرة من سنته وخفتت الاصوات وسكنت الدهما وانقبضت ايدي اهل الفساد وانقرض امر الموحدين الا ذبالا ببونه فانه عقد عليها للمولى الفضل ابن مولانا ابي بكر لمكان صهره ووفادته عليه بين يدي مهلك ابيه ثم ارتحل السلطان الى القيروان ثم الى سوسة والمهدية وتطوف على المعالم التي بها ووقف على اثار ملوك الشيعة وصنهاجة في مصانعها ومبانيها والتمس البركة في زيارة القبور التي تذكر للصحابة والسلف من التابعين

والاوليا

والاوليا في ساحاتها وقفل الى تونس فدخلها اخر شعبان من سنته

الخبر عن ولاية الامير ابي العباس الفضل

على بونة واولية ذلك ومصايره

نسخة

كان السلطان ابو الحسن قد اصهر الى السلطان ابي بكر قبيل مهلكه في احدى كرائمه واوفد عليه في ذلك عريف بن يحيى كبير بني سويد من زغبة وصاحب شوراه ونجي سره مع وفد من رجالات دولته من طبقات الفقهاء والكتاب والموالي كان فيهم صاحب الفتيا بمجلسه ابو عبد الله السطي وكاتب دولته ابو الفضل ابن عبد الله ابن ابي مدين وامين الحرم عنبر الخصي فاسعف السلطان وعقد له على خطبته عزونة شقيقة ابنه الفضل وزفها اليه بين يدي مهلكه مع اخيها الفضل ومعه ابو محمد عبد الواحد بن اكماز من مشيخة الموحدين وادركهم الخبر بمهلك السلطان في طريقهم فلما قدموا على السلطان ابي الحسن تقبلهم بقبول حسن ودفع عن الفضل واستثبت له ملكهما اعرض له عن ذكر ذلك الا انه رعى له ذمة الصهر وسابقة الوعد فاقنعه بالعقد على بونة مكان عمله منذ ايام ابيه وانزله بها منذ ارتحل عنها الى تونس واضطغن المولى الفضل من ذلك حقدا لما كان يرجو من تجافيه له عن ملك ابائه لحق وفادته وصهره وقام بمكان عمله منها يومل الكرة الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن بيعة العرب لابن ابي دبوس وواقعتهم مع السلطان ابي الحسن

بالقيروان وما قارن ذلك كله من الاحداث

كان السلطان ابو الحسن لما استوسق له ملك افريقية اسف العرب بمنعهم من الامصار التي ملكوها بالاقطاعات والضرب على ايديهم في الاتاوات فوجموا لذلك واستكانوا لغلبته وتربصوا الدوائر وكان بعض البادية منهم يشن الغارات في الاطراف فيعتدها السلطان على كبرائهم واغاروا بعض الايام في ضواحي تونس فاستاقوا الظهر الذي كان للسلطان في مراعيها واظلم الجو بينهم وبينه وحشوا عاديته ولم يتقوا باسه ووفد عليه ايام الفطر من رجالاتهم خالد بن حمزة واخوه احمد من بني كعب وخليفة ابن عبد الله بن مسكين وخليفة ابن بوزيد من رجالات حكيم وساءت ظنونهم في السلطان لسوء افعالهم فداخلوا عبد الواحد بن اللحياني في الخروج على السلطان وكان من خبر عبد الواحد هذا انه بعد اجفاله من تونس سنة ثنتين وثلاثين كما ذكرنا

لحق بابي تاشفين فاقام عنده في مبرة وتكرمة ولما اخذ السلطان ابو الحسن بمخنق تلمسان واشتد حصارها سال عبد الواحد من ابي تاشفين تخليته للخروج فودعه وخرج الى السلطان ابو الحسن فنزل عليه ولم يزل في جملته الى ان احتل بافريقية فلما خشن ما بينه وبين الكعوب والتمسوا الاعياص من بني ابي حفص ينصبونهم للامر رجوا ان يظفروا من عبد الواحد هذا بالبيعة فداخلوه وارتاب لذلك وخشي بادرة السلطان فرفع اليه الخبر فتقبض السلطان عليهم اربعتهم بعد ان احضرهم معه فانكروا وبهتوا ثم وبخهم واعتقلهم وعسكر للمسالحة الحضرة لغزوهم وتلوم لبث الاعطيات وازاحة العلل وبلغ الخبر الى احيائهم فقطع الياس اسباب رجائهم وانطلقوا يحزبون الاحزاب ويلتمسون تملك الاعياص وكان اولاد مهلهل اقتالهم وعديلة حملهم قد ايسهم السلطان من القبول والرضى بما بالغوا في نصيحة المولى ابي حفص عمر ومظاهرته فلحقوا بالقفر ودخلوا الرمال فركبا اليهم قتيبة بن حمزة وامه ومعهم ظعائن ابنائها متذممين لاولاد مهلهل بالعصبية والقرابة فاجابوهم واجتمعوا بقسطيلية ثم تواهبوا التراث والدماء وتذامروا لما شملهم من رهب السلطان وتوقع باسه وتفقدوا من اعياص الموحدين من ينصبونه للامر وكان بتوزر احمد بن عثمان بن ابي دبوس اخر خلفاء بني عبد المومن بمراكش وقد ذكرنا خبره وخروجه بجهات طرابلس وجلابه مع العرب على تونس ايام السلطان ابي عصيدة ثم انفضوا وبقي عثمان بجهات قابس وطرابلس الى ان هلك بجزيرة جربة واستقر بنو ابنه عبد السلام بالحضرة بعد حين فاعتقلوا بها ايام السلطان ابي بكر ثم غربهم الى الاسكندرية مع اولاد ابن الحكيم عند نكبته كما ذكرنا ذلك كله فنزلوا بالاسكندرية واقبلوا على الحرف لمعاشهم ورجع احمد هذا من بينهم الى المغرب واستقر بتوزر واحترف بالخياطة ولما تفقد العرب الاعياص دلهم على مكانه بعض اهل عرفانه فانطلقوا اليه وجاؤا به وجمعوا له الالة ونصبوه للامر وتبايعوا على الاستماتة وزحف اليهم السلطان في عساكره من تونس ايام الحج من سنة ثمان ولقيهم بالسه كورة القيروان ففلهم واجفلوا امامه الى القيروان ثم تذامروا ورجعوا مستميتين ثاني محرم سنة تسع فاختل مصافه ودخل القيروان وانتهبوا معسكره بما اشتمل عليه واخذوا بمخنقه الى ان اختلفوا وافرجوا عليه وخلص الى تونس كما نذكر

الخبر عن حصار القصبة بتونس ثم الافراج عن القيروان وعنها وما تخلل ذلك

كان الشيخ ابو محمد بن تافراكين ايام حجابته للسلطان ابي بكر مستبدا بامره مفوضا اليه في سائر شؤنه فلما استوزره السلطان ابو الحسن لم يجره على مالوفه لما كان قائما على امره وليس للتفويض من شانه وكان يظن ان السلطان ابا الحسن سيكل اليه امر افريقية وينصب معه الفضل للملك وربما زعموا انه عاهده على ذلك فكان في

قلبه من الدولة مرض وكان العرب يعرفونه بذات صدورهم من الخلاف والجلاء فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان ابي الحسن وعساكره واحاطوا به في القيروان تحيل ابن تافراكين في الخروج عن السلطان لما تبين فيه من النكراء منه ومن قومه وبعث العرب في لقائه وان يحكموه حديث قبيلهم الى الطاعة فاذن له وخرج اليهم وقلدوه حجابة سلطانهم ثم سرحوه الى حصار القصبة وكان السلطان عند رحيله من تونس خلف بها الكثير من حرمه وابنائه ووجوه قومه واستخلف عليها علي بن سليمان العسكري من كبار بطانته واهل مجلسه ووجوه قومه فلما كانت واقعة القيروان واتصل الخبر بتونس كانت لنابلة هيعة خشي عليها عسكر السلطان على انفسهم فلجا من كان معهم بتونس الى قصبتها واحاط بهم الغوغاء فامتنعت عليهم واتخذوا الالة للجدار وفرقوا الاموال في الرجل وعظم فيها غناء بشير من المعلوجي الموالي فطار له ذكر وكان الامير ابو سالم بن السلطان ابي الحسن قد جاء من المغرب فوافاه الخبر دون القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم بالقصبة فلما خرج ابن تافراكين من هوة الحصار بالقيروان اليهم طمعوا في الاستيلاء على قصبة تونس [illegible] الى ذلك ثم لحق به سلطانهم ابن ابي دبوس وعانا من ذلك ابن تافراكين صعبا لكثرة الرجل الذين كانوا بها ونصب المجانيق عليها فلم يغن شيئا وهو اثناء ذلك يحاول النجاة لنفسه لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى ان بلغه خلوص السلطان من القيروان الى سوسة وكان من خبره ان العرب بعد ايقاعهم بعساكره احاطوا بالقيروان واشتد في حصارها وداخل السلطان اولاد مهلهل من الكعوب وحكيما من بني سليم في الافراج عنه واشترط لهم على ذلك الاموال واختلف راي العرب لذلك ودخل عليه قتيبة ابن حمزة بمكانه من القيروان زعيما بالطاعة فتقبله واطلق اخوانه خالدا واحمد ولم يبق اليهم ثم دخل اليه محمد بن طالب من اولاد مهلهل وخليفة بن بوزيد وابو الهول بن يعقوب من اولاد القوس واسرى معهم بعسكره الى سوسة نصبحها وركب منها في اساطيله الى تونس وسبق الخبر الى ابن تافراكين بتونس فتسلل من اصحابه وركب السفين الى الاسكندرية في ربيع سنة تسع واربعين واصبحوا وقد تفقدوه فاضطربوا واجفلوا عن تونس وخرج اهل القصبة من اولياء السلطان فملكوها وخربوا منازل الحاشية فيها ونزل السلطان بها من اسطوله في ربيع الاخر فاستقلت قدمه من العثار ورجا المكروه لولا ما قطع اسبابها عنه ما كان من انتزاء ابنائه بالمغرب على ما نذكر في اخبارهم واجلب العرب وابن ابي دبوس معهم على الحضرة ونازلوها بها السلطان فامتنعت عليهم ثم رجعوا الى مهادنته فعقد لهم السلم ودخل حمزة بن عمر اليه وافدا فحبسه الى ان تقبض على ابن ابي دبوس وامكنه منه فلم يزل في محبسه الى ان رحل الى المغرب ولحق هو بالاندلس كما نذكره في اخباره هو واقام السلطان بتونس ووفد عليه احمد بن مكي فعقد لعبد الواحد بن اللحياني على الثغور الشرقية طرابلس وقابس وصفاقس وجربة وسرحه مع ابن مكي فهلك عند وصوله اليها في الطاعون الجارف وعقد لابي القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وهو الذي كان قطعه باغراء ابي محمد بن تافراكين ثم لما ظهر خلافه اعاد ابن عتو الى مكانه وعقد له على

بلاد قسنطينة وسرحه اليها واقام هو بتونس الى ان كان ما نذكر

الخبر عن ولاية الامير ابى العباس الفضل على بونه واولية ذلك ومصائره

كان سنن السلطان ابو الحسن في دولته بالمغرب وفود العمال عليه اخر كل سنة لايراد جباياتهم والمحاسبة على اعمالهم فوفدوا عليه عامهم ذلك من قاصية المغرب ووافاهم خبر الواقعة بقسنطينة وكان معهم ابن مزنى عامل الزاب ووفد ايضا بجبايته وهديته وكان معهم ابو عمر تاشفين بن السلطان ابى الحسن كان اسيرا من يوم واقعة طريف ووقعت المهادنة بين الطاغية وبين ابيه فاطلقه واوفد معه جمعا من بطارقته وفى مواضعه على ابيه ووفد معه اخوه عبد الله من المغرب وكان معهم ايضا وفد السودان من اهل مالي في غرض السفارة واجتمعوا كلهم بقسنطينة فلما اتصل بهم خبر الواقعة على السلطان كثر الاضطراب وتجلبت السفهاء من الغوغاء الى ما بايديهم وخشي الملا من اهل البلد على انفسهم فاستدعوا ابا العباس الفضل من عمله ببونه ولما اطل على قسنطينة ثارت العامة بمن كان هنالك من الوفود والعمال وانتهبوا اموالهم واستلحموا منهم وخلص ابناء السلطان مع وفود السودان والجملة الى بسكرة مع ابن مزنى وفي خفارة يعقوب بن علي امير الدواودة فاوسعهم ابن مزنى قرى وتكرمة الى ان لحقوا بالسلطان ابي الحسن بتونس في رجب من سنة تسع ودخل المولى الفضل الى قسنطينة واعاد مذهب من سلطان قومه وشمل الناس بعدله واحتفى وسوغ الاقطاع والجوائز ورحل الى بجاية لما انس من صاغية اهلها الى الدعوة الحفصية فلما اطل عليها ثار اهلها بالعمال الذين كان السلطان انزلهم بها واستباحوهم وافلتوا من ايدي نكبتهم بجريعة الذقن ودخل المولى الفضل الى بجاية واستولى على كرسي ملكها ونظمها مع قسنطينة وبونه في ملكه واعاد القاب الخلافة ورسومها وشاراتها كما كانت واعتزم على الرحيل الى الحضرة وبينما هو يحدث نفسه بذلك اذ وصل الخبر بقدوم امراء بجاية وقسنطينة من المغرب وكان من خبرهم ان الامير ابا عنان لما بلغه خبر الواقعة بابيه وابتز امنصور بن اخيه ابي مالك بالبلد الجديد دار ملكهم واحس بخلاص ابيه من هوة الحصار بالقيروان نوثب على الامر ودعا لنفسه ورحل الى المغرب كما نذكره في اخباره وسرح اليه ابا عبد الله محمد بن الامير ابي زكرياء صاحب بجاية من الابناء الى عمله وامده بالاموال واخذ عليه المواثيق ليكونن له يدا دون ابيه وليحولن بينه وبين الخلوص اليه من مربه وانطلق ابو عبد الله الى بجاية وقد سبقه اليها عمه الفضل واستولى عليها فنازله بها وطال حصارها ولحق به بمكانه من منازلتها فنبيل المولى من العلوج من ابناء الامير ابي عبد الله وكافل بنيه من بعده وتقدم الى قسنطينة وبها عامل من قبل الفضل فثار به الناس لحينه ودخل نبيل وملك البلد واقام فيها دعوة ابي زيد بن الامير ابي عبد الله وكان الامير ابو عنان استصحبه واخوانه الى

المغرب وبعد احتيالهم بتناس سرحهم الى مكان امارتهم بقسنطينة بعد ان اخذ عليهم الموثق في شان ابيه بمثل موثق ابن عمهم فجاوا على اثر نبيل مولاهم ودخلوا البلد واحتل ابو زيد منها بمكان امارته وسلطان قومه كما كان قبل رحلتهم الى المغرب ولم يزل الامير ابو عبد الله منازلا لبجاية الى ان بيتها بعض ليالي رمضان من سنته بمداخلة بعض الاشياع من رصافتها داخلهم مولاه وكافله فارح في ذلك فتسرب فيهم الاموال وواعدوه للبيات وفتحوا له باب البر من ابوابها فاقتحمه ففجاهم هدير الطبول فهب السلطان من نومه وخرج من قصره فتسنم الجبل المطل عليها متسربا في سعابة الى ان وضح الصباح وظهر عليه فجيء به الى ابن اخيه فمن عليه واستبقاه واركبه السفين الى بلده بونه في شوال من سنة تسع واربعين ووجد بعض الاعياص من نوابته قد ثاروا بها وهو محمد بن عبد الواحد بن ولد ابي بكر بن الامير ابي زكرياء الاكبر كان هو واخوه عمر بالحضرة وكان لعمر منهما النظر على القرابة فلما كان هذا الاضطراب لحقوا بالفضل وتركهم ببونه عند سفره الى بجاية فحدثتهم انفسهم بالاستبداد فلم يتم لهم امر وثارت بهم الحاشية والعامة فقتلوه وتوافى الفضل الى بونه وقد انجلت غياباتهم وتمحيت اثارهم فدخل الى قصره والقى عصا تسياره واستقل الامير ابو عبد الله بن الامير ابي زكريا ببجاية محل امارة ابيه والامير ابو زيد بن الامير ابي عبد الله بقسنطينة محل امارة ابيه والامير ابو العباس الفضل ببونه محل امارته منذ عهد الامر والسلطان ابو الحسن بتونس الى ان كان من امرهم ما نذكره

الخبر عن حركة الفضل الى تونس بعد رحيل السلطان ابى الحسن الى المغرب

كان العرب بعد ما قدمنا من طاعتهم واسلامهم سلطانهم ابن ابي دبوس قد انتقضوا عن السلطان ابي الحسن واجلبوا عليه ثانية وتولى كبر ذلك فتيته ابن حمزه وخالف الى السلطان اخوه خالد مع اولاد مهلهل وافترق امرهم وخرج كبيرهم عمر بن حمزه حاجا واستقدم فتيته واصحابه الامير الفضل من مكان امارته ببونه لطلب حقه واسترجاع ملك ابائه فاجابهم ووصل الى احيائهم اخر سنة تسع فنزلوا تونس واجلبوا عليها ثم افرجوا عنها وعادوا لمنازلتها اول سنة خمسين وافرجوا عنها اخر المصيف واستدعاهم ابو القاسم بن عتو صاحب الجريد من مكان عمله بتوزر فدخل في طاعة الفضل وحمل اهل الجريد كلهم عليها واتبعه في ذلك بنو مكي وانتقضت افريقية على السلطان ابي الحسن من اطرافها فركب اساطيله الى المغرب ايام الفطر من سنة خمسين ونهض المولى الفضل الى تونس وبها ابو الفضل ابن السلطان ابي الحسن كان ابوه قد عقد له عليها عند رحيله الى المغرب تفاديا من ثورات الغوغاء ومعرات هيعتهم وامن عليه بما كان عقد له من الصهر مع عمر بن حمزه

في اثنه فلما اطلت رايات المولى الفضل على تونس ايام الحج نبضت عروق التشيع للدعوة الحفصية واحاطت الغوغا بالقصر ودجموه بالحجارة وارسل ابو الفضل الى بني حمزة منذ بما بصهرهم فدخل عليه ابو الليل واخرجه ومن معه من قومه الى الحي واستركب له من رجالات بني كعب من ابلغه مامنه وهداه السبيل الى وطنه ودخل الفضل الى الحضرة وقعد بمجلس ابايه من الخلافة وطمسه جددما بني مرين من معالم الدولة واستمر امره على ذلك الى ان كان ما نذكر

الخبر عن مهلك الفضل وبيعة اخيه المولى

ابي اسحاق في كفالة ابي محمد بن تافراكين وتحت استبداده

لما دخل ابو العباس الفضل الى الحضرة واستبد بملكها عقد على حجابته لاحمد بن محمد بن عتو نايبا عن عمه ابي القاسم ربيبا بفصل من الجريد وعقد على جبايته هو وحربه لمحمد بن الشواش من بطانته وكان وليه المطارد به ابو الليل قتيبة بن حمزة مستبدا عليه في ساير احواله متسلطا في طلبانه وانف له هو بطانته من ذلك فحملوه على التنكر له وان يديل منه بولاية اخيه وبعث عن ابي القاسم ابن عتو وقد قلده حجابته وفوض اليه في امره وجعل معادا الدولة في يده فركب اليه البحر من سوسة واستالف له خالد بن حمزة ظهيرا على اخيه بعد ان نبذ اليه عهده وفارقهم ابو الليل بن حمزه قبل استحكام امورهم فغلب على السلطان وحمله على عزله فاتبع محمد بن الشواش فدفعه الى بونة على عساكرها واضطربت نار الفتنة بين ابي الليل بن حمزة واخيه خالد وكاد شملهم ان ينصدع وبينما هم يحشون نار الحرب ويجمعون الجموع والاحزاب اذ قدم كبيرهم عمر وابو عبد الله بن تافراكين من حجهم وكان ابن تافراكين لما احتمل بالاسكندرية بعث السلطان ابو الحسن فيه الى اهل المشرق وخاطب ملوك مصر في التحكيم فيه فاجاره عليه الامير المستبد على الدولة يوميذ بيبغاروس وخرج من مصر لقضاء فرضه وخرج بن حمزة لقضا فرضه ايضا فاجتمعا في مشاهد الحج اخر سنة خمسين وتعاقدا على الرجوع الى افريقية والتظاهر على امرهما ونقلا امرا لبنيا خالد وقتيبة على الصفين ف عمر ردايه فاجتمعا وتوافقا ومسح الاحن من صدورهما وتواطؤا جميعا على المكر بالسلطان وبعث اليه وليه قتيبة بالمراجعة فتقبله واتفقوا على ان يقلد حجابته الى محمد بن تافراكين حاجبا بيه وكبيرا دولتهم ويديل به من ابن عتو نابا ثم اصبحت ونزلت احيا وهم ظاهر البلد واستحثوا السلطان للخروج اليهم ليكملوا عقد ذلك معه فخرج ووقف بساحة البلد الى ان اطاحوا به ثم اقتادوه الى بيوتهم واذنوا لابن تافراكين في دخول البلد فدخلها لاحدى عشرة من جمادى الاولى سنة احدى وخمسين وعمد الى دار المولى ابي اسحاق ابراهيم بن مولانا السلطان ابي بكر فاستخرجه بعد ان بذل لامه من العهود والمواثيق ما رضيتها وجاء به الى القصر واقعده على كرسي الخلافة وبايع له الناس خاصة

وعامة وهو يوميذ غلام مناهز فانعقدت بيعته ودخل بنو كعب فاتوا ببيعتهم ذ وسيق الى اخوه الفضل ليلتيذ فاعتقله وغط من جوف الليل بمحبسه حتى فاض ولاذ حاجبه ابو القاسم بن عتو يوميذ بالاختفاء في غيابات البلد وعثر عليه الليالي فامتحن وهلك في امتحانه وخوطب العمال في الجهات باخذ البيعة على من قبلهم فبعثوا بها واستقام ابن مملول صاحب توزر على الطاعة وبعث بالجباية والهدية واتبعه صاحب نفطة وصاحب قفصة وخالفهم ابن مكي وذهب الى الاجلاب على ابن تافراكين بما كان قد كفل السلطان وحجره عن التصرف في امره واستبد عليه الى ان كان ما نذكر

الخبر عن حركة صاحب قسنطينة الى تونس

وما كان من حجابة ابي العباس ابن مكي وتصاريف ذلك

لما استولى ابو محمد بن تافراكين على تونس وبايع للمولى ابي اسحاق بالخلافة واستبد عليه نفس عليه امراؤها ما استبد اده وسمر ابن مكي للسعي عليه هو بمنافسة كانت بينهما قديمة من لدن ايام السلطان ابي بكر واستعمل على ذلك باولاد مهلهل مقاسمي اولاد ابي الليل في رياسة الكعوب ومجاذبيهم حبل الامارة فلما راوا اصاغية ابن تافراكين الى اولاد ابي الليل اقتالهم اجمعوا له ولهم وجاوروا بني حكيم من قبايل علاق واجلبوا على الضواحي وشنوا الغارة نحو وفد وعلى الامير ابي زيد صاحب قسنطينة واعمالها يستحثونهم النهوض الى افريقية واستخلاص ملك ابايه ممن استبد عليه واجتاز دونهم فسرح معهم عسكرا لنظر ميمون بن منفوي الجاهل من مواليه وموالي ابيه وارتحلوا من قسنطينة وارتحل معهم يعقوب بن علي كبير الدواودة بمن معه من قومه وسرح ابو محمد بن تافراكين من الحضرة القاسم عسكرا مع ابي الليل بن حمزة لنظر مقاتل من موالي السلطان والتقى الجمعان ببلاد هوارة سنة اثنتين وخمسين فكانت الدبرة على اولاد ابي الليل وقتل يوميذ ابو الليل قتيبة ابن حمزة بيد يعقوب بن سحيم من اولاد القوس شيوخ بني حكيم ورجع فلهم الى تونس وامتدت ايدي اولاد مهلهل وعساكر قسنطينة في البلاد وجبوا الاموال من اوطان هوارة وانتهبوا الي ابه ثم قفلوا اجمعين الى قسنطينة وولي على اولاد ابي الليل مكان قتيبة اخوه خالد بن حمزة وقام بامرهم وكان ابو العباس بن مكي اثناء ذلك بجاية المولى ابا زيد صاحب قسنطينة من مكان ولايته بقابس ويعرض نفسه للوفادة والمدد بالمال والاحزاب والقيام باعطيات العرب حتى اذا انصرم فصل الشتا وفد عليه مع اولاد مهلهل فلقاه مبرة وتكريما وعقد له على حجابته وجمع عساكره وجهز الته وازاح عللها تابعه ورحل من قسنطينة سنة ثلاث وخمسين في صفر وجهز ابو محمد بن تافراكين سلطانه ابا اسحاق بما يحتاج اليه من العساكر والاله وجعل على حربه ابنه ابا عبد الله محمد بن نزار من طبقة الفقهاء ومشيخة الكتاب كان يعلم ابناء السلطان الكتاب ويقريهم القران كما قدمناه وفصل من تونس في التعبية حتى تراءى الجمعان

بمرجنه وتزاحفوا فاختل مصاف السلطان ابي اسحاق وافترقت جموعه وولوا منهزمين
واتبعهم القوم عشية يومهم ولحق السلطان بحاجبه ابي محمد بن تافراكين بتونس ه
وجاوا على اثره فنازلوا تونس اياما وطالت عليهم الحرب ثم امتنعت عليهم وارتحلوا
الى القيروان ثم الى قفصة وبلغهم ان ملك المغرب الاقصى السلطان اباعنان
بعد استيلائه على المغرب الاوسط زحف الى التخوم الشرقية وانتهى الى المدية وكان
صاحب بجاية ابو عبد الله قد خاطبهم الى قسنطينة بمداخلة ابي محمد بن تافراكين
واستحثا سيره ونازل جهات قسنطينة واكتسح زروعها وشن الغارات في بسائطها
فبلغهم انه رجع الى بجاية منكشا من زحف بني مرين واعتزم الامير ابو زيد على مبادرة
تغزو ودار امارته قسنطينة ورغب اليه ابو العباس بن مكي واولاد مهلهل ان يخلف
بينهم من اخوانه من يجتمعون اليه ويزاحمون به فولى عليهم اخاه ابا العباس فبايعوه
واقام فيهم هو وشيعته ابو يحيى زكرياء الى ان كان من شانه ما نذكره وانصرف
الامير ابو زيد عند ذلك من قفصة يغذ السير الى قسنطينة واحتل بها في جمادى
من سنته

الخبر عن وفادة صاحب بجاية على ابي عنان واستيلائه
عليه وعلى بلده ومطالبة قسنطينة

كان بين الامير ابي عبد الله صاحب بجاية وبين الامير ابي عنان ايام امارته بتلمسان
ونزول الاعياص الحفصيين بتلك ودعة ووصلة ايام ابيه كما ذكرناه اتصال ومخالصة
احكمها بينهما نسب الشباب والملك وسابقة الصهر فكان للامير ابي عبد الله من
اجل ذلك صاغية الى بني مرين اوجدهما السبيل على ملكه ولما ترب به السلطان ابو
الحسن في اسطوله عند رحلته من تونس كما قدمناه امر اهل سواحله بمنعه الماء
والاقوات من سائر جهاتها رعيا للذمة التي اعتقدها مع الامير ابي عنان في شانه
وجنوحا الى تشييد سلطانه ولما اوقع السلطان ابو عنان ببني عبد الواد سنة ه
ثلاث وخمسين واستولى على المغرب الاوسط وتجافلهم الى بجاية اوعز الى الامير ابي
عبد الله باعتراضهم في جهاته والقبض عليهم فاجابه الى ذلك وبعث العيون
بالمراصد فعثر واتى بنواحي بجاية على محمد بن سلطانهم ابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن
وعلى اخيه ابي ثابت الزعيم بن عبد الرحمن وعلى وزيرهم يحيى بن داود بن مكن فاوثقهم
اعتقالا وبعث بهم الى السلطان ابي عنان ثم جاء على اثرهم فتلقاهم بالقبول والتكرمة
واتزله بالخشن تزله ثم دس اليه من اغراه بالنزول له عن بجاية رغبة فيما عند السلطان
ازاء ذلك من التجلة والادالة منها بمكناسة المغرب والراحة من زبون الجند والبطانة
واضغانا بما سواه ان لم يعمل فاجاب اليه على الياس والكره وشهد بمجلس السلطان
والملا من بني مرين بالرغبة في ذلك فاسعفوا سنية جائزته واقطعت له مكناسة
من اعمال المغرب ثم انتزعها لايام قلائل ونقله في جملته الى المغرب وبعث الامير ابو عبد
الله مولاه فارحا المستنبد كان عليه لياتيه باهله وولده وعقد ابو عنان على بجاية

لعمر

لعمر بن علي بن الوزير من بني واطاس وهم ينتسبون بزعمهم الى علي بن يوسف امير لمتونة
فاحتفته ابو عنان بولايتها لمات هذا النسب الصنهاجي بينه وبين اهل وطنها منهم
وانصرفوا جميعا من المدينة ولما احتلوا بجاية توامر اولياء الدعوة الحفصية بها من صنهاجة
والموالي وبيتت رجالاتهم في قتل عمر بن علي بن الوزير واشياع بني مرين وتصدى لذلك
زعيم صنهاجة منصور ابن ابراهيم بن الحاج في رجالات من قومه باملاء فارح وعمدوا وغدوا
عليه بداره من القصبة فاكب عليه منصور يناجيه فطعنه وطعن اخر منهم القاضي بن
فركان بها كان شيعة لبني مرين ثم اجهزوا على عمر بن علي ومضى القاضي الى داره فمات
واتصلت الهيعة بفارح فركب اليها وهتف الهاتف بدعوة صاحب قسنطينة محمد بن ابي زيد
وطيروا اليه بالخبر واستحثوه للقدوم واقاموا على ذلك اياما ثم توامر الملا من اهل بجاية
في التمسك بدعوة صاحب المغرب خوفا من بوادره فثاروا بفارح وقتلوه ايام التشريق
من سنة ثلاث وخمسين وبعثوا براسه الى السلطان بتلمسان وتولى كبر ذلك هلال
صاحبه من موالي ابن سيد الناس ومحمد بن الحاجب ابي عبد الله بن سيد الناس ومشيخة
البلد واستقدموا العامل من بني مرين وهو يحيى بن عمر بن عبد المومن من
بني ونكاسن فبادر اليهم وسرح السلطان ابو عنان اليها حاجبه ابا عبد الله محمد بن
ابي عمرو في الكتائب فدخلها فاتح سنة اربع وخمسين وذهبت صنهاجة في كل وجه
ولحق كبراؤهم وذوو الفعلة منهم بتونس وتقبض على هلال مولى ابن سيد الناس لما
داخلته فيه من الظنة وعلى القاضي محمد بن عمر لما كان شيعة لفارح وعلى عرفاء الغوغاء
من اهل المدينة واشخصهم معتقلين الى المغرب وصرف نظره الى تمهيد الوطن واشتد
كبراء العرب واهل النواحي من اعمال بجاية وقسنطينة ووفد عليه يوسف بن مزني
صاحب الزاب ومشيخة الدواودة فاسترهن ابناءهم على الطاعة وقفل بهم الى
المغرب واستعمل ابو عنان على بجاية موسى بن ابراهيم اليرنياني من طبقة الوزراء
وبعثه اليها ولما وفدوا على السلطان جلس لهم جلوسا فخما ووصلوا اليه ولقاهم
تكرمة ومبرة واوسعهم حباء واقطاعا وانفذ لهم الصكوك والسجلات واخذ على طاعتهم
العهود والمواثيق والرهن وانقلبوا الى اهليهم وعقد لحاجبه ابن ابي عمرو على بجاية
واعمالها وعلى حرب قسنطينة من ورائها ووجهه اليها فدخلها في رجب من سنته ه
واوعز السلطان الى موسى بن ابراهيم بالولاية على سدويكش والنزول ببني باورار
في كتيبة جهزها هنالك لمضايقة قسنطينة وجباية وطنها وكذلك للنظر الحاجب
ببجاية وكان بقسنطينة ابو عمر تاشفين بن السلطان ابي الحسن معتقلا من لدن واقعة
بني مرين وكان موسوسا في عقله معروفا بالجنون عند قومه وكان الامير بقسنطينة
قد استوى اجرى به في اعتقاله واولوه من المبرة والخطابة كفاء نسبه فلما زحفت
كتائب بني مرين الى بني باورار واخر عمل بجاية واذنوا قسنطينة ومن بها بالحرب والحصار
نصب المولى ابو زيد هذا الموسوس ابو عمر للحاجب به رجالات بني مرين اهل العساكر
ببجاية وبني باورار وجهز له الآلة وتسامعوا بذلك فنزع اليهم الكثير منهم وخرج
بنيل الحاجب الامير ابي زيد الى اهل الضاحية من لواته كان على دعوته من سدويكش
والدواودة فجمعهم وزحفوا جميعا الى وطن بجاية واتصل الخبر بالحاجب ببجاية فبعث

في الدواودة من مشاتيهم بالصحراء فاقبلوا اليه حتى نزلوا التلول ووفد عليه ابو دينار بن
علي بن احمد واستحثه للحركة على قسنطينة فاعترض عساكره وازاح عللهم وخرج من
بجاية في ربيع من سنة خمسين فكر ابو عمر ومن معه راجعين الى قسنطينة وزحف
الحاجب فيمن معه من بني مرين والدواودة وسدويكش ولقيهم بثنية الحاجب بمن معه
فكانت عليه الدبرة واستبيحت امواله بونه ورجع ابن ابي عمرو بعساكره الى قسنطينة
فاناخ عليها سبعا ثم ارتحل عنها الى ميلة وعقد ليعقوب بن علي بين الفريقين صلحا
على ان يمكنوه من ابي عمر الموسوس فبعثوا به الى اخيه السلطان ابي عنان فاتى له
ببعض الحجر ودبت عليه الحرس وسار الحاجب في نواحي عماله وانتهى الى المسيلة واقتضى
مغارمها ثم انكفا راجعا الى بجاية وهلك فاتح ست وخمسين وعقد السلطان
على بجاية واعمالها بعده لوزيره عبد الله بن علي بن سعيد من بني يابان وسرحه اليها
فدخلها وزحف الى قسنطينة فحاصرها وامتنعت عليه ورجع الى بجاية ثم زحف من
العام المقبل سنة سبع وخمسين كذلك ونصب عليها المجانيق فامتنعت عليه
وارجف في معسكره بموت السلطان فانفضوا واحرق مجانيقه ورجع الى بجاية
وجمر الكتائب ببني باورار لنظر موسى بن ابراهيم اليريناني عامل سدويكش الى
ان كان من الايقاع به وبعسكره ما نذكره

الخبر عن حادثة طرابلس واستيلاء
النصارى عليها ثم رجوعها الى ابن مكي

كانت طرابلس هذه ثغرا منذ الدول القديمة وكانت لهم عناية بحمايتها لما كان
وضعها في البسيط وكانت ضواحيها ثغرا من القبائل فكان النصارى اهل صقلية
كثيرا ما يحدثون انفسهم بملكها وكان منخاييل الانطاكي صاحب اسطول رجار
قد تملكها من ايدي بني خزرون من مغراوة احد ولاتهم ودولة صنهاجة كما ذكرنا
ثم رجعها ابن مطروح ودخلت في دعوة الموحدين ومرت عليه الايام الى ان استبد
بها ابن ثابت ووليها من بعده ابنه في اعوام خمسين وسبعمائة منقطعا عن الحضرة
معتمدا بسم الدعوة وكان تجار الجنوس يترددون اليها فاطلعوا على عوراتها وائتمروا
في غزوها وانفذوا المراسل فوافوه سنة خمس وخمسين وانتشروا بالبلد في
حاجاتهم ثم بيتوها ذات ليلة فصعدوا الاسوار وملكوها عليهم وهتفوا فيهم
بالحرب وقد لبسوا السلاح فارتاعوا وهبوا من مضاجعهم فلما راوهم بالاسوار
لم يكن همهم الا النجاة بانفسهم ونجا ثابت بن محمد مقدمهم الى حلة الجواري اعراب
وطنها من دباب احدى بطون بني سليم فقتلوه بدم كان اصابه منهم ولحق اخويه بالاسكندرية
واستباحها النصارى واحتملوا الى سفنهم ما وجدوا بها من الخرثي والمتاع والعقائل
والاسرى واقاموا بها وداخلهم ابو العباس ابن مكي صاحب قابس في فدائها فاشترطوا
عليه خمسين الف من الذهب العين فبعث بها الملك المغرب السلطان ابي عنان بطرفة

بمثوبتها

بمثوبتها ثم تحملوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقي من اهل قابس والحامة وبلاد الجريد
فجمعوها له حسبة ورغبة في الخير وامكنه النصارى من طرابلس فملكها واستوفى
وازال اماد نسبها من وضر الكفر وبعث السلطان ابو عنان بالمال اليه وان يرد على الناس
ما اعطوه ويتفرد بمثوبتها وذكرها فامتنعوا الا قليلا منهم ووضع المال عند ابن مكي
لذلك ولم يزل ابن مكي اميرا عليها الى ان هلك كما نذكره في اخباره

الخبر عن بيعة السلطان ابي العباس امير
امير المومنين ومفتتح امره السعيد بقسنطينه

كان الامير ابو زيد قد ولي الامر من بعد ابيه الامير ابي عبد الله بولاية جده الخليفة
ابي بكر وكان اخوته جميعا في جملته ومنهم السلطان ابو العباس امير المومنين لهذا
العهد والمنفرد بالدعوة الحفصية وكان الناس من لدن مهلك ابيهم يرون ان الوراثة
لهم وان الامر فيهم حتى لقد يحكى عن شيخ وقته الولي ابي هادي المشهور الذكر وكان
من اهل المكاشفة انه قال ذات يوم وقد جاءوا لزيارته باجمعهم على طريقتهم وسنن
اسلافهم في التبرك بالاولياء ودعاهم الشيخ ما شاء ثم قال البركة ان شاء الله في هذا
العش واشار الى الاخوة مجتمعين وكان الحزوي والمنجمون ايضا يخبرون بمثلها ويحومون
بظنونهم على ابي العباس من بينهم لما يتفرسون فيه من الشواهد والمخايل فلما كان من
منازلة اخيه ابي زيد لتونس سنة ثلاث وخمسين ما قدمناه ثم ارتحل عنها الى
نفطة واراد الرجوع الى قسنطينة للارجاف بشأن السلطان ابي عنان وانه زحف
الى اخر عمله من تخوم بجاية رغب حينئذ اليه اولاد مهلهل اولياء من العرب وشيعته
وحاجبه ابو العباس بن مكي صاحب عمل قابس وجربة ان يستعمل عليهم من اخوته من
يقيم معهم لمعاودة تونس بالحصار فسرح اخاه مولانا ابا العباس فتخلف معهم لذلك
وفي جملته شقيقه ابو يحيى فاقاما بقابس وكان صاحب طرابلس محمد بن ثابت قد بعث
اسطوله لحصار جربة فدخل الامير ابو العباس بمن معه الى الجزيرة وخاضوا اليها البحر
فاجفل عسكر ابن ثابت وافرجوا عن الحصن ثم رجع السلطان الى قابس وزحف العرب
اولاد مهلهل معه الى تونس وحاصروها اياما فامتنعت عليهم ورجع الى اعمال الجريد
واوفد اخاه ابا يحيى زكرياء على السلطان صريخا سنة خمس وخمسين فلقاه مبرة ورحبا
واسنى جائزته واحسن وعده وانكفا راجعا عنه الى وطنه ومر بالحاجب ابن ابي عمرو
وعند افراجه عن قسنطينة ولحق باخيه بمكانه من ناحية افريقية وانفصل ابنهما
على طلب حقهما وفي خلال ذلك فسد ما بين ابي محمد بن تافراكين صاحب الامر بتونس وبين
خالد بن حمزة كبير اولاد ابي الليل فعدل عنه الى اقتاله اولاد مهلهل واستدعاهم المظاهرة
فاقبلوا اليه وتخير خالد الى السلطان ابي العباس وزحفوا معه الى تونس فنازلوها
سنة ست وخمسين وامتنعت عليهم فافرجوا عنها واستقدم اخوه ابو زيد اثر ذلك
لينصره من عساكر بني مرين عندما تكاتفوا عليه وضاق به الحصار فاجابه وقدم عليه بخالد

وقومه وخرج الامير ابو زيد اثر ذلك ليتبصر من عساكر بني مرين مع خالد الى منازله
لتونس واستخلف على قسنطينه اخاه ابا العباس فدخلها ونزل بمقصورة الملك منها
واقام بها مدة وعساكر بني مرين منازلات عليه الصناحية فدعاه الاولياء الى الاستبداد
وانه ابلغ في المدافعة والحماية لما كانوا يتوقعون من زحف العساكر اليهم من بجاية فاجاب
وبويع شهر   من سنة ست وخمسين وانفذ امره وزحف عبد الله بن علي صاحب
بجاية الى قسنطينة في سنته وفي سنة سبع بعدها فحاصرها ونصب المجانيق ثم اجفل اخر
الارجاف كما ذكرناه وتنفس مخنق الحصار عن قسنطينه وكان الامير ابو زيد اخوه لما ذهب
مع خالد الى تونس ونازلها امتنعت عليه ورجع وقد استبد اخوه بامر قسنطينه
فعدل الى بونه وارسل ابا محمد بن تافراكين في سكنى الحضرة والنزول لهم عن بونة فاجابه
ونزل عنها الامير ابو زيد لعمه السلطان ابي اسحاق وتحول الى تونس فاوسعوا له
المنازل واسنوا الجرايات والجوايز واقام في كفالة عمه الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن واقعة موسى بن ابراهيم واستيلا ابي عنان بعدها على قسنطينه وما تخلل ذلك من الاحداث

لما استبد السلطان ابو العباس بالامر وزحفت اليه عساكر بجاية وبني مرين
فاحسن دفاعها عنه وتبين لاهل الصناحية مخايل الظهور فيه فداخله رجالات
من سدويكش من اولاد المهدي بن يوسف في غزو موسى ابن ابراهيم وكتايبه المجمرة
ببني باوداد ودعوا الى ذلك ميمون بن علي بن احمد وكان منحرفا عن اخيه يعقوب
ظهير بني مرين ومناصحهم فاجاب وسرح السلطان اخاه ابا يحيى زكريا معهم بمن في
جملتهم من العساكر وصبحوهم في غارة شعواء فلما شارفوهم ركبوا اليهم فتقدموا
ثم انجموا واختل مصافهم واحيط بهم واثخن قايد العسكر موسى بن ابراهيم بالجراحة
واستلحم بنو زنتان وابو القاسم ومن اليهم وكانوا اسود هياج وفرسان ملحمة
فاجتزين من امثالهم وتتبعوا بالقتل والنهب الى ان استبيحوا وتجافلهم الى بجاية
ولحقوا بالسلطان ابي عنان ولما بلغه الخبر قام في ركابه وقعد وفتح ديوان
العطا وبعث وزراه للحشد في الجهات واعترض الجنود وازاح العلل وشكا له
موسى ابن ابراهيم بتقعود عبد الله بن علي صاحب بجاية عن نصره فسخطه ونكبه
وعقد لمكانه يحيى بن ميمون من اصمود وتلوم بعد اشهر في تجهيز العساكر وبعث
السلطان ابو العباس اخاه ابا يحيى الى تونس صريخا لعمه السلطان ابي اسحاق فاعجله
الامر عن الاياب اليه وادعل ابو عنان في عساكره ثم بعث في مقدمته وزيره فارس
ابن ميمون بن ودرار وزحف على اثره في ربيع سنة ثمان وخمسين واعد السير
الى قسنطينه وقد نازلها وزيره ابن ودرار قبله فلما نزل بساحتها وقد طبق
الارض والفضا بجيوشه وعساكره وحما اهل البلد وادركهم الدهش فانفضوا ه
وتسللوا اليه وتحيز السلطان ابو العباس الى القصبة فامتنع بها حتى توثق لنفسه

بالعهد

بالعهد ثم نزل اليه فكتفاه تكرمة ورحلوا به الى الشاطى فيجوازه ثم بدا له لايام
قلايل فنقض عهده واركبه السفين الى المغرب وانزله بسبتة ورتب عليه الحرس وبعث
خلال ذلك الى بونه فدخلت في طاعته وفرغها عمال الحضرة ولما استولى عقد على
قسنطينه لمنصور بن خلوف شيخ بني ياباين من قبايل بني مرين ثم بعث رسله
الى ابي محمد بن تافراكين في الاخذ بطاعته والنزول عن تونس فردهم واخرج سلطانه
المولى ابا اسحاق مع اولاد ابي الليل ومن اليهم من العرب بعد ان جهز له العساكر
وما يصلحه من الالة والجند واقام هو بتونس واجمع ابو عنان النهوض اليه ووفد
عليه اولاد مهلهل يستحثونه لذلك فسرح معهم عسكرا مع ابي النظر يحيى بن رحو بن
تاشفين بن معطي كبير بني تيربيعين من قبايل بني مرين وصاحب الشورى في مجلسه ه
وسرح عسكرا اخر في الاسطول لنظر محمد بن يوسف المعروف بالابكم من بني الاحمر بيت
الملوك بالاندلس لهذا العهد فسبق الاسطول وصبحوا تونس وقاتلوها يوما او بعض
يوم واتيح لهم الظهور فخرج عنها ابو محمد بن تافراكين ولحق بالمهدية واستولت
عساكر بني مرين على تونس في رمضان سنة ثمان وخمسين ولحق يحيى بن رحو بعسكره
ودخل البلد واسمى فيها اوامر السلطان ثم دعاه اولاد مهلهل الى الخروج لمباغتة
اولاد ابي الليل وسلطانهم فخرج معهم لذلك واقام ابن الاحمر واهل الاسطول بالبلد
وفي خلال ذلك جاهر يعقوب بن علي بالخلاف لما تبين من نكر السلطان ابي عنان
وارهاف حده للعرب ومطالبتهم بالرهن وقبض ايديهم عن الاتاوات ورهيج اعطافه
بالمدارات فلم يقبلها فالحق يعقوب بالرمل واتبعه السلطان فاعجزه فعدا على قصوره
وناله بالنار والصحراء فخربها وانتسفها ثم رجع الى قسنطينه وارتحل منها يريد افر
وقد نهض المولى ابو اسحاق بمن معه من العرب لمغالبته وانتهوا الى فحص سبتة ثم
تمشت رحالات بني مرين وانتهروا في الرجوع عنه حذرا ان يصيبهم بافريقية ما اصابهم
من قبل فانفضوا متسللين الى المغرب ولما خف المعسكر من اهله اقصر عن القدوم على
افريقية فرجع الى المغرب بمن بقي معه واتبع العرب اثاره وبلغ الخبر الى ابي محمد بن
تافراكين بمكان منجاته من المهدية فسار الى تونس ولما اطل عليها ثار اهل البلد بمن كان
عندهم من عسكر بني مرين وعمالهم فنجوا الى الاساطيل ودخل ابو محمد بن تافراكين
الى الحضرة واعاد ما طمس من الدولة ولحق به السلطان ابو محمد بعد ان تقدم الامير ابو
زيد في عسكر الجنود والعرب لاتباع اثار بني مرين ومنازلة قسنطينه فاتبعوهم الى
تخوم عمالهم ورجع ابو زيد الى قسنطينه وقاتلها اياما فامتنعت عليه فانكفا راجعا
الى الحضرة ولم يزل مقيما بها الى ان هلك عفا الله عنه سنة   وكان اخوه ابو يحيى
زكرياء قد لحق بتونس من قبل صريخا كما قلناه فلما بلغهم ان قسنطينه تداحيت بها المشكوا
به فلحق به الفل من مواليهم وصنايعهم فكانوا معه الى ان نسد به اسباب الحزم والشغا
للمسلمين واعاد السلطان ابا العباس الى الامر بعد مهلك ابي عنان كما نذكر
ومد ايالته على الخلق فطلع على الرعايا بالعدل والامان وشمول العافية والاحسان
وكف ايدي العدوان ورتع الناس من دولته في ظل ظليل ومرعى جميم كما نذكره بعد

بقية

الخبر عن انتقاض الأمير أبي يحيى زكرياء بالمهدية ودخوله في دعوة أبي عنان ثم نزوله عنها إلى الطاعة وتصاريف ذلك

كان الحاجب ابو محمد عند رجوعه الى الحضرة صرف عنايته الى تحصين المهدية يعدها للدولة وزرا من حادث ما يتوقعه من المغرب واهله فشيد من اسوارها وشحنها بالاقوات والاسلحة مخازنها ومودعاتها وعقد عليها للامير زكريا اخي السلطان ابي اسحاق كان في كفالته وانزله بها وبعث على حجابته احمد بن خلف من اوليائه وذويه مستبدا عليه فاقام على ذلك حولا او بعضه ثم ضجر الامير ابو يحيى زكريا من الاستبداد عليه واستنكف من حجره في سلطانه فبيت احمد بن خلف فقتله وبعث عن ابي العباس احمد بن مكي صاحب جربه وقابس ليقيم له رسم الحجابة بما كان منافرا لابي محمد بن تافراكين كافله فوصل اليه وطيروا بالخبر الى السلطان ابي عنان صاحب المغرب وبعثوا اليه ببيعتهم واستحثوه لصريخهم واضطرب امرهم وسرح ابو محمد بن تافراكين اليها العسكر فاجفلوا امامه ولحق المولى ابو يحيى زكرياء بقابس واستولى عليها العسكر واستعمل عليها ابو محمد بن تافراكين محمد بن الجكيجات من قرابة ابن ثابت اصطنعه عند ما وقعت الحادثة على طرابلس ولحق به فاستعمله على المهدية ولما وصل الخبر الى ابي عنان شان المهدية جهز اليها الاسطول وشحنه بالمقاتلة والرجل ويمين الموالي والخاصة فنازلوها وقد رجعت الى ايالة الحضرة ووصل اليها ابن الجكيجات وقام بها وحسن غناؤه فيها الى ان كان من امره ما نذكره واقام الامير ابو زكريا بقابس واجلب به ابو العباس بن مكي على تونس ثم بعثوه بالدواودة ونزل على يعقوب بن علي واصهر اليه في ابنة اخيه سعيد فعقد له عليها ولما استولى اخوه ابو اسحاق على بجاية استعمله على سدويكش بعض الاعوام ولم يزل بين الدواودة الى ان هلك سنة ست وسبعين كما نذكره بعد

الخبر عن استيلاء أبي إسحاق السلطان على بجاية وإعادة الدعوة الحفصية إليها

لما رجع السلطان ابو عنان من قسنطينة الى المغرب اراح سنة وسرح عساكره

من

من العام المقبل الى افريقية لنظر وزيره سليمان بن داود فنازل في نواحي قسنطينة ومعه ميمون بن علي بن احمد اديل به من يعقوب على قومه من الدواودة وعثمان ابن يوسف بن سليمان شيخ اولاد سباع منهم وحضر معه يوسف بن مزني عامل الزاب اوعز اليه السلطان بذلك فدوخ الجهات وانتهى الى احواز بونة واقتضى المغارم ثم انكفا راجعا الى المغرب وهلك السلطان ابو عنان اثر قفوله سنة تسع وخمسين واضطرب امر المغرب ثم استقام على طاعة اخيه السلطان ابي سالم كما نذكره وكان اهل بجاية قد نقموا على عاملهم يحيى بن ميمون من بطانة السلطان ابي عنان سوء ملكته وشدة سطوته وعسفه فداخلوا ابا محمد بن تافراكين على البعد في التوثب فجهز اليهم السلطان ابا اسحاق بما يحتاج اليه من العساكر والآلة ونهض من تونس ومعه ابنه ابو عبد الله على العساكر وتلقاهم يعقوب بن علي وظاهرهم على امرهم وسار اخوه ابو دينار في جملتهم ولما اطلوا على بجاية ثارت الغوغاء بيحيى ابن ميمون العامل كان عليهم منذ عهد السلطان ابي عنان فالقى بيده وتقبضوا عليه وعلى من كان بعثوته واركبوا السفين الى الحضرة واودعهم ابو محمد بن تافراكين سجونه تحت كرامة وجراية الى ان من عليهم من بعد ذلك واطلقهم الى المغرب ودخل السلطان ابو اسحاق الى بجاية سنة احدى وستين واستبد بها بعض الاستبداد وحاجبه وكافله ابو محمد يدبر امره من الحضرة ثم استقدم ابنه ونصب لوزارة السلطا ابو محمد عبد الواحد بن محمد بن اكمازير من مشيخة الموحدين فكان يقيم له رسم الحجابة وقام بامر الرجل بالبلد من الغوغاء علي بن صالح من زعانفة بجاية واوغادها التف عليه الشرار والدعار واصبحت له بهم شوكة كان بها تغلب على الدولة الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن فتح جربة ودخولها في دعوة السلطان أبي إسحاق صاحب الحضرة

هذه الجزيرة جربه من جزر هذا البحر الذي قريبا من قابس والى الشرق عنها طولها من المغرب الى المشرق ستون ميلا وعرضها من ناحية المغرب عشرون ميلا ومن ناحية المشرق خمسة عشر ميلا وبينها وبين فرضتها في ناحية المغرب ستون ميلا وشجرها التين والنخل والزيتون والعنب واختصت بالتفاح وعمل الصوف للباسهم فيتخذون منها الاكسية المعلمة للاشتمال وغير المعلمة للباس ويجلب منها الى الآفاق فتتنافس الناس للباسهم واهلها من البربر من كتامة وفيهم الى الان سدويكش ومن غنيا من بطونهم وفيهم ايضا من لمراه دهوان وساير شعوب البربر وكانوا يدينون بها على راي الخوارج وبها الآن فرقتان منهم الوهبية وهم بالناحية الغربية ورياستهم لبني سمومر والنكارة وهم بالناحية الشرقية بينهما والظهور والرياسة على الكل لبني سمومن وكان فتحها الاول للاسلام على يد رويفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة من بني

نظار

مالك بن النجار من الانصار ومن جند مصر ولاه معاوية على طرابلس سنة ست واربعين فغزا افريقية وفتح جربة سنة سبع بعدها وشهد الفتح حنش بن عبد الله الصنعاني ورجع الى برقة فمات بها ولم تزل في ملكة المسلمين الى ان دخل دين الخوارج الى البربر فاخذوا به ولما كان شأن ابي يزيد سنة احدى وثلاثين وثلثماية فاخذوا بدعوته الى ان دخلها عنوة وقتل مقدمها يومئذ ابي كلدين وصلبه ثم استردها المنصور اسماعيل وقتل اصحاب ابي يزيد ولما غلبت العرب صنهاجة على الضواحي وصارت لهم اخذ اهل جربة في انشاء الاساطيل وغزو السواحل ثم غزاهم علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس سنة تسع وخمس ماية بالاساطيل الى ان انقادوا وضمنوا قطع الفساد وصلح الحال ثم تغلب النصارى عليهم سنة تسع وعشرين وخمس ماية عند تغلبهم على سواحل افريقية ثم ثار اهلها عليهم واخرجوهم سنة ثمان واربعين ثم تغلبوا عليها ثانية وسبوا اهلها واستعملوا على الرعية واهل الفلح ثم عادت للمسلمين ولم تزل مترددة بين المسلمين والنصارى الى ان غلب عليها الموحدون ايام عبد المومن واستقام امرها الى ان استبد بنو ابي حفص بافريقية ثم افترق امرهم بعد حين واستبد المولى ابو زكريا بن السلطان ابي اسحاق بالناحية الغربية وشغل صاحب الحضرة شأنه كما قدمناه فتغلب على هذه الجزيرة اهل صقلية سنة ثمان وثمانين وستماية وبنوا بها حصن القشتيل مربع الشكل في كل ركن منه برج وبين كل ركنين برج وخندق به حفير وسوران واسم المسلمين شأنها ولم تزل عساكر الحضرة تتردد اليها كما تقدم الى ان كان فتحها ايام السلطان ابي بكر على يد مخلوف بن الكماد من بطانته سنة ثمان وثلاثين واستضافها ابن مكي صاحب قابس الى عمله فاضافها اليه وعقد له عليها فصارت من عمله ساير ايام السلطان ومن بعده واتصلت الفتنة بين ابي محمد بن تافراكين وبين ابن مكي وسار الحاجب ابو محمد بن تافراكين عن ابنه ابي عبد الله وكان في حملة السلطان ببجاية كما قلناه ولما وصل اليه سرحه في العساكر لحصار جربة وكان اهلها قد نقموا على ابن مكي سيرته فيهم ودسوا الى ابي محمد بن تافراكين بذلك فسرح اليه ابنه في العساكر سنة ثلاث وستين وكان احمد بن مكي غايبا بطرابلس وقد نزلها منذ ملكها من ايدي النصارى وجعلها دار امارته فنهض العسكر من الحضرة لنظر ابي عبد الله بن الحاجب ابي محمد ونهض الاسطول في البحر فنزلوا بالجزيرة وضايقوا القشتيل بالحصار الى ان غلبوا عليه وملكوه واقاموا به دعوة صاحب الحضرة واستعمل عليه ابو عبد الله بن تافراكين كاتبه محمد بن ابي القاسم بن ابي العيون كان من صنايع الدولة منذ العهد الاول وكانت لابيه قرابة من ابن عبد العزيز الحاجب ترقى بها الى ولاية الاشغال بتونس مناهضا لابي القاسم بن طاهر الذي كان يتولاها يومئذ فكان رديفه عليها الى ان هلك ابن طاهر الذي كان يتولاها يومئذ فكان رديفه عليها الى ان هلك ابن طاهر فاستبد هو بها منذ ايام الحاجب ابي محمد واتصل ابنه محمد هذا بخدمة ابن الحاجب واختص بكتابته الى ان استعمله على جربة عند استيلا عليها هذه السنة وانكفا راجعا الى الحضرة فلم يزل محمد بن ابي العيون واليا عليها

ثم

ثم استبد بها على السلطان بعد مهلك الحاجب وفرار ابنه عن السلطان الى ان غلبه عليها السلطان ابو العباس سنة اربع وسبعين كما نذكره

الخبر عن عودة أمراء المغرب واستيلاء السلطان أبي العباس على قسنطينة

لما هلك السلطان ابو عنان قام بامره من بعده وزيره الحسن بن عمر ونصب ابنه محمد السعيد للامر كما نذكره في اخباره وكان يضطغن للامير ابي عبد الله صاحب بجاية فنقض عليه لاول امره واعتقله حذرا من وثوبه على عمله فيما زعم وكان السلطان ابو العباس بسبتة منذ انزله السلطان ابو عنان بها ووكل عليه الحرس كما ذكرنا فلما انتزى على الملك منصور بن سليمان من اعياص ملكهم ونازل البلد الجديد دار الملك ودخل في طاعته ساير الممالك والاعمال بعث في السلطان ابي العباس واستدعاه من سبتة فنهض اليه وانتهى في طريقه الى طنجة ووافق ذلك اجازة السلطان ابي سالم من الاندلس لطلب ملكه وكان اول ما استولى عليه من اعمال المغرب طنجة وسبتة فاتصل به السلطان ابو العباس وظاهره على امره الى ان نزع اليه قبايل بني مرين عن منصور بن سليمان المنتزي على ملكهم فاستوسق امره واستتب له سلطانه ودخل فاس وسرح الامير ابا عبد الله من اعتقال الحسن بن عمر كما قدمناه ورعى للسلطان ابي العباس ذمة سوابقه القديمة والحادثة ورفع مجلسه واسنى جرايته ووعده بالمظاهرة على امره واستقرا جميعا في ايالته الى ان كان من تغلب السلطان ابي سالم على تلمسان والمغرب الاوسط ما نذكره في اخبارهم واتصل به ثورة اهل بجاية بعاملهم يحيى بن ميمون ورجالات قبايلهم فامتعض لذلك وحين قفل الى المغرب نفض يده من الاعمال الشرقية ونزل للسلطان ابي العباس عن قسنطينة دار امارته ومثوى عزه ومنبت ملكه فاوعز الى عاملها منصور بن خلوف بالنزول له عنها وسرحه اليها وسرح معه الامير ابا عبد الله بن عمه لطالب حقه في بجاية والاجلاب على عمه السلطان ابي اسحاق جزاء بما نال من بني مرين عند افتتاحها من المغرم وارتحلوا من تلمسان في جمادى من سنة احدى وستين واغذوا السير الى مواطنهم فاما السلطان ابو العباس فوقف منصور بن خلوف عامل البلد على اخطاب سلطانه بالنزول عن قسنطينة فنزل واسلمها اليه وامكنه منها فدخلها شهر رمضان سنة احدى وستين واقتعد سرير ملكه منها وتباشرت بعودته مقاصر قصورها وكانت مهد السلطانة ومظهر السعادة ومطلعا لدولته على ما نذكر بعد واما الامير ابو عبد الله صاحب بجاية فلحق باوطانها واجتمع اليه اولاد سباع اهل ضاحيتها ومفرها من الدواودة ثم زحف اليها فنازل ها
ايامًا واستغلقت عليه فرحل عنها الى بني ياورار واستخدم اولاد محمد بن يوسف والعزيز بين

اهل ضاحيتها من سدويكش ثم نزعوا عنه الى خدمة عمه ببجاية فخرج الى الثغور مع الدواودة الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن وصول الاخ الامير ابي يحيى زكريا

من تونس وافتتاحه بونة واستيلائه عليها

كان الامير ابو زكريا منذ بعثه اخوه ابو العباس الى عمهما السلطان ابي اسحق صريخا لم يزل مقيما بتونس وبلغه استيلاء السلطان ابي عنان على قسنطينة وهو بتونس ثم كانت عودة ابي العباس من المغرب واستيلائه على قسنطينة فخشي الحاجب ابو محمد بن تافراكين بادرته وتوقع زحفه اليه وغلبه اياه على الامر ورأى ان يحص جناحه في اخيه ويتوثق به فاعتقله بالقصبة تحت كرامة ودعى وبعث فيه السلطان ابو الحسن بعد مراوضة في السلم فاطلقه وانعقدت بينهما السلم ولما وصل الامير ابو يحيى الى اخيه بقسنطينة عقد له على العساكر وزحف الى بونة فملكها سنة اثنتين وستين وعقد له عليها وانزله بها مع العساكر واصاروها عملا لعمله واستمرت حالها على ذلك الى ان كان ما نذكره

الخبر عن استيلاء الامير ابي عبد الله

على بجاية ثم على تدلس بعدها

لما قدم السلطان ابو عبد الله من المغرب ونازل بجاية فامتنعت عليه خرج الى احياء العرب كما قدمناه ولزم صحابته اولاد يحيى بن علي بن سباع فغربوا في الوفاء بها واقام بين ظهرانيهم وفي حللهم متقلبا في طلب بجاية برحلة الشتاء والصيف وتكفلوا بنفقة عياله ومؤنة حشمه وانزلوه ببلاد المسيلة من اوطانهم وتجافوا له عن جبايتها واقام على ذلك سنين خمسا ينازل بجاية في كل سنة منها مرارا وتحول في السنة الخامسة عنهم الى اولاد علي بن احمد ونزل على يعقوب ابن علي فاسكنه بمقره من بلاده الى ان بدا لعمه المولى ابي اسحاق رايه في اللحاق بتونس لما توقع من مهلك حاجبه وكافله ابي محمد بن تافراكين اسره اليه بعض الحزى فحذر معسه ووقع لذلك في نفوس اهل بجاية اعراض عنه وتبرم بامره وراسلوا اميرهم الاقدم ابا عبد الله من مكانه بمقره وظاهرهم على ذلك يعقوب بن علي واخذ له العهد على رجالات سدويكش اهل الضاحية وارتحلوا معه الى بجاية ونازلها اياما ثم استيقن الغوغاء اعتزام سلطانهم على التقويض عنهم وسئموا ملكة علي بن صالح الذي كان عريفا عليهم فثاروا به ونبذوا عهده وانفضوا من حوله الى الامير ابي عبد الله بالمرسى من ساحة البلد ثم قادوا اليه عمه ابا اسحاق فمن عليه وخلى سبيله الى

حضرته

حضرته فلحق بها واستولى ابو عبد الله على بجاية محل امارته في رمضان سنة خمس وستين وتقبض على علي بن صالح ومن معه من عرفاء الغوغاء اهل الفتنة فاستصفى اموالهم ثم امضى حكم الله في قتلهم ثم نهض الى تدلس لسنتين من ملكه بجاية فتغلب عليها عمر بن موسى عامل بني عبد الواد ومن اعياص قبيلهم وتملكها في اخر سنة خمس وبعث من الاندلس معتمدا بها نزيلا عند السلطان ابي عبد الله بن ابي الحجاج بن الاحمر في سبيل اغتراب ومطاوعة تغلب منذ مهلك السلطان ابي سالم الجاذب بضبعي الى تنويهه والراقي في خطط كتابته من ترسيل وتوقيع ونظر في المظالم وغيرها فلما استدعاني هذا الامير ابو عبد الله بادرت الى امتثاله ولو شاء الله ما فعلوه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير فاجزت الى البحر شهر جمادى من سنة ست وقلدني حجابته ودفع الي امور مملكته وقمت في ذلك المقام المحمود الى ان يأذن الله بانقراض امره وانقطاع امره ولله الخلق والامر وبيده تصاريف الامور

الخبر عن مهلك الحاجب ابي محمد بن تافراكين

واستبداد سلطانه من بعده

لما كان السلطان ابو اسحاق اخو دولته ببجاية قد عزم على مهلك حاجبه المستبد عليه ابي محمد بن تافراكين لما كان اهل صناعة التنجيم يحدثونه بذلك فاجمع الرحلة اليها واستقض عنه اهل بجاية الى ابن اخيه كما قدمناه واستولى عليه ثم اطلقه الى حضرته فلحق بها في رمضان سنة خمس وستين وتلقاه ابو محمد بن تافراكين وراءه مرهف الحد للاستبداد الذي الفه ببجاية فكايله صاع الوفاق وصارفه بعد المصانعة وازد بانواع القربات وقاد اليه الجنايب ومنحه من الذخاير والاموال وتجافاه عن النظر في الجباية ثم اصهر اليه السلطان في كريمته فعقد له عليها واعرس السلطان بها ثم كان مهلكه عقب ذلك فاتح ست وستين توجع السلطان لفقده وشهد جنازته حتى وضع بملحده من المدرسة التي اختطها لقراءة العلم ازاء داره جوفي المدينة وقام على قبره باكيا وحاشيته يتناولون التراب حثيا على جدثه فغرب في الوفاء معه لما عرفت به لنا واستبد من بعده بامره واقام سلطانه لنفسه وكان ابو عبد الله ابن الحاجب ابي محمد غائبا عن الحضرة خرج منها بالعسكر للجباية والتمهيد فلما بلغه خبر مهلك ابيه داخلته الظنة واوجس الخيفة فصرف العساكر الى الحضرة وارتحل مع حاكم من بني سليم وعرض نفسه على معاقل افريقية التي كان يتظنن انها خالصة لهم فصده محمد بن ابي العيون كاتبه عن خرجه ومحمد بن الحكيم حال صنيعتهم وبطانتهم عن المهدية وبعث اليه السلطان بما رضيه من الامان فاصحب بعد النفور وبادر الى الحضرة فتلقاه السلطان بالبر والترحيب وقلده حجابته وانزله على مراتب العز والتنويه ونكر هو مباشرة السلطان للناس ورفعه الحجاب ولم يرضه لما الف من الاستبداد منذ عهد ابيه فاظلم الجو بينه وبين السلطان ودبت عقارب السعاية لمهاداه الوشير فتنكر وخرج من تونس ولحق بقسنطينة ونزل بها على السلطان ابي

العباس مرغبا له في ملك تونس ومستحثا فانزله خير نزل ووعده بالنهوض معه الى ثغرته
بعد الفراغ من امر بجاية لما كان بينه وبين ابن عمه صاحبها من الفتنة كما نذكره بعد واستبد
السلطان ابو اسحاق بعد مفر ابن تافراكين عنه ونظر في اعطاف ملكه، وعقد على حجابته
لاحمد بن ابراهيم المالقي مصطنع الحاجب ابي محمد من طبقة العمال وعلى العساكر والحروب لمولاه
منصور سريحه من العلوجي ورفع الحجاب بينه وبين رجاله وولده وصنائع ملكه حتى
باشر جباية الخراج وعرض الحشم واوصلهم الى نفسه والغى الوسائط بينهم وبينه الى حين
مهلكه كما نذكر

الخبر عن استيلاء السلطان ابي العباس على بجاية ومهلك صاحبها ابن عمه

لما ملك الامير ابو عبد الله بجاية واستقل بامارتها تنكر للرعية وساءت سيرته
فيهم بارهاف الحد للكافة واسخاط الخاصة فنغلت الصدور ومرضت القلوب واستحكمت
النفرة وتوجهت الصاغية الى ابن عمه السلطان ابي العباس بقسنطينة بما كان اسوس
منه واغلب للدالة واقوم على سلطانه وكانت بينهما فتنة وحروب جرتها المنافسة
في تخوم العمالتين منذ عهد الاباء، وكان السلطان ابو العباس ايام نزوله على السلطان
ابي سالم محمود السيرة والخلال عنده مستقيم الطريقة في مثوى اغترابه ربما كان ينمّ
على ابن عمه هذا بعض النزعات المعرضة لصاحبها للملالة فيستثقل نصيحته وينغل
بذلك ضميره فلما استولى على بجاية عاد الى الفتنة بينهما واستمر عزايمه لها فكان مغلبا
فيها واعتقل منه يعقوب بن علي بذمة في المظاهرة على السلطان ابي العباس فلم تغن عنه
وراجع يعقوب سلطانه ثم جهز هو العساكر من بجاية لمزاحمة تخوم قسنطينة فنقضها
مولانا ابو العباس فنهض اليه ثانية بنفسه في العساكر وتراجع العرب من اولاد سباع
ابن يحيى وجمع هو اولاد محمد وزحف فيهم وفي عساكر زناتة والتقى الفريقان بناحية
سطيف فاختل مصاف اهل بجاية وانهزموا واتبعهم السلطان ابو العباس الى تاجرارت
وجال في عمله ودوخ نواحي وطنه وقفل الى البلد ودخل الامير ابو عبد الله الى بجاية وقد
استحكمت النفرة بينه وبين اهلها ولذ مرسوا الى السلطان ابي العباس بقسنطينة
بالعدو من عليهم فوعدهم من العام القابل وزحف سنة سبع وستين في عساكره وشيعه
من الدواودة اولاد محمد وانضوى اليه اولاد سباع شيعة بجاية بالجوار والسابقة
القديمة لما نكروا من احوال سلطانهم وعسكر الامير ابو عبد الله بلبزو في جمع قليل من
الاولياء واقام بها يرجو مدافعة ابن عمه بالصلح فبيته السلطان بمعسكره من بلبزو وصبحه
في غارة شعواء فانفض جمعه واحيط به وانتهب المعسكر ومر الى بجاية فادرك في بعض
الطريق وتعصص عليه وقتل بعض الرماح واغذ السلطان ابو العباس السير الى بجاية فادركها
بصلاة الجمعة تاسع عشر شعبان من سنة سبع وستين وكنت مقيما بالبلد فخرجت
اليه في الملا وتلقاني بالبر والتنويه واشار الي بالاصطناع واستوسق له ملك جده الامير

ابي

ط
مرجعت

ابي زكريا الاوسط في الثغور الغربية واقمت في خدمته بعض شهر ثم توجهت الخيفة في نفسي واذنه
في الانطلاق فاذن لي تكرما وفضلا وسعة صدر ورحمة ونزلت على يعقوب بن علي ثم تحولت عنه
الى بسكرة ونزلت على ابن مزني الى ان صفا الجو واستقبلت من امري ما استدبرته واستاذنته
لثلاث عشرة سنة من انطلاقي عنه في خبر طويل نقصه من شاني فاذن لي وقدمت عليه فتلقاني بحسنى
وجوه عنايته واشرفني على اشعة نعمته كما نذكره لك من بعد

الخبر عن زحف ابي حمو وبني عبد الواد الى بجاية ونكبتهم عليها وفتح تدلس من ايديهم بعدها

كان الامير ابو عبد الله صاحب بجاية لما اشتدت الفتنة بينه وبين ابن عمه السلطان ابي
العباس مع ما كان بينه وبين بني عبد الواد من الفتنة عند غلبه اياهم على تدلس نكاه دعو
حمل العداء من الجانبين وصغى الى مهادنة بني عبد الواد فنزل لهم عن تدلس وامكن منها
قايد العسكر المحاصر لها واوفد رسله على سلطانهم ابو حمو بتلمسان واصهر اليه ابو حمو في
ابنته فعقد عليها وزفها اليه بجهاز امثالها فلما غلبه السلطان ابو العباس على بجاية
وهلك في مجال حربه اشاع ابو حمو الامتعاض له لمكان الصهر وجعلها ذريعة الى الحركة
على بجاية وزحف من تلمسان بجر الشوك والمدد في الالاف من قومه وطبقات العساكر والجند
وتراجع العرب حتى انتهى الى وطن حمزة فاحتمل امامه ابو الليل بن موسى بن زغلي في قومه بني
يزيد وتحصنوا في جبال ذ واو المطلة على وطن حمزة وبعث اليه رسله لاقتضاء طاعته فاتهم
كتافا وكان فيهم يحيى حافد ابي محمد صالح نزع عن السلطان ابي العباس الى ابي حمو وكان عينا على
عراب ابي الليل هذا لما بينهما من الربى والجوار في الوطن وجاء في وفد الرسالة عن ابي حمو فنقض
عليهم وعليه فقتله وبعث براسه الى بجاية وامتنع على ابو حمو وعساكره فاجازوا الى بجاية
ونزل معسكره بساحتها وقاتلها اياما وجمع الفعلة على الالات للحصار وكان السلطان ابو
العباس بالبلد وعسكره مع مولاه بشير بتاكرارت ومعهم ابو زيان بن عثمان بن عبد الرحمن
وهو ابن عم ابي حمو من اعياص بيتهم وكان من خبره انه كان خرج من المغرب كما نذكره في اخباره
ونزل على السلطان ابي اسحاق بالحضرة ودعاه ابو محمد الحاجب حق بيتهم فاوسع في كرامته
ولما غلب الامير ابو عبد الله على تدلس بعث اليه من تونس ليوليه عليها وكان رداء بينه وبين بني
حمو ويشرع هو للاجلاب على وطن قسنطينة فبادر الى الاجابة وخرج من تونس ومر بالسلطان
ابو العباس بمكانه من قسنطينة فصده عن سبيله واعتقله عنده مكرما فلما غلب على بجاية
وبلغه الخبر بزحف ابي حمو اطلقه من اعتقاله ذلك واستبلغ في تكرمته وحبايته ونصبه
للملك وجهز له بعض الالة وخرج في معسكر مولاه بشير ليجاجي به بني عبد الواد عن ابن
عمه ابي حمو لما سمو من ملكه وعنفه وكان زغبة عرب المغرب الاوسط في معسكر ابي حمو
وكانوا احذرين مغبة امره معهم فراسلوا ابا زيان وائتمروا بينهم في الارجاف بالعسكر ثم غشوا
لذلك ان نشبت الحرب بين اهل البلد واهل المعسكر فاجفلوا خامس ذي الحجة وانفض
المعسكر وانتهوا الى مضايق الطرقات بساح البلد فكضت بزحامهم وتراكموا عليها فهلك

الكثير منهم وخلفوا من الانفال والعيال والسلاح والكراع ما لا يحيط به الوصف واسلم ابو حمو عياله وامواله فصارت نهبا واحتقبت حظاياه الى السلطان فوهبها لابن عمه ونجا ابو حمو بنفسه بعد ان طاح في كظيظ الزحام عن جواده فنزل له وزيره عمران ابن موسى عن مركوبه فكان نجاؤه عليه ولحق بالجزاير ومنها الى الغل ثم لحق منها بتلمسان واتبع ابو زيان اثره واضطرب المغرب الاوسط كما نذكره في اخبارهم وخرج السلطان ابو العباس من بجاية على اثر هذه الواقعة فنازل تدلس وافتتحها وغلب عليها من كان بها من عمال بني عبد الواد وانضمت الثغور الغربية كلها في ملكه كما كانت في ملك جده الامير ابي زكرياء الاوسط حين قسم الدعوة الحفصية بها الى ان كان ما نذكره بعد

الخبر عن زحف العساكر عن تونس

كان ابو عبد الله بن الحاجب ابي محمد بن تافراكين لما نزع عن السلطان ابي اسحاق صاحب الحضرة ولحق بحلل اولاد مهلهل من العرب ووفدوا جميعا على السلطان ابي العباس فاتح سنة سبع وستين يستحثونه الى الحضرة ويرغبونه في ملكها فاعتذر لهم بما كان عليه من الفتنة مع ابن عمه صاحب بجاية وزحف اليها في حركة الفتح وساروا في جملته فلما استكمل فتح بجاية سرح منهم اخاه المولى ابا يحيى زكرياء في العساكر فساروا معه الى الحضرة وابن تافراكين في جملته فنازلها اياما وامتنعت عليهم فاقلعوا على سلم ومهادنة انعقدت بين صاحب الحضرة وبينهم وقفل المولى ابو يحيى بعسكره الى مكان عمله ولحق ابن تافراكين بالسلطان فلم يزل في جملته الى ان كان من فتح تونس ما نذكر

الخبر عن مهلك السلطان ابي اسحاق صاحب الحضرة

وولاية ابنه خالد من بعده

لم تزل حال السلطان ابي اسحاق بالحضرة على ما ذكرناه ويختلف في الفتنة والمهادنة مع السلطان ابي العباس طورا بطور واستخلص لدولته منصور بن حمزة امير بني كعب يستظهر به على امره ويستدفع برايه وشوكته فخلص له سائر ايامه وعقد له سنة تسع وستين لابنه خالد على عسكر لنظر محمد بن رافع من طبقات الجند من مغراوة مستبدا على ابنه وسرحه منصور بن حمزة وقومه واوعز بتدويخ ضواحي بونة والاكتساح لنعمها وجباية ضواحيها فساروا اليها وسرح الامير ابو يحيى زكرياء صاحب بونة عسكره مع اهل الضاحية فاغنوا في مدافعتهم وانقلبوا على اعقابهم فكان اخر العهد بظهورهم ولما رجعوا الى الحضرة تنكر السلطان لمحمد بن رافع قايد العسكر فخرج من الحضرة ولحق بقومه بمكانهم من ضاحية من اعمال تونس واستقدمه السلطان بعد ان استعتب له فلما قدم تقبض عليه واودعه السجن وعلى اثر ذلك كان مهلك السلطان فجاة ليلة من سنة سبعين بعد ان قضى وطرا من محادثة السمر وغلبه النوم اخر ليله فنام ولما ايقظه الخادم وجده

ميتا

ميتا فاستحال السرور وعظم الاسف وغلب على البطانة الدهش ثم راجعوا بصايرهم ودفعوا الدهش عن انفسهم وتلافوا امرهم بالبيعة لابنه الامير ابي البقاء خالد واخذها له على الناس مولاه منصور سريحة من العلوجي وحاجبه احمد بن ابراهيم المالقي وحضر لها الموحدون والفقهاء والكافة وانفض المجلس وقد انعقد امره وجنازة ابيه حتى وارى التراب واستبد منصور وابن المالقي على هذا الامير المنصوب للامر فلم يكن له تحكم عليهما وكان اول ما افتتحا به امرهما ان تقبضا على القاضي محمد بن خلف الله من طبقة الفقهاء فكان نزع الى السلطان من بلده نفطة مغاضبا لمقدمها عبد الله ابن علي بن الخلف فرعى له نزوعه اليه واستعمله بخطة القضاء بتونس عند مهلك ابي علي عمر بن عبد الرفيع ثم ولاه قود العساكر الى بلاد الجريد وحربهم فكان له فيها غناء واستبد فقوم مرات بجبايتهم يبعثون بها الى السلطان ومرات بمصانعة العرب على الارجاف بمعسكره وكان ابن المالقي يغص بمكانه من السلطان فلما استبد على ابنه اعظم فيه السعاية وتقبض عليه واودعه السجن مع محمد بن علي بن رافع ثم بعث عليهما من داخلهما في الفرار من الاعتقال حتى دبروه معه وظهر على اثرهما فقتلهما في محبسهما خنقا والله متولي الجزاء منه وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم اظهر ابن المالقي من سوء سيرته في الناس وجوره عليهم وعسفه بهم وانتزاع اموالهم واهانة سائر الاشراف ببابه منهم ما نقموه وضرعوا الى الله في انقاذهم من ملكته فكان ذلك على يد مولانا السلطان ابي العباس كما نذكر

الخبر عن فتح تونس واستيلاء السلطان عليها

واستبداده بالدعوة الحفصية في سائر عمالات افريقية وممالكها

لما هلك السلطان ابو اسحاق صاحب الحضرة سنة سبعين كما قدمناه وقام بالامر مولاه منصور سريحة وحاجبه المالقي ونصبوا ابنه الامير خالدا للامر صبيا لم يناهز الحلم غرا فلم يحسنوا التدبير لامره ولا السياسة لسلطانه واسخطوا لوقتهم منصور بن حمزة امير بني كعب المتغلبين على الضاحية بما اطمعوه لسوء تدبيرهم في شركته لهم في الامر ثم قلبوا له ظهر المجن فسخطهم ولحق بالسلطان ابي العباس وهو مطل عليهم بمرقبة من الثغور الغربية مستجمع للتوثب بهم فاستحثه لمدافعتهم وحرضه على تلافي امرهم ودرء ما نزل من ساحة دولتهم وكان احق بالامر لشرف نفسه وجلاله واستفحال ملكه وسلطانه وشياع الحديث عن عدله ورفقه وحميد سيرته وامان اهل مملكته من نظر يعقب نظره فيهم او استبداد سواه عليهم فاجاب صريخه وشحذ للنهوض عزمه وكان اهل قسطيلية قد بعثوا اليه بمثل ذلك فسرح اليهم ابا عبد الله بن الحاجب ابي محمد بن تافراكين لاختبار طاعتهم واستلاف خلتهم فسار اليها واقتضى بيعاتهم وطاعتهم وسارع اليها يحيى بن يملول مقدم توزر والخلف بن الخلف مقدم نفطة فاتوها طواعية وانقلب عنهم وقد اخذ دعوة السلطان واقاموها في امصارهم ثم خرج السلطان من بجاية في العساكر واغذ السير

الى المسيلة وكان بها ابراهيم بن عمه الامير ابي زكرياء جاء به اولاد سليمان بن علي من الدواودة من مثوى اعتزابه بتلمسان ونصبوه لطلب حقه في بجاية من بعد اخيه الامير ابي عبد الله وكان ذلك بعد اخلاه من ابن حمو صاحب تلمسان وسواعيد بالمظاهرة مخلفة فلما انتهى السلطان الى المسيلة نبذوا الى ابراهيم عهده وتبروا منه ورجع من حيث جاء وانكفا السلطان راجعا الى بجاية ثم نهض منها الى الحضرة وتلقته وفود افريقية جميعا بالطاعة وانتهى الى البلد فخيم بساحتها اياما يغاديها القتال ويراوحها ثم كشف عن مصدوقته وزحف الى اسوارها وقد ترجل الكثير من بطانته واوليائه فلم يتم لهم شي حتى تسنموا الاسوار برباض راس الطابية فنزل عنها المقاتلة وفروا الى داخل البلد وخامر الناس الدهش وتبرا بعضهم من بعض واهل الدولة في موكبهم ووقف بباب الغدر من ابواب القصبة فلما راوا انهم احيط بهم ولوا الاعقاب وقصدوا باب الجزيرة فكسروا اقفاله ونادى اهل البلد جميعا بهم فتخلصوا بسلطانهم من البلد بعد عصب الريق ومضى الجند في اتباعهم فادرك احمد بن المالقي فقتل وسيق راسه الى السلطان وقبض على الامير خالد فاعتقل ونجا العلج منصور سريحه براس طراده واللجام وذهل عن القتال دون الاحبة ودخل السلطان القصر واستقر اريكته وانطلقت ايدي العيث في ديار اهل الدولة فاكتسحت بما كان الناس يضطغنون عليهم تحاملهم على الرعية واغتصاب اموالهم فاضطرمت نار العيث في دورهم ومخلفهم فلم يكد ان يطفى ولحق بعض اهل العافية معرات من ذلك العموم النهب وشموله حتى اطفاه الله ببركة السلطان وجميل نيته وسعادة امره ولاذ الناس منه بالملك الرحيم والسلطان العادل وتهافتوا عليه تهافت الفراش على الذبال يلثمون اطرافه ويجاولون بالدعاء له ويتنافسون في التماح محياه الى ان غشيهم الليل ودخل السلطان قصوره وخلا بما ظفر من ملك ابائه وبعث بالامير خالد واخيه في الاسطول الى قسنطينة فعصفت بهما الريح واغرقت السفينة وتقاذفت الامواج الى ان هلكا واستبد السلطان بامره وعقد لاخيه الامير ابي زكرياء على بجايته ورعا لابن تافراكين حق انحياشه اليه ونزوعه فجعله رديفا لاخيه واستمر الامر على ذلك الى ان كان ما نذكر

الخبر عن انتقاض منصور بن حمزة واجلابه بالعم ابي زكريا بالحضرة وما كان عقب ذلك من نكبة بن تافراكين

كان منصور بن حمزه هذا امير البدو من بني سليم بما كان سيد بني كعب وكان السلطان ابو اسحاق يوثره بمزيد العناية ويجعل له على قومه المزية وكان بنو حمزة هولاء منذ غلبوا السلطان ابا الحسن على افريقية وازعجوه منها قد استطالت ايديهم عليها وتسنموها اوذاعا واقطعهم امراء الحضرة السهمان في جبايتها زيادة لما غلبوا عليه من ضواحيها وامصارها استبدادا فاهم على المظاهرة واقامة الدعوة والحماية من اهل الثغور الغربية فملكوا الاكثر منها وضعف سهمان السلطان بينهم فيها فلما استولى هذا السلطان ابو العباس على الحضرة واستبد بالدعوة الحفصية كبح اعنتهم عن التغلب

والاستبداد

والاستبداد وانتزع ما في ايديهم من الامصار والعمالات التي كانت من قبل خالصة للسلطان وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبونه فاعظم ذلك واهمهم شانه وتنكر منصور بن حمزه وقلب لهم المجن ونزع يده من الطاعة وغمسها في الخلاف وتابعه على خروجه على السلطان ابو صعنونة احمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين شيخ حكيم وارتحل باحيائه الى الدواودة صريخا مستجيشا بالامير ابي يحيى بن السلطان ابي بكر المقيم بين ظهرانيهم من لدن نقلته في المهدية وابتزائه بها على اخيه المولى ابي اسحاق بما ذكرناه فنصبوه للامر وبايعوه وارتحل معهم واغذوا السير الى تونس ولقيهم منصور بن حمزة في احيائه بنواحي تبسة فبايعوا له وارفد واستنجدتهم على يحيى بن يملول سلطان توزر لعوائده المارد على الخلاف ليستحثونه للطاعة والمدد لمداخلة كانت بينهم في ذلك سولتهم فيها بالمواعيد واملى لهم حتى اذا غمسوا ايديهم في النفاق والاختلاف سوفهم عن مواعيد منافقة بماله فاسرها منصور في نفسه واعتزم من يومئذ على الرجوع الى الطاعة ثم رحلوا للاجلاب على الحضرة وسرح السلطان ابو العباس اخاه الامير ابا يحيى زكرياء للقائهم في العساكر وتزاحفوا فانهزم منصور وقومه ظهور على عساكر السلطان ثم راوا انها لم يستكملها واجلبوا على البلد اياما ونمى الى السلطان ان صاحبه ابا عبد الله ابن تافراكين داخلهم في تبييت البلد فتقبض عليه واشخصه في البحر الى قسنطينة فلم يزل بها معتقلا الى ان هلك سنة ثمان وسبعين ثم سرب السلطان اموالا في العرب فانتقض على منصور قومه وخشي مغبة حاله وسوغه السلطان جائزته فعاود الطاعة ورهن ابنه ونبذ الى سلطانه زكرياء العم عهده ورجعه على عقبه الى الدواودة والتزم طاعة السلطان والاستقامة على المظاهرة الى ان هلك سنة ست وسبعين قتله محمد بن اخيه في مشاجرة كانت بينهما طعنه لها فاشواه ورجع جريحا الى بيته وهلك دونها احزن قومه وقام بامر بني كعب بعده صولة بن اخيه خالد وعقد له مولانا السلطان على امرهم واستمرت الحال الى ان كان من امرهم ما نذكر

الخبر عن فتح سوسة والمهدية

كانت سوسة منذ واقعة بني مرين بالقيروان وتغلب العرب على العمالات اقطعها السلطان ابو الحسن لخليفة بن عبد الله بن مسكين فيما سوغ للعرب من الامصار والاقطاعات مما لم يكن لهم فاستولى عليها خليفة هذا ونزلها واستغل جبايتها واحكامها واستبد بها على السلطان ولم يزل كذلك الى ان هلك وقام بامره في قومه عامر بن عمه محمد بن مسكين ايام استبداد ابي محمد بن تافراكين فسوغها له كذلك منتقلا من هب من قبل ثم قتله بنو كعب وقام بامر حكيم من بعده احمد الملقب ابو صعنونة بن محمد اخي خليفة بن عبد الله بن مسكين فاستبد بسوسة على السلطان واتخذها دارا لامارته وربما كان ينتقض على صاحب الحضرة فيجلب عليها من سوسة وبث الغارات في نواحيها حتى لقد وقع في بعض ايامه بمنصور سريحه مولى السلطان ابي اسحاق وقائد عسكره فتقبض عليه واعتقله بسوسة اياما ثم من عليه واطلقه وعاود الطاعة معه ولم يزل هذا دابهم وكانت لهم في الرعايا اثار قبيحة وملكات سيئة ولم يزالوا يتضرعون الى الله في انقاذهم من ايدي جورهم

وعسفهم الى ان ياذن الله لاهل افريقية باقتبال الخير وفى ظلال الامن واستبد مولانا
السلطان ابو العباس بالحضرة وساير عمالات افريقية وهب ريح العز على العرب فى جميع
النواحي فتنكر اهل سوسة لعاملهم ابى صعنونة هذا واحس بنكرايهم فخرج عنهم هو
وتجافى للسلطان عن البلد وثارت عامتها بعامله فاجهضوه ثم ونزل عمال السلطان بها
ثم كانت من بعد ذلك الحركة المولى ابى يحيى الى نواحى طرابلس ددوخ جهاتها واستوفى
جباية اعمالها وكان بالمهدية محمد بن الحكمان استعمله عليها الحاجب ابو محمد بن
تافراكين ايام ادبجاعه اباهاس بن ابى العباس بن مكى والامير ابى زكرياء على المبتري
بها ابن مولانا السلطان ابى بكر كما مر واقام ابن الحكمان اميرا عليها واستبد بها بعد
موت الحاجب فلما وحزته شوكة الاستطالة من الدولة وطلع نحوه قيام للعساكر فرق
من الاستيلاء عليه وركب اسطوله الى طرابلس دنزل على صاحبها ابى بكر بن ثابت لذمة
صهر قديم كان بينهما وبادر مولانا السلطان الى تسلم المهدية وبعث عليها عماله
وانتظمت فى ملكته واطردت احوال الظهور والنجح وكان بعد ذلك ما نذكر

الخبر عن فتح جربة وانتظامها فى ملكة السلطان

كان محمد بن ابى القاسم بن ابى العيون منذ ولاه ابو عبد الله بن تافراكين على هذه الجزيرة
قد تقيل مذاهب جيرانها من اهل قابس وطرابلس وساير الجريد فى الامتناع على
السلطان ومصادفة الاستبداد وانتحال مذاهب الامارة وطرقها ولباس شارتها
وقد ذكرنا سلفه من قبل وان والده كان صاحب الاشغال بالحضرة ايام الحاجب ابى
محمد بن تافراكين وانه اعتلق بكتابة ابنه ابى عبد الله فولاه على جربة عند افتتاحه
اياها سنة   وانه قصدان عند مفرعن المولى ابى اسحاق ليبتز جربة معولا
على قديم اصطناعه اياه فمنعه ثم داخل شيوخ الجزيرة من بنى سموسن فى الامتناع
على السلطان والاستبداد بامرهم فاجابوه واقام ممتنعا ساير دولته
وابنه من بعده ولما استولى مولانا السلطان ابو العباس على تونس داخله الروع
والدهش وصار الى مكاتبة رؤساء الجريد فى التظاهر على المدافعة بزعمهم فاجرى
فى ذلك سنا وابعد امعى تخلفه فى مضماره بقديمه وحديثه وصادف السلطان سوق
الامتثال والثبات الطاعة ومنع الجباية فاحنقه لذلك ولما افتتح امصار السواحل
وثغوره سرح ابنه الامير ابا بكر فى العساكر الى جربة ومعه خالصة الدولة محمد بن
على بن ابراهيم من ولد ابى هلال شيخ الموحدين وصاحب بجاية لعهد المستنصر
وقد تقدم ذكره وامده بالاسطول فى البحر لحصارها ونزل الامير بمعسكره على مجازها
ووصل الاسطول الى مرساها فاطاف بحصن القشتيل وقد لاذ ابن ابى العيون بجدرانه
وانترق عنه شيوخ الجزيرة من البربر وانحاش معه بطانته من الجند المستخدمين
معه بها ولما راوا ما لا طاقة لهم به وان عساكر السلطان قد احاطت بهم برا وبحرا نزلوا
الى قايد الاسطول وامكنوه الحصن وبادروا الى معسكر الامير فاقبل منهم الخاصة

ابو عبد الله بن ابى هلال فيمن معه من بطانة الامير وحاشيته فاقتحموا الحصن هم
وتقبضوا على محمد بن ابى العيون ونقلوه من حينه الى الاسطول واستولوا على داره
ووكلوا على الجزيرة وارتحلوا قافلين الى السلطان ووصل محمد بن ابى العيون الى
الحضرة ونزل بالديوان فاركب الى القصبة على جمل وطيف به على اسواق البلد
اظهارا لعقوبة الله النازلة به واحضره السلطان فوبخه على مرتكبه فى العناد
ومداخلته اهل الغواية من امراء الجريد فى الاغراء عنه ثم تجافا عن دمه واودعه
السجن الى ان هلك سنة تسع وتسعين

الخبر عن استقلال الامرا الابنا بولاية
الثغور الغربية

كان السلطان عندما استجمع الرحلة الى افريقية باستحثاث اهلها لذلك ووفادة
منصور بن حمزه شيخ الكعوب مرغبا فيها فاهمه عند ذلك شان الثغور الغربية
واحال اختياره فى تعيينه لسد احوالها وينتبش عن الاكفاء لهذه الثغور منهم فوقع
نظره اولا على كبيره وليه المخصوص بعناية الله فى الغناء بمحبته عليه الامير ابى
عبد الله فعقد له على بجاية واعمالها وانزله مقصور الملك منها واطلق يده
فى مجال الجباية وديوان الجند واستعمل على قسنطينة وضواحيها مولاه القايد
بشير سيف دولته وعنان حربه وناشى فضرحه وتلاد مرباه وكانت لهذا الرجل
نحو من الصرامة والباس ودالة بالقديم والحادث وجلال لقيها ايام التقلب فى
اطوار الملك وكان ملازما ركاب مولاه فى مطارح اغترابه وايام محنته وتمحيصه وربما
لقى عنده   من المحنة والاعتقال الطويل ما اعاضه الله عنه بجميل التنويه
وعوده العز والملك الى مولاه على احسن الاحوال فحظى من ذلك بالبغية وحصل من
المرتبة على الامنية وكان السلطان يثق بنظره فى العساكر ويبعثه فى مقدمة
الحروب وكان عندما استيلايه على بجاية وصرف العناية اليها ولاه امر قسنطينة
وانزله بها وانزل معه ابنه الامير ابا اسحاق وجعل اليه كفالته لصغره ثم استنفر
بالعسكر عند النهوض الى افريقية فنهض فى جملته وشهد معه الفتح ثم رجعه الى عمله
بقسنطينة بمزيد التفويض والاستقلال فلم يزل قايما بما دفع اليه من ذلك الى
ان هلك وكان السلطان قد اوفد ابنه ابا اسحاق على ملك المغرب السلطان عبد العزيز
عندما استولى على تلمسان مهنيا بالظفر ملقيا عن اسر الوداد ووفد معه شيخ الموحدين
ببابه ابا اسحاق بن ابى هلال وقد مر من قبل ذكره وذكر اخيه فتلقاهما ملك المغرب
بوجوه البر والاحتفاء ورجعهما بالحديث الجميل عنه سنة ثلاث وسبعين ونزل
الامير ابو اسحاق بقسنطينة دار امارته وعقد له السلطان عليها والقاب
الملك ورسومه مصروفة اليه والقايد بشير مولى ابيه مستبد عليه لمكان صغره
الى ان هلك بشير سنة ثمان وسبعين عندما استكمل الامير ابو اسحاق الخلال
واستجمع للامارة فجدد له السلطان عهده عليها وفوض اليه فى امارتها وقام

بما دفع اليه من ذلك احسن مقام واكفاه مصدقا الظنون التي كانت توحي اليه وشهادة
المخايل التي دلت عليه فاستقل هذان الاميران بثغر بجاية وقسنطينة واعمالها
مفوضا اليهما في الامارة ماذونا لهما في اتخاذ الالة واقامة الرسوم الملوكية
والشارة وكان الامير ابو يحيى زكرياء الاخ الكريم مستقلا ايضا بتونس وعملها
منذ استيلايه عليها سنة قد اضافها السلطان اليه واصارها في
سهمانه فلما ارتحلوا الى افريقية عام الفتح وتفوق الاخ ابو يحيى طول مغيبه
واغتباط السلطان اخيه بكونه معه عقد عليها لابنه الامير ابي عبد الله محمد
وانزله بقصرها منها وفوض اليه في امارتها لما استجمع من خلال الترشيح والذكر
الصالح في الدين واستمر الحال على ذلك لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين
وسبع ماية والله مدبر الامور سبحانه

الخبر عن فتح قفصة وتوزر وانتظام أعمال قسطيلية في طاعة السلطان

كان امر هذا الجريد قد صار شورى بين روسا امصاره فيما قبل دولة السلطان
ابي بكر لاعتلال الدولة حينيذ بانقسامها كما مر فلما استبد السلطان ابو بكر
بالدعوة الحفصية ونزع عن الشواغل صرف اليهم نظره واوطاهم عساكره ثم
نهض بنفسه فمحى اثر الشورى منها وعقد لابنه ابي العباس عليها كما قلناه قبل ثم
كان بعد مهلكه من اضطراب افريقية وتغلب الاعراب على نواحيها لما كان منذ هزيمة
السلطان ابي الحسن وبني مرين بالقيروان وعاد اهل الشورى في الجريد الى دينهم من
التوثب على الامر والاستبداد على السلطان وتناغا روساوهم بعد ان كانوا سوقة
في انتحال مذاهب الملك وشاراته يتنقلون الارايك ويعقدون في المشي بين السماط
المواكب ويمشون في ايوانهم سابلا لاشراف ويتخذون الالة ايام المشاهدة
للمعتبرين من تقلب الايام وضحكة لاهل الشمات حتى لقد حدثتهم انفسهم
بالقاب الخلافة واقاموا على ذلك احوالا والدولة في التياثها فلما استبد
السلطان ابو العباس بافريقية وعمالاتها وانتهج منه بالحضرة البازي المطل
من مرقبه والاسد الخادر في عرينه واصبحوا فرايس له يتوقعون انصبابه
اليهم وتوثبه بهم داخلوا حينيذ الاعراب في مدافعته عنهم باضرام نار الفتنة
واقتعاد مطية الخلاف والنفاق يفتون بذلك في عزايمه وارجى هوهم طول
الامهال وفتح لهم مجالا الايناس بالمقاربة والوعد رجاء الفيئة الى الطاعة المعروفة
والاستقامة على الجادة فاصروا وازدادوا عنادا ونفاقا فشمر لهم عن عزايمه
ونبذ اليهم عهدهم على سواء ونهض من الحضرة سنة سبع وسبعين في عساكره
من الموحدين وطبقات الجند والموالي وقبايل زناتة ومن استالف اليه من العرب
اولاد مهلهل وحكيم وظاهر اولاد ابي الليل على المدافعة عن الجريد وانفقوا السلطان
اياما ثم اجفلوا امامه وغلبهم السلطان على رعاياهم من غيره وكانوا من بقايا بني يفرن

عمروا

عمروا ضواحي افريقية مع ظواعن هوارة ونفوسة ونفزاوة وكانت للسلطان عليهم مغارم وجبايا
وافرة فلما تغلب العرب على بسايط افريقية وتناقسوا في الاقطاعات كانت ظواعن مرنجيزة
هولاء في اقطاع اولاد حمزة فكانت جباياتهم لهم موفورة وما لهم دثروا بما صاروا مددا لهم
والكعوب والزرع والادرد بالفرسان منهم يستظهرون بهم في حروبهم مع السلطان ومع
قومهم فاستولى السلطان عليهم في هذه السنة واكتسح اموالهم وبعث برجالهم اسرى
الى سجون الحضرة وقطع بها عنهم اعظم مادة كانت تمدهم فحمد بذلك من عتوهم وقص من
جناحهم اخر الدهر وهنوا لها ثم عاد السلطان الى حضرته وافترق اشياعه ونزع
عنهم ابو صعنونة فتالف مع اولاد ابي الليل وزحفوا الى الحضرة فاجلبوا بساحتها
اياما وشنوا الغارات عليها ثم انفضوا عنها وخرج على اثرهم لاول فصل الشتاء
وتساحل الى سوسة والمهدية فاقتضى مغارم الاوطان التي كانت لابي صعنونة فتالف
مع اولاد ابي الليل وزحفوا الى الحضرة ثم رجع الى القيروان وارتحل منها يريد قفصة
وجمع اولاد ابي الليل للمدافعة عنها وسرب فيهم صاحب توزر الاموال فلم تغن عنه وزحف
السلطان الى قفصة فقاتلها ثلاثا ولجوا في عصيانهم وقاتلوا فجمع الايدي على قطع
نخيلهم فتسايلت اليه الرعية من اماكنهم واسلموا احمد بن العابد مقدمهم وابنه محمد المستبد
عليه للامر وذهوله فخرج الى السلطان واشترط له ما شاء من الطاعة والخراج ورجع
الى البلد وقد ماج اهلها بعضهم في بعض وهموا بالخروج فسابقهم ابنه احمد المستبد
على ابيه وكان السلطان سرح اخاه ابا علي من الخاصة والاولياء للبلد فلقيه محمد
هذا في ساحتها فبعث به الى السلطان ودخل هو الى القصبة وتملك البلد وتقبض
السلطان على محمد بن العابد لوقته وسيق ابوه احمد من البلد فجعل معه واستولى على
دارهم وذخايرهم واجتمع الملا والكافة من اهل البلد عند السلطان واتوه ببيعتهم وعقد
عليها لابنه ابي بكر وارتحل بعد الى توزر وقد طار الخبر بفتح قفصة الى ابن
يملول فركب لحينه واحتمل اهله وما خف من ذخيرته ولحق بالزاب وبادر اهل توزر بالخبر
الى السلطان فلقيه اثناء طريقه وتقدم الى البلد فملكها واستولى على ذخيرة ابن
يملول ونزل بقصوره فوجد بها من الماعون والمتاع والسلاح وانية الذهب والفضة
ما لا يعتد لاعظم ملك من ملوك الارض واحضر بعض الناس ودايع كانت له عندهم
من نفيس الجواهر والحلي والثياب ورفعوها الى السلطان وعقد السلطان على توزر
لابنه المنتصر وانزله بقصور ابن يملول وجعل اليه امارتها واستقدم السلطان الخلف
ابن الخلف صاحب نفطة فقدم عليه واتاه طاعته وعقد له على بلده وولاية حجابة ابنه
بتوزر وانزله معه ونقل الى حضرته وقد كان اهل الخلاف من العرب عند تغلبه على
امصار الجريد حاثوهم الى القعود فلما قصد حضرته اعترضوه دونها فاوقع بهم وفل من
عزمهم واجفلوا الى الجهات الغربية يوملون منها كرة لما كان ابن يملول قد جاجاهم الى
خدمة صاحب تلمسان والاستغاثة به فوفد عليه بتلمسان منصور بن خالد منهم
ونصر بن عمه منصور صريخين به على عادة صريخهم بابي تاشفين سلفه فدافعهم بالمواعد
وتبينوا منها عجزه وانكفوا راجعين ووفدوا على السلطان بعد ان توثق له نفسه
فاشترط على قومه ما شاء ورجع اليهم فلم يرضوا بشرطه ونهض السلطان من الحضرة

في العساكر والاولياء من العرب واجفلوا امامه فاتبعهم واوقع بهم ثلاث مرات واثخن فيهم ثم اجفلوا ولحقوا بالقيروان وقدم وفدهم على السلطان بالطاعة والاشتراط له كما يشاء فتقبل وسعهم عفوه وصاروا الى الانقياد والاعتمال في مذاهب السلطان ومرضاته وهم على ذلك لهذا العهد

الخبر عن ثورة اهل قفصة ومهلك ابن الخلف

لما استقل الخلف بن علي بن الخلف بحجابة المنتصر بن السلطان وعقد له مع ذلك على عمله بنفطة فاستخلف عليها عامله ونزل بتوزر مع المنتصر ثم سعي به انه يداخل ابن يملول ويراسله فبث عليه العيون والارصاد وعثر على كتابه بخط كاتبه المعروف الى ابن يملول والى يعقوب بن علي امير الدواودة يحرضهما على الفتنة فتقبض عليه واودعه السجن وبعث عماله الى نفطة واستولى على امواله وذخائره وخاطب اباه في شانه فامهله بعد انه تبين بغضه للطاعة وسعيه في الخلاف وكان السلطان قبل فتح قفصة قد نزع اليه من بيوتاتها احمد بن ابي زيد وسار في ركابه اليها فلما استولى على البلد رعا له ذمة نزوعه اليه واوصى به ابنه ابا بكر فاستولى على مشورته وحله وعقده وطوى على البث ثم حدثته نفسه بالاستبداد وتحين له المواقيت واتفق ان سار الامير ابو بكر من قفصة لزيارة اخيه المنتصر بتوزر وخلف بالبلد عبد الله التريكي من مواليهم وكان السلطان انزله معه وولاه حجابته فلما توارى الامير عن البلد داخل ابن ابي زيد زعنفة من الاوغاد وطاف في سكك المدينة واهاب معه ينادي بالثورة ونقض الطاعة وتقدم الى القصبة فاغلقها القايد عبد الله دونه وحاربها فامتنعت عليه وقرع عبد الله الطبل بالقصبة واجتمع اليه اهل القرى فادخلهم من باب كان بالقصبة يفضي الى الغابة فكثروا شيع ابن ابي زيد وتسللت الناس فلاذ بالاختفاء وخرج القايد من القصبة فتقبض على كثير من اهل الثورة فاودعهم السجن واستولى على البلد وسكن الهيعة وطار الخبر الى مولاه ابي بكر فاغذ السير منقلبا الى قفصة وحين دخوله عثر بهما الحرس في مقاعدهم بالبيات مستترين بزي النساء فتقبضوا عليهما وتلوهما الى الامير فضرب اعناقهما وصلبهما في جذوع النخل وكانا من المترفين فاصبحا مثلا في الايام وقد خسرا دينهما ودنياهما ذلك هو الخسران المبين وارتاب المنتصر صاحب توزر حينيذ بابن الخلف وحذر منه حاله فقتله بمحبسه وذهب من غير سبيل مرحمة وانتظم السلطان امصار الجريد كلها في طاعته واتصل ظهوره الى ان كان ما نذكر

الخبر عن فتح قابس وانتظامها في ملكة السلطان

هذا البلد لم يزل في هذه الدولة الحفصية لبني مكي المشهور ذكرهم في هذه العصور وما اليها وسياتي ذكر اخبارهم ونسبهم واوليتهم في فصل نفرده لهم فيما بعد وكان اصل رياستهم فيها اتصالهم بخدمة الامير ابي زكرياء الاول ايام ولايته قابس سنة

ثلاث وعشرين وستماية فاختصوا به وداخلهم في الانتقاض على اخيه ابي محمد عبد الله عندما استنجم لذلك فاجابوه وبايعوا له فرعاها لهم هذه الوسايل عندما استبد بافريقية وافردهم برياسة الشورى في بلدهم ثم سموا الى الاستبداد عندما فشل ريح الدولة عن القاصية بما حدث من الفتن وانفراد الثغور الغربية بالملك ولم يزالوا جانحين الى هذا الاستبداد ساعين اليه باثارة الفتن والانتقاض على السلطان ومداخلة الثوار والاجلاب بهم على الحضرة والدولة اثناء ذلك في شغل عنهم وعن سواهم من اهل الجريد منذ احقاب متطاولة بما كان من انقسام الدولة والحاح صاحب الثغور الغربية على مطالبة الحضرة ثم استبد مولانا السلطان ابو بكر بالدعوة الحفصية في ساير عمالات افريقية وشغله عنهم شاغل الفتنة مع صاحب تلمسان ومنازلتهم ثغر بجاية وتسريبه جيوش بني عبد الواد مرة بعد اخرى مع الاعياص من بني ابي حفص والعرب الى افريقية وكان المتولي لرياسة قابس يوميذ عبد الملك بن مكي بن احمد بن عبد الملك ورديفه فيها اخوه احمد وكانا يداخلان ابا تاشفين صاحب تلمسان في الاجلاب على الحضرة مع جيوشه والثوار القادمين معهم وربما خالفوا السلطان الى الحضرة ازمان مغيبه عنها كما وقع لهم مع عبد الواحد بن اللحياني وقد مر ذكر ذلك فلما استولى السلطان ابو الحسن على تلمسان وانمحى اثر بني زيان فرغ السلطان ابو بكر لهولاء الثوار رؤساء الجريد الدايبين بالانتقاض ساير ايامهم وزحف الى قفصة فملكها كما ذكرناه ولحق احمد بن مكي بالسلطان ابي الحسن متذمما بشفاعته بعد ان كان الركب الحجازي من المغرب مر بقابس وبه بعض كرايم السلطان فاسعوا احياءها وساير الركب قرى وحباء وقدموا لله وسيلة بين يدي وفادته فتقبل السلطان وسيلته وكتب الى مولانا السلطان ابي بكر شافعا فيهم لذمة السلطان والصهر فتقبل شفاعته وتجاوز عن الانتقام منهم بما اكتسبوه ثم هلك مولانا السلطان ابو بكر وماج بحر الفتنة والخلاف وعادت الدولة الى حالها من الانقسام واستبد على صاحب الحضرة وجوه الانتقاض منهم فعاد بنو مكي وسواهم من رؤساء الجريد الى حالهم من الاستبداد على الدولة وقطع اسباب الطاعة ومنع المغارم والجباية ومشايعة صاحب الغربية ربونا على صاحب الحضرة فلما استبد مولانا السلطان ابو العباس بالدعوة الحفصية وجمع الكلمة واستولى على كثير من الثغور المنتقضة تراسل اهل هذه القصور الجريدية وتحدثوا فيما دهمهم وطلبوا وجه الخلاص منه والامتناع عليه وكان عبد الملك بن مكي اقعدهم بذلك لطول مراسه الفتن واعياسه الى الثوار وكان احمد اخوه رديفه قد هلك سنة خمس وستين وانفرد هو برياسة قابس فراسلوه وراسلهم بنو الشان واجمعوا جميعا على عصب العرب على السلطان وتسريب الاموال فيهم ومشايعة صاحب تلمسان بالترغيب في ملك افريقية فانتدبوا له الا من كل ناحية وبعثوا البريد الى صاحب تلمسان فاطمعهم من نفسه وعللهم بالمواعيد الكاذبة والسلطان ابو الحسن مقبل على شانه فقتلهم في الذروة والغارب حتى غلب اولاد ابي الليل الذين كانوا يوذونهم بالمدافعة عنهم وافتتح قفصة وتوزر ونفطة وتبين لهم عجز صاحب تلمسان عن صريخهم فحينيذ بادر عبد الملك الى مراسلة السلطان بعد من نفسه الطاعة والوفاء بالجباية وتيسر على لاقتضاء ذلك منه بعض حاشيته فاجابه

الى ذلك وبعث وافده اليه ورجع الى الحضرة في انتظاره فطاول له ابن مكي في الغرض ورده بالوعد ثم اضطرب امره وانتقض عليه اهل ضاحيته بنو احمد احد بطون دباب وركبوا اليه فحاصروه وضيقوا عليه واستدعوا المدد لذلك من الامير ابي بكر صاحب نفطة وامدهم بعسكر وقايد فنازلوه واشتد الحصار واتهم ابن مكي بعض اهل البلد بمداخلتهم فكبسهم في منازلهم وقتلهم وتنكرت له الرعية وساءت حاله ودس الى بعض الحشد من العرب من بني علي في تبييت العسكر المحاصرين له واشترط لهم على ذلك ما رضوه من المال فجمعوا لهم وبيتوهم فانفضوا ونالوا منهم وبلغ السلطان خبرهم فاحفظه واجمع الحركة على قابس وعسكر ظاهر الحضرة في رجب سنة احدى وثمانين وتلوم اياما حتى استوفى العطاء واعترض العساكر وتوافت احياء اولاد ابي الليل من اولاد مهلهل وحلفاؤهم من ساير سليم ثم ارتحل الى القيروان وارتحل منها يريد قابس وقد استكمل هو التعبية وبادر الى لقيه والاخذ بطاعته مشيخة دباب اعراب قابس من بني سليم ووفد منهم خالد بن سباع بن يعقوب شيخ المحاميد وابن عمه علي بن راشد فيمن اليهم يستحثونه الى منازلة قابس فاغذ السير اليها وقدم رسله بين يديه بالاعذار لابن مكي وانتهوا اليه فرجعهم بالانابة والانقياد الى الطاعة ثم احتمل رواحله وعباء ذخايره وخرج من البلد ونزل على احياء دباب هو وابنه يحيى وحافده عبد الوهاب ابن ابنه مكي الهالك سنة ستين من قبل واتصل الخبر بالسلطان فبادر الى البلد ودخل في ذي القعدة من سنته واستولى على منازل ابن مكي وقصوره ولاذ اهل البلد بطاعته وولى عليها من حاشيته وكان ابو بكر بن ثابت صاحب طرابلس قد بعث الى السلطان بالطاعة والانحياش ووافته رسله دون قابس فلما استكمل فتحها بعث اليه من حاشيته لاقتضاء ذلك فرجعهم بالطاعة واقام عبد الملك بن مكي بعد خروجه من قابس بين احياء العرب لياليا قلايل ثم بغته الموت فهلك ولحق ابنه وحافده بطرابلس فمنعهم ابن ثابت الدخول اليها فنزلوا بزنزور من قراها في كفالة الجواري من بطون دباب ولما استكمل السلطان الفتح ودوخ نواحيها انكفأ راجعا الى الحضرة فدخلها فاتح ثنتين وثمانين ولحقته رسله من طرابلس بهدية ابن ثابت من الرقيق والمتاع بمثابته الوفاء بمغارمه بزعمه ووفد عليه بعد استقراره بالحضرة رسل اولاد ابي الليل مستطارحين في العفو عنهم والقبول عليهم فاجابهم الى ذلك ووفد صولة بن خالد شيخهم وقبله ابو صعنونة شيخ حكيم ورهنوا ابناءهم على الوفاء واستقاموا على الطاعة واتصل الفتح والظهور والامر على ذلك لهذا العهد وهو فاتح ثلاث وثمانين وسبعمائة والله مالك الامور لا رب غيره

الخبر عن استقامة ابن مزني وانقياده وما اتفق في ذلك من الأحوال

كان هؤلاء الرؤساء المستبدون بالجريد والزاب منذ فرغ السلطان لهم من الشواغل واستر ابوا بمنقلة حالهم معه وبمراوغتهم له بالطاعة يرومون استمداد الشواغل ويوملون لها سلطان تلمسان لعهدهم اباحمو الاخير وانه يأخذ حجزته عنهم ان وصلوا به ايديهم ه واستحثوه لذلك لايلافهم مثلها من سلف قومه وابن حمو وابن تاشفين من قبله فيالشا ستورطا في الغلط بعيدا من الاصابة لما نزل بسلطان بني عبد الواد في هذه العصور من الضعف والزمانة وما اصاب قومهم من الهلاك والشتات بايديهم وايدي عدوهم ويقدمهم في هذا الشأن احمد بن مزني صاحب بسكرة لقرب جواره واستحكام وصلتها من سلفه فاتبعوه وقلدوه وعظماؤهم جميعا على بصيرتهم وقارن ذلك نزول الامير ابي زيان بن السلطان ابي سعيد عمر بن حمو على ابن يملول بتوزر عند منابذة سالم بن ابراهيم الثعالبي اياه وكان طارده ايامها ثم راجع ابو حمو وصرفه سنة ثمان وسبعين فخرج من اعمال تلمسان وابعد المذهب عنهم ونزل على ابن يملول بتوزر وطير الخبر الى امامه في تلك الفتنة احمد بن مزني واغتبطوا بمكان ابي زيان وان يمسكهم به ذريعة الى اعتمال ابي حمو في مرضاتهم واجابتهم الى ه دواعيهم وركض بريدهم الى تلمسان في ذلك ذاهبا وجائيا حتى اعيت الرسل واشتبهت المذاهب ولم يحصلوا على غير المقاربة والوعد لكن على شر بطانة التوثق من ابي زيان وبينما هم في ذلك اذ هجم السلطان على الجريد وشرد عنه اولاد ابي الليل الذين تكفلوا الرؤساء بالمدافعة وافتتح نفطة وتوزر ونفطة ولحق يحيى بن يملول ببسكرة واستصحب الامير ابا زيان ونزل على ابن مزني وهلك لايام قلائل كما ذكرناه واستحكمت عندها استرابة يعقوب بن علي شيخ رياح بامره مع السلطان لما سلف منه في مداخلة هؤلاء الرهط وتمسكهم بحقوبه والمبالغة في العذر عنهم ثم غيرته باضاعة من مشيخة الدواودة الخاشوا الى السلطان فافاض عليهم عطاءه واختصهم بولايته فحدث لذلك منه نوع واضطراب وارتحل السلطان ابو حمو صاحب تلمسان فاتح سنة ثمانين يستجيشه لهؤلاء الرهط وبرزه بها الى البداوة بصريخهم ونزل على اولاد عريف اولياءه من سويد واوفد عليه ابنه فتعلل لهم بما قدم حدث في الوقت بينه وبين صاحب المغرب وانه لهم بالمرصاد متى رابهم ريب من نهوض السلطان ابي العباس اليهم متمسك بذلك طرف التوثق من ابن ابي زيان ودهادس اليهم بمشاركة اعتقاله والقاية في غيابات السجون وفي مغيب يعقوب هذا طرق السلطان بتمحيص من المرض ارجف له المفسدون بالجريد ودس شيخ ال يملول بخبره الى صبي من ابناء يحيى تخلف ببسكرة فذهل ابن مزني عن التثبيت لها ذهابا مع صاغية الولد واوليائه وجهزهم لانتهاز الفرصة في توزر مع العرب المشارطين في مثلها بالمال واعدوا السير الى توزر على حين غفلة من الدهر وزحف من الجند فلحق المنتصر واولياؤه في الامتناع وصدق الدفاع وتمحضت لهذا الابتلاء طاعة اهل توزر ومحاضتهم وانصرف ابن يملول بالخفاق من السعي واليم من الندم وتوقع المكاره ووافى ه ببسكرة وقدوم يعقوب بن علي مرجعه من المغرب فبالغ في تعنيفهم بالملامة على ما احدثوا بعده من هذه الخرقة المتسع الخرق على الراقع وكان السلطان لاول بلوغ الخبر

باجلابهم على توزر وبمالات ابن مزني على ابنه واوليايه اجمع النهوض الى بسكره
وعسكر بظاهر الحضرة وفتح ديوان العطا وجهز الات الحصار وسري الخبر بذلك
اليهم فخالفوا اعتبا ونقضوا عسه ارايهم فتمحض لهم اعتقال ابي زيان الكفيل لهم
بصريخ ابي حمو على زعمه فتقللوا عليه ببعض النزعات وتورطوا في اخفار ذمته
وطيروا بالصريخ الى ابي حمو وانتظروا فيما زاعمهم الا وافده بالعذر عن صريخهم والاعانة
بالمال فتبينوا عجزه ونبذوا عهده وبادروا والتخلية السبيل لابي زيان والعذر له
لما كان السلطان نكر عليهم من امره فارتحل عنهم ولحق بقسنطينة وحملهم يعقوب
ابن علي على اللياذ بالطاعة واوفد ابن عمه منطارحا وشافعا فتقبل السلطان
فيئته ووسيلته واغضى لابن مزني عن هناته واسعفهم بكبير دولته وخالصة
سره ابي عبد الله بن ابي هلال ليتناول منه المخالصة ويمكن له الالفة وليمسح عن
هواجس الارتياب والمخافة وكان لقيه اسنى اليهم من الحياة فنفصل عن الحضرة
وارتحل السلطان في ذي القعدة اخر سنة ثنتين وثمانين ليتفقد عماله وابتلاء للطاعة
من اهل اوطانه ولما وصل وافد السلطان الى ابن مزني القى زمامه اليه وحكمه في ذات
يده وقبله وحيي المراوغة واستجد لبوس الاغتباط والطاعة وبادر الى استجادة
المقربات وانتقى صنوف التحف وبعث بذلك في ركاب الوافد مع الذي يعليه من
الضريبة المعروفة بحملا الكبار نقاله وظهور مطاياه ووصلوا الى معسكر السلطان
ببساتين تبسة فاتح ثلاث وثمانين فجلس لهم السلطان جلوسا فخما ولقاهم قبولا و
كرامة فعرضوا الهدية واعربوا عن الاغتباط والطاعة وحسن موقع ذلك من
السلطان وشملهم احسان السلطان في مقامهم وجوازه عن الطبقات في
انصرافهم بما ملأ صدورهم احسانا ونعمة وظفروا برضى السلطان وغبطة وحسبهم
بها امنية وبيد الله تصاريف الامور ومظاهر الغيوب

الخبر عن انتقاض اولاد ابي الليل ثم مراجعتهم للطاعة

قد ذكرنا ما كان من رجوع اولاد ابي الليل هولاء الى طاعة السلطان اثر
منصرفه من فتح قابس وانهم وفدوا عليه بالحضرة فتقبلهم وعفا عن كبايرهم واسترهن
على الطاعة ابناءهم واقتضى بالوفاء على ذلك ايمانهم وخرج الاخ الكريم ابو يحيى زكريا
في العساكر لاقتضاء المغارم من هوارة التي استاثروا بها في فترة هذه الفتن وارتحل
معه اولاد ابي الليل واحلافهم من حكيم حتى استوفى جبايته وجال في اقطار عمله
ثم انكفا راجعا الى الحضرة ووفدوا معه على السلطان يتوسلون به في اسعافهم
بالعسكر الى بلاد الجريد لاقتضاء مغارمهم على العادة واستيفاء اقطاعاتهم فسرح
السلطان معهم لذلك ابنه ابا فارس وارتحلوا معه بحللهم وكان ابن مزني وابن يملول من قبله
ويعقوب ابن علي كثيرا ما يراسلونهم ويستدعونهم لمثل ما كانوا فيه من الانحراف ومتابعة
صاحب تلمسان ولما اعتقلوا ابا زيان ببسكرة كما ذكرناه وتوثقوا بصريخ ابي حمو ومظاهرته

نفثت

نفثت عروق الخلاف في اولاد ابي الليل ونزعوا الى اللحاق بيعقوب بن علي رجاء فيما لو حموه
من استفحال امرهم بصاحب تلمسان ويا سامن معاودة التغلب الذي كان لهم على ضواحي
افريقية فغادروا الامير ابا فارس بعد ان بلغوا مامنه من قفصة وصاروا باحيائهم الى الزاب
فلم يتفقوا على الغرض ولا ظفروا بالبغية ووافوا يعقوب وابن مزني وقد جاءهم وفد ابي حمو بالعوق
عن نصرتهم والامير ابو زيان قد انطلق لسانه عنهم فسقط في ايديهم وعاودهم الندم
على ما استدبروا من امرهم وحملهم يعقوب على مراجعة السلطان واوفد ابنه محمدا في ذلك
مع وافد العزيز ابي عبد الله محمد بن ابي هلال فتقبلهم واحسن التجاوز عنهم وبعث
ابا يحيى اخاه لاستقدامهم امانا لهم وتانيسا وبذل لهم فوق ما املوه من منن الهبة الرضي
والقبول واتصل النجح والظهور والحمد لله وحده

تغلب ابن يملول على توزر وارتجاعها منه

قد كان تقدم لنا ان يحيى بن يملول لما هلك ببسكرة تخلف صبيا اسمه ابو يحيى
وذكرنا كيف اجلب على توزر سنة ثنتين وثمانين مع لفيف الاعراب ورياح ومرداس
فلما كان سنة ثلاث وثمانين بعدها وقعت مفاضبة بين السلطان وبين اولاد
مهلهل من الكعوب واغذ الى منشايتهم بالصحرا انبعث اميرهم يحيى بن طالب عن هذا
الصبي ابي يحيى من بسكرة ونزل باحيايه ببساط توزر ودفع الصبي الى حصارها
واجتمع عليه شيعته من نواحي البلد واوشاب من اعراب الصحرا واجلبوا على البلد
ونادوا اهلها القتال وكان بها المنتصر ابن السلطان فقاتلهم اياما ثم تداعى
سفهاؤهم من جوانب المدينة وغلبوا عساكرهم واجروهم بالبلد ثم دخلوا عليهم وخرج
المنتصر ناجيا بنفسه الى بيت يحيى بن طالب واستذم به فاجاره وابلغه الى مامنه
بقفصة وبها عاملها عبد الله التريكي واستولى ابن يملول على توزر واستنفد ما معه
وما استخرجه من ذخائرهم بتوزر في اعطيات العرب وزادهم جباية السنة من
البلد بكمالها لم يحصل على رضاهم وبلغ الخبر الى السلطان بتونس فشمر عن ايمه
وعسكر بظاهر البلد واعترض الجند وازاح عللهم وارتحل الى ناحية الاربص وهو يستالف
العرب ويجمع لقتال اولاد مهلهل اقتالهم واعداءهم اولاد ابي الليل واولياءهم واحلافهم
ليستكثر بهم حتى نزل على فحص تبسة فاراح بهم اياما حتى توافت امداده من كل ناحية
ثم نهض يريد توزر ولما احتل بقفصة تقدم اخاه الامير ابا يحيى وابنه الامير المنتصر
في العساكر ومعهما صولة بن خالد بقومه اولاد ابي الليل وسار على اثرهم في
التعبية ولما انتهى اخوه وابنه الى توزر فحاصروها وضيقوا عليها اياما ثم وصل
السلطان فزحف اليها العساكر من جوانبها وقاتلوها يوما الى المساء ثم باكروها
بالقتال فخذل ابن يملول اصحابه وانزوع فذهب ناجيا بنفسه الى ان حل الزاب
ودخل السلطان البلد واستولى عليه واعاد ابنه الى محل امارته منه وانكفا
راجعا الى قفصة ثم الى تونس منتصف اربع وثمانين

ولاية الامير زكريا ابن السلطان على توزر

ثم عاد ابن يملول الى الاجلاب على توزر من السنة القابلة وخرج السلطان في عساكره فكر راجعاً الى الزاب ونزل السلطان نفطة ووافاه هنالك ابنه المنتصر وتظلم اهل توزر من ابي القاسم الشهرزوري الذي كان حاجباً للمنتصر فسمع شكواهم وانهى اليه الخاصة سوء دخلته وقبيح افعاله فتقبض عليه بنفطة واحتمله معتقلاً الى تونس وغضب لذلك المنتصر واقسم لا يلي على توزر وسار مع السلطان الى تونس وولى السلطان على توزر الامير زكريا من ولده الاصاغر لما كان يتوسم فيه من النجابة فصدقت فراسته فيه وقام بامرها واحسن المدافعة عنها وقام هو باستيلاف الشارد من احياء العرب وامرائهم حتى تم امره وحسنت ولايته والله متولي الامور بحكمته سبحانه

وفاة الامير ابي عبد الله صاحب بجاية

كان السلطان لما سار الى فتح تونس ولى على بجاية ابنه محمداً كما مر واقام له حاجباً واوصاه بالرجوع الى ابي محمد بن مهدي زعيم البلد وقائد الاسطول المتقدم على اهل السطارة والرجولة من رجل البلد ورماتهم فقام هذا الامير ابو عبد الله في منصب الملك ببجاية احسن قيام واصطنع ابن ابي مهدي احسن اصطناع فكان يجري في مقصوده واغراضه ويكفيه مهمه في سلطانه ويراقب مرضاة السلطان في احواله والامير يعرف له ذلك ويوفيه حقه الى ان ادركته المنية اوايل خمس وثمانين فتوفي على فراشه انس ما كان سرباً وامن روعاً مستمتعاً من رضى الله ثم ورعيته بما يفتح له ابواب الرضى من ربه وبلغ نعيه الى ابيه بتونس فبادر بانفاذ العهد لابنه ابي العباس احمد بولاية بجاية مكان ابيه وجعل كفالة امره لابن ابي مهدي مستبداً عليه واستقامت الامور على ذلك

حركة السلطان الى الزاب

كنت انتهيت بتاليف الكتاب الى ارتجاع توزر من يد ابن يملول وانا يومئذ مقيم بتونس ثم ركبت البحر منتصف اربع وثمانين الى بلاد المشرق لقضاء الفرض ونزلت بالاسكندرية ثم بمصر وصارت اخبار المغرب على السنة الواردين فمن اول ما بلغنا وفاة هذا الامير ابن السلطان ببجاية سنة خمس وثمانين ثم بلغنا بعدها حركة السلطان الى الزاب سنة ست وثمانين وذلك ان احمد بن مزني صاحب بسكرة والزاب لعهده كان مضطرب الطاعة على السلطان ويمنع في اكثر السنين المغارم معولاً على مدافعة العرب الذين ملكوا ضواحي الزاب والتلول دونه واكثر

ويوفقه في ذلك يعقوب بن علي وقومه الدواودة وقد مر طرف من اخباره في ذلك مسطوراً في اخبار الدولة وكان ابن يملول قد اوى الى بلده واتخذ وكراً في رجوعه واجلب على تونس مراراً برايه ومعونته فاحفظ ذلك السلطان ونبه له عزايمه ثم نهض سنة ست وثمانين يريد الزاب بعد ان جمع الجموع واحتشد الجنود واستالف العرب من بني سليم تستاره واتبعه واوعبوا ومر على قفصة بتسته ثم خرج من طرف جبل اوراس الى بلد تهوده واكتسح اعمال الزاب واعصوصب الدواودة ومن تبعهم من قبايل رياح على المدافعة دون بسكرة والزاب غيرة من بني سليم ان يطرقوا اوطانهم ويردوا مراعيهم الا بني سباع بن شبل من الدواودة فانهم تحيزوا الى السلطان واستنفر ابن مزني حماة وطنه ورجالة قومه من الاثبج فغصت بسكرة بجموعهم وتواقف الفريقان وناوشهم السلطان القتال اياما وهو يراسل يعقوب بن علي ويستعتبه لما كان يعهده به من المظاهرة على ابن مزني ويعقوب يتجادعه بانحراف قومه عنه وابتلائهم على ابن مزني ويرغبه في قبول طاعته ووضع اوزار الحرب مع رياح حتى يتمكن له فرصة اخرى فتقبل السلطان نصيحته في ذلك واغضى لابن مزني ولرياح عنها وقبل طاعته وضريبته المعلومة وانكفا راجعاً ومر بجبل اوراس ثم الى قسنطينة فاراح بها ثم ارتحل الى تونس فوصل اليها منتصف سنة ست وثمانين

حركة السلطان الى قابس

كان السلطان قد فتح مدينة قابس سنة احدى وثمانين وانتظمها في اعماله وشرد عنها بني مكي فذهبوا الى نواحي طرابلس وهلك كبيرهم عبد الملك وعبد الرحمن ابن اخيه احمد وذهب ابنه يحيى الى الحج واقام عبد الوهاب بزنزور ثم رجع الى جبال قابس يحاول على ملكها واستتب له ذلك بما توفر جماعة من اهل البلد بعاملها يوسف ابن الابار من صنايع السلطان لقبح ايالته وسوء سيرته فداخلوا جماعة من شيعة بني مكي في ضواحي قابس وقراها وواعدوهم فجاءوا الميعاد هم وعبد الوهاب معهم وافتتحوا باب البلد وقتلوا البواب ثم قصدوا ابن الابار فقتلوه في مسكنه سنة ثنتين وثمانين وملك عبد الوهاب البلد واستقل بها كما كان سلفه وجاء اخوه يحيى من المشرق فاجلب عليه مراراً يروم ملك البلد منه فلم يتهيا له ذلك ونزل على صاحب الحامة واقام عنده يحاول امر البلد منها فبعث عبد الوهاب الى صاحب الحامة وبذل له المال على ان يمكنه منه فبعث اليه به فاعتقله بقصر العروسيين واقام يراوغ السلطان عن الطاعة ويبذل ماله في اعراب الضاحية من ذباب وغيرهم للمدافعة عنه ومنع الضريبة التي كانوا يؤدونها للسلطان ايام طاعتهم والسلطان مشغول عنهم بمهمه فلما فرغ من شواغله بافريقية والزاب نهض اليه سنة تسع وثمانين بعد ان اعترض عساكره واستالف من العرب اولياءه وسرب فيهم عطاءه ونزل على قابس وقد استعد لها وجمع الالات لحصارها فاكتسح نواحيها وحتم عليها بعساكره يقاتلها ويقطع نخيلها حتى اعاد الكثير من الافها براحاً وتموج الهوى في ساحاتها فصح بعد ان كانوا يستوخمونه لاختفائه بين الشجر وفي مشتكل الظلال

وما لحقه بذلك من التغص فذهب عنها ما كان يعهد فيها من ذلك الوخم رحمة من الله له
اصابتهم من عذاب هذا السلطان وربما صحت الاجسام بالعلل ولما اشتد بهم الحصار
وضاق المخنق وظن ابن مكي انه قد احيط به استعتب للسلطان واستامن فاستعتبه
وامنه ورهن ابنه على الطاعة واداء الضريبة وافرج عنه السلطان وانكفا راجعا الى
تونس واستقام ابن مكي حتى كان من تغلب عمه يحيى عليه ما نذكره

رجوع المنتصر الى ولايته بتوزر وولاية اخيه زكريا على نفطة ونفزاوة

كان العرب ايام ولاية المنتصر بتوزر قد حمدوا سيرته واصفقوا على محبته والتشيع
له فلما رجع السلطان عن قابس رغبوا اليه في طريقهم ان يولي المنتصر على بلاد الجريد
كما كان ويرده الى عمله بتوزر وتولى ذلك بنو مهلهل واركبوا نساءهم الظعن في
الهوادج واعترضوا بهن سافرات مولولات دخلا عليه في اعادة المنتصر الى توزر
لما فيه من المصالح فتقبل السلطان وسيلتهن واعاده الى توزر ونقل ابنه زكرياء
الى نفطة واضاف اليها عمل نفزاوة فسار اليها واستقل بعمله واظهر من الكفاية
والاضطلاع ما تحدث به الناس عنه وكان ولايتهما اول سنة تسعين

فتنة الامير ابراهيم صاحب قسنطينة
مع الدواودة ووفاة يعقوب بن علي ثم وفاة الامير ابراهيم اثرها

كان للدواودة بقسنطينة عطاء معلوم مرتب على مراتبهم زيادة لما بايديهم من
البلاد في التلول والزاب باقطاع السلطان وضاق نطاق الدولة لهذه العصور
فضاقت الجباية وصار العرب يزدرعون الاراضي في بلادهم بالتلول ولا يحتسبون
بمغارمها فتضيق الدخل وتمنعهم السلطان العطاء من اجل ذلك فتشتد طاعتهم
وتنطلق بالعيث والنهب ايديهم ولما رجع الامير ابراهيم من حركته في ركاب ابيه الى
قابس وكان منذ اعوام ينتقص من عطائهم لذلك ويعللهم بالمواعيد فلما قفل من
قابس اجتمعوا اليه وطلبوا منه عطاءهم فتعلل عليهم وجاء يعقوب بن علي مرجعه
من الحج واشار عليه بانصاف العرب من مطالبهم فاعرض عنه وارتحل لبعض مذاهبه
وتركه ونادى في العرب بالفتنة معه يروم استيلاف اعرابه فاجابه الكثير من اولاد
سباع بن شبل واولاد سباع بن يحيى وباديتهم من ذوبان رياح وخرج يعقوب من
البلد فنزل على نقاوس فاقام بها وانطلقت ايدي قومه على تلول قسنطينة بالنهب
والانتساف حتى اكتسحوا عامتها ولحقوا به ما في البيد مثقلي الظهر ثم طرقه المرض فهلك
سنة تسعين ونقلوا اشلاءه الى بسكرة فدفنوه بها واقام بمكانه في قومه ابنه محمد على
العصيان وصعد الى التل في منتصف احدى وتسعين واستالف الامير ابراهيم اعداءه
من الدواودة واحلافهم من البادية وجنح اليه ابو ستة بن عمر اخي يعقوب بن علي بمن معه

من

من اولاد عايشة ام عمرو وخالفه اخوه وصهره ابو محمد بن يعقوب ثم تحاربوا مع الامير ابراهيم
فهزموه وقتل ابو ستة ثم جمع السلطان لحربهم ودفعهم عن التلول ومنعهم من المصيف
عامهم ذلك واغذوا الى مشاتيهم وعجزوا بعدها عن الصعود الى التلول وقضوا مصيفهم
عامهم ذلك بالزاب واغذوا منه الى المشاتي فلما رجعوا من مشاتيهم وقد فقدوا
الميرة انطلقت ايديهم على نواحي الزاب فانتسفوا زروعه وكاد ان يفسد ما بينهم وبين
ابن مزني مظاهرتهم على تلك الفتنة ثم ارتحلوا صاعدين الى التلول وقد جمع الامير ابراهيم
لدفاعهم عنه وبينما هو في ذلك الم به طايف من المرض فتوفي سنة ثنتين وتسعين
وافترقت جموعه واغذ محمد بن يعقوب السير الى نواحي قسنطينة فاحتل بها مظهرا للطاعة
متبريا من الخلاف ونادى في اهل البلاد بالامان والعمارة فصلحت احوال الرعايا والسابلة
وبعثوا الى السلطان بتونس مستامنين مستعتبين فامنهم واعتبهم وقام بقسنطينة
مكان ابنه ابراهيم ابنه وبعث من حضرته محمد ابن مولاه بشير للكفالة والقيام بدولته
فقام بامرها وصلحت الاحوال

منازلة نصارى الفرنج للمهدية

كانت امة الفرنج وراء البحر الرومي في الشمال قد صار لهم تغلب ودولة بعد انقراض
دولة الروم فملكوا جزايره مثل دانيه وسردانيه وميورقه وصقليه وملات
اساطيلهم فضاءه ثم تخطوا الى سواحل الشام وبيت المقدس فملكوها وعادت لهم
سورة الغلب في هذا البحر بعد ان كانت سورة المسلمين فيه لا تقاوم الى اخر دولة
الموحدين بكثرة اساطيله ومران راكبه فغلبهم الفرنج وعادت السورة لهم وزاحمتهم
اساطيل العرب لعهد بني مرين ايامهم فتشل ريح الفرنجة واختل مركزه ولهم بافريقية
وافترقت طوايف في اهل برشلونة وجنوه والبنادقة وغيرهم من امم الفرنجة النصرانية
واصبحوا دولا متعددة فتنبهت عزايم كثير من المسلمين بسواحل افريقية لغزو بلادهم
وشرع في ذلك اهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجمع النفر والطايفة من غزاة البحر
ويصنعون الاسطول ويتخيرون له ابطال الرجال ثم يركبونه الى سواحل الفرنجة
وجزايرهم على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه ويصادمون ما يلقون
من اساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنايم والسبي والاسرى
حتى امتلات سواحل الثغور الغربية من بجاية باسراهم تضج طرق البلد بصخب السلاسل
والاغلال عندما ينتشرون في حاجاتهم ويتغالون في فدائهم بما يتعذر معه او يكاد
فشق ذلك على امم الفرنجة وملا قلوبهم ذلا وحسرة وعجزوا عن الثار به وصرخوا
على البعد بالشكوى الى السلطان بافريقية فصم عن سماعها وتطارحوا بينهم وتكلمهم
فيما بينهم وتداعوا لنزال المسلمين والاخذ بالثار منهم وبلغ خبر استعدادهم الى السلطان
فسرح ابنه الامير ابا فارس يستنفر اهل النواحي ويكون رصدا للاسطول هنالك واجتمعت
اساطيل جنوه وبرشلونة ومن وراءهم او يجاورهم من امم النصرانية واقلعوا من جنوه فحطوا
بمراسي المهدية منتصف ثنتين وتسعين وطرقوها على حين غفلة وهي على طرف من البر داخل

داخل البحر كانه لسان دالع فارسوا عندها وضربوا عند الطرف سوارا من الخشب بينه وبين البر حتى صاروا المعقل في حكمهم وعالوا عليه بالابراج وشحنوها بالمقاتلة ليتمكنوا من قتال البلد ومن ياتيهم من مدد المسلمين وصنعوا برجا من الخشب من جهة البحر يشرف على اسوار المعقل لتعظيم نكايتهم وتحصن اهل البلد وقاتلوهم صابرين محتسبين وتوافت اليهم الامداد من نواحي البلد فنال دونهم الفرنجة وبلغ الخبر الى السلطان فاهمه امرها وسرح العساكر تترا الى مظاهرتهم ثم خرج اخوه الامير ابو يحيى زكرياء وساير بنيه فيمن حضر من العساكر فانطلقوا لجهاد هذا العدو ه واستنفروا المقاتلة من الاعراب وغيرهم فاجتمعت بساحتها امم والحوا على الفرنجة بالقتال ونضح السهام حتى اجحروهم في سورهم وبرز الفرنجة للقتال فكانت بينهم وبين المسلمين جولة جلى فيها ابناء السلطان وكاد الامير ابو فارس ان يتورط لولا حماية الله الى وقته ثم تداركت عليهم الحجارة والسهام والنفط من اسوار البلد فاحترق البرج المطل عليها من جهة البحر فوجموا الحرقه ثم ركبوا من الغد اساطيلهم واقلعوا الى بلادهم وخرج اهل المهدية يتباشرون بالنجاة ويتنادون بشكر الاله على ما اعتمدهم في نصرهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال واسر الامير ابو يحيى برم ما ثلم من اسوارها ولم ما تشعب منها وقفل الى تونس وقد انجح الله قصدهم واظهرهم على عدوهم

انتقاض قفصة وحصارها

كان السلطان ابو العباس قد ولى على قفصة عندما ملكها ابنه الامير ابا بكر واقام في خدمته من رجال دولتهم عبد الله التريكي من موالي جدهم السلطان ابي يحيى فانتظم به امره واقام بها حولا ثم تجافى عن امارتها ولحق بابيه بتونس سنة ثمانين وثمانين فجعل السلطان امر قفصة لعبد الله التريكي وولاه عليها ثقة بغنائه واضطلاعه ولم يزل واليها الى ان هلك سنة اربع وتسعين وولى السلطان مكانه ابنه محمدا وكان له اخوة اصاغر ابناء علات تنافسوا في تلك الرتبة وحسدوه عليها واغراهم به محمد الدنيدن من قرابة احمد بن العابد كان ينظر في قسمة الماء بالبلد وكان فيها عدلا ومستقلا فلم تطرقه النكبة كما طرقت قومه وابقاه السلطان بالبلد فاغرى هولاء الاخوة باخيهم ووثبوا به فاعتقلوه واظهروا العصيان ثم حملهم اعيان البلد على البراءة من بني عبد الله التريكي استرابة بهم ان يراجعوا طاعة السلطان فوثب عليهم واخرجهم واستصفاهم واستقل برياسة البلد كما كان قومه والسلطان في خلال ذلك يرعد ويبرق ويواصل الاعذار والانذار وهم يتلجلجون في طغيانهم ثم جمع جنوده واحتشد واستالف الاعراب ووفر لهم الاعطيات ونهض اليها حتى نزل بساحتها منتصف خمس وتسعين وقد استعدوا ه وتحصنوا فالح عليهم القتال واذاقهم النكال وقطع عنهم الميرة وضيق مخنقهم ثم عدا على نخلهم يقطعها حتى صرح جزوعها وفسح المجال بين الفافها ولما اشتد بهم الحصار وضاق عليهم المخنق خرج شيخهم الدنيدن الى السلطان فعقد معه صلحا على بلده ه

وقومه

وقومه فغدر به وحبسه وجاء ان يملك البلد بذلك وكان بعض بني العابد اسمه عمر بن الحسن قد انتبذ عن قفصة ايام نكبتهم وابعد في المغرب ثم رجع ونزل باطراف الزاب ولما استقل الدنيدن بقفصة قدم عليه فاقام معه اياما ثم استراب به وتقبض عليه وحبسه فلما غدر به السلطان اجتمعت عليه المشيخة وعقدوا له الامر وبعثوا الى العرب يسترحمونهم ويعطفونهم على ذخيرتهم فيه فضربوا اليهم الاموال فتصدى للدفاع عنهم صولة بن خالد بن حمزة امير اولاد ابي الليل وزحف السلطان بمعسكره من ظاهر البلد وكان اولياوه من العرب قد ابعدوا عنه في الجهات لانتجاع ابلهم فما راعه الا اطلاق صولة براياته في قومه فاجفلوا واتبعوه وما زال يكر عليهم في بنيه وخواصه حتى ردهم على اعقابهم واغذ السير الى تونس وهم في اتباعه ولم يظفروا منه بعقال الا ما كان من طعن القنا ووقع السيوف حتى وصل الى حضرته ثم ندم صولة على ما كان منه وراسل السلطان بطاعته فلم يقبله وانحدر الى مشاتيه سنة ست وتسعين واستدعى ابن يملول من عش نفاقه ببسكرة فخف اليه ودفعه ابنها ترى به في الحي احمد بن مزني صاحب الزاب ووصل ابن يملول الى صولة فاغراه بحصار توزر ونزل معه عليها بقومه فخلى الامير المنتصر في دفاعهم والامتناع عليهم حتى يئسوا واضطرب الاوئهم وافرجوا عنها مفترقين وصعد صولة الى التل للمصيف به وعاود الرغبة من السلطان في قبول طاعته وكان محمد الدنيدن لما اجفل السلطان عن قفصة تركه بتلك الناحية فلما وصل الى تونس راسل اهل قفصة في الرجوع اليهم فاجابه بعض اشياعه ودخل فغدر به عمر بن العابد وحبسه بمكانه الذي نزل به وقتله واستبد بمشيخة قفصة وخشي اهل قفصة من غائلة السلطان وسوء مغبة العصيان فبعثوا الى السلطان بطاعتهم وشرطوا عليهم نزول عامله عندهم وهذا اخر ما بلغنا عنهم ولم يبلغنا انه عقد لهم ولا لصولة امرا والله مصرف الامور بحكمته

ولاية عمر بن السلطان على سفاقس واستيلاوه منها على قابس وجزيرة جربة

هذا الامير عمر بن السلطان هو شقيق ابراهيم الذي كان امير بقسنطينة وكان في كفالة اخيه ابراهيم فلما توفي كما مر لحق بالسلطان ابيه واقام عنده ولما كان من وفاة ابي بكر بن ثابت شيخ طرابلس ما قدمناه واضطرب قومه من بعده ونزع قايدهم قاسم بن خلف الى السلطان فبعث معه ابنه عمر هذا سنة ثنتين وتسعين لحصار طرابلس واقام عليها حولا كريتا يحاصرها ويمنع الاقوات عنها حتى ضجروا وضجر من طول المقامة وقد اتحفوه بالضريبة وانكفا راجعا الى ابيه سنة خمس وتسعين ووافاه قايما

على قفصة عند ما انتقضوا عليه وقد كان نزع في ضريبته على جربه واراد الدخول
اليها فمنعه عامل ابيه بها من الموالي المعلوجي فانف من ذلك وشكا الى ابيه فولاه
على سفاقس بولاية جربه فسار هو الى سفاقس ولجاز البحر الى جزيرة جربه وانضم
اليه جميع من بها من القبايل وامتنع العلج مسعود العامل بحصنها المسمى بالقشتيل
بلسان الافرنج حتى كاتب السلطان وامر بتمكين ابنه من الحصن والافراج له عن الجزيرة
اجمع فاستبد بها ثم ان الامير عمر سما الى ملك قابس فداخل اهل الحامة جار بها الجلبة
عليها على الايام في ذلك واجابوه وسار واتبعه بجموعهم سنة ست وتسعين فبيتها
وملكها وقبض على رئيسها عمر بن عبد الملك بن مكي فضرب عنقه وانقرض امر بني مكي
من قابس واستقل بها الامير عمر مضافة الى ما كان بيده والله وارث الامور

وفاة السلطان ابي العباس وولاية
ابنه ابي فارس عزوز

كان السلطان ابو العباس قد ازمن به وجع النقرس حتى كان في غالب اسفاره
يحمل على البغال في المحفة ثم اشتد به اخر عمره واشرف في سنة ست وتسعين على
الهلكة وكان اخوه زكرياء رديفه في الملك والمرشح بعده للامر وابنه محمد واليا على
بونه موضع امارته من قبل وكان للسلطان ولد كثيرون يتطاولون الى مكان ابيهم
ويغصون بعمهم زكرياء ويخشون غائلته بعد ابيهم فلما قارب السلطان منيته
استدرجهم واشفقهم من عمهم وبعث السلطان كبيرهم ابا بكر بعهده على قسنطينة
فسار اليها بين يدي موته واعصوصب الباقون على كبيرهم بعده ابي فارس عزوز
فقبضوا على عمهم زكرياء وقد دخل يعود اخاه واودعوه في بعض الحجر ووكلوا به
وهلك السلطان لثلاث بعدها فبايعوا الخاتم ابا فارس رابع شعبان سنة ست
وثمانين وجاء اهل البلد الى بيعته افواجا من الاعيان والكافة فتمت بيعته
واستنقذ ما في بيت عمه من الاموال والذخيرة الى قصره حتى استوعبها وضيق عليه
في محبسه وقام بتدبير ملكه وسياسة سلطانه وولى بعض اخواله على منابر عمله
بالنزلية فبعث على سوسة على المهدية وردف اخاه اسماعيل
في ملكه بتونس وحال الباقين محل الشورى والمفاوضة وبلغ الخبر الى اخيه المنتصر
بتوزر فاضطرب امره ولحق بالحامة فاقام بها وكذلك اخوه زكرياء بنفطة فلحق
بعياد نفزاوة وكان اخوه ابو بكر لما سار الى قسنطينة لولاية ابيه قبيل وفاته مر
ببونة فلقيه صاحب الامير محمد بن عمه زكرياء بما شاء من انواع الكرامة
والبر ووافى قسنطينة فطلب منه القايمون بها كتاب السلطان بعهده عليها
فاقرأهم اياه وفتحوا له الابواب فدخل واستولى على امرها وكان خالصة
السلطان محمد بن ابي هلال قد بعثه السلطان قبل موته الى السلطان ابي فارس
عبد العزيز المتولي بالمغرب بعد وفاة ابيه السلطان ابي العباس ابن ابي سالم

في

في صفر من شهور السنة وحمله من الهدايا والتحف ما يليق بامثالهما فسار فلما
انتهى الى ميله بلغه الخبر بوفاة السلطان مرسله واوعز اليه الامير ابو بكر من
قسنطينة بالرجوع اليه فرجع لمرتبته واستقر عنده هنالك هذا اخر ما بلغنا
من الاخبار الصحيحة عنهم لهذه السنين وحالهم على ذلك لهذا العهد والملك
بيد الله يؤتيه من يشاء

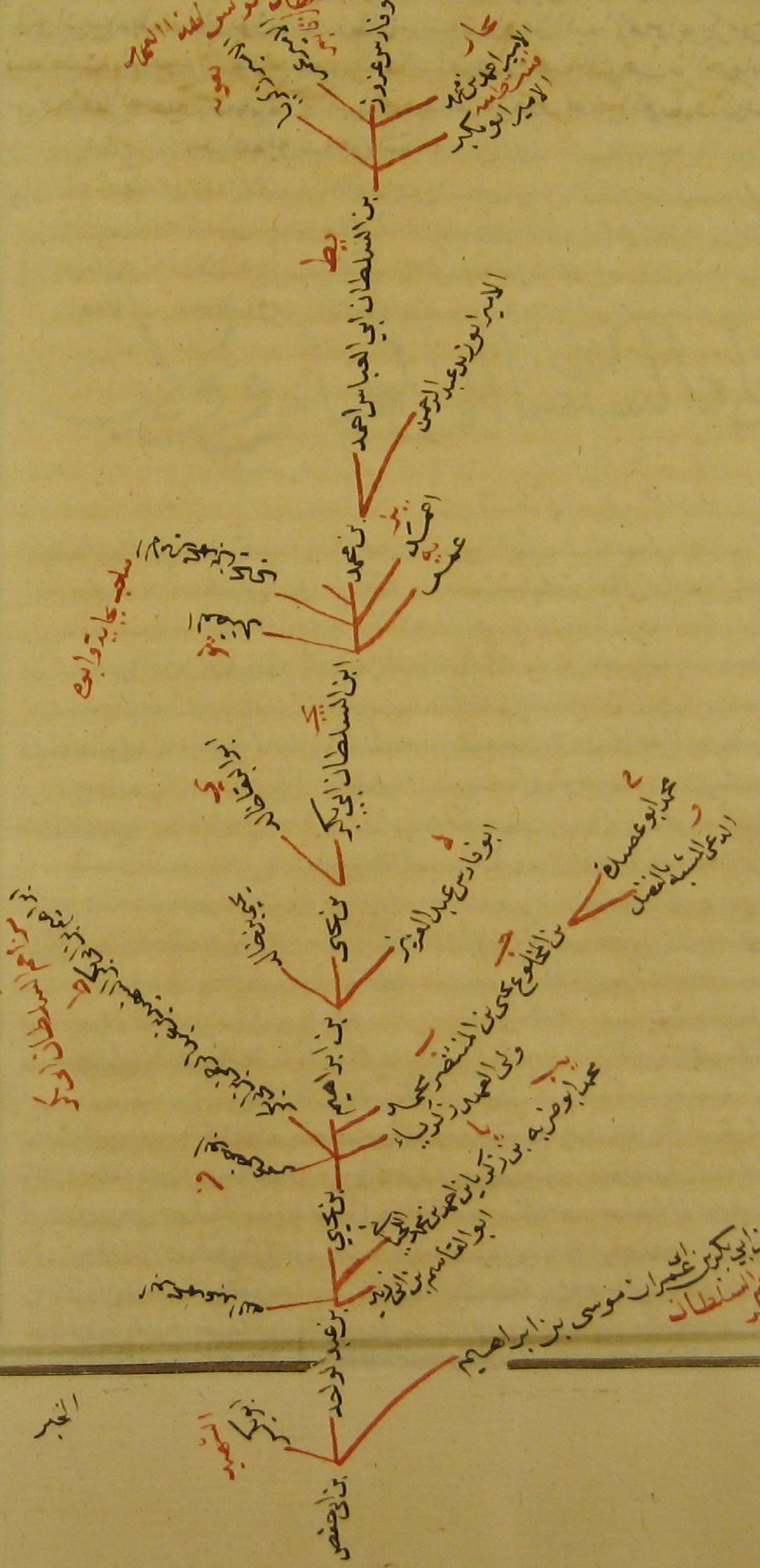
سلطان تونس لهذا العهد
ابو فارس عزوز
الامير ابو بكر
ابن السلطان ابي العباس احمد
الامير ابو زيد عبد الرحمن
بن محمد
عمر
صاحب بجاية وابوه
ابن السلطان ابي بكر
ابو فارس عبد العزيز
محمد ابو عصيدة
الدعي المسمى بالفضل
بن المخلوع يحيى بن المنتصر
محمد
ابو القاسم بن ابي زيد
محمد بن ابي بكر بن عمران موسى بن ابراهيم
السلطان
بن ابراهيم
بن يحيى
بن عبد الواحد
بن ابي حفص

الخبر

الخبر عن بني مزني امراء بسكره وما اليها من الزاب

هذا البلد بسكره هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالمغرب الى قصور تنومة وبادس من المشرق يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل حاجز من المغرب الى المشرق ذو ثنايا تفضي اليه من تلك الحضنة وهو جبل درن المتصل من اقصى المغرب الى قبلة برقة ويعثر بعض ذلك الجبل في عادات الزاب من غربيه ثنايا عمرت من زناتة ويتصل من شرقيه بجبل اوراس المطل على بسكره المعترض في ذلك البسيط من القبلة الى الجنوب وهو جبل مشهور الذكر ياتي الخبر عن بعض ساكنيه وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب واولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلي وزاب بسكره وزاب تهودا وزاب بادس وبسكره ام هذه القرى كلها وكانت مشيختها في القديم بعد الاغالبة والشيعة لعهد صنهاجة ملوك القلعة في بني رمان من اهلها بما كثروا ساكنها وملكوا عامة ضياعها كان لجعفر ابن ابي رمان منهم صيت وشهرة وربما نقضوا الطاعة لعهد بلكين بن محمد بن حماد صاحب القلعة في سني خمسين دار بجاية وضبطوا البلد واستغلوا وتولى كبر ذلك جعفر بن ابي رمانة وثار لهم جيوش صنهاجة الى نظر الوزير خلف بن ابي حيدرة من صنائع الدولة فافتتحها عليهم واحتملهم الى القلعة فقتلهم بلكين جميعا وجعلهم عظة لمن بعدهم واصار امر الشورى لبني سندي من اهلها وكان لعروس منهم بعد ذلك خلوص في الطاعة وانحياش الى الدولة على حين تقلص ظلها وفشل ريحها والوى الهرم بشبابها وهو الذي فتك بالمنتصر بن خزرون الزناتي عند وفوده له من المشرق واجلابه على السلطان وقومه من مغراوة واعراب الاثبج وبني عدي من بني هلال بمعرة السلطان واقطعه ضواحي الزاب وريغة طعمة ودس الى عروس في الفتك به ففعل كما قدمناه ذكره في اخبار ال حماد وانقرضت رياسة بني سندي بانقراض امراء صنهاجة من افريقية وجاءت دولة الموحدين والكرة والست لبني رمان وكان بنو مزني لعصابين لفايف الاعراب وصلوا الى افريقية احلافا لطوالع بني هلال بن عامر في المائة الخامسة كما قدمناه ونسبتهم بزعمهم في مازن من فزارة والصحيح انهم في لطيف من الاثبج من بني جري ابن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف واسم ابيهم مزني بن ديفل بن محيا ابن جري هكذا تلقيته من بعض نسابة الهلاليين ويشهد لذلك الموطن فان اهل الزاب كلهم من افاريق الاثبج عجزوا عن الظعن ونزلوا قراه على من كان بها قبلهم من زناتة ووطوا العيث وانما يرغبون عن هذا النسب الى فزارة لما صار اليه اهل الاثبج بالزاب من المغرم والوضائع فيستنكفون لذلك وينتسبون الى غرائب الانساب وكان اول نزلهم بقرية من قرى بسكره كانت تعرف بقرية حياس ثم عفوا وتاثلوا واخذوا

مع اهل بسكره بحظ وافر في تلك المقاعد والمياه ثم انتقلوا الى البلد واستمتعوا منها بالمنازل والظلال وقاسموا اهلها في الحلو والمر وانتظم كبارهم في ارباب الشورى من المشيخة ثم استنكف بنو رمان من انتظامهم معهم وحسدوهم ما اتاهم الله من فضله وحرزوهم على انفسهم فاضطرمت بينهم نار العداوة والاحن كان اولها الكلام والترافع الى سدة السلطان بتونس على حين استقلال ابي حفص بافريقية والعهد للامير ابي زكريا وابنه السلطان المستنصر ثم تناجزوا الحرب وتواقعوا بسكك المدينة وكانت عاقبة الدولة مع بني رمان لعصبيتهم في البلد ولما خرج الامير ابو اسحاق على اخيه محمد المستنصر لاول بيعته ولحق بالدواودة من العرب وبايع له موسى بن محمد بن مسعود البلط امير البدو وبنو عمه واغذ بهم بسكره وبلاد الزاب واناخ عليها بكلكله كما قدمناه قام لدعوته فضل بن علي بن احمد ابن الحسن بن علي بن مزني بدعوته واخذ بني اهل البلد بطاعته واتبعوه على كره ثم عاجلتهم عساكر السلطان واجهضتهم عن الزاب فاعتلق فضل بن علي به واستمسك بذيله صحبه في طريقه الى الاندلس وبدار غربته منها الى ان هلك المستنصر اخوه وهيا الله له من امر الخلافة ما هيا حسبما ذكرناه ولما تم امره واستقر بتونس كرسي خلافته عقد لفضل بن علي على الزاب ولاخيه عبد الواحد على بلاد الجريد رعيا لذمة خدمتهما وذكرا لايلافهما في المنزل الخشن وصحبتهما فتقدم واليا على الزاب ودخل بسكره واستكان بنو رمان لصولته وانقادوا الى مرضاة الدولة الى امره فلم يحسنوا امكانه في سلطانه واصطنع بتلك الولاية ما شاء الله ثم كان شان الدعي ابن ابي عمارة وتلبيسه وهلك السلطان ابي اسحاق على يده ثم ثار منه السلطان ابو حفص باخيه واسترجع ما ضاع من ملكهم وكل منهم بنو بعنايته ويعود في امر الزاب على كفايته وسيم اعداوه بنو رمان ايام ولايته فاستحلوا اولاد حريز من لطيف احد بطون الاثابج كانوا نزلوا بقرية ماشاش لصق المدينة حين عجزوا عن الظعن وخالطوا اهل البلد في احوالهم واستراحوا معهم بالنسب والصهر فاغروهم بفضل بن علي ان يكون التقدم لهم في الفتك به وتناول الامر من يده وان يحزبوا بيوتهم من قرية ماشاش بايديهم ليسكنوا اليهم ويطمئنوا الى ولايتهم حلفا عقدوه على المكر بهم ولما اوقعوا به بظاهر البلد في بعض ايام ركوبه سنة ثلاث وثمانين ونزلوا من امر الزاب ما كان يتولاه تنكر لهم بنو رمان تحولا من ذلك الحلف ونابذوهم العهد فخرجوا عن البلد وفقدوا المأوى للحرس بماشاش وتريب فتفرقوا في بلاد ريغه واستبد بنو رمان بشورى بسكره والزاب منتقضين عليهم وعلى السلطان والدواودة وقد تغلبوا عليه وعلى بلاد الحضنة من وراية نقاوس ومقرة والمسيلة وكان منصور بن فضل بن علي عند مهلك ابيه بالحضرة في بعض شؤونه فلما هلك ابوه واستبد بنو رمان بعده بثوا السعايات فيه الى السلطان بالحضرة فانبعثت وتقبض عليه واعتقل ايام السلطان ابي حفص ولما تغلب المولى ابو زكرياء يحيى بن الامير ابي اسحاق على بجاية وقسنطينة وبونة واستقل بامرها وانقسمت دولة

ال

ال ابي حفص بملكه ذلك منها تمسك اهل الزاب بدعوة صاحب الحضرة المولى ابي حفص وفر منصور بن فضل بن علي من محبسه بتونس ولحق ببجاية بعد مهلك الحاجب القايم بالامر ابي الحسين بن سيد الناس وتولية السلطان ابي زكريا مكانه كاتبه ابا القاسم بن ابي حي سنة احدى وتسعين وستماية فلازم خدمته وحض عليه وصانعه بوجوه التحف وضمن له تحويل الدعوة بالزاب لسلطانه وتسريب امواله وجبايته اليه واستماله بذلك فعقد له على الزاب وامده بالعسكر فنازل بسكره ووفد اهلها بنو رمان على السلطان ببجاية ببيعتهم فرجعهم على الاعقاب الى عاملهم منصور وكتب اليه بقبول فيئتهم فدخل البلد سنة ثلاث وتسعين وكادهم في بناء القصر لشيعته وتحصين العسكر بسوره ثم نابذهم العهد وثار بهم فاجلاهم عن البلد واستمكن فيها ورسخت قدم امارته فيها واستبد بجباية السلطان واتسع له نطاق العمالة فاستضاف الى عمل الزاب جبل اوراس وقرى ريغه وبلاد واركلي وقرى الحضنة مقرة ونقاوس والمسيلة فعقد له السلطان على جميعها ودفعه الى مزاحمة العرب في جبايتها وانهاش لحومها اذ كانوا قد غلبوا على ساير الضواحي فساهمهم في جبايتها حتى كاد يغلبهم عليها ووفر اموال الدولة وانمى الخراج وصانع رجال السلطان فاطبقوا عليه بالمحبة وجذبوا بضبعه الى اقصى مراتب الاصطناع فاثرى واحتجن الاموال ورسخت عروق رياسته ببسكره وتشعبت منابت عزه وهلك المولى ابو زكرياء الاوسط على راس المائة السابعة وولي مكانه ابنه الامير ابا البقاء خالد كما قدمناه وقام بامر حجابته ابو عبد الرحمن بن عمر وكان لمنصور بن فضل هذا اختصاص به واعتلاق بسبب جاهه فاستنام اليه وعول في ساير الضواحي من ممالك السلطان على نظره وعقد له على بلاد التل من ارض سدويكش وعياض فاستضافها الى عمله وجرد عن ساعد كفايته في جبايتها فلقم غثيثها وتعرف ينابيعها ثم حدثت بينه وبين الدواودة منافرة واجلب على قسنطينة يحيى بن خالد من السلطان ابي اسحاق جاء به من تلمسان وبايع له واستالف الدواودة لشايعته ونازل به قسنطينة ثم اطلع على كامن غدره فيه وما طوي عليه من التربص به فحل عقدته ولحق ببسكره وراجع الطاعة ولحق به يحيى بن خالد فاعتقله الى ان هلك سنة عشرين وكانت بينه وبين المرابطين اهل السنة من العرب اتباع سعادة المشهور الذكر فتن وحروب طالبوه بترك المغارم والمكوس تخفيفا عن الرعية وعملا بالسنة التي كانوا ملتزمين لطريقها ونازلوه من اجل ذلك ببسكره مرارا ثم هلك سعادة في بعض حروبه عليها كما مر في ذكره سنة خمسين وسبعماية وجمع منصور بن مزني للمرابطين وبعث عسكره يقوده ابنه علي بن منصور ومع علي بن احمد شيخ الدواودة وعلى المرابطين ابو يحيى بن احمد اخوه ومعه رجالات المرابطين مثل عيسى بن يحيى بن ادريس شيخ اولاد عساكر وعطية بن سليمان بن سباع وحسن بن سلامة شيخ اولاد طلحة فهزموا عسكر بن مزني وقتلوا ابنه عليا وتقبضوا على علي بن احمد ثم منوا عليه واطلقوه ورجعوا الى بسكره فنازلوها وقطعوا نخيلها ثم عاودوه ثانية وثالثة ولم يزل

الحرب بينه وبين هولاء المرابطين ساير ايامه وكان الحاجب ابن عمر قد استخلصه لنفسه واحله محل الثقة بخلته والاستنامة الى صفايه ولما نهض السلطان ابو البقا الى تونس احجبه الحاجب في جملته حتى اذا اعمل المكيدة في الانصراف عن السلطان شاركه في تدبيرها الى ان تمت كما قدمناه ورجع الحاجب الى قسنطينه وصرفه الى مكان عمله من الزاب وكان يتردد اليه ببجاية للزيارة والمطالعة في اعماله الى ان غدر به العرب في بعض طرقه اليها وتقبض عليه من امراء الدواودة علي بن احمد بن عمر بن محمد بن مسعود وسليمان بن علي بن سباع بن يحيى بن مسعود على حين احتد باحبل الامارة من يد عثمان بن سباع بن شبل بن موسى بن محمد واقتسما رياسة الدواودة بينهما فاستمكنا من هذا العامل منصور بن فضل في مرجعه من عمله ببلاد سدويكش واو ثقوه اعتقالا وسموا لقتله فافتدى منهم بخمسة قناطير من الذهب ارتاشوا بمكسوبها وصرفوا في وجوه رياستهم انفاقها وقبض منصور ابن فضل عنانه عن السفر بعدها الى الاحايين وبعد اخذ الرهن من العرب الى ان كانت حركة مولانا السلطان ابي يحيى الى تونس سنة سبع عشرة اول حركاته اليها وطالب صاحبه يعقوب بن عمر وهو بثغر بجاية بالاموال للنفقات والاعطيات فبعث اليه بمنصور بن فضل واشار بعقد له على جبايته ليقوم بامره ويكفيه مهمات شونه واعتدها منصور على ابن عمر فساء ظنه وتنكر له ابن عمر وحالت صبغة وده وانكفا السلطان من حركته تلك محقق السعي بعد ان نزل ظاهر تونس بعساكره كما قدمناه ولما احتل بقسنطينه بدت له من يعقوب بن عمر صاحب الثغر مخايل الامتناع فاقصر عن اللحاق به وترددت بينهما الرسل وبعث ابن عمر في منصور بن فضل وتندمه بالسر فاجاب داعيه وصحب قايد السلطان يومئذ محمد بن ابي الحسين بن سيد الناس اليه حتى اذا كان ببعض الطريق عدل الى بلده وهم به القايد فانجاه اولياوه من العرب عثمان بن الناصر شيخ اولاد حربي ويعقوب بن ادريس شيخ اولاد حنفر ومن معهم من دونهم ولحق ببسكره وبلغ الخبر الى ابن عمر فقرع سن الندم اليه وشايع منصور بن مزني عدوهم صاحب تلمسان ابا تاشفين ودخل في دعوته واوفد ابنه يوسف عليه بالطاعة والهدية وملك السلطان خلال ذلك تونس وساير بلاد افريقية وهلك ابن عمر سنة تسع عشرة ولم يزل منصور ابن مزني ممتنعا ساير ايامه على الدولة والعساكر من بجاية تتردد لمنازلته الى ان هلك سنة خمس وعشرين وسبعماية وقام بامره من بعده ابنه عبد الواحد فعقد له السلطان على عمل ابيه بالزاب واستضاف اليه ما وراءه من البلاد الصحراوية وترك دبعه وواركلا وكان السلطان قد عقد على الثغر بعد مهلك ابن عمر لمحمد بن ابي الحسين بن سيد الناس وجعل له كفالة ابنه يحيى ودفعه اليه فتجددت الوحشة بين عبد الواحد هذا وبين صاحب الثغر في سبيل المنافسة في المرتبة عند السلطان بما كانوا جميعا صنايع وبطانة للحاجب ابن عمر وبعث العساكر لحربه ومنازلة حصنه وناول عبد الواحد هذا الاذيان مخالفي الدولة طرفا من حبل طاعته

يقتبل

يقتبل منها مذاهب ابيه اخر عمره وطال تمرس الجيوش به الى ان استحق منه عبد الواحد بصهر عقده له على ابنته واشترط المهادنة وتسليم الجباية وتودع امره الى اذا اغتاله اخوه يوسف سنة تسع وعشرين بمداخلة بطانتهم من بني سماط وبني ابي كوايه ولما احكم مداخلتهم في شانه اذنه غشاء للشورى معه في بعض المهمات وطعنه بخنجره فاشواه وهلك لحينه واستقل يوسف بن منصور بامارة الزاب ووصله مرسوم السلطان بالتقليد والخلع على العادة واجرى الرسم في الدعاء له على منابر عمله وكان السلطان قد استدعى محمد بن سيد الناس من الثغر لحجابته وفوض له امور ملكه فلهجت نار العداوة والاحن القديمة ما بينه وبين يوسف بن منصور عامل الزاب وهم به لولا ما اخذ بحجزته من الشغل الشاغل للدولة بحيث ال زيان وهلك الحاجب سنة ثنتين وثلاثين في نكبة السلطان اياه كما ذكرناه وعقد لمحمد بن الحكيم على القيادة وجعل بيده زمام العساكر وفوض له ساير الغزو والضواحي فاحرز رتبته وحكمه في دولته وتغلب على امره على حين فزع السلطان من الشغل بمدافعة عدوه وحط ما كان من اصرهم على كاهل دولته هو ونهض السلطان ابو الحسن الى بني يغمراسن فعلم اطفا اعتدايهم وفل شبا عزايمهم كما شرحناه قبل ونازلتي القايد محمد بن الحكيم مع يوسف بن منصور نار العداوة واثار له من السلطان كامن الحفيظة وصرف وجوه العزايم الى حمله على الجادة وتقويمه عن المراوغة في الطاعة وناهضه بالعساكر مرات ثلاثا ثابت اخذه في كلها بتسليم الجباية اليه ثم كانت بينه وبين علي بن احمد كبير الدواودة فتن وحروب دعا اليها منافسة علي في استبداده بمال الجباية دونه فواضعه الحرب ودعى العرب الى منازلته بموها بالدعاء الى السنة وحشد اهل ريغ لذلك ونازله واخرج عنه ابنه يعقوب ودخل الى بسكره فاصهر له ابن مزني في اخته بنت منصور بن فضل وعقد له عليها بحسن دفاعه عنه وبعث ابن مزني عن سليمان بن علي كبير اولاد سباع وقويع علي بن احمد في شوله فكان عنده ببسكره يغاديه القتال ويراوحه الى ان امتنع ابن مزني ورحل علي بن احمد عن بسكره وصار مع ابن مزني الى الاتفاق والمهادنة اعوام الاربعين من الماية الثامنة ثم كانت غزاة القايد بن الحكيم اليه بمنعرس ابن بعثه بعد ان نازل بلاد الجريد واقتضى طاعتهم ومغارمهم واسترهن ولدين بهلولهم ارتحل الى الزاب في جنوده ومعه العرب من سليم فاجفل بالزاب ونزل بلاد اوماش من قراه وفوت العرب من الدواودة وساير رباح امامه ودافعه يوسف بن مزني بهديته دفعها اليه وهو بمكانه من اوماش وارتحل عنه الى بلاده ريغ فافتتح تقرت معقلهم واستباحها ودوخ ساير اعمالها ورجع الى تونس ونكبه السلطان قايدها محمد بن الحكيم هنا سنة اربع واربعين وولى ابنه ابو حفص عمر هوب وحشى الحاجب ابو محمد بن تافراكين بادرته وسعاية بطانته فلحق بملك المغرب المر السنا المطل على الممالك يعسوب القبايل والعساكر ابي الحسن داعراه بملك افريقية واستنجزه اليها فنهض من الامم العريضة سنة ثمان واربعين كما ذكرنا ذلك كله في تبلد ووفد عليه يوسف بن منصور امير الزاب بمعسكره من بني حسن فلقاه بر

وترحيبا واستتبعه في جملته الى قسنطينة ثم عقد له على الزاب وما وراءه من قرى
ريغة وواركلي وصرفه الى عمالته واستقبل تونس واسرع برفع الجباية اليه مع العمال
القادمين من اقصى المغرب على راس الحول فاستعد لذلك حتى اذا سمع بوصولهم
من المغرب لحقهم بقسنطينة وفجاءهم هنالك جميعا الخبر بنكبة السلطان على
القيروان كما ذكرناه ونذكره فاعتزم على اللحاق بابله واعصوصب عليه يعقوب بن علي بن
احمد امير البدو بالناحية الغربية من افريقية لاذمة صهر كانت بينهما ومخالصة
وتحيز اليهم من كان بقسنطينة من اولياء السلطان وحاشيته وعماله ورسل
الطاغية والسودان الوافدين مع ابنه عبد الله من اصاغر بنيه واواهم يوسف
بن منصور جميعا اليه وانزلهم ببلده وكفاهم مهمهم شهورا من الدهر حتى خلص
السلطان من القيروان الى تونس ولحقوا به مع يعقوب بن علي فكانت تلك يدا اتخذها
يوسف بن منصور عند السلطان ابي الحسن وبنيه في الايام ثم اتبع ذلك بمخالفة
رؤساء النواحي من افريقية جميعا في الانتقاض عليه واقام متمسكا بطاعته يسرب
الاموال اليه بتونس وبالجزائر عند خلوصه اليها من النكبة البحرية كما سنذكره
ويدعو له على منابره بعد تقويضه عن الجزائر الى المغرب الاقصى لاسترجاع ملكه
الى ان هلك السلطان ابو الحسن بجبل هنتاتة من اقصى المغرب سنة اثنتين وخمسين
واستقام امر الدولة المرينية لابنه السلطان ابي عنان الخليفة المذكور وقد استصفى
الى ملكه ملك تلمسان ومحا ما جدده بنو عبد الواد بها من رسوم ملكهم وجمع
كلمة زناتة واطل على البلاد الشرقية سنة ثلاث وخمسين بادر يوسف بن منصور
بطاعته فاتاها طواعية واوفد على السلطان رسله بكتاب بيعته ثم اوفد عليه ثانيا
مع حاجبه الكاتب ابي عبد الله محمد بن ابي عمرو وبعثه العساكر لتدويخ افريقية
وتمهيد ملكه ببجاية كما سنذكره واوفد عليه امراء القبائل والبدو ورؤساء
النواحي سنة اربع وخمسين ووفد في جملتهم يوسف بن منصور امير الزاب ويعقوب
بن علي امير البدو وسائر رؤساء الدواودة فلقاهم السلطان تكرمة ورعيت
لاذمة خلوصهم لابنه وقومه من بين اهل افريقية واسنى جوائزهم وعقد ليوسف
بن مزني على الزاب وما وراءه من بلاد ريغة وواركلي على عادته وانقلب محبورا
وقد ثبت له من ولاية السلطان ومخالصته حظ ورفع له ببساط مجلسه ولما
نهض السلطان الى افريقية لافتتاح قسنطينة سنة ثمان وخمسين كما سنذكره
تلقاه يوسف بن منصور على قسنطينة فخالطه باوليائه ونظمه في طبقات وزرائه
واستوحش يعقوب بن علي يومئذ من مطالبته بالرهن له ولقومه وانتقض واحتمل
احياءه الى بلاد الزاب وما وراءها من الصحراء وارتحل السلطان بعساكره في طلبهم
الى ان احتل ببلاد الزاب وخرب بلاد يعقوب بن علي بالزاب والتل لقطع شجرها
وتغوير مياهها وهدم بنائها ونسف اثارها ودخل يعقوب باحيائه الرمل
واعجزوا السلطان فانكفا راجعا واحتل بظاهر بسكرة فتلوم بها ثلاثا لاراحة
العساكر واراحة عللهم من وعثاء السفر وشعث الصحراء فغرب يوسف بن منصور
في قرى عسكره ايام مقامه بما تم لهم فيها من العلوفة والحنطة والاثمان والادم

بما

بما ارغد عيشهم وكفاهم مهمهم وتحدث بها الناس دهرا ورفع اليه جباية الزاب
لعامه قناطير من الذهب دفعة ببيت المال فتنصبه القهارمة من ثقاته واجزل
السلطان مثوبته واسنى عطيته واخصته بكسوة بناته وعياله من كسى حرمه
وثياب قصره وانكفا راجعا الى حضرته ثم اوفد يوسف بن منصور ابنه احمد على
السلطان بسدته من فاس عند منصرفه وزيره سليمان بن داود من حركة افريقية
سنة تسع وخمسين واصحبه هدية من عتاق الخيل وفاره الرقيق واقام اياما
في نزل كريم ومحل من المجلس رفيع الى ان هلك السلطان خاتمة تسع وخمسين
فادعن القائم بالدولة من بعده مصابرته واسنى صلته وصرفه الى عمله واستوصى به
النواحي والثغور في طريقه ولم يلبث ان نشبت نار الفتنة وابترك المحواج بالجهات
بعد مهلك السلطان فخلص الى ابيه بعد عنائه وعلى ياس من النجاة بعد ان حصل
في قبضة ابي حمو سلطان بني عبد الواد عند استيلائه على تلمسان وهو بها من
بني مرين وقدرتهم مجتازا الى وطنه فاجاره عليه صغير بن عامر شيخ بني عامر
من زغبة رعيا لاذمة ابيه يوسف صاحب الزاب وتاميلا للعرب فيه وفي اعماله
وبعد ان بذل له من ذات يده ومن طرف ما وصله به بنو مرين من ذخايرهم فبعث
معه صغير ركابا من قومه البعوم مامنه فكانت احدى الغرايب في نجاته واسترجع
الموحدون ثغورهم ببجاية وقسنطينة من يد بني مرين وازعجوا عنها العساكر
المجمرة بها من قبائلهم كما قدمناه فراجع يوسف بن منصور طاعته المعروفة لهم
الى ان هلك سنة سبع وستين ليوم عاشوراء وقام بامره ابنه احمد وجرى على
سننه وهو لهذا العهد امير على الزاب بمحل ابيه من امارته متقيلا في مذهبه
وطريقه الا ان خلق ابيه كان سجية وخلق هذا ملهوفا لما فيه من التحذلق
ورياح يتخلق ما يشاء ويعتاد وله ولد كبيرهم ابو يحيى من بنت محمد بن يملول اخت يحيى
وهو لهذا العهد موشح لمكانه ولما حلت باهل الجريد الفاقرة ونزل به يحيى بن يملول
المسوم على قطنه توجس الخيفة من السلطان وتوقع المطالبة بطاعة غير طاعته
المعروفة فسرب الاموال في العرب ومد يده الى حبل صاحب تلمسان ليتمسك به فوجده
قاصرا عنه واقام يتقدم في امره رجلا ويوخر اخرى ثم قذف الله نور الهداية في قلبه
واراه سنن رشده وبادر الى الاستقامة في الطاعة والعدول عن المراوغة
و ومكله وافد السلطان ابي العباس شيخ الموحدين ابو عبد الله بن ابي هلال
وكشف له قناع المخالصة والاخلاص وبعث معه وفد بهديته واستقامته
وتقبله السلطان واعاده الى احسن الاحوال الرضى عنه والله متولى الامور
سبحانه

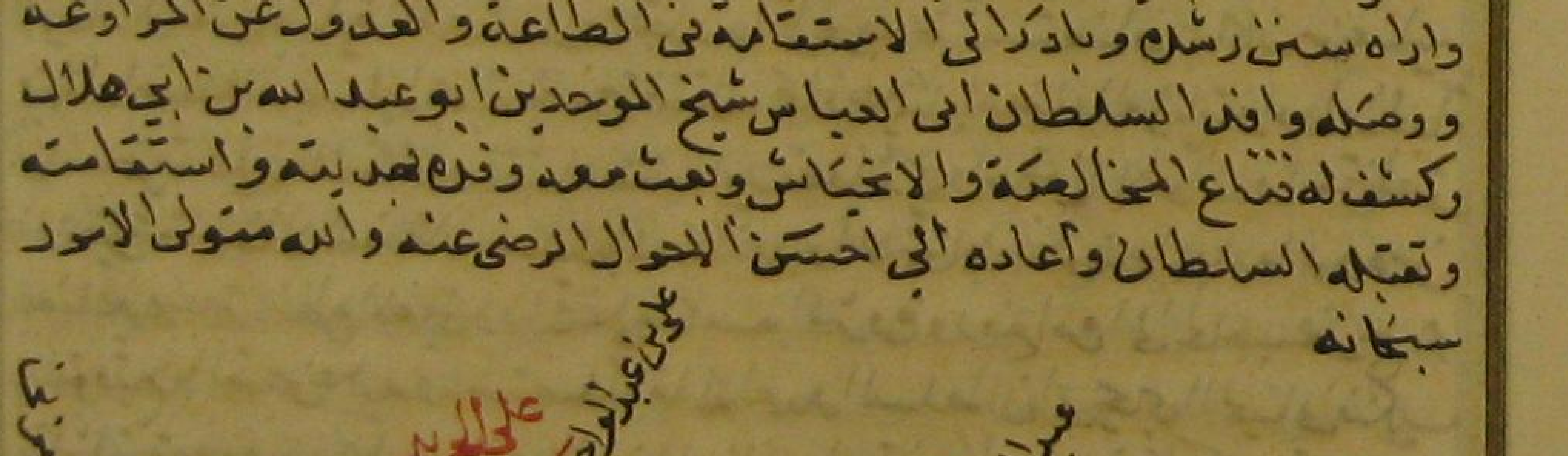

ابو يحيى بن احمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن احمد بن الحسن بن علي بن مزني
عبد الواحد
علي بن عبد الواحد
علي الجريد
هـ
د
ج
ب
ا

الخبر عن رياسة بني ابن يملول بتوزر

وبني الخلف بنفطة وبني ابي منيع بالحامة

زعيم هولاء الروساء ابن يملول صاحب توزر لاتساع بلده وتمدن مصره واختلا
منهما باهل الغزي من قطره وهو يحيى بن محمد بن احمد بن محمد بن يملول ونسبهم بزعمهم
الى طوالع العرب من تنوخ استقروا لعهد العصبية منذ اول الفتح فعمروا وتاثلوا
ورسخت به عروقهم نسبا وصهرا حتى انتظموا في بيوتات الشورى المتقدمين
للوفادة على الملوك وتلقي العمال القادمين من دار الخلافة والنظر في مصالح
الكافة ايام ال حماد بالقلعة وال عبد المومن بمراكش وال ابي حفص بتونس مثل بني
واطاس وبني فرقان وبني مارده وبني عوض وكان التقدم فيهم ايام عبيد الله
الشيعي لابن فرقان وهو الذي اخرج ابا يزيد حين شغبه ثم القيام على
ابي القاسم القايم وايام الحماد ليحيى بن واطاس فهو المنازع بطاعة اهل قسطيلية
اليهم عن ال بلكين ملوك القيروان حين انقسمت دولة ال زيري وافترق امرهم
ثم عادت الرياسة لبني فرقان لاول دولة الموحدين ومنهم كان الذي لقي عبد المومن
واتاه الطاعة عن نفسه وعن اهل بلده توزر فتقبله ووصله وصار الامر للموحدين
يتخوامنها اثار المشيخة والاستبداد ونشا احمد هذا الجد مترامیا الى الرياسة
لهذا العهد يدافع عنها بالراح ويزاحم بالمناكب من وجوه البلد واشراف الوطن
وسعى به الى شيخ الموحدين وقايد العسكر ايام السلطان ابي حفص محمد الفازازي
فنكبه وصادره على مال امتحنه عليه كانت اول نكباته التي اورت من زناده
واذكت من جمره فخلص الى الحضرة يومل اقتحام سطوته وثبوت مركزه من دار الخلافة
فاوطنها اياما يباكر ابواب الوزراء والخاصة ويلثم اطراف الاولياء والحاشية ويبذل
كرايم ماله فيما يزلفه لديهم ويوثره بعنايتهم حتى استعمل بديوان البحر فتقعد العمال
بمرفا السفن لجباية الاعشار من تجار دار الحرب ثم استضاف بما كان من عنايته
بها واضطلاعه ساير اعمال الحضرة فتقلدها زعيما بامضاء الجرايات وادرار الجباية
واستمرت على ذلك حاله وتضاعفت فايدته فاثرى واحتجن الاموال واستخلص
الذخيرة قاطعا لالسنة السعاية بالمصانعة والاتحاف بطرف ما يجلبه الروم من
بضائعهم حتى انظم المعين ودلت على مكامنه الثروة ودفع امره الى الحاجب فخرج
التوقيع بالقبض عليه واستصفاء ماله لعهد السلطان ابي يحيى اللحياني فنكب
الثانية وصودر على مبين من الاف الدنانير وامتحن بها وباع فيها مكسوبه حتى من
الكتب وخلص من النكبة مسلوب الامانة ممزق الاديم فقعد الرياش احوج ما كان
الى ما يمون من القوت والدفء وتلاثابه العيش ولحق ببلده نابحا الى ما عاد الدهر
ودفعه الالى ما يستنكفون عنه من خدمة العمال ومباكرة ابوابهم والامتهان

في ضروريا تهم واتخذه في ذلك بخت جده بضبعه وكان في خلال ذلك شغل الحضرة
الحزبية وامرايها فتقلص ظل الدولة عن هولاء بعض الشي وهملت
الرعايا بالبلاد الجريدية وصار امرها الى الشورى التي كانت عليها قبل فلما ادرك
احمد هذه الشورى التي كان يسمو لها سمو حباب الماء ثلج صدره وانجح سعيه واستبد
بمشيخة توزر وهلك في اعوام ثمان عشرة فخلفه من بعده في سبيله تلك ولده
يحيى طموحا الى الرتبة سما فسما في الاستقلال وزاحم بيوتات المصر بمناكب استو صلبها
ساير عمره من الدعار والاوغاد بمعاقرة الخمر والمجاهرات في فنون الشباب ليستبد
امره والاستعلاء على نظرايه حتى تطارحوا في هوة الهلاك بين قتيل ومغرب
ومجنب للعمران لم تعطفه عليهم عواطف الرحم ولا ازجره وازع التقوى والسلطان
حتى خلا له الجو واستوسق له الامر واستقل من امر البلد والحل والعقد باوفى من
استبداد ابيه وكان مهلكه قريبا من استبداده لخمس سنين فتلقف الكرة من يده
اخوه محمد تربه في الرياسة ومحاربه مضمارها فاجرى الى الغاية واقتعد كرسي الخلا
وعفى على اثار المشيخة واستظهر على امره بمصانعة امراء البدو واولاد ابي الليل
والمباتات اليهم اصهر كان عقده ابوه لاحمد لابي الليل جدهم على اخته او عمته فكانوا
ردا له من الدولة تبعد صيته وعظم استيلاؤه وامتدت ايامه وعني الملوك
بخطابه واسناد الامور في تلك البلاد اليه خلال ما تعود الكرة وتهب ريح الدولة
وزحف اليه القايد محمد بن الحكيم سنة اربعين فلاذ منه بالطاعة والمصانعة
بالمال ورهنه ولده يحيى فرجع الى ابن الحكيم وتقبل طاعته من غير رهن استنامة
لما ابتلاه من خلوصه واقام على ذلك الى ان هلك اعوام اربعة واربعين من الماية
الثامنة وتصدى ولده عبد الله للقيام بالامر فوثب عليه عمه ابو زيد بن احمد
فقتله على حدث ابيه صبيحة ارانه بعد ان كان اظهر الرضى به والتسليم له فنادت
به العامة لحينه وكان مصرعهما واحدا وقام بالامر اخوه يملول بن احمد اربعة اشهر
كانت شر مدة واسواء ولاية لما اصاب الناس بسوء ملكته من سفك الدماء واستبا حة
الحرم واغتصاب الاموال حتى كان ينسب الى الجنون مرة والى الكفر اخرى ثم مرج
امرهم واستولى الضجر على نفوسهم وكان اخوه ابو بكر معتقلا بالحضرة فراسله
اهل توزر سرا واطلقه السلطان من محبسه بعد ان اخذت عليه المواثيق بالطاعة
والوفاء بالجباية فقصد الهمامين في لفه من الاعراب وحشد نفراوة المجاورين
لها في القرى الظاهرة المقدرة السير واجلب عليهم ثم بيتها فافتتحها وبادر الناس
الى القبض على يملول اخيه وامكنوه منه فاعتقله بداره وتراءى دمه واصبح
لثالثة اعتقاله ميتا بمحبسه وكانت نفطة من قبل ذلك لما صار امر الجريد
الى الشورى قد استبد بها علي بن محمد بن علي بن عبد الجليل بن العابد من بيوتها
ونسبهم بزعمهم في بلي ولهم خلف بزعمهم في الشريد من بطون سليم والله اعلم
باولية نزولهم بنفطة حتى التحموا باهلها وانتظموا في بيوتاتها وكانت البيوت
بها بيت بني عبد الحميد وبيت بني ابي زيد وكانت رياسته لبعض بني ابي زيد
لعهد الامير ابي زكريا الاعلى كان يستعمل على جباية اموال الجريد ثم سعى به انه

اصاب منها فنكبه وصودر على الاف من المال فاعطاها واقامت رياستهم متفرقة في
هذه البيوتات ولما حدثت العصبية بالبلد ايام صار امر الجريد الى الشورى كانت
بنو العابد هولاء اقوى عصبية من سايرهم واستبد بها كبيرهم يحيى بن علي فلما فرغ
السلطان من شغله بزناتة وجثم السلطان ابو الحسن على تلمسان فحاصرها واجل
السلطان على النظر في تمهيد ملكه واصلاح ثغوره واصبح امره بعز وقفصة ونهض
اليها سنة خمس وثلاثين في عساكره من الموحدين وطبقات الجند والاولياء من العرب
فحاصرها شهرا او نحوه وقطع نخيلها فضاق مخنقهم بالحصار وتلاوموا في الطاعة
واستبقوا بها الى السلطان وفر الكثير من بني العابد فلحقوا بقابس في جوار بن مكي
ونزل اهل البلد على حكم السلطان فتقبل طاعتهم واحسن التجاوز عنهم
وبسط المعدلة فيهم واحسب امل ذوي الحاجات منهم وانكفا راجعا الى حضرته
بعد ان امرهم بسكنى ولده المخصوص بعهده الامير ابي العباس وانزله
بين ظهرانيهم وعقد له على بلاد الجريد واحتمل مقدم قفصة يحيى بن علي الى
الحضرة فلم يزل بها الى ان هلك سنة اربع واربعين واستبد الامير ابو العباس
بامر الجريد واستولى على نفطة كما قدمناه وقتل بني الخلف وهم مدافع وابو بكر
وعبد الله ومحمد وابنه احمد بن محمد اخوة اربعة وابن اخيهم هو الخلف بن علي
بن الخلف ابن مدافع ونسبهم في غسان من ظواعن العرب انتقل جدهم من بعض
قرى نفزاوة الى نفطة وقاتل بها وكان لبنيه بها بيتا واستبد هولاء الاخوة
الاربعة ازمان الشورى كما قدمناه ولما استولى السلطان ابو بكر على
الجريد وانزل ابنه ابا العباس بقفصة وعقد له على ساير امصاره اقتضى
طاعتهم فامتنعوا فسرح اليهم وزيرهم ابا القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين
وجهزت له العساكر من الحضرة ونازلها وقطع نخلها فلاذ اهلها بالطاعة واسلموا
بني مدافع المتغلبين فضرب اعناقهم وصلبهم في جذوع النخل اية للمعتبرين
وافلت السيف منهم علي اصغرهم لذمة اعتقدها له ابو القاسم بن عتو لنزوعه
اليه قبل الحادثة فكانت واقية من الهلكة واستولى الامير ابو العباس على نفطة
واستضافها الى عمله ثم انتقض ابو بكر بن يملول في طاعته فنهض اليه
السلطان ابو بكر من تونس سنة خمس واربعين وكان الفتح كما قدمناه ولحق
ابو بكر بن يملول ببسكرة فلم يزل بها الى ان اجلب على توزر فنفذ اليه يوسف
ابن مزني عامله وانتقل الى حصون وادي بن يملول المجاورة لتوزر وهلك
سنة ست واربعين ثم كان مهلك السلطان وابنه الامير ابي العباس صاحب
الاعمال الجريدية اثر ذلك سنة سبع واربعين ورجع الى كل مصر من الجريد
مقدموه فرجع احمد بن عمر بن العابد الى قفصة من مكانه في جوار بن مكي
واستولى على بلده في مكان ابن عمه يحيى بن علي ورجع علي بن الخلف الى نفطة
واستبد بها ورجع يحيى بن محمد بن احمد بن يملول الى توزر من مثوى اغترابه
ببسكرة ارتحل اليها مع عمه ابي بكر طفلا فلما خلا الجريد من الامارة درج يحيى
من عشه في جوار يوسف بن منصور بن مزني واطلقه مع اولاد مهلهل من الكعوب

بعد ان وصلهم وشارطهم واسترهن فيه ابناءهم فلما وصلوا الى محل رياسته بتوزر
ونصبه شيعته واولياء ابيه وقاموا بامره ورجع امر الجريد كله الى رياسة مقدميه
كما كان ثم وفدوا على السلطان ابي الحسن عند زحفه الى افريقية ولقوه بوهران
فلقاهم مبرة وتكرمة ورجع كلا الى بلده ومحل رياسته بعد ان اسنى الجايزة ووفر
الاسهام والاقطاع والنقد المسكوك والكتب ثم رجع الى توزر يحيى بن محمد بن احمد
ابن يملول مستبدا مغتلما والى نفطة علي بن الخلف بن مدافع والى قفصة احمد بن عمر
ابن العابد وانزل بكل واحد من هذه الامصار عاملا وحامية وعقد على الجريد كله
لمسعود بن ابراهيم بن عيسى اليرنياني من طبقة وزرايه واستوصى بهولاء الروسا
خيرا في جوارهم حتى اذا كانت نكبة السلطان بالقيروان سنة تسع واربعين وارتحل
عامل الجريد مسعود بن ابراهيم يريد المغرب بمن معه من العمال والحامية ونمى
خبرهم الى الاعراب من كرفة فصبحوهم في بعض مراحل سفرهم دون ارض الزاب فاستلحموه
ومن كان معه من الحامية واستولوا على ابنيتهم وذخيرتهم وكراعهم واستبد روسا
تلك البلاد بامصارهم وعادوا الى ديدنهم من التربص واذنوا بالدعاء لصاحب
الحضرة منابرهم واستمروا على ذلك فاما يحيى بن محمد بن يملول فنزع الى مباغات
الملوك في الشارة والحجاب واتخاذ الالة والبيت المقصورة للصلاة واقتعاد الاريكة
وخطاب التهويل ونسج للتمويه والكذوب على الالقاب مجالا يرى ان جماع السياسة
والملك في ادارة الكاس وافتراش الاس والحجبة عن الناس والتانق على الندمان
والجلاس وفتح مع ذلك على رعيته واهل ايالته باب العسف والجور وربما بيت
المشاهير منهم غيلة فاناف نفوسهم وامتد امره في ذلك الى ان استولى السلطان
ابو العباس على افريقية وكان من امره ما نذكره واستجاره الجنب علي بن الخلف
فلم يلبث لما استبد برياسته ان حج سنة اربع وستين والتزم مذاهب الخير
وطرق الرضى والعدالة وهلك سنة خمس بعدها وولي مكانه ابنه محمد جاريا على
سنه ثم هلك لسنة من ولايته وقام بامره اخوه عبد الله بن علي فاذكى سنا سنه
وايقظ حزمه وارهف للناس حده فنقموا عليه سيرته وسموا اعنته واستمكن
منافسهم في الشرف ومحاذيهم في رياسة البلد القاضي محمد بن خلف الله من
صاحب الحضرة بذمة كانت له في خدمته قديمة استعمله لرعيها في خطة القضا
بحضرتهم واثرة بالمكان منه والصحبة فسعى بعبد الله هذا عند الخليفة ودله
على مكامن هلكته وبصره بعورات بلده واقتاد عساكر السلطان اليه في زمامه
ولما احتل بظاهر البلد وعبد الله رئيسها اشد ما كان قوة واكثر جمعا وامضى عزما
استالف اخوه الخلف بن علي بن الخلف جماعة المشيخة دونه وحرضهم عليه
وداخل القاضي في تبييت البلد واتاه بالمرصاد في افتتاحها حتى اذا كانت
الهيعة دس الى بعض الاوغاد في قتل اخيه عبد الله ومكر بالقاضي والعسكر
وامتنع عليهم واعتصم دونهم واستقل برياسة بلده واقام على ذلك لساعي
ابن يملول في سيره ويطارحه الكثير من مذاهبه ويجري في السنا والذي بلغ الى
غايته ذا وفي على بنيه واما احمد بن عمر بن العابد فلم يزل من لدن استبداده ببلده

قفصة سالكا لسنن الخمول متجافيا عن رتب التكبر متحليا بمذاهب اهل الخير
والعدالة في شارته وزيه ومركبه جانحا الى التقلل فلما اوفى على شرف من
العمر استبد عليه ابنه محمد وترفع عن حال ابيه بعض الشيء الى مناغاة هؤلاء
الرؤساء المترفين فبينما هؤلاء المتقدمون في هذه الحال من الاستبداد على
السلطان والتخلق باخلاق الملوك والتثاقل على الرعايا بالعسف والجور
واستحداث المكوس والضرائب اذا اطل على مناحيهم السلطان ابو العباس
بالحضرة مستبدا بدعوته صارفا الى فتحهم عزائمه فوجموا وتوجسوا الخيفة
منه وايتمروا في المظاهرة والاتصال لما بعد ان كانوا يستخدمونه الى الحضرة
ويبعثون اليها بالانحياش على البعد ذبونا على صاحب الحضرة وتراوغا عن مصدوقة
الطاعة فلما استبد السلطان ابو العباس بالدعوة استرابوا في امرهم وسربوا
اموالهم في الاعراب المجالبين على السلطان من الكعوب يوملون مدافعتهم عنهم
فشمر لها اولاد ابي الليل بما كان وقع بينهم وبين السلطان من النفرة ونهض اليهم
السلطان فغلبهم على ضواحي افريقية وعلى الظواعن التي كانت جبايتها لهم من
مرنجيره كما قلناه واكتسحهم باوهن ما لك من قوتهم ثم زحف الثانية الى امصار
الجريد فلاذوا بالامتناع واناخ السلطان بعساكره واوليائه من العرب اولاد
مهلهل على قفصة فقاتلها يوما او بعض يوم وعدا في تابعه على نخيلهم بقطعها
تقطع بذلك امعاءهم فثاروا على مقدمهم وشعر بذلك فبادر الى السلطان ونزل له
على حكمه فتقبض عليه وعلى ابنه شهر ذي القعدة من سنة ثمانين وتملك البلد
واستولى على ذخائر بن العابد بما فيها وكان شيئا لا يعبر لطول ايامه في الولاية
وكثرة احتجانه للاموال وعقد السلطان على قفصة لابنه ابي بكر وارتحل يريد
توزر وطار الخبر الى ابن يملول في توزر فخرج عنها باهله ونزل على احياء مرداس
وسرب فيهم المال فرحلوا معه الى الزاب ولحق ببسكرة ماوى نكبائه ومنتهى
مفره فنزل بها على احمد بن يوسف بن مزني واقام هنالك على تلعة من توقع مطالبة
السلطان له ولجاره بن مزني وحسارة اموالهم في ذبون العرب وسوء المغبة
الى ان هلك لسنة او نحوها وايتمر اهل توزر بعده تفويضه عنهم وبعثوا الى السلطان
ببيعتهم فلقيته اثناء طريقه وتقدم الى البلد فنزل بمقصورة بن يملول واستولى
على ذخيرته وتبرا اليه اهل البلد من ودائع كانت له عندهم من نفائس الذخيرة فرفعوها
الى السلطان وعقد لابنه المنتصر على توزر واستقدم الخلف بن الخلف من نفطة
وكان يخالف اصحابه الى الطاعة متى نقضوها ذبونا على ابن يملول وسالفة من
العداوة كانت بينهما فلما احيط بهم ادركه الدهش وبادر الى السلطان بطاعته
فاتاها وقدم عليه فتقبل السلطان طاعته واغضى له عن عزها طمعا في استصلاحه
وعقد له على حجابة ابنه المنتصر وانزله معه بتوزر وامره في الاستخلاف على بلده
نفطة وعقد له على ولايتها وانكفا راجعا الى حضرته وندم ابن الخلف على امره وراى انه
قد تورط في الهلكة فراسل ابن يملول بمكانه من توزر وعثر اولياء السلطان على كتابه
الى يعقوب بن علي شيخ رياح ومدرك حروبهم يحرضه على صريخ ابن يملول ومعونته

فعلموا

فعلموا انكفه ومداجاته وبادروا الى المتنصح عليه وولوا على نفطة من قبلهم وحاطوا
السلطان بالشان واقام في اعتقاله الى ان كانت حادثة قفصة فبادر الامير
المنتصر الى قتله وكان من خبر قفصة ان ابن ابي زيد من مشيختها كان نزع الى
السلطان قبل فتحها هو واخوه لمنافسة بينهما وبين ابن العابد وهما محمد واحمد
ابنا عبد العزيز بن عبد الله بن احمد بن علي بن عبد الله بن علي بن عمر بن ابي زيد
وقد ذكرنا اوليتهم واستعمال سلفهم ايام الامير ابي زكرياء الاعلى في جباية الجريد
فلما استولى السلطان على البلد عقد لهما ما انتشبهما وبدا ادنيهما الى طاعته مع قريبهما
فاستعملهما مع ابنه بقفصة وكثيرهما رديف لحاجبه عبد الله من الموالي الاتراك ومدبر
لامور البلد في طاعة السلطان ثم نزغ الشيطان في صدره وحدثته نفسه بالاستبداد
واقام يتحين له وذهب الامير ابو بكر الى زيارة اخيه بتوزر فكاده في التخلف عنه وجمع
اوشابا من الغوغاء والزعانف وتقدم بهم الى القصبة للفتك بعبد الله التريكي ونذر
بذلك فاغلق ابواب القصبة وبعث الصريخ في اهل القرى وقاتلهم ساعة من نهار
حتى وافى اليه المدد فلما استغلظ بمدده ادركهم الدهش وانفض الاشرار من حولهم
ولجوا الى الاختفاء في بيوت البلد وتقبض على الكثير ممن داخلهم في الثورة ووصل الخبر
الى الامير ابي بكر بتوزر فبادر الى مكانه وقد سكنت الهيعة فاستلحم جميع من تقبض
عليه حاجبه ونادى في الناس بالبراءة من ابني ابي زيد فتنثروا وامنه وعثر الحرس عليه
وعلى اخيه خارجين من ابواب البلد في زي النساء فقادوهما اليه فقتلهما بما بعد
ان مثل بهما وبادر المولى المنتصر بتوزر لقتل الخلف بن الخلف ان يجري في مثلها
فذهب في غير سبيل مرحمة لم يعطف عليه رحم ولا بكته سماء ولا ارض واستبد
السلطان بالجريد ومحى منه اثار المشيخة وانتظمه في عمالات السلطان واما بلد
الحامة وهي من عمالات قسطيلية وتعرف بحامة قابس وحامة مطماطة نسبة الى اهلها
الموطنين كانوا بها من البربر وهم فيما يقال الذين اختطوها واما الان ففيها ثلاث
قبايل من توجروبني وباجن وهم في العصبية فرقتان اولاد يوسف ورياستهم في
اولاد ابي منيع واولاد جحاف ورياستهم في اولاد وشاح ولا ادري كيف نسب الفرقتين
فاما ابو منيع فالحديث عن رياستهم في قومهم انه انجد منهم رجاء بن يوسف كان له
ثلاثة من الولد وهم بوساك ومحمد ومالك وان رياسته بعده كانت لابنه بوساك
ثم لابنه ابو منيع من بعده ثم لابنه حسن ابن ابي منيع ثم لابنه محمد بن حسن ثم
لاخيه موسى بن حسن ثم لاخيه علاء الى ان كان ما نذكر واما اولاد جحاف فكانت
اول رياستهم لمحمد بن احمد بن وشاح وقتله خاله القاضي عمر بن كلي وكان العامل من
الحضرة يتعاقبون فيهم الى ان اسقط السلطان عنهم الخراج والمغارم باسرها
وكان مقدمهم لاول دولة السلطان ابي بكر من اولاد ابي منيع وهو موسى بن حسن
وكان المدبر في نائلة السلطان وانباعليهم وارتاب بهم لبعض الايام واحس الثورة
به فدس بها الى السلطان في بعض حركاته وغزاهم بنفسه ففروا وادرك شيعة
من اولاد هؤلاء وتقبض عليهم فقتلوا ثم رجع الامر الى موسى بن حسن ولما هلك
ولي بعده اخوه ابو عنان وطال امده ولابنه عليهم وكان منسوبا الى الخير والعفاف وهلك

سنة ثنتين واربعين وولي بعده ابنه عمر ثم ابنه الاخر ابو زيان ثم ولي بعدهما ابن عمهما
مولاهم بن محمد ووفد على السلطان ابي الحسن مع وفد اهل الجريد كما مر ثم هلك فولي بعده
من بني عمهم حسان بن هجرس وثار به محمد بن احمد بن وشاح من اولاد جماف المذكور
فعزله واقام في ولايتها الى سنة ثمان وسبعين فثار به اهل الحامة وقتلوا عمر بن
علي القاضي ودلوا عليهم حسان بن هجرس واليهم ثار به يوسف واعتقله وهو يوسف
ابن عبد الملك بن حجاج بن يوسف بن وشاح وهو لهذا العهد بها يعطي طاعة معروفة
ويستدعي العامل للجباية ويراوغ عن المصدوقة والغلب والاستبداد وقد احاط
به من كل جهة واملى علي بعض نسابتهم ان مشيخة اهل الحامة في بني يوساك
ثم في بني كامل بن يوساك وان كامل اول من راس عليهم وان وشاحا من ولد كامل
وان بني وشاح على فرقتين بنو حسن وبنو يوسف فحسان بن هجرس ومولاهم
وعمر وابو علان كلهم من بني حسن ومحمد بن احمد بن وشاح من بني يوسف وهذا
مخالف للاول والله اعلم بالصحيح في امرهم واما نفزاوة واعمال قسطيلية
وتنسب لهذا العهد الى توزر وهي القرى العديدة المتدرجة السير يعترض بينها
وبين توزر الى القبلة عنها السبخة المشهورة المانعة من الاغتشاش الا في
معالم قائمة من الخشب يهتدي بها السالك وربما يضل خابطها فتبتلعه
ويسكن هذه القرى قوم من بقايا نفزاوة من البرابر الذين بقوا هنالك بعد انقراض
جمهورهم وعقب العرب لسائر بطون البربر ومنهم معاهد وذمي المزيغة ينتسبون
الى سرداته نزلوا على الذمة والجزية وبها الان اعقابهم ثم نزل عليهم من عرب
السريد وزغب من بني سليم كل من عجز عن الظعن وملكوا بها العقار والمياه
وكثروا نفزاوة وهم لهذا العهد عامة اهلها وليس في نفزاوة هذه رياسة
لصغرها ورجوعها في الغالب الى اعمال توزر ورياستها هذا حال المتقدمين ببلاد
الجريد في الدولة الحفصية اوردنا اخبارهم فيها لانهم من صنايعها وحي عدا د
ولايتها ومواليها والله متولي الامور

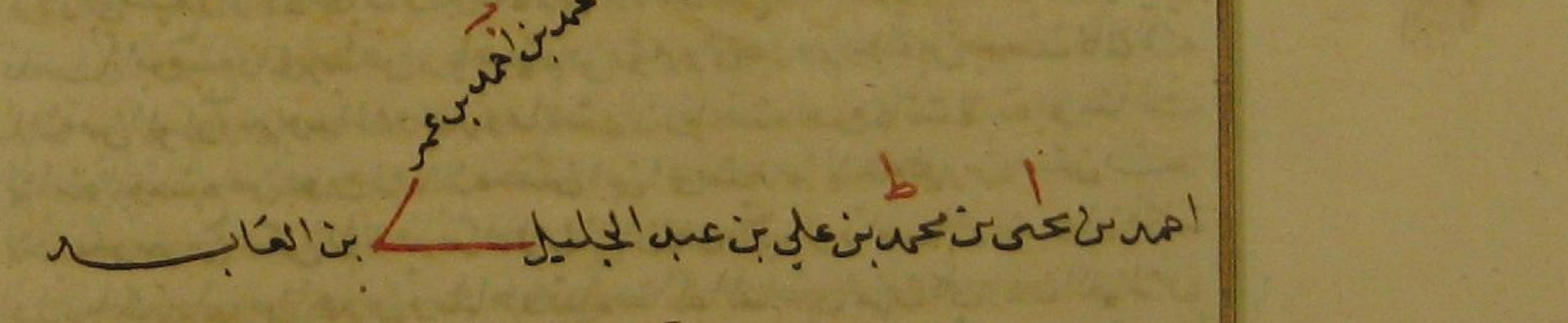
محمد بن احمد بن عمر
احمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الجليل
بن العابد

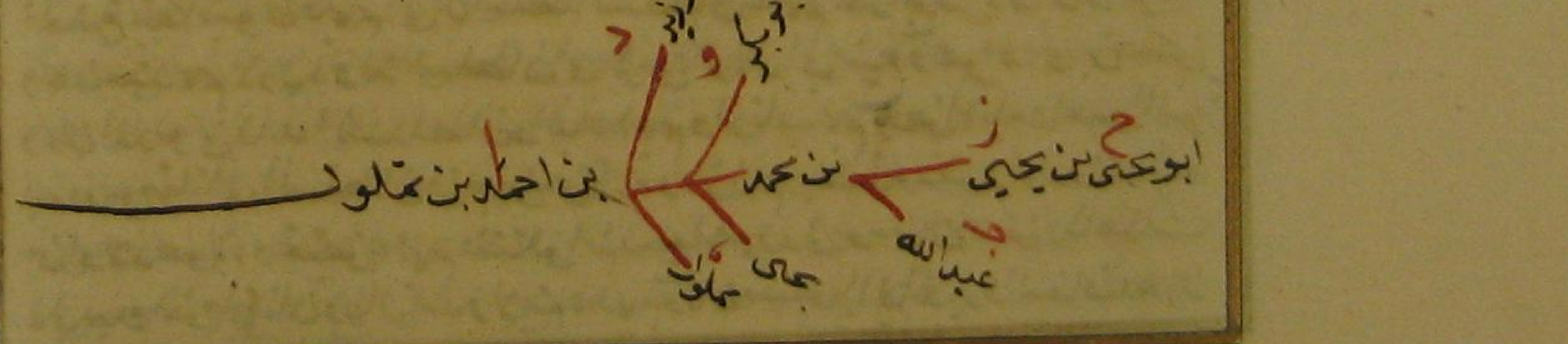
ابو يحيى بن يحيى
عبد الله
بن محمد
بن احمد بن تملول
احمد
ابو
يحيى
تملول

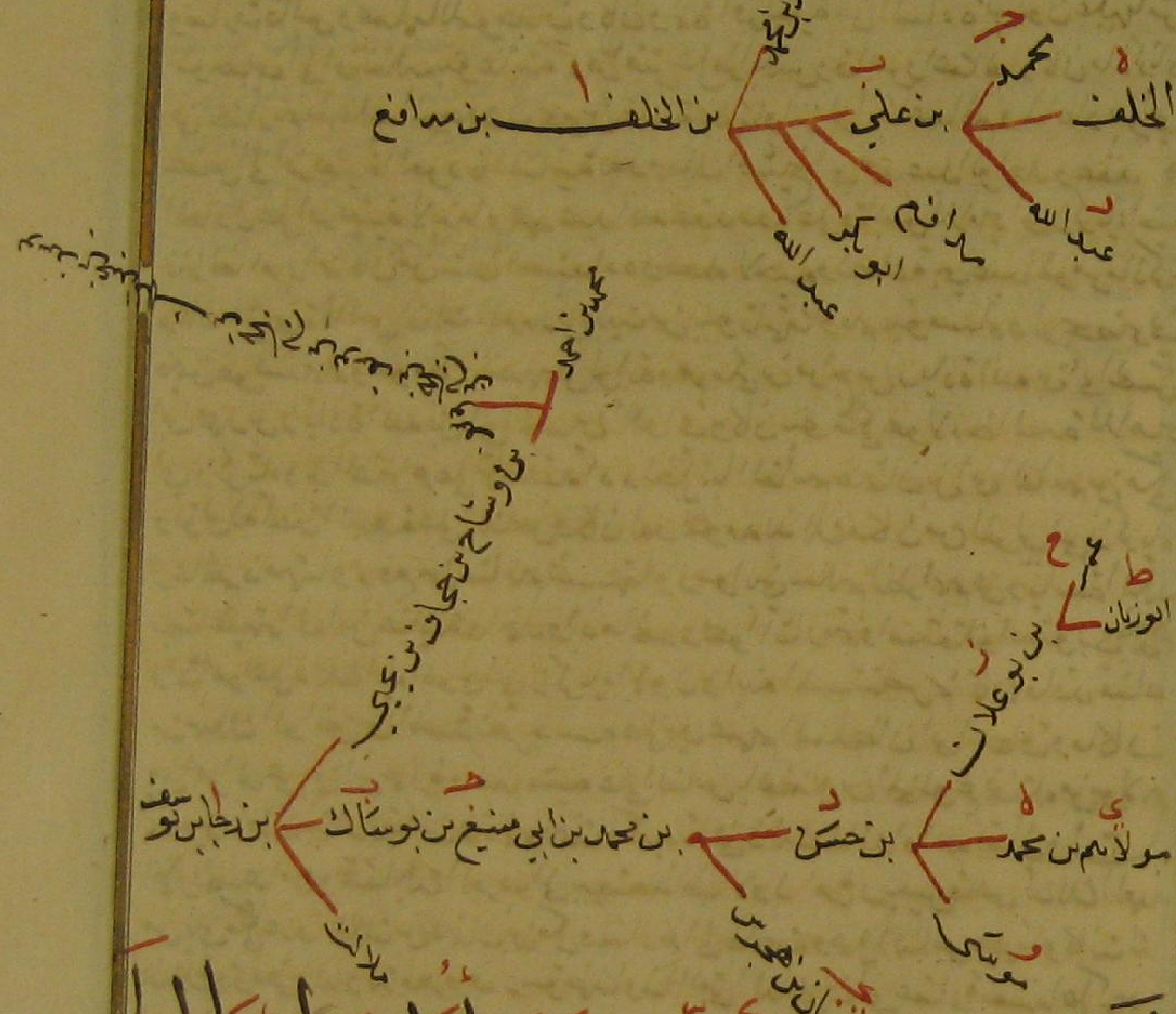
الخلف
محمد
عبد الله
بن علي
احمد بن محمد
سدافع
ابو بكر
عبد الله
بن الخلف
بن سدافع
محمد بن احمد
ابو زيان
بن ابو علان
مولاهم بن محمد
يحيى
بن حسن
حسان بن هجرس
بن محمد بن ابي منيع بن يوساك
بن جابر بن يوسف
وشاح بن حجاج بن يحيى
بن يحيى

الخبر عن بني مكي رؤسا قابس واعمالها

كانت قابس هذه من ثغور افريقية ومسلحة في عمالتها وكان ولاتها من القيروان
ايام الاغالبة والعبيديين وصنهاجة من لدن الفتح ولما دخل الهلاليون افريقية
واضطرب امورها وانقسمت دولة صنهاجة المعز بن محمد الصنهاجي وادال منه
موسى بن يحيى الصنبري من مرداس رياح باخيه ابراهيم الى ان هلك وولي اخوه قاضي
ابن ابراهيم ثار له اهل قابس وقتلوه ايام تميم بن المعز بن باديس وبايعوا عمر بن
المعز بن باديس كان مخالفا على اخيه وذلك سنة تسع وثمانين واربعماية ثم غلب عليها
اخوه تميم وكان معقلا للعرب وكانت قابس وضواحيها في قسم زغبة من عرب هلال
ثم غلبتهم رياح عليها ونزل مكي بن كامل بن جامع من بني دهمان اخوة قادع وهما معا
من بني علي احدى بطون رياح فاستحدث بها مكي ملكا لقومه بني جامع واورثه بنيه
الى ان استولى الموحدون على افريقية وبعث عبد المومن عساكره الى قابس فنزعها

مدافع من ارشيد اخوهم وانتظمها كما ذكرناه في اخبارهم وملكها وانقرض ملك بني جامع
وصارت قابس وعملها للموحدين وكان ولاة افريقية من السادة يولون عليها من
الموحدين الى ان تغلب بنو غانية وقراقش على طرابلس وقابس واعمالها وكان ما ذكرناه
في اخبارهم ثم غلب الموحدون يحيى بن غانية عليها وانتزعوها من عماله ولما عاد بنو ابي
حفص الى افريقية العودة الثانية بعد مهلك الشيخ ابي محمد عبد الواحد وعقد
العادل على افريقية لابنه ابي محمد عبد الله عقد معه على قابس للامير ابي زكريا اخيه
فنزلها اميرا ثم كان من شان استبداده وحمله لاخيه ولطاعة بني عبد المومن ما ذكرناه
وكان مشيخة قابس لذلك العهد في بيت من بيوتاتها وهم بنو مسلم ولم يحضرني
فيمن هو نسبهم وبنو مكي ونسبهم في لواتة وهو مكي بن مراح بن زيادة الله بن ابي الحسن
ابن محمد بن زيادة الله بن ابي الحسين اللواتي وكان بنو مكي هولاء خالصة للامير
ابي زكريا ولما اعتزم على الاستبداد داخل ابا القاسم عثمان بن ابي القاسم بن مكي
وتولى له اخذ البيعة على الناس فكان له ولقومه بذلك مكان من المولى ابي زكرياء
رعاه لهم ذمتها ورفع من شانهم بسببها ورموا بني مسلم نظرائهم في رياسة البلد
بصاغيتهم الى ابن غانية فاخمدوا وادمالهم ومحوا آثارهم واستقلوا بالشورى ببلدهم
واقاموا على ذلك ايام المولى ابي زكرياء الاول وابنه المستنصر ثم كان ما قدمناه
من مهلك الواثق بن المستنصر ودسه على يد عمهم السلطان ابي اسحاق وما كان
من امر الدعي بن ابي عمارة وتلبيسه على الناس بالفضل بن المخلوع فتجلله من مولاهم
نصير راءات بنادرها من قاتلهم فتمت مكيدته في ذلك لما اراد الله تعالى ولما
اظهر نصير امره وتسابقت العرب الى بيعته خاطب لاول امره رئيس قابس لذلك العهد
من بني مكي عبد الملك بن عثمان بن مكي فسارع الى طاعته وحمل الناس عليها وكانت له
بذلك قدم في الدولة معروف رسوخها ولما الحق الدعي بن ابي عمارة جسده على كرسي
الخلافة سنة احدى وثمانين قلده خطة الحجابة بالحضرة مستقلا فيها بالولاية
والعزل والعرض والتقدير والحسبان بعد ان اجزل من بيت المال عطاءه واسنى رزقه
وجرايته واهدى الجواري من القصر اليه ولما هلك الدعي واستقل قدم الخلافة
من عثارها كما قدمناه سنة ثلاث وثمانين لحق عبد الحق بن مكي ببلده واستمر بها
على حين ركود ريح الدولة وفشلها وتمرض في طاعته ودافع اهل الدولة بالدعاء
للخليفة على منابره ثم جاهر بالخلعان سنة ثلاث وتسعين وبعث بطاعته الى صاحب
الثغور المولى ابي زكرياء الاوسط وهلك ابنه احمد ولي عهده سنة سبع وتسعين
ثم هلك هو من بعده على راس المائة السابعة وتخلف حافده مكيا فنصبوه للملك
بيفعه وكفله ابن عمه يوسف بن حسن وقام بالامر مستبدا عليه الى ان هلك وخلفه
في كفالته احمد بن ليران من بيوتات اهل قابس واصهار بني مكي والتاث امرهم بمهلك
يوسف فنقلهم السلطان ابن اللحياني الى الحضرة واقاموا بها اياما ثم ردهم الى بلدهم
ايام تخاذله عن تونس وخروجه الى ناحية قابس ثم هلك خلال ذلك مكي وخلف صبيين
يافعين عبد الملك واحمد فكفلهما احمد بن ليران الى ان شبا واكتهلا وتماسى الامتناع
على الدولة والاستبداد بامر البلد والاقتصار على الدعاء للخليفة مثل ما كان لابيهما

واكثر

واكثر لتقلص ظل الملك عن قطورهم وشغل السلطان بمدافعة آل يغمراسن وعساكرهم
عن الثغور الغربية واجلائهم بالاعتصام من اهل البيت على الحضرة ولما هلك السلطان
ابو يحيى اللحياني بمصر فقفل ابنه عبد الواحد الى المغرب يحاول اسباب الملك ونزل
بساحتهم على ما كان من صنيع ابيه اليهم فذكروا العهد واوجبوا الحق وانعوا ببيعتهم
وقام كبيرهم عبد الملك بامره ودعا الناس لطاعته وخالف السلطان ابا يحيى عند نهوضه
الى الثغر بجاية سنة ثلاث وثلاثين كما قدمناه فدخل الحضرة ولبث بها اياما ثم تبالغ
نصف شهر وبلغ خبرهم الى السلطان فانكفا راجعا وفروا الى مكانهم من قابس والدولة
تنظرهم الشزر وتتربص بهم الدوائر الى ان غلب السلطان ابو الحسن على تلمسان
ومحا دولة آل يغمراسن وفرغت الدولة من شانهم

انظر هذه الشجرة
ابن محلها

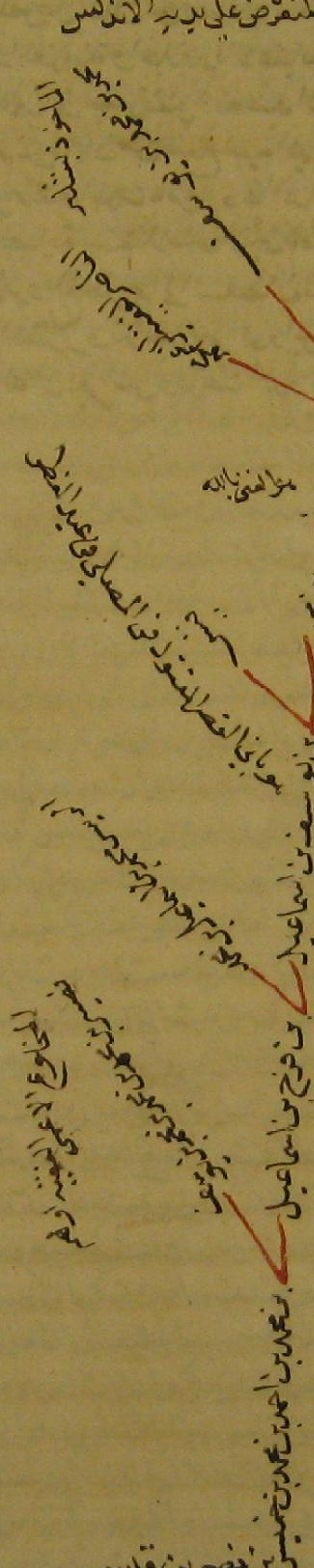

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

فهرسة ما تضمنه السفر الخامس من الدول الاسلامية

الخبر عن زناتة واجيالهم وانسابهم ودولهم الطبقة الاولى منهم
الخبر عن بني يفرن ودولهم بافريقية والمغرب الخبر عن ابي قرة اليفرني ودولته
بتلمسان الخبر عن ابي يزيد الخارجي صاحب الحمار من بني يفرن واخباره مع الشيعة
بافريقية الدولة الاولى لبني يفرن بالمغرب الاوسط والاقصى الدولة
الثانية لبني يفرن بسلا من المغرب الاقصى دولة ابي نور بن ابي قرة برنده ايام
ملوك الطوايف بالاندلس الخبر عن مرنجيصة من بني يفرن وشرح احوالهم
الخبر عن مغراوة من الطبقة الاولى من زناتة ودولهم دولة آل زيري
ابن عطية منهم بفاس والمغرب الاقصى دولة بني خزرون منهم بسجلماسة وصحراء
المغرب دولة بني خزرون بطرابلس بعد افريقية دولة بني يعلى من ال
خزر منهم بتلمسان والمغرب الاوسط امراء اغمات منهم اخبار بني سنجاس
وريغه ولغواط وبني ورا منهم الخبر عن بني برنيان اخوة مغراوة اخبار
وجديجن وغمرة من هذه الطبقة من زناتة اخبار بني وارگلا منها اخبار بني
دمر منها ثم بني نوح منهم وملكهم بالاندلس من اركش اخبار بني برزال من دمر
ثم بني اسحاق ملوك قرمونة منهم اخبار بني وماتوا وبني يلومي من هذه
الطبقة الاولى ودولهم بالمغرب الاوسط اخبار بني بادين من بني داسنوا
الطبقة الثانية من زناتة وانسابهم وشعوبهم اخبارهم قبل الملك
اخبار اولاد منديل من مغراوة ملوك شلف من اعمال المغرب الاوسط من هذه الطبقة
اخبار بني عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط من هذه الطبقة
اخبار بني كمي النازعين من بني عبد الواد الى بني مرين وما كان لهم ببلاد السوس
من الرياسة اخبار بني راشد وما كان لهم من الرياسة بجبلهم المعروف بهم من اعمال
تلمسان اخبار بني توجين من هذه الطبقة الثانية ودولهم بجبل وانشريش الى
دراك من اعمال المغرب الاوسط اخبار بني سلامة اصحاب قلعة تاوغزوت
من بني يدللتن من توجين اخبار بني برناتن من توجين ودولتهم قبل شلف
والمدية الدولة الكبرى من هذه الطبقة الثانية لبني مرين بالمغرب
الاقصى وكيف غلبوا على سائر الدول اخبار القرابة المرشحين للملك من بني
مرين وامارتهم على الغزاة بالاندلس اخبار مولف الكتاب والتعريف به ورحلته

حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

الخبر عن زناتة من قبايل البربر وما كان في اجيالهم من العز

والظهور وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحادثة

هذا الجيل قديم العهد في المغرب معروف العين والاثر وهم لهذا العهد اخذون بالكثير من شعار العرب في سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتقلب في الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية عن الانقياد للنصفة وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر قبائل البربر ومواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب فمنهم ببلاد النخل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى ان عامة اهل تلك القرى الجريدية بالصحرا منهم كما نذكره ومنهم بالتلول في جبال طرابلس وضواحي افريقية وجبل اوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد واذعنوا لحكمهم والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ومنهم بالمغرب الاقصى امم احزى وهم لهذا العهد اهل دول وملك بالمغربين وكانت لهم فيه دول احزى في القديم ولم يزل الملك يتناقل في شعوبهم حسبما نذكره بعد لكل شعب منهم

الخبر عن نسب زناتة وذكر الاختلاف الواقع فيه وتعديد شعوبهم

اما نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نسابتهم انهم من ولد شانا واليه نسبهم واما شانا فقال ابو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة قال بعضهم هو جانا بن يحيى ابن صولات بن ورساك بن ضري بن زحيك بن مادغس بربر وقال ايضا في كتاب الجمهرة ذكر يوسف الوراق عن ايوب بن ابي يزيد يعني حين وفد على قرطبة م عن ابيه الثائر بافريقية ايام الناصر قال هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورساك ابن ضري بن سقفو بن جندواد بن يملا بن مادغس بن هوك بن هرسق بن كراد ابن مازيغ بن هراك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام هكذا ما ذكره ابن حزم ويظهر منه ان مادغس ليس نسبه الى بربر وقد قدمنا ما في ذلك من الخلاف وهذا اصح ما ينقل في ذلك لان ابن حزم موثوق لا يعدل به غيره ونقل عن ابن ابي يزيد وهو كبير زناتة ويكون البربر على هذا من نسل بربر فقط والبربر الذين هم بنو مادغس الابتر ليسوا من البربر ومنهم زناتة وغيرهم كما قدمنا لكنهم اخوة البربر لرجوعهم كلهم الى كنعان بن حام كما يظهر من هذا النسب ونقل عن ابي محمد ابن قتيبة في نسب زناتة هؤلاء انهم من ولد جالوت ففي رواية عنه ان زناتة بن هو جانا بن يحيى بن ضريس بن جالوت هو وتود بن هربيل بن جديلان بن جالود بن رديلان ابن حصي بن باد بن رحيك بن مادغس الابتر بن قيس بن عيلان وفي رواية

احزي

احزى عنه ان جالوت هو ابن جالود بن دنال بن قحطان بن فارس وفارس مشهور وفي اخرى عنه انه هو نال بن جالود بن دنال بن برنس بن سفك وسفك ابو البربر كلهم ونسابة الجيل بنفسه من زناتة يزعمون انهم من حمير ثم من التبابعة منهم وبعضهم يقول انهم من العمالقة ويزعمون ان جالوت جدهم من العمالقة والحق فيهم ما ذكره ابو محمد بن حزم اولا وما بعد ذلك فليس شي منه بصحيح فاما حتى قال واما شعوب زناتة وبطونهم فكثير ولنذكر المشاهير منها فنقول اتفق نسابة زناتة على ان بطونهم كلها ترجع الى ثلاثة من ولد جانا وهم ورسيك وفرني والديدت هكذا في كتب انساب زناتة وذكره ابو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة له فمن ولد ورسيك عند نسابتهم مسارت ورغاي وواشروجن ومن واشروجن وريغن بن واشروجن وقال ابو محمد بن حزم في ولد ورساك انهم مسارت وتلجرم وواسين واما فرني بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة يزمرتن ومنجيصه ووركله ونمالته وسبرتره ولم يذكر ابو محمد بن حزم سبرتره وذكر الاربعة الباقين واما الديدت بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة جراو بن الديدت ولم يذكرهم ابن حزم وانما قال عند ذكر الديدت ومن شعوبه بنو ورسيك بن الديدت وهم بطنان تدمر بن ورسيك وزاكيا بن ورسيك قال ودمر لقب واسمه العانا قال فمن ولد زاكيا بنو مغراو وبنو يفرن وبنو واسين قال وامهم واسين مملوكة لام مغراو وهم ثلاثة هم بنو يصلتن بن مسرا بن زاكيا ويزيد نسابة زناتة في هؤلاء برنيان بن يصلتن اخا لمغراو ويفرن وواسين ولم يذكره ابن حزم قال ومن ولد دمر بنو وربيدن وازنن بن وارديرن بن دمر وذكر لبني دمر افخاذ سبعة وهم وعرزول وتفورت ووريانتن وهؤلاء الثلاثة يختصون بنسب دمر وبرزال ويصدرين وصمغار وبطوفت هكذا ذكره ابو محمد بن حزم وزعم انه من املاء ابي محمد بن يكني البرزالي الاباضي وقال فيه كان ناسكا عالما بانسابهم وذكر ان بني واسين وبني برزال كانوا اباضية وان بني يفرن ومغراوة كانوا سنية وعند نسابة البربر مثل سابق بن سليمان المطماطي وهاني بن يصدور الكومي وكهلان بن ابي لوا وهو مسطور في كتبهم ان بني ورسيك بن الديدت بن جانا ثلاثة بطون وهم بنو زاكيا وبنو دمر وانشه بنو آنش وكلهم بنو وارديرن بن ورسيك فمن زاكيا بن وارديرن اربعة بطون بطون مغراوة وبنو يفرن وبنو يرنيان وبنو واسين كلهم من بني يصلتن ابن مسرا بن زاكيا ومن آنش بن وارديرن اربعة بطون بنو برزال وبنو صمغار وبنو يصدرين وبنو يطوفت كلهم بنو آنش بن وارديرن ومن دمر بن وارديرن ثلاثة بطون بنو تفورت وبنو عرزول وبنو ورتاتين كلهم بنو ورتيد بن دمر هذا الذي ذكره نسابة البربر وفيه خلاف ما ذكره ابن حزم ويذكر نسابة زناتة اخرى من شعوبهم ولا ينسبونهم مثل يجفش وهم اهل جبل فازاز قريب من مكناسة وسنجاس وورسيفان وتمامله وتلكات وواغمرت ويتغراص ووجديجن وبنو بلومو وبنو مانو وبنو توجين على ان بني توجين ينسبون في بني واسين لنسابهم

صحيحا بلا شك على ما يذكر في اخبارهم وبعضهم يقول في وجديجن وواغمرت بنو ورتنيص
ابن جانا وكذلك يذكر بعض نسابتهم ان برغواطه ومطماطه وازداجه من زناتة
والصحيح عند نسابة البربر انهم من البرانس من بطون البربر على ما قدمناه وذكر
ابن عبد الحكم في كتابه في فتح مصر خالد بن حميد الزناتي وقال فيه هو من هتوره
احدى بطون زناتة ولم نره لغيره هذا ملخص الكلام في شعوب زناتة وانسابهم
مما لا يوجد في كتاب والله الهادي الى مسالك التحقيق

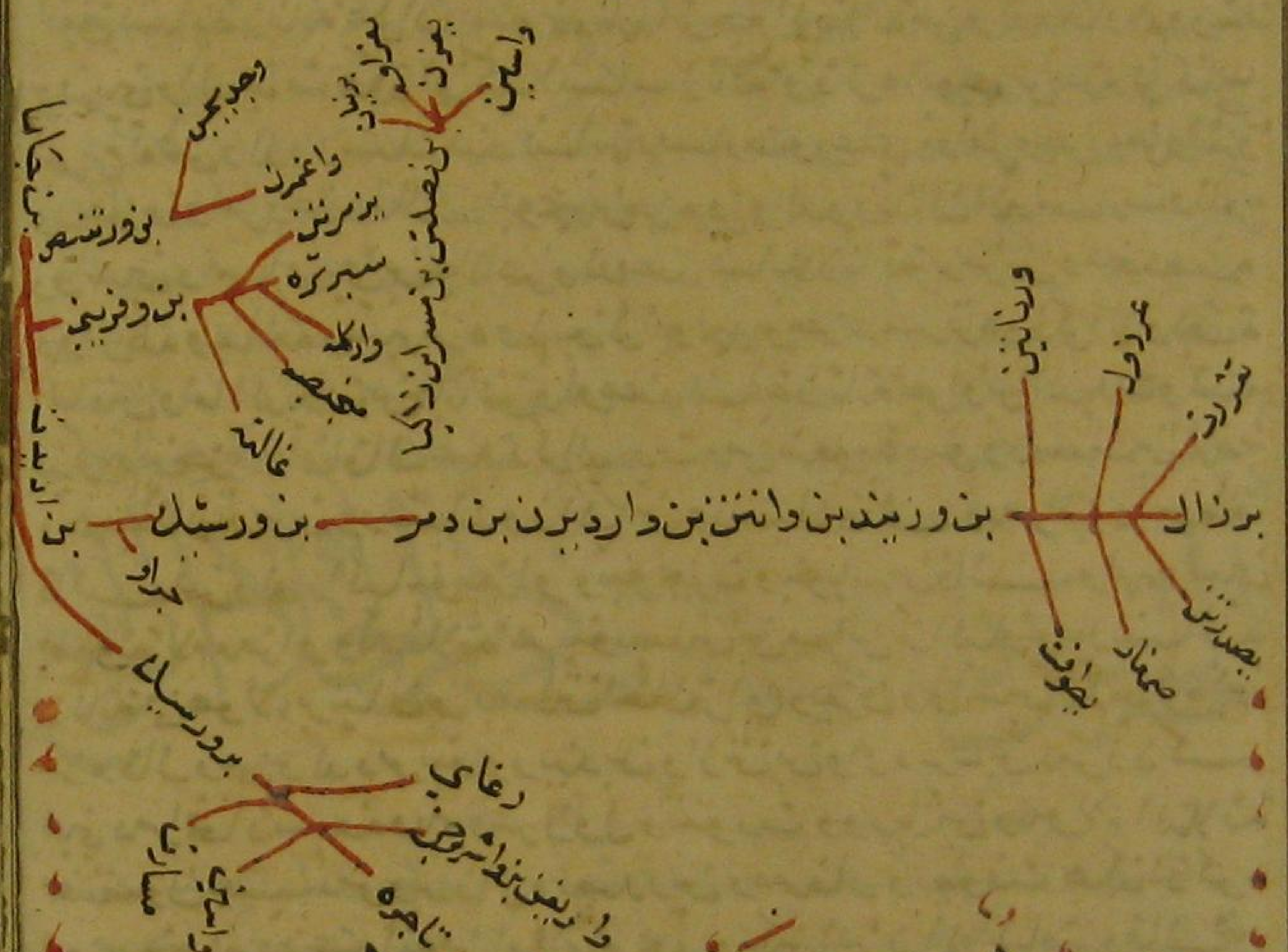

فصل في تسمية زناتة

ومبنى هذه الكلمة ان كثيرا من الناس يبحثون على مبنى هذه الكلمة واشتقاقها
على ما ليس معروفا للعرب ولا لاهل الجيل انفسهم فيقال هو اسم علم وضعته
العرب على هذا الجيل ويقال بل الجيل وضعوه لانفسهم او اصطلحوا عليه ويقال
هو زانا بن جانا فيزيدون في النسب شيا لم يذكره النسابة وقد يقال انه مشتق
ولا يعلم في لسان العرب اصل مستعمل من الاسماء يشتمل على حروف المادية وربما
حاول بعض الجهلة اشتقاقه من لفظ الزنا ويقصدون بحكاية خسيسة يدفعها
الحق وهذه الاقوال كلها ذهابا الى ان العرب وضعت لكل شيا وان استعمالها انما
هو لاوضاعها الى من لغتها ارتجالا او اشتقاقا وهذا انما هو في الاكثر والا فالعرب
قد استعملت كثيرا من غير لغتها في مسماه اما لكونه علما فلا يغير مثل ابراهيم ويوسف
واسحاق من اللغة العبرانية واما استعمالا وتخفيفا لتداوله بين الالسنة كاللجام

والديباج

والديباج والزنجبيل والنيروز والياسمين والاجر فتنصير باستعمال العرب كانها من
اوضاعهم ويسمونها المعربة وقد يغيرونها بعض التغيير في الحركات او في الحروف
وهو سايغ لهم لانه بمنزلة وضع جديد وقد يكون الحرف من الكلمة ليس من حروف
لغتهم فيبدلونه بما يقرب منه في المخرج فان مخارج الحروف كثيرة غير منضبطة فانما
نطقت العرب منها بالثمانية والعشرين حروف ابجد وبين كل مخرج منها حروف اكثر
من واحد فمنها ما نطقت به الامم ومنها ما لم ننطق به ومنها ما نطق به بعض العرب
كما هو مذكور في كتب اهل اللسان واذا تقرر ذلك فاعلم ان اهل هذه اللفظة التي
هي زناتة جانا التي هي اسم اب الجيل كله وهو جانا بن يحيى المذكور في نسبهم وهم
اذا ارادوا الجنس في التعميم الحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات واذا ارادوا
التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن ولفظهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم
عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين واميل الى الشين ويقرع السمع
منها بعض الصفير فابدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاي بالشين فصار
زاناة لفظا مفردا دالا على الجنس ثم الحقوا به هاء النسب وحذفوا الالف الاولى
التي بعد الزاي تخفيفا لكثرة دورانه والله اعلم

فصل في اولية هذا الجيل

وطبقته اما اولية هذا الجيل بافريقية والمغرب فهي مساوقة للاولية
البربر منذ احقاب متطاولة لا يعلم مبداها الا الله ولهم شعوب اكثر من ان تحصى
مثل مغراوة وبني يفرن وجراوة وبني يرنيان ووجديجن وغمرة وبني يجفش وبني
واسين وبني تيغرست وبني مرين وتوجين وبني عبد الواد وبني راشد وبني برزال
وبني ورنيد وبني زنداك وغيرهم وفي كل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة
وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس الى جبل اوراس والزاب الى قبلة
تلمسان ثم الى وادي ملوية وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الاسلام لجراوة ثم
لمغراوة وبني يفرن ولما ملك الافرنجة بلاد البربر ودانوا لهم بدين النصرانية ونزلوا
الامصار بالسواحل وكان زناتة هولاء وساير البربر في ضواحيهم يؤدون لهم
طاعة معروفة وخراجا موقتا ويعسكرون معهم في حروبهم ويمتنعون عليهم فيما
سوى ذلك حتى جاء الله بالاسلام وزحف المسلمون الى افريقية وملك الافرنجة
بها يوميذ جرجير فظاهره زناتة والبربر على شانه مع المسلمين فانفضوا جميعهم
وقتل جرجير واصبحت اموالهم مغانم ونساؤهم سبيا واصبحت سبيطلة ثم
عاود المسلمون غزو افريقية وافتتحوا جلولا وغيرها من الامصار وزحفوا الى
الافرنجة الذين كانوا يملكونهم على اعقابهم الى مواطنهم وراء البحر وظن البربر
بانفسهم مقاومة العرب فاجتمعوا وتمسكوا باعتصامهم بالجبال واجتمعت زناتة الى
الكاهنة وقومها جراوة بجبل اوراس حسبما نذكره فاثخن العرب فيهم واتبعوهم
في الضواحي والجبال والقفار حتى دخلوا في دين الاسلام طوعا وكرها وانقادوا

الى ايالة مصر ونزلوا من امرهم ما كان الافرنجة يتولونه حتى اذا اغلت بالمغرب عري الملك العربي
واخرجهم عن افريقية البربر من كتامة وغيرهم قدح هذا الجيل الزناتي زناد الملك
فاوري لهم وتداول فيهم الملك جيلا بعد جيل في طبقتين حسبما نقصه عليك
ان شاء الله تعالى ٥

الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناتة

وشانهم مع المسلمين عند الفتح كانت هذه الامة من البربر بافريقية من المغرب
في قوة وكثرة وعديد وجموع وكانوا انما يعطون الافرنجة بامصارهم طاعة معروفة
وملك الضواحي كلها لهم وعليهم مظاهرة الافرنجة مهما احتاجوهم اليها ولما
اطل المسلمون في عساكرهم على افريقية للفتح ظاهروا جرجير في زحفه اليهم حتى
قتله المسلمون وانفضت جموعهم وافترقت رياستهم ولم يكن بعدها بافريقية
موطن للقاء المسلمين بجمعهم لما كانت غزواتهم لكل امة من البربر في ناحيتها
وموطنها مع من تحيز اليهم من قبل الافرنجة ولما اشتغل المسلمون في حرب علي
ومعاوية اغفلوا امر افريقية ثم ولاها معاوية بعد عام الجماعة عقبة بن عامر
الفهري فا   في المغرب في ولايته الثانية وبلغ الى السوس وقتل بالزاب في
مرجعه واجتمعت البرابر على كسيلة كبير اوربة وزحف اليهم بعد ذلك زهير بن قيس
البلوي ايام عبد الملك بن مروان فهزمه وملك القيروان واخرج المسلمين من
افريقية وبعث عبد الملك حسان بن النعمان في عساكر المسلمين فهزموا
البرابر وقتل كسيلة واسترجعوا القيروان وقرطاجنة وافريقية الافرنجة
والروم الى صقلية والاندلس وافريقية رياسة البربر في شعوبهم وكانت
زناتة اعظم قبائل البربر واكثرها جموعا وبطونا وكان موطن جراوة منهم
بجبل اوراس وهم ولد كراو بن الديرت بن جانا وكانت رياستهم للكاهنة دهيا
بنت تابتة بن تيفان بن باورا بن مصكسري بن افرد بن وصيلا بن جراو وكانت
لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم من سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم
وعلى قومها بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب احوالهم وعواقب امورهم
فانتهت اليهم رياستهم قال هاني بن بكور الضريسي ملكت عليهم خمسا وستين
سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط
قبلة جبل اوراس باعلائها برابرة تهودا عليه وكان المسلمون يعرفون ذلك
منها فلما انفض جمع البربر وقتل كسيلة زحفوا الى هذه الكاهنة بمعقلها من
جبل اوراس وقد ضوى اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر
البتر فلقيتهم بالبسيط امام جبلها وانهزم المسلمون واتبعت اثارهم في جموعها
حتى اخرجتهم من افريقية وانتهى حسان الى برقة واقام بها حتى جاءه المدد من عبد
الملك فزحف اليهم سنة اربع وسبعين وفض جموعهم واوقع بهم وقتل الكاهنة
واقتحم جبل اوراس عنوة واستلحم فيه زهاء مائة الف وكان للكاهنة ابنان قد لحقا
بحسان قبل الواقعة اشارت عليهما بذلك امها دهيا لاثارة علم كان لديها في ذلك

من شيطانها

من شيطانها فتقبلهما حسان وحسن اسلامهما واستقامت طاعتهما وعقد لهما على قومهما
جراوة ومن انضوى اليهم بجبل اوراس ثم افترق فلهم من بعد ذلك وانقرض امرهم وافترق
جراوة اوزاعا بين قبائل البربر وكان منهم قوم بسواحل مليلة وكان لهم اثار بين جيرانهم
هنالك واليهم نزع ابن ابي العيش لما   عليه موسى بن ابي العافية على سلطانه
بتلمسان اول المائة الرابعة حسبما يذكر فنزل عليهم وبني قلعته بينهم الى ان خربت
من بعد ذلك واهل منهم بذلك الموطن لهذا العهد مندرجون في بطونه ومن اليهم
من قبائل غمارة والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن مبتدا دولة زناتة في الاسلام
ومصير الملك اليهم بالمغرب وافريقية

لما فرغ شان الردة من افريقية والمغرب واذعن العرب لحكم الاسلام وملكة العرب
واستقل بالخلافة ورياسة العرب بنو امية فاقتعدوا كرسي الملك بدمشق واستولوا
على سائر الامم والاقطار واثخنوا في القاصية من ادن الهند والصين في المشرق
وفرغانة في الشمال والحبشة في الجنوب والبربر في المغرب وبلاد الجلالقة والا فرنجه
في الاندلس وضرب الاسلام بجرانه والقت دولة العرب بكلكلها على الامم ثم
جدع بنو امية انوف بني هاشم مقاسميهم في نسب عبد مناف والمدعين استحقاق
الامر بالوصية وتكرر خروجهم عليهم فاثخنوا فيهم بالقتل والاسار حتى توغلت الصدور
واستحكمت الاوتار وتعددت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من علي الى
من بعده من بني هاشم فقوم ساقوها الى ال العباس وقوم الى ال الحسن واخرون الى
ال الحسين فدعت شيعة ال العباس بخراسان وقام بها اليمنية فكانت الدولة
العظيمة الحائزة للخلافة ونزلوا بغداد واستلحموا الامويين قتلا وسبيا وخلص من
جاليتهم الى الاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد بها دعوة الاموية واقتطع
ما وراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخفق لهم به راية ثم نفس ال ابي طالب على ال
العباس ما اكرمهم الله به من الخلافة والملك فخرج المهدي محمد بن عبد الله المدعو بالنفس
الزكية في بني ابي طالب على ابي جعفر المنصور وكان من امرهم ما هو مذكور واستلحمهم
جيوش بني العباس في وقائع عديدة وفر ادريس بن عبد الله اخو المهدي ناجيا من بعض
وقائعهم الى المغرب الاقصى فاجاره البرابر من اوربة ومغيلة وصدينة وقاموا بدعوته
ودعوة بنيه من بعده وتناولوا بها الملك وغلبوا على المغرب الاوسط وبثوا دعوة ادريس
وبنيه في اهله من زناتة مثل بني يفرن ومغراوة واقتطعوا من ممالك بني العباس
واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون اثناء ذلك
بالمشرق ينزعون الى الخلافة ويبثون دعاتهم بالقاصية الى ان عاد ابو عبد الله المحتسب
بافريقية الى المهدي من ولد اسماعيل الامام بن جعفر الصادق فقام بها برابرة كتامة ومن
اليهم من صنهاجة وملكوا افريقية من يد الاغالبة ورجعوا العرب الى مركز ملكهم بالمشرق
ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من اصر العرب

ووطاة قصي بعد ان رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم واستيقنوا بوعد الصادق ان الارض لله يورثها من يشا من عباده فلم ينسلخ الملك بانسلاخ الدولة ولا تقوضت مباني الدين بتقويض معالم الملك وعد من الله لن يخلفه في تمام امره واظهار دينه على الدين كله فتناغى حينئذ البربر في طلب الملك والقيام بدعوة الاعياص من بني عبد مناف يسرون منها حسوا في ارتغا الى ان ظفروا من ذلك بحظ مثل كتامة بافريقية ومكناسة بالمغرب ونافسهم في ذلك زناتة وكانوا من اكثرهم جمعا واشدهم قوة فتسموا له حتى ضربوا معهم بسهم فكان لبني يفرن بالمغرب وافريقية على يد صاحب الحمار ثم على يد يعلى بن محمد وبنيه سلطان ضخم ثم كان لمغراوة على يد بني خزر دولة اخرى نازعوها مع بني يفرن وصنهاجة ثم انقرضت تلك الاجيال وتجدد الملك بالمغرب بعدهم في جيل اخر منهم فكان لبني مرين بالمغرب الاقصى ملك ولبني عبد الواد بالمغرب الاوسط ملك اخر يقاسمهم فيه بنو توجين والطلب من مغراوة حسبما نذكر ونستوفي شرحه ونجلب ايامهم وبطونهم على الطريقة التي سلكناها في اخبار البربر والله المعين سبحانه

الطبقة الاولى من زناتة

ونبدا منها بالخبر عن بني يفرن وانسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول بافريقية والمغرب وبنو يفرن هولاء من شعوب زناتة واوسع بطونهم وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصليتن بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن اديدت بن جانا واخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين والكل بنو يصليتن وايفري في لغة البربر هو القار وبعض نسابتهم يقولون ايفري بن ونيفن بن جانا واخوته مغراوة وغمرت ووجديجن وبعضهم يقول ايفري بن مرة بن ورسيك بن جانا وبعضهم يقول ايفري بن جانا لصلبه والصحيح ما نقلناه عن ابي محمد بن حزم واما شعوبهم فكثير ومن اشهرهم بنو واركو ومرنجيصة وكان بنو يفرن هولاء لعهد الفتح اكثر قبائل زناتة واشدها شوكة وكان منهم بافريقية وجبل اوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب فلما كان الفتح غشي افريقية ومن بها من البربر جنود الله المسلمون من العرب تطامنوا لباسهم حتى ضرب الدين بجرانه وحسن اسلامهم ولما فشا دين الخارجية في العرب وغلبهم الخلفاء في المشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم في البربر فتلقفه روساوهم على اختلاف مذاهبه باختلاف روس الخارجية في احكامهم من اباضية وصفرية وغيرهما كما ذكرناه في بابه ففشا في البربر وضرب فيه بنو يفرن هولاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه وكان اول من جمع منهم لذلك ابو قرة من اهل المغرب الاوسط ثم من بعدهم ابو يزيد صاحب الحمار وقومه بنو واركو ومرنجيصة ثم كان لهم بالمغرب الاقصى وبعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلى بن محمد بن صالح وبنيه حسبما نذكر ذلك مفسرا ان شا الله تعالى

مرنجيصة

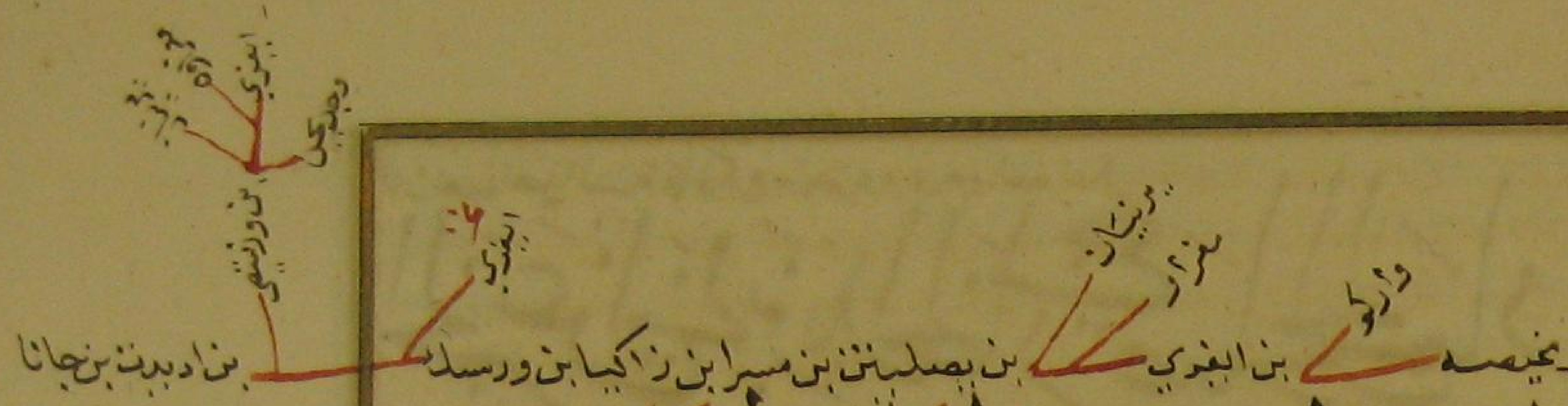

الخبر عن ابي قرة وما كان له ولقومه من

الملك بتلمسان ومبدا ذلك

كان من بني يفرن بالمغرب الاوسط بطون كثيرة بنواحي تلمسان الى جبل بني راشد المعروف بهم لهذا العهد وهم الذين اختطوا تلمسان كما نذكره في اخبارها وكان رئيسهم لعهد انتقال الخلافة من بني امية الى بني العباس ابو قرة لا نعرف من نسبه اكثر من انه منهم ولما انتقض البرابرة بالمغرب الاقصى وقام ميسرة وقومه بدعوة الخارجية وقتله البربر قدموا على انفسهم مكانه خالد بن حميد من زناتة فكان من حربه مع كلثوم بن عياض وقتله اياه ما هو معروف وراس على زناتة من بعده ابو قرة هذا ولما انتقضت دولة بني امية كثرت الخارجية في البربر وملك ورفجومة القيروان وهوارة وزناتة طرابلس ومكناسة سجلماسة وابن رستم تاهرت وقدم ابن الاشعث افريقية من قبل ابي جعفر المنصور وخافه البربر فحسم العلل وسكن الحروب ثم انتقض بنو يفرن بنواحي تلمسان ودعوا الى الخارجية وبايعوا لابي قرة كبيرهم بالخلافة سنة ثمان واربعين ومائة وسرح اليهم ابن الاشعث الاغلب بن سوادة التميمي فانتهى الى الزاب وفر ابو قرة الى المغرب الاقصى ثم راجع موطنه بعد رجوع الاغلب ولما انتقض البرابرة على عمر بن حفص بن ابي صفرة الملقب هزارمرد اعوام خمسين ومائة وحاصروه بطبنة كان فيمن حاصره ابو قرة اليفرني في اربعين الفا من قومه وغيرهم حتى اشتد عليه الحصار وداخل ابا قرة في الافراج عنه على ان يعطيه اربعين الفا ولابنه اربعة الاف فارتحل بقومه وانفض البرابرة عن طبنة ثم حاصروه بعد ذلك بالقيروان واجتمعوا عليه وابو قرة معهم في ثلاث مائة وخمسين الفا الخيالة منها خمس وثمانون الفا وهلك عمر بن حفص في ذلك الحصار وقدم يزيد بن حاتم واليا على افريقية فانفضت جموعهم وفرقت كلمتهم ولحق ابو قرة وبنو يفرن اصحابه بمواطنهم من تلمسان بعد ان قتل صاحبه ابو حاتم الكندي راس الخوارج واستلحم بنو يفرن وتوغل يزيد بن حاتم في المغرب ونواحيه واثخن في اهله الى ان استكانوا واستقاموا ولم يكن لبني يفرن من بعدها انتقاض حتى كان شان ابي يزيد بافريقية في بني واركو ومرنجيصة منهم حسبما نذكره ان شا الله تعالى ه

وبعض المورخين ينسب ابا قرة هذا الى مغيلة ولم اظفر بصحيح في ذلك والقراين شاهدة للجانبين فان نواحي تلمسان وان كانت موطنا لبني يفرن فهي ايضا موطن لمغيلة ه [illegible]بيلتان متجاورتان لكن بنو يفرن كانوا اشد قوة واكثر جمعا ومغيلة ايضا كانوا فاما [illegible]ارجية من بني يفرن لانهم كانوا صفرية وكثير من الناس يقولون بني يفرن كانوا على

مذاهب اهل السنة كما ذكره ابن حزم وغيره والله اعلم

الخبر عن ابي يزيد الخارجي صاحب الحمار

من بني يفرن ومبدا امره مع الشيعة ومصاير امره

هذا الرجل من بني واركوا اخوة مرنجيصة وكلهم من بطون بني يفرن كنيته ابو يزيد واسمه مخلد بن كيداد لا يعلم من نسبه فيهم غير هذا وقال ابو محمد بن حزم وذكر لي ابو يوسف الوراق عن ايوب بن ابي يزيد ان اباه ابا يزيد اسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورميت بن حونيفر ابن سميران بن يفرن بن جانا وهو زناتة قال وقد اخبرني بعض البربر باسماء زايدة بين يفرن وجانا انتهى كلام ابن حزم ونسبه ابن الرقيق ايضا في بني واسين ابن ورسيك بن جانا وقد تقدم نسبهم اول الفصل وكان كيداد ابوه يختلف الى بلاد السودان في التجارة فولد له ابو يزيد بكوكو من بلادهم وامه ام ولد اسمها سبيكة ورجع به الى قيطون زناتة ببلاد قسطيلية ونزل توزر وتردد بينها وبين تقيوس وتعلم القرآن وتادب وخالط النكارية فمال الى مذاهبهم واخذها عنهم ورأس فيها ورحل الى مشيختهم بتاهرت واخذ عن ابي عبيدة منهم ايام اعتقال عبيد الله المهدي بسجلماسة ومات ابوه كيداد وتركه على حال من الخصاصة والفقر فكان اهل القيطون يصلونه بفضل اموالهم وكان يعلم صبيانهم القرآن ومذاهب النكارية واشتهر عنه تكفير اهل القبلة وسب علي فخاف وانتقل الى تقيوس وكان يختلف بينها وبين توزر واخذ نفسه بالتغيير على الولاة ونمي عنه اعتقاد الخروج على السلطان فنذر الولاة بقسطيلية دمه فخرج الى الحج سنة ست عشرة وثلاثمائة وارهقه الطلب فرجع من نواحي طرابلس الى تقيوس ولما هلك عبيد الله وعهد ابو القاسم الى اهل قسطيلية في التشديد عليه فلحق بالمشرق وقضى الفرض وانصرف الى موطنه ودخل توزر سنة خمس وعشرين مستترا وسعى به ابن برقان عند والي البلد فقبض عليه واعتقله واقبل سربان زناتة الى البلد ومعهم ابو عمار الاعمى رأس النكارية واسمه كما سبق عبد الحميد وكان ممن اخذ عنه ابو يزيد فتعرضوا الى الوالي في اطلاقه فتعلل عليهم بطلبه في الخراج فاجتمعوا الى فضل ويزيد ابني ابي يزيد وعمدوا الى السجن فقتلوا الحرس واخرجوه فلحق ببلد بني واركلا واقام بها سنة يختلف الى جبل اوراس والى بني برزال في مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة والى بني زنداك من مغراوة الى ان اجابوه فوصل الى جبل اوراس ومعه ابو عمار الاعمى في اثني عشر من الرجالة ونزلوا على النكارية بالنوالات واجتمع اليه القرابة وسائر الخوارج واخذ له البيعة عليهم ابو عمار صاحبه على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسبي وعلى انهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى وذلك سنة احدى وثلاثين وترصد عنية صاحبها باغاية في بعض وجوهه فظفر على بسيطها واستباح بعض القصور

فيها سنة ثنتين وثلاثين وغنمه بذلك ايدي البربر في الغنيمة ثم زحف بهم ثانية الى باغاية واستولت عليه وعلى اصحابه الهزيمة فلحقوا بالجبل وزحف اليهم صاحب باغاية فانهزم ورجع الى بلده وحاصره ابو يزيد واوعز القائم ابو القاسم الى كتامة في امداد كنون صاحب باغاية فتلاحقت به العساكر فنسبهم ابو يزيد واصحابه فغلبوهم وامتنعت عليهم باغاية وكاتب ابو يزيد البربر الذين حول قسطيلية من بني واسين وغيرهم فحاصروا توزر سنة ثلاث وثلاثين ورحل الى تبسة فدخلها صلحا ثم الى مجانة كذلك ثم الى مرماجنة كذلك واهدى له رجل حمارا اشهب فلزم ركوبه حتى اشتهر به وبلغ خبر عساكر كتامة بالاربص فانفضوا وملك الاربص وقتل امام الصلاة بها وبعث عسكره الى تبسة فملكوها وقتلوا عاملها وبلغ الخبر الى القائم وهو بالمهدية فهاله وسرح العساكر لضبط المدن والثغور وسرح مولاه بشرى الصقلي الى باجة وعقد لميسور على الجيوش فعسكر بساحة المهدية وسرح خليل بن اسحاق الى القيروان فعسكر بها وزحف ابو يزيد الى بشرى بباجة واشتدت الحرب بينهم وركب ابو يزيد حماره واشتد عصاه فاستماتت النكارية وخالفوا بشرى الى معسكره فانهزم الى تونس واقتحم ابو يزيد باجة واستباحها وارتحل بشرى الى تونس وارتدت البرابرة من كل ناحية فاسلم تونس ولحق بسوسة واستامن اهل تونس الى ابي يزيد فامنهم وولى عليهم وانتهى الى وادي مجردة فعسكر بها ووافته الحشود هنالك ورعب الناس منه فانجفلوا الى القيروان وكثرت الاراجيف وسرب ابو يزيد جيوشه في نواحي افريقية فشنوا الغارات واكثروا السبي والقتل والاسر ثم زحف الى رقادة فانفض كتامة الذين كانوا بها ولحقوا بالمهدية ونزل ابو يزيد رقادة في مائة الف ثم زحف الى القيروان فاعتصم بها خليل ثم اخذه بعد مراوضة في الصلح وهم بقتله فاشار اليه ابو عمار باستبقائه فلم يطعه وقتله ودخلوا القيروان فاستباحوها ولقيه مشيخة الفقهاء فامنهم بعد التقريع والتعنيف وعلى ان يقتلوا اولياء الشيعة وزحف وبعث رسله في وفد من اهل القيروان الى الناصر الاموي صاحب قرطبة ملتزما لطاعته والقيام بدعوته وطالبا لمدده فرجعوا اليه بالقبول والوعد ولم يزل يردد ذلك سائر ايام الفتنة حتى اوفد ابنه ايوب في آخرها سنة خمس وثلاثين فكان له اتصال بالناصر سائر ايامه وزحف ميسور من المهدية بالعساكر ووفد عليه بنو كملان من هوارة ولحقوا بابي يزيد وحرضوه على لقاء ميسور فزحف اليه واستوى اللقاء واستمات ابو يزيد والنكارية فانهزم ميسور وقتله بنو كملان وبعث برأسه الى القيروان ثم الى المغرب واستبيح معسكره وسرح ابو يزيد عساكره الى مدينة فافتتحوها عنوة واكثروا من القتل والمثلة وعظم القتل بضواحي افريقية وخلت القرى والمنازل ومن افلته السيف اهلكه الجوع واستخف ابو يزيد بالناس بعد قتل ميسور فلبس الحرير وركب الفاره ونكر عليه اصحابه ذلك وكاتبه به رؤساؤهم من البلاد والقائم خلال ذلك بالمهدية يخندق على نفسه ويستنفر كتامة وصنهاجة للحصار معه وزحف ابو يزيد حتى نزل على المهدية واجتمع اليه البربر من قابس وطرابلس ونفوسة وزحف اليهم ثلاث مرات فانهزم في الثالثة ولم يقلع وكذلك في الرابعة واشتد الحصار على اهل المهدية ونزلت

الجموع بهما واجتمعت كتامة بقسنطينة وعسكروا بها لامداد القايم فسرح اليهم ابو يزيد
زكوا المزاتي في جموع ودخوله فانفض عسكر كتامة من قسنطينة وبئس القايم
من مددهم وتفرقت عساكر ابي يزيد في الغارات والنهب فخف المعسكر ولم يبق به
الا هوارة واوراس وبنو كملان وكثرت مراسلات القايم للبربر واستراب بهم ابو يزيد
وهرب بعضهم الى المهدية ورحل اخرون الى مواطنهم فاشار عليه اصحابه بالافراج
عن المهدية فاسلموا معسكرهم ولحقوا بالقيروان سنة اربع وثلاثين ودبر اهل القيروا
في القبض عليه فلم يتهيا لهم وعدلهم ابو عمار فيما اتاه من الاستكثار من الدنيا فتاب
واقلع وعاود لبس الصوف والتقشف وشاع خبر اجفاله عن المهدية فقتل النكار
في كل بلد وبعث عساكره فعاثوا في النواحي واوقعوا باهل الاقطار وخربوا كثيرا
منها وبعث ابنه ايوب الى باجة فعسكر بها ينتظر وصول المدد من البربر من سائر
النواحي فلم يفجاه الا وصول علي بن حمدون الاندلسي صاحب المسيلة في حشد كتامة
وزواوة وقد مر بقسنطينة والاربض وسقنبارية واستصحب منها العساكر
فبيته ايوب وانفض معسكره وتردى فيه فرسه في بعض الاوعار فهلك ثم زحف
ايوب في عسكره الى تونس وقايدها حسن بن علي من دعاة الشيعة فانهزم ايوب
ثم اتيحت له الكرة ولحق حسن بن علي قايدها ببلاد كتامة فعسكر بهم على قسنطينة
وسرح ابو يزيد جموع البربر لحربه ثم اجتمعت لابي يزيد حشود البربر من كل ناحية
وثابت اليه قوته وزحف الى سوسة فحاصرها ونصب عليها المجانيق وهلك القايم
سنة اربع وثلاثين في شوال وصارت الخلافة لابنه اسماعيل المنصور فبعث بالمدد
الى سوسة بعد ان اعتزم على الخروج اليها بنفسه فمنعه اصحابه ووصل المدد الى
سوسة فقاتلوا ابا يزيد فانهزم ولحق بالقيروان فاستعصت عليه فاستخلص صاحبه
ابا عمار من ايديهم وارتحل عنهم وخرج المنصور من المهدية الى سوسة ثم الى
القيروان فملكها وعفا عن اهلها وامنهم واحسن في مخلف ابي يزيد وعياله وكانوا
في المدد الى ابي يزيد ثانية فاعتزم على حصار القيروان وزحف الى عسكر المنصور
بساحتها فثبتهم واشتدت الحرب واستماتت الاولياء وافترقوا اخر نهارهم ه
وعاودوا الزحف مرات ووصل المدد الى المنصور من الجهات حتى اذا كان منتصف
المحرم كان الفتح وانهزم ابو يزيد وعظم القتل في البربر ورحل المنصور في اتباعه
فمر بسبيبة ثم تبسة حتى انتهى الى باغاية ووافاه بها كتاب محمد بن خزر بالطاعة
والولاية والاستعداد للمظاهرة فكتب اليه بترصد ابي يزيد والقبض عليه ووعد
في ذلك بعشرين حملا من المال ثم رحل الى طبنة ووافاه جعفر بن علي عامل المسيلة ه
بالهدية والاموال وبلغه ان ابا يزيد نزل بسكرة وانه كاتب محمد بن خزر يساله النصرة
فلم يجد عنده ما يرضيه فارتحل المنصور الى بسكرة فتلقاه اهلها وفر ابو يزيد
الى بني برزال بجبل سالات ثم الى جبل كتامة وهو جبل عياض لهذا العهد وارتحل
المنصور في اثره الى المقرة وبيته ابو يزيد هنالك فانهزم ولم يظفر واخذ الى جبل سالات
ثم لحق بالرمال ورجع عنه بنو كملان واستامنوا للمنصور على يد محمد بن خزر وسار المنصور
في اتباعه حتى نزل بجبل سالات وارتحل وراءه الى الرمال ثم رجع ودخل بلاد صنهاجة

وبلغه

وبلغه رجوع ابي يزيد الى جبل كتامة فرجع اليه ونزل عليه المنصور في كتامة وعجيسة
وزواوة وحشد بني زنداك ومزاتة ومكناسة ومكلاتة وتقدم المنصور اليه ه
فقاتلوا ابا يزيد وجمع النكارية فهزموهم واعتصموا بجبال كيانة ورحل المنصور
الى المسيلة وانحصر ابو يزيد في قلعة الجبل وعسكر المنصور ازاءها واشتد الحصار
وزحف اليها مرات ثم اقتحمها عليهم فاعتصم ابو يزيد بقصر ذروة القلعة فاحيط
به واقتحم عليه وقتل ابو عمار الاعمى وياواس المزاتي ونجا ابو يزيد مثخنا بالجراحة
محمولا بين ثلاثة من اصحابه فسقط في مهواة من الاوعار فوهن وسيق من الغداة
الى المنصور فامر بمداواته ثم احضره ووبخه واقام الحجة عليه وعفا عن دمه
وبعثه الى المهدية وفرض له بها الجراية فجزاه خيرا وحمل في القفص فمات من جراحته
اخر سنة خمس وثلاثين وامر به فسلخ وحشي جلده بالتبن وطيف به القيروان
وهرب الفل من اصحابه الى ابنه فضل وكان معبد بن خزر معا فغاروا على ساقة المنصور
وكبس لهم زيري بن مناد امير صنهاجة فاوقع بهم ولم يزل المنصور في اتباعه الى ان
نزل الى المسيلة وانقطع اثر معبد ووافاه بمعسكره هنالك انتقاض حميد بن يصل
عامل تيهرت من اوليائهم وانه ركب البحر من تنس الى العدوة فارتحل الى تيهرت وولى
عليها وعلى تنس ثم قصد لواتة فهربوا الى الرمال ورجع الى افريقية سنة خمس
وثلاثين ثم بلغه ان فضل بن ابي يزيد اغار على جهات قسطيلية فرحل من سنته ثم
في طلبه وانتهى الى نفطة ثم ارتحل الى سدبله من اعمال الزاب وفتح حصن ماداس
بما يليه وهرب فضل في الرمال فاعجزه ورجع الى القيروان سنة ست وثلاثين
ومضى فضل الى جبل اوراس ثم سار منه الى باغاية فحاصرها وغدر به باطيط بن
يعلى من اصحابه وجاء براسه الى المنصور وانقرض امر ابي يزيد وبنيه وافترقت
جموعهم واغتال عبد الله بن بكار من رؤساء مغراوة بعد ذلك ايوب ابن ابي يزيد
وجاء براسه الى المنصور متقربا اليه وتتبع المنصور قبايل بني يفرن بعدها
الى انقطاع اثر تلك الدعوة والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى انتهى